



كتاب الاحيا في مزيد حياة الاحيا وسلوك السالكين الى اعالي مناهج
الدين صنفه امام الائمة وشرف الامة سلطان العلما والمحققين وارث الانبيا المرسلين شيخ الاوليا
والعارفين الامام الاعظم وحجة الله في العالم الامام الرباني والحبر الرحماني الشيخ ابو حامد محمد بن محمد بن
محمد الغزالي رحمه الله تعالى وان بعض الائمة راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يصف الغزالي بنحو مائتي وصف من
صفات المقربين والعلما الراسخين والعارفين والصديقين وسئل الامام الذي راى هذه الرؤيا ما تقول في
الغزالي فقال ما عيبه الا انه ظهر بعد الائمة اما لو كان قبلهم لما كان الا هو لا احد غيره واما الامام محي الدين ابن عربي
راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يلتفت الى موسى تارة والى عيسى اخرى ويقول هل في امتك مثل هذا وراه
اخرى وهو يقول لهما هل في امة من الامم مثل هذا وراه السلطان الغوري ملك الهند في المنام فقال يا سيدي يا رسول الله
بمن تامرني ان اقتدي فقال بابن عمي هذا يعني الشافعي فقال للشافعي بمن تامرني ان اقتدي فقال بالغزالي فاصبح وقد رجع
الى مذهب الشافعي هو وسبعون الفا من عسكره ومن الرعية ما لا يحصى فقف على سيرته في كتابه المنقذ من الضلال
ترى العجب العجاب وروى ابن عربي انه صنف الف كتاب من جملتها كتاب الخزانة في مائة مجلد فهرست كتب ذلك
مجلد على حدته ومنها الوجيز في الفقه في مجلد واحد قال شيخي الامام السلفي وقفت للوجيز على سبعين
شرحا منها شرح واحد في سبعين مجلدا للغزالي ومنها شرح الرافعي في عشرين مجلدا واعظم امام العصر اذا
قدر على شرحه وقد قيل لو كان الغزالي نبيا لكان معجزته الوجيز وسمعت بعض مشايخي وكان من الزهاد
الكبار يقول كنت اود لو جاز لي التعبد بالوجيز في صلاتي لعظم اعتقاده فيه وفي مصنفه ومنها تفسيره في
اربعين مجلدا ومنها كتاب منهاج العابدين آخر كتاب صنفه ما له نظير في السلوك الى الله تعالى والتوجه اليه التعلم

انه كان من خواص السالكين ومن اشرف الواصلين ومنها كتاب الاحيا مزيد حياة الاحيا ذكر بانه لو
فقدت جميع الكتب الاسلامية ولم يبق الا الاحيا لاغناهم عن جميع الكتب مذاكرة القايلة الواحدة
منه تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وافضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض و
تشييع الف جنازة كما ورد به الخبر في غيره من الكتب فكيف بعلوم هذا الكتاب الذي الكتب قطرة في بحره و
لمعة من اشراق نور شمسه لكونه العلم الاكبر والكتاب الانور والابدر والاهنا والابهر فكيف في جميع ايمة
المذهب حيث لم ينبهوا على ما نبه عليه الغزالي في الاحيا من الاسرار والمعاني التي هي المقصودة من العبادة بل اقتصروا على
ذكر القشر عن اللب والصدف عن الجوهر وانما فوق كل ذي علم عليم وكذلك فوق كل علم ما هو اشرف واهم
واكمل واتم واوجب واعظم الى ان ينتهي الى علم الله الذي لا نهاية له وحتى ان الائمة لم يتعرضوا في كتب الفقه
الى ذكر الواجبات الباطنة التي هي المقصود الاعظم كما استوفى ذكر ذلك الغزالي في الاحيا فلاجرم كان هو امام
الائمة على الحقيقة وشيخ الامة رضي الله عنه وقال الشيخ محمد بن عربي رحمه الله تعالى بعد الاطراء فيه نثرا واقول في كتابه

يا طالب العلم والكتب التي شرفت   على جميع علوم الدين في الحكم
ان كنت تبغي كتابا لا نظير له   فليس ثم سوى الاحياء في العظم
هذا الكتاب الذي جلت فضايله   والكل في بحره اذ فاز بالهمم
هذا اللباب ولب اللب حين صفا   والغير كالقشر والحصبا والرمم
كم من شموس واقمار ونجم هدى   في طي اسطره في ساير الكلم
كم من بحار علوم ما لها عدد   في طيه ومن الانوار في الظلم

هل مثل تحقيقه او ما يحرّره ... او فى معامله فى العرب والعجم
هل كان فيما مضى فى الكتب سايرها ... كمثله بل وجود الكل كالعدم
هل قد سمعت خطابا للملائكة او ... من النبيين اومن سائر النسم
كما الذى هو فى الاحيا حين اتا ... باشرف النور والاشفا من السقم
ما ذاك الا الذى قد كان صنفه ... كان ارتقا المرتقا الاعلى من الشيم
حارت عقول الورى فى عظم اسطره ... لما حوى من نفيس القول فى القدم
ما ذاك الا لان الله خصّصه ... فهو الامام وكلّ عنه كالعدم
محمد الاسم غزالى كنيته ... من احمد نال ذا المرقا من العظم
كذاك امته نالت معالمه ... وفضّلت سايرا لاعصار فى الامم
ايمة الدين والدنيا وبحر هدى ... وبحر عقل وبحر العلم والحكم
ماذاك الّا لان الله شرفهم ... باحمد فهم الاهدى من النسم
لو كان للناس عقل لم يكن ابدا ... يهمّهم غير ذى الاحيا بالهمم
لكن من جهلهم ايضا وغفلتهم ... لهوا ولم يسمعوا ما فيه من حكم
ففهمه عمل والحفظ محض هدى ... والفكر فيه هو الاهدى الى الشيم
فكل قلب لها الاحيا وصار الى ... سواه تاه مع الانعام فى الظلم
فالانبياء بما فيه هم بعثوا ... هو الشفا وبرؤ مرضى السقم

قد اشغل الناس عنه سوء غفلتهم ... لذا لهوا عنه فى الدنيا مع النعم
ما ثم علم كما الاحيا قد رحموا ... به الخلايق للاسى من الحكم
لو كان لك يقظة التوفيق كنت له ... ملازما فهو برؤ العمى والصمم
الا اشتغالك بالدنيا ولذتها ... لهاك عنه فصرت من الانعام والبهم
لولا التصانيف فى الاحيا لو فهموا ... كقطرة او كحرف خطّ بالقلم
كذا مصنفه فاق الايمة مذ ... كانوا ولو بلغوا فالكل كالعدم
هل فى الائمة من يلحق قدرهما ... قد قيل هل مثله فى العرب والعجم
ما مثله غير من قد حاز حكمته ... وبعض حكمته الاحيا فى الحكم
هو الذى نال مرقاه وقيل عسى ... قد نال من بحره شيئا من العدم

كذا فى طبقات الفقها الشافعيه فصل وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلى يقول اذا عرضت لكم الى الله تعالى حاجة فتوسلوا اليه بالامام ابى حامد الغزالى وكان يقول كتاب الاحيا من يحيوة الاحيا يورثك العلم وكتاب قوت القلوب يورثك النور عليكم بالاحيا والقوت نقل من كتاب تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية للامام السيوطى رحمه الله تعالى وقد شهد الشيخ محى الدين ابن عربى والشيخ ابو الحسن الشاذلى للامام ابى حامد الغزالى بانه من رؤس الصديقين وناهيك بهذه الشهادة من هذين السيدين وقد كان الشيخ محى الدين ابن عربى يطالع كتاب احيا علوم الدين ويستفيد منه ويدرسه مرارا كثيرة ويحث ويحث الناس على تدريسه

وكفى بذلك شرفا ومنقبة للامام الغزالي رضي الله تعالى عنه وقد بلغ في علوم الشريعة الحد الذي
فاق به الاقران حتى لقب بحجة الاسلام وكتبه الان مرجع مذهب الامام الشافعي وقد
قال الشيخ محمد ابن عربي رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يباهي بالامام الغزالي
الانبيا ويقول للسيد موسى عليه السلام هل في امتك حبر مثله وقال ايضا وانكر
عليه بعض علما المغرب فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يعرض عنه ثم امر بتجريده
عن ثيابه وضرب بين يديه عليه السلام بسياط فاستيقظ فوجد اثر السياط على ظهره
ولم يزل الاثر في جسده حتى مات فتاذلك العالم وامر

كتابة الاحيا بما الذهب نقل من كتاب البحر المورود
في اخذ المواثيق والعهود للشيخ عبد الوهاب
الشعراوي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا قال الشيخ الامام الاجل
حجة الاسلام ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي رضي الله عنه وارضاه ونفع بعلومه الحمد لله
اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين واصلي على رسوله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر
سائر المرسلين واستخيره سبحانه ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين وانتدب لقطع تعجبك
رابعا ايها العاذل الغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في الانكار والتقريع من بين طبقات المنكرين
الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت مثابر عليه من العمى عن
جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر التروع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا
يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله عز وجل به من تزكية النفس واصلاح القلب
وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع
صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله له بعلمه ولعمري لا سبب لاصرارك على التكبر
الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر ادّ
والخطب جد والاخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد
وما سوى الخالص لوجه الله تعالى من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الاخرة مع كثرة الغوايل
من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا
المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان فاستغواهم الطغيان واصبح كل احد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى
المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق
ان لا علم الا فتوى حكومة يستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام او جدل يتذرع به طالب المباهاة
الى الغلبة والافحام او سجع مزخرف يتوصل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة
للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الاخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه علما وفقها
وحكمة ونورا وهداية ورشدا وضياء فقد اصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما
وخطبا مدلهما رايت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المنقرضين
وايضاحا لما هي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين ولقد اسسته على اربعة ارباع والله اعلم بالصواب

ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات

وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيان
بطلبه اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وامتيز فيه العلم النافع عن الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع

واحقق

واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب واستعين
على الصواب برب الارباب اما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب العلم كتاب قواعد العقائد
كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلوات كتاب اسرار الزكوات كتاب اسرار الصيام
كتاب اسرار الحج كتاب تلاوة القران كتاب الاذكار والدعوات كتاب الاوراد في الاوقات
واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب اداب الاكل كتاب اداب النكاح
كتاب اداب الكسب كتاب اداب الحلال والحرام كتاب اداب الصحبة والعشرة مع اصناف الخلق
كتاب العزلة كتاب اداب السفر كتاب السماع والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
كتاب اداب المعيشة واخلاق النبوة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب
عجايب القلب كتاب رياضة النفس كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج كتاب افات اللسان
كتاب الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم حب المال والبخل كتاب
ذم الجاه والريا كتاب ذم الكبر والعجب كتاب ذم الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة
كتب كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر كتاب الخوف والرجا كتاب الفقر والزهد
كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والرضا والشوق والانس كتاب النية والصدق والاخلاص
كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت فاما ربع العبادات
فاذكر فيه من خفايا ادابها ودقايق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الاخرة من لم
يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق
واغوارها ودقايق سننها وخفايا الورع في مجاريها فهي مما لا يستغني متدين عنها واما ربع المهلكات
فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القران باماطته وتزكية النفس منه وتطهير القلب عنه واذكر في كل واحد من تلك الاخلاق
حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها يترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة
التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق
محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة
حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لاجلها
فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب
عنها بخمسة امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز
ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت عن الافهام لم يتعرض لها في
الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبه لامر يخصه ويغفل
عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه له ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف
فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تاسيس هذا الكتاب على اربعة ارباع امران
احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي به يتوجه الى الاخرة
ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة واعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب
منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب
وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا
في علم الطريق والارشاد اليه واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيها الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم

بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلمآ ورثة الانبيا فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسى والاقتدا ثم ان علم المعاملة
ينقسم الى علم ظاهر اعنى العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعنى العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما عبادة واما عادة
والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين
ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق
النفس انقسم الى محمود ومذموم فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ النظر فى علم المعاملة عن هذه الاقسام الباعث الثانى
انى رايت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله تعالى للتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه
ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزيى بزى المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة
الفقه تلطفا فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الروسا الى الطب فوضعه على هيئة تقويم
النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف فى
اجتذاب القلوب الى العلم الذى يفيد حياة الابد اهم من التلطف فى اجتذابها الى الطب الذى لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة
هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به الى حياة تدوم ابد الاباد فاين منها الطب الذى يعالج به الاجساد وهى معرضة
بالضرورة للفساد فى اقرب الاماد فنسال الله التوفيق للرشاد والسداد انه الكريم الجواد

كتاب العلم

وفيه سبعة ابواب
الباب الاول فى فضيلة العلم والمتعلم والتعليم **الباب الثانى** فى بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد
الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الاخرة وعلم الدنيا **الباب الثالث** فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منها
وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره **الباب الرابع** فى افات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل **الباب
الخامس** فى اداب المعلم والمتعلم **الباب السادس** فى افات العلم والعلما والعلامات الفارقة بين علما الدنيا والاخرة
الباب السابع فى العقل وفضيلته واقسامه وما جا فيه من الاخبار

الباب الاول فى فضل العلم والتعلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم اما شواهد ذلك من القرآن فقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم فانظر كيف بدا بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالة ونبلا فقال تعالى
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلما درجات فوق المومنين بسبعماية درجة ما بين
الدرجتين مسيرة خمسماية عام وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلمآ وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به
تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان عظم قدر الاخرة يعلم بالعلم
وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه فى الوقايع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبيآء فى كشف حكم الله وقيل فى قوله تعالى
يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعنى العلم وريشا يعنى اليقين ولباس التقوى اى الحيا وقال تعالى ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو ايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى
خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان **واما الاخبار** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد
الله تعالى به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال عليه الصلوة والسلام العلمآء ورثة الانبيا ومعلوم انه لا رتبة
فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه الصلوة والسلام يستغفر للعالم ما فى السموات والارض واى
منصب يزيد على منصب من تشتغل الملائكة فى السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار
له وقال عليه الصلوة والسلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وقد نبه بهذا على
ثمرته فى الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى وقال عليه الصلوة والسلام خصلتان لا تكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين

ولا تشكن

ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهآء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذى ظننته وسياتى بيان معنى الفقه وادنى درجات
الفقيه ان يعلم ان الاخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برأته عن النفاق والريا وقال عليه افضل الصلوة
والسلام افضل الناس المومن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه وقال عليه الصلوة والسلام الايمان عريان
ولباسه التقوى وزينته الحيا وثمرته العلم وقال عليه الصلوة والسلام اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل
العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال عليه الصلوة والسلام
لموت قبيلة ايسر من موت عالم وقال الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا وقال يوزن يوم القيمة
مداد العلمآء بدم الشهدآء وقال عليه الصلوة والسلام من حفظ على امتى اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له
شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال من حمل من امتى اربعين حديثا لقى الله يوم القيمة فقيها عالما وقال عليه الصلوة والسلام
من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه الصلوة والسلام اوحى الله تعالى الى ابرهيم يا ابرهيم
انى عليم احب كل عليم وقال عليه الصلوة والسلام العالم امين الله فى الارض وقال صنفان من امتى اذا صلحوا صلح الناس
واذا فسدوا فسد الناس الامرا والفقها وقال عليه الصلوة والسلام اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك
لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال عليه الصلوة والسلام فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد
كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان
كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة فقال عليه الصلوة والسلام فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وقال عليه الصلوة والسلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا
فاعظم برتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد فى فضل الشهادة وقال عليه الصلوة والسلام ما عبد الله بشئ
افضل من فقه فى دين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال خير دينكم
ايسره وافضل العبادة الفقه وقال فضل المومن العالم على المومن العابد سبعون درجة وقال انكم اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه
قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسياتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل
معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال عليه الصلوة والسلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر
الجواد المضمر سبعين سنة وقيل له عليه الصلوة والسلام يا رسول الله اى الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل
اى الاعمال تريد فقال العلم بالله فقيل نسال عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع
مع الجهل وقال عليه الصلوة والسلام يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يبعث العلما ثم يقول يا معشر العلما انى لم اضع علمى
فيكم الا لعلمى بكم ولم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم **واما الاثار** فقد قال على كرم الله وجهه يا كميل العلم خير
من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوا على الانفاق
وقال ايضا رضى الله تعالى عنه العالم افضل من الصايم القايم المجاهد واذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف
منه وقال ايضا نظما ٭ ما الفخر الا لاهل العلم انهم ٭ على الهدى لمن استهدى ادلآء ٭ ووزن كل امرئ ما كان يحسنه ٭
والجاهلون لاهل العلم اعدآء ٭ ففز به لا تكون جاهلا ابدا ٭ الناس موتى واهل العلم احيآء ٭ وقال ابو الاسود الدؤلى ليس شئ
اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلمآء حكام على الملوك وقال عبد الله بن عباس خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم
والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلمآء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن
السفلة قال الذى ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التى بها يتميز الناس عن البهايم هى العلم والانسان
انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع
اشجع منه ولا بالاكل فان الجمل اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال

النفس

القلب

بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فاته من ادرك العلم وقال بعضهم فتح الموصلي اليس المريض اذا
منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت ولقد صدق
فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حيوته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكن لا يشعر به
اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا
حط الموت عنه اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق من سكره بما اصابه من
الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله من شر يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن
يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك
رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد
عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وكذا عن ابي هريرة واحمد بن حنبل وقال
الحسن في قوله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي الاخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي
الاشياء تقتني قال الاشياء الذي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه
بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال
الشافعي رحمه الله من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح به ومن دفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه
ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا
استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف كاد العلماء ان يكونوا
اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت
باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زائرا فلم اذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي
ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وقد حكى ذلك في وصايا لقمن
لابنه وقال ايضا يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله تعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال
بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا
يحبه الا ذكور الرجال **فضيلة التعلم اما الايات** فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
وقوله عز وجل فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون **واما الاخبار** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا
يطلب فيها علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال عليه الصلوة والسلام ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا
بما يصنع وقال عليه الصلوة والسلام لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي الف ركعة وقال صلوات الله وسلامه
عليه باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها وقال طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلوات الله وسلامه عليه
اطلبوا العلم ولو بالصين وقال العلم خزائن مفاتيحها السؤال فاسألوا فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع
والمحب لهم وقال عليه الصلوة والسلام لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه وفي حديث ابي ذر حضور
مجلس عالم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القران فقال
وهل ينفع القران الا بالعلم وقال من جاءه ملك الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة
واحدة **واما الاثار** فقد قال ابن عباس ذللت طالبا فعززت مطلوبا ولذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس
اذا رايته رايت احسن الناس وجها فاذا تكلم فاعذب الناس لسانا فاذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت
لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجلا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم
ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان
في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس
ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت الف عابد قائم الليل وصائم النهار اهون من موت عالم
عاقل بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رحمه الله طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك
اقرأ عليه العلم فدخل وقت الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت
النية وقال ابو الدرداء من رأى ان الغدو الى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله **فضيلة التعليم**
اما الايات فقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال تعالى وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه للناس ولا يكتمه وقال
تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال
ويعلمهم الكتاب والحكمة **واما الاخبار** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله
بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه والسلام من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين
صديقا وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة يقول الله عز وجل للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا
فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلم
المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى وقال عليه الصلوة والسلام ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس
بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس
رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال عليه الصلوة والسلام من علم علما فكتمه الجمه يوم القيمة
بلجام من نار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل
عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال عليه الصلوة والسلام
ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير
وقال صلى الله عليه وسلم ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال عليه الصلوة والسلام
كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
فراى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسألون الله ان شاء اعطاهم
وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال عليه الصلوة والسلام
مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلاء و
العشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها
بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما
وقال عليه الصلوة والسلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلث منها علم ينتفع به او صدقة جارية او ولد صالح يدعو
له وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل
اتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا وقال عليه الصلوة والسلام على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال
الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله **واما الاثار** فقد قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك
العمل وقال ابن عباس معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله

وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفين الثوري قدم عسقلان فمكث ولا يساله انسان فقال اكتروا لي لاخرج
من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصًا على فضيلة التعليم واستبقاءً للعلم به وقال عطاء دخلت على سعيد
بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسألني عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد منهم
مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون
الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنًا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه
وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من ابائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار
الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل
وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعلم والتعليم ورايته
ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم
صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء
والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقوامًا فيجعلهم في الخير قادة هداة يهتدى بهم ادلة في الخير تقتص
آثارهم ويرمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه
وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حيوة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف
يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد
وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء **الشواهد العقلية**
اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم يفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن
ان يعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدًا حكيم ام لا وهو بعد لم يعرف
معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا تشارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد
يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه
في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه
افضل لان تلك زيادة في الجسم وهي نقصان من المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه
فاذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة ان اخذته بالاضافة الى ساير الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس
وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه شرف
الملائكة والانبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه
ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لذاته ولغيره جميعًا وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب
لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله تعالى يسر قضاء الحاجات بهما
لكانا والحصباء بمثابة واحدة واما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الاخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى واما الذي
يطلب لذاته ولغيره فسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلاً مطلوبة من حيث انها سلامة للبدن عن الالم ومطلوبة للمشي
بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذًا في نفسه فيكون مطلوبًا لذاته
ووجدته وسيلة الى دار الاخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى سبحانه ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة
في حق الادمي السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل الى ذلك الا بالعلم والعمل ولا يتوصل
الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاعمال وكيف لا وقد
يعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقاربة

الملا الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان
اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لاشياخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة
بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم
كما سياتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها واما فضيلة التعلم والتعليم فظاهر مما ذكرناه فان العلم اذا كان
افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا
ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهي الالة الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها آلة ومنزلا
ولم يتخذها وطنا ومستقرا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الادميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلثة
اقسام احدها اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة
وهي للتالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها القسم الثاني ما هي مهيأة لكل واحدة من هذه الصناعات
وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم
الحياكة باعداد محلها القسم الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة
للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلثة اضرب اما اصول
كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة
كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح
ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا تستدعيه ساير الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة
صاحب هذه الصناعة ساير الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا
والاخرة على اربع مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم والثانية سياسة
الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة سياسة العلماء بالله
وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا ينتهي
قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والرابعة سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات
الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة
المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من ساير الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلثة
امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل
واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل
الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الاخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم
الدينية وهي فقه طريق الاخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي بيانه
اذ به قبل امانة الله تعالى وبه يصل الى جوار الله تعالى واما عموم النفع فلا يستريب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الاخرة
واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف
جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم العلم
من وجه عبادة لله ومن وجه خلافة لله تعالى وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص
صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون له في الانفاق منه على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد
واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى الجنة الماوى **الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم**
واقسامها واحكامها وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين

والزين

يعلم

منهم

منهم جيد

والعلم

الى اى حد هو وتفصيل علم الاخرة **بيان العلم الذى هو فرض عين** قال النبى صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه الصلوة والسلام اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس فى العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الاحاد دون الوقايع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم علمنا فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله عليه الصلوة والسلام بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله الحديث لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذى ينبغى ان يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم الى علم المعاملة وعلم المكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التى كلف الله العبد العاقل البالغ بها على ثلثة اقسام اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعليم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه امر وراء هذا فى الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص له وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان تكون فى الفعل واما فى الترك واما فى الاعتقاد **واما الفعل** فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر وجوب تعلم الطهارة للصلوة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان نقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى الى روية الهلال او شاهدين فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت اسلامه فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذا فى ساير الاصناف فاذا دخل عليه اشهر الحج فلا تلزمه المبادرة الى تعلم علم الحج مع ان فعله على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو ما لكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم ساير الاعمال التى هى فرض عين واما الترك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير او جالسا فى غصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل والشرب فيجب تعليمه حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه **واما الاعتقادات** واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله تعالى قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى ان يصان فى اول بلوغه عن ذلك بتلقين الحق فانه لو القى اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربوا وجب عليه تعلم الحذر من الربوا فهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن فى حق من يتصدى له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال عليه الصلوة والسلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر وبقيه ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما تتبع هذه الثلث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاماتها وعلاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى ومما ينبغى ان يبادر فى القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتى الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغى ان يفهم الرسالة التى هو مبلغها وهو ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار فاذا تنبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هو هذا وتحققت ان كل عبد فهو فى مجارى احواله فى يومه وليلته لا يخلو عن وقايع فى عباداته ومعاملاته يتجدد لوازم عليه فيلزمه السوال عن كل ما يقع له من النوادر فيلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين انه عليه الصلوة والسلام انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام فى قوله طلب العلم فريضة على كل مسلم علم العمل الذى هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه التدريج فى وقت وجوبه **بيان العلم الذى هو فرض كفاية** اعلم ان الفرض من العلوم لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الغرض الذى نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعنى بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب والهندسة ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح **فالمحمود** ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة **اما فرض الكفاية** فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الابدان على الصحة وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن الحجام لتسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذى انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة

لا فريضة فالتعمق في دقايق الحساب وحقايق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج
اليه **واما المذموم منه** فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات **واما المباح منه** فالعلم بالاشعار التي
لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراها **اما العلوم الشرعية** وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن
قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فلتنقسم الى المحمودة والمذمومة **واما المحمودة** فلها اصول وفروع
ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب **الضرب الاول** الاصول وهي اربعة كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة
وآثار الصحابة فالاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على
السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقراين الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا يحيط
العبارات بما ادرك بالقراين فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه
مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن **الضرب الثاني الفروع** وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها
بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله صلى الله عليه وسلم
لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جايعا او متألما بمرض وهذا على ضربين احدهما ما يتعلق
بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم من علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالاخرة وهو علم احوال القلب
واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني
جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر
الاول **الضرب الثالث المقدمات** وهو الذي يجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله
وسنة رسوله وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن لزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة
بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة **ومن الآلات** علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس
ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغني عن الكتابة ولكنه
صار بحكم العجز في الغالب ضروريا **الضرب الرابع المتممات** وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ
كعلم القراآت ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا
تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض
منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا **واما المتممات في الاخبار والآثار**
فالعلم بالرجال واساميهم وباسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف عن
القوي والعلم باعمارهم ليتميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من
فروض الكفايات فان قلت لم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم
من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر
ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبداهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها
ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها
الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة
وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق
وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري وهو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا
فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا
اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضايع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات

بالفقه

بالفقه وكان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به
فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببدرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء آخر والقيام
بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها امر آخر ومعرفة طريق الحراسة وحيلها وقوانينها امر آخر وحاصل فن الفقه معرفة طرق
السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام
وقد كانوا هم المفتون والمأمور نايبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة
يحترزون عن الفتوى حتى كان كل واحد منهم يحيل على صاحبه وما كانوا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق
الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به
الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات
فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصلاة والصيام والزكوة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان
الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلثة الاسلام والصلوة والزكوة
والحلال والحرام فاذا تاملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى حدود الآخرة واذا عرفت هذا
في هذه الثلثة فهو في غيرها اظهر **اما الاسلام** فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت
فيه الا الى اللسان واما القلب فخارج عن ولاية الفقيه بعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة
عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه في الذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف
بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن شبهة ولم يرفع عن قلبه
غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه
الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها جعل اثر ذلك في
الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض
الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه **واما الصلوة** فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة
الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلاته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق
الا عند التكبيرة وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كثير نفع كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة
ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل او التعزير فاما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة
وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه واما الزكاة فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة
السلطان حتى انه اذا امتنع من ادائها فاخذها السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته وقد حكي ان ابا يوسف كان يهب ماله
لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكوة فحكي ذلك لابي حنيفة منه فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك
من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار **واما الحلال والحرام** فالورع من الحرام
من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الانسان عن اهلية
الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي لا تتقابل
فيها الاحتمالات قال عليه الصلوة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين
وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه اداؤه الى الحرام قال عليه الصلوة والسلام لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع
ما لا باس به مخافة مما به باس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن
اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض

وسلوك الطريق الى الحج شيء صح

والصيام

الاقرار

به

حزاز

من

عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي له الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهي ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذن جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الاخرة فان تكلم في الاثم وصفات القلب واحكام الاخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما قد تدخل الحكمة في النحو والشعر وقد كان سفيان الثوري وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الاخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال فان قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو لصحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه من ثلثة اوجه احدها انه علم شرعي اي هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الاخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الاخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشأها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية في الاخرة والمذموم يصدر عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشأهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الاخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم الاخرة فان قلت فصل لي علم الاخرة علم الاخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة فالقسم الاول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق وتسليمه لاهله وقال اخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كثيرة كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح له اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وبصفاته التامات الباقيات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه للاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبيا وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات شتى فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن

سمعت

سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها المفهومة من الفاظها وكذى يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله تعالى عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الحجاب حتى يتضح له جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم طريق الاخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبيا في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق تتلألأ فيه حقايقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه بشيء منها الا مع اهلها وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو العلم الخفي هو الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله تعالى علما منه فان الله لم يحقره اذ اتاه العلم واما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجا والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والغش وطلب العلو وحب الثنا وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والريا والغضب والانفة والعداوة والبغضا والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا والاستهانة بالفقرا والفخر والخيلا والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا والطيش والعجلة وقلة الحيا وقلة الرحمة فهذه وامثالها صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الاخرة والمعرض عنه هالك بسطوة ملك الملوك في الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقها الدنيا فنظر الفقهاء في فرض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم يخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا في حفظها ودرسها ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض على الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلد ليس فيه طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول

شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات و
الجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقايع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين
في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قايم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي
الاوقاف والوصايا والولاية وحيازة مال الايتام وتقلد القضا والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعدا
هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور
الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب
كان الشافعي رحمه الله يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يجلس الصبي في المكتب ويسئله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال
له مثلك يسال هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف
الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسالانه كيف نفعل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف
نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسوله فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل
علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي اذا قمت من
عندي فمن تجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت
سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار به الى ان من حصل الحديث
والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين
انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقران والاخبار مشتمل
عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سياتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق
وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا
يتعلق بالدين ولم يكن شي منه مالوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذا
حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القران والسنة ونبعت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مولفا فصار
ذلك المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة
الى البدعة وذلك الى حد محدود وسنذكره في الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما براسها بل هي اربعة
اجزا احدها علم الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع منهما الا من يخاف عليه ان يتجاوزهما الى علوم مذمومة
فان اكثر الممارسين لها قد خرجوا منها الى البدع فيصان الضعيف عنه لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطي النهر خيفة من
الوقوع في النهر وكما يصان الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه من الهوى مع ان القوي يندب الى مخالطتهم
والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات
وهو بحث عن ذات الله وصفاته وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط اخر من العلم بل انفردوا بمذاهب
بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر انفردوا
بمذاهب باطلة فكذلك الفلسفة والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد
في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء
الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير
وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذن الكلام صار من
جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما
حدثت حاجة الانسان الى استيجار البدرقة في طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن

استيجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة
رضي الله عنهم وليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن
من جملة الحاج فالمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن
من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر
القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا
اليه في علم المكاشفة فلا يحصل في علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا ومانعا منه وانما الوصول اليه بالمجاهدة
التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية فان قلت قد رددت حد
المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البدرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد
الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم
الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه
المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله
ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة
وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شاوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم
بالكلام والفقه بل بعلم الاخرة وسلوك طريقها ولا فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلوة ولا بكثرة صيام ولا بكثرة
رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه فليكن حرصك في طلب ذلك
السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول
تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف من الصحابة كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم
وكان اذا سئل عن الفتوى يقول للسايل اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان
الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار
العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام انما اريد العلم بالله افترى انه اراد
صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام والجدل
وضرب ضبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض ايتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر الناس بهجره واما قولك
ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شي وما ينال به الشهرة عند الناس
شي اخر فلقد كانت شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر رضي الله
عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله عز وجل في ولايته وعدله و
شفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة
والراغب في الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه احد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء
والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من اراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذب عن سنته ولم يطلب فيه رياء ولا سمعة فاولئك
اهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل لانه
فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به
والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل من حيث
هو متقلد لعمل يقصد به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد

كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الاخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا
فانظر الى نفسك انكون يوم القيمة فى حزب عمال الله او علماء الله او فى حزبهما وتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا
اهم عليك من التقليد بمجرد الاشتهار شعر خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ٭ فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل ٭
على انا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة
فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات علماء الاخرة كما سيانى بيانه فى باب علامات علماء
الاخرة وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس
فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف
والدواعى متفننة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نورد من احوال الفقهاء الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا
فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى علمهم وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء
الفقه وقادة الخلق اعنى الذين كثر اتباعهم فى المذاهب خمسة الشافعى ومالك وابو حنيفه واحمد بن حنبل وسفين
الثورى رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الاخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه
وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء الفرق من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمر والمبالغة فى تفاريع الفقه
لان الخصال الاربع لا تصلح الا للاخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والاخرة ان اريد بها الاخرة فاصلاحها للدنيا
تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا يقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على
هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة اما الشافعى رحمه الله فيدل على كونه عابدا ما روى انه كان يقسم الليل
ثلثة اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلوة وثلثا للنوم وقال الربيع كان الشافعى رحمه الله يختم القران فى رمضان ستين مرة
كل ذلك فى الصلوة وكان البويطى احد اصحابه وكان يختم القران فى كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسى بت مع الشافعى
رحمه الله غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رايته يزيد على خمسين اية فاذا اكثر فمائة اية فكان لا يمر باية رحمة الا
سال الله لنفسه ولجميع المومنين ولا باية عذاب الا تعوذ منها وسال النجاة لنفسه وللمومنين وكانما جمع له الرجاء والرهبة
معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين اية على تبحره فى اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله ما شبعت
منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة
فانظر الى حكمته فى ذكر آفات الشبع ثم فى جده فى العبادة اذ اطرح الشبع لاجلها وراس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعى
رحمه الله ما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال الله وسئل الشافعى
رحمه الله عن مسئلة فسكت فقيل له فقال الا تجيب رحمك الله فقال لا حتى ادرى الفضل فى سكوتى او فى الجواب فانظر
فى مراقبته للسانه مع انه اشد الاعضا تسلطا على الفقهاء واعصاها على الضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا
يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعى رحمه الله يوما من سوق القناديل
فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعى رحمه الله الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما
تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شئ فى وعائه فيحرص ان يفرغه
فى اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى بها قائلها وقال الشافعى كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس
علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده فقد قال الشافعى رحمه الله من ادعى انه جمع بين
حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب وقال الحميدى خرج الشافعى رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة
بعشرة الآف درهم فضرب خباءه فى موضع خارج من مكة فكان الناس ياتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها
وخرج مرة من الحمام فاعطى الحمامى مالا كثيرا وسقط سوطه من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه جزاء على ذلك خمسين دينارا

حماو سخاوة الشافعى رحمه الله اشهر من ان تحكى وراس الزهد السخا لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه فلا يفرق المال
الا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالاخرة
ما روى ان سفين ابن عيينه روى حديثا من الدقائق الرقائق فغشى على الشافعى فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات
افضل اهل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوى قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لى عمر ما رايت
اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعى خرجت انا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المرى فافتتح
يقرا وكان حسن الصوت فقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعى وقد تغير لونه واقشعر
جلده فاضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين
اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك هيبة المشتاقين الهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى
بكرم وجهك قال ثم قمنا وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط اتوضا للصلوة اذ مر بى رجل
فقال لى يا غلام احسن وضوك احسن الله اليك فى الدنيا والاخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت فى وضوى
وجعلت اقفو اثره فالتفت الى فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله شيئا فقال لى اعلم ان من صدق الله
نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه فى الاخرة بما يرى من ثواب الله غدا افلا ازيدك قلت
بلى قال من كان فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وايتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله
تعالى الا ازيدك قلت بلى قال كن فى الدنيا زاهدا وفى الاخرة راغبا واصدق الله فى جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى
فسالت من هذا فقالوا هو الشافعى فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه
ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله فانما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعى هذا الخوف من
علم كتاب السلم والاجارة وساير كتب الفقه بل هو من علوم الاخرة التى هى المستخرجة من القران والاخبار اذ حكم الاولين
والاخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم الاخرة فتعرفه من الحكم الماثورة عنه مروى انه سئل
عن الريا فقال على البديهة الريا فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار
النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعى رحمه الله اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفى اى نعيم ترغب
ومن اى عقاب ترهب واى عافية تشكر واى بلاء تذكر فانك اذا فكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى
عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الريا وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعى رحمه الله من لم
يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك
فكن مع اهل طاعة الله تعالى وروى ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسئل الشافعى عن مسائل
فى الورع والشافعى يقبل عليه لورعه فقال للشافعى ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعى التمكين درجة
الانبيا ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابرهيم عليه السلام
ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب ومكن له وامتحن سليمان ثم اتاه ملكا والتمكين افضل
الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى واتيناه اهله
ومثلهم معهم الاية فهذا الكلام من الشافعى رحمه الله يدل على تبحره فى اسرار القران واطلاعه على مقامات السايرين
الى الله من الانبيا والاوليا وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعى متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق فى علم يعلمه
وتعرض لساير العلوم فنظر فيها فانه قيل لجالينوس انك تامر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة قال انما المقصود
منها واحد وانما يجعل معه غيره ليسكن حدته لان الافراد قاتل فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على عظم رتبته فى معرفة
الله وعلوم الاخرة واما ارادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه وجه الله فيدل عليه ما روى عنه انه قال وددت ان الناس

في رمضان صح

ثم قال صح
الصالحين

فانظر

عند ذلك يكون عالما صح

انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شيء فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله وقال الشافعي رحمه الله ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطي وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادته الله بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراؤن مثل الشافعي رحمه الله وقال احمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعوا للشافعي وانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهولاء ولكثرة دعائه انه قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعوا له هذا الدعاء فقال احمد رحمه الله يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما احد يمس بيده محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعوا للشافعي لما فتح الله تعالى عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابرهيم المقدسي رحمه الله في مناقب الشافعي رحمه الله واما مالك رحمه الله فانه كان ايضا متحليًا بهذه الخصال الخمس فانه سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى واما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه ايضا قول الشافعي رحمه الله اني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا ادري ومن يريد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي رحمه الله اذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يساله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك ما كان رجلا صادقا في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المومنين ساله وقال له هل لك دار فقال لا ولكن احدثك فيه حديثا سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وساله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلثة الآف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت على ان احمل الناس على الموطاء كما حمل عثمان الناس على القران فقال له اما حمل الناس على الموطا فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حمل اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه

من الخلفا

كان

كان يفرقها في وجوه الخير ويدل سخاوه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه فلقد كان سليمن عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رحمه الله انه قال رايت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منه فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا با عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انا استحيي من الله تعالى ان اطا تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخاوته اذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا با عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا قال قلت اعز الله امير المومنين ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان ذللتموه ذل والعلم يوتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة رحمه الله فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله بعلمه فاما كونه عابدا فيدل عليه ما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروة وكثرة صلاة وروي حماد بن ابي سليمن انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لاخر هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا استحيي من الله تعالى ان اوصف بما ليس في من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب عن الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المومنين بعشرة الآف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان في اليوم الذي توقع ان يوتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوب فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا امت ودفنتموني فخذ هذا البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح له فقيل لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح له وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء واما علمه بامور الاخرة وطرق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمن بن ثابت انه كان شديد الخوف من الله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه احوال الائمة الثلثة واما احمد بن حنبل وسفين رحمهما الله فاتباعهما اقل من هولاء وسفين اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هذه الائمة وتامل ان هذه الاحوال والاقوال والاعمال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله تعالى هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم اخر اعلى واشرف منه وانظر ان الذين ادعوا الاقتداء بهولاء صدقوا في دعويهم ام لا والله الموفق للصواب

الباب الثالث في ما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها

وفيه بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهي العلم والفقه والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول

التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم

والتنبيه

العلم هو معرفة المعلوم على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشئ علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم
ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلثه الاول ان يكون موديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره
كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القران له وانه سبب يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبرئيل بذلك واخرج السحر من تحت حجر في قعر بير وهو نوع من العلم يستفاد
من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد
له وقت مخصوص في المطالع ويقرن به كلمات تتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوسل بسببها الى الاستعانة
بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجرا الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من
حيث انها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب
في كونه مذموما بل من اتبع ولياً من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز
تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشئ على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه
الى الضرر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان
قسم حسابي وقد نطق القران بان مسير الكواكب محسوب اذ قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو
يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض فهو معرفة بمجاري سنة الله وعادته في خلقه ولكنه مذموم
في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال عليه الصلوة والسلام اخاف على امتي بعدي ثلثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر
تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلثة اوجه احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا
القي اليهم ان هذه الاثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة المدبرة
لانها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا من جهتها
ومرجوا منها وينمحي ذكر الله تعالى عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان
الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس مثال النملة لو خلق
لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا يترقى نظرها الى مشاهدة
الاصبع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد و
القدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب
هذا احد اسباب النهي عن النجوم وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا
ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس
عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع
على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق
ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطا ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر
اليوم مهما راى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويتبدد الغيم وربما يكون بخلافه
ومجرد الغيم ليس كافيا في مجئ المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من
العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي
عن النجوم ايضا وثالثها انه لا فايدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول لا يعني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان

الشئ

وامابغيره

عقيب طلوع الشمس

بغير

بغير فايدة غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا قالوا رجل
علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال عليه السلام علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم اية محكمة
او سنة قائمة او فريضة عادلة فاذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان
ما قدر كاين والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة اليه ماسة واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير
وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه السبب الثالث الخوض في علم لا يستقل الخايض
فيه به فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون
اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبيا والاوليا فيجب كف الناس عن البحث عنها
وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بذلك ولو لم يخض في ذلك لكان
حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوات اللطيفة
بالطفل الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم زوجته
وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل
النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت
لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك
فجامعها الان فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت انها لا تهزل
الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم
ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها
الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن
الاشيا والاستقلال ولا تكثر اللهج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشيا لاعرفها
على ما هي عليه فاي ضرر في التفكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شئ تطلع عليه فيضرك
اطلاعك ضررا يكاد يهلكك في الاخرة ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار
في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الانبيا اطباء القلوب والعلما باسباب الحيوة الاخروية فلا تتحكم
على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليها حتى ينبهه الطبيب
الحاذق ان علاجه ان يطلي الكتف من الجانب الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية
انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طرق الاخرة وفي دقايق سنن الشرع وادابه
وفي العقايد التي تعبد الناس بها لها اسرار ولطايف ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار
امورا غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد و
العجايب والغرايب في العقايد والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وزكائها واصلاحها للترقي
الى جوار الله وتعريضها لنفحات فضله ورحمته اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية
مع ان للتجربة سبيلا اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حيوة الاخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة
تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الاعمال المبعدة
عنه وكذا عن العقايد وذلك مما لا مطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي عليه الصلوة والسلام
ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فانك لا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يوثر تاثير الجهل في الاضرار وقال

حوله

ايضا قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس
كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع **بيان ما بُدِّلَ من الفاظ العلوم** اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة
بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن
الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب
في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه
هذه الاسامي عليهم اللفظ الاول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة
في الفتاوي والوقوف على دقايق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها
واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقايق
افات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة واستيلاء الخوف
على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو
هذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام
يقسي القلب وينزع الخشية منه كما يشاهد الآن من المتجردين له من المناظرة وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد
به معاني الايمان دون الفتاوي ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال قديما
وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم
سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوي او هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم
وقال عليه الصلوة والسلام علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابرهيم الزهري اي اهل المدينة افقه فقال
اتقاهم لله فكانه اشارة الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوي والاقضية وقال عليه الصلوة
والسلام الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يوئسهم من
روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم
يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد
النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد
فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر القران وعد النعم تفقها وقال عليه الصلوة
والسلام لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله تعالى وحتى يرى للقران وجوها كثيرة وروى ايضا
موقوفا على ابي الدرداء مع قوله صلى الله عليه وسلم ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن
شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك يا فريقد وهل رايت فقيها بعينك قط انما الفقيه الزاهد
في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم
الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوي ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوي
في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع فكان اطلاقهم له على علم الاخرة اكثر فثار
من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من
الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان
مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع به اللفظ الثاني العلم وقد كان
يطلق ذلك على العلم بالله وباياته وافعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه
لقد مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه

الحديث المعروف صح

في الاكثر

في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسايل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم
ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفة ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص
ولكن ما ورد من فضايل العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وبافعاله وصفاته وقد صار الان يطلق على من
لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسايل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير
والاخبار وعلم المذاهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة العلم اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل
الان عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها
بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب به طوايف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد
وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منه شيء في العصر الاول بل
كان يشتد النكير منهم على من يفتح بابا من الجدل والممارات فاما ما يشتمل عليه القران من الادلة الظاهرة التي تسبق
الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقران هو العلم كله وكان التوحيد عندهم
عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته
عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر كله الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي بيانه في كتاب
التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم بحكم الله وكان احدى ثمراته قول ابي بكر
رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وقول اخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك
الطبيب في مرضك فقال قال اني فعال لما اريد وسياتي شواهده في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى والتوحيد هو
جوهر نفيس وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الاخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا
اللب بالكلية **فالقشر الاول** ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح به
النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره **القشر الثاني** ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار
لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق
حراس هذا القشر من تشويش المبتدعة **والثالث** وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله رؤية يقطع التفاته عن
الوسايط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ
هواه معبوده قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله
هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين ابائه فيتبع
ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق و
الالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات
الصديقين فانظر الى ماذا حول وباي قشر قنع منه وكيف اتخذ هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس
عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول اني وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله تعالى على الخصوص فانه
ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن ساير الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر
السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب
وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنياوية ومتصرف في طلب الحيل
في جمع المال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه
الكلمة هي خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى

وقد كان يطلق على التعميم صح

قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى
هو المترجم عنه وهو القلب فهو معدن التوحيد ومنبعه اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال تعالى وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه الصلوة والسلام اذا مررتم برياض الجنة
فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملائكة سياحين في الهوى سوى ملائكة الخلق اذا
راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا
بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه من القصص والاشعار والشطح والطامات
اما القصص فهو بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر ولا عمر حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني
الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم
وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع
البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ الا تستحي
فقال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكذب الناس القصاص والسؤال واخرج علي
كرم الله وجهه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الاخرة والتذكير
بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير
العبد في شكره وتعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة نكث عهدها وخطر الاخرة واهوالها فهذا هو التذكير
المحمود شرعا الذي ورد الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم
افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال
وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون
هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا
بالقصص التي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها
فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر سماعه وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق
بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل رحمه الله ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت
القصة من قصص الانبياء عليهم السلام فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلا ارى به باسا فليحذر الكذب وحكاية
احوال تومي الى هفوات او مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها وعن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات
متداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت
عن بعض المشايخ وبعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصاه من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراءة
على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحموده الى ما يشتمل
عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان
قصده فيه دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ذكر الله سبحانه
ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد
بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا حتى تتوب وقد كان جاءه في
حاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحه في سجع بين ثلث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحه فكان السجع
المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال ذلك الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح

ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم
قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده
الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا
اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك
الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فيشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله
يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم
بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فان ذاك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يستمعه
على ما يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم
وما تم اهل مجلسه عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال ما هؤلاء اصحابي
انما هم اصحاب المجلس ان اصحابي هم الخواص واما الشطح فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما
الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى
الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون
فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكى عن ابي يزيد
البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم
واظهروا مثل هذه الدعاوي فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات
والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم
يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح
الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا وفنه مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله
افضل في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكي عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان
يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي
ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها
عبارات هائلة وليس وراها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشوش
في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيم ذلك
وايراده بعبارة تدل على ما في ضميره لقلة ممارسة العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة
لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معان ما اريدت
بها ويكون فهم كل واحد منهم على مقتضى هواه وطبعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه
الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله
وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون السامع فلا
يحل ذكره وقال عيسى صلوات الله عليه لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكونوا
كالطبيب الرفيق يضع الدواء في مواضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها
فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصها
وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية في

التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن
صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعوا اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط به منفعة كلام الله
وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل يتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه
شتى وهذا ايضا من البدع الشايعة العظيم ضررها وانما قصد اصحابها بها الاغراب فان النفوس مايلة الى الغريب
ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه
من مذهبهم في الكتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل
قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال المراد بفرعون نفسه وقلبه وهو الطاغي على كل انسان
وفي قوله وان الق عصاك اي كل ما تتوكا عليه وتعتمده مما سوى الله فينبغي ان تلقيه وفي قوله عليه الصلوة والسلام
تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القران من اوله الى اخره عن ظاهره
وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وساير العلماء وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانه قطعا كتاويل فرعون على القلب
فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل وجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من
جنس الملايكة والشياطين وما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظه وكذلك حمل التسحر على الاستغفار
فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغذا المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر
والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة
وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على
دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله عليه الصلوة والسلام من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار معنى
الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القران اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد
لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط والفكر
فان من الايات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم ان جميعها غير مسموع من النبي
صلى الله عليه وسلم فانها تكون متنافية لا تقبل الجميع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات
مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد به دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يراها حقا
حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم
من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ
وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القران بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة
الى المذمومة وكل ذلك بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هولاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير
التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فان اسم الحكيم صار يطلق
على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ **اللفظ الخامس** وهو الحكمة فان اسم
الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة
هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يوتى الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال عليه الصلوة والسلام كلمة من الحكمة
يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا انتقل وقس به بقية الالفاظ
واحترز عن الاغترار وبتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم

[margin: والتابعين]

يتذرع الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال
اللهم غفرا حتى كرروا عليه ثم قال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة
في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم
فقد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا
وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغربا فقيل ومن الغربا فقال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون
ما اماتوه من سنتي وفي خبر اخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث اخر الغربا ناس قليلون صالحون
بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري
اذا رايت العالم كثير الاصدقا فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه **بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة**
اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلثة اقسام **قسم** هو مذموم قليله وكثيره **وقسم** هو محمود قليله وكثيره وكل ما كان
اكثر كان احسن وافضل **وقسم** يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن
فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد
فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك
العلم **فالقسم المذموم قليله وكثيره** ما لا فايدة فيه في دين الله تعالى ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر
والطلسمات والنجوم فبعضه لا فايدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة
النفايس مذموم ومنه ما فيه ضرر يربي على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة
الى الضرر الحاصل منه **واما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصا** هو العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله
وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل
المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على سواحله
واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبيا والاوليا والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب
اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له
التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة كما ستاتي علامتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخر المجاهدة والرياضة
وتصفية القلب وتفريغه عن علايق الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر
الرزق لا بقدر الجهد ولكنه لا غناء فيه عن الاجتهاد والمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها **واما العلوم
التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص** فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا
وهو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى اخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك
واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل صلاح نفسك فلا تشتغل الا
بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الطهارة والصلوة
والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة
مثل الحرص والحسد والريا والكبر والعجب واخوات هذه الخصال وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال
بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلا ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة
بالفصد والاسهال وحشوية العلما يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطبا بطلا ظاهر البدن وعلما
الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما
فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع

[margin: وان كنت انظر لنفسك]

الى طلا الظاهر كمن يستصعب شرب الادوية المرة المقرة فلا يزال يتعب فى الطلا ويزيد فى المواد ويتضاعف به الامراض
فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع
المهلكات ثم يجر ذلك بك الى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم
امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذلك
فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفى الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه فى طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة
من دخلت الافاعى والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه
ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك
ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات
وراع التدريج فيها فابتدأ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وساير علوم القران
من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب
من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق
عمرك فى فن علم واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة
لعينها بل لغيرها وكلما يطلب لغيره فلا ينبغى ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم
به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق
بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها فى الحديث والتفسير والفقه و
الكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابوري
وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلثة اضعاف القرآن فى المقدار كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء
مستغنى عنه ولا مرد له الى انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخته على رجل
خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ اسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم
وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد
فيه فان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما اورد فى المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل
من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم
وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر والاقتصاد
فيه ما يبلغ ثلثة امثاله وهو القدر الذى اوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه فى البسيط الى ما
وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها اهل السنة من السلف الصالح لا غير
وما وراء ذلك طلب لكشف حقايق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة يحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد
مختصر وهو القدر الذى اوردناه فى كتاب قواعد العقايد من جملة هذا الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر ماية
ورقة وهو الذى اوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها
وينزعها عن قلب العامى وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو
شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عنده
جوابا ما هو عاجز عنه وانما انت ملبس بقوة المجادلة عليه واما العامى اذا صرف عن الحق بنوع جدل فيمكن ان
يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقايد
فى النفوس وهذا ايضا من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء

والاستحقار

والاستحقار فتنبعث منهم الدواعى بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم
فى التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض الغضب والتحقير
لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم
اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ
البدعة فى النفوس وأما الخلافيات التى احدثت فى هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات
والمجادلات ما لم يعهد مثله فى السلف فاياك وان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال
وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهات على ما سياتيك تفصيل غوايلها وآفاتها وهذا الكلام
ربما يسمع من قايله فيقال الناس اعداء ما جهلوه ولا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه فاقبل هذه النصيحة ممن
ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه
فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل
المذهب مذكورة فى المذهب والزيادات عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة رضى الله عنهم اجمعين
وقد كانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هى مع انها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان
الذى يشهد له حدس المفتى اذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى اكثر الامر فمن الف طبعه
رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت
والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضى عليه العمر ولا يصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن
فى امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى
عند العقلاء ان تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتامل
فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد راى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له ما خبر
تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا
بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل وفى الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك
الا جدلا بل هم قوم خصمون وفى الحديث فى معنى قوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ الآية هم اهل الجدل الذين
عناهم الله تعالى بقوله فاحذرهم وقال بعض السلف يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم
باب الجدل وفى بعض الاخبار انكم فى زمان الهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل وفى الخبر المشهور ابغض
الخلق الى الله تعالى الالد الخصم وفى الخبر ما اوتى قوم المنطق الا منعوا العمل

الباب الرابع فى سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا ائمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء فى احكامه ومستقلين
بالفتاوى والاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا فى وقايع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم
الاخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم
كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوا بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام
اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم جميع احوالهم لاستفتائهم فى مجارى احكامهم وكان قد بقى من
علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا
هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فراى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال
الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى

والآخرين

وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح فالمنجح لم يخل
عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقها بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزه بالاعراض عن
السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم
الفتاوي والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر من بعدهم من الصدور والامراء من سمع مقالات
الناس في قواعد العقايد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس
على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا
ان غرضهم الذب عن دين الله تعالى والنضال عن السنة وقمع المبدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاستقلال بفتاوي الدين
وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام
وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشية المفضية الى
اهراق الدما وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة
على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسايل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة رحمة الله عليهما
على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفين واحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقايق
الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوي واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع
المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الان وليس ندري ما الذي يقدر الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا
هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرة لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة
او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل وزعموا بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى
التقرب الى رب العالمين **بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورة الصحابة ومفاوضات السلف**
اعلم ان هولاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون
على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد
شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطا كما نقل من اجهاض امراة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل في
مسايل الفرايض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلما ويطلعك على هذا
التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات **الاول** ان لا يشتغل به وهو
من فروض الكفايات من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده
الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بذلك ستر عورة
من يصلي عاريا ولا يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث
في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال
فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله عصى بذلك فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس
الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب **الثاني** ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو
اهم منها عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش قد اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر
على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا عنها البلد لهلك الناس
واذا قيل في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل
هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات
مهملة لا قايم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلوا بلد عن جماعة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها

واقربها

واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا
ولا يرغب احد من الفقها في الاشتغال به وكذى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه من فروض الكفايات وربما
يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها
قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقها ثم يزعم انه يريد ان يتقرب به الى الله عز وجل بفرض الكفاية وقد روى انس
انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهر الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم
وتحول الملك في صغاركم والفقه في اراذلكم **الثالث** ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برايه لا بمذهب الشافعي
وابي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله
الصحابة والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم جميع اهل العصر وانما يفتي بما يسئل عنه ناقلا عن مذهب
صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فايدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى
بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل
الشرع ولو كانت مباحثته عن المسايل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد
من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان
وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا **الرابع** ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة
ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقايع او ما يغلب وقوعه كالفرايض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسايل التي تعم
البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه
ويقولون هذه مسئلة خبرية او مدرك الحق هو الاخبار او لانها ليست من الطبولي فلا يطول الكلام فيها والمقصود في
الحق ان يقصر الكلام وتبلغ الغاية على القرب لا ان يطول **الخامس** ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل
وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الفكر وادراك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي
الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم حرصهم على المحافل والمجامع اكثر وان
الواحد يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس
الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام **السادس** ان يكون في طلب الحق كمنشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة
على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطا واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب
ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في موضع اخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويفرح به ويكرمه وهكذا كانت مشاورات
الصحابة حتى ان امراة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت امراة
واخطا رجل وسال رجل عليا كرم الله وجهه فاجابه فقال ليس كذلك يا امير المومنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت
واخطات وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما فقال ابو موسى لا تسالوني
عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان امير
الكوفة فقام ابن مسعود فقال اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعاد واعاد الجواب فقال ابن مسعود انا اقول ان قتل فاصاب الحق
فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال فهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر الآن مثل هذا لاقل فقيه لانكر واستبعد
وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه
احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره
ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر في الحق **السابع** ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من
دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقايق الجدل المبتدعة فماله

ولقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا
للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل
بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما
هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ
لا يلزمني ذكره ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويترجى مجالس المناظرة
بهذا الجنس من السوال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع
فانه ان كان لا يعرف معنى وانما يدعي ذلك لتعجيز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه
بدعواه معرفة ما هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه المسلم ليفهمه
وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف
ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السوال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه
بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه
عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي
هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى قياس ومن خبر الى اية بل جميع مناظراتهم من
هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه **الثامن** ان يناظر من يتوقع الاستفادة
منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم
ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن في هذا الشروط الثمانية
ما يهديك الى من يناظر لله والى من يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى
عدو له ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر
فهو ضحكة للشياطين وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها
ونذكر تفصيلها **بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق** اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة
لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتشوق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة والمباراة واستمالة وجوه الناس
هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب
والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف
والقتل والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب وساير الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب
بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة به دعاه ذلك
الى اضمار الخبايث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق سياتي ادلة مذمتها من الاخبار
والايات في ربع المهلكات ولكنا نشير الان الى مجامع ما تهيجه المناظرة **فمنها الحسد** وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد
كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوى
نظرا فلا بد وان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به
فهو في العذاب الدايم في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتموه ولا
تقبلوا اقوال الفقها بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما يتغاير التيوس في الزريبة **ومنها التكبر والترفع على الناس**
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى

الكبر ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع
الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة
الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه
يبغي صيانة عز العلم وان المومن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وساير انبيائه
عليه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما
ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى
ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن
الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه
الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان
جميع احواله في ايراده واصداره ثم لو صدر من خصمه ادنى تشبيب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد
لا تقلعه يد الدهر الى آخر العمر **ومنها الغيبة** وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة
فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة
ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه
عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم
والبلادة **ومنها تزكية النفس** قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء
على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثنا على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة
عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث
وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذموم
شرعا وعقلا **ومنها الفرح بمساءة الناس والغم بما يسرهم** ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن
اخلاق المومنين وكل من طلب المباهات باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يساهمونه
في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرات وكما ان احدى الضرات اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت فرايصها
واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا راى مناظرا فيتغير لونه ويضطرب عليه فكره وكانه شاهد شيطانا او سبعا
ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علما الدين عند اللقا وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر
والتساهم في السرا والضرا حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل العقل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتدا
بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان ينتسب الانس مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات
فناهيك بالشيء شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق المومنين المتقين **ومنها النفاق** ولا يحتاج
الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد اليهم
باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع ذلك منهم ان كل ذلك
كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوادون بالالسنة متباغضون بالقلوب ~~وتقاطعون في الارحام~~ فنعوذ بالله من ذلك
فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام
لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحال **ومنها الاستكبار عن
الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه** حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر يتشمر لجحده
وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع

كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الى الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى ادلة القران والفاظ الشرع فيضرب
البعض منها بالبعض والمراء فى مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق
على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى اعلى الجنة
وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه **ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى**
استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذى يدعوا الى اكبر الكبائر كما سياتى فى كتاب الرياء
والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق واطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من امهات الفواحش الباطنة
سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين
وشتم الاستادين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا بمعدودين فى زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم
لا ينفكون عن هذه الخصال العشرة نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع
عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشكاله المقارنين له فى الدرجة ثم يتشعب
من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل احادها مثل الانفة والغضب
والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين
والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض
فيما لا يعنى وكثرة الكلام وخروج الخشية والحرمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته
ما الذى يقرا ومن الذى يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع انها
لا تنفع فى الاخرة حتى من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون
يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق
وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان
قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهى لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان
قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى
فى الاخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه راسا براس وهيهات فخطر العلم
عظيم وطالبه طالب الة الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك فى الدنيا
فان لم يتفق له الاصابة لم يطمع سلامة الارذال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان قلت فى الرخصة فى المناظرة فايدة
وهو ترغيب الناس فى طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير
مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالاصافير ما رغب الصبيان فى المكتب وذلك لا يدل على الرغبة
فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال فيهم
النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال عليه السلام ان الله تعالى يؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعوا الى ترك الدنيا وذلك
فيمن كان حاله فى ظاهر الامر حال العلماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء
به غيره فصلاح غيره فى هلاكه فاما اذا كان يدعوا الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة التى تاكل نفسها وغيرها فالعلماء
ثلثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون

للخلق

والفتاوى

للخلق الى الله تعالى عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعوا الى الاخرة وقد رفض
الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اى الاقسام انت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد
له ولا تظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسياتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات
ما ينفى عنك الريبة فيه ان شاء الله **الباب الخامس فى اداب المتعلم والتعليم والمعلم اما المتعلم**
فاداب ووظايفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل **الوظيفة الاولى** تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق
ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله وكما لا تصح الصلوة التى هى وظيفة
الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم
الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبى صلى الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة
وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير
مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اى باطنه
ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها
فى الحال مهلكات فى المال وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل
الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديه مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب
واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله فى القلب الا بواسطة
الملائكة فما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى
القلوب انما يتولاها الملئكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا
ولا يعمرون بما عندهم من خزاين رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب
والصفات المذمومة ولكنى اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن
من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء
والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر مما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة
بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه
ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذى هو بناء الخلق الى القلب الذى هو بيت من بناء
الله سبحانه ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبية وهو السبعية
واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على المال والتمزيق لاعراض الناس كلب
فى المعنى وقلب فى الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعانى دون الصور والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى
باطنة فيها وفى الاخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق
لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم فى صورة نمر وطالب الرياسة فى صورة اسد
وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصاير والابصار فان قلت كم من طالب ردى الاخلاق
حصل العلوم فهيهات ما ابعدك عن العلم الحقيقى النافع فى الاخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان
يظهر له ان المعاصى سموم قاتلة مهلكة وهل رايت من يتناول شيئا مع علمه بكونه سما قاتلا انما الذى يسمعه من
المترسمين حديث تلقفوه يوردونه بالسنتهم مرة ويردونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم فى شىء قال ابن مسعود
رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف فى القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء فكان هذا اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم

او صورة

تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله اى ان العلم ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا
حديثه والفاظه فان قلت انى ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا فى الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول
واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك انما اشتغلوا
به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبق
الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان وايضاح **الوظيفة الثانية** ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل
والوطن فان العلايق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك
الحقايق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر
والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فانتشفت الارض بعضه واختطف الهوى بعضه
فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقى اليه زمام امره
بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغى ان يتواضع لمعلمه ويطلب
الثواب والشرف بخدمته قال الشعبى صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه
فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد
بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق
المؤمن التملق الا فى طلب العلم فلا ينبغى للطالب ان يتكبر على العلم ومن تكبره على المعلم ان يستنكف من الاستفادة الا
من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن طلب مهربا من سبع ضار يفترسه
لا يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة
ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب للمتعالى كالسيل
حرب للمكان العالى فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد
حاضر القلب يستقبل كلما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض
دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار اليه المعلم بطريق فى التعلم
فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه فى نفسه اذ التجربة تطلع على دقايق يستغرب سماعها مع
انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض اوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج
فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليه السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معى
صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شئ حتى
احدث لك منه ذكرا ثم لا يصبر ولم يزل فى مراددته الى ان كان ذلك سبب فراق ما بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه
رايا واختيارا وراء اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى فسئلوا اهل الذكر فالسؤال
مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم فى السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع
الخضر موسى عن السؤال اى دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف فى
كل درجة من مراقى الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال على كرم الله وجهه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال
ولا تعنته فى الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفش له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن
عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة
سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض فى العلم فى مبدا الامر عن الاصغاء الى اختلافات الناس

المعلم

سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويوئسه
عن الادراك والاطلاع بل ينبغى ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغى الى المذاهب
والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راى واحد وانما عادته نقل المذاهب فى الشبه وما قيل فيها فليحترز منه
فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد فى عمى الحيرة وتيه
الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوى الى النظر
فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب
الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز
ولم يدرك ان وظايف الاقوياء تخالف وظايف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من رانى فى البداية صار صديقا
ومن رانى فى النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض فيتراءى
الى الناظر انه بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة للقلب فى عين الشهود والحضور وملازمة للذكر
الذى هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى فى ظاهره انه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى
نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويعلله بان اضعاف هذه النجاسات قد تلقى فى البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز
ولا يدرى المسكين ان البحر لقوته يحيل النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله الى صفته
وبمثل هذا جوز للنبى صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما تتعدى منه
صفة العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى
معصية الله فى طلب رضاهن فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع طالب العلوم فنا
من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه
والا اشتغل بالاهم منه فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه
فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم وقال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض ٭ يجد مرا به الماء الزلالا ٭ فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد
الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة
كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر فى الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى **الوظيفة
السادسة** ان لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدى بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم
غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شئ احسنه ويكتفى منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى
هو اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعنى قسمى المعاملة وعلم المكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة
معرفة الله ولست اعنى به الاعتقاد الذى يتلقنه العامى وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين
ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله فى قلب عبد طهر بالمجاهدة
باطنه عن الخبائث ينتهى الى رتبة ايمان ابى بكر رضى الله عنه الذى لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر
صلى الله عليه وسلم فما عندى ان ما يعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى الا فى صنعة الكلام ولاجله
سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وساير الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذى وقر فى صدره
والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات
الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغى ان تتئد فى هذا ففيه ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج
عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك فى الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل

الجبان

ما ؤ نتقلب النجاسة م

العلم

وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبيا ثم الاوليا ثم الذين يلونهم وقد روي انه راى
صورة حكيمين من الحكما المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شئ فلا تظنن انك احسنت
شيا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشيا وفي يد الآخر كنت قبل ان عرفت الله سبحانه اشرب
واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب **الوظيفة السابعة** ان لا تخوض في فن حتى تستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة
ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى البعض الموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج قال الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته اي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقي الى ما هو فوقه فينبغي
ان لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين اصحابه فيه ولا لخطا واحد او احاد فيه ولا لمخالفتهم موجب علمهم بالعمل
فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بانها لو كان لها اصل لادركه اربابها وقد مضى
كشف هذه الشبهة في كتاب معيار العلم وترى طايفة يعتقدون بطلان الطب لخطا شاهدوه من طبيب وطايفة
اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطايفة اعتقدوا بطلانه لخطا اتفق لآخر والكل خطا بل ينبغي ان تعرف
الشئ في نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال علي رضي الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق
تعرف اهله **الوظيفة الثامنة** ان تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيان احدهما شرف
الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة الآخر
الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب اشرف لوثاقة ادلته وملاحظة
الثمرة اولى فلذلك كان الطب اشرف ~~باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته~~ وان كان اكثره بالتخمين وبهذا
تتبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب
الا فيه وان تحرص الا عليه **الوظيفة التاسعة** ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب
من الله سبحانه والترقي الى جوار الملا الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال ومباراة السفها ومباهاة
الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له ان ينظر
بعين الحقارة الى ساير العلوم اعني علم الفتاوي وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه
في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض الكفاية ولا يفهمن من غلونا في الثنا على علم الآخرة تهجين
هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين لها والغزاة المجاهدون في سبيل الله فمنهم المقاتل
ومنهم الرد ومنهم الذي يسقيهم الما ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا
كان قصده اعلا كلمة الله دون حيازة الغنايم فكذلك العلما قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك
لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى فهو ساقط القدر بل الرتبة
العليا للانبيا ثم الاوليا ثم العلما الراسخين ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن قصد الله تعالى بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة العاشرة** ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد كي لا يوثر
الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والآخرة واذا لم يمكن
الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القران وشهد له من نور البصاير ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد
الاباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقا الله ففيه النعيم كله
وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقا الله سبحانه والنظر الى وجهه الكريم
اعني النظر الذي طلبه الانبيا وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال

وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته صح

وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك
جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقا
الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثة اصناف من الشغل **الاول** تهية الاسباب بشرا الناقة وخرز الراوية
واعداد الزاد والراحلة **والاخر** السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل **والثالث** الاشتغال
باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله
في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى اخرها ومن اول سلوك البوادي الى اخره ومن اول اركان الحج الى آخره
وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك
بل اقرب منه فالعلوم ايضا ثلثة اقسام **قسم** يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشرا الناقة وهو علم الطب والفقه
وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا **وقسم** يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات
الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والاخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق
وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب
الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن **وقسم** ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه
وهو العلم بالله وصفاته وملئكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وهاهنا نجاه وفوز بالسعادة والنجاة
حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة واما الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون
بالله فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة
والسلامة كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية
بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند
العلما الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن هي اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد
بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ
بالمشاهدة والعيان فالسعادة ورا علم المكاشفة وعلم المكاشفة ورا علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع
عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة ورا علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك
ورا علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به
الى المطعم والملبس والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه
واما اسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار الى الفقه اراد به
العلوم الظاهرة الشايعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت فلم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة
فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل سر من اسرار الله لا يدركه
الحس ولطيفة من لطايفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى
لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية واله لتلك اللطيفة وكشف الغطا عن ذلك السر من علم المكاشفة
وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المادون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام
المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى
ولكن نسبته اشرف من نسب ساير اعضا البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة
الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين والجبال اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها

ومشاهدة الباطن صح

بتوصل

هي من عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمها فالقايل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان
البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانها من امر الرب
فمنه مصدرها واليه مرجعها واما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن
في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة للبدن فهو من جملة مصالح المطية
ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه
في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي
في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة
والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل فبالطب يحفظ الاعتدال
في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق الاعتدال
في الاخلاط طب وعلم طريق الاعتدال في الاحوال من التنافس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك يحفظ البدن
الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء
الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقايق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق
عمره في دقايق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي بها تخرز روايا الحج ونسبة هولاء من السالك لطريق الاخرة اصلاح
القلب او الواصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالكي طريق الحج او ملابسي اركانه فتامل هذا اولا واقبل النصيحة
مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق والعامة في النزوع من
تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظايف المتعلم

بيان وظايف المسترشد المعلم

اعلم ان الانسان في علمه
اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اربعة احوال اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه
فيكون به غنيا عن السوال وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو
اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السوال وحال استبصار وهو
التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير لغيره وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد
غيره وهو خال عن العلم والمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء
لغيرها وهي تحترق وفي مثله قال الشاعر صرت كاني ذبالة وقدت ٭ تضيء للناس وهي تحترق ٭ ومهما اشتغل بالتعليم
فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظايفه

الوظيفة الاولى الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى
بنيه قال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصد انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من
انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة
الفانية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الدائمة
اعني معلم علوم الاخرة او علوم الدنيا على قصد الاخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك
واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فحق تلامذة الرجل
الواحد التحاب والتواد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان
مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون الى الله سبحانه وسالكون اليه والطريق هو الدنيا وسنوها
وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر

الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الاخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الاخرة تنازع
ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون
عن موجب قوله تعالى انما المومنون اخوة داخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين

الوظيفة الثانية ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افادة العلم
اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت
المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض
لتزرع فيها لنفسك زراعة منفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض اذ تتقلد به منة منه وثوابك في التعليم اكثر من
ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى قال الله تعالى قل
لا اسالكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم للبدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف
النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما
وذلك هو الانكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى
الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه
والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق
الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نايبة وينصر وليه ويعادي
عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدا اعدائه فاخسس
بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى
ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات

الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم
شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه
على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى
ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه
فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوي في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه
العلوم ليست من علوم الاخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك
علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به وعلم الاخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا
تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه في اثناء الامر
او اواخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة وذلك يوشك ان يرده الى الصواب بالاخرة حتى
يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله تعالى
ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا
متوقع في هذه العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد المتجرد لها مع الاعراض
عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته او مزج
به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد
والبلاد والله المستعان وقد قيل لسفيان الثوري رحمه الله وقد رئي حزينا ما بالك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا
يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا

الوظيفة الرابعة وهي من دقايق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم
عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة

وبورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع
الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ وينبهك على هذا قصة ادم وحوا عليهما السلام وما نهينا
عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة
والاذهان الذكية الى استنباط معانى ذلك فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب
عن فطنته **الوظيفة الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغى ان يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة
اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان
العجايز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام فى حيض النسوان فاين ذلك من الكلام
فى صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغى ان يوسع على المتعلم طريق
التعلم فى غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغى ان يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة السادسة**
ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر
صلوات الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبيا امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم
فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل فهمه بها قال النبى صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه
عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال على كرم الله وجهه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة
وصدق رضى الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغى ان يفشى العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان
يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقد قال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر
فى اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجواهر ومن كرهها فهو شر من الخنزير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله
وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شئ فلم
يجب فقال السايل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار
فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقهه فكتمته فليلجمنى وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيها على
ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق **شعر** فمن منح الجهال
علما اضاعه ٥ ومن منع المستوجبين فقد ظلم **الوظيفة السابعة** ان المتعلم القاصر ينبغى ان يلقى اليه الجلى اللايق به
ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوش قلبه ويخيل اليه البخل به
عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله فى كمال عقله واشدهم حماقة واضعفهم
عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقايد الماثورة عن
السلف من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغى ان يشوش عليه
اعتقاده بل يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع
السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغى ان يخاض بالعوام فى حقايق
العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة فى الصناعة التى هو بصددها ويملأ قلبه
من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر
حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغى ان يفتح للعوام باب البحث فانه يتعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق
ودوام عيش الخواص **الوظيفة الثامنة** ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله بفعله لان العلم يدرك بالبصاير
والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه
فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشيا والذها لما كان يستاثر به

ومثل المعلم المرشد من المسترشد مثل النقش من الطين ومثل العود من الظل وكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه
وكيف استواء الظل والعود اعوج **نظم** ومتى استوى العود استوى الظل واذا اعوج العود اعوج الظل **شعر**
لا تنه عن خلق وتاتى مثله ٥ عار عليك اذا فعلت عظيم وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك
كان وزر العالم فى معاصيه اكبر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها ولذلك قال على كرم الله وجهه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر
الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه **الباب السادس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة
وعلماء السوء** وقد ذكرنا ما ورد فى فضايل العلم والعلماء وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد
الخلق عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعنى بعلماء الدنيا
العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال النبى صلى الله عليه وسلم
ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه عاملا وقال ايضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على
ابن ادم وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا تتعلموا
العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وقال صلى الله عليه وسلم
من كتم علما عنده الجم بلجام من نار وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال الائمة
المضلون وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق
للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد
او لسعادة الابد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة **واما الآثار** فقد قال عمر رضى الله عنه
ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم فقالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب
والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابى هريرة اريد
ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم بن عيينة اى الناس اطول ندامة
فقال اما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة
رجل يدرى ويدرى انه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فذلك نايم فايقظوه ورجل لا يدرى
ويدرى انه لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه وقال
سفين الثورى يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه
قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض انى لارحم ثلثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما يلعب به ابناء الدنيا وانشد
شعر عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ٥ ومن يشترى دنياه بالدين اعجب ٥ واعجب من هذين من باع دينه ٥ بدنيا سواه ذاك
من دين اعجب ٥ وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقيل ليحيى بن معاذ الرازى متى يذهب بها
العلم والحكمة قال اذا طلب الدنيا بهما وقال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فهو لص وقال النبى صلى الله عليه
وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر وقال اسامة بن زيد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار
فى الرحا فيطوف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت امر بالخير ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه وانما يضاعف
عذاب العالم على معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل لانهم جحدوا بعد
العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلثة ولكن انكروا بعد المعرفة
اذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى فى قصة بلعم بن باعوراء واتل عليهم

نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب الآية وذلك للعالم الفاجر فان بلعم اوتى كتاب الله
فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اى سواء اوتى الحكمة اولم يوت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام
مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء تخلص الى الزرع ومثل علماء السوء
مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار
تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم
علامات **فمنها** ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها
وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت
احديهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب فمهما
قربت من احدهما بعدت من الآخر وانهما كقدحين واحدهما مملو فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلي يفرغ
من هذا الآخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل
فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلما من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو
كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلما من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير
مطمع فهو جاهل بشريعة الانبيا كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف من يعد من زمرة العلما ومن علم
هذا كله ثم لم يوثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب
العلما من هذه درجته وفي اخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي
ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسئل عني عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق
على عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه
ابدا ولذلك قال الحسن رضي الله عنه عقوبة العلما موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال
يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا
فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان
اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا
تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول للعلما
الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية
واوانيكم فرعونية وماتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين الشريعة المحمدية وانشدوا وراعي الشاة يحمي الذئب عنها
فكيف اذا الرعاة لها ذئاب وقال آخر يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد وقيل لبعض العارفين
اترى ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال لا اشك ان من تكون الدنيا آثر عنده من الآخرة انه لا يعرف الله
تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي للحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال
بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا الي ودفن بشر بن الحارث بضعة
عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهب عني شهوة الحديث لحدثت وقال هو
وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته فحدث فهذا الآن التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد
اعظم من كل تنعم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة
الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلوات الله وسلامه عليه ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال ايضا

بن الحارث م

والمخلصون

الناس موتى الا العلما والعلما سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى
يدري بما يختم له وقال ابو سليمن الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن
الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طلب طريق الآخرة وقال عيسى
عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام
ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى
ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة
يوم القيمة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال تعالى
في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون
في زمرة الانبيا والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصد طلب الدنيا بعلمه وروى ابو
الدردا انه عليه الصلوة والسلام قال اوحى الله الى بعض الانبيا قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير
العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل
وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤن لاتيحن لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان فرجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا
ولم يشتر به ثمنا فذلك تصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى
يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل اتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا
واشترى به ثمنا فذلك ياتي يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان
اتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الخلق
واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى كليم الله عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صفي الله عليه السلام
حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسال عنه فلا يحس له اثرا حتى
جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال
موسى يا رب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله فيما اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم
فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما ورد عن معاذ
بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه
من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يومن على صاحبه الخطا وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلما من يخزن علمه
فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلما من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه
شيء من علمه او تهون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلما من يجعل علمه وغرائب حديثه
لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلما من ينصب نفسه
للفتيا فيفتي بالخطاء والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلما من يتكلم بكلام اليهود و
النصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلما من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس
فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلما من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك
في الدرك السابع من النار وعليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي في غير ارب
وفي خبر آخر ان العبد لينشر له من الثنا ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان الحسن

الشيطان

انصرف يوما من مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة الآف درهم وعشرة اثواب من رقيق البز وقال
يا با سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من
جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم يلقاه ولا خلاق له وروى عن جابر موقوفا ومرفوعا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا الى عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين
ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة وقال الله تعالى فخرج
على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الى قوله وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل العلم بايثار الاخرة على الدنيا ومنها ان لا تخالف فعله قوله بل لا يامر بالشي ما لم
يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله
واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ
الناس والا فاستحيي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام كانت تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر
وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلما وخير الخيار خيار العلما وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن
جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علما السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلما يبدا بهم
يوم القيمة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدردا ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم سبع مرات وقال الشعبي يطلع
قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم
فيقولون انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا
به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن
القلوب كما يزل القطر عن الصفا وانشدوا ٭ يا واعظ الناس قد اصبحت متهما ٭ اذ عبت منهم امورا انت تاتيها ٭
اصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ٭ فالموبقات لعمري انت جانيها ٭ تعيب دنيا وناسا راغبين لها ٭ وانت اكثر منهم رغبة فيها
وقيل اخر ٭ لا تنه عن خلق وتاتي مثله ٭ عار عليك اذا فعلت عظيم ٭ وقال ابرهيم بن ادهم مررت بحجر بمكة مكتوب عليه
اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر
بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جري على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من
تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله وقال ابرهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب
وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به
كمثل امراة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم
القيمة على رؤس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته
وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث بهن يهدم الزمان احدهن زلة
عالم وقال ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه
فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت
قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الاخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى

من قلوبهم

قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب
القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم
تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل فيه
بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة
ثلثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون
في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة وياتونهم
يوثرون الدنيا على الآخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما يتغاير النساء على الرجال
يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان
ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قايلا وللعمل
مسوفا حتى يموت وما عمل وقال سري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر فسالته
فقال رايت في النوم قايلا يقول الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت
الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم
ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفها همتهم الرواية والعلما همتهم الرعاية وقال مالك ان طلب العلم
لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فلا توثرن عليه شيا
وقال ابن مسعود انزل القران ليعمل به فاتخذ تدراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم
والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدوا ولا يجده او الجايع الذي يصف لذايذ الاطعمة ولا يجدها ففي مثله يقال
ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القران ومنها ان تكون عنايته بتحصيل
العلم النافع في الاخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض
عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق ويخشى فواته
فاشتغل بالسوال عن خاصية العقاقير والادوية وغرايب الطب وترك مهمه الذي هو مواخذ به وذلك محض السفه
وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمني من غرايب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم
قال وما راس العلم قال عليه السلام وهل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت
الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك غرايب العلم بل ينبغي
ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق البلخي منذ كم صحبتني فقال
حاتم منذ ثلث وثلثين سنه قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثمان مسايل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون
ذهب عمري معك ولم تتعلم مني الا ثماني مسايل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها واني لا احب ان اكذب فقال هات
هذه الثمانية مسايل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر
فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية
قال نظرت في قول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فعلمت ان قوله
سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق
فرايت كل من معه شي له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه وادخره ثم نظرت في قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله
باق فكلما وقع معي شي له قيمة ومقدار وجهته اليه ليبقى لي عنده والرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل
واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لا شي ثم نظرت الى قول الله عز وجل ان اكرمكم

والمتعلمين علموا الفقراء
سبحكم
اخوف ما اخاف

عند الله اتقاكم فعملت فى التقوى حتى اكون عند الله كريمًا والخامسة انى نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم
فى بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة
الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق عنى السادسة نظرت الى
هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
فعاديته وحده واجتهدت فى اخذ حذرى منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو لى فتركت عداوة الخلق
غيره السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسيرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما
لا يحل له بسببها ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فعلمت انى واحد من هذه
الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت مالى عنده الثامنة انى نظرت الى هذا الخلق
فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق
مثله فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبى قال شقيق يا حاتم وفقك الله
تعالى فانى نظرت فى علم التورية والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهى تدور على هذه الثمان المسايل فمن استعملها
فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علماء الاخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون
بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التى بها بعث الله الانبيا كلهم عليهم السلام وقال
الضحاك ابن مزاحم ادركتهم وما يتعلمون بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم ما يتعلمون الا الكلام ومنها ان يكون
غير مايل الى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى الملبس والتجمل فى الاثاث والمسكن بل يوثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه
فيه بالسلف ويميل الى الاكتفا بالاقل فى جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع
فى علماء الاخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكى عن ابى عبد الله ابرهيم الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت
مع حاتم الرى ومعنا ثلثمايه وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا
على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فانى اريد
ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى وجه الفقيه عبادة فانا ايضا اجى معك
وكان العليل محمد بن المقاتل قاضى الرى فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول
باب عالم على هذه الحالة ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة وستور فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا الى
المجلس الذى هو فيه فاذا بفرش وطية وهو راقد عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر وسال عن حاله
وحاتم قايم فاوما اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة قال نعم فقال ماهى قال مسئلة
اسالك عنها قال سلنى قال قم فاستو حتى اسالك فاستوى فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال من الثقات
حدثونى به قال عن من قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن
قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه
وتعالى قال حاتم ففيما اداه جبريل عليه السلام عن الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل فيها سمعت فى العلم من كان فى داره اميرا وكانت سعتها
اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الاخرة
واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله عز وجل المنزلة اكبر قال له حاتم فانت بمن اقتديت ابالنبى صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم والصالحين ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والاجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب
على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ

واجتنب

درجته

اهل

اهل الرى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسى بقزوين اكثر شيا منه فسار حاتم اليه متعمدا
فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمى احب ان تعلمنى مبتدا دينى ومفتاح صلوتى كيف اتوضا للصلوة قال نعم
وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتى به فقعد الطنافسى فتوضا ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضا فقال حاتم مكانك حتى
اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضا ثم غسل الذراعين اربعا فقال له الطنافسى
يا هذا اسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا فى كف من ماء اسرفت وانت
فى هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسى انه قصد ذلك دون التعلم فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يوما
فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا با عبد الرحمن انت رجل الكن عجمى وليس يكلمك احد الا قطعته
قال معى ثلث خصال بهن اظهر على خصمى افرح اذا اصاب خصمى واحزن اذا اخطا واحفظ نفسى لا تجهل عليه
فبلغ ذلك احمد بن حنبل رحمه الله فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا با عبد الرحمن ما السلامة
من الدنيا قال يا با عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع عنهم جهلك وتبذل لهم
شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية
مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصلى فيه قالوا
ما كان له قصر انما كان له بيت لاطى بالارض قال فاين قصور اصحابه رضى الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور انما كانت
لهم بيوت لاطية بالارض فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا الاعجمى
يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ولم ذلك قال حاتم لا تعجل على انا رجل عجمى غريب دخلت البلد فقلت مدينة
من هذه فقالوا مدينة الرسول عليه الصلوة والسلام فقلت فاين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد
كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم ابرسول الله صلى الله عليه وسلم ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر
فخلوا عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم وسياتى من سير السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه
والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن
الا بمباشرة اسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخر
هى محظورة فالحزم اجتناب ذلك لان من خاض فى الدنيا لا يسلم منها البته ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها
لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم ونزع خاتم الذهب فى اثناء الخطبة الى غير ذلك
مما سياتى بيانه وقد حكى ان يحيى بن يزيد النوفلى كتب الى مالك بن انس رحمهما الله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على محمد فى الاولين والاخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغنى انك تلبس الدقاق
وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطايا وارتحل اليك الناس فاتخذوك
اماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلام
فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام
عليك اما بعد فقد وصل الى كتابك فوقع منى موقع النصيحة فى الشفقة والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك
الله بالنصيحة خيرا واسال الله تعالى التوفيق ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاما ما ذكرت لى انى اكل الرقاق والبس الدقاق
واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده
والطيبات من الرزق وانى لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام
فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك فى منصبه
اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فيقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله

توسعا

متركبر

المطرز

وتاكل الرقاق

السلام

ذلك على المرايا والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم فى المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها

ان يكون منقبضا عن السلاطين ولا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم او يتكلف فى كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او ان يطمع فى ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسياتى فى كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يوخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن قال عليه الصلوة والسلام سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد بري ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال عليه السلام لا ما صلوا وقال سفين فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال النبي عليه الصلوة والسلام العلماء امناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون ابواب السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا قليل ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال النبي صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القران وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما فى يديه خاض فى نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني انجو من الدخول كفافا مع اني لا اخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواهم ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيما كان قبلكم رجل له قدم فى الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص قال وكان لا يغشى السلاطين فقعد عنهم فقال له بنوه ياتي هولاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني اتى اذا جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا تهلك هزالا قال يا بني لان اموت مومنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفى هذا اشارة الى ان الدخول على السلطان لا يسلم فيه احد من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شرايع الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين

ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمه الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا فى زمان عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من اهل مكة والشام وغيرهم اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم السلاطين ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او بنص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفى الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذي يتقلد امور الناس فضعها فى عنقه وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطاه اصيبت مقاتله وقال ابرهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد على من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم ان العالم الذي اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول يريدون ان يجعلونا جسرا يعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السوال ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت وكان ابرهيم التيمي اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابرهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون على الاثنين والثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال عليه الصلوة والسلام ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري اتبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير البقاع فى الارض وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل فساله فقال لا ادري حتى اعلمه الله عز وجل خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وكان ابن عمر يسئل عن عشر مسايل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان فى الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفين الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسئل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفى لفظ اخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى الاخر حتى تعود الى الاول وروى ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشوي وهو فى غاية الضر فاهداه الى آخر واهدى الآخر الى آخر وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين فى خمسة اشياء قراءة القرآن

وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام
ابن آدم عليه لا له الا ثلث امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الآية
ورأى بعض العلما بعض اصحاب الرأي من اهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتوى والرأي فكره
وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت
على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت داب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد اوتي
صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقيل ان العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم
خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل
مثل دجلة كل احد يغرف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بير عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا
يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمن المعرفة الى السكوت اقرب منها
الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام واذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان الى ابي الدردا وكان قد اخا
بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك اقعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان
كلامك شفا وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدردا يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس اذا
سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي
انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها
حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال تسئلوني عن العلم
وهذا الحبر بين اظهركم **ومنها** ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكها
وصدق الرجا في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقايق علم القلوب
وتتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا يفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة
والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة و
الانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه
بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطايف الحكم ما تحار فيه عقول
ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب
السالفة يا بني اسرايل لا تقولوا العلم في السما من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من ورا البحار من يعبر
يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم في قلوبكم
حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلما والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين
والشهدا ثم تلا قوله وعنده مفاتح الغيب الآية ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر
لما قال عليه السلام استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال عليه الصلوة والسلام فيما يرويه عن ربه تعالى لا يزال
العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن
يخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلوا عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين فاذا انكشف ذلك
للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم الموجهة
اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقايق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك
عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلما قال علي كرم الله
وجهه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها للخير والناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع

بلقين

اتباع

اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه النفقة محبة العالم دين يدان به يكسب به الطاعة في
حيوته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال
وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعدا فقال هاه ان هاهنا علما جما لو وجدت له حملة بلى اجد
لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله تعالى على اوليائه ويستظهر بحججه على خلقه
او منقادا لاهل الحق لكن ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له الا لا ذا ولا ذاك او منهوم
باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقاد الهواه اقرب شبها بهما الانعام
السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلوا الارض من قايم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خايف
مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم
في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم
على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون
صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه
ثم بكا وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره آخرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من
العمل والمواظبة على المجاهدة **ومنها** ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين
قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوايله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتدا بهم
ليقوي يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن
اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان
غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل
يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما
لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمن لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء
الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور
التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار الله تعالى في القرآن
الى ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين
وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان
اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعنون به عدم الشك اذ ميل النفس
الى التصديق بالشيء له اربع مقامات **الاول** ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن
شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفي بل يستوي
عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا **الثاني** ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه
امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل
يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت
تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز وان لم يكن مساويا لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه
فهذه الحالة تسمى ظنا **الثالث** ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه ولو

خطر بالبال تابى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققه اذ لو احس صاحب هذا المقام التامل والاصغا
الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادًا مقارنا لليقين وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات
كلها اذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم
امكان خطا امامه نفر عن قبوله **الرابع** المعرفة الحقيقة الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور
التشكيك فيه وامكانه يسمى يقينا عند هولاء **ومثاله** انه اذا قيل للعاقل هل فى الوجود شئ هو قديم فلا يمكنه
التصديق به بالبديهه لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود
شئ قديم ازلى ابدى ضرورى وربما مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال
فان هذا ايضا ضرورى فحق غريزة العقل ان تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس
من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس
من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهى
حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال والمودى الى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بوجود
شئ قديم بالضرورة لان الاقسام ثلثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديما وبعضها
حادثا فان كان كلها قديما فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يودى الى حدوث
بغير سبب فثبت القسم الثانى او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا وسوا حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل
بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل
او بدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هولاء وعلى هذا
لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت فى نفى الشك **الاصطلاح الثانى** للفقها والمتصوفة واكثر العلما وهو ان
لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت
مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوى اليقين فى اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى
التصديق بشئ وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتحريض والمنع سمى ذلك
يقينا ولا شك فى ان الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى
الاستعداد له وكانه غير موقن به وفيهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا
لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه
من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحوه انما اردنا بقولنا ان من شان علما الاخرة
صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب
المتحكم عليها والمتصرف فيها واذا فهمت هذا علمت المراد بقولنا ان اليقين ينقسم ثلثة انقسامات بالقوة والضعف
والقلة والكثرة والخفا والجلا فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى وذلك فى الغلبة والاستيلا على القلب
ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق فى استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين
بهذه المعانى واما التفاوت بالخفا والجلا بالاصطلاح الاول فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر
اعنى الاصطلاح الثانى وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود
مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى عليه السلام ووجود يوشع مع انك لا تشك فى الامرين جميعا
اذ مستندهما جميعا التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح فى قلبك من الثانى لان السبب فى احدهما اقوى وهو كثرة
المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح

فاذا امتنع وجود الشك فيه صح

ايضا

الثالث

النفي اذ قلنا

ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما فى نفى الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا
يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان
اكثر علما اى معلوماته اكثر فلذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى
بعضه فان قلت فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وخفاءه وجلاءه بمعنى نفى الشك وبمعنى
الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فانى ما لم اعرف ما يطلب فيه
اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد عن الانبيا من اوله الى اخره هو من مجارى اليقين فان اليقين عبارة
عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التى وردت بها الشرايع فلا مطمع فى احصائها ولكنى اشير الى بعض
امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان ترى الاشيا كلها من مسبب الاسباب فلا يلتفت الى الوسايط بل يرى الواسطة
مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين
فان غلب على قلبه غلبة ازالت عنه الغضب على الوسايط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسايط فى قلبه بمنزلة القلم
واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما التين وواسطتين فقد صار
موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفايدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر
والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بامره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة
الازلية هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق
فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله للرزق فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها
واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم يشتد حرصه
وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب
على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى
نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم والافاعى الى الهلاك
فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظه قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يتجنب قليل
السم وكثيره فيتجنب قليل المعاصى وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المومنين
اما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات و
المبالغة فى التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمير ابلغ ومن ذلك
اليقين بان الله مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خاطرك وفكرك وهذا متيقن عند
كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته
ان يكون الانسان فى خلوته متادبا فى جميع اعماله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا
متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله
مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة اشد
من مبالغته فى تزيين ظواهره لساير الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحيا والخوف والانكسار والذل والاستكانة
والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه
الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق فى القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة
من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه
وسياتى ذلك فى ربع المنجيات وهذا القدر كاف فى تفهيم معنى اللفظ الان **ومنها** ان يكون حزينا منكسرا

الوسايط

على قلبه صح

بلغ المقابلة

مطرقا صامتا تظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر
الا وكان نظره مذكرا لله وكان صورته دليلا على علمه فالجواد عينه فرآئه فعلماء الاخرة يعرفون بسيماهم في السكينة
والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبيا وسيماء
الصديقين والعلما فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل
ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا الغافلين عن الله
دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلثة كما قاله سهل التستري عالم بامر الله تعالى لا بايام الله تعالى وهم المفتون في
الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبامر الله
تعالى وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه
الباطنة التي افاضها على القرون السالفة والآنفة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه
تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من
جبابرة العلما فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله تعالى عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق
ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من اتاه الله عز وجل علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق ورفقا فهو امام المتقين
وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض
وقلوبهم في السما وارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير
العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فيتقرب الى الله تعالى ببغضه
فانه مقيت في السماء والارض وروى في الاسرائيليات ان حكيما من الحكما صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى
وصف بالحكمة فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا اقبل من
نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى
الله تعالى اليه قل له الان وافقت رضاي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي
فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم احق بالمقت
من ذلك الشرطي وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا
يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب
شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا
بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا قالوا فاخبرنا يا رسول الله
قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس امانا يوم القيمة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا
في الآخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الاخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه في خطبته
ذمتي رهينة وانا زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظما على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره
وان ابغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما اغار في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يعش
في العلم يوما سالما بكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس للناس
مفتيا لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به احدى المبهمات هيا حشو الراي من رايه فهو من قطع الشبهات في
مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطا ام اصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا
يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملي والله باصدار ما ورد عليه
ولا هو اهل لما فرط اليه اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت لهم النياحة والبكاء ايام الحيوة الدنيا وقال علي كرم الله وجهه

اذا

اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة
وقيل اذا اجمع المعلم ثلثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا اجمع المتعلم ثلثا تمت النعمة به
على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القران لا ينفك عنها علماء الاخرة لانهم
يتعلمون القران للعمل لا للدراسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يوتى الايمان قبل القران وتنزل
السورة فيعلم حلالها وحرامها واوامرها وزاجرها وما ينبغي ان يتوقف عنده منها ولقد رايت رجالا يوتى احدهم القران
قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل
وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسياتي بعدكم قوم يؤتون
القران قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي
لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الاخرة مفهوم من خمس ايات الخشية والخشوع
والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا وهو الزهد فاما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
واما الخشوع فمن قوله خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك
لمن اتبعك واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام فقيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال
عما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوساوس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر
لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقربها بل اعلاها واقصاها المواظبة
على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه
وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الاخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرايب
التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع ابدا وان وقع ذلك فانما تقع لغيرهم
لا لهم واذا وقع كان في القائمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم
واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على التقرب
من الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقايق وجزاؤه من الله ان لا ينتفع
في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوايب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح
العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله اشبه الناس كلاما بكلام الانبيا
واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك
فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وسئل حذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته
فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسئلون عن الخير وكنت اساله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت
ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله
ما لمن عمل كذا وكذا فيسالونه عن فضايل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ماذا يفسد كذا وكذا فلما رآني اسال عن آفات
الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقايق الفتن
فكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسالونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسال عن المنافقين فيخبر

باعداد من بقي ولا يخبر باساميهم وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئا من النفاق فبراه من ذلك وكان
عمر اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية
بمقامات القلب واحواله هو دأب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا
واذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق
المجادلات ولقد صدق من قال الطرق شتى وطريق الحق مفردة ○ والسالكون طريق الحق افراد ○ لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم
فهم على مهل يمشون قصاد ○ والناس في غفلة عما يراد بهم ○ فجلهم عن سبيل الحق رقاد ○ وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى
الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات
القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء
يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت
ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم
يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلثة مثل سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان
يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة ولان النفيس العزيز لا يصلح
الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه
لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه فيما امر به وقاله
وانما يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلوات الله
عليه في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعله فالرسول عليه الصلوة والسلام لم فعله لا بد وان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث
عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من
اوعية العلم فكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء
واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما
من احد الا يوخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي
بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على
الراس والعين وما جاءنا عن الصحابة فناخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل
الصحابة لمشاهدتهم قرائن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقرائن فردهم
ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطاء واذا
كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في
زمان الصحابة رضي الله عنهم وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة
وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث و
تصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القران وعن التدبر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك
كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة تصحيف القران في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء
ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتب القران خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم
وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر لذلك فجمع

القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة
وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الاثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطا واصحاب ابن
عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك
ابن انس ثم جامع سفين الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض
في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان
فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون
فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون
اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا
يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الآخرة مطويا وغاب
عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لاحدهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول فلان اكثر
علما وفلان اكثر كلاما وكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة الى الجنون فالاولى
ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا
يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابة رضي الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة رضي الله
عنهم وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي
الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة
ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليه والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان
الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق
السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي كرم الله وجهه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا
فلا ينبغي ان تكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا
فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل للجنة
سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو رأي سوء يزعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد
الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه
وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن افعالهم ويقتص آثارهم
متعرض لاجر عظيم فكذلك كونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدى
فاحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر
الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت
قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق
من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة وجانب اهل الذل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه
وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره وطوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل
من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل
وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات والكذب
ولقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة

اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان آت وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق
وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فاكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر
المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتجديدها وانفاق الاموال العظيمة في دقايق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها
وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب
حاجزا وكذلك الاشتغال بدقايق الجدل والمناظرة من اجل علوم اهل الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك
من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقران ومن ذلك التقشف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير
الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظاير من ذلك ولقد صدق ابن مسعود
حيث قال انتم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وكان احمد يقول تركوا
العلم واقبلوا على الغرايب فما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسالون
عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حلال ولا حرام ادركتهم يقولون مكروه ومستحب معناه
انهم كانوا ينظرون في دقايق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان تجنبه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول
لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني
يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمله حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان
ما ابدع من الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه
بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلوة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري
وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان ابلغهم الصوت
فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله ما صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقا على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا
هذا ما ليس منه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله ما غش
امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب
ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فاما قلب
الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال
آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط
الذي يرجع اليه الغالي ويرتفع اليه القالي وقال ابن عباس رضي الله عنه ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها
قال الله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث
بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت
الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فقال انكم
ما تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون
بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان
اخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم
واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سياتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف
شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاول فبث فيهم الاهوا

لم يبلغه

الثاني

منكسرين

وزين

وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فتسلط عليهم الاعداء وقادتهم
اين شاؤا فان قلت من اين عرف قايل هذا ما قاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب
يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الوارد عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل
الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات
وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك وان يكون حظك
من هذا العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون انهم احاطوا بعلوم المعقول
والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان
خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم
لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء وقال سهل
التستري رحمه الله من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا
فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك
قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه وكان امره فرطا والعوام والعصاة اسعد حالا من الجهال
بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان
ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى
الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم في الدين الاحتياط العزلة والانفراد
عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن الاسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا
يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس
لا ينفك عن غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك
آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع
الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو وذلك لا يرخص له في البيع ممن يعلم بقراين احواله
انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الاخرة تجمع كل واحدة منها جملا من
اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون
الثالث فتلبس على نفسك بان تلقب آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك
بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فيها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة
الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم
يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا
والاخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهايم بدنا واشدها ضراوة
واقواها سطوة اذا راى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه بما خص به من ادراك الحيل ولذلك
قال عليه الصلوة والسلام الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته
بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهايم
يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه
واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلالا على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه

او عن غيبة

ورتبتهم من البهايم

بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر
شرفه وقد سماه الله تعالى نورًا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحًا وحياة فقال
اوحينا اليك روحًا من امرنا وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل
كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا
بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه مجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله ولو كان
دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر
شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا والقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم
اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له
ادبر فادبر قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب
فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قايم بنفسه
لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك
قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل
فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم
وعن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده
عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن
خلقه درجة الصايم القايم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس
وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون
عبادته اوما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم
الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت
ثم قال سالت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البراء رضي الله عنه قال كثرت المسايل يوما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شيء مطية واحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة افضلهم عقلا وعن ابي
هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان
ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم
قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكان نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى
فاذا كان يوم القيمة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال جد
الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المؤمنون من بني ادم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله اوفرهم عقلا
وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الاخرة
قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل
فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شيء سبب ولكل سبب مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء
دعامة ودعامة الدين العقل ولكل شيء غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع وراع العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة
وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الاخرة العقل

ووحياً صح

الآن ذكر صح

الحياة في النار وقالوا صح

ومطية المرء العقل

وهو

ولكل امر عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط
وفسطاط المومنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المومنين الى الله من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل
عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حيوته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم
فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا **بيان حقيقة العقل واقسامه** اعلم ان الناس قد اختلفوا في حد العقل
وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف
للغطا فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا
المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذي به يفارق الانسان
ساير البهايم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحرث
بن اسد المحاسبي رحمه الله حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب
به يستعد لادراك الاشيا ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنايم
يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة بها يتهيا الجسم للحركات الاختيارية
والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان
والحمار في الغريزة والادراكات الحسية ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجرا العادة يخلق في الانسان علوما وليس
يخلقها في الحمار والبهايم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار جمادا ميتا اصبتها لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر
على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم تكن مفارقته للجماد في الحركة الا بغريزة اختصت به عبر عنها
بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق غيرها
من الاجسام في حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيئات
وصفات بها استعدت للروية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الروية ونسبة القران والشرع
الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه الغريزة
الثاني هو هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين
اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد
العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم
موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم الثالث علوم
تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا
يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع اخر من العلوم يسمى عقلا والرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف
عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من
حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان
التي بها يتميز عن ساير الحيوانات فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع
الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية يستفاد علوم التجارب والرابع الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى
فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه رايت العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام ما خلق الله خلقا
اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك
وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدردا رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي

في الحيوة ويقال لا فرق الا ان الله
يخلق في الجماد حركات مخصوصة
بحكم اجراء العادة فانه لو قدر
الحمار صح

وكيف لى بذلك قال اجتنب محارم الله وادّ فرايض الله تكن عاقلا وتعمل بالصالحات من الاعمال تزدد فى عاجل الدنيا
رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابى بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن
افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته
فقال عليه الصلوة والسلام وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقى
وان كان فى الدنيا خسيسا دنيا وقال فى حديث اخر انما العاقل من امن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه
ان يكون الاسم فى اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا فى الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشئ
بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض
البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف فى وجود جميعها
الا فى القسم الاول والصحيح وجودها بل هى الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر
الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست شيئا واردا عليها من خارج وكانها كانت
مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء فى الارض فانه يظهر بحفر القنى ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شئ جديد
وكذلك الدهن فى اللوز وماء الورد فى الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا فى اقرار الالسنة حيث وجد
الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك
نفوسهم وبواطنهم وقال فطرة الله التى فطر الناس عليها اى كل ادمى فطر على الايمان بالله بل على معرفة الاشيا على
ما هى عليه اعنى انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة
انقسم الناس الى من اعرض فنسى وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها
ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر عن
صورة كانت حاضرة الوجود فى القلب ولكن غابت بعد الوجود والاخر ان يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة
وهذه حقايق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك
تراه يتخبط فى مثل هذه الايات ويتعسف فى تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه فى
الايات والاخبار ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها
التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاوانى المصفوفة فى الدار فيقول لم لا هذه الاوانى
لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها فى مواضعها وانما الخلل فى بصرك فكذلك خلل البصيرة يجرى
مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن
لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفواد ما راى وقال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض
وسمى ضده عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه
اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التى كشفت للانبيا بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة
وسمى الكل روية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه
وحقايقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليه **بيان تفاوت الناس فى العقل** قد اختلف الناس فى تفاوت
العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت

واعمل

يتطرق

يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات
فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون شخص واحد فى مكانين فى حالة واحدة وكون الشئ
الواحد قديما حادثا وكذا ساير النظاير وكل من يدركه يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما الاقسام الثلثة فالتفاوت
يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال
الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض
ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد
قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغايلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتما
عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه فى العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن
اذا كان علم الطبيب فيه اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة فى قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون
العالم اقدر على ترك المعاصى من العامى لقوة علمه بضرر المعاصى واعنى به العالم الحقيقى دون ارباب الطيالسة واصحاب
الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب
من العلم عقلا ايضا فانه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة
العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها
للشهوة لا محالة اشد واما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة
الاصابة وبسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوت فى الغريزة واما تفاوت فى الممارسة اما الاول وهو الاصل
اعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى اشراقه عند سن
التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوايله يخفى
خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر
والفرق مدرك بين الاعمش وبين مدرك الحاد البصر بل سنة الله جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الايجاد حتى
ان غريزة الشهوة لا تركز فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات
ومن انكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبى صلى الله عليه وسلم مثل
عقل احاد السوادية واجلاف البوادى فهو اخس فى نفسه من احاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاها لما
اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكى يفهم
بادنى رمز واشارة والى كامل ينبعث من نفسه حقايق الامور دون التعليم كما قال الله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو
لم تمسسه نار وذلك مثل الانبيا صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم فى باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع
ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث فى روعى احبب
من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به وهذا النمط من تعريف الملائكة
للانبيا يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع للصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر
عن هذا بالنفث فى الروع ودرجات الوحى كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن
ان معرفة درجات الوحى تستدعى منصب الوحى اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم الفاسق
درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شئ ووجود المعلوم شئ آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا
ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا
بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا تنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا

اوولياء

لايخفى صح

والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج فى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض فى
صفاتها فكذلك هذا الاختلاف النفوس فى غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى ان
عبد الله بن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وان الملئكة قالت يا رب
هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل
قالوا لا قال الله فانى خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطى حبة ومنهم من اعطى حبتين ومنهم
الثلث والاربع ومنهم من اعطى فرقا ومنهم وسقا ومنهم اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل
والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات
وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم فى التسمية اذ كان ذلك لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول
الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم واما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله عز وجل ويعرف
صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذى بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع
فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى قول من يقول
انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريد هو بعين اليقين ونور الايمان وهى الصفة
الباطنة التى يتميز بها الادمى عن البهائم حتى ادرك بها حقايق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل اقوام
طلبوا الحقايق من الالفاظ فتخبطوا لتخبط اصطلاحات الناس فى الالفاظ وهذا القدر كاف فى بيان العقل
والله اعلم هذا اخر كتاب العلم والحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد وآله اجمعين الطيبين الطاهرين

كتاب قواعد العقايد وهو الكتاب الثانى من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين

وفيه اربعة فصول الفصل الاول فى ترجمة عقيدة اهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى احد مبانى الاسلام

فنقول وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الحميد المبدى المعيد الفعال لما يريد
ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة
التوحيد بحراسة عقايدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء
آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتاييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التى لا يدركها الا من
القى السمع وهو شهيد المعرف اياهم فى ذاته انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له متفرد لا ند له وانه
قديم لا اول له ازلى لا بداية له مستمر الوجود لا اخر له ابدى لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دايم لا انصرام له لم يزل
ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الاماد وانقراض الاجال بل هو الاول
والاخر والظاهر والباطن **التنزيه** وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا فى
التقدير ولا فى قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا
ولا يماثله موجود وليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات
ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى اراده استواء منزها عن المماسة
والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون
فى قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شئ الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسما كما لا تزيده بعدا
عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسما كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب
من كل موجود وهو اقرب الى العبيد من حبل الوريد فهو على كل شئ شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل
ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان

بل كان

بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الان على ما عليه كان وانه باين من خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه
ولا فى سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت
جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول
مرئى الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار فى دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **القدرة**
وانه حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه
ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلايق
مقهورون فى قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم
واجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته
العلم وانه تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الارضين الى اعلى السموات وانه عالم لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء يدرك
حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضماير وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم
قديم ازلى لم يزل موصوفا به فى ازل الازال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه تعالى
مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر
ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء
كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدى المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه
ولا معقب لقضائه فلا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته
لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا فى العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا
عنه وان ارادته قايمة بذاته فى جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا فى ازله لوجود الاشيا فى اوقاتها التى
قدرها فوجدت فى اوقاتها كما اراده فى ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل
ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى
سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق لا يحجب سمعه بعد ولا
يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة
ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق **الكلام** وانه متكلم امر ناهى واعد
متوعد بكلام ازلى قديم قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق وليس بصوت يحدث من انسلال هواء او اصطكاك اجرام
ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القران والتورية والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله
وان القران مقروء بالالسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وانه مع ذلك قديم قايم بذات الله تعالى
لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف
كما يرى الابرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا
متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه تعالى لا موجود سواه
الا وهو حادث بفعله وفايض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم فى افعاله عادل فى اقضيته
ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العباد يتصور منهم الظلم بتصرفهم فى ملك غيرهم ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف
لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر
وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان فى الازل

كفرا وايمان صح

بمشيئته

موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعد اظهارًا لقدرته وتحقيقا لما سبق مز ارادته ولما حق فى الازل
مز كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام
والاصلاح لا عن لزوم فله الحمد والفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع
العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه تعالى
يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه
ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه فى الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل
ولكنه بعث الرسل فاظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق
تصديقهم فيما جاؤا به

معنى الكلمة الثانية وهى شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم

وانه بعث النبى الامى
القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع الا ما قرره وفضله
على ساير الانبيا وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن بشهادة
الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه فى جميع ما اخبر عنه فى امور الدنيا والاخرة وانه تعالى
لا يتقبل ايمان عبد حتى يوقن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سوال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هايلان يقعدان
العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما
فتانا القبر وسوالهما اول فتنة بعد الموت وان يومن بعذاب القبر وانه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما
يشاء ويومن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم انه مثل طباق السموات والارض يوزن فيه الاعمال
بقدرة الله والسنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحايف الحسنات فى صورة حسنة
فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيات فى كفة الظلمة
فيخف بها الميزان بعدل الله وان يومن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد مز السيف وادق
مز الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله تعالى فهوى بهم الى النار ويثبت عليه اقدام المومنين فيساقون الى
دار القرار وان يومن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المومنون قبل دخول الجنة وبعد
جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدًا عرضه مسيرة شهر ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل حوله اباريق عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان مز الكوثر ويومن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش
فى الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال مز شاء من الانبيا عن تبليغ الرسالة
ومز شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسئل المبتدعة عن السنة ويسئل المسلمون عن الاعمال ويومن باخراج الموحدين
مز النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد فى النار مومن وان يومن بشفاعة الانبياء
ثم العلماء ثم الشهداء ثم ساير المومنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقى مز المومنين ولم يكن له شفيع اخرج مز النار
بفضل الله فلا يخلد فى النار مومن بل يخرج منها مز كان فى قلبه مثقال ذرة مز الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم
وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضوان الله عليهم اجمعين وان يحسن
الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت
به الاثار فمز اعتقد جميع ذلك موقنا به كان مز اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة
فنسال الله تعالى كمال اليقين والثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثانى فى وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد

ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغى ان يقدم الى الصبى
فى اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد

بلغ المقابلة

والايقان

والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهان فمز فضل الله تعالى على قلب الانسان شرحه فى
اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد
والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع مز الضعف فى الابتدا على معنى انه يقبل

والتقليد

الازالة بنقيضه لو القى اليه ولا بد مز تقويته واثباته فى نفس الصبى والعامى حتى يترسخ به ولا يتزلزل وليس
الطريق فى تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره وقراءة الحديث
ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه مز ادلة القران وحججه
وبما يرد عليه مز شواهد الحديث وفوايدها وبما يسطع عليه مز انوار العبادات ووظايفها وبما يسرى اليه
مز مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيئاتهم فى الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون
اول التلقين كالقاء بذر فى الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى
ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها فى السماء وينبغى ان يحرص سمعه مز الجدل والكلام غاية الحراسة
فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل ايضا هى ضرب الشجرة بالمدقة
مز الحديد رجاء تقويتها بان يكثر اجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك فى هذا
بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى مز عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمتجادلين فترى
اعتقاد العامى فى الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهى والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات
الجدل كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدًا
كما يتلقف نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين التقليد فى تعلم الدليل وتعلم المدلول فتلقن الدليل شئ والاستدلال
بالنظر شئ اخر بعيد عنه ثم الصبى اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه
سلم فى الاخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر مز التصديق الجازم بظاهر هذه العقايد فاما البحث
والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكى طريق الاخرة وساعده التوفيق حتى
اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب مز الهداية
تكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى اذ قال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر
الذى وقر فى قلب ابى بكر الصديق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات
بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله وفى الاستضاءة بنور اليقين
وذلك كتفاوت الخلق فى اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف
الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لا ينحصر تلك الدرجات فكذلك هذه مسئلة فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم
كعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه فاعلم ان للناس فى هذا غلوا واسرافا فى اطراف فمن قايل انه بدعة وحرام
وان العبد ان يلقى الله تعالى بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومز قايل انه واجب وفرض اما
على الكفاية او على الاعيان وانه افضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى
والى التحريم ذهب الشافعى ومالك واحمد بن حنبل وسفين وجميع اهل الحديث مز السلف قال ابن عبد الاعلى
سمعت الشافعى رحمه الله يوم ناظر حفص الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب
ما خلا الشرك خير له مز ان يلقاه بشئ مز الكلام ولقد سمعت مز حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت
مز اهل الكلام على شئ ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له مز ان ينظر فى الكلام

وحكى الكرابيسى ان الشافعى رحمه الله سئل عن شئ من الكلام فغضب وقال سل عن هذا يعنى حفص الفرد واصحابه
اخزاهم الله ولما مرض الشافعى رحمه الله دخل عليه حفص الفرد وقال من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك
حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما فى الكلام من الاهوا لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت
الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له وقال الزعفرانى قال الشافعى رحمه الله
حكمى فى اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشاير والقبايل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة
واخذ فى الكلام وقال احمد بن حنبل رحمه الله لا يفلح صاحب كلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر فى الكلام الا وفى قلبه دغل
وبالغ فيه حتى هجر الحرث المحاسبى رحمه الله مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال ويحك
الست تحكى بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات
فيدعوهم ذلك الى الراى والبحث وقال احمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك ارايت ان لو جاءه من هو اجدل منه
ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعنى ان اقوال المتجادلين يتقاوم وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهوا
فقال بعض اصحابه فى تاويله انه اراد باهل الاهوا اهل الكلام على اى مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب العلم
بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهوا ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف
على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقايق وافصح
بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون
هلك المتنطعون اى المتعمقون فى البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يامر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى حفظ علم الفرايض
واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال امسكوا عن القدر وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة على الاستاد والقدوة
ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى فانهم احتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ العرض والجوهر
وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم يعهدها الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات
لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع
لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة الدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح
وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعنى به الا معرفة الدليل على حدث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء
به الشرع فمن اين يحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور هو الشغب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى
اليه الكلام فذلك محرم يجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضى اليه علم الحديث والتفسير
والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة
بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من هلك عن بينة وقال تعالى
هل عندكم من سلطان بهذا اى حجة وبرهان وقال فلله الحجة البالغة وقال الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه الى قوله فبهت
الذى كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه فى معرض الثناء عليه وقال تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم
على قومه وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال تعالى فى قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله
او لو جئتك بشئ مبين وعلى الجملة فالقران من اوله الى اخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين فى التوحيد قوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفى النبوة وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وفى البعث قوله
تعالى قل يحييها الذى انشاها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم تزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم وقال تعالى
وجادلهم بالتى هى احسن والصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة فى زمانهم واول

من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق على كرم الله وجهه اذ بعث ابن عباس رضى الله عنه الى الخوارج يكلمهم
فقال ما تنقمون من على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم قال ذلك فى قتال الكفار ارايتم لو سبيت عايشة
فى يوم الجمل فوقعت عايشة فى سهم واحدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى امكم فى نص الكتاب
فقالوا لا ورجع منهم الى الطاعة بمجادلته الفان وروى ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر على بن ابى طالب
كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة فى الايمان قال عبد الله لو قلت انى مؤمن
لقلت انا فى الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلوة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا
انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك قلنا انا مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها منى
زلة فيبقى ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس
واتخاذه صناعة فيقال اما قلة خوضهم كان لقلة الحاجة اليه اذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان واما القصر
فقد كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال الخصم او لجاجه لطال فيه لا محالة والزامهم وما
كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا بمكيال بعد الشروع فيها واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذى كان
فى الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لا تتفق الا على الندور اما
ادخارا ليوم وقوعها وان كانت نادرة او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة
وهيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح
قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت فما المختار فيه عندك فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق
القول بذمه فى كل حال او بحمده فى كل حال خطا بل لا بد فيه من تفصيل واعلم اولا ان الشئ قد يحرم لذاته كالخمر والميتة
واعنى بقولى لذاته ان علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سالنا عنه اطلقنا القول بانه حرام
ولا نلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر لا ساغة من غص بلقمة اذا لم يجد ما يسيغها به سوى الخمر
والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك فى وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا
ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق
القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل
التفات الى اغلب الاحوال فان تصدى شئ تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى
علم الكلام ونقول فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال او مندوب او واجب كما
يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقايد
وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل فى الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص
فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق وله ضرر فى تاكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيتها فى صدورهم بحيث ينبعث
دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل ولذلك ترى
المبتدع العامى يمكن ان يزال اعتقاده باللطف فى اسرع زمان الا اذا كان نشوه فى بلد يظهر فيها الجدل والتعصب وبغض خصومه
المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى انه لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطاء
فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم الذى استطار
فى البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد يظن ان فايدته كشف
الحقايق ومعرفتها على ما هى عليه وهيهات فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل

فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعدا ما جهلوا
فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك
الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق له ان الطريق الى حقايق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا
ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور وفي امور جليه تكاد تفهم قبل التعمق في
صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو الحراسة للعقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات
المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد
تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم واجمع
السلف عليها لما فيها من تعبد دينهم ودنياهم عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة كما
تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان
يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدوا المخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة
وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقايدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا
الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم اشكالا او شكا ويزلزل عليهم
الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعا الى الحق بالتلطف
لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة القران والحديث الممزوج
بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل المصنوع على شرط المتكلمين اذا العامي اذا سمع ذلك اعتقد
انه نوع صنعة من الجدال تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين من اهل
مذهبه ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع من وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف
والوعظ والادلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل وانما ينفع هذا في موضع واحد
وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك
فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه
منها الا دواء الجدل فجاز ان يلقى اليه وهذا في بلاد يقل فيها البدعة ولا يختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على
ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت
البدعة شايعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر الذي اودعناه كتاب الرسالة
القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثيرات مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه
هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سوال او ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة
وظهر الداء فلا باس ان يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة
وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقايد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم
يشفه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فيتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر
قضاء الله فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله تعالى او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي
يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجا نفعه فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير
قواعد العقايد كالبحث عن الاعتمادات والاكوان وعن الادراكات والخوض في ان الروية هل لها ضد يسمى
المنع او العمى وان كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى او يثبت بكل مرئي يمكن رويته منع بحسب عدده
الى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد وزيادة اسولة

بشرشه

المشتغلون
تلقفوا

واجوبه

واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب
والتقرير غموضا ولو قال قايل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فايدة تشحيذ الخواطر والخواطر آلة الدين
كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين ايضا وذلك هوس فان
الخاطر يتشحذ بساير علوم الشرع ولا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحالة
التي يذم فيها والحال التي يحمد والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع والان
فقد ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة فلا بد وان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة
الاموال وساير الحقوق كالقضا والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم
ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه
ايضا من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان الحاجة لم تكن ماسة اليه فاعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من
قايم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب
تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر
وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال
احداها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية
الذكا والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجا
فيه نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق
بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة
بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذا الانقسامات
اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القران من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس
دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة
تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي رحمه الله وكافة السلف انما منعوا
عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل
عن علي بن ابي طالب من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل
حال نعم قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي
تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبه وكشف الحقايق ومعرفة الاشيا على ما هي
عليه ودرك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح لها الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال
بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوايب المجادلات وهي رحمة من الله تعالى تفيض على من يتعرض لنفحاتها
بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ
ساحله مسئلة فان قلت هذا الكلام مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها
خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوى
المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر
والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون
الذين تلقفوا في اول الصبى شيا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترقي الى شاو العلى ومقامات العلما والاوليا وذلك
ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقران ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي كرم الله وجهه واشار

ينفعه

الشرح م

وعمت

ينتفع به والذي م

الصدر ان هاهنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا امرنا ان نكلم الناس
على قدر عقولهم وقال عليه الصلوة والسلام ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من العلوم كهيئة المكنون
لا يعرفها الا العالمون بالله الحديث الى آخره كما اوردناه في كتاب العلم وقد قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا فلم منع من افشائه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى اخر فلم
لم يذكره لهم فلا شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيرها لرجمتموني وفي لفظ اخر لقلتم انه كافر وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام ولا صلوة ولكن لسر وقر في صدره ولا شك في ان ذلك السر كان متعلقا
بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهرها على غيره وقال سهل التستري رحمه الله
للعالم ثلثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره
لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة و
للنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو ظهروه لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان
النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض فيه وان الكامل من لا يطفي نور
معرفته نور ورعه ومدرك الورع النبوة **مسئلة** فان قلت فهذه الايات والاخبار يتطرق اليها تاويلات
فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال
ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا
يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا **فاعلم** ان هذا السوال
يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفات ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقايد
التي ذكرناها من اعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى
ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه
عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه
ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف
الشريعة او الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم
الاكثرون في علمها ويمتنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام الاول ان يكون الشي في نفسه دقيقا تكل
اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر
افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل
الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فان من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا
لبعض الاوليا والعلما وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتادبون بادب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله
سبحانه من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم
والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كانت لهم من الاوصاف ما يسمى علما
وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيا لم يفهموه
بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي او العنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما

على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة
فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال او مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم
ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت لنفسه
من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات
نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك وليس المعنى به اني اعجز عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال
بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته
الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن دركه
ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا
من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره القسم الثاني من الخفيات التي يمتنع الانبياء والصديقون
عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر
الذي منع اهل العلم به عن افشائه من هذا القسم فلا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس
بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور بقضاء
الله وارادته ومشيته حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم انه دلالة على السفه ونقيض الحكمة
والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك فكذلك سر القدر لو افشي لاوهم
عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها
وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة بعيدة
فيطول الامد واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله ولو ذكرت لعظم
الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم القسم الثالث
ان يكون الشي بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه
في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق
الخنازير وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان
ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر الباطن فيتفاوت الناس بذلك ومن هذا
قول الشاعر رجلان خياط واخر حايك متقابلان على السماء الاول لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه
ثياب المقبل فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن
المعنى بالصورة التي يتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله عليه الصلوة والسلام ان المسجد لينزوي من النخامة
كما تنزوي الجلدة من النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد ومعناه كونه معظما
ورمي النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله عليه الصلوة
والسلام اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا
يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق ومن
رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب
المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف ان هذا السر على خلاف
الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي فبان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه الصلوة والسلام

قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فامره السلف رحمهم الله على ظاهره من غير تفسير وخالف فيه قوم
وقالوا اذ فتشنا عن صدور المومنين فلم نجد فيها اصابع فعلم انه كناية عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها
الخفي وكنى بالاصابع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار والاول اسلم ومن هذا القبيل كناية
عن الاقتدار بقوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله تعالى كن ان كان
خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن
عن التكون ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها واما المدرك بالشرع
فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها الاية وان معنى الماء ههنا هو القران ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتمل شيئا كثيرا
وبعضها شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر فانه وان ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي
تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الاخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم
ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر القسم الرابع ان يدرك الانسان
الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر
والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد
فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما في العلم ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو
استكمال له فكذلك في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه
ولكن تحقيقه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وساير الاحوال ثلثة احوال
متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والاخر عند وقوعه والاخر بعد تصرمه
فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون
ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام
الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منه باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام
القسم الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير
بالحقايق يدرك السر فيه وهذا كقول القايل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم يتركني
وراي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة يخلقها الله
للسماء والارض وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والارض فتجيب بصوت وحرف و
يقولان اتينا طايعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه نبا عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرين الى التسخير
ومن هذا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فان البليد يفتقر فيه الى ان يقدر ان للجماد حياة وعقلا ونطقا
بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده
ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله تعالى كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وكما يقال هذه الصنعة
المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شيء
الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه
بالتقديس يدرك شهادته ذووا البصاير دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم
اما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شيء شهادات

قلوب

عن التكون

الى ان

لصانعها

يفقهون

شيء

شيء على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر رزقه وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم
المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصاير في علمه ويظهر به مفارقة الباطن الظاهر
وفي هذا المقام لارباب المقالات اسراف واقتصاد فمن مسرف في دفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر
والبراهين او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء فكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان وفي
الحساب وفي مناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء وزعموا ان كل ذلك لسان الحال وغلا
اخرون في حسم الباب منهم اصحاب احمد بن حنبل حتى منعوا تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف
وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه يقول انه حسم باب التاويل الا
لثلثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله عليه السلام قلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وقوله عليه السلام اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن
باحمد بن حنبل انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب
ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد
لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك لما
سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وذهبت طايفة الى الاقتصاد
ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالاخرة على ظواهرها ومنعوا من التاويل فيه
وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى تعلق الروية به واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن
بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها
على الماكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود
ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوه الى الام عقلية روحانية
ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس
وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا
الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع المجرد ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي عليها نظروا
الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة
هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام
احمد بن حنبل رحمه الله والان فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه
يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر ومخالفته له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة
امور كثيرة واذ قد راينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة
الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيه فترقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة
من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية
وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من الكتاب الفصل الثالث من كتاب قواعد العقايد في لوامع الادلة
للعقيدة التي ترجمناها فنقول الرسالة القدسية بسم الله الرحمن الرحيم وبه اعتصمت
الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين واثر رهط الحق بالهداية الى دعايم الدين وجنبهم زيغ الزايغين وضلال
الملحدين ووفقهم للاقتدا بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء اثار السلف الصالحين

يحرق

ففواعد العقايد

حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقايدهم بالمنهج المبين فجمعوا في القبول
بين نتايج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله
ليس له طايل ولا محصول ان لم يتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي
الشهادة على ايجازها يتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول فعلموا
ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول **الركن الاول** في معرفة ذات الله
ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله سبحانه وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا
بجهة ولا مستقرا على مكان وانه مرائي وانه واحد **الركن الثاني** في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه تعالى
حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة **الركن الثالث**
في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله
وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له تكليف ما لا يطاق وان له ايلام البري ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب
الا بالشرع وان بعثة الانبيا جايزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة ومويدة بالمعجزات **الركن الرابع**
في السمعيات وهو يدور على عشرة اصول وهو اثبات الحشر والنشر وعذاب القبر وسوال منكر ونكير والميزان والصراط
وخلق الجنة والنار واحكام شرايط الامامة وانخرام بعضها **فالركن الاول** من اركان الايمان وهو معرفة ذات الله
سبحانه وتعالى وان الله واحد ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** معرفة وجوده تعالى واولى ما يستضاء به من الانوار ويسلك
من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القران فليس بعد بيان الله بيان وقد قال الله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال
اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله
من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض لايات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا
وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة من
عقل اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الايات وادار نظره على عجايب خلق الله في الارض والسموات وبدايع
فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره
بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير ومصرفة بمقتضى تدبير ولذلك قال تعالى افي الله
شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبيا كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا
ان يقولوا لنا اله او للعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك
قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن
اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتدا بالعلما النظار نقول من بداية العقول ان الحادث لا يستغني
في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث لا يستغني عن سبب
يحدثه فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقدمه وتاخره فاختصاصه بوقته دون ما قبله
وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون

وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وفي هذا البرهان ثلث دعاوي **الاولى** ان الاجسام لا تخلو عن
الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا
كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا **والثانية** قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما
بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته
وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منها حادث لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال
عدمه على ما سياتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس **والثالثة** قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو
حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها وما لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي
النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان
لا يخلو عددها من ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا
جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات
الاخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون
وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لها لاعدادها ومحال ان يكون لا شفعا ولا وترا
اذ له دورات نهاية فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه
كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة **الاصل الثاني** العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده
اول بل هو اول كل شي وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر
محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل الى غير نهاية لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول
وذلك هو المطلوب الذي سميناه بصانع العالم وبارئه ومحدثه **الاصل الثالث** العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ابدي ليس
لوجوده آخر فهو الاول والاخر والباطن والظاهر لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو
اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شي يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شي بنفسه فكما
يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذي يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم
لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم
ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى
من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اولى واقوى من الحادث **الاصل الرابع**
العلم بانه ليس بجوهر متحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو
من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمي جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطيا من حيث
اللفظ لا من حيث المعنى **الاصل الخامس** العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر
واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم فمختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه
عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان نعتقد ان الصانع للعالم
جسم لجاز ان نعتقد الالهية للشمس والقمر او لشي آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من
غير ارادة التاليف عن الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم **الاصل السادس** العلم بانه تعالى
ليس بعرض قايم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف
يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر

وصيده ح

مختص ح

ليس ح

مُريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا الموجود قايم بنفسه مستقل بذاته
وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قايم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام
فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شئ بل هو الحى القيوم الحى ليس كمثله شئ وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر المصور
مقدره ومصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضا عليها بمماثلته ومشابهته

الاصل السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما سفل واما
يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هى التى خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين
احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والاخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الراس واسم السفل
لما يلى جهة الارض حتى ان النملة التى تدب متنكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا وان كان
فى حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحدهما اقوى من الاخرى فى الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى والشمال
لما يقابلها وسمى الجهة التى تلى اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث
اسم القدام للجهة التى يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم
يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق خلقه مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان فى الازل
مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن ابان خلق العالم تحته وتعالى ان يكون له
تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلى جهة الرجل فكل ذلك مما يستحيل فى العقل ولان المعقول
من كونه بجهة انه مختص بالحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا
وعرضا فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا فى الاسم مع المساعدة على المعنى
ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير
يحوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدى عند السؤال الى جهة السما فهو لانها قبلة للدعا وفيه
ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبريا تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى
فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

الاصل الثامن العلم بانه تعالى مستوى على عرشه بالمعنى الذى اراده الله تعالى
بالاستوا وهو الذى لا ينافى وصف الكبريا ولا يتطرق اليه سمات الحدث والفنا وهو الذى اريد بالاستوا
الى السما حيث قال فى القران ثم استوى الى السماء وهى دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر
قد استوى بشر على العراق ° من غير سيف ودم مهراق ° واضطر اهل الحق الى هذا التاويل لما اضطر اهل الباطل
الى تاويله قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله عليه الصلوة والسلام
قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه الصلوة والسلام الحجر الاسود يمين الله
فى ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستوا لو ترك على الاستقرار والتمكن
لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر منه وذلك محال وما يودى الى المحال فهو محال

الاصل التاسع العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصور والاقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئى بالاعين
والابصار فى الدار الاخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى فى الدنيا تصديقا لقوله تعالى
لا تدركه الابصار ولقوله تعالى فى خطاب موسى لن ترانى وليت شعرى كيف عرف المعتزلى من صفة رب الارباب
ما جهله موسى عليه السلام او كيف يسال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوى البدع والاهواء من الجهلة
الاغبيا اولى من الجهل بالانبيا واما وجه اجرا اية الرؤية على الظاهر انه غير مود الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم
الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك

جاز تعلق الرؤية به وكما يجوز ان يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز
ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة

الاصل العاشر العلم بان الله واحد لا شريك
له فرد لا ند له تفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه
وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيانه انهما لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثانى ان كان مضطرا
الى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا فلم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا
قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا

الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى فى قوله وهو على كل شئ قدير صادق لان العالم محكم فى صنعته
مرتب فى خلقته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم انصدر نسجه
من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا فى سلك اهل الغباوة والجهل

الاصل الثانى العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات
صادق فى قوله تعالى وهو بكل شئ عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك
الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشئ
الحقير الطفيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف كما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف

الاصل الثالث العلم بكونه تعالى حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر
دون ان يكون حيا لجاز ان يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات بل فى حياة ارباب الحرف
والصناعات وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات

الاصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا
موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل
صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب
الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة
فى تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده لجاز ان يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير
قدرة لانه سبق العلم بوجوده فيه

الاصل الخامس العلم بانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير و
خفايا الوهم والتفكر ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السودا فى الليلة الظلما على الصخرة الصما وكيف
لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف
واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص فى جنبته والكمال فى خلقته وصنعته او كيف تستقيم حجة
ابرهيم عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك
شيئا ولو انقلب عليه ذلك فى معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك
حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة
وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما

الاصل السادس العلم بانه تعالى متكلم بكلام وهو وصف قايم بذاته ليس بحرف
ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات
قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طايفة من الاغبيا ولم
يلتبس على جهلة الشعرا حتى قال قائلهم وهو الاخطل ان الكلام لفى الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا ومن لم
يعقل عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادث شئ قديم فاقطع عن عقله
طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شئ فان البا قبل السين فى قولك بسم الله

فلا يكون الستين المتاخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله ستر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل
الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى في الدنيا كلاما ليس بحرف ولا بصوت فليستنكران يرى في الآخرة
موجودا ليس بجسم ولا لون فان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية ولا كيفية وهو الى الآن لم ير
غيره فليعقل في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات
هي كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع والارض وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة
في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرائي في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والجنة
والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير
حلول ذات الكمال فيها اذ لو حل ذات الله تعالى بكتبه اسمه في الورق لحل ذات النار بكتبه اسمها في الورق ولاحترق
الاصل السابع ان كلامه القايم بنفسه قديم وكذى جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت
التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا يعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل
في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان محل الحوادث لا يخلوا
عنها وما لا يخلوا عن الحوادث فهو حادث وانما يثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغاير وتقلب
الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير ويبنى على هذا ان كلامه قديم قايم بذاته وانما الحادث
هي الاصوات التي هي الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده حتى
اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب ابيه من الطلب لتعلمه صار مامورا بذلك الطلب الذي قام
بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله اخلع نعليك انك بالواد المقدس
بذات الله تعالى ومصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم
الاصل الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث
له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا
حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم اخر فهكذا ينبغي ان يفهم
قدم علم الله تعالى **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللايقة
بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصارت محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا
بها كما لا تكون انت متحركا بحركة اخرى ليست في ذلك وكيف ما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذى
الارادة الاخرى يفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث
العالم بغير اراده **الاصل العاشر** ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع
بسمع وبصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القايل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا
عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا
قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل فكذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة
متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم
وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاضافات **الركن الثالث** العلم بافعال الله تعالى ومداره على
عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا محدث
الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له
في قوله تعالى الله خالق كل شئ وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور

السمع ما اعقله فى حاسة صح

محفوظا

كتابة اسم الله ذات الكلام فى الورق لحل ذات الله تعالى بكتبه اسمه فى الورق ولحل ذات النار صح

الحادثات

الاوصاف

الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل
على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد
فالحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها او
كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وساير الحيوانات من لطايف الصناعات ما تتحير
فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعه دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها
من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات **الاصل الثاني** ان انفراد
الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور
جميعا وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب
و وصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة
فسمي باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة و
الرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها
واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على
وجه اخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدورات ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة
الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولو لم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا اخر من التعلق فيه
يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل الثالث** ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج
عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته
ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة
والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله تعالى ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله
تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ويدل من جهة العقل ان المعاصي والجرايم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية
على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته تعالى فليت
شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف عنها
منها اذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستتب له لاستنكف من زعامته وتبرا عن ولايته والمعصية
هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب
عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد
ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده بفعل فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده
عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من
السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريد الامتثاله لكان
مريدا لهلاك نفسه وهو محال **الاصل الرابع** ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن
الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والامر
والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر
اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله تعالى حتى لا يعذبه في الاخرة بالنار او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان
ان يشرب الماء حتى لا يموت واما ان يراد به الذي عدمه يؤدي الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي

الحركة

الله تعالى

لہ محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله تعالى بالمعنى الاول فقد عرضه للتضاد
وان اراد به المعنى الثانى فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله
يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى ثم ان مصلحة العباد
فى ان يخلقهم فى الجنة فاما ان يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب
فما فى ذلك غبطة عند ذوى الالباب **الاصل الخامس** انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا
للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سوال دفعه وقد سالوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى
اخبر نبيه عليه السلام بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يامره بان يصدقه فى جميع اقواله وافعاله وكان من جملة
اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه فى انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده **الاصل السادس** ان لله ايلام
الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف فى ملكه فلا يتصور ان
يعدو تصرفه فى ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير اذنه وهو محال على الله فانه لا يصادف لغيره ملكا
حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهايم ايلام لها وما صبت عليها من انواع العذاب
من جهة الادميين لم تتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الالام ويجب ذلك
على الله احيا كل نملة وطبث وكل بقة فركت حتى يثيبها الله على ايلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف
الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم
اذ خرج عن المعانى المذكورة للواجب **الاصل السابع** انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما
ذكرناه من انه لا يجب عليه شئ بل لا يعقل فى حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعرى بم يجيب
المعتزلى فى قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسئلة نفرضها عليه وهى ان نفرض مناظرة فى الاخرة بين صبى مات مسلما
وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبى لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ
ويجب عليه ذلك عند المعتزلى فلو قال الصبى يا رب لم رفعت منزلته على فيقول لانه بلغ واجتهد فى الطاعة فيقول
الصبى انت امتنى فى الصبى فكان يجب عليك ان تديم حياتى حتى ابلغ فاجتهد فى الطاعة فقد عدلت عن العدل
فى التفضل عليه بتطويل العمر له دونى فلم فضلته فيقول الله تعالى لانى علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان
الاصلح لك الموت فى الصبى هذا عذر المعتزلى عن الله وعند هذا ينادى الكفار من دركات اللظى ويقولون
يا رب اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا فى الصبى فانا رضينا بما دون منزلة الصبى المسلم فبماذا يجاب
عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال
فان قيل مهما قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا
معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشئ قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الاخر
حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض البارى تعالى فهو محال اذ لا
غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يمكن الا بالتصرف فى ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق
غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشهى تشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم
معناه العالم بحقائق الاشيا والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح وانما الحكيم
منا يراعى الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء وفى الاخرة ثوابا او يدفع عن نفسه به رحمة ورقة وكل ذلك على الله
محال **الاصل الثامن** ان معرفة الله وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل
ان اوجب الطاعة فلا يخلوا اما ان يوجبها لغير فايدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفايدة

لله

تعالى فنقول لمن زعم انه يجب على الله تعالى ...

فيكون

هذا

وغرض وذلك لا يخلوا اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال تعالى فانه يتقدس عن الاغراض والفوايد بل الكفر والايمان
والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له فى الحال بل يتعب به
وينصرف عن الشهوات بسببه وليس فى المال الا الثواب او العقاب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة
ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص
وانما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين
الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الاخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع
والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبى ان العقل ليس يوجب على والشرع لا يثبت عندى
الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى ذلك الى افحام الرسول عليه السلام قلنا هذا يضاهى قول القايل للواقف فى موضع
من المواضع ان وراك سبعا ضاريا فان تتزعج عن المكان فتهلك وان التفت وراك ونظرت عرفت صدقى فيقول
الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت الى وراى ولا التفت وراى ولم انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة
هذا القايل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادى المرشد فكذلك النبى عليه السلام يقول وراءكم الموت ودونه
السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم اهلكتكم وتعرفون صدقى بالالتفات الى معجزتى فمن
التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر على ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما
على الرسول البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة
بامكان ما يقوله فى المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشئ واجبا ان فى تركه ضررا ومعنى
كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدى الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات
فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما فى تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا
اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر فى الاخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الانبيا خلافا للبراهمة
حيث قالوا لا فايدة فى بعثتهم اذ فى العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدى الى الافعال المنجية فى الاخرة كما لا يهدى
الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبيا كحاجتهم الى الاطبا ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف
صدق النبى بالمعجزة **الاصل العاشر** ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما
قبله من شرايع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والايات الباهرة كانشقاق القمر
وتسبيح الحصى وانطاق العجم وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن اياته الظاهرة التى تحدى بها كافة العرب
القران العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله
اذ لم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب
والانباء عن الغيب فى امور تحقق صدقه فيها فى المستقبل كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين
روسكم ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون الاية ووجه دلالة المعجزة
على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدى النبى عليه الصلوة والسلام
نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم بين يدى الملك المدعى على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال
للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضرورى
بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت **الركن الرابع** السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه ومداره
على عشرة اصول **الاصل الاول** الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لانه فى العقل ممكن
ومعناه الاعادة بعد الافنا وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم

قل يحييها الذي انشاها اول مرة الاية فاستدل بالابتدا على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة والاعادة ابتدا ثاني فهو ممكن كالابتدا الاول **الاصل الثاني** سوال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار
فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في
نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال فان النايم ساكن بظاهره ومدرك
من باطنه من الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام
ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والروية لم يدركوه
الاصل الثالث عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة
ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالحين الاستعاذة
من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل
الطير فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها **الاصل
الرابع** الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى
يحدث في صحايف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى
يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس** الصراط وهو جسر ممدود
على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤولون وهذا
ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهوا قادر على ان يسير الانسان على الصراط **الاصل السادس**
ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في
خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى قال لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون **الاصل السابع** ان الامام الحق بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه
وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك
فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير
النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق للاجماع وذلك مما لم يستجرا
على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله
عليه الصلوة والسلام عليهم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد ولا منازعة من
معوية معه في الامامة اذ ظن علي رضي الله عنه ان تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه مع كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر
يؤدي الى اضطراب امر الامامة ~~وتعرض الدماء للسفك~~ في بدايتها فراى التاخير اصوب وظن معوية ان تاخير
امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة وتعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال
قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطية علي ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة رضي الله عنهم
على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد ورد في الثناء عليهم اجمعين اخبار وآثار كثيرة وانما يدرك دقايق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي
والتنزيل بقراين الاحوال فلولا فهمهم لذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كان لا تاخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم عن
الحق صارف **الاصل التاسع** ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية
ونسب قريش لقوله عليه الصلوة والسلام الايمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام

الارواح

للمتقين م

ودقايق التفضيل ع

من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد للحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر
وجود العلم والورع فيمن تصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان
نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون من الضرار يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية
المصلحة فلا نهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام
وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة
الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها
كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه
وسعة جوده **الفصل الرابع من قواعد العقايد** في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال
وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلث مسايل **مسئلة** اختلفوا في
ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد
وقيل انهما شيان لا يتواصلان وقيل انهما شيان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا
كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا
ثلثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا
والاخرة فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي **البحث الاول** في موجب اللغة والحق فيه
ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم
والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان
ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو التسليم وترك للاباء والجحود
وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص
وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا **البحث الثاني** عن
اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وقد ورد على سبيل الاختلاف
وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال النبي
صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى
قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ها هنا تصديق القلب
فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل عليه السلام لما ساله عن الايمان فقال ان
تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال ما الاسلام فاجاب
فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن التسليم الظاهر بالقبول والعمل وفي حديث سعد انه عليه الصلوة والسلام
اعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا فلم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه
فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ايضا انه سئل عليه الصلوة والسلام فقيل له اي الاعمال افضل فقال الاسلام
افضل فقيل اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة
لان الايمان عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي
بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا فالاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف
كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة واما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو

الشرائط

الايمان ع

موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه
اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض
بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن
مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقوله عليه
السلام في حديث سعد اومسلم لانه فضل احدهما عن الاخرى ويريد بالاختلاف تفاصل المسمين واما التداخل
فموافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة
عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص
الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا اخرج قوله الايمان في جواب قول السايل اي الاسلام افضل لانه جعل
الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله فيه على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم
بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذى الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال
الظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم في معناه وهو جايز لان التسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته
وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام و
مطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين

البحث الثالث

عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان حكمان اخروي ودنياوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد
اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم
على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو فمن قايل يقول انه مجرد العقد ومن قايل يقول انه عقد بالقلب
وشهادة باللسان ومن قايل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلث
فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه هي درجة الاولى والدرجة الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو
القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكباير فعند هذا قالت المعتزلة يخرج بهذا
عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل
كما سنذكره ان شاء الله تعالى الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال
بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي رحمه الله العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل
بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان
لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله
صلى الله عليه وسلم لا يكفر احد الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكباير و
القايل بهذا قايل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في
الجنة فلا بد وان يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت
صلوة واحدة فتركها ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل
ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة
ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد الطاعات التي بتركها يبطل الايمان
وما عدد الكباير التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صاير اصلا الدرجة
الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مؤمنا
بينه وبين الله وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد

فانه

بلغ المقابلة

اوزنا ثم

اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح
بالايمان فكيف يخلد في النار ولم يشترط في حديث جبرئيل عليه السلام للايمان الا التصديق بالله تعالى و
ملائكته واليوم الآخر كما سبق الدرجة الخامسة ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي
الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ويقول هو مؤمن
غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد وان يكون الايمان موجودا بتمامه
قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان
الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قايلون
القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر
وقد غلا في هذا طائفة من المرجية فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى فلا يدخل
النار وسيبطل ذلك عليهم ان شاء الله تعالى الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله
ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الاخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك انه في حكم الدنيا التي
يتعلق بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه بقلبه
وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنياوي فيما بينه وبين الله وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق
بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني
وبين الله تعالى او نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا
منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال يناط في الظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر
له في نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان
حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر
حذيفة والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله
صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام
بل لان الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات
والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام
الذي يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجية وما
حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات القران اما المرجية قالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله
تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ولقوله
تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقوله كلما القي فيها فوج عام فينبغي ان يكون
كل من القي في النار مكذبا ولقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تعالى من جاء
بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون والايمان راس الحسنات ولقوله والله يحب المحسنين وقال تعالى
انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان بهذه الايات اريد به الايمان مع العمل
اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار
كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج
اذا لم يدخل ومن القران قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية

ويقال

بدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى الا ان
الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عمومات
ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان
منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلوا مومن عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصليها الا الاشقى
اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله تعالى كلما القي فيها فوج اي فوج من الكفار
وتخصيص العمومات قريب وعن هذه الاية وقع الاشعري وطائفة من المتكلمين في انكار صيغ العموم وان هذه
الالفاظ يتوقف فيها الى ان يرد قرينه تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى
وان منكم الا واردها ثم قال ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل اية
ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم فهذه العمومات
ايضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان تبقى له مشية في مغفرة ما سوى الشرك
وكذلك قوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا وقوله
ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل
مومنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل
وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له
ومتمم كما يقال الراس واليدين هو الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس لا يبطل بفقدها
فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها
اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والصحابة ما اعتقدوا مذهب المعتزلة
في الخروج عن الايمان بالزنى ولكن معناه غير مومن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا
ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية مسئلة فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف
هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من
اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز
ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه فلا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود بل
تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان
فان قلت فالاشكال قايم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنه ولم
نكترث بتشغيب من يشغب وكشفنا الغطا ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه الاول
انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل الخلق
كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على
الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا
بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذى النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله
عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم وهذا
موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يوثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يوثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال

تعالى زادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد قال عليه الصلوة والسلام فيما روي في بعض الاخبار
الايمان يزيد وينقص ذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة
على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى عقايد الايمان في هذه
الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده
فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل
بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب
تصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود عليها اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المهلكات
والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك
بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس واعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب
من عالم الملكوت والاعضا واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض
الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين
وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه وقال ٭ رق الزجاج ورقت الخمر ٭ فتشابها فتشاكل الامر ٭ فكانما خمر ولا قدح
وكانما قدح ولا خمر ٭ ولنرجع الى المقصود فان هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين ايضا اتصال
وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة يتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان ينكف عنها بالتكليف فهذا وجه زيادة
الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد
الصالحات نمت وزادت حتى تبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سودا فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود
القلب كله فيطبع على قلبه فذلك هو الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم الاية الاطلاق الثاني ان يراد به التصديق والعمل
جميعا كما قال عليه السلام الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مومن حين يزني واذا دخل العمل
في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يوثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا
فيه نظر وقد اشرنا الى انه موثر فيه الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر
والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف
طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث
وان كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليها وقد
تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات
ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي
بعض المواضع في حكم اخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت مسئلة
فان قلت ما وجه قول السلف انا مومنون ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون
عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال سفين الثوري من قال انا مومن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مومن
حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مومن في نفسه ومن كان مومنا في نفسه كان مومنا عند الله كما ان من كان
طويلا او سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذى من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان
هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفين ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا امنا
بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان نقول امنا بالله وما انزل الينا وبين ان نقول انا مومنون وقيل للحسن امومن انت
فقال ان شاء الله فقيل له تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق على الكلمة

العلمين

الیه

وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا
اعمل في غير معمل وقال ابرهيم اذا قيل لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسوالك
اياي بدعة وقيل لعلقمه امؤمن انت فقال ارجوان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله
وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناآت **فالجواب** ان هذا الاستثناء صحيح وله اربعة اوجه
وجهان مستندان الى شك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستند الى الشك **الوجه الاول** الذي
لا يستند الى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال تعالى
الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء
المرء على نفسه والايمان من اعلى صفات الحمد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كانها نقل من عرب التزكية
كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية
نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا
التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثنا **الوجه الثاني** التادب بذكر الله في كل حال واحالة الامور كلها الى مشيئة
الله فقد ادب الله سبحانه نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما
يشك فيه بل قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه
شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا
حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك
فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور وهذه الصيغة دالة عليه حتى صارت بعرف الاستعمال عبارة عن
اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منك رغبتك لا تشككك واذا
قيل فلان سيزول مرضه ويصح فيقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكك الى
معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى التادب بذكر الله كيف ما كان الامر **الوجه الثالث** ومستنده الشك ومعناه
انا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى
قسمين فيرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك
في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه والثاني
انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال اما العمل قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك
قال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فشرط عشرين وصفا كالوفا بالعهد والصبر على الشدايد ثم قال
اولئك الذين صدقوا وقد قال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل الآية وقال هم درجات عند الله وقال عليه الصلوة والسلام الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث
وقال عليه السلام الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان
بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص
وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات
واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب
مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح
والصديد فاي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر فاي المادتين غلب عليه ذهب به وقال صلى الله عليه وسلم اكثر

منافق

منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتي من دبيب النملة على الصفا وقال حذيفة كان الرجل
يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم
عشر مرات وقال بعض العلما اقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر
منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق مضاد صدق
الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن البصري
يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو او غيره لو نبت للمنافقين
اذناب ما قدرنا ان نطا على الارض باقدامنا وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم
فيه فقال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء
بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب
الي من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل
والمخرج وقال رجل لحذيفة اني خائف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن من
النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم
يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء
عليه فبينما هم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود
فقالوا يا رسول الله هذا الرجل هو الذي وصفناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى في وجهه سفعة من الشيطان
فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على
القوم انه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت ولما لم
اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد
قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيات وقال سري
السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام
عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقايق
النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسال حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين
وقال ابو سليمن الداراني سمعت من بعض الامراء شيئا فاردت ان انكره فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت
ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان
وصدقه وكماله وصفاه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين
في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار الى مدة او ينقص من درجات العليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك
مشكوك فيه فلذلك حسن فيه الاستثنا واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب
وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون **الوجه الرابع** وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه
لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الآخر
ولو سئل الصايم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صايم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة
على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام الصحة للايمان
ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكاء الخائفين

لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشية الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة لخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله تعالى ما من احد يامن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة والافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لا ينقدح ان يسال عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله تعالى ان الصوم الحقيقي هو المقبول والقبول مغيب عنه لا يطلع عليه الا الله فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والصلوة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

كتاب اسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على النبي محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة اما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلوة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذووا البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وانقائه وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب **الاولى** تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات **والثانية** تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام **والثالثة** تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة **والرابعة** تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله منه ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم يتنظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة فتطهيره احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة

السافلة

السافلة فلا تصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة من ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والوكد في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه على علو منصبه توضا بماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء قال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا ناكل الشواء فتقام الصلوة فندخل اصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل والاشنان والموائد والشبع فكان عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله في صلاته اذ اخبره جبريل عليه السلام ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم قال عليه الصلوة والسلام لم خلعتم نعالكم قال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعل فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كان يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض وياكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط من واحد منهم سوال في دقائق النجاسات بل هكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طايفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هو مبنى الدين فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم او توضا من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه القيمة وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مواكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فان قلت افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيأتهم ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني اقول هذا التكلف والتنظف باعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر على ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحا في نفسها فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل بها ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيرها منكرا بان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل تساهل الاولين وان يكون القصد به تزيين الظواهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحذور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزين

وان لاينكر على من يترك ذلك ولا يوخر بسببه الصلوة عن اوايل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه
او عن تربية علم او غيره فاذا لم يقترن به شئ من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك
الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعنى فيصير شغلهم به
اولى لان التشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا باس به اذا لم يخرج الى منكر او اسراف واما
اهل العلم والعمل فلا ينبغى ان يصرف من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر فى حقهم وتضييع للعمر
الذي هو انفس الجواهر واعزها فى حق من قدر على الانتفاع به ولا تتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيات
المقربين فلا ينبغى للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة ان التشبه بهم فى ان
لا يتفرغ لذلك الا لما هو اهم منه كما قيل لداود الطائى لم لا تسرح لحيتك قال انى اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم
ولا للعامل ان يضيع وقته فى غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصوده وتوهما بالقصار تقصيرا
فى الغسل فقد كانوا فى العصر الاول يصلون فى الفرا المدبوغه ولم يعلم فرق بين المدبغة والمقصرة فى الطهارة
والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم فى استنباط الاحتمالات الدقيقة
بل كانوا يتاملون فى دقايق الريا والظلم حتى قال سفين الثوري لرفيق له كان يمشى معه فنظر الى باب دار
مرفوع معمور لا تنظر اليه فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه
معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقايق لا فى احتمالات النجاسات
فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي
ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل المباح فى نفسه فيمتنع عليه المعاصى فى تلك الحال والنفس
ان لم تشغل بشئ شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم
اشرف من ان يصرف الى مثله فيبقى محفوظا عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير من الجوانب
وليتفطن بهذا المثال لنظايره من الاعمال وترتيب فضايلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب
فى حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق فى اموال الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستنبت
ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا فى هذا الكتاب لسنا نتكلم الا فى المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر لانا
فى الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة
عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهى التى تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره **القسم الاول** فى طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق فى المزال والمزال به والازالة **الطرف الاول** فى المزال وهي النجاسات
والاعيان ثلثة جمادات وحيوانات واجزاء الحيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل مشتد مسكر و
الحيوانات كلها طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسه الادمي والسمك
والجراد ودود التفاح وفى معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما
فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس
بالجز والموت ينجس والعظم ينجس الثانى الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع
والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض واما القيح والدم
والروث والبول نجس من ساير الحيوانات ولا يعفى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسه الاول
اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار فهو معفو عنه ما لم يعد المخرج والثانى طين الشوارع وغبار الروث فى الطرق يعفى
عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة والثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلوا الطرق عنها

الاولى

وما تولد منهما او من احدهما

مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه

فيعفى

فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان فى ثوبك
او فى ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما يترشح منها من قيح وغيره دلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه
فخرج منه الدم وصلى ولم يغسله وفى معناه ما يترشح من الدماميل التى تدوم غالبا وكذى اثر الفصد الا ما يقع نادرا
من خراج او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلوا الانسان عنها فى احواله ومسامحة
الشرع فى هذه النجاسات الخمسة يعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما ابدع فيها وسوسة لا اصل لها
الطرف الثانى فى المزال به وهو اما جامد او مايع اما الجامد فحجر الاستنجا وهو مطهر تطهير تخفيف بشرطان
يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المايعات فلا تزال النجاسة بشئ منها الا الما ولا كل ماء بل الطاهر الذي
لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقات النجاسة طعمه او لونه
او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من ماتين وخمسين منا وهو خمسماية رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه
وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعى رحمه الله هذا فى الراكد اما الجاري اذا
تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة وكذى النجاسة الجارية
اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جرى الماء اقوى
من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما انحدر عنها فنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع فى حوض قدر قلتين
واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعى رحمه الله وكنت اود ان يكون مذهبه
كمذهب مالك فى ان الماء وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوساوس اشتراط القلتين
ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتامله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان
مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر بهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن
اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر الصحابة لم ينقل واقعة فى الطهارة ولا سوال عن كيفية حفظ
الماء عن النجاسات وكانت اوانى مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضا
عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية وهذا كالصريح فى انه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية
واناءها غالب يعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السوال فى تلك الاعصار دليل اول
وفعل عمر دليل ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الانا للهرة وعدم تغطيتهم الاوانى
منها بعد ان يرى انها تاكل الفارة ولم يكن فى بلادهم حياض تلغ السنانير فيها ولم تكن تنزل فى الابار والرابع ان
الشافعى نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم يتغير ونجسة ان تغيرت واي فرق بين ان يلاقى الماء النجاسة
بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القايل ان قوة الورود دفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة
النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء فى اجانة فيها ثوب نجس
او طرح الثوب النجس فى الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد فى غسل الثياب والاوانى والخامس انهم كانوا يستنجون
على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف فى مذهب الشافعى انه اذا وقع بول فى ماء جاري ولم يتغير انه يجوز التوضى
به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري ان الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب
الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري فى المياه الجارية فى انابيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما الفرق وان جرى فما الفرق
بين ما يقع فيها وبين ما يقع فى مجرى الماء من الاوانى على الابدان وهى ايضا جارية ثم البول اشد اختلاطا بالماء
الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذا قضى بان ما يجرى عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجتمع فى مستنقع قلتان فاي
فرق بين الجامد والمايع والماء واحد والاختلاط اشد من الجوار السادس انه اذا رطل من البول فى قلتين ثم فرقتا

بتقصير

لتغيير

فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل فليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير اولى
اوبقوة كثرة الماء بعد انقطاع وزوال الهامع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار
الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي
النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس انهم كانوا ينظرون
الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله الماء الطهور لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه
اوريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مايع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما
نرى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته لصيرورته ملحا وزوال الصفة الكلبية عنه وكذلك الخل
يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف
غلبته بغلبة طعمه او لونه اوريحه فهذا هو المعيار وقد اشار الشرع اليه في الماء القوى على ازالة النجاسة وهو جدير
بان يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين
وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظن ان ذلك عفوا اذ لو كان كذلك لكان كاثر الاستنجاء
ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا يجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل واما قوله عليه الصلوة والسلام
لا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال انه اراد به انه في الغالب لا يتغير
بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله
لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل اي يقلبه الى صفته كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي ينقلب وذلك لان الناس قد
يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في انها تغيرت تغيرا موثرا ام لا
فبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا
ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات
المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلي في امور النجاسات الى المساهلة فيما من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس
ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسايل **الطرف الثالث في كيفية الازالة والنجاسة**
ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين
وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرايحة
فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفا عنها الا اذا كان الشيء له رايحة فايحة تعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات
متوالية يقوم مقام الحت والقرص في اللون والمزيل للوسواس ان تعلم ان الاشيا خلقت طاهرة بيقين فما لا تشاهد
نجاسة عليها ولا تعلمها يقينا تصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات **القسم الثاني**
طهارات الاحداث وفيها الوضوء والغسل والتيمم وتتقدمها الاستنجاء فنورد كيفيتها على الترتيب مع ادابها
وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة **اداب قضاء الحاجة** ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء
وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل
القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في البناء والعدول عنها في البناء ايضا احب وان تستر في الصحراء براحلته جاز وكذا
بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجر المثمر ولا في الجحرة وان يتقي الموضع
الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه على رجله اليسرى وان كان في بنيان فيقدم
الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قايما قالت عايشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يبول قايما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه رآني النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابول قايما فقال يا عمر لا تبل

اولونه م

النجس

رسول الله

قايما

قايما وفيه رخصة لما روى حذيفة انه عليه الصلوة والسلام بال قايما قال فاتيته بوضوء فتوضا ومسح على خفيه
ولا يبول في المغتسل قال عليه الصلوة والسلام عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس
ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله
من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد
النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة وان يستبري من البول بالتنحنح والنتر ثلثا وامرار
اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه
بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس
وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اعني رش الماء وقد كان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة
فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم
ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغايط او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن
الخراءة فقال بلى وابيك اني لاحسنها واني بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعى
اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرايحة يكون بالبادية والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه
والاجفال ان يرفع عجزه وذلك رخصة ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس **كيفية الاستنجاء** ثم يستنجي لمقعدته بثلثة احجار فان انقى كفى والا
استعمل رابعا فان انقى بها استعمل خامسا لان الايتار مستحب قال عليه الصلوة والسلام من استجمر فليوتر وياخذ الحجر
بيساره ويضعها على مقدم المقعد قبل موضع النجاسة ويمدها بالمسح والادارة الى الموخر وياخذ الثاني ويضعها
على الموخر كذلك ويمدها الى المقدمة وياخذ الثالث فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من
المقدمة او الموخر اجزاه ثم ياخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلثا
في ثلث احجار او في ثلثة مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب
ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر
ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك
الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم
النجاسات الفضلات الباطنة ما لم تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره ان يصل الماء اليه
فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش
ويدلك يده بحايط او بالارض ازالة للرايحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ما هذه الطهارة
التي اثنى الله تعالى بها عليكم قالوا انا كنا نجمع بين الماء والحجر **كيفية الوضوء** اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء
فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغايط الا توضا ويبتدي بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان افواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله
في الصلاة وقال عليه الصلوة والسلام صلاة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وقال لولا ان اشق
على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال عليه الصلوة والسلام ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان
وكان عليه الصلوة والسلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس انه قال لم يزل صلى الله عليه وسلم يامرنا بالسواك
حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب وقال علي بن ابي طالب

تظهر

القرآن

السواك

كرم الله وجهه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون
والسواك على اذانهم وكيفيته ان يستاك بخشب الاراك اوغيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيد القلح
ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه
وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما تكره رايحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول
بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى عليه اى لا وضوء كاملا ويقول
عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلها الاناء
ويقول اللهم انى اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلاة
ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم ياخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلثا ويغرغر
بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم
ياخذ غرفة لانفه ويستنشق بها ثلثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق
اللهم اوجدنى رايحة الجنة وانت عنى راض وفي الاستنثار اللهم انى اعوذ بك من روايح النار ومن
سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبدأ تسطيح الجبهة
الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان على طرفى
الجبين فانهما من الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في
جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثانى على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور
الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازيان الاذنين
من مبدأ اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعنى ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة
حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر
العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي انه عليه الصلوة والسلام فعل ذلك ويامل عند
ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه
اوليائك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل
يديه الى مرفقيه ثلثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعالى العضد فانهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين
من اثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه الصلوة والسلام من استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وروى ان الحلية
تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمين ويقول اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال
اللهم انى اعوذ بك ان تعطينى كتابى بشمالى او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق روس اصابع
اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك
ثلثا ويقول اللهم غشنى برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما
وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخى اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين
استظهارا ويكرر ذلك ثلثا ويقول اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعنى منادى
الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه الصلوة والسلام مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ويقول اللهم
فك رقبتى من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع
الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم
يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمى عن الصراط المستقيم يوم تزل اقدام المنافقين

ويذيب

يقال رجل انزع بين النزع وهو الذي انحسر الشعر عن جانبى جبهته وموضع النزع وهما النزعتان صح

ويرفع

ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسى استغفرك واتوب
اليك فاغفر لى وتب على انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى
من عبادك الصالحين واجعلنى شكورا واجعلنى اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد
الوضوء ختم على وضوءه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة
ويكره في الوضوء امور احدها ان يزيد على الثلث وان يسرف في الماء توضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا ثلثا
وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال عليه الصلوة والسلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال
من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور قال ابرهيم بن ادهم يقال ان اول ما يبتدأ الوسواس من قبل الطهور وقال
الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره ان ينفض يده فيرش الماء وان يتكلم في اثناء وضوءه
وان يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري ولكن روي معاذ
انه عليه الصلوة والسلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عايشة انه كان له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن
عايشة ويكره ان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا بالمشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابى هريرة كراهية
الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضا ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر ومهما فرغ
عن وضوءه واقبل على الصلوة ينبغى ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغى ان يستحيى من مناجاة الله
تعالى من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة والتخلق
بالاخلاق الحميدة اولى وان من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعوا ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات
واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرانى من الدار وما اجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار **فضيلة الوضوء**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال عليه السلام ايضا الا انبئكم
بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة
بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط وتوضا صلى الله عليه وسلم مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل
الله الصلاة الا به وتوضا مرتين مرتين وقال من توضا مرتين اتاه الله اجره مرتين وتوضا ثلثا ثلثا وقال هذا
وضوئى ووضوء الانبياء قبلى ووضوء خليلى ابرهيم وقال عليه الصلوة والسلام من ذكر الله عند وضوءه طهر الله
جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال عليه الصلوة والسلام من توضا على طهر كتب الله
له به عشر حسنات وقال عليه الصلوة والسلام الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء
وقال عليه الصلاة والسلام اذا توضا العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا
من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من
يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح براسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل
رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى
ان الطاهر كالصايم وقال صلى الله عليه وسلم من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء
وقال عمر رضى الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع الا يبيت الا طاهرا
ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه **كيفية الغسل** وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمى الله

منها

المذمومة

اجدره للتعرض

تعالى ويغسل يديه ثلثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضاء وضوءه للصلوة كما
سبق الا غسل قدميه فانه يوخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كالاضاعة للما ثم يصب الما على شقه الايمن
ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا ثم على راسه ثلثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس واللحية ويوصل الما
الى منابته ما كثف منه او خف وليس على المراة نقض الضفاير الا اذا علمت ان الما لا يصل الى خلل الشعور ويتعهد
معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء واذا توضا قبل الغسل فلا يعيده
بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من المسايل
يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل امران النية واستيعاب
البدن بالغسل وفي الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل
الرجلين الى الكعبين والترتيب واما الموالاة فليست بواجبه والاغسال الواجبة اربعة الغسل لخروج المني ولالتقا
الختانين وللحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كالغسل للجمعه والعيدين والاحرام ولوقوف عرفه ومزدلفه
ولدخول مكه وثلثة اغسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول وللكافر اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق
ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم** من تعذر عليه استعمال الما بفقد بعد الطلب او بمانع له
عن الوصول اليه من سبع او حابس او كان الما الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره ولم
يبع منه الا باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة الضنى فينبغي ان
يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار
ويضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلاة ولا
يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خفت او كثفت ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك
بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه
ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث
لا يجاوز اطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر
ساعده اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى
على ظهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل
الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب بضربتين وزياده فاذا صلى
به الفرض فله ان يتنفل كيف شا فان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة
بتيمم **القسم الثالث من النظافة** التنظف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان اوساخ واجزا **النوع الاول**
الاوساخ والرطوبات المترشحه وهي ثمانيه **الاول** ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل فالتنظف عنه مستحب
بالغسل وبالترجيل والتدهين ازالة للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به
ويقول عليه السلام ادهنوا غبا وقال من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثاير الراس
اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان **الثاني** ما يجتمع من الوسخ
في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام
فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع **الثالث** ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها
الاستنشاق والاستنثار **الرابع** ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة
وقد ذكرناهما **الخامس** ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم تتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح

وصف لك

طرف الايمن

بالمشط

بالمشط وفي الخبر المشهور انه عليه الصلوة والسلام كان لا يفارقه المشط والمدرى والمراة في سفر ولا حضر وهي
سنة العرب وفي خبر غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية قد ملات ما بين
منكبيه وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان علي عريض اللحية قد ملات ما بين منكبيه وفي
حديث اغرب منه قالت عايشه رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته
يطلع في الحب يسوي من راسه ولحيته فقلت او تفعل ذلك يا رسول الله صلى الله عليك قال نعم ان الله يحب من عبده
ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على خلاق غيره وتشبيها
للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظايفه ان يسعى في تعظيم امره
في قلوبهم كي لا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته في اعينهم كي لا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون
بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي من ظاهره ما لا
يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف من المقصود
فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد ولقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه
شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رايج عليه
بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير
فيرى جماعة من العلما يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب
الى الله بذلك وهذا امر ينكشف يوم تبلى السراير ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز
السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر **السادس** وسخ البراجم وهي معاطف
ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ
فامرهم صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم **السابع** تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وسلم بذلك العرب وهي
روس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها لم يكن يحضرها المقراض في كل وقت فيجتمع فيها اوساخ فوقت
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما لكنه امر بتنظيف
ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطا الوحي فلما هبط عليه جبرئيل عليه السلام قال له
كيف تنزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ
الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى فلا تقل لهما اف اي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذى
بهما كما يتاذى بما تحت الظفر **الثامن** الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله
الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت
بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدردا وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت
بيت الحمام يبدي العورات ويذهب الحيا فهذا تعرض لافته وذلك لحصلته ولا باس بطلب فايدته عند الاحتراز
من آفته ولكن على داخل الحمام وظايف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وهو ان يصونها عن نظر
الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة
الى العانة وفي اباحة مسها ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين في التحريم
بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة اعني الفخذ والواجبان في عورة الغير ان يغض بصر نفسه عنها وان ينهى
عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب
او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام اخر فاما

وواجبان في عورة غيره اما الواجبان في عورته ح

قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرًا بل لا بد من الذكر فلا يخلوا قلب عن التاثر بسماع الانكار
وفي استشعار الاجتراء عند التعيير بالمعاصي وذلك يوثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه
ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا تخلوا عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة
الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونه عورة وقد الحقه الشرع بالعورة وجعله كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية
الحمام قال بشر بن الحارث رحمه الله ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلي له الحمام ورؤي ابن عمر في الحمام
ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار
للراس يتقنع به ويحفظ عينيه **واما السنن فعشرة الاول** النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل
هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذى
ما ينتظره الحمامي فتسليم الاجرة دفع الجهالة من احد العوضين وتطيب لنفسه ثم يرفع رجله اليسرى عند الدخول
ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او
يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطون للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة
فيه شايبة من قلة الحيا وهو مذكر للتامل في العورات ثم لا يخلوا الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف
في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل جناحيه عند الدخول
ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه
بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار فله مؤونة وفيه تعب وان يتذكر حر النار
بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت
والظلام من فوق نعوذ بالله منها بل العاقل لا يغفل عن ذكر الاخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له
في كل ما يراه من ماء اونار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك
دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتامل
نسجها والنجار الى السقف يتامل كيفية تركيبها والبناء الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك
سالك طريق الاخرة لا يرى من الاشيا الا ما يكون له موعظة من الآخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله له فيه طريق
عبرة فان نظر الى سواد تذكر به ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا
والزبانية وان سمع صوتا هايلا تذكر نفخة الصور وان راى شيا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة ردا وقبول في
سوق اودار تذكر ما ينكشف له من آخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على
قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الاخرة استحقرها
ان لم يكن ممن اقفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لا يجيب بلفظ السلام بل يسكت
ان اجاب غيره وان اجاب قال عافاك الله ولا باس ان يصافح الداخل ويقول عافاك الله ولا يبداء الكلام ثم لا يكثر
الكلام في الحمام ولا يقرا القران الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين
وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس ان يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه
اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به بذلك ويدل على جوازه
ما روي بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره
فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل
الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسال عنه وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة

الاحتراز

والفضل م

الاستغفار و ح

الطب فقد قيل الحنا بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة تطفي الحرارة وتنقي اللون وتزيد في
الجماع وقيل بوله في الحمام قائما في الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل
القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الراس عند الخروج وكذى شربه
وهذا حكم الرجال اما النسا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور
حرام على الرجال دخول الحمام الا بميزر سابغ وحرام على المراة دخول الحمام الا نفسا او مريضة ودخلت عايشة رضي الله
عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بميزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا
لها على المكروه **النوع الثاني** فيما يحذف من البدن من الاجزاء وهي ثمانية الاول شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظف
ولا بتركه لمن يدهن ويرجل الا اذا تركه قزعا اي قطعا فهو داب اهل الشطارة او ارسل الذوايب على هياة اهل الشرف
حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم
قصوا الشوارب وفي لفظ جزوا الشوارب وفي لفظ آخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفافي الشفة اي
حولها وحفاف الشيء حوله ومنه قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ اخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال
وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم واما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب
من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا باس بترك
سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اولا يصل اليه وقوله
عليه السلام اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء
الحلق وراه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود في الابتداء
نتفه فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في
خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع حلق شعر العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر
عن اربعين يوما الخامس الاظفار وقلمها مستحب لبشاعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اقلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ
فلا يمنع ذلك صحة الوضوء اما لانه لا يمنع وصول الماء او لانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ
التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدي للعرب واهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم بالقلم
وينكر عليهم ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوة ولو امر به لكان فيه فايدة اخرى وهي التغليظ
والزجر عن ذلك ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي انه صلى الله عليه وسلم بدا
بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدا في اليسري بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى الخنصر والختم بابهام
اليمنى ولما تاملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء
الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم
عند الله انه لا بد من قلم الاظفار اليد والرجل واليد اشرف من الرجل فيبدا بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدا بها
على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم من بعدها ينبغي ان يبتدى
بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام هو اليمين
وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مايلا الى جهة الارض اذ جهة حركة
اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف غالبا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف صارت

ويقصرون

وختم

الفعل

الجهة م

الاصابع فى حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فتقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها وتبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعًا على الكف حتى تصير الاصابع كالشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندى ان لا يثبت فيه نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل فان المعانى التى ذكرناها لا تتجه ههنا اذ لا مسبحة فى الرجل وهذه الاصابع فى حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمين فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقايق فى الترتيب تنكشف بنور النبوة فى لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء ربما لم يخطر لنا فاذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا باعانته صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التى يتردد الفاعل فيها بين قسمين او اقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعانى سجية اولياء الله تعالى وكلما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال وتركها سدى ابعد كانت مرتبته الى رتبة الاولياء والانبياء اكثر وكان قربه من الله اظهر اذ القريب من النبى وهو قريب من الله لا بد وان يكون قريبًا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم فانه كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلثا وفى اليسرى اثنين فبدايته باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان الله تعالى وتر يحب الوتر فلا ينبغى ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الرب ولذلك استحب الايتار فى الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث وهى وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان المرة الواحدة لا يستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خصص اليمين بالثلث لان التفضيل لا بد منه للايثار واليمين افضل فهو بالزيادة احق وان قلت اقتصاره على اثنين لليسرى ما معناه وهو زوج فذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع شفعا ان الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته فى الاحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل فى كل واحدة ثلثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك فى الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصى دقايق ما راعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الامر فقس بما سمعته ما لم نسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم الا درجة النبوة وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذى حصل له المال واستقل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل المال له ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فامثال هذه المعانى مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا الانبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبياء عليها عليهم السلام الا العلماء الذين هم ورثة الانبياء **السادس والسابع** زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع فى اول الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتاخير الى ان يثغر الولد فهو احب الى وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وينبغى ان لا يبالغ فى خفض المراة قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمى ولا تنهكى فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اى اكثر لماء الوجه ودمه واحسن فى جماعها فانظر الى جزالة لفظه فى الكناية والى اشراق نور النبوة من مصالح الاخرة التى هى اهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امى من هذا الامر

بسمح اليمنى والختم مع او وضع ظهر الكف على ظهر الكف مع

النازل

النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم **الثامن** ما طال من اللحية وانما اخرناها لنلحق بها ما فى اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية احب لقوله عليه الصلوة والسلام اعفوا اللحى والامر فى هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شى حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية الا ونقص العقل

فصل وفى اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين **اما الاول** وهو الخضاب بالسواد فهو منهى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب اهل النار وفى لفظ اخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر وقد كان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل المراة الى عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم بشيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى اخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة **الثانى** الخضاب بالصفرة والحمرة جائز تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحنا للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل الغزو وذلك لا باس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة **الثالث** تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشباب واظهارا للكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة لا يوثر الشيب فيها ومن كان غريزته الحمق فطول المدة تؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسئله دونهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما اتى الله تعالى عبدا علما الا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقوله انهم فتية امنوا بربهم الاية وقوله واتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له ولم يا ابا حمزة وقد اسن فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب فقيل اوشين هو فقال كلكم تكرهونه ويقال ان يحيى بن اكثم ولى القضا وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل فى مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضى ايده الله تعالى فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاها فافحمه وروى عن مالك انه قال قرات فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال ابو عمرو بن العلاء اذا رايت رجلا طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس وقال ايوب السختيانى ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال على بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو

نقص العقل

يكرهه

امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابى عمرو بن العلا ايحسن من الشيخ ان يتعلم من الصغير قال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد راه يمشى خلف بغلة الشافعى رحمه الله يا ابا عبد الله تترك حديث سفين بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال احمد لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الاخر ان علم سفين ان فاتنى بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتنى لم ادركه بعلو ولا بنزول **الرابع** نتف بياضها استنكافا من الشيبة وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو فى معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور من الله والرغبة عنه رغبة عن النور **الخامس** نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن ابى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته واما نتفها فى اول الشباب تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فلله ملائكة يقسمون والذى زين بنى ادم باللحى وهى من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النسا وقيل فى غريب التاويل اللحية هى المراد بقوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء وقال اصحاب الاحنف وددنا ان نشترى للاحنف لحية ولو بعشرين الفا وقال شريح القاضى وددت ان لى لحية بعشرة الاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والترفع فى المجالس واقبال الوجوه اليه والتقدم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية وقد قيل ان اهل الجنة مرد الا هرون اخى موسى عليهما السلام فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا **السادس** تقصيصها كالتعبئة طاقة على طاقة للتزين للنسا والتصنع قال كعب يكون فى اخر الزمان اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم **السابع** الزيادة فيها وهو ان يزيد فى شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحى او ينتهى الى نصف الخد وذلك يباين هياة اهل الصلاح **الثامن** تسريحها لاجل الناس وقال بشر فى اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد **التاسع والعاشر** النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب وذلك مذموم فى جميع اجزاء البدن بل فى جميع الاخلاق والافعال على ما سياتى بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلثة احاديث من سنن الجسد اثنا عشر خمس منها فى الراس فرق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلثة فى اليد والرجل وهى القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب واربع فى الجسد وهى نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجا بالما فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذ كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق ان فضلات الباطن واوساخه التى يجب التنظف عنها {منها} اكثر من ان تحصى وسياتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطريق فى ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده

واوساخها

كتاب اسرار الصلوة ومهماتها وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى غمر العباد بلطايفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظايفه الذى جعل النزول عن عرش الجلال الى سماء الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبريا بترغيب الخلق فى السوال والدعا فقال تعالى هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد فى المناجات بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلاة على محمد

بنبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما **اما بعد** فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وراس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا فى فن الفقه فى بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ومعولا له اليه يفزع ويرجع ونحن الان فى هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية فى معانى الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها فى الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة ابواب **الباب الاول** فى فضايل الصلوات **الباب الثانى** فى تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلاة **الباب الثالث** فى تفصيل الاعمال الباطنة منها **الباب الرابع** فى الامامة والقدوة **الباب الخامس** فى صلاة الجمعة وادابها **الباب السادس** فى مسايل متفرقة تعم بها البلوى **الباب السابع** فى التطوعات

الباب الاول فى فضايل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله تعالى وام بالناس وهم به راضون ورجل اذن فى مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل فى تفسير قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت فى المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا فى الحيعلتين فانه يقول فى الاولى لا حول ولا قوة الا بالله وفى الثانية كذلك وفى قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفى التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة {والدرجة الرفيعة} وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملائكة

فضيلة المكتوبة قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا وقال النبى صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه شئ قالوا لا قال فان الصلوات الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ايضا ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير وقال عليه الصلوة والسلام بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال عليه الصلوة والسلام من لقى الله وهو مضيع للصلوة لم يعبا الله بشئ من حسناته وقال الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل عليه الصلوة والسلام اى الاعمال افضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئا احب اليه من الصلاة ولو كان شئ احب اليه منها تعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقايم وقاعد وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر اى قارب ان ينخلع من الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد برى من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة من توضا فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه فى صلاة ما كان يعهد الى الصلوة وانه يكتب له باحدى خطوتيه

حسنة ويمحا عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارًا قالوا لم يا ابا هريرة
قال من اجل كثرة الخطا ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه
وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مُر اهلك بالصلوة
فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلما مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى
يخلص له راس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان ابو بكر يقول اذا حضرت الصلوة
قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها **فضيلة اتمام الاركان** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة
المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها
موزونة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان
ما بين صلاتيهما كما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال عليه الصلاة والسلام لا ينظر الله عز وجل الى العبد
يوم القيمة لا يقيم صلبه من بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة
ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال عليه الصلوة والسلام من صلى الصلاة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها
وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ
وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعتني ضيعك الله حتى
اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال عليه الصلوة والسلام اسوء
الناس سرقة من يسرق من صلاته وقال ابن مسعود وسلمان الصلاة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف
فقد علم ما قال الله تعالى في المطففين **فضيلة الجماعة** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل
صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسًا في بعض الصلوات فقال لقد هممت
ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم فيحرقون عليهم بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد
عظما سمينا لشهدها يعني به صلاة العشا وقال عثمان مرفوعًا من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد
الصبح فكانما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة في جماعة فقد ملى نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب
ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخًا ان تعوجت
قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروى ان ابا عبيدة
بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي انفا حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا أؤم ابدًا وقال
الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم بالناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء
في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي
ولد لعزاني اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع
المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان تملا اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء
فلا يجيبه ويروى ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون
لفضل هذه الصلاة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يومًا الصلوات في جماعة
لا تفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيمة يحشر قوم
وجوههم كالكوكب الدري فيقول لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا
غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس
فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروى ان السلف كانوا يعزون بعضهم بعضا ثلثة ايام اذا فات احدهم التكبيرة

الاولى ويعزون سبعًا اذا فاتتهم الجماعة **فضيلة السجود** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله
عز وجل بشيء افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه خطيئة
وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة
فقال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله اذا كان ساجدًا وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب
وقال الله عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور
الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيمة من اثر الوضوء
وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه امر هذا بالسجود
فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم
الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط
يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني
وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة ابن مسلم ما من خصلة في العبد
احب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدًا وقال
ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك **فضيلة الخشوع** قال الله تعالى واقم
الصلاة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة
فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وهو مذكور في الصحيح وقال صلى الله
عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتباس وتنادم وتقنع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي
خداج روي عن الله عز وجل في الكتب السالفة ان الله سبحانه وتعالى يقول ليس كل مصل اتقبل صلاته انما اقبل
صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادي واطعم الفقير الجائع لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة
وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى
عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم للذي اوصاه واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع اي مودع
لنفسه مودع لهواه مودع لعمره ساير الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
وقال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله
الا بعدًا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك
بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على
مولاك بغير اذن فكلمته بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا
ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم
لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابرهيم الخليل عليه السلام اذا قام الى الصلاة يسمع
وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن
نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم زوجني من الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت
تعبث بالحصى وقيل لخلف ابن ايوب الا يؤذيك الذباب في الصلوة فتطرده فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي

صلاتى قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغنى ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور
ويفتخرون بذلك فانا قايم بين يدى ربى افاتحرك لذبابه ويروى عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلاة قال لاهله
تحدثوا انتم فانى لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلى يومًا فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس
لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان على بن ابى طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون
وجهه فقيل له مالك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت اداء امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملتها ويروى عن على بن الحسين انه كان اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي
يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدى من اريد ان اقوم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال قال داود
عليه السلام فى مناجاته الهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فاوحى الله اليه يا داود انما يسكن بيتى وانقبل
الصلاة ممن تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من اجلى ويطعم الجايع ويوى الغريب
ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره فى السماء كالشمس ان دعانى لبيته وان سالنى اعطيته اجعل له فى الجهل حلما
وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورًا وانما مثله فى الناس كالفردوس فى الجنان لا تيبس انهارها ولا يتغير ثمارها
ويروى عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة
فيه فاقعد فيه حتى يجتمع جوارحى ثم اقوم الى صلاتى فاجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن
يمينى والنار عن يسارى وملك الموت وراء ظهرى واظنها اخر صلاتى ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرًا
بتحقيق واقرا قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافترش ظهر قدمها
وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادرى اقبلت منى ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان
فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه **فضيلة المسجد ومواضع الصلاة** قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من
آمن بالله وقال النبى صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم من الف مسجدا الفه الله عز وجل وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس
وقال لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد وقال الملائكة تصلى على احدكم ما دام فى مصلاه الذي يصلى فيه
ويقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال يأتى فى آخر الزمان ناس من امتى يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة وقال عليه الصلوة
والسلام قال الله عز وجل فى بعض الكتب ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته
ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زايره وقال عليه الصلاة والسلام اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له
بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه فما حقه الا ان يقول الا خيرًا ويروى فى الاثر
او فى الخبر الحديث فى المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال النخعى كانوا يرون ان المشى فى الليلة
المظلمة الى المسجد موجب اى للجنة وقال انس بن مالك من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون
له ما دام فى ذلك المسجد ضوء وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الارض
ومصعد عمله من السماء ثم قرا فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس يبكى عليه الارض
اربعين صباحا وقال عطاء الخراسانى ما من عبد مؤمن سجد لله تعالى سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت
له بها يوم القيمة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت
على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلى الا تزخرفت له
الارض ويقال ما من منزل ينزل له قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلى عليهم او يلعنهم **الباب الثانى فى كيفية**

الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداية بالتكبير وما قبله ينبغى للمصلى اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث
فى البدن والثياب والمكان من ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قايما متوجها الى القبلة ويراوح بين
قدميه فلا يضمها فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه الصلوة والسلام عن الصفن والصفد
فى الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد والصفن هو رفع احدى
الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد فهذا ما يراعى فى رجليه عند القيام ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه
الانتصاب واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر
وليكن بصره محصورًا على مصلاه الذي يصلى عليه فان لم يكن مصلى فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقصر
مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا القيام كذلك
الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرا قل اعوذ برب
الناس تحصنا بها من الشيطان ثم ليات بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية
وهو ان ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه اؤدى فريضة الظهر لله ليميزها بقوله اؤدى عن القضاء وبالفريضة
عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره وليكن معانى هذه الالفاظ حاضرة فى قلبه فانها النية والالفاظ مذكرات
واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا تعزب فاذا حضر فى قلبه ذلك فليرفع يديه
الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذى بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤس اصابعه رؤس اذنيه
ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها
تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل فى الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان
فى مقرهما ابتدا التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى
على اليسرى اكراما لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر
والبنصر على كوع اليسرى وقد روى التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه
واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى فى صورة العقد ومبداه الارسال واخره
الوضع ومبدا التكبير الالف واخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليدين فكالمقدمة
لهذه البداية ثم لا ينبغى ان يدفع يديه الى قدام دفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما نفضا
عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستانف وضع اليمين على الشمال
بعد الارسال وفى بعض الروايات انه كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع اليمنى على اليسرى وان
صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغى ان يضم الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين
الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين با اكبر وراءه الفا كانه يقول اكبار ويجزم
راء التكبير جزما من غير ضم فهذه هيئة التكبير وما معه **القراءة** ثم يبتدى بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول
عقيب قوله الله اكبر كبيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهى الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم
وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين مفرقات ما ورد فى الاخبار وان كان خلف
الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرا فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرا
الفاتحة يبتدى فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء ويقول
امين فى آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل امين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة فى الصبح والاوليين
من المغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة او قدر ثلث آيات من القران وما فوقها

ولا يصل اخر السورة بتكبير الهوى بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرا فى الصبح من السور طوال المفصل
وفى المغرب قصاره وفى الظهر والعصر والعشا نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفى الصبح فى السفر قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية وهو فى جميع ذلك مستديم للقيام ووضع
اليدين كما وصفناه فى اول الصلاة **الركوع ولواحقه** ثم يركع ويراعى فيه امورا وهو ان يكبر للركوع وان يرفع
يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع
واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا
وان يكون عنقه وراسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافى مرفقيه عن
جنبيه وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربى العظيم ثلثا والزيادة الى السبعة والى العشر حسن
ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن فى الاعتدال ويقول
ربنا لك الحمد ملا السموات وملا الارض وملء ما شئت من شىء بعد ولا يطول هذا القيام الا فى صلاة التسبيح
ويقنت فى الصبح فى الركعة الاخيرة بالكلمات الماثورة **السجود** ثم يهوى الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على
الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغى ان يكون اول ما يقع
منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافى
مرفقيه عن جنبيه ولا يفعل المراة ذلك وان يفرج بين رجليه وان لا تفعل المراة ذلك وان يكون فى سجوده مخويا
والمراة لا تفعل ذلك والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وان يضع يديه على الارض حذاء منكبيه
وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليها وان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفرش ذراعيه على الارض
كما يفرش الكلب فانه منهى عنه وان يقول سبحان ربى الاعلى ثلثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود
فيطمئن جالسا معتدلا ويرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه
والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى
واعف عنى ولا يطول هذه الجلسة الا فى سجود صلوة التسبيح ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسا
جلسة خفيفة للاستراحة فى كل ركعة لا يتشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليدين على الارض ولا يقدم احدى رجليه
فى حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه الى القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث
يكون ها الله عند استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء اكبر فى وسط ارتفاعه الى القيام
ويبتدى فى وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب الى
التعميم ويصلى الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ فى الابتدا **التشهد** ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد
الاول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابعه اليمنى
الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحته اليمنى وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله
ويجلس فى هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفى التشهد الاخير يستكمل الدعا الماثور بعد الصلاة
على الآل ولكن يجلس فى الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى
خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من ورائه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية
وينوى الخروج بالسلام من الصلوة وينوى السلام على من على يمينه من الملائكة والمسلمين فى الاولى وينوى مثل ذلك
فى الثانية ويخفف السلام ولا يمده مدا فهو السنة هذه هيئة صلاة المنفرد ولا يرفع الا بقدر ما يسمع روحه

راكعا

ولا تكون المراة مخويا

السجدتين

من الصلاة

ويرفع الامام صوته بالتكبير وينوى الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتدا
ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح
واولى العشا والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله امين فى الصلاة الجهرية وكذلك الماموم ويقرن
الماموم تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا ويسكت الامام سكتة عقب الفاتحة ليثوب اليه نفسه
ويقرا الماموم الفاتحة فى الجهرية الا اذا لم يسمع صوت الامام ويقول الامام سمع الله لمن حمده عند رفع راسه
من الركوع وكذا الماموم ولا يزيد الامام على الثلث فى تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد فى التشهد الاول
بعد قوله اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد ويقتصر فى الركعتين الاخيرتين على الفاتحة ولا يطول
على القوم ولا يزيد فى دعائه فى التشهد الاخير على قدر التشهد وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوى
عند التسليم السلام على القوم وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام
ويقبل على الناس بوجهه والاولى ان يثبت ان كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم
حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء من يمينه وشماله واليمين احب الى ولا يخص الامام نفسه بالدعا فى
قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا ويجهر به ويؤمن القوم ويرفعون ايديهم حذاء الصدور ويمسح وجهه
عند ختم الدعا بحديث نقل فيه والا فالقياس ان لا يرفع اليد كما فى آخر التشهد **المنهيات** نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الصلاة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل وعن الكف وعن
الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والغضبان وعن المقتبس
والتلثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الارض
كالكلب وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض منه الا رؤس اصابع الرجلين والركبتان
واما السدل فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل
اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص فى معناه فلا ينبغى ان يركع ويسجد ويداه فى بدن القميص وقيل
ايضا السدل ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول
اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف فى شعر الراس فلا يصلين
وهو عاقص شعره والنهى للرجال وفى الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضاء ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره
احمد بن حنبل رحمه الله ان يأتزر فوق القميص فى الصلاة وراه من الكف واما الاختصار فهو ان يضع يديه على
خاصرتيه واما الصلب فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافى بين عضديه فى القيام واما المواصلة فهى خمسة
اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على الماموم ان لا يصل تكبيرة
الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما ان لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل
بينهما واما الحاقن فمن البول واما الحاقب فمن الغائط واما الحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع
وفى معناه الجائع والمهتم وفهم نهى الجائع من قوله عليه الصلوة والسلام اذا حضر العشاء واقيمت الصلوة فابدؤا
بالعشاء الا ان يضيق الوقت والغرض ان يكون ساكن القلب وفى الخبر لا يدخل احدكم فى الصلاة وهو مقطب ولا
يصلين احدكم وهو غضبان وقال الحسن رحمه الله كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع
وفى الخبر سبعة اشياء فى الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات
والعبث بالشى وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف اربعة فى الصلاة من الجفا الالتفات ومسح الوجه
وتسوية الحصا وان تصلى بطريق من يمر بين يديك ونهى ايضا عن ان يشبك اصابعه او يفرقع اصابعه

او يمس وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه فى الركوع قال بعض الصحابة رضى الله عنهم
كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ فى الارض عند السجود للتنظيف وان يسوى الحصا بيده فانها افعال
مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند فى قيامه الى حايط فان استند بحيث لو سل
ما يستند عليه لسقط فالاظهر بطلان صلاته **تمييز الفرايض والسنن** جملة ما ذكرناه اشتمل على السنن
والهيئات والاداب التى ينبغى ان يراعيها مريد طريق الاخرة جميعها والفرض من جملتها اثنا عشرة خصلة النية
وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة والانحناء فى الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال عنه
قائما والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع اليدين على الركبتين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد
الاخير والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس
بواجب بل هى سنن وهيئات فيها وفى الفرايض اما السنن من الافعال اربعة رفع اليدين فى تكبيرة الاحرام وعند
الهوى الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهى
هيئة تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئة تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئة
تابعة للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنن فى الافعال لانها كالتحسين لهيئة
الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة فى نفسها ولذلك لم تفرد بذكر واما السنن من الاذكار
فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله امين فانها سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر
فى الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلاة فيه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء فى اخر
التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها فى اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ يجبر
جملتها بسجود السهو اربعة اما من الافعال فواحد وهى الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة فى ترتيب نظم الصلوة
فى اعين الناظرين حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر فى تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض
وقيل الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما
لان الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما منهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات
الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا يغير صورة العبادة واما الجلسة للتشهد الاول فهو فعل معتاد وما زيد
الا للتشهد فتركها ظاهر التاثير واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة
ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء فى التشهد الاخير والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال
فى الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقى هذا قياما
ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفى الممدود احتراز عن غير الصبح وفى خلوه عن ذكر واجب احتراز عن اصل
القيام فى الصلوة فان قلت تمييز السنن عن الفرايض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه
العقاب به بتركه دونها فانها تمييز سنة عن سنة من والكل مامور على سبيل الاستحباب ولا عقاب فى ترك الكل والثواب
مرجو على الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوتها وينكشف لك
ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة
والروح الظاهر اجسام اعضايه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو
تفوت الحياة بفواته وبعضه لا يفوت به الحياة ولكن يفوت به مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها
لا يفوت به الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت به الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت

به اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض
فى اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع فتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها
الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سياتى ونحن الان فى اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود
والقيام وساير الاركان تجرى منها مجرى القلب والراس والكبد اذ تفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن
التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين
ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة
مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزى من الصلاة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا
مقطوع الاطراف واما الهيئات وهى ما وراء السنن فيجرى مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب
وحسن اللون واما الطائف الاداب فى تلك السنن فهى مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية
وغيرها فالصلوة عندك قربة وتحفة يتقرب بها العبد الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القرب
من السلطان اليه وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك فى يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة فى تحسين
صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسات فعليها ولا ينبغى ان يكون حظك من ممارسة الفقه
ان تتميز عندك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فان ذلك يضاهى
قول الطبيب ان فقء العينين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب فى قبول السلطان
اذا اخرجه فى معرض الهدية فهكذا ينبغى ان تفهم مراتب السنن والهيئات والاداب فكل صلاة لم يتم الانسان
ركوعها وسجودها فهى الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتنى فطالع الاخبار التى اوردناها فى
اكمال اركان الصلاة ليظهر لك وقعها **الباب الثالث فى الشروط الباطنة من اعمال القلب**
ولنذكر فى هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعانى الباطنة وحدودها واسبابها
وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغى ان يحضر فى كل ركن من الصلاة لتكون صالحة لزاد الاخرة **بيان اشتراط الخشوع
وحضور القلب** اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى واقم الصلوة لذكرى وظاهر الامر الوجوب والغفلة
تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلوته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهى وظاهره
التحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوساوس وافكار
الدنيا وقوله عليه الصلوة والسلام انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتحقيق
وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفى وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه
صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع من الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم
كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما
عقل منها والتحقيق فيه ان المصلى مناج ربه كما ورد الخبر به والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان
الزكاة ان غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة وشديدة على النفس وكذلك الصوم قاهر
للقوى كاسر لسطوة الهوى التى هى اله الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك
الحج افعال شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلوة
فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فاما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون
المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج
بالامساك فى الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق

ولا شك في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سوال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد به كونه تضرعا ودعا فاي مشقة في حركة اللسان به في الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واساله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في نومه لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان يجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا يشك في ان المقصود من القراة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق وتميزه بها عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما للحايط الذي بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر وبين الاسلام ويقدم على الحج وساير العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما ارى ان هذه العظمة كلها للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجات فان ذاك تتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص الملك قال الله تعالى فيها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملت على امتثال الاوامر هي المطلوبة فكيف الامر في الصلاة ولا ادب في افعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت فان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت به اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب في صحتها عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا يتكلمون في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فاما انه هل ينفع في الاخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعي الاجماع فقد نقل بشر بن الحرث رحمه الله فيما رواه عنه ابو طالب المكي عن سفين الثوري انه قال من لم يخشع قلبه في صلاته فسدت صلاته وروي عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي ايضا مسندا وقال عليه الصلوة والسلام ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء على انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والايات والاخبار ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق

عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجوا ان لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك للصلوة بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجا فتخشى ان تكون حالته اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة ولا يتهاون بالحضرة واذا تعارض اسباب الخوف والرجا وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع لاحد في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين علم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقايد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الان وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في اجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلاة اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجا والحياء فلنذكر تفصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها **اما التفاصيل** فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقران والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء والمنكر لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زايد عليهما واما الهيبة فزايد على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هايبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الاجلال واما الرجا فلا شك في انه زايد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته فالعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله واما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب **واما اسباب هذه المعاني الستة** فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلاة وسيلة اليها الى ذلك فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا

ومهما تها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض
الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجات مع ملك الملوك الذي بيده الملك
والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى
في غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى **واما التفهم** فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك
المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر
الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا
تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر من ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب
غير الله لا يصفو له صلاة عن الخواطر المذمومة **واما التعظيم** فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما
معرفة جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه **الثانية** معرفة
حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله
تعالى فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله عز وجل لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع
فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفاة العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان
القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه **واما الهيبة والخوف** فحالة للنفس تتولد من
المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من
ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبيا والاوليا من المصايب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف
ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة والخوف وسياتي اسباب ذلك
في كتاب الخوف من ربع المنجيات **واما الرجاء** فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة
صدقه في وعد الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجا لا محالة
واما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة
بعيوب النفس وافاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم
ما يقتضيه جلال الله تعالى والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف
اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحيا فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله
فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به
هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين
من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها كان عليه الصلوة والسلام يحدثنا
ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى
اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء
قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروى انه اوحى اليه قل
لعصاة امتك لا يذكروني فاني اليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير
غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الى
غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة منها والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث
لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم
حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره وقد كان وجيب قلب ابرهيم الخليل عليه السلام يسمع على ميلين

ومهانتها

التفرغ

احوالها

وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرايصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم اهل الدنيا
وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ العاجلة منهم حتى يدخل الواحد منهم على ملك او وزير و
يحدثه بمهمه ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به
عن ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان
موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيمة
على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل انسان
على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور
في الدار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم **بيان الدواء النافع في حضور القلب** علم ان المؤمن لا بد وان
يكون معظما لله وخائفا له وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها
بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجات
والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر
ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا
اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم ينجر منه الفكر الى
غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت رتبته وعلت
همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض
بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة
بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان
المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقويا كانوا يحضرون المساجد
ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في ان لا يعرف احدهم من على يمينه وشماله وكان
ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان
من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه
فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقراه في الصلاة ويشغله
به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر
المقام بين يدي الله وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحرم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه
خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمن بن ابي شيبة اني نسيت ان اقول لك تخمر القدر الذي في البيت
فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن
هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر
في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمات
بشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلايق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه
وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روى عنه عليه الصلوة والسلام انه لما لبس
الخميصة التي اتاه بها ابو الجهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني
آنفا عن صلاتي وايتوني بانبجانية ابي الجهم وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان
جديدا وامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه الصلوة والسلام قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد

وقال تواضعت لربي كي لا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سايل لقيه ثم امر عليا ان يشترى له نعلين سبتيين جرداوين فلبسهما وكان في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم ويروى ان طلحة صلى في حايط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه نظره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة تضعه حيث شئت وعن رجل اخر انه صلى في حايط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا يشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم يغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة **ومثاله** مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا تشعبت وتفرقت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله يسمى ذبابا فكذى الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلوا العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطية واس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ويستعين بها على طريق الاخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان تترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة له فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعه اكثر الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها باموار الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم من الصلوة شطرها او ثلثها عن الوساوس فنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملو فيه خل فبقدر ما يدخل من الماء يخرج من الخل لا محالة ولا يجتمعان

الكتاب الثاني من اسرار الصلاة ومهماتها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة ان لا تغفل ولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها **اما الشروط** والسوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه في الصلوة واما الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق

فما رايك في عورات باطنك وفضايح سرك التي لا يطلع عليها الا ربك فاخطر تلك الفضايح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الابق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب عن ساير الامور والى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب منك سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله الا بالتفرغ عما سوى الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله تعالى انصرف كيوم ولدته امه واما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله تعالى فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطاطئا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك ها هنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم في الحال انك قايم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب ان يعرفك بالصلاح فانه تهدا عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان يخشى ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحيي منه كما تستحيي من رجل صالح من قومك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرايصك من الهيبة وتصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله عز وجل فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله عز وجل وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى الله فاطر السموات فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهممه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل الى فاطر السموات واياك ان يكون اول مفاتحتك للمناجات بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك

[هامش: ابا طلحة — لا ليتزود منها — صلوتنا — بالخل — الندا — فاظنك — جهة وانقلبت — بالانصراف — الغالب — الرجل الصالح — وكيف تناجي]

كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين
فاخطر ببالك الشرك الخفى فان قوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله عز وجل وحمد الناس وكن متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك
ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه
واذا قلت محياى ومماتى لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده انه ان صدر ممن رضاه وغضبه
وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له
مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبدله بما يحب الله
تعالى لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت
على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان ومكاره
الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا
الله اذ قال الله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى امن عذابى والمتحصن به
من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله واعلم ان من مكايده ان
يشغلك فى الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقراه فاعلم ان كل ما شغلك عن معانى
قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل
يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهذه درجة
اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعانى اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان
القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعانى انك
اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله
وان المراد هاهنا بالاسم هو المسمى فاذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله
عز وجل ومن يرى من غير الله عز وجل نعما او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففى تسميته وتحميده نقصان
بقدر التفاته الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر فى قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به
رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف
فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد ثم جدد العجز والاحتياج والتبرى
عن الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان المنة له اذ وفقك لطاعته
واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان الرجيم اللعين ثم اذا فرغت
عن التفويض بقولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم
حاجتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا الى جوارك ويفضى بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا
وتاكيدا واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم
من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاستجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك
فتشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم قسمت الصلاة بينى وبين عبدى
نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سال يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدنى عبدى
واثنى على وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فلو لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله

وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغى ان تفهم ما تقراه من السورة كما سياتى
فى كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه
فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهى والاتعاظ حق الموعظة والشكر
حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء روى ان زرارة بن ابى اوفى انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور
فخر ميتا وكان ابرهيم اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد
رايت ابن عمر يصلى مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدى جبار
قاهر وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك
لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات
ايضا ثم يراعى الهيئة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته فى آية الرحمة والعذاب
والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم كان النخعى اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته
كالمستحيى عن ان يذكره بكل شئ ويروى انه يقال لصاحب القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا واما دوام
القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله مقبل على
المصلى ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات
الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجاة عند غفلة المناجى ليعود اليه
والزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال
صلى الله عليه وسلم وقد راى مصليا يعبث بلحيته فى الصلوة اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية
بحكم الراعى ولهذا ورد فى الدعاء اللهم اصلح الراعى والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضى الله عنه
فى صلاته كانه وتد وكذلك كان ابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث يقع العصافير عليه كانه جماد
وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من
يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدى غير الله خاشعا ثم تضطرب اطرافه بين يدى الله فذلك لقصور معرفته
عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة فى قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين
قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود فينبغى ان تجدد عندهما ذكر كبرياء الله وترفع يديك
مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد فى ترقيق قلبك
وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك
فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك
راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجاء فى نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اى اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك
بالشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملأ السموات وملأ الارض ثم تهوى الى السجود وهو
اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل
بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم
انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك
عظمة الله وقل سبحان ربى الاعلى ثلاثا واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك
فليصدق رجاؤك فى رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا
وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود

ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ماتدلي به من الصلوات والطيبات اي
الاخلاق الطاهرة لله تعالى وكذى الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه
الكريم وقل سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ماهو اوفى منه
ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباد الله الصالحين
ثم تشهد بالله بالوحدانيه ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا اعهد الله باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا
للتحصن به ثم ادع في اخر صلاتك بالدعاء الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء
بالاجابة واشرك في دعائك ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملئكة والحاضرين
وانو ختم الصلوة به واستشعر شكر الله تعالى اياك على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه
وانك ربما لا تعيش لمثلها قال عليه الصلوة والسلام للذي اوصاه صل صلاة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحيا
من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهرا وباطن فترد صلاتك في وجهك
وترجو مع ذلك ان يقبلها الله بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ماشاء الله يعرف عليه كابة الصلوة
وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم على صلاتهم يحافظون
والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان
نفسه على هذه الصلوة فبالقدر الذي يتيسر له منها ينبغي ان يفرح به وعلى قدر ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة
ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلاة الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمد الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فايض
فنسال الله تعالى ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم
ان تخليص الصلوة عن الافات واخلاصها لوجه الله وادائها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم
والحيا سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت
السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون بها في الصلوة لا سيما في السجود اذ يقرب العبد بالسجود من ربه
ولذلك قال تعالى واسجد واقترب وتكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك
بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشئ بعينه وينكشف لبعضهم الشئ
بمثال كما كوشف بعضهم بالدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعوا اليها ويختلف ايضا بما
فيه من المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله وبعضهم من افعاله وبعضهم من دقايق اسرار علوم المعاملة
ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة
الى شئ معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تترائى الا في المرآئي الصقيلة وكانت المرآئي
كلها صدية احتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية تسارعت الالسنة
الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان في متسع الهوى
ولو كان للطفل تميز ما ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد
ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر احد ما وراء درجته نعم
لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه فانكروه ومن لم
يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يومن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهده بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام
في الصلوة يرفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهوا يصلون
بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه ويناديه مناد لو علم المناجي

من يناجي ما التفت ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح
ابواب السماء ومواجهة الله اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التورية مكتوب يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم
بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكا
والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من قلبه واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى
له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشر صفوف من الملائكة
كل صف منه عشرة الاف وباهى الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع في الصلوة بين القيام والقعود والركوع
والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقايمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم
القيمة وهكذى الراكعون والقاعدون فان ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حالة
واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائكة في الترقي من درجة
الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله فيستفيد به مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته
التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها فلا يستحسرون ويسبحون الليل
والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا
فقال في آخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب ينتهي
درجته الى هذا الحد ولذلك قال تعالى في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة
الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم نسئل الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا
من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان

حكايات واخبار في صلاة الخاشعين

اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة وفي
غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء حاجته فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة
تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه
الى السماء اربعين سنة حياء من الله وخشوعا له وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه للبصر واطراقه يظن بعض الناس انه
اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك ذلك الاعمى
قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان
ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو راك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك
ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكيار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه
وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى مثل الساعة
التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه ويقول هذا والله هو الخوف وكان الربيع يقول ما
دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان اذا
صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النسا بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل
تحدث نفسك في الصلاة بشئ قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين قيل له فهل تجد
شيئا مما يجد الناس من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلوة ما تجدون وكان يقول لو كشف
الغطا ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم ونقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة في المسجد وبعضهم تاكل من اطرافه

فاحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل له انه فى الصلوة لا يحس بما يجرى عليه فقطع وهو فى الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الاخرة فاذا دخلت فى الصلاة خرجت من الدنيا وقيل لاخر هل تحدث نفسك فى الصلاة بشئ من الدنيا فقال لا فى الصلوة ولا فى غيرها وسئل بعضهم هل تذكر فى الصلوة شيئا فقال وهل شئ احب الى من الصلوة فاذكره فيها وكان ابو الدردا يقول من فقه الرجل ان يبدأ بحاجته قبل دخوله فى الصلوة ليدخل فى الصلوة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس وروى ان عمار بن ياسر صلى صلاة فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رايتمونى نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال فانى بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلى الصلاة ولا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطايفة من الصحابة كانوا اخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروى ان عمر قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما اكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها وسئل ابو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف اعلى شفع ام على وتر وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذى ان صلاها فى اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة فى الصحة لا يتجزى ولكن ذلك له معنى اخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبران الفرايض بالنوافل فى الخبر قال عيسى يقول الله تعالى بالفرايض نجا منى عبدى وبالنوافل تقرب الى عبدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو منى عبدى الا باداء ما افترضت عليه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك من قراءته اية فلما انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسال ابى بن كعب فقال قرات سورة كذى وتركت اية كذى فما ادرى انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابى ثم اقبل على الاخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلوا عليهم من كتاب ربهم الا ان بنى اسرائيل كذى فعلوا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل لقومك تحضرونى بابدانكم وتعطونى السنتكم وتغيبون عنى قلوبكم باطل ما تذهبون وهذا يدل على ان استماع المأموم ما يقرا الامام وفهمه بدل عن قراءته السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة وعنده انه تقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغى الى هوى ويشاهد الباطل وقد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الاخبار والحكايات مع ما سبق على ان الاصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد والله اعلم

الباب الرابع فى الامامة والقدوة وعلى الامام وظايف قبل الصلاة وفى القراءة وفى اركان الصلوة وبعد السلام **اما الوظايف قبل الصلاة فست اولاها** ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفى الحديث ثلثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الابق وامراة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه منه واقرا الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم فان لم يكن شئ من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روى من مدافعة الامامة بين الصحابة فسببه ايثارهم من راوه اولى بها او خوفهم على انفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الائمة ضمنا وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويشوش عليه الاخلاص فى الصلاة حياء من المقتدين لا سيما فى جهره بالقراءة

فكان

فكان لاحترازه من احتراز اسباب من هذا الجنس **الثانية** اذا اخير المريد بين الاذان والامامة فينبغى ان يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغى ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع بين الامامة والاذان فالامامة اولى وقال قايلون الاذان اولى لما نقلناه فى فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فى الامامة خطر الضمان وقال ايضا الامام امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفى الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه ولا عليهم ولانه عليه الصلوة والسلام قال اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد مراد للمغفرة وفى الخبر من اذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والائمة بعدهم نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه قال عليه الصلوة والسلام ائمتكم وفدكم الى الله تعالى فان اردتم ان تزكوا صلوتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء افضل من العلما ولا بعد العلما افضل من الائمة المصلين لان هولاء قاموا بين الله تعالى وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلوة وبهذه الحجة احتج الصحابة فى تقديم ابى بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلوة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روى انه قال له رجل يا رسول الله دلنى على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع قال صل بازاء الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليها **الثالثة** ان يراعى الامام اوقات الصلوات فيصلى فى اوايلها ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على اخره كفضل الاخرة على الدنيا هكذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث ان العبد ليصلى الصلاة فى اخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغى ان يؤخر الصلوة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهى افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان فى الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فصلى بهم حتى فاتت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر فى صلاة الظهر والعصر فقدموا ابا بكر حتى جاءهم فى الصلاة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره **الرابعة** ان يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا امانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته اما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن ابى العاص الثقفى فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلاة فهى اولى بان لا يوخذ عليه اجر فان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من احاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية فى الفرايض اشد منها فى التراويح ويكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبته لمصالح المسجد فى اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة واما الامانة فهى الطهارة باطنا عن الفسوق والكباير والاصرار على الصغاير فالمترشح للامامة ينبغى ان يحترز عن ذلك جهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغى ان يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر فى اثناء صلاته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغى ان يستحيى بل ياخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

الجنابة في اثناء صلوته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلوة قال سفين صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن
الخمر او معلن بالفسق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبد ابق **الخامسة** ان لا يكبر حتى يستوي الصفوف
فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون في المناكب ويتضامون في الكعاب ولا يكبر
حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين
الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الاكل من طعامه والمعتصر عن اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر
بتقديم العشا على العشا طلبا لفراغ القلب **السادسة** ان يرفع صوته بتكبير الاحرام وساير التكبيرات ولا يرفع
الماموم صوته الا قدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلوته وصلاة القوم اذا نووا
بعده الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر تكبيره عن تكبير الامام فيبتدي بعد فراغه **واما**
وظايف القراءة فثلث اولها ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بقراءة الفاتحة والسورة
في جميع الصبح واولى المغرب والعشا وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلوة الجهرية وكذا الماموم ويقرن الماموم
تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي رحمه الله
الجهر **الثانية** ان يكون للامام في القيام ثلث سكتات هكذى رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته
لدعاء الاستفتاح فانه لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرؤا الفاتحة في سكوته
او اشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرا الفاتحة في السكتة
الاولى فاتحته وهي النصف السكتة الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك
بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصل فيه ولا يقرا الماموم وراء الامام
الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرا الفاتحة معه والمقصر هو الامام فان لم يسمع الماموم في الجهرية لبعده او كان
في السرية فلا باس بقراءته السورة **الثالثة** ان يقرا في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة
في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا باس ان يقرا في الثانية باواخر السور نحو
الثلثين او العشرين اية الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر
وانما كره بعض العلما قراءة بعض اول السورة وقطعها وقد روي انه عليه الصلوة والسلام قرا بعض سورة يونس
فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وقد روي انه قرا في الفجر آية من البقرة وهي قوله قولوا امنا بالله الاية وفي الثانية
ربنا امنا بما انزلت وسمع بلالا يقرا من هاهنا وهاهنا فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال احسنت
ويقرا في الظهر بطوال المفصل الى ثلثين اية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل واخر صلاة صلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب قرا فيها بسورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض صلى الله عليه
وسلم وبالجملة فالتخفيف اولى للامام سيما اذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة اذا صلى
احدكم بالناس فليخفف بالناس فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ
بن جبل يصلي بقوم العشا فقرا البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله
فزجر صلى الله عليه وسلم فزجر معاذا وقال افتان انت يا معاذ اقرا سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحيها
واما وظايف الاركان فثلث اولها ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلث فقد روي
عن انس انه قال ما رايت اخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام نعم روي ايضا ان انس بن مالك لما صلى خلف
عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة قال ما صليت وراء احد قط اشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الركوع والسجود عشرا وذلك حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين
فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن
حمده **الثانية** ينبغي للماموم ان لا يساوق الامام في الركوع والسجود بل يتاخر عنه فلا يهوي للسجود الا
اذا وصلت جبهة الامام الى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي
للركوع حتى يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلثة اقسام طائفة بخمس وعشرين
صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الامام وقد اختلف في ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل
لينال به فضل جماعتهم وادراكه لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر منه تفاوت
ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم **الثالثة** لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد
حذرا من التطويل ولا يخص في الدعا نفسه بل ياتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اللهم اغفر لي فقد
كره للامام ان يخصص نفسه ولا باس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول نعوذ بك من عذاب القبر وعذاب جهنم ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال
واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي الدجال مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه
ممسوح العين اي مطموسها **واما وظايف التحلل فثلث اولها** ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة
الثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع اخر
فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور انه عليه الصلوة والسلام لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم
انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام **الثالثة** اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه الى الناس
ويكره للماموم القيام قبل انفتال الامام فقد روي عن طلحة والزبير انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن
صلاتك واتمها الا شيئا واحدا انك لما سلمت لم تقبل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن ما صليتم الا انكم انصرفتم
قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب الي هذه وظيفة الصلوات اما الصبح
فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن الماموم في القنوت فاذا انتهى الى قوله
انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التامين لانه ثناء فيقول مثل قوله او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين
او صدقت وبررت وما يشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك
وان كان ذلك على خلاف الدعوات في اخر التشهد اذ لا يرفع بسببهما اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق
وهو ان لليدين وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هاهنا فلا يبعد
ان يكون رفع اليدين هي الوظيفة في القنوت فانه لايق بالدعا والله اعلم فهذه اجمل اداب القدوة والامامة

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها فضيلة الجمعة

اعلم ان هذا يوم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمين وقال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله وحرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد فرض عليكم
الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي
لفظ اخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يساله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة
فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يساله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة
فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اول الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع

وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الامام صح

رضي الله عنهما

فرضها

الا اعاذه الله تعالى منه او لبس مكتوبا عليه الا اعاذه الله تعالى صح

وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبرئيل في كفه مراة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك
ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه
الله او ليس له قسم ذخر الله له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه وهو
سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك
ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير
يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم
الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر
ان الله عز وجل في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة
سلم الوعد واذا اسلم الوعد سلم الشهر واذا اسلم الشهر سلمت السنة واذا سلمت السنة سلمت الايام كلها وقال
صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة
الا يوم الجمعة فانه صلاة كلها وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور
رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام
سلام يوم صالح وقال عليه الصلوة والسلام من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة
القبر **بيان شروط الجمعة** اعلم انها تشارك ساير الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط **الاول**
الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته
الاخيرة خارجة من الوقت ففيه خلاف **الثاني** المكان فلا تصح في الصحارى والبوادي وبين الخيام بل لا بد من
بقعة جامعة لابنية لا تنتقل تجمع اربعين ممن يلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان
ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه **الثالث** العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا
يظعنون عنه شتاء ولا صيفا فاذا انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة او في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم
من الاول الى الاخر **الرابع** الجماعة فلو صلى اربعون في قرية او بلدة متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك
الركعة الثانية جاز له الانفراد في الركعة الثانية فان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا
سلم الامام تممه ظهرا **الخامس** ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلدة فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد
جاز في جامعين وثلثة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحرم اولا واذا تحققت الحاجة
فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا ففي المسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس
ايضا فضل يراعى **السادس** الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى
اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله والثانية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله
عز وجل والرابعة قراءة اية من القرآن وكذى فرايض الثانية اربع الا انه يجب فيها الدعا بدل القراءة واستماع الخطبة
واجب من الاربعين واما السنن فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية
والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ
المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف او العنزة كي لا يعبث بهما او يضع احدهما
على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون خطبته قصيرة
بليغة جامعة ويستحب ان يقرا اية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا
والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط الصحة فاما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة

اعني اصحاب الاعذار صح

الا على كل ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد
البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ويرخص لهولاء ترك الجمعة بعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن
للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم تاخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد او امراة صحت
جمعتهم واجزات عن الظهر **بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة** وهي عشر جمل **الاولى** ان يستعد لها يوم الخميس
عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة
قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة توازي في الفضل يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله تعالى فضلا سوى
ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها
ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم
الجمعة فان له فضلا ولكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه وليشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة
وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب
ذلك قوم وحملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل
وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل بجسده وبهذا يتم ادب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين
الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها وراعاها من الامس
واخسهم نصيبا من اذا اصبح قال ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجل الجمعة **الثانية** اذا اصبح
اغتسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب
استحبابا موكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من
حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا
وكان اهل المدينة يتسابون بينهم فيقول احدا لصاحبه لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمن رضي الله
عنهما لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضات
وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل
بوضوء عثمان وبما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل
ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل
اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال الجمعة فقال بل من
جنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروي الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان
يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء ايضا وقد جعل في الشرع قربة
فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضا ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك **الثالثة** الزينة
وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلثة الكسوة والنظافة وتطييب الرايحة فاما النظافة فبالسواك وحلق الشعر
وقلم الظفر وقص الشارب وساير ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه
داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس او الاربعا فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا اليوم باطيب
طيب عنده ليغلب به الروايح الكريهة ويوصل به الروح والراحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه وروي ذلك في الاثر وقال الشافعي رحمه الله من
نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها البياض من الثياب اذ احب الثياب الى الله البياض

ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روي واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمايم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا باس بنزعها قبل الصلاة وبعدها
ولكن لا ينزعها في وقت السعي من المنزل الى الجمعة من منزله ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الامام المنبر ولا في
حال الخطبة **الرابعة** البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلثه وليبكر وقت البكور بطلوع الفجر
وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى وقت الصلاة
قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم من راح
الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما اهدى بقرة ومن راح في الساعة
الثالثة فكانما اهدى كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما
اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر
فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها
والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام والرابعة الى الضحى والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما
قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل
في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال احمد بن حنبل رحمه الله افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر
اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول
على مراتبهم وجاء في الاثر ان الملائكة يفتقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسئل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان
وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل
ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول في الطرقات سحرا
وبعد الفجر مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول
بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحيي المؤمنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون
الى البيع والكنايس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الجوامع للبيع والربح فلم لا يسابقهم
طالب الاخرة ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله بقدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود
رضي الله عنه الجامع بكرة فراى ثلثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا لها رابع اربعة
وما رابع اربعة بسعيد **الخامسة** في هيئة الدخول فينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم
والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس وروي
ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم
فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلوته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا
فقال يا نبي الله قد جمعت قال اولم ارك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله وفي حديث مسند انه قال
ما منعك ان تصلي معنا فقال اولم ترني فقال رايتك اتيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما
كان الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن
تخطوا رقاب الذين يقعدون على ابواب الجامع في يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي
ان لا يسلم فانه تكليف الجواب في غير محله **السادسة** ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس هو الى قريب من اسطوانة
او حايط حتى لا يمروا بين يديه اعني بين يدي المصلي فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لان يقف اربعين سنة خير له ان يمر بين يدي المصلي وقال لان يكون الرجل رمادا او مدرا
تذروه الرياح خير له ان يمر بين يدي المصلي وسوى في حديث آخر بين المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر
في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر
بين يديه والاسطوانة والحايط والمصلي المفروش حد المصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم ليدفعه
فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى
يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان بن الحكم فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة
فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده **السابعة** ان يطلب الصف الاول فان فضله
كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة
ثلثة ايام وفي لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف
الاول عن ثلثة امور اولها انه ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة
في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتاخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة
من العلما طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب
الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفين الثوري الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من
ابي جعفر فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به
ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد فقال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن فاستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين
المهديين فاما هولاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كنت اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب
ابي الدردا فجعل يتاخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها فقال نعم
الا ان هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه
من الناس فانما تاخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم قال ذلك فمن تاخر على هذه النية ايثارا او اظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات
ثانيها انه لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض
العلما دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة وراوا انها قصرت على السلطان وهي بدعة احدثت
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس
بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرهوا ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص
والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع لا يوجب كراهية ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف
الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج
بين يدي المنبر وهو متجه حسن لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد ان يقال الاقرب
الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان
بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب **الثامنة** ان يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا
بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بسجود عند قيام المؤذنين ولا يثبت
له اصل في خبر ولا اثر لكنه ان وافق سجود تلاوة فلا باس ان يمد الدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا
السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روي عن عثمان وعلي رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع
وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغى فعليه وزر وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام

يخطب انصت اوصه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون بالاشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سال ابيًا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومى اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وسلم قال له ابيٌّ اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابوذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام صدق ابيٌّ واطع ابيًّا وان كان بعيدًا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضي الى هينمة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان تكره الصلاة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي كرم الله وجهه تكره الصلاة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب **التاسعة** ان يراعي في قدوم الجمعة ما ذكرته من غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرا سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرا الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعًا والمعوذتين سبعًا سبعًا فقد روى عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزًا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم هذا الدعا اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعًا وروى علي وعبد الله ستًا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل **العاشرة** ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل ويقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب عمرة ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يامن من التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرًا الله تعالى مفكرًا في آلائه شاكرًا لله على توفيقه خائفًا من تقصيره مراقبًا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم **بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب** السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة **الاول** ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلاة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلاة روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالم بالله مذكرًا بايام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعًا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابوذر ان حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس ابتغاء المعاش بطلب الدنيا ولكنه عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله العلم فضلًا في مواضع قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا وقال تعالى ولقد اتينا داود منا فضلًا يعني العلم فتعليم العلم في هذا اليوم وتعلمه من افضل القربات والصلاة افضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر الى مجلسه في المسجد الجامع فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه قال فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه من مجلسه ولو كان ذلك من السنة لما حل اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن يقول تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لا يجلس فيه حتى يعود اليه وروى ان قاصًا كان يجلس بفناء حجرة عايشة رضي الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصى على ظهره ثم طرده **الثاني** ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى فيها شيئًا الا اعطاه اياه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبيل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتامر خادمها ان تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتاخذ في الدعا والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان تلك الساعة هي المنتظرة وتاثره عن ابيها عليه الصلوة والسلام وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضًا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه ان يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى فقال فذلك صلاة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلًا الى انها رحمة من الله للقائمين بحق اليوم وان ارسالها بعد الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعا فيهما **الثالث** يستحب ان يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيًا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين يقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وان اراد ان يزيد اتى بالصلوات الماثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورافتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقامًا محمودًا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدًا صلى الله عليه وسلم سوله وبلغه مامولة واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وافلج حجته وارفع في اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين امين رب العالمين وعلى الجملة فكل ما اتى به من الفاظ الصلوة ولو ما روى من المشهود في التشهد كان مصليًا وينبغي ان يضيف اليه الاستغفار فان ذلك ايضًا مستحب في هذا اليوم **الرابع** قراءة القرآن فليكثر منه وليقرا سورة الكهف خاصة فقد روى ابن عباس وابو هريرة مرفوعًا ان من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة ويوم الجمعة اعطي نورًا من حيث يقراها الى مكة وغفر له من الجمعة الى الجمعة الاخرى وفضل ثلثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر ان قرا بالليل وان قرا بالنهار ففي ركعتي المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم

وبطانتك عن معصيتك

والاكثر

للعالمين

الفضيلة

ولا ناكثين

وكان العابدون يستحبون ان يقراوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان من قراها في عشر ركعات او في عشرين
ركعة فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
الف مرة فان قرا المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى انه عليه الصلوة والسلام كان يقرا سورا
باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرا في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان
يقرا في صلاة العشاء الاخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروى انه كان يقراهما في ركعتي الجمعة وكان
يقرا في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمن وسورة هل اتى على الانسان **الخامس** الصلوات يستحب اذا دخل الجامع
ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرا فيهن قل هو الله احد مايتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن
يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفي حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى فرغ فقال
الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ويستحب في هذا اليوم ان يصلي اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه
ويس فان لم يحسن قراءة يس وسجدة لقمن وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع السور في ليلة
الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القران فيقرا ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب
ان يصلي صلاة التسبيح كما سياتي في باب التطوعات كيفيتها روى انه قال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه
صلها في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والاحسن
ان يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار **السادس**
الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف الا على من سال والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا
مكروه قال صالح بن احمد سال مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطا رجل لابي قطعة ولم يعرفه
لينا وله اياها فلم ياخذها منه ابي وقال ابن مسعود اذا سال الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سال على القران
فلا تعطوه ومن العلما من كره الصدقة على سوال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسال قايما او قاعدا في مكان
من غير ان يتخطى وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين
يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسالك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي
القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم لم يسال الله تعالى شيا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة
ثم غدا وابتكر ولم يوذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسالك ان تغفر لي وترحمني
وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له **السابع** ان يجعل يوم الجمعة للاخرة فيكف فيه عن جميع اشغال
الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدي فيه السفر فقد روى ان من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع
الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شرا الماء في المسجد من السقا ليشربه او يسبله حتى لا يكون
مبتاعا في المسجد فان البيع والشرا في المسجد مكروه وقالوا لا باس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب الماء او سبل
في المسجد وبالجملة فينبغي ان يزيد في يوم الجمعة في اوراده من انواع خيراته فان الله اذا احب عبدا استعمله في الاوقات
الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيء الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد
لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في يوم الجمعة دعوات وسياتي ذكرها في كتاب الدعوات
ان شاء الله تعالى **الباب السادس في مسايل متفرقة تعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها**
فاما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتاب الفقه مسئلة الفعل القليل وان كان
لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار او قتل العقرب التي تخاف منه ويمكن قتلها بضربة او ضربتين

وسورة الجرز

فيها الحسنات

وسجودهما

فاذا صار ثلثة كثر وبطلت الصلاة وكذى القملة والبرغوث مهما تاذى بهما كان له دفعهما وكذى حاجته الى
الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ ياخذ القملة والبرغوث في الصلاة وكان ابن عمر يقتل القملة في الصلاة
حتى يظهر الدم على يديه وقال النخعي ياخذها ويوهنها ولا شي عليه ان قتلها وقال ابن المسيب ياخذها
فيخدرها ثم يطرحها قال مجاهد الاحب الي ان يدعها الا ان توذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا
يوذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال في الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب
وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلاة وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير
ولا يتحركون ومهما تثاوب فلا باس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله في نفسه ولم يحرك لسانه
وان تجشا فينبغي ان لا يرفع راسه الى السماء وان سقط رداه فلا ينبغي ان يسويه وكذا طرف عمامته فكل ذلك مكروه
الا لضرورة **مسئلة** الصلاة في النعلين جايزة وان كان نزع النعلين سهلا فليست الرخصة في الخف لعسر
النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس لما روي انه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع
الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رايناك خلعت نعلك فخلعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل
اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان راى خبثا فليمسحه بالارض
وليصل بهما وقال بعضهم الصلاة في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سالهم ليبين لهم
سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روي عبد الله بن السايب ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه
فاذن قد فعل كليهما فمن خلع فينبغي ان لا يضعهما عن يمينه ولا عن يساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما
بين يديه ولا يتركهما وراه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من راى الصلاة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو
التفات القلب اليهما روي ابو هريرة عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين
رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا توذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على
يساره وكان اماما فالامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلاه
ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة **مسئلة**
اذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل وما يحصل به من صوت ولا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام
الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اذ روى بعض الصحابة انه عليه الصلوة
والسلام راي في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ
اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا اينا قال فان احدكم اذا دخل في صلاته فان
الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ اخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله
او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليفعل به هكذا ودلك بعضه ببعض **مسئلة** لوقوف
المقتدي سنة وفرض اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متاخرا عنه قليلا والمراة الواحدة تقف خلف الامام
فان وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن اليمين وهي خلف الرجل
ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت
صلاته مع الكراهة اما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة
فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له ولا يحتاج الى اتصال صف بل الى ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة
رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان الماموم على فناء المسجد في طريق او صحراء مشتركة وليس بينهما
اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وهي رابطة اذ يصل فعل احدهما الى الاخر وانما يشترط اذا وقف

بلغ المقابلة

في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لا فى المسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد فى دهليزها من غير انقطاع
الى الصحن ثم يصح صلاة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذى حكم الابنية المختلفة فاما البناء
الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء مسئلة المسبوق اذا ادرك آخر صلاة الامام فهو اول صلاته فليوافق
الامام وليبن عليه وليقنت فى الصبح فى آخر صلاة نفسه وان قنت الامام وان ادرك مع الامام بعض القيام فلا
يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل اتمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله عن الركوع فليتم
فان عجز وافق الامام فى السجود او التشهد كبر للاحرام وجلس ولم يكبر بخلاف ما اذا ادركه فى الركوع فانه يكبر ثانيا
فى الهوى لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الاصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة
ولا يكون مدركا للركعة ما لم يطمئن فى الركوع والامام بعد فى حد الراكعين فان لم تتم طمانينته الا بعد مجاوزة
الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة مسئلة من فاتته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر ولا ثم العصر
فان ابتدأ بالعصر اجزاه ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر
بعده فان الجماعة بالاداء اولى وان صلى منفردا فى اول الوقت والله يحتسب اكملهما فان نوى فائته او تطوعا جاز
وان كان قد صلى بالجماعة فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة اخرى لا وجه
له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة مسئلة من صلى ثم راى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة
ولا يلزمه ولو راى النجاسة فى اثناء الصلوة رمى الثوب واتم والاحب الاستيناف واصل هذا قصة خلع النعلين
حيث اخبره جبرئيل عليه السلام بان عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستانف الصلاة مسئلة من ترك
التشهد الاول او القنوت او ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الاول او فعل فعلا سهوا او كان
يبطل الصلاة بعمده او شك فلم يدر اصلى ثلثا ام اربعا اخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسى فبعد
السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام واحدث بطلت الصلاة فانه لما رغب فى السجود كانه جعل
سلامه نسيانا فى غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك يستانف السلام بعد السجود وان تذكر
سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات مسئلة الوسوسة فى نية الصلاة سببها
اما خبل فى العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد
ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا
بدخوله مقبلا عليه بوجهى سفه فى عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فيقيمه ويكون معظما
الا اذا قام لشغل آخر او فى غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا اداء فرضا فى كونها امتثالا كاشتراط كون القيام
مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام
مدبرا عنه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة
ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما
تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلى
فى وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة
ولا تكون مفصلة الاحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتاملها وفرق بين حضور الشئ فى النفوس وبين
تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب وللغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد
فى حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هى حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم
والتقدم والتاخر والزمان وان التقدم للعدم وان التاخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث

ای لاحق
ورکع وکان لبعض الفاتحة حکم جمیعها فتسقط عنه فی السبق وان رکع الامام وهو فی السورة هل یقطع وان ادرک الامام صح
ثم ادرک جماعة صلی بالجماعة ونوی صلوة الوقت صح

بدليل

بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر او العدم او تقدم العدم او تأخر
الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله انى علم
الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر فى قلبه الظهرية والادائية
والفرضية فى حالة واحدة فيفصله بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لاجل
العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال امر الله فى النية كامتثال امر غيره ثم ازيد
عليه على سبيل التسهيل والرخصة فاقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل فى نفسه
الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك فى اثناء التكبير من اوله الى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية
كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير او آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مامورا به لوقع للاولين
سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة فى النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيف ما تيسرت النية
للموسوس ينبغى ان يقنع بها حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد
فيه وقد ذكرنا فى الفتاوى وجوها من التحقيق فى تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفتها
فاما العامى فربما يضره سماعها ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركنا ذكرها مسئلة لا ينبغى ان يتقدم المأموم على الامام
فى الركوع والسجود والرفع منهما وفى سائر الاعمال ولا ينبغى ان يساوقه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان
ساوقه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه وان تقدم عليه بركن ففى بطلان صلاته خلاف ولا يبعد
ان يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء فى الفعل لا فى الموقف فالتبعية
فى الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلا للمتابعة فى الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدى
به ان يتقدم فالتقدم عليه فى الفعل لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
النكير وقال اما يخشى الذى يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار واما التاخر عنه بركن واحد
فلا يبطل الصلاة وذلك بان يعتدل الامام من ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التاخر عنه الى هذا الحد مكروه فان وضع
الامام جبهته على الارض وهو بعد لا ينتهى الى حد الراكعين بطلت صلاته وكذى ان وضع الامام جبهته للسجود
الثانى وهو بعد لم يسجد السجود الاول مسئلة حق على من حضر الصلاة اذا راى من غيره اساءة فى صلاته ان يغيره
وينكر عليه فان صدر عن جهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد عن الوقوف خارج
الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل
حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من راى من يسيئ صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها وعن بلال بن سعد انه قال
الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها واذا ظهرت فلم تغير اضرت بالعامة وجاء فى الحديث ان بلالا كان يسوى
الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر رضى الله عنه انه قال تفقدوا اخوانكم فى الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا
مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة فلا ينبغى ان يتساهل فيه فقد كان الاولون
يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب دار من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذى يتاخر عن الجماعة
دون الحى ومن دخل المسجد فينبغى ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه الصلوة والسلام من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد
غلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه الى خلف الصف ويدخل مكانه اعنى اذا لم يكن بالغا فهذا ما اردنا
ان نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى وسياتى احكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

الباب السابع فى النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات المتفرقة فى كتاب الاوراد

فيفصلها

العامي

تنقسم الى ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعنى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة
عليها كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيره ولان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة
ونعنى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضلها ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله فى صلوات الايام والليالى فى الاسبوع
وكالصلاة عند الخروج من المنزل او الدخول فيه وامثال ذلك ونعنى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد فى عينه
خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب فى مناجاة الله تعالى بالصلاة التى ورد الشرع بفضلها مطلقا وكانه متبرع
به اذ لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وتسمى الاقسام
الثلثه نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زايدة على الفرايض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع
اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة فى الالفاظ بعد
فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاتها فى الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار والآثار المعرفة
لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها
ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة صلاة العيد ثم الخسوف ثم الاستسقا
وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة
الى متعلقاتها ينقسم الى ما يتعلق باسباب كالخسوف والاستسقا والى ما يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات
ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام **القسم الاول** ما يتكرر
بتكرر الايام والليالى وهى ثمنية خمسة هى رواتب الصلوات الخمس وثلثة وراها وهى الصلاة الضحى واحياء ما بين
العشائين والتهجد **الاولى** راتبة الصبح وهى ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا بما فيها
ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير فى اوله
الا بتعلم منازل القمر اذ يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر
فى ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ستة وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من
الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت فى بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات
للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح
وهو بطلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة قال
صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه
اداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض فى وقته وانما الترتيب بينهما سنة فى التقديم والتاخير اذا لم يصادف
جماعة فاذا صادفها انقلب الترتيب وبقى اداءها والمستحب ان يصليهما فى المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلى
ركعتى التحية ثم يجلس ولا يصلى الى ان يصلى المكتوبة فما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر و
الاقتصار على ركعتى الفجر والفريضة **الثانية** راتبة الظهر وهى ست ركعات ركعتان بعدها وهى سنة موكدة
واربع قبلها وهى ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون
له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء يفتح فى هذه الساعة
فاحب ان يرفع لى فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوجة النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال من صلى فى كل يوم اثنى عشره ركعة غير المكتوبة بنى له بيت فى الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر
وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتى الفجر فانه قال تلك ساعة لم تكن ندخل فيها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتنى اختى حفصة انه كان يصلى ركعتين فى بيتها ثم يخرج وقال فى حديثه ركعتين
قبل الظهر وركعتين بعد العشا فصار الركعتان قبل الظهر اكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال
يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبه مائلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع فى جانب المغرب مستطيل
فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف
النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل فى الزيادة فمن حيث صارت
الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال فى علم الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما
يدخل تحت الحس والقدر الباقى من الظل الذى منه ياخذ فى الزيادة يطول فى الشتا ويقصر فى الصيف ومنتهى طوله
بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من
التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالى بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث
يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط
الحجر الى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مائلا الى احد
الضلعين ثم ينصب عمودا على اللوح نصبا مستويا فى موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع
ظله على اللوح فى اول النهار مائلا الى جهة المغرب فى صوب خط ا ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب
بحيث لو مد راسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير
مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط



الذى على اللوح الى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا فى وقت هو قريب من اول الزوال فى
علم الله ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا
القدر لا باس بمعرفته من علم الزوال **الثالثة** راتبة العصر وهى اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم مستحب استحبابا موكدا فان دعوته مستجابة لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته
على ركعتين قبل الظهر **الرابعة** راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان
قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابى بن كعب وعبادة بن الصامت
وابى ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب
انا صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك يدخل فى عموم قوله بين كل اذانين صلاة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما
فعابه الناس فتركهما فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل فى بيته او حيث لا يراه الناس
فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار فى الاراضى المستوية التى ليست محفوفة بالجبال فان كانت
محفوفة بها من جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل
الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا فقد افطر الصايم والاحب المبادرة فى صلاة المغرب خاصة وان اخرت
واديت قبل غيبوبة الشفق الاحمر وقع ذلك اداء ولكنه مكروه اخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم
فاعتق رقبة واخر ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين **الخامسة** راتبة العشاء الاخرة وهى اربع ركعات بعد
الفريضة قالت عايشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بعد العشاء الاخرة اربع ركعات ثم ينام
واختار بعض العلما من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبع عشرة ركعة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع

ابتدر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم السواري
يصلون ركعتين وقال
بعضهم كنا نصلى
الركعتين قبل
المغرب
صح

قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشا هي الوتر ومهما عرفت الاحاديث
الواردة في ذلك فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع فمن شا اكثر ومن شا اقل فاذن
اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها آكد من بعض وترك الآكد ابعد
لاسيما والفرايض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا يسلم له فرايضه من غير جابر **السادسة** الوتر قال
انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشا بثلث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى
وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجا في خبر آخر انه كان عليه الصلوة والسلام يصلي
بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار فاذا اراد ان يدخل الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه
ركعتين قبل ان يرقد يقرا فيهما اذا زلزلت وسورة الهيكم التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز
الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد اوتر صلى الله عليه وسلم بركعة وثلث وخمس وهكذا بالاوتار
الى احدى عشر والرواية مترددة في ثلث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشر ركعة وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه
جملته وترا صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسياتي ذكر فضلها في كتاب الاوراد ان شا الله
وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة افضل اذ صح انه عليه الصلوة والسلام كان يواظب على الايتار
بركعة فردة وقيل الموصول افضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما للامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة
الفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشا او بعد فرض العشا نوى الوتر وصح
لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشا لم يصح اي
لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح قبل
العشا لانه خرق لاجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلثة مفصوله ففي نيته
في الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة العشا لم تكن من الوتر وان نوى الوتر لم تكن هي في نفسها وترا وانما الوتر
ما بعدها ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصوله الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه
وترا والاخر ان ينشا ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلث وترا والركعتان من جملة الثلث الا ان وتريته موقوفة
على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي به الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها
بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغي
ان يكون اخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضايل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب
ترتيب الاوراد ان شا الله **السابعة** صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزايم الافعال وفواضلها اما عدد
ركعاتها فاكثر ما نقل فيها ثماني ركعات روت ام هاني اخت علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثماني ركعات
اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها فاما عائشة رضي الله عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي
الضحى اربعا ويزيد ما شا الله فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربع ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروي
في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات واما وقتها فقد روى علي كرم الله وجهه
انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد
الثاني من اوراد النهار كما سياتي بيانه واذا انبسطت الشمس وكان في ربع السما من جانب الشرق صلى اربعا فالاول
انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه بازا صلاة العصر فان وقتها ان
يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان
العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب هذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت

للضحى

للضحى على الجملة **الثامنة** احيا ما بين العشائين وهي سنة مؤكدة وما نقل عدده من فعله صلى الله عليه وسلم
بين العشائين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ما بين المغرب والعشا ركعتين فانها من صلاة الاوابين وقال صلى الله
عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشا في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له
قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما ماية عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسياتي بقية فضايلها
في كتاب الاوراد ان شا الله تعالى **القسم الثاني ما تكرر بتكرر الاسابيع** وهي صلوات ايام الاسبوع ولياليه
لكل يوم ولكل ليلة اما الايام فيبدا فيها **بيوم الاحد** روي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى
يوم الاحد اربع ركعات يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب وامن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية
حسنات واعطاه الله ثواب نبي وكتب له الف حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة
بكل حرف مدينة من مسك اذفر وروي علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة
الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة
والسنة يقرا في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجده وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الذي بيده الملك
ثم يتشهد ويسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين يقرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله حاجته كان حقا
على الله ان يقضي حاجته **صلوة يوم الاثنين** روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع
النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مرة وقل هو الله احد مرة والمعوذتين مرة مرة فاذا
سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها وروي انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشر ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واستغفر الله اثنى
عشر مرة ينادي به يوم القيمة ابن فلان بن فلان ليقم فلياخذ ثوابه من الله فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج
بتاج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله ماية الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور الف قصر من نور يتلالا
يوم الثلثا روى يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثا عشر ركعات
عند انتصاف النهار وفي حديث اخر عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله
احد ثلث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين
سنة **يوم الاربعا** روى ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعا
اثنتي عشر ركعة عند ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين
ثلث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع الله عنه عذاب
القبر وضيقه وظلمته ودفع الله عنه شدايد القيمة ورفع له من يومه عمل نبي **يوم الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب مرة
واية الكرسي ماية مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد ماية مرة ويصلي على ماية مرة اعطاه الله ثواب من صام
رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من امن بالله وتوكل عليه حسنة **يوم
الجمعة** روى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الجمعة صلاة ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت
الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضا واسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله
له ماتي حسنة ومحا عنه ماتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعماية درجة ومن صلى ثمان ركعات
رفع الله له في الجنان ثمانماية درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنى عشر ركعة كتب الله له الفا ومايتي حسنة ومحا عنه

قال الامام الحافظ زين الدين العراقي اعلم ان الشيخ علي بن يوسف الهكاري قد صنف كتابا سماه بفضايل الاعمال واورد فيه الاكاذيب وغرايب وكلها منه نقل الغزالي هذه الاحاديث وغيرها فليعلم ان كلها احاديث كذب وباطل لا اصل لها انتهى

سورة واية الكرسي مرة فاذا فرغ قرا قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة صح

الفا ومابنى سيئة ورفع له فى الجنة الفا ومابنى درجة وعن نافع عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل
الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة وقرا فى كل ركعة الحمد وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى
يرى مقعده فى الجنة او يرى له **يوم السبت** روى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع
ركعات يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ قرا اية الكرسى كتب الله له
بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان
تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهدا **اما الليالى ليلة الاحد** فقد روى انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرا فى كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة واستغفر الله
مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبى مائة مرة وتبرا من حوله وقوته والتجا الى حول الله وقوته ثم قال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله تعالى صلى الله عليه وسلم وفطرته وابرهيم خليل الله وموسى كليم الله
تعالى وعيسى روح الله تعالى ومحمدا حبيب الله تعالى كان له من الثواب بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله
تعالى يوم القيمة مع الامنين وكان حقا على الله تعالى ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين** روى الاعمش عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات يقرا فى الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله
احد عشر مرات وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفى الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد
ثلثين مرة وقرا فى الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرا قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا
وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم يسال الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله
ماسال وهى تسمى صلاة الحاجة **ليلة الثلثا** يصلى ركعتين يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين
خمس عشرة مرة ويقرا بعد التسليم خمس عشرة مرة اية الكرسى واستغفر الله خمس عشرة مرة **ليلة الاربعا** روت فاطمة
رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى ليلة الاربعا ست ركعات بثلاث تسليمات
يقرا فى كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى اخر الاية فاذا فرغ من صلوته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا
صلى الله عليه وسلم عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من صلى ليلة الاربعا ركعتين يقرا فى اول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفى الركعة
الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيمة
ليلة الخميس قال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشا ركعتين يقرا فى كل
ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسى خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من الصلاة
استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما يعطى الصديقين
والشهدا **ليلة الجمعة** قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة ما بين المغرب والعشا اثنى عشر
ركعة يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد احدى عشر مرات فكانما عبد الله تعالى اثنى عشر سنة صيام
نهارها وقيام ليلها وقال انس قال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلاة العشا الاخرة فى جماعة وصلى
ركعتى السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرا فى كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلث
ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة على
فى الليلة الغرا واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت** قال انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشا اثنى عشر ركعة بنى له قصر فى الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة
وتبرا من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له **القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين** وهى اربعة صلاة

العيدين والتراويح وصلاة رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان **الاول** صلاة العيدين وهى سنة مؤكدة وشعار
من شعاير الدين وينبغى ان يراعى فيها سبعة امور **الاول** التكبير ثلثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع فى صلاة العيد وفى العيد الثانى يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى
اخر النهار من يوم الثالث عشر وهذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب
الفرايض آكد **الثانى** اذا اصبح يوم العيد فيغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه فى الجمعة والردا والعمامة هو الافضل
للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجايز التزيين عند الخروج **الثالث** ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر
هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر باخراج العواتق وذوات الخدور **الرابع**
المستحب الخروج الى الصحرا الا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا باس بالصلوة فى المسجد ويجوز فى يوم الصحو
ان يامر الامام رجلا يصلى بالضعفة فى مسجد ويخرج بالاقويا مكبرين **الخامس** ان يراعى الوقت فوقت العيد ما بين
طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر يوم الثالث
عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها وهذه
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** فى كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين فى الطريق واذا
بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل وللناس التنفل ثم ينادى مناد الصلاة جامعة ويصلى الامام ركعتين
يكبر فى الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهى الاية عقيب تكبيرة الافتتاح ويوخر الاستعاذة الى ما وراء الثامنة
ويقرا سورة ق فى الاولى بعد الفاتحة واقتربت فى الثانية والتكبيرات الزوايد فى الثانية خمس سوى تكبيرتى
القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها
السابع ان يضحى بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عنى وعن
من لا يضحى من امتى وقال من راى هلال ذى الحجة واراد ان يضحى فلا ياخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب
الانصارى كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل بيته فيأكلون ويطعمون وله
ان ياكل من الضحية بعد ثلثة ايام فما فوق ذلك وردت الرخصة فيه بعد النهى عنه وقال سفين الثورى يستحب
ان يصلى بعد عيد الفطر اثنى عشر ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة **التراويح** وهو عشرون
ركعة وكيفيتها مشهورة وهى سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا فى ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد
وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر
رضى الله عنه الناس عليها فى الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحى فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضى الله عنه
ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرايض ولانه ربما يكسل فى الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد
افضل لان هذه سنة ليست من الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيهما جماعة
وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلوة
المتطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاته المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت وروى انه صلى الله عليه وسلم
قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من مائة صلاة فى غيره من المساجد وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الف صلاة
فى مسجدى وافضل ذلك كله رجل يصلى فى زاوية بيته ركعتين لا يعلمها الا الله وهذا لان الريا والتصنع ربما يتطرق
اليه فى الجمع ويامن منه فى الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما رواه عمر رضى الله عنه فان بعض النوافل

قد تشرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعاير التي تظهر واما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد
فهو عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكان قايله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص
خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق من نفسه انه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر
بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الاخر تردد
ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من شهر رمضان **اما صلاة رجب** فقد روي بالاسناد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس في رجب ثم يصلي فيما بين العشاء [والعتمة] اثنتي عشرة ركعة يفصل بين
كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات وقل هو الله احد اثنتي
عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى اله ثم يسجد ويقول في
سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم
فانك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسال الله حاجته في سجوده
فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر الله [تعالى] له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر
وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبعماية من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه
صلاة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كانت لا تبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلاة
العيدين لان هذه الصلاة نقلها الاحاد ولكني رايت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها
اما صلاة شعبان فهي ان تصلي في الليلة الخامسة عشر منه ماية ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة
قل هو الله احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة ماية مرة قل هو الله احد فهذا ايضا
مروي في جملة الصلوات كان [بعض] السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة
روي عن الحسن البصري رحمه الله انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة في هذه
الليلة نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة **القسم الرابع من النوافل**
ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة كصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية
المسجد وصلاة الجنازة وركعتا الوضوء وركعتان بين الاذان والاقامة وركعتان عند الخروج من المنزل والدخول [فيه]
اليه ونظاير لذلك فنذكر منها ما يحضرنا الان **الاولى** صلاة الخسوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
والقمر لايتان من ايات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة
قال ذلك لما مات ولده ابرهيم عليه السلام وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها وفي [وقتها]
اما الكيفية فاذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة او غير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام
بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين اوايلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرا في الاولى من قيامي الركعة
الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثاني الفاتحة وال عمران وفي الثالث الفاتحة وسورة النساء وفي الرابع الفاتحة والمايدة
او مقدار ذلك من القران من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سور قصار فلا باس و[مقصود]
التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر ماية اية وفي الثاني قدر ثمانين اية وفي الثالث
قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكون السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما
جلسة ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل في خسوف القمر الا انه يجهر [فيها] في الصلاة لانها ليلية اما
وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة ويفوت صلاة خسوف القمر
بان تطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر في الليل خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى

وقد دست شياطين الانس من المبتدعة اقوالا فاسدة لا تصح عقلا ونقلا في كتب بعض ائمة السنة الاعلام كاحياء الامام الغزالي ونحوه القصيدة [الفتنة] اودعوا من الجواهر النفيسة اوحسنا فيما التسديد لها من في تواليفهم التي يعد بت الكرامات الخارقة للعادات بل دستوا كثيرا في الاحاديث النبوية وتجاسروا على ادخال الاحاديث الموضوعة الكاذبة فيها كحديث الرغايب والبراة وغيرها لاغراض فاسدة نقل من شرح العقيدة الشريف السنوسي رحمه الله تعالى رحمة واسعة فاجتنب ايرادها

وهذا الكلام من الامام حجة الاسلام ان لم يكن دسيسا عليه يخالف لما سبق في الورقة

في اثناء الصلاة اتمها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو
الركوع الاول **الثانية** صلاة الاستسقاء فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار وانهارت القناة فيستحب
الامام ان يامر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم
يخرج بهم يوم الرابع وبالعجايز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل
يستحب اخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهايم رتع
لصبت عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة ايضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء
نودي الصلاة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد من غير فرق ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة
خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة
ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال فهكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل اعلاه اسفله وما
على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم
الخطبة ويدعون اردينهم محولة كما هي حتى ينزعونها متى نزعوا ثيابهم ويقول في الدعاء اللهم انك امرتنا بدعائك
ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في
سقيانا وسعة رزقنا ولا باس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا الدعاء اداب وشروط
باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسياتي ذلك في كتاب الدعوات ان شاء الله **الثالثة** صلاة الجنازة و
كيفيتها مشهورة واجمع دعاء ماثورة ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله [نزوله] ووسع [واسع] مدخله واغسله بالماء
والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا
خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت
ومن ادرك التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة فينبغي ان يراعي ترتيب صلاة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا
سلم الامام قضى ما فاته كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الاركان
الظاهرة وجديرة بان تقام مقام الركعات في ساير الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار
الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرايض الكفايات
وانما تصير نفلا في حق من لم يتعين عليه بحضور غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما
هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا
بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة مجابة [مستجابة] لما روى كريب عن ابن عباس انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما
اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال يقول هم اربعون قال قلت نعم قال اخرجوه فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا
الا شفعهم الله فيه واذا شيع الجنازة فوصل الى المقابر ودخلها ابتداء قال السلام على اهل الديار من المومنين والمسلمين
~~فاذا سوى على الميت~~ ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى
يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم ان عبدك رد اليك فارؤف به وارحمه اللهم جاف الارض
عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في حسناته وان كان
مسيئا فتجاوز عنه **الرابعة** تحية المسجد بركعتين فصاعدا وهي سنة مؤكدة حتى انهما لا يسقطان وان كان الخطيب
على المنبر في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضاء تادى به التحية وحصل [الفضل]

اذ المقصود ان لا يخلوا ابتدآء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا تكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فايدتين احدهما ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب قضاء النوافل اذا اختلف العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهة باضعف الاسباب فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب لذلك لا تكره صلاة الجنازة فيها اذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفايدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلنا في رسول الله اسوة حسنة وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنى عشر ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركها بل يتداركه في وقت آخر كي لا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه عليه الصلوة والسلام قال احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله وروت عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله فليحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما تسلطت الملالة عليه **الخامسة** ركعتان بعد الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرى الحدث قبل الصلوة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت بلالا فيها وقال لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين او كما قال **السادسة** ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روي ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدا به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور فعله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبدايات الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله وهي على ثلث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدا فيها باسم الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدا فيه بذكر الله فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها ان تصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت هذا النكاح وقد كانت عادة الصحابة في ابتداء اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد الثالثة ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب **السابعة** صلاة الاستخارة فمن كان هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخيرة في تركه او في الاقدام عليه فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصلي

مستحبتان لان الوضوء ح

باسم الله

باسم الله تعالى ع

ركعتين

ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تعلم ولا اعلم وتقدر ولا اقدر وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فقدره لي ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي الخير اينما كان وارضني به انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال عليه السلام اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الثامنة** صلاة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومست حاجته في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنى عشر ركعة يقرا في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا لله تعالى ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والتكرم سبحان ذي الطول اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وعلى آله نبي الرحمة ثم يسال حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله قال وهيب وبلغنا انه قال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية الله تعالى **التاسعة** صلاة التسبيح وهذه الصلاة ماثورة على وجهها ولا يختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبرك بشيء اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول الركعة وانت قايم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشر مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا جالسا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات وان استطعت ان تصليها في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمسة عشر مرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلثماية تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ وردت صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلوات الماثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا التحية المسجد وما اوردناه قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والدخول والاستخارة وركعتي الطواف فلا فان النهي مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي ان يتوضا ليصلي لا انه توضا وكل محدث يريد ان يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضا ويصلي ولا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل اذا

وهذه الصلوة رواها ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لانه يصلي ح

توضا صلى ركعتين تطوعا كى لا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال
لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء فيستحيل ان ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي
ان ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم ان يقول في وضوء اتوضا لصلاتى ويقول في صلاته اصلى لوضوئى بل من
اراد ان يحرس وضوءه عن التعطل في وقت الكراهية فلينو قضاء ان كان يجوز ان يكون في ذمته قضاء صلاة تطرق
اليها خلل بسبب من الاسباب فان قضاء الصلوات في اوقات الكراهية غير مكروه فاما نية التطوع فلا وجه له ففي
النهى في اوقات الكراهية مهمات ثلثة احدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس والثانى الاحتراز من انتشار الشياطين
اذ قال عليه الصلوة والسلام ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا
استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة في هذه الاوقات
ونبه به على العلة والثالث ان سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة في جميع الاوقات والمواظبة
على نمط واحد من العبادات يورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى والانسان حريص على
ما منع منه ففى تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات
بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففى الاستطراف
والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شئ واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا
مجردا بل رتبت العبادات من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند
الانتقال اليها ولو واظب على الشئ الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهى عن اوقات الكراهة
الى غير ذلك من اسرار آخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب
مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغى ان يصادم
بها مقصود النهى هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم بالصواب والحمد لله حق حمده وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم تسليما

[margin: لا ما مجردا صح]

كتاب اسرار الزكاة ومهماتها وهو الكتاب الخامس من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه اعتصمت الحمد لله الذى اسعد واشقى وامات واحيا واضحك
وابكى واوجد وافنى وافقر واغنى واضر وافنى الذى خلق الحيوان من نطفة اذا تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى
ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليهم من نعمه ما ايسر به من شاء واستغنى واحوج اليه من اخفق فى رزقه واكدى
اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين اساسا ومبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى
ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى اصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم
تسليما كثيرا **اما بعد** فان الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام واردف بذكرها الصلاة التى هى اعلى الاعلام
فقال تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق فى سبيل الله اخراج حق الزكاة قال
الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر بنا ابوذر وقال بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى
من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفى رواية انه يوضع على حلمة ثدى احدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض
كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابوذر انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما
رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من
بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يودى زكاتها الا جاءت يوم القيمة

اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس
واذا كان هذا التشديد مخرجا فى الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكاة وشروطها الجلية
والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عن معرفتها مودى الزكاة وقابضها وينكشف
ذلك فى اربعة فصول **الاول** فى انواع الزكوات واسباب وجوبها **الثانى** فى ادابها وشروطها الظاهرة والباطنة
الثالث فى القابض وشروط استحقاقه واداب قبضه **الرابع** فى صدقة التطوع وفضلها

الفصل الاول

فى انواع الزكوات واسباب الوجوب والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكوة النعم والنقدين والتجارة
وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطرة **النوع الاول** فى زكاة النعم ولا تجب هذه الزكاة و
غيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ والعقل بل يجب فى مال الصبى والمجنون هذا شرط من عليه فاما المال
فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال **الشرط الاول** كونه نعما فلا زكاة الا
فى الابل والبقر والغنم اما الخيل والحمير والمتولد بين الظبا والغنم فلا زكاة فيها **الثانى** السوم فلا زكاة فى معلوفة
واذا اسيمت فى وقت يظهر بذلك مؤونتها فلا زكاة فيها **الثالث** الحول قال صلى الله عليه وسلم لا زكاة فى مال حتى
يحول عليه الحول ويستثنى عن هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه بحول الاصول ومهما باع
المال فى اثناء الحول او وهب انقطع الحول **الرابع** كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لانه
هو الذى حجر على نفسه فيها ولا تجب الزكاة فى الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ما مضى عند
عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغنى ما يفضل عن الحاجة **الخامس** كمال
النصاب اما الابل فلا شئ فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضان والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية او
ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة وفى عشر شاتان وفى خمسة عشر ثلث شياه وفى عشرين اربع شياه وفى
خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثانية فان لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنة
الثالثة يوخذ وان كان قادرا على شرائها وفى ست وثلاثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهى
التى فى السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين
ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلث بنات
لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففى كل خمسين حقة وفى كل اربعين بنت لبون واما البقر فلا
شئ فيها حتى تبلغ ثلثين ثم فيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية ثم فى اربعين مسنة وهى التى فى السنة الثالثة
ثم فى ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك فى كل اربعين مسنة وفى كل ثلثين تبيع واما الغنم فلا زكاة فيها حتى
تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شئ فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة فيها شاتان
الى مائتين وواحدة ففيها ثلث شياة الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة وصدقة الخليطين
كصدقة المالك الواحد فى النصب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلثة نفر مائة
وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن بشرط ان يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا
ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من اهل الزكاة فلا حكم للخلطة مع الذمى والمكاتب
ومهما نزل فى واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض فى النزول ولكن يضم اليه جبران السن
لسنة واحدة شاتين او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه او اربعين درهما وله ان يصعد فى السن ما لم يجاوز الجذعة
فى الصعود وياخذ الجبران من الساعى من بيت المال ولا يوخذ فى الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة
ويوخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يوخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربا ولا الفحل ولا غذاء المال

[margin: علفت فى وقت صح]

النوع الثاني زكاة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه
والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من من تمر او زبيبا لا رطبا ولا عنبا
ويخرج بعد التجفيف ويكمل بمال احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم
ثمانمائة من زبيبا فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا تعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب
الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان
يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس
والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل
تمام الادراك فيؤخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع
بل يرخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد
الجفاف **النوع الثالث** زكاة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم
وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم وان نقص من النصاب شيء فلا زكوة ونصاب الذهب عشرون دينارا
خالصا بوزن مكة وفيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكاة ويجب على من معه دراهم
مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة ويجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة
ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح ويجب في الدين الذي هو على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء
وان كان مؤجلا فلا يجب الا بعد حلول الاجل **النوع الرابع** زكاة التجارة وهي كزكاة النقدين وانما ينعقد
الحول من وقت ملك النقد الذي اشتري به البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض
على نية التجارة فالحول من وقت الشرا ويؤدي الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشرا نقدا وكان نصابا
كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به
شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والاولى ان تؤدي زكاة تلك السنة وما كان من ربح
في السلعة في آخر الحول وجب الزكاة فيه بحول راس المال ولم يستأنف له حول كما في النتاج واموال الصيارفة
لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كساير التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة
هذا هو الاقيس **النوع الخامس** زكاة الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها
في الاسلام اثر ملك فعلى واجدها من الذهب والفضة الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا
لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس بعيدا لان مصرفه مصرف الزكوات ولذلك يخص على
الصحيح بالنقدين واما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتخليص
ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي
النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله ان يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات
فلا يعتبر لانه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا
خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشباه **النوع
السادس** صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته
يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته
او افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها
قسمة زكاة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والمسوس ويجب على الرجل المسلم فطرة

والسويق

زوجته

مكرر
ونصاب الذهب
عشرون دينارا خالصا
بوزن مكة وفيها ربع العشر
وما زاد فبالحساب لا اصله

زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من يجب عليه نفقته من الآباء والامهات والاولاد قال صلى الله
عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر
وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزأته وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم
فالاولى بالتقديم من كان نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها
على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد تعرض له وقايع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل
فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار **الفصل الثاني** في الاداء وشروطه الباطنة
والظاهرة **بيان الشروط الظاهرة** اعلم انه يجب على مؤدي الزكاة مراعاة خمسة امور **الاول** النية وهو ان
ينوي بقلبه زكاة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال غايب فقال هذا عن مالي الغايب ان كان
سالما والا فهو نافلة جاز له لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون
والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة
عنه اما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستأنف الزكاة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل او وكل
الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية **الثاني** البدار عقيب الحول وفي زكاة الفطر ان لا يؤخرها عن يوم
الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكاة ماله
مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت
الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جايز بشرط ان تقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما
عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع ليس بزكاة
واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامر وسلامة العاقبة **الثالث** ان لا
يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة
ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رحمه الله يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل
فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلثة اقسام **قسم** هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ
والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصا اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر
العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوا اليه فلا يظهر
به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر اعمال الحج كذلك
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد
لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه **والقسم الثاني** من واجبات الشرع
ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه
فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب
الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **والقسم الثالث** هو المركب الذي يقصد
منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق
فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد
والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكاة من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعي رحمه الله تعالى
فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع
وباعتباره صارت الزكاة قرينة الصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس

امواله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه
غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف
من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين
والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر
في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ان كان الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا
وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكاة لم يترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان
الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا مثار الغلط فيه **الرابع** ان لا ينقل الصدقة الى بلد اخر فان اعين المساكين
في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف
اولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة ثم لا باس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة **الخامس** ان يقسم ماله
بعدد الاصناف الموجودين في البلدة فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات
للفقراء والمساكين فانه شبيه بقول المريض انما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك
والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة
والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء
السبيل وصنفان يوجدون في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم
بينهم زكاة ماله بخمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم يقسم كل قسم بثلثة اسهم فما فوقه اما متساوية
او متفاوتة فليس عليه التسوية بين احاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما
الاصناف فلا يقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص في كل صنف من ثلثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع للفطرة
ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك
الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليه الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم او ليجمع المستحقين
وليسلم اليهم حتى يتساهمون فيه فان ذلك لا بد منه **بيان دقايق الاداب الباطنة في الزكاة** اعلم ان على
مريد طريق الاخرة بزكاته وظايف **الاول** فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت
من مباني الاسلام مع انها تصرف مالي وليست من عبادات الابدان وفي ذلك ثلث معان الاول ان التلفظ
بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء بذلك ان لا يبقى للموحد محبوب سوى
الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما تمتحن درجة الحب [المحب] بمفارقة المحبوب
والاموال محبوبة عند الخلق لانها الة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه
لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك
قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة
شوقا الى لقاء الله والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس ثلثة اقسام **فقسم**
صدقوا في التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكاة
عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مايتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا
بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه ماذا ابقيت
لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما
فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله **القسم الثاني** درجتهم دون هذا

الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة
دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهرت وجوهها وهولاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة
وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطا ومجاهد قال الشعبي
بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم اما سمعت قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى الاية
واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكاة
بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة
والذي يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقت حاجة كان ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان
يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل ان يقال
يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقراض اي لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقراض نزول
الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة **القسم الثالث** الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون
عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم وبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف
حبهم الاخرة قال تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه
بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه عباده ببذل المال المعنى الثاني التطهير
عن صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وقال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسياتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية
التقصي عنه وانما يزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشي لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير
ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله
وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عباده نعمة في نفسه
وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق
الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يودي شكر الله تعالى على اغنائه [اغناه] عن السوال واحواج غيره اليه بربع العشر
او العشر من ماله **الوظيفة الثانية** في وقت الاداء ومن اداب ذوي الدين التعجيل على وقت الوجوب اظهارا للرغبة في
الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوايق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير
افات مع ما يتعرض له العبد من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان
تغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر
ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب كل لمة للملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكوته ان كان يوديها جميعا
شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف لزكاته وذلك كشهر
المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق فيه وكان صلى الله عليه وسلم
في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر فانه انزل فيه القران وكان مجاهد
يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل
فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق
وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار فان ذلك
ابعد عن الريا والسمعة قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلث
من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى

لا يجوز له الاقراض
اي لا يجوز للفقير قبول
القرض م

له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث المشهور
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته يمينه وفي الخبر صدقة
السر تطفي غضب الرب وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص
من آفة الريا والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مرائي ولا منان والمتحدث بصدقته
يطلب السمعة والمعطي في ملاء من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص من ذلك وقد بالغ في قصد
الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق
الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضه كان يصره في ثوب الفقير وهو نايم وبعضهم كان
يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه
كل ذلك توسلا الى اطفاء غضب الرب واحترازا من الريا والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه
الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الريا والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط
الا الريا ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه
اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الاخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم
المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب في القبر افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او
تخفيف اذاهما فمهما قصد الريا والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب قوة للحية فبقدر ما ضعف من العقرب
زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات الذي بها قوتها العمل بمقتضاها
وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي فائدة في ان يخالف داعي البخل
ويجيب داعي الريا فيضعف الادنى ويقوي الاقوى وسياتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات **الوظيفة**
الرابعة ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيبا للناس في الاقتدا ويحرس سره عن داعية الريا بالطريق الذي
سنذكره في معالجة الريا في كتاب الريا فقد قال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي
الحال الابدا اما للاقتدا واما لان السايل انما سال عن ملاء من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الريا
في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى
المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتاذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السوال فهو الذي
هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه و
الاغتياب بذكره منهي عنه فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى
قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا فلا غيبة له وقد قال تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
ندب الى العلانية ايضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التامل في وزن هذه الفائدة بالمحذور
الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل
ومن عرف الفوايد والغوايل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد
صدقته بالمن والاذى قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل
المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفين من من فسدت صدقته فقيل كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث
به وقيل المن ان يستخدمه بالعطا والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره
او يوبخه بالمسئلة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس هو من
احوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه احوال وافعال ظاهرة على اللسان والجوارح واصله ان يرى نفسه محسنا اليه

ومنها

ومنها عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله منه الذي هو طهرته وبه نجاته من النار وانه لو لم
يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه نايبا عن الله في قبض حقه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السايل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه والفقير اخذ من الله
رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحال به صاحب الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل
برزقه لكان اعتقاد مودي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المنة للمحسن اليه المتكفل برزقه واما هو
فانما يقضي الدين الذي لزمه بشرا ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرفت المعاني الثلثة
التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة او احدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا لحب الله او تطهيرا
لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيف ما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه
محسنا اليه ومهما جهل هذا الجهل بان راى نفسه محسنا اليه تفرع عنه الى ظاهره ذكر في معنى المن وهو التحدث
به واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في
المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى فظاهره
التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهي
منبعه امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني
رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس رتبة منه وكلاهما منشاه الجهل اما كراهية تسليم المال
فهي حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يسوى الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضاء الله
والثواب في الدار الاخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكرا لطلب المزيد وكيف
ما فرض فالكراهة لا وجه لها واما الثاني فهو ايضا جهل لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما
استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الاغنيا يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسماية عام ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة فقال ابو ذر ومن هم قال هم الاكثرون اموالا الحديث ثم كيف يستحقر
الفقير وقد جعله الله متجره اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم
ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز
عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فياكلها اعداؤه فاذن مهما انتفت الكراهة
وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله له في اداء الواجب وتقبيضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى
الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشا المن والاذى فان قلت
فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له
علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالا عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره
واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد فلم تخل صدقته عن شايبة المنة لانه توقع بسببها ما لم يكن يتوقعه
قبل ذلك فان قلت فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن
فالمعرفة بالحقايق التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال
التي يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سياتي اسراره
في الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قايما بين يديه يسأله قبول ذلك
حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهيته لو رده وكان بعضهم يبسط كفه لياخذ الفقير من كفه
لتكون يد الفقير هي العليا وكانت عايشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ

بسلخ المقابلة

ان يسلم

اي عاون

مايدعوا به كانتا تردان عليه مثل قوله ويقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعا لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعا بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه عبد الله فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دوا من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة من حيث الباطن المعارف التى ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام ليس للمرء من صلاته الا ما عقل منها وهذا ثبت بقوله عليه الصلوة والسلام لا يقبل الله عز وجل صدقة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث اخر وقد اشرنا الى معناه فى كتاب الصلوة **الوظيفة السادسة** ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه فى فهم الوجوب فهو جدير بان يستحى منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتامل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين حق الله تعالى وان كان مقامه يقتضى ان ينظر الى الاخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطا الخجل من بخله بامساكه بقية ماله عن الله تعالى فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله وانما لم يامر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة** ان ينتقى من ماله اجوده واحبه اليه واحله واطيبه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفى حديث ابان عن انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله فيكون قد اثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام فى بيته لاوغر به صدره هذا ان كان نظره الى الله وان كان نظره الى نفسه وثوابه فى الاخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى والذى ياكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اى ما لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفى الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكرهه من ماله فيدل ذلك على انه ليس يوثر الله بشئ مما يحبه ولذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفى تكذيبا لهم ثم ابتدا وقال جرم ان لهم النار اى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار **الوظيفة الثامنة** ان يطلب لصدقته من تزكوا به الصدقة ولا يكتفى بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان فى عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهى ستة **الصفة الاولى** ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقى ولا ياكل طعامك الا تقى وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكا له فى طاعته باعانتك اياه وقال

صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقيا واولوا معروفكم المؤمنين وفى لفظ اخر اضف بطعامك من تحبه فى الله وكان بعض العلما يوثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال لا هولاء قوم همتهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله احب الى من اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه **الصفة الثانية** ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك رحمه الله يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل **الصفة الثالثة** ان يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره وراى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله وهو ان يرى النعم كلها منه وفى وصية لقمن لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعى الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى فى قلبه ان صلاح دينه ودنياه فى فعله فمهما قوى الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل فى الاكثر جدواها واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع فاما الذى يمدح بالعطاء ويدعوا بالخير فسيذم بالمنع ويدعوا بالشر عند الايذاء واحواله متفاوتة وقد روى انه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله عز وجل وحده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة عايشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه قومى فقبلى راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفى لفظ اخر انها قالت لابى بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك مع ان الوحى وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشياء من غير الله وصف للكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتق الله فى تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوايبه **الصفة الرابعة** ان يكون متسترا مخفيا لحاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا اى لا يلحون فى السؤال لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغى ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين فى كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال **الصفة الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقراء

التعلم

متفاوتة

من العطايا هم

الذين احصروا فى سبيل الله اي حبسوا فى طريق الآخرة لعيلة اوضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربًا فى
الارض لانهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الاطراف بهذه الاسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى اهل البيت القطيع
من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه الصلاة والسلام يعطى العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر عن جهد البلاء
فقال كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوى الارحام فيكون صدقة وصلة وفى صلة
الرحم من الثواب ما لا يخفى قال علي رضى الله عنه لان اصل اخا من اخوانى بدرهم احب الى من ان اتصدق بعشرين
درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الى من ان اتصدق بماية درهم ولئن اصله بماية درهم احب الى من ان اعتق رقبة
واما الاصدقاء واخوان الخير ايضا يتقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقايق
فهذه هى الصفات المطلوبة وفى كل صفة درجات فينبغى ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة
من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد فى ذلك واصاب فله اجران وان اخطا
فله اجر واحد فان احد اجريه فى الحال تطهيره نفسه صفة البخل وتاكيد حب الله فى قلبه واجتهاده فى طاعته فهذه
الصفات هى التى تقوى فى قلبه فتشوقه الى لقاء الله تعالى والاجر الثانى ما يعود اليه من فايدة دعوة الاخذ وهمته
فان قلوب الابرار لها آثار فى الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون الثانى فهذا معنى تضاعف
اجر المصيب فى الاجتهاد ههنا وفى ساير المواضع والله اعلم **الفصل الثالث** فى القابض واسباب استحقاقه
ووظايف قبضه **بيان اسباب الاستحقاق** اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمى او مطلبى اما الصبى
والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية **الصنف الاول** الفقرا والفقير
هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان
كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص
بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقرا فهو فقير فانه فى الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغى
ان يشترط فى الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه
عن الفقر كونه معتادًا للسوال فلا يجعل السوال كسبًا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر
على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز ان تشترى له الآلة وان قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وان كان
متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا ويمنعه الكسب من وظايف
العبادات واوراد الاوقات فليكتسب قدر قوته لان الكسب اولى من ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة
بعد الفريضة واراد به السعى فى الاكتساب وقال عمر رضى الله عنه كسب فى شبهة خير من المسئلة وان كان مكتفيا بنفقة ابيه
او من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب فليس بفقير **الصنف الثانى** المساكين والمسكين هو الذى لا يفى دخله بخرجه
فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسًا وحبلا وهو غنى والدويرة التى يسكنها والثوب الذى يستره
على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اساس البيت اعنى ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه
عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه
ولكن ينبغى ان يحتاط فى فهم الحاجة الى الكتاب فالكتاب يحتاج اليه لثلثة اغراض التعليم والاستفاده والتفرج
بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع فى الآخرة
ولا يجدى فى الدنيا الا مجرد التفرج والاستيناس فهذا يباع فى الكفارة وزكاة الفطرة ويمنع اسم المسكنة واما
حاجة التعليم فان كان لاجل الكسب كالمودب والمعلم والمدرس باجرة فهذا آلته فلا يباع فى الفطرة كادوات
الخياط وساير المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا يباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة جامعة

مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع فيه
ويتعظ به فان كان فى البلد طبيب او واعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى
مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغى ان تضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه فى السنة فهو
مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شئ لزمته الفطرة فاذا قدر حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت
وثياب البدن ينبغى ان يقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف فى الشتاء ولا ثياب الشتا فى الصيف والكتب
بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الا الى احدهما فان قال احدهما اصح والاخرى احسن
فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كانت نسختان من علم واحد احدهما بسيط
والاخر وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ فى كل
واحد فائدة ليست فى الاخر وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض لها فى فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى
وللتنبيه بجنس هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتصدى مثل هذا النظر فى اثاث البيت فى
مقداره وعدده ونوعه وفى ثياب البدن وفى الدار فى سعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه
يجتهد فيها برايه ويقرب فى التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه
الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجى منها الا الاحتياط
الصنف الثالث العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكاة سوى الخليفة والقاضى ويدخل فيه العريف والكاتب
والمستوفى والحافظ والنقال ولا يزداد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شئ من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية
الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع فى
قومه وفى اعطائه تقريره على الاسلام وترغيب نظرائه واتباعه **الصنف الخامس** المكاتبون ويدفع الى السيد سهم
المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبد له **الصنف السادس** الغارمون
والغارم هو الذي استقرض فى طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض فى معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا
لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة او اطفاء فتنة **الصنف السابع** الغزاة الذين ليس لهم مرسوم فى
ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو **الصنف الثامن** ابن السبيل وهو الذى يشخص
من بلد ليسافر فى غير معصية او اجتاز به فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطى قدر بلغته فان قلت فبم
تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فيقبل قول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله
اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله انى عازم فان لم يف به استرد منه واما بقية الاصناف
فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسياتى بيانه ان شاء الله
بيان وظايف القابض وهى خمس الاولى ان يفهم ان الله تعالى اوجب صرف الزكاة اليه ليكفى مهمته
ويجعل همومه همًّا واحدا فقد تعبد الله الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله واليوم الاخر وهو المعنى بقوله وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه
اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفى الحاجات فاكثر الاموال وصبها فى ايدى عباده ليكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة
لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه متن الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا كما يحمى المشفق مريضه
فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنيا ليكون شغل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم وفايدته
تنصب الى الفقراء المتجردين لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عن ذلك فضول الدنيا ولا يشغلهم عن
التاهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر

من فضله فيما اعطاه كما سياتى بيانه فى كتاب الفقر وتحقيقه ان شاء الله وبيانه فليا خذ ما ياخذ من الله رزقا له وعونا له
على الطاعة ولتكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعته فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان
به على معصية الله كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله **الثانية** ان يشكر المعطى ويدعواله ويثنى عليه
ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه والطريق حق من حيث جعله
الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله
وقد اثنى الله على عباده فى مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها نحو قوله نعم العبد انه اواب الى غير ذلك
وليقل القابض فى دعائه طهر الله تعالى قلبك فى قلوب الابرار وزكى عملك فى عمل الاخيار وصلى على روحك فى
ارواح الشهدا وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعواله حتى
تعلموا انكم قد كافاتموه ومن تمام الشكران يستر عيوب العطا ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره
بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة
منه والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض
والنافع للمعطى ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه والاخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة
من الله فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكران يرى الواسطة اصلا **الثالثة** ان ينظر
فيما ياخذه فان لم يكن من حله تورع عنه فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع
عن الحرام فتوحا من الحلال فلا ياخذن من اموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا
اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجه فان فتوى الشرع
فى مثل هذا ان يتصدق به على ما سياتى بيانه فى كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن
اخذه اخذ زكاة اذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام **الرابعة** ان يتوقى مواقع الريبه والاشتباه فى مقدار
ما ياخذه فلا ياخذ الا القدر المباح ولا ياخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان ياخذ بالكتابة
او الغرامة فلا يزيد على قدر الدين وان كان ياخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل وان اعطى زيادة ابا وامتنع اذ ليس
المال للمعطى حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم ياخذ الا
ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر
والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى
عنه لعينه او يستغنى عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفى ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف
ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج فى تقدير الحاجة مقامات فى التضييق والتوسيع
ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع
هو ممقوت فى الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذن مالا كثيرا بل ما يتمم به كفايته من وقت اخذه الى سنة
فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ادخر لعياله قوت سنه فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهر او حاجة يومه
فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلما فى قدر الماخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ فى التقليل الى حد
اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن السوال
مع الغنا فسئل عن غناه فقال غداؤه وعشاؤه وقال آخرون ياخذ الى حد الغنى وحد الغنا نصاب الزكاة اذ لم يوجب الله

تعالى الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال القائلون حد الغنا
خمسون درهما لما روى ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من سال وله مال يغنيه جاء يوم القيمة وفى وجهه خموش
قيل وما غناه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم اربعون درهما لما رواه عطا
بن يسار منقطعا انه عليه الصلوة والسلام قال من سال وله اوقية فقد الحف فى السوال وبالغ آخرون فى التوسيع فقالوا
له ان ياخذ مقدار ما يشترى به ضيعة فيستغنى بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغنى لان هذا هو الغنى
وقد قال عمر رضى الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود به الى مثل
حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل ابا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال
عليه الصلاة والسلام اجعله فى قرابتك فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتادة فحايط من نخل لرجلين كثير
مغنى واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئراها فهذا ما حكى فيه اما التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد
فى كراهية السوال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى ان يشترى ضيعة فيستغنى بها
اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه
تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال
للورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه وسلم ان الاثم حواز القلوب فاذا وجد القابض
فى نفسه شيئا مما ياخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاواهم قيودا ومطلقات
من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق
الآخرة **الخامسة** ان يسال صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذ منه لانه لا يستحق
مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السوال واجب لاكثر الخلق فانهم لا يراعون
هذه القسمة اما لجهل واما لتساهل وانما يجوز ترك السوال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم
وسياتى ذكر مظان السوال ودرجات الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

الفصل الرابع فى صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها

بيان فضيلة الصدقة من الاخبار روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال تصدقوا ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار وقال عليه الصلوة والسلام
اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عليه الصلوة والسلام ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة
من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله عز وجل ياخذها بيمينه فيربيها له كما يربى احدكم فصيله او فلوه حتى
تبلغ التمرة مثل احد وقال صلى الله عليه وسلم لابى الذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك
فاصبهم منه بمعروف وقال صلى الله عليه وسلم ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته وقال صلى الله
عليه وسلم كل امرئ فى ظل صدقته يوم القيمة حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين
بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفى غضب الرب وقال صلى الله عليه وسلم ما المعطى من سعة بافضل اجرا
من الذى يقبل من حاجة ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد
باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الصدقات افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقا
وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان وقال عليه الصلوة
والسلام يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندى دينارا على من اتصدق قال انفقه على نفسك قال ان عندى آخر
قال انفقه على زوجتك قال ان عندى آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندى آخر قال انفقه على خادمك
قال ان عندى آخر قال انت ابصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد صلى الله عليه وسلم انما هى اوساخ الناس

وقال عليه الصلوة والسلام ردوا مذمة السايل ولو بمثل راس الطاير من الطعام وقال لو صدق السايل ما افلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خايبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمر بيده وكان يناول المسكين بيده وقال عليه الصلوة والسلام ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسالون الناس الحافا وقال عليه الصلوة والسلام ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة الاثار

قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عايشة رضى الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال وهم يشتهونه وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على ولى الحاجة منا وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابى الجعدان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعون ضعفا وانها لتفك لحى سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعون سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط الله عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال لقمن لابنه اذا اخطات خطيئة فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابى رواد كان يقال ثلثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان المصايب وكتمان الصدقة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم انى احب السكر وقال النخعي اذا كان الشئ لله لا يسرنى ان يكون فيه عيب وقال عبيد ابن عمير يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط واعرى ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وكان مالك لا يرى بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد باسا لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضى في الحور العين بالفلس واللقمة

بيان اخفاء اخذ الصدقة واظهارها

قد اختلف طرق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء اولى وافضل ومال قوم الى ان الاظهار ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان الاول انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك ستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى به قال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف الثانى انه اسلم لقلوب الناس ولالسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه او يظنون انه اخذ مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبار وصيانتهم عن هذه الجرايم اولى وقال ايوب السختيانى انى لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيرانى حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشئ لاجل اخوانى يقولون من اين له هذا وعن ابرهيم التيمى انه رؤى عليه قميص جديد فقال له بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخى خيثمه ولو علمت ان اهله علموا به لما قبلته الثالث اعانة المعطى على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء كثير والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطى ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه اخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفاء معروفه فقبلته وذاك اساء ادبه في عمله فرددت عليه عمله واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملا فرده فقال له لم ترد على الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك وقال الثورى لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته الرابع ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء ياخذ في السر ولا ياخذ في العلانية ويقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذى ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا او ذهبا لا يخرجه عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية فانفراده بما يعطى في الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلوا عن شبهة فاذا انفرد سلم عن هذه الشبهة واما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراياه والثانى اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت اخذا فانك لا تخلوا من احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذى يريده اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف لا نظر له الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبا بدعاء من ياخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا او غابوا نقصان في الحال بل ينبغى ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد حكى ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الاخرين ذلك فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم طايرا وقال له اذبح هذا حيث لا يراك احد فذهبوا ثم جاؤا وقد ذبح كل واحد طايره الا ذلك المريد فانه رد طايره حيا فقال له الشيخ ما لك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لم يرانى فيه احد فان الله تعالى يرانى في كل موضع فقال الشيخ لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران للنعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما اتيه الله من فضله وقرنه بالبخل وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتيهم الله من فضله وقال عليه الصلوة والسلام اذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان يرى اثرها عليه واعطى رجل بعض العارفين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الاخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت في الملا فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله والشكر قايم مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان قد ذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم اى هو مكافاة فالآن اذا عرفت هذه المعانى فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات ويختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغى ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في معانى الاخفاء منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار من ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر من اعين الناس

افضلكن

الشافعي

وحكي عن دجاجة

دجاجة

عندهم

في كل حال والاظهار افضل صح

ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطي بعين المحسن المنعم اليه فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان
بواسطة يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون
تالمه بانكشاف اخذه للصدقة كتالمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة
الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او يتقي انتهاك الستر واعانة المعطي على الاسرار وصيانة العلم عن
الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره
فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم
لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض
زيد على الخصوص ومن احسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب
الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي واستحثاث على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين
في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين به الا بان يروج
عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه من المعاني التي ذكرناها ليحمله
على الاظهار وقصده في الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر
الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم ان لا
يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث
بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فلينظر فان كان هو ممن
يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله
انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح
بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه الصلوة والسلام كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم
وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال في آخر اذا جاءكم كريم قوم
فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال صلى الله عليه وسلم اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره
فانه يزداد رغبة في الخير وقال عليه الصلوة والسلام اذا مدح المؤمن في وجهه ربا الايمان في قلبه وقال الثوري
من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك
ورايت ذلك نعمة من الله علي فاشكره والا فلا تشكر فدقايق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان
اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقايق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم
هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت
عبادة العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات
الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان الافضل من اخذ الصدقة او الزكاة

كان ابرهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ
الزكاة مزاحمة المساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف في كتاب الله تعالى
واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قايلون ياخذ الزكاة دون الصدقة لانه اعانة على واجب ولو ترك المساكين
كلهم اخذ الزكاة لاثموا بتركه ولان الزكاة لا منة فيها وانما هي حق واجب لله رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ
بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من
يعتقد فيه خيرا ولان موافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد عن التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة

في معرض الهدية فلا تتميز عنها وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته قال الشيخ الامام والقول الحق في هذا ان هذا
يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا
ينبغي ان ياخذ الزكاة واذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق
قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذه هو فلياخذ
الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان
المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ الزكاة
اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال هذا آخر كتاب الزكاة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين

كتاب اسرار الصيام ومهماته وهو الكتاب السادس من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة لما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد
امله فيهم وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان
الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة والصلوة
على محمد قايد الحق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الآراء الثاقبة والعقول المرجحة وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله عليه الصلاة
والسلام الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين ساير الاركان اذ قال الله تعالى فيما اخبر
عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة بعشر امثالها الى سبعماية ضعف الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وقد قال الله تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك به
في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله
عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال
له الريان لا يدخل منه الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله في جزاء صومه قال صلى الله عليه وسلم للصايم فرحتان
فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال
عليه الصلوة والسلام نوم الصايم عبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان فتحت
ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال
وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته
بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال
في الصايم يقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب فيفرغ للصابر جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم
انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها له لمعنيين
احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم
لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات
وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع وسيأتي فضايل الجوع ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لعايشة داومي قرع باب الجنة قالت بماذا يا رسول الله

كسر الشهوتين

قال بالجوع وسياتي فضايل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات ان شاء الله فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا للمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله ففي قمع عدو الله نصرة الله ونصرة الله موقوفة على النصرة له قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مراتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم اليها وما داموا يترددون فلا ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة وتذكار اركانه وسننه وشروطه الباطنة ويتبين ذلك بثلثة فصول

الفصل الاول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة **الاول** مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رئي الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب **الثاني** النية فلا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا لكل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنيناه بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست نية جازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او تستند الى استصحاب كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او تستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزم النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت المراة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها **الثالث** الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة تسبق الى جوفه او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي ان ياكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد **الرابع** الامساك عن الجماع وحده تغيب الحشفة في الفرج فان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة **الخامس** الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره **السادس** الامساك عن اخراج القيء فالاستقاءة

يفسد

لمن قوي عليه

التتابع

يدني راسه الى عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة فترجله ع

يفسد الصوم فان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعها بعد وصولها الى فيه فانه يفطر عند ذلك واما اللوازم بالافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائمين **اما القضا** فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذلك المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء متفرقا ومجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع واما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا يجب كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين متتابعين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية النهار ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بالغ مرحلتين ولا يجب الامساك الا اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما واما الفدية فيجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا **واما السنن** فستة تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او الماء قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود في رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ومدارسة القران والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخيرة فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وداب اهله اي اداموا النصب في العبادة لان فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها واشبه الاوتار بها ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة مريض او لشهادة او لجنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضا في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الا مارا و ينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح ولا بالاكل والنوم وغسل اليدين في الطشت فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني راسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجة فاذا عاد ينبغي ان يستانف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد **الفصل الثاني في اسرار الصوم وشروطه الباطنة** اعلم ان الصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الاخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الاخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين هو كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله قال النبي صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين

كسر الشهوتين

قال ... بالجوع ... فى كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات ان شاء الله فلما كان الصوم على الخصوص

اعلم ان الصوم ثلثة درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح من الاثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الاخر وبالفكر فى الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الاخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر فى تفصيله قولا ولكن فى تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله والانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور

ولا بمصاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المنى افطر لتقصيره **السادس** الامساك عن اخراج القئ فالاستقاءة

يفسد الصوم فان ذرعه القئ لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعها بعد وصولها الى فيه فانه يفطر عند ذلك واما لوازم الافطار فاربعة القضا والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائمين **اما القضا** فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر فالحائض تقضى الصوم وكذى المرتد اما الكافر والصبى والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع فى قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع واما الاستمنا والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا يجب كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين متتابعين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية النهار ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بالغ مرحلتين ولا يجب الامساك الا اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم فى السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما واما الفدية فيجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولدهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا **واما السنن** فستة تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او الماء قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود فى رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ومدارسة القران والاعتكاف فى المسجد لا سيما فى العشر الاخيرة فهى عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وادأب اهله اى اداموا النصب فى العبادة لان فيها ليلة القدر والاغلب انها فى اوتارها واشبه الاوتار بها ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين وخمس وسبع والتتابع فى هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة مريض او لشهادة او لجنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضأ فى البيت ولا ينبغى ان يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الا مارا و ينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس فى المسجد بالتطيب وعقد النكاح ولا بالاكل والنوم وغسل اليدين فى الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه فى التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى راسه فترجله عائشة رضى الله عنها وهى فى الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجة فاذا عاد ينبغى ان يستانف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد **الفصل الثانى فى اسرار الصوم وشروطه الباطنة** اعلم ان الصوم ثلثة درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الاثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الاخر وبالفكر فى الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الاخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر فى تفصيله قولا ولكن فى تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين هو كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله قال النبى صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اتاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين

لم يقو عليه

التتابع

يدلى راسه الى عائشة رضى الله عنها وهى فى الحجرة فترجله ع

الكاذبة والنظرة بشهوة الثانى حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والخنا والجفا والخصومة
والمرا والزامه السكوت اوشغله بذكر الله وتلاوة القران فهذا صوم اللسان وقد قال سفين الغيبة تفسد الصوم
رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وقد قال صلى الله عليه
وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل انى صائم انى صائم
وجاء فى الخبر ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من اخر النهار حتى
كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذنانه فى الافطار فارسل النبى صلى الله عليه وسلم اليهما
قدحا وقال قل لهما قيا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى
ملأتا فتعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت
احديهما على الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغا الى كل مكروه
لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع واكل السحت فقال سماعون للكذب اكالون
للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال
تعالى ايضا فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع
شريكان فى الاثم الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا
معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال ما يبنى قصرا ويهدم مصرا فان
الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل
الى تناول السم كان سفيها والحرام سم يهلك الدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد
قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذى يفطر على الحرام وقيل هو الذى
يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الاثام الخامس
ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلى فمامن وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد
من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى الوان الطعام
حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيوكل من الاطعمة فيه ما لا يوكل فى عدة اشهر ومعلوم
ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشا حتى
هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات
ما عساه كان راكدا لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسايل الشيطان فى العود الى
الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التى كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل
ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الاداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر
ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم فى ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى
الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شئ من الملكوت
وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب
ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل
الطعام وسياتى له مزيد بيان فى كتاب الاطعمة ان شاء الله السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا
بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى ايقبل صومه فهو من المقربين او رد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى اخر
كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن ابى الحسن البصرى انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل

عن ملكوت السماء محجوب

جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب
للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل
المحسن باحسانه والمسئ باساءته اى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن
الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى اعده لشر طويل والصبر على طاعة الله
اهون من الصبر على عذابه فهذه هى المعانى الباطنة فى الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك
هذه المعانى فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هى
اضعف من هذه الادلة التى اوردناها فى هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر
من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الاخرة فيعنون بالصحة
القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله وهو الصمدية
والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق
رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى
بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات
ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة المقربون من الله والذى يقتدى بهم ويتشبه باخلاقهم
يقرب من الله كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم
عند ارباب الالباب واصحاب القلوب فاى جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشاء مع الانهماك
فى الشهوات الاخر وجوع طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له
من صيامه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم
ولذرة من ذى يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال العلماء كم من صائم مفطر
وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الاثام وياكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع
ويعطش ويطلق جوارحه فى الاثام ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الاكل والجماع وافطر بمخالفة
الاثام كمن مسح على عضو من اعضائه فى الوضوء ثلث مرات فقد وافق فى ظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة
عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة ان شاء الله لاحكامه الاصل
وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلث مرات فجمع بين الاصل والفضل فهو الكمال وقد قال
صلى الله عليه وسلم انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلا قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال فليقل انى صائم اى انى اودعت
لسانى لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك فاذن قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا وللقشور درجات
ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الان فى ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب

الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه

اعلم ان استحباب الصوم يتاكد فى الايام الفاضلة وفواضل
الايام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها فى كل شهر وبعضها فى كل اسبوع اما فى السنة بعد ايام شهر رمضان فيوم عرفة
ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهى اوقات فاضلة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه من رمضان وفى الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله تعالى المحرم ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم يوم
من شهر حرام افضل من صوم ثلثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من صوم ثلثين من شهر حرام وفى الحديث

الافضل

والبصر امانة صح

من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له بكل يوم عبادة سبعماية عام وفي الخبر اذا كان
النصف من شعبان فلا صوم حتى شهر رمضان ولهذا استحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان
برمضان فجايز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال
رمضان بيومين او ثلثة الا ان يوافق وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر
رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب ثلثة سرد وواحد فرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة
من الاشهر الحرم وهو من الاشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي
الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة
منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد الا من عقر جواده واهريق دمه واما ما يتكرر
في الشهور فاول الشهر واوسطه واخره واوسط الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما
في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتتضاعف
اجورها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ
وردت فيه اخبار تدل على كراهته والصحيح انما كره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله
والاخر ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان
تترك معصيته فاذا لم يكن شيء من ذلك وراى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة
والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو موسى الاشعري رضي الله عنه من صام الدهر كله ضيقت
عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما
ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر
يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع
يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صوم اخي داود كان
يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني اريد افضل
من ذلك فقال عليه الصلوة والسلام صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك وقد روي
انه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا
باس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلثة من اول الشهر وثلثة من الوسط وثلثة من الاخير فهو
ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذ ظهر اوقات الفضيلة
فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله والفقيه بدقايق الباطن ينظر
الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى
وتحقق حده في سلوك طريق الاخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك
روي انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال انه لا يفطر ويفطر حتى يقال انه لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم
ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلما
ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد
رديء العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم والليلة مرتين
فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله اعلم اخر كتاب الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

كتاب اسرار الحج ومهماته وهو الكتاب السابع من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى
نفسه تشريفا وتخصيصا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلوة على محمد
نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان الحج ركن
من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه انزل الله تعالى قوله اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال
واجدر بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وادابها وفضايلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف
بتوفيق الله في ثلثة ابواب **الباب الاول** في فضايلها وفضايل مكة والبيت العتيق وجملة اركانها وشرايط وجوبها
الباب الثاني في اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع **الباب الثالث** في ادابها الدقيقة و
اسرارها الخفية واعمالها الباطنة فلنبدا بالباب الاول وفيه فصلان **الفصل الاول** في فضايل الحج وفضيلة البيت
ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال الى المشاهد **فضيلة الحج** قال الله تعالى واذن في الناس بالحج
ياتوك رجالا وعلى كل ضامر الاية قال قتادة لما امر الله عز وجل ابرهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها
الناس ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوه فاسمع الله تعالى نداه كل من يريد الحج من الذرية الى يوم القيمة وقال تعالى ليشهدوا
منافع لهم قيل التجارة في الموسم والاجر في الاخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر الله لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير
قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه
وسلم من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال ايضا ما راى الشيطان في يوم هو اصغر
ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه من يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام
اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين
مقصوف الظهر فقال له ما الذي ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم
فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان احب الي قال فما الذي
غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية لكان احب الي قال فما الذي قصف ظهرك قال
قول العبد اسالك حسن الخاتمة اقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم
من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى الله له اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض
ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ايضا حجة مبرورة خير من الدنيا بما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة
وقال عليه الصلوة والسلام الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا
استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت عليهم السلام اعظم الناس ذنبا من وقف
بعرفة فظن ان الله لم يغفر له وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم
مائة رحمة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف
بالبيت فانه من اقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير
حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر الله له ما سلف
من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفره لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف

اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم فى الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع
وكان واقفا اذ نزل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فقال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية علينا لجعلناه
يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه اشهد لقد انزلت فى يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروى ان على بن الموفق
حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا ابن الموفق حججت عنى
قلت نعم قال ولبيت عنى قلت نعم قال فانى اكافيك بها يوم القيمة اخذ بيدك فى الموقف فادخلك الجنة و
الخلايق فى كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلما ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل
وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا
وقال عمر رضى الله عنه الحاج مغفور له ومن استغفر له فى شهر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرا من ربيع الاول وقد
كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسئلوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك
قبل ان يتدنسوا بالاثام ويروى عن على بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنا فى مسجد الخيف فرايت
فى المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال له الاخر لبيك يا عبد الله
قال اتدرى كم حج بيت ربنا فى هذه السنة قال لا ادرى قال حج بيت ربنا ستماية الف فتدرى كم قبل منهم قال لا قال قبل
منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا فى الهوا فغابا عنى فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمنى امرى فقلت اذا قبل حج
ستة انفس فاين اكون انا فى ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر الحرام جعلت افكر فى كثرة الخلق وفى قلة
من قبل منهم فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيأتهما فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم
قال افتدرى ماذا حكم ربنا فى هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة ماية الف قال فانتبهت وبى من السرور
ما يجل عن الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم انى
قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لا يتقبل حجه قال فرايت رب العزة فى النوم فقال لى يا على اتتسخا على وانا خلقت
السخا والاسخيا انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته

فضيلة البيت ومكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستماية
الف فان نقصوا اكملهم الله بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق باستارها يسعون
حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون الجنة معها وفى الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة وله عينان
ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروى انه عليه الصلوة والسلام
سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال انى لاعلم انك حجر
لا تضر ولا تنفع ولولا انى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكا حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه
فراى عليا رضى الله عنه فقال يا ابا الحسن هاهنا تسكب العبرات فقال على يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف
قال ان الله عز وجل لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر
بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروى عن الحسن
البصرى ان صوم يوم بمكة بماية الف وصدقة درهم بماية الف وكذى كل حسنة بماية الف ويقال الطواف سبعة اسابيع
تعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفى الخبر عمرة فى رمضان كحجة معى وعن ابى سعيد رضى الله عنه قال خرجنا حاجا مع عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فلما دخل الطواف استلم الحجر وقبله فقال انى اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك قال ثم مضى فى الطواف فقال له على رضى الله عنه يا امير المؤمنين انه ليضر وينفع فقال له عمر

فانتبهت

ويستجاب الدعوات
صح

تعدل حجة مشكورة
مبرورة ويروى
صح

فبم

فبم ذاك قلت كتاب الله عز وجل قال فاى ذلك من كتاب الله تعالى قال قول الله عز وجل واذ اخذ ربك من بنى ادم من
ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى قال لما خلق الله عز وجل ادم مسح منكبيه فخرج ذريته مثل
الذر فعرفهم نفسه انا الرب وهم العبيد واقروا بذلك على انفسهم واخذ ميثاقهم بذلك فكتب فى رق ابيض قال فكان
هذا الركن الاسود يومئذ له لسان وشفتان وعينان فقال افتح فاك فالقمه ذلك الرق فجعله فى موضعه فقال
اشهد لمن وافاك بالموافاة الى يوم القيمة قال فقال له عمر لا بقيت فى قوم لست فيهم ابا الحسن او قال لا عشت فى قوم
لست فيهم ابا حسن وهذا مذكور فى الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم اتى اهل البقيع يحشرون
معى ثم اتى اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفى الخبر ان ادم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وجاء فى الاثر ان الله تعالى ينظر فى كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه
اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل مسجد الحرام فمن راه طائفا غفر له ومن راه مصليا غفر له ومن راه نائما مستقبل
الكعبة غفر له وكوشف بعض الاوليا فقال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان ساجدة لجدة ويقال
لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك
كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد
ثم يرفع القران من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القران من القلوب فلا يذكر
منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغانى واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى ابن مريم فيقتله والساعة عند
ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادتها وفى الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين
ويرفع فى الثالثة وروى على عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتى
فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره **فضيلة المقام بمكة وكراهته** كره الخايفون المحتاطون من العلما المقام بمكة لمعان
ثلثة احدها خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام ولهذا كان عمر رضى الله عنه
يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر بمنع الناس
من كثرة الطواف وقال خشيت ان يانس الناس بهذا البيت الثانى تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود
فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس اى يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال
بعضهم لان تكون فى بلدك وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام
وقلبك فى بلد اخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب بهذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى
عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب فيها فان ذلك مخطر وبالحرى
ان يورث مقت الله لشرف الموضع روى عن وهيب بن الورد المكى قال كنت ذات ليلة بالحجر فسمعت كلاما بين الكعبة
والاستار تقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين حولى من تفكههم فى الحديث ولغوهم ولهوهم
لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد
يواخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اى انه على مجرد
الارادة ويقال السيات تضاعف فيها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول الاحتكار بمكة
من الالحاد فى الحرم وقيل الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الى من ان اذنب ذنبا
واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطايف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى ان لم يقض حاجة فى الحرم بل كان يخرج
الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم اقام اشهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلما اجور
دور مكة ولا تظنن ان كراهية المقام تناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام

العباد ان يوضع
مرورا جلا
ورايت جلا تسجد لمكة
صح

ان تثار

بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام بها افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام
اليه الوفا بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد عليه الصلوة والسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله واحب
بلاد الله الي ولولا اني خرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه

فضيلة المدينة وساير البلاد ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فالاعمال فيها
ايضا تتضاعف قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فكذلك
كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسماية وكذا ساير الاعمال وروى ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة في مسجد المدينة بعشرة الاف صلاة وصلاه في المسجد
الاقصى بالف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بماية الف صلاة وقال صلى الله عليه وسلم لم يصبر على شدتها ولأوائها
احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعًا
يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلثة فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه افضل آخر
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد
ذهب بعض العلما الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلما والصلحا وما يتبين لي
ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها والحديث انما ورد
في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة متماثلة ولا بلدة الا وفيها مسجد فلا معنى
للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا يتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله نعم لو كان في موضع
لا مسجد فيه فله الرحلة الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القايل
من شد الرحال الى قبور الانبيا مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا
جوز ذلك فقبور العلما والاوليا والصلحا في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلما
في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة
العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب
وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والعباد عباده فاي موضع رايت فيه
رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شي فليلزمه ومن جعلت معيشته في شي فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه
وقال ابو نعيم رايت الثوري وقد جعل جرابه على كتفه واخذ قلته بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املاء
فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا سمعت
في بلد برخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمتك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف
بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الانسان من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن وحكي عنه انه قال والله ما ادري
اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآرا فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة
قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني
فقال اوصيك بثلاث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيًا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول
لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيخالط عمله التزين والتصنع

الفصل الثاني في شرط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته اما الشرايط فشرط صحة الحج شيان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي وان يحرم بنفسه ان
كان مميزا او يحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال
وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة

ان لا تشد الرحال

ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منا فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال
منا واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي او العبد
ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة
وليس عليهما دم الاساة وتشترط هذه الشرايط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع الحج نفلا
عن الحر البالغ فهو براة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضا لمن افسده في حالة الرق ثم النذر ثم النفل
وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية
والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام
على قول ثم يتحلل بافعال حج او عمرة واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة
واما في الطريق فبان تكون خصبة امنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه كان له
اهل او لم يكن له لان مفارقة الوطن شديدة وان يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به
ديونه وان يقدر على راحلة او كراها بمحمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب
بماله وهو ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة اسلامه في نفسه ويكفي نفقة الذهاب من امليه في هذا النوع
والابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعًا ولو عرض عليه ماله لم يصر به مستطيعًا لان الخدمة بالبدن
فيها شرف للولد وبذل المال فيها منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له
ولو في اخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيًا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص به كساير
ديونه وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه
ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله تعالى قال عمر لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم
يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات
قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك
ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا وقرا قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج اما الاركان التي لا يصح
الحج الا بها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف
والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام في الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه دم شاة والرمي ففيه الدم
قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنا وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر
تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه ادا الحج والعمرة فثلثة **الاول**
الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة
ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع **الثاني** القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير
محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف
فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم
شاة الا ان يكون مكيا فلا شي عليه لانه لم يترك ميقاته لان ميقاته مكة **الثالث** التمتع وهو ان يجاوز الميقات
محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعًا الا بخمس شرايط احدها ان
لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة الثاني ان يقدم العمرة على الحج
الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان يكون حجه
وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاه فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج

بلغ المقابلة

بزامله

بين الحج والعمرة

قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلثة حتى رجع الى الوطن صام العشر تباعًا
او متفرقا وبدل دم والتمتع والقران سوآء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران واما محظورات الحج والعمرة فستة **الاول**
لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبا فان لم يجد
ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان حرمته في الراس وللمراة ان تلبس
كل محيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها **الثاني** التطيب فليجتنب كلما يعده العقلا طيبا
فان تطيب او لبس فعليه دم شاة **الثالث** الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام
والفصد والحجامة وترجيل الشعر **الرابع** الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان
بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجة **الخامس** مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الوضوء
مع النسا فهو محرم وفيه شاة وكذى في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد **السادس** اكل
صيد البر اعني ما يوكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في
الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه **الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر
الى الرجوع** وهي عشرة جمل **الجملة الاولى** في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية **الاول** في المال فينبغي ان يبدأ
بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودايع و
يستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه مع التوسع في الزاد والرفق
بالضعفا والفقرا ويتصدق بشئ قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى
فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل وكثير ويحصل رضاه فيه **الثانية** في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا
محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع
رفقاه واخوانه المقيمين ويلتمس ادعيتهم فان الله جاعل له في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله
دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى
وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت **الثالثة** في الخروج من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي ركعتين
يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الى الله سبحانه
عن اخلاص صافي ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب
احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسالك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضا اللهم اني اسالك ان تطوي
لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك
محمد عليه الصلوة والسلام اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاقربا
والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك **الرابعة** اذا حصل على
باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او
يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا ريآء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء لفرضك
واتباعا لسنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك
توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك
ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعا في كل منزل يرحل
عنه **الخامسة** في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون

قبل

وجنبك الردى صح

والتوفيق صح

محمد صلى الله عليه وسلم صح

اللهم

اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل
فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات ثم قال
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان
على الامور **السادسة** في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله
عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون ذلك
عونا له على السير ومهما اشرف على منزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع
وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل
وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم قال
اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض
ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية
وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم **السابعة** في الحراسة
ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند
النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في اخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه هكذا
كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره فانه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما
يفوته من الصلوة افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما حرس
الآخر فهو السنة فان قصده عدو او سبع في ليل ونهار فليقرا اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل
بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف
السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي
ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا
بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك
وامائك برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين **الثامنة** مهما علا او نشزا من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر
ثلثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره
قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت **الجملة الثانية** آداب
الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة **الاول** ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات
المشهور الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظف ويسرح راسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة
التي ذكرناها في الطهارة **الثاني** ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوب الاحرام فيتزر ويرتدي بثوبين ابيضين
والابيض هو احب الثياب الى الله ويتطيب في بدنه وثيابه ولا باس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام **الثالث** ان
يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبتدي بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام
بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كيف ما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية
فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك
وسعديك والخير كله بيديك والرغبى اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد **الرابع**
اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله
مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني

فقد روى وبيض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام صح

مزوفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت منهم اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري ولحمي
ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النسا والطيب ولبس المخيط ابتغا وجهك والدار الاخرة ومن وقت
الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها **الخامس** يستحب تجديد التلبيه في دوام الاحرام
خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها
صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا باس برفع الصوت بالتلبية
في المساجد الثلثة فانها مظنة المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما ساير المساجد
فلا باس فيها بالتلبيه من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش
الاخرة **الجملة الثالثة** في اداب دخول مكه الى الطواف وهي ستة **الاول** ان تغتسل بذي طوى لدخول مكه
والاغسال المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكه ثم لطواف القدوم ثم للوقوف
بعرفه ثم للوقوف بمزدلفه ثم لطواف الزيارة ثم ثلثة اغسال لرمي الجمرات الثلث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم
لطواف الوداع ولم ير الشافعي رحمه الله في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فيعود الى سبعة **الثاني**
ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكه اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار
وامني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك **الثالث** ان يدخل مكه من جانب
الابطح وهو من ثنية كدا بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها فالتاسي به
اولى واذا خرج خرج من ثنيه كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا **الرابع** اذا دخل مكة
وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلم
ودارك دار السلم تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما
وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني
من الشيطان الرجيم **الخامس** اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبه وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله
وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابرهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم
اني اسالك في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي
بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك
والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسئلك مسئلة المضطر الخايف لعقوبتك الراجي رحمتك
الطالب مرضاتك **السادس** ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي
اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاه فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على
شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان تجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف **الجملة الرابعة**
في الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف اما للقدوم او لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة **الاول** ان يراعي شروط
الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله
اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه الايمن ويجمع طرفيه على
منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية
التي سنذكرها **الثاني** اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه
قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون

البيت صح

اواعتقني صح

وقريبا

قريبا من البيت فانه افضل ولكن لا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان
بالارض ويلتبس بها والطايف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار
البيت بعد ان ضيق اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدي الطواف **الثالث** ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتدا
الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه
وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا
الامن امنك وهذا مقام العايذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابرهيم ويقول اللهم بيتك عظيم ووجهك
كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وامني من اهوال يوم القيمة
واكفني مؤونة الدنيا والاخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من
الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ
الميزاب قال اللهم اظللنا تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله عليه وسلم
شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا
وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال
اللهم اني اعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والاخرة
ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب
النار فاذا بلغ الى الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر
وعند ذلك يتم له شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعوا بهذه الادعية في كل شوط **الرابع** ان يرمل في
ثلاثة اشواط ويمشي في الاربعة الاخيرة على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطا
وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا
كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنه والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة
فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا
وان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان منعته الزحمة اشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن
اليماني يستحب من بين ساير الاركان وروي انه عليه الصلوة والسلام كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع
خده عليه ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني اللمس باليد فهو اولى اذ هو
الاشهر في الرواية **الخامس** اذا اتم الطواف سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة
وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه
وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني
وبارك لي فيما اتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا المقام العايذ بك من النار اللهم
اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد وعلى جميع الرسل كثيرا
وليدع بحوايجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي
بذنوبي **السادس** اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي
الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف وقال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع
وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم
يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الاخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك

من الكفر واعوذ بك صح

القبر وعذاب صح

وليلتزم

بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم
حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك
وولائك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم
به الطواف قال صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذه
كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلاة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان
يبتدى بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في
الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات **الجملة**
الخامسة في السعي فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذات الضلع بين الركن اليماني
والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجا في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل
رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة
ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدا من ههنا
سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يقبل على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الله
اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده
وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين
الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن
اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسالك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا
خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه
وسلم ويدعو الله بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدى السعي وهو يقول رب اغفر وارحم
واعف عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
ويمشي على هينة حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل
ست اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى
الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه الى الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة
فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل ويسكن في موضع السكون كما
سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة
مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي
بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان
يقع بعد طواف اي طواف كان **الجملة السادسة في الوقوف وما قبله** الحاج ان انتهى يوم عرفة الى
عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم فيمكث
محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد
للخروج الى منا يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت
الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة

في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابرهيم الى الموقف افضل وآكد فاذا انتهى الى منا
قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت
منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول
اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك
اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن يباهي به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباه
بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة
وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام
في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر
باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم
عليه السلام فصدره في الوادي واخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان
عرفة بصخرات كبار فرشت هناك والافضل ان يقف عند الصخرات لقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا
وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى
على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء اخرى ولا ينبغي ان
ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة
عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته
الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي وليكن اهم اشغاله في هذا
اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء الماثور عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم والصحابة وعن السلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي
بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول اللهم رب لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي واليك متابي وعليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات
الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر
بوايق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر
لي في الاخرة والاولى يا خير مقصود اليه وايسر منزول عليه واكرم مسؤول ما لديه اعطني العشية افضل ما تؤتي
احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ويا منزل البركات ويا فاطر الارضين
والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات تسألك الحاجات فحاجتي ان لا تنساني في دار البلاء
اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من امري انا
البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب
الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده
ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين الهي
من مدح اليك نفسه فاني لائم لنفسي الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل
الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اك اهلا
ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما

الاسود
ولا نعبد الا اياه صح
في كل مرة صح

رجوت وعليك صح
من المسجد صح
عجبت

ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى باكريم اللهى انت انت وانا انا انا العواد الى الذنوب وانت العواد
الى المغفرة اللهى ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهى تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت
الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علىّ واكرم عفوك عنى فبوجوب حجتك علىّ وانقطاع حجتى
وفقرى اليك وغناك عنى الا غفرت لى يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة
محمد عليه الصلاة والسلام اتوسل اليك فاغفر لى جميع ذنوبى واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوايج وهب لى
ما سالت وحقق رجايى فيما تمنيت الهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه الهى
ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلة مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تايب اليك
من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك فى العفو عنه طالب اليك فى نجاح حوايجه راج لك فى موقفه
مع كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حى وولى كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك اللهم اليك
خرجنا وبفنائك انخنا واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك
اشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوايج السائلين ويعلم ضماير الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من
ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يوتى ولا حاجب يرشى ويا من لا يزداد على السوال الا كرما وجودا وعلى
كثرة الحوايج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة
اللهم ان لكل وفد جايزه ولكل زاير كرامة ولكل سايل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس بما عندك جزاء ولكل
مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام
ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت
النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن
حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت السماء والارضون بادلتك وقهرت
بقدرتك حتى خضع كل شىء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا
تفضلت وقبلت واذا عصينا سترت واذا اذنبنا عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت
واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك
بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا
فيه انقص من حظ من دخل فى الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن
عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق
بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا
ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولنا ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار
وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا
تغلطه المسايل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسئلة السائلين اذقنا
برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر لنفسه ولوالديه وللمومنين والمومنات وليلح فى الدعاء
وليعظم المسالة فان الله تعالى لا يتعاظمه شئ قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلى
وقال بكر المزنى قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا انى كنت فيهم **الجملة
السابعة** فى بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من عرفات

بعد غروب الشمس فينبغى ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا توطوا
ضعيفا ولا توطوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على
دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون فى الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة
قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة نسالك حوايج مؤتنفة فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت
له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشا بمزدلفه فى وقت العشا قاصرا لها باذان واقامتين
ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشا والوتر بعد الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب ثم بنافلة
العشا كما للفريضتين وهكذا يفعل الجامع فى السفر فان ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر وتكليف
ايقاعها فى الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرايض واذا جاز ان يودى النوافل مع الفرض بتيمم
واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى
جواز ادائه على الراحلة بما اومانا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن
خرج منها فى النصف الاول من الليل ولم يبت عليه دم شاة واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات
لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل ياخذ فى التاهب للرحيل ويتزود الحصا منها فان فيها احجارا رخوة فلياخذ
سبعين حصاة فانه قدر الحاجة ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها وليكن الحصا خفافا فاجنت
يحتوى عليها اطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ فى السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو اخر
مزدلفة فيقف ويدعوا الى وقت الاسفار ويقول اللهم بحق هذا المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام
والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع
الشمس حتى ينتهى الى موضع يقال له وادى محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وان كان راجلا
اسرع فى المشى ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبى تارة ويكبر اخرى فينتهى الى منا ومواضع الجمرات
وهى ثلاثة فيتجاوز الاول فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى الى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة
فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر
رمح وكيفيته ان يقف مستقبلا بالقبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويبدل
التلبيه بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية و
التكبير الا التكبير عقيب فرايض الصلوات من الظهر يوم النحر الى عقيب الصبح اخر ايام التشريق ولا يقف
فى هذا اليوم للدعاء بل يدعوا فى منزله وصيغة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدى ان كان معه والاولى ان يذبح لنفسه وليقل
بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك ولك تقبل منى كما تقبلت من خليلك ابرهيم والتضحية بالبدن افضل ثم
بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة فى البدنة والبقرة والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل من الغبراء والسوداء قال ابو هريرة البيضاء افضل فى الاضحى
من دم سوداوين وليأكل منه ان كان هدى تطوع ولا يضحين بالجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة
والمدابرة والعجفاء والجدع فى الانف والاذن القطع منهما والعضب فى القرن وفى نقصان القوايم والشرقاء المشقوقة
الاذن والخرقاء من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التى لا تبقى بها اى لا مخ لها

من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبتدى بمقدم راسه ويحلق الشق الايمن الى العظمين
المشرفين على القفا ثم يحلق الباقى ويقول اللهم اثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة وارفع لى بها
عندك درجة والمراة تقصر من شعرها والاصلع يستحب له امرار الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمى جمرة العقبة
فقد حصل له التحلل الاول ويحل له كل المحذورات الا النسا والصيد ثم يفيض الى مكه ويطوف كما وصفناه وهذا
الطواف طواف ركن فى الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم
النحر ولا اخر لوقته بل له ان يؤخر الى اى وقت شاء ولكن يبقى متقيدا بعلقة الاحرام فلا يحل له النسا الى ان
يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمى ايام التشريق والمبيت بمنى
وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف
القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع
ذلك ركنا فلا ينبغى ان يعيد السعى واسباب التحلل ثلثة الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن ومهما اتى
باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتاخير لهذه الثلاث مع الذبح
ولكن الاحسن ان يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام فى هذا اليوم ان يخطب بعد الزوال وهى خطبة
وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الحج اربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفه وخطبة يوم النحر
وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفه فانها خطبتان بينهما جلسة
ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس فى غد يقرون
بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الاولى التى تلى
عرفه وهى على متن الجادة ويرمى اليها سبعة حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن متن الجادة ووقف
مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلله وكبره ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة
قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعا ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الاولى ويقف كما وقف عند
الاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبه ويرمى سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى
وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من ايام التشريق رمى فى هذا اليوم
احدى وعشرين حصاه كاليوم الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكه فان خرج من منى قبل
غروب الشمس فلا شئ عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل يلزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر
الثانى احدى وعشرين حصى كما سبق وفى ترك المبيت والرمى اراقة دم للمتصدق باللحم وله ان يزور البيت
فى ليالى منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يتركن حضور الفرايض مع
الامام فى مسجد الخيف فان فضل ذلك عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم بالمحصب من منى ويصلى العصر
والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة **الجملة الثامنة** فى صفة العمرة وما بعدها
الى طواف الوداع من اراد ان يعتمر بعد حجة او قبله كيف ما اراد فيغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق فى الحج
ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها جعرانه ثم التنعيم ثم الحديبيه وينوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عايشة
رضى الله عنها ويصلى ركعتين ويدعوا بما شاء ثم يعود الى مكه وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد
ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكه ينبغى ان
ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل وليدخله
حافيا موقرا فقد قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف

وحلّه

عاد

ويتصدق

وان لم يفعل فلا شئ عليه صح

حول بيتى فكيف اراهما اهلا لان اطا بهما بيت ربى وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا وليكثر من شرب
ماء زمزم وليستقى بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من
كل داء وسقم وارزقنى الاخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والاخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم
لما شرب له اى يشفى ما قصد به **الجملة التاسعة** فى طواف الوداع مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد
الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل اخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف
به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب ماء زمزم ثم
ياتى الملتزم ويدعوا ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتنى
على ما سخرت لى من خلقك حتى سيرتنى فى بلادك وبلغتنى بنعمتك حتى اعنتنى على قضاء مناسكك فان
كنت رضيت عنى فازدد عنى رضى والا فمن الان قبل تباعدى عن بيتك هذا اوان انصرافى ان اذنت لى غير مستبدل
بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى واحسن منقلبى
وارزقنى طاعتك ما ابقيتنى واجمع لى خيرى الدنيا والاخرة انك على كل شئ قدير اللهم لا تجعل هذا اخر عهدى
ببيتك الحرام وان جعلته اخر عهدى فعوضنى عنه الجنة والاحب ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه
الجملة العاشرة فى زيارة مسجد المدينة وادابها قال النبى صلى الله عليه وسلم من زارنى بعد وفاتى فكانما
زارنى فى حياتى وقال عليه الصلاة والسلام من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى وقال من جاءنى زايرا
لا يهمه الا زيارتى كان حقا على الله ان اكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى
وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بير الحرة وليتطيب وليلبس انظف
ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب ادخلنى مدخل صدق
واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بجنب المنبر ركعتين
ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التى الى جانبها الصندوق وتكون الدايرة التى فى قبلة
المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلى فى مسجد
الاول قبل ان يزاد فيه ثم ياتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبله ويستقبل
جدار القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على راسه وليس من السنة
ان يمس الجدار ولا ان يقبل بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله
السلام عليك يا نبى الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله
السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم السلام
عليك يا ماحى السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر
السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد ادم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم
النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قايد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام
عليك يا نبى الرحمة السلام عليك يا سيد الامة السلام عليك يا قايد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل
بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات
امهات المومنين جزاك الله عنا افضل ما جزا نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون
وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك فى الاولين والاخرين افضل واجل واكمل واعلى واطيب واطهر ما صلى على احد

البيت صح

ان تنأى عن بيتك دارى

السلام عليك يا قايد الخير صح

من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرتنا بك من العماية وهديتنا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطاهرين الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس عمر رضي الله عنه عند منكب ابي بكر ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده بامور الدين تتبعان بذلك اثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيرا نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم وليستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك متشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك بحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله اخر العهد من قبر نبيك ولا من حرمك يا ارحم الراحمين ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعا ما استطاع لقوله عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهدا فيصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا تفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب له ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي عليهم السلام وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضوان الله عليها ويزور قبر ابرهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله فذلك كله في البقيع ويستحب ان ياتي مسجد قبا ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى ياتي مسجد قبا ويصلي فيه كان عدل عمرة وياتي بير اريس يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضا منها ويشرب من مائها وياتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا ياتي ساير المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة تكون ثلثون موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الابار التي كان عليه الصلاة والسلام يتوضا منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة ابار طلبا للشفا وتبركا به صلى الله عليه وسلم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم لم يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان ياتي القبر ويعيد دعا الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسال الله ان يرزقه العود اليه ويسال له السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله اخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني السلامة في سفري ويسر رجوعي الى وطني سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق

على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا **فصل في سنن الرجوع من السفر** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة متاهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث في الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة بيان دقايق الاداب وهي عشرة

الاول ان يكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعايره وقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسالة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الاخرة فقد كرهه الورعون وارباب القلوب الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله عليه الصلاة والسلام يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله تعالى يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى ويأخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا باس باخذه فانه ياخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج لاخذ الاجرة كما كانت ام موسى تاخذ ليتيسر لها الارضاع لتلبيس حالها عليهم **الثاني** ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس اليهم وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطرق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة وحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القايل ان ذلك يوخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق لم يوخذ بل ربما يظهر اسباب الترفه فيكثر مطالبه ولو كان في زي الفقر لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد اعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق

الحج نفقة فى سبيل الله والدرهم بسبعماية درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول افضل
الحجاج اخلصهم لله نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا قال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة
فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال
كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخناء وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن
والتحدث بشان الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى الى المحظور محظور والفسوق
اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله والجدال هو المبالغة فى الخصومة والممارة بما يورث الضغاين ويفرق فى الحال
الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفين من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام
مع اطعام الطعام من بر الحج والممارة تناقض طيب الكلام فلا ينبغى ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله
وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسايرين الى بيت الله ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق
كف الاذى بل هو احتمال الاذى وقيل سمى السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضى الله عنه
لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال فما اراك تعرفه
الخامس ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل وصى عبد الله بن عباس بنيه عند موته فقال يا بنى حجوا مشاة
فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعماية حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بماية الف
والاستحباب فى المشى فى المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منا اكد منه فى الطريق وان اضاف الى
المشى الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله
تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلما الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد من ضجر
النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغى ان يفصل
ويقال من سهل عليه المشى فهو افضل فان كان يضعف ويؤدى ذلك به الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له
افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلما عن العمرة
المشى فيها افضل او يكترى حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكرا افضل من المشى وان كان
المشى اشد عليه كالاغنيا فالمشى له افضل وكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل
ان يمشى ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا تسمح نفسه
للجمع من مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه **السادس** ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه
الا اذا كان يخاف ان لا يستمسك على الزاملة لعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه
والثانى اجتناب زى المترفهين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث
وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عنى مناسككم
وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلما فى وقته ينكرونها وروى سفين الثورى عن ابيه انه قال برزت
من الكوفة الى القادسية للحج ووافقت الرفاق من البلدان فرايت الحاج كلهم على زوامل وجواليقات ورواحل
وما رايت فى جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدثه الحجاج من الزى والمحامل يقول الحاج قليل
والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج **السابع** ان يكون رث
الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب من المتكبرين والمترفهين
ويخرج عن حزب الضعفا والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفا
ونهى عن التنعم والرفاهية فى حديث فضالة بن عبيد وفى الخبر انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا
الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار
وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا
اى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الاشيا وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف
وسيرة السلف وينبغى ان يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كان على العموم فقد روى انه
صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى
هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل **الثامن** ان يرفق
بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا
ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم
لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار
عن السلف وكان بعض السلف يكترى ويشترط ان لا ينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا
الى الدابة فيكتب فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى وكل من اذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب
به فى القيمة قال ابو الدردا لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم اكن احملك فوق
طاقتك وعلى الجملة ففى كل كبد حرا اجر فليراعى حق الدابة وحق المكارى جميعا فى نزوله ساعة ترويح للدابة وسرور قلب
المكارى قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استاذن الجمال فانى قد اكتريت منه
فانظر كيف تورع عن حمل كتاب لا وزن له ولكنه طريق الحزم فى الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا
التاسع ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان
تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا قيل فى تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى
من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس فى شرائه فقد كانوا لا يغالون الا فى ثلث ويكرهون
المكاس فيهن وهو الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله روى ابن عمر ان عمر
رضى الله عنه اهدى من الهدى نجيبة فطلبت منه بثلثماية دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشترى
بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال صلى الله عليه وسلم بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلثماية
دينار قيمة ثلثين بدنة ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها
بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعات النفاسة
فى القيمة كثر العدد ام قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت
بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عايشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ادمى يوم
النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتاتى يوم القيمة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله بمكان
قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا وفى الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها
لتوضع فى الميزان فابشروا **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدى وبما اصابه من خسران
ومصيبة فى مال وبدن وان اصابه ذلك كان ذلك من دلايل قبول حجه فان المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى
سبيل الله الدرهم بسبعماية وهو بمثابة الشدايد فى طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب ولا
يضيع منه شئ عند الله ويقال ان من علامة قبول الحج ايضا ترك ما كان عليه من المعاصى وان يستبدل باخوانه البطالين
اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة **بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص
فى النية** وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج

الى آخره اعلم ان اول الحج الفهم اعنى فهم موقع الحج من الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلايق المانعة
منه ثم شرآء ثوب الاحرام ثم شرآء الزاد ثم اكترآء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات
بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه
للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف
لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه صفآء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه اما الفهم اعلم ان لا وصول الى الله سبحانه
وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في
جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال
واثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا لله اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة
طمعا في الآخرة واثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
فلما اندرس ذلك فاقبل الخلق على اللذات واتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله
سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لاحيآء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فساله اهل الملل على الرهبانية
والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السايحين
قال هم الصايمون فانعم الله سبحانه على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه
ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فنآء حرمه واكد
حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك لقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب
سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه
عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف
عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا يهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا
والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهه مفهوم
وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع
والسجود في الصلاة تواضع لله سبحانه بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله سبحانه وتعالى
فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال لا حظ للنفس فيها ولا انس للطبع بها ولا اهتدآء للعقل
الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع
فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع
اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها واذا
اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بان يكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع
فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات
في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان
تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل
الحج اما الشوق فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده
قاصد الى الله وزاير له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا تضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده
المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا

لا تتهيا لقبول نور النظر الى وجه الله ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت
في الدار الآخرة بالبقآء ونزهت عن اسباب التغير والفنا استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت
والنظر اليه تستحق لقآء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقآء الله يسوقه الى اسباب اللقآء لا محالة
هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله تعالى فبالحري ان يشتاق اليه
لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل واما العزم فليعلم انه بعزمه قاصد
الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله فليعظم في نفسه قدر البيت
وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه وخطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه
خالصا لوجه الله تعالى بعيدا عن شوايب الريا والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان
من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه
واخلاصه باجتناب كل ما فيه ريآء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير واما قطع العلايق
فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق
بتلبيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا
ومستهين به ومهمل له او لا تستحي من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا
في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات
الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن
لك من سفرك اولا الا النصب والشقا وآخرا الا الطرد والرد وليقطع العلايق عن وطنه قطع من انقطع عنه
وقدر ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله وليتذكر
عند قطعه العلايق لسفر الحج قطع العلايق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر
طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر
واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر
ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه
مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر
فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان يكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد
بعد الموت بل يفسدها شوايب الريا وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله سبحانه
بقلبه على تسخير الله له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى الدار
الآخرة وهي الجنازة الذي يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا
المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب منه ويكون
ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمازة فركوب الجنازة مقطوع به وتيسير اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في
اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن واما شرآء ثوب الاحرام فليتذكر
عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره
اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله بعد الخروج الا مخالفا عادته
في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب
اذ ليس فيه مخيط وعمامة كما في الكفن واما الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله

للراحلة

فى سفر لا يضاهى اسفار الدنيا فليحضر فى قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك
فى زمرة الزايرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا واشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلايق وفارقوا الخلايق واقبلوا
على بيت الله الذى فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم
ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله فى الارتحال ومفارقة الاهل
والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل وادركته المنية فى الطريق
لقى الله تعالى وافدا اليه اذ قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
اجره على الله واما دخول البادية الى حين وصوله الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين
الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق
هول سوال منكر ونكير ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعى والحيات ومن انفراده عن
اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف فى اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر
واما الاحرام والتلبية من الميقات فليعلم ان معناه اجابة نداء الله تعالى فارجوا ان يكون مقبولا واخشى ان يقال
لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا
فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال سفين بن عيينة حج على بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته
اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبى فقيل له لم لا تلبى فقال اخشى ان يقول لى لا لبيك
ولا سعديك فلما لبى غشى عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابى الحوارى
كنت مع ابى سليمن الدارانى حين اراد الاحرام فلم يلب حتى صرنا ميلا واخذته كالغشية ثم افاق وقال يا احمد
ان الله عز وجل وحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بنى اسرائيل ان يقلوا من ذكرى فانى اذكر من ذكرنى منهم باللعنة ويحك
يا احمد بلغنى ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك فما نامن ان يقال
لنا ذلك وليتذكر الملبى عند رفع الاصوات بالتلبية فى الميقات اجابة لنداء الله تعالى اذ قال تعالى واذن فى الناس
بالحج نداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم فى عرصات القيمة مجيبين لنداء الله ومنقسمين الى مقربين
وممقوتين ومقبولين ومردودين ومرددين فى اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون
ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا واما دخول مكة فليتذكر عنده انه قد انتهى الى حرم امن وليرج عنده ان يامن بدخوله
من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم جانيا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه فى جميع
الاوقات غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزاير مرعى وذمام المستجير اللايذ غير مضيع واما وقوع
البصر على البيت فينبغى ان يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ويقدر انك مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمك
وارج ان يرزقك الله النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك
هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيمة الى جهة الجنة
املين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين لهم فى الدخول والى مصروفين انقسام الحاج الى مقبولين
ومردودين ولا تغفل عن تذكر امور الاخرة فى شىء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الاخرة واما
الطواف بالبيت فاعلم انه صلاة فاحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه فى كتاب الصلاة
واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود
طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدى الذكر الا منه ولا يختم الا به
كما يبتدى الطواف من البيت ويختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية

وان البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى فى عالم الملكوت كما ان البدن
مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة
الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور فى السموات
بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك
الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم والذى يقدر على مثل ذلك
الطواف هو الذى يقال له ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما راه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما
الاستلام فاعتقد عنده انك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر فى المبايعة
استحق المقت وقد روى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر الاسود يمين الله فى الارض يصافح بها
خلقه كما يصافح الرجل اخاه واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك فى الالتزام
طلب القرب حبا وشوقا الى البيت والى رب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء لا فى
البيت ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الالحاح فى طلب المغفرة وسوال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من
اذنب اليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه
لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن فى المستقبل واما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت يضاهى
تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة
بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول او رد
فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجوا ان يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الاولى وليتذكر
عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات
والمروة بكفة السيات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب
والغفران واما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات اختلاف اللغات واتباع
الفرق ائمتهم فى الترددات على المشاعر اقتداء بهم وسيرا بسيرتهم فى عرصات القيمة واجتماع الامم مع
الانبيا والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول
واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله لتحشر فى زمرة الفايزين المرحومين وحقق
رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلايق بواسطة القلوب
العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب
القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه
اعناقهم وشخصت نحو السما ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع
سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له
وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده
فلا طريق الى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد واما رمى
الجمار فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه
ثم اقصد به التشبه بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية
فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده
فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لى الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذى القاه فى قلبك

الشهادة

ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فايدة فيه وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك
بالجد والتشمر في الرمي الذي فيه ترغم انف الشيطان فاعلم انك في الظاهر ترمي الحصا الى العقبة وفي الحقيقة ترمي
به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله تعظيما لمجرد الامر من غير
حظ للنفس والعقل فيه واما ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال فاكمل الهدي وارج
ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اوفر
كان فداؤك به من النار اعم واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها
الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام وجعل اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرايض الله وسننه وجاهد
عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده
ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ترددانه فيها وانه ما من موضع قدم تطاوه
الا وهو موقع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها
وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره حتى قرنه
بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته
وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تاسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم
اذكر انهم قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الاخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد
حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع لي اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فاقول
يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو
في دقيقة من الدقايق فلا تامن ان يحال بينك وبينه لعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان الله
لا يحول بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان به واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ
في دنيا بل بمحض حبك له ولشوقك الى ان تنظر الى اثاره والى حايط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك
لما فاتتك رؤيته فما اجدرك ان ينظر الله اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي
اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرايض الله عز وجل اول
ما اقيمت في تلك العرصة وانه جمع افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك في الله عز وجل ان يرحمك بدخولك
اياه وادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمان
انه قال حج اويس القرني رحمه الله ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون واما زيارة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما
تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس
شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى
واليهود واعلم انه صلى الله عليه وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل
صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه الصلوة
والسلام ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف
من فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاتته مشاهدة
غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا فهذا جزاؤه في الصلاة عليه

بلسانه فكيف في الحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم
على المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة
الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بخطبته وسل الله ان لا يفرق في القيمة بينك وبينه صلى الله عليه وسلم
ويجمع بينكما في القيمة هذا وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف
فانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه
ومن اعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله ووجد اعماله قد اتزنت
بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه اثار محبته وكف عنه
سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فليوشك ان يكون حظه
من سفره العنا والتعب نعوذ بالله من ذلك هذا اخر كتاب الحج واسراره والحمد لله حق حمده والصلوة والسلام على
نبيه محمد واله اجمعين **كتاب اداب تلاوة القران وهو الكتاب الثامن من كتب احياء علوم الدين**
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل
عليه الذي لا ياتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه حتى اتسع على اهل الافتكار طرق الاعتبار بما فيه من القصص
والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال
والحرام فهو الضياء والنور المبين وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله
ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى هو
المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا ينقضي عجايبه ولا يتناهى غرايبه لا يحيط بفوايده عند اهل العلم
تحديد ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد وهو الذي ارشد الاولين والاخرين ولما سمعه الجن
لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به فكل من امن به فقد
وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز ونجا وقد قال تعالى انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع
القيام بادابه وشرايطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والاداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه
وتفصيله وينكشف مقاصده في اربعة ابواب **الباب الاول** في فضل القران واهله **الباب الثاني**
في اداب التلاوة في الظاهر **الباب الثالث** في الاعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القران
وتفسيره بالراي وغيره

الباب الاول في فضيلة القران واهله وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القران قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه
الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره
وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القران في اهاب لما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي
قراءة القران وقال ايضا ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة القران
قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال عليه الصلوة
والسلام خيركم من تعلم القران وعلمه وقال عليه الصلوة والسلام يقول الله عز وجل من شغله قراءة القران عن
دعائي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال عليه الصلوة والسلام ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك
اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ فيما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله تعالى
وام به قوما وهم به راضون وقال عليه الصلوة والسلام اهل القران اهل الله وخاصته وقال ان هذه القلوب

تصدى كما يصدى الحديد فقيل يا رسول الله فما جلاؤها قال تلاوة القران وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم
لله اشد اذنا الى قارى القران من صاحب القينة الى قينته **الآثار** قال ابو امامة الباهلى رضى الله عنه اقرأوا
القران ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء القرآن وقال ابن مسعود رضى الله عنه
اذا اردتم العلم فاثيروا القران فان فيه علم الاولين والاخرين وقال ايضا اقروا القران فانكم توجرون عليه بكل
حرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الحرف الٓم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسال
احدكم عن نفسه الا القران فان كان يحب القران ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض القران فهو يبغض الله
ورسوله وقال عمرو بن العاص القران درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم وقال ايضا من قرا القران فقد ادرجت
النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذى يتلى فيه كتاب الله اتسع باهله وكثر خيره
وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه القران ضاق باهله وقل خيره وخرجت
منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رحمه الله رايت الله عز وجل فى المنام وقلت يا رب ما
افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامى يا احمد قال قلت رب بفهم او بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال
محمد بن كعب القرظى اذا سمع الناس القران من الرحمن عز وجل يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل
بن عياض ينبغى لحامل القران ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم وينبغى ان يكون حوايج الخلق اليه
وقال ايضا حامل القران حامل راية الاسلام لا ينبغى ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو
تعظيما لحق القران وقال سفين الثورى اذا قرا الرجل القران قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا
حين يصلى الصبح فقرا مائة اية رفع الله له مثل عمل جميع اهل الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اقرا على فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الاية فقال له اعد فاعاد فقال
والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون
القران من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرا خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع
الشهداء ومن قراها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك
هل ههنا احد يستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ثلث
يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القران **فى ذم تلاوة الغافلين** قال انس بن مالك رب
تال للقران والقران يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القران فى جوف الفاجر وقال ابو سليمن الدارانى الزبانية اسرع
الى حملة القران الذين يعصون الله منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القران وقال بعض العلماء اذا قرا ابن آدم
القران ثم خلط ثم عاد يقرا قيل له ما لك ولكلامى قال ابن الرماح ندمت على استظهارى القران لانه بلغنى ان اصحاب
القران يسئلون عما يسئل عنه الانبيا يوم القيمة وقال ابن مسعود ينبغى لحامل القران ان يعرف بليله اذا الناس
نايمون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون
وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغى لحامل القران ان يكون سكيتا لينا ولا ينبغى له ان يكون جافيا ولا مماريا ولا
صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقى هذه الامة قراؤها وقال اقرا القران ما نهاك
فاذا لم ينهك فلست تقراه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح
سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل كيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض
العلماء ان العبد ليتلوا القران فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرا الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم لنفسه الا لعنة الله
على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون

المعلقة

بئس م

به مراحله وان من كان قبلكم راوه رسايل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود
رضى الله عنه انزل القران عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرا القران من فاتحته الى خاتمته ما يسقط
منه حرفا وقد اسقط العمل به وفى حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يوتى الايمان قبل القران
فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغى ان يقف عنده منها
ثم لقد رايت رجالا يؤتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدرى ما آمره ولا زاجره
ولا ما ينبغى ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد فى التورية ~~وقد ورد فى التورية~~ يا عبدى اما تستحيى منى
ياتيك كتاب من بعض اخوانك وانت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقراه وتدبره حرفا حرفا
حتى لا يفوتك شئ منه وهذا كتابى انزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتامل
طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدى يقعد اليك بعض اخوانك
فتقبل اليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومأت
اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عنى افجعلتنى اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة

وهى عشرة الاول فى حال القارى وهو ان يكون على الوضوء
واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكئ ولا
جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى استاذه وافضل الاحوال ان يقرا فى الصلاة
قائما وان يكون فى المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرا على غير وضوء او كان مضطجعا فى الفراش فله ايضا فضل
ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام
فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال على رضى الله عنه من قرا القران وهو قايم فى الصلوة كان له بكل حرف مائة
حسنة ومن قرا وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرا فى غير صلاة وهو على وضوء فخمسة
وعشرون حسنة ومن قرا على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب
قال ابو ذر الغفارى ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل **الثانى** فى مقدار القراءة وللقراء
عادات مختلفة فى الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم فى اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى
ثلث ومنهم من يختم فى الشهر مرة واولى ما يرجع اليه فى التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم من قرا القران فى اقل من ثلث لم يفقهه وذلك ان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة
رضى الله عنها لما سمعت رجلا يهذ القران هذا ان هذا ما قرا القران ولا سكت وامر النبى صلى الله عليه وسلم
عبد الرحمن بن عمرو ان يختم القران فى سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القران فى كل جمعة كعثمان وزيد
بن ثابت وابن مسعود وابى بن كعب ففى الختم اربع درجات الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم فى شهر
كل يوم جزء من ثلثين وكانه مبالغة فى الاقتصار كما ان الاول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان
احدهما فى الاسبوع مرة والثانية فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار
ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر او بعدهما ويختم ختمة بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب او بعدهما
ليستقبل بختمتيه اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلى عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسى
فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل فى مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى
ان ينقص عن ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا
باس ان يقتصر فى الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر فى معانى القران فقد يكتفى فى الشهر مرة لحاجته الى كثرة

عندك ع

الترديد والتامل **الثالث** في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القران بسبعة احزاب فقد حزب
الصحابة رضي الله عنهم القرآن احزابا فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المايدة وليلة
السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة
الثلثا بالعنكبوت الى صاد وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود رضي الله عنه كان
يقسمه بسبعة اقسام لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القران سبعة فالحزب الاول ثلث سور والحزب الثاني
خمسة سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشر سورة والسادس ثلث عشر سورة
والسابع المفصل من قاف فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانه حزب على عدد الآي اذ عددها ستة آلاف ومايتا اية وست وثلاثون اية وقد اعتبرت ذلك فرايته في كل حزب
تقارب وهذا قيل ان عمل الاخماس والاعشار والاجزا فما سوى هذا فهو محدث **الرابع** في الكتبة يستحب
تحسين كتابة القران وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تزيين وتبيين وصد عن اللحن
والخطا لمن يقراه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابرهيم
النخعي كراهية النقط بالحمرة واخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القران والظن بهولاء انهم كرهوا فتح
هذا الباب خوفا من ان يودي الى احداث زيادات وحسما للباب وشوقا الى حراسة القران عما يطرق اليه
تغييرا واذا لم يود الى محذور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع منه كونه محدثا فكم من
محدث حسن كما قيل في اقامة التراويح في الجماعة انها من محدثات عمر وانها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة
ما تصادم السنة القديمة او يكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرا من المصحف المنقوط ولا انقطه
بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القران مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء
والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآي فقالوا لا باس به لانه يعرف به راس
الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال
وما تنقيطها قلت يعربون الكلام بالعربية قال اما اعراب القران فلا باس به وقال خالد الحذا دخلت على ابن
سيرين فرايته يقرا في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك في زمانه واحضر
القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا اجزاءه وقسموه الى ثلثين جزءا والى اقسام اخر **الخامس** الترتيل
هو المستحب في هياة القراءة لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام
سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس لان اقرا البقرة وآل عمران
ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القران كله هذرمة وقال ايضا لان اقرا اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما
احب الي ان اقرا البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامهما واحدا الا ان
احدهما قرا البقرة فقط وقرا الاخر القران كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان
العجمي الذي لا يفهم معنى القران يستحب له ايضا في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام
واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال **السادس** البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران وقال صالح المري
قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذا القراءة فاين البكاء وقال ابن عباس
اذا قراتم سجدة سبحان الذي اسرى فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق
تكلف البكاء ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان القران نزل بحزن فاذا

قراتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره
في اوامره وزواجره فيحزن له لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على
فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصايب **السابع** ان يراعي حق الآيات فاذا مر باية سجود سجد وكذلك
اذا سمع من غيره سجدة اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القران اربعة عشر سجدة وفي الحج سجدتان
وليس في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالاية
التي قراها مثل ان يقرا قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليائك واذا قرا قوله ويخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة ويشترط
في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث
ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر سجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريم ثم يكبر للسجود ثم يكبر
للارتفاع ثم يسلم وزاد زايدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر
بالسجود فليتبع فيه الاسم وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند
سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه **الثامن** ان يقول في مبدا قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس وسورة
الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله
رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر وان مر باية دعاء واستغفار
دعا واستغفر وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه وبقلبه ويقول سبحان الله تعالى الله نعوذ
بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا بسورة البقرة فكان لا يمر
باية عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة الا سال ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات
الله عليه عند ختم القران اللهم ارحمني بالقران واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت
وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته اناء الليل والنهار واجعله حجة لي يا رب العالمين **التاسع** في الجهر
بالقراءة ولا شك في انه لا بد وان يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف
فلا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلوته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب
على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر
على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة
والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق
ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب
ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت
فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب
فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد
الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيا فسكت عمر وخفض صوته وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو
يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلاة
الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة

وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته ومر صلى الله عليه وسلم على ثلثة نفر من اصحابه مختلفي الاحوال فمر
على ابي بكر وهو يخافت فساله عن ذلك فقال هو الذي يعلم السر واخفى ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو
يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرا آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة
فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث
ان الاسرار ابعد عن الريا والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش
الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فايدته يتعلق ايضا بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم
ولانه يوقظ قلب القاري ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد
في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نايم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط
بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات
تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكوا عمل الابرار ويتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه
عشر اجور ولهذا نقول قراءة القران في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه
وقد قيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وقد خرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته
منهما وكان كثير من الصحابة يقرؤن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر
على الشافعي رحمه الله في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القران اني لاصلي العتمة واضع المصحف
بين يدي فما اطبقه حتى اصبح **العاشر** تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم
فذلك سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه
لحسن الصوت بالقران وقال عليه الصلوة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقران فقيل اراد به الاستغناء وقيل
اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عايشة
رضي الله عنها فابطات عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام
صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله واستمع
ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرا القران
غضا كما انزل فليقراه على قراءة ابن ام عبد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي فقال
يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عيناه تفيضان واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود
فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو اعلم انك كنت تسمع لحبرته لك تحبيرا وراى هيثم القاري النبي صلى الله عليه
وسلم في منامه قال فقال لي انت الهيثم الذي تزين القران بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرا سورة من القران وقد كان عمر يقول
لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرا عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة
فيقول او لسنا في صلاة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى اية من كتاب الله
عز وجل كانت له نورا يوم القيمة وفي الخبر كتبت له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب
فيه كان شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الريا والتصنع **الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة**
وهي عشرة ° فهم اصل الكلام ° ثم التعظيم ° ثم حضور القلب ° ثم التدبر ° ثم التفهم ° ثم التخلي عن موانع الفهم ° ثم التخصص
ثم التاثر ° ثم الترقي ° ثم التبري **الاول** فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش

ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران وقال م

داود

جلاله

جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته
الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول
الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع
الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام
لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة
على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله في اللوح المحفوظ اعظم من جبل قاف
وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله
باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكما في التعبير عن وجه اللطف
في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا
بعض الملوك الى شريعة الانبيا فساله الملك عن امور فاجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك ارايت ما ياتي به الانبيا
اذا ادعيت انه ليس من كلام الناس وانه كلام الله فكيف تطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما ارادوا
ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها
عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهايم واوصلوا مقاصدهم
الى بواطن البهايم باصوات يضعونها لايقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي يطيق حملها
فكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها
الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوة في تلك الصفات
من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت
نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام
عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر
وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم بين يدي كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم بين يدي شعاع الشمس ولا
طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين
الشمس ما يحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوايجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغايب وجهه الشاهد امره
وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح
الخزاين النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودوا الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي
ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه **الثاني** التعظيم للمتكلم
فالقاري عند البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة
كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة
اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا
عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل
لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو
كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن يحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وافعاله
فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان
الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مرددون بين فضله ورحمته وبين

بصوغونها

بما تراجعوا

وبالمنازل العالية وترقى الدرجات الشريفه

نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي
وهذه غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب وترك
حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته
منصرف الهم اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرات القران تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القران احدث
به نفسي وكان بعض السلف اذا قرا سورة ولم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان
المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس به ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا
له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان
في القران ميادين وبساتين وعرايس ودبابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القران والراآت بساتين القران
والحامدات مقاصير والمسبحات عرايس القران والحاميمات ديباج القران والمفصل رياضه والخانات ما سوى
ذلك فاذا دخل القاري في الميدان وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرايس ولبس الديباج وتنزه في الرياض
وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب
فانه قد لا يتفكر في غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك
سن فيه الترتيل في الظاهر ليمكن من التدبر في الباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر
فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر اية وقد اشتغل الامام باية
اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع
وهو متفكر في اية قراها فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل له في
امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف
فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن
يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله عز وجل ذلك عندنا وروي انه صلى الله
عليه وسلم قرا بسم الله الرحمن الرحيم فردده عشرين مرة وانما ردده للتدبر في معانيها وعن ابي ذر قال قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فينا ليلة فقام باية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك الاية وقام تميم الداري ليلة بهذه
الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الاية وامتازوا اليوم ايها المجرمون
وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الصبح وكان بعضهم يقول كل اية
لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمن الداراني انه قال اني لاتلو الاية فاقيم فيها اربع ليال
وخمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها
ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب
درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي مقام الاجرا فانا اعملها مياومة ومشاهرة ومسانهة
الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها فالقران يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله وذكر احوال انبيائه
وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله فكقوله ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل معاني هذه الاسماء والصفات
لينكشف له اسرارها فتحتها معاني مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي كرم الله وجهه بقوله ما اسر الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا كتمه عن الناس الا ان يوتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك
الفهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والاخرين فليتدبر القران واعظم علوم القران تحت اسماء الله

كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة مع ولي

فليثور

وصفاته

وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لايقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات
والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي ان
يشهد في الفعل دون الفعل فمن عرف الحق راه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن
لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل
في ثاني الحال بل هو الان باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله وبقدرته فيكون له
بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدا من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا
قرا التالي قوله افرايتم ما تحرثون افرايتم الماء الذي تشربون افرايتم النار التي تورون افرايتم ما تمنون فلا يقصر نظره
على الماء والنار والحرث والمني بل يتامل في المني وهي نطفة متشابهة الاجزاء ثم تنظر في كيفية انقسامها الى اللحم
والعظم والعروق والعصب وكيفيه تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب
وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيره ثم الى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة
من الغضب والشهوة والكفر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين فيتامل هذه العجايب ليرتقي منها الى اعجب الاعاجيب وهو الصفة التي صدرت منها هذه
الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع واما احوال الانبيا فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل
بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسلين اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يوثر في ملكه واذا
سمع نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم
فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب
واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وساير ما في القران فلا
يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي كرم الله
وجهه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح
بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القران ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم
من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا فقال تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها من الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القران كل ما يريد
ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد **السادس** التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا
عن فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار القران قال صلى الله
عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت ومعاني القران من جملة الملكوت وكل ما غاب
عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف
باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله ولا يزال يحملهم على ترديد الحروف
يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهكذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فاني تنكشف له المعاني واعظم ضحكة
للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه
التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه
فلا يمكنه من ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني
التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال له كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقدك ومعتقد ابائك

العجايب

فيرى ان ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم
العقايد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها
اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى الطلب وهذا
التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستوا على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس
انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثاني
وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضة تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا
من الفهم والكشف لان الحق الذي قد كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود
الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقايد
ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب
وصداه وهو كالخبث على المراة فيمنع جليه الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون
وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب
تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المراة والشهوات مثل الصدى ومعاني القران مثل الصور التي تتراى في المراة
والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء المراة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي
الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا
فهم القران وقد شرط الله تعالى الانابة في الفهم والتذكر وقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا
من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك
لا ينكشف له اسرار الكتاب ورابعها ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما يتناوله
النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيره وان ما وراء ذلك تفسير بالراي وان من فسر القران برايه فقد تبوأ مقعده
من النار فهذا ايضا من الحجب العظيم وسنبين معنى التفسير بالراي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي
رضي الله عنه الا ان يوتي الله العبد فهما في القران وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه السابع
التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران فان سمع امرا او نهيا قدر انه هو المنهي او المامور وان سمع
وعدا او وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين والانبيا علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به
وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القران الا وسياقها لفائدة في حق النبي وامته ولذلك قال تعالى
ما نثبت به فوادك فليقدر العبد ان الله يثبت فواده بما يقصه عليه من احوال الانبيا وصبرهم على الايذا وثباتهم في الدين
لانتظار نصرة الله وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم له خاصة بل شفاء وهدى ونورا
ورحمة للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس
امثالهم واتبعوا ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الاحاد فهذا الواحد القاري مقصود فما له ولساير
الناس فليقدر انه المقصود قال الله تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي
من بلغه القران فكانما كلمه الله عز وجل واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القران عمله بل قراه كما يقرا العبد كتاب مولاه
الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض الحكما هذا القران رسايل اتتنا من قبل ربنا بعهوده
نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار

المطلب

من رضا عنه

افلا تعقلون ٥

يقول ما زرع القران في قلوبكم يا اهل القران ان القران ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم
يجالس احد هذا القران الا قام بزيادة او نقصان قال الله عز وجل هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا الثامن التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم
حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجا وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على
قلبه فان التضييق غالب على ايات القران فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط تقصر المعارف عن نيلها
كقوله واني لغفار ثم اتباعه ذلك باربع شروط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شرايط وحيث اقتصر ذكر شرطا
جامعا فقال ان رحمت الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذى من يتصفح القران من اوله الى اخره ومن فهم
ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يومن به الا كثر
حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه
الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القران وتفهيمه وتدبره فتاثر العبد
بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة وعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند
التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله تعالى واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا
لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم
وعند وصف الجنة ينبعث من باطنه شوقا اليها وعند وصف النار يرتعد فرايصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النسا فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هولاء شهيدا رايت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الان وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه
بالكلية ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع الايات فبمثل هذه الاحوال
يخرج عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خائفا كان حاكيا
واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قرا ولنصبرن على ما اذيتمونا فليكن
حاله الصبر او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات
كان حظه من التلاوة حركة لسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة
الدنيا وفي قوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الايات وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني الا التلاوة المجردة وفي قوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون لان القران هو المبين لتلك الايات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتاثر بها كان معرضا
عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القران فاذا قرا القران ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض
عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرا القران وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات
وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة
لكان ابعد من الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القران فاذا ذكرت ما فيه
خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القران ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت
له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم

يجالس

واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الناس صوتا بالقران الذي اذا اسمعته يقرا
رايت انه يخشى الله عز وجل وقال ايضا لا يسمع القران من احد اشهى منه ممن يخشى الله عز وجل فالقران يراد لاستجلاب
هذه الاحوال الى القلب وللعمل به والا فالمؤونة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرات
القران على شيخ لي ثم رجعت لاقرا ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرا على الله عز وجل فانظر
بماذا يامرك وماذا ينهاك ولهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القران منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين
وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القران فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه
وانما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على القلب عقيب فهم الاية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى
بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيمة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبا
بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القران حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب
فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار
فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ **التاسع** الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى

ترجمان

لا من نفسه فدرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقراه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه
ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان
ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى
في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه
بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما
قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر الامام جعفر بن محمد
الصادق رضي الله عنهما فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا عليه السلام وقد سالوه
عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه فقيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية على قلبي حتى
سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجات ولذلك قال
بعض الحكما كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه
ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى
فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم
تشبع من قراءة القران وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني
كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد متمثلا بقوله تعالى ففروا
الى الله ولقوله ولا تجعلوا مع الله الها اخر فمن لم يره في كل شيء فقد راى غيره وكلما التفت اليه العبد تضمن التفاته شيئا
من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله **العاشر** التبري واعني به انه يتبرى من حوله وقوته والالتفات
الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين
والصديقين فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا اية المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر
انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال

الكفر فتلا قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرات القران بماذا تدعو قال بماذا ادعو
استغفر الله تعالى من تقصيري سبعين مرة فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من
شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكر له بالامن
الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز
حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال سليمن بن ابي سليمن الداراني وعد ابن ثوبان
اخا له ان يفطر عنده فابطا عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا
ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت
فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه
المكاشفات لا يكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات
بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو ايات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار وينكشف له صورة الجنة فيشاهدها
كانه يراها عيانا وان غلبت عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى يشتمل على السهل
اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش
فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة
بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام
غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القران وما ينكشف لارباب
القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار
وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف في تاويل كلمات القران على خلاف
ما نقل عن ابن عباس وساير المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القران سوى حفظ
تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار فاعلم ان من زعم
ان لا معنى للقران الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم
برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والاثار تدل على ان في معاني القران متسعا لارباب الفهم قال
علي كرم الله وجهه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القران فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه
وسلم ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ذلك ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى
الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي كرم الله وجهه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه
وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقران وجوها وقال بعض العلماء لكل
اية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخر القران يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف
ذلك اربعة اضعاف اذ لكل واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقول ابن مسعود من
اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال
الله تعالى وصفاته وفي القران شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القران اشارة الى مجامعها
والمقامات في التعمق في تفصيله راجعة الى فهم القران ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كلما اشكل على النظار
واختلف فيه الخلايق في النظريات والمعقولات ففي القران رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفي

بذلك ترجمة ظاهرة وتفسيره ولذلك قال عليه السلام اقرأوا القران والتمسوا غرايبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة
مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم
من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا ينقضي عجايبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث
وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تامرني
ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه وهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك ثلثا فقال ثلثا تعلم
كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القران فسر جمل العلم اشار به على ان القران
مشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني به الفهم في القران
وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما سمى ما اتاهما علما وخصص ما انفرد به سليمن بالتفطن له باسم
الفهم وجعله مقدما على العلم والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القران مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول
من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر رضي الله عنه
اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القران برايي الى غير ذلك مما ورد في الاثار والاخبار من النهي عن تفسير القران
بالراي فلا يخلوا اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر اخر
وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما سمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القران فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود
من انفسهم فينبغي ان لا يقبل وهو تفسير بالراي لانكم لم تسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة والثاني
ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الايات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما
ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي هي اوايل السور سبعة اقاويل مختلفة ولا يمكن الجمع بينها فقيل الر هي حروف
من الرحمن وقيل ان الف الله واللام لطيف والرا رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا
والثالث انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل
ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم اثبت لاهل العلم استنباطا
ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الاثار في فهم القران يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل
وجاز لكل واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في
الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي
والهوى لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القران على تصحيح
بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالاية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الاية محتملة فيميل
فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير
ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه بما يعلم
انه ما اريد به كمن يدعوا الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه الصلوة والسلام تسحروا فان في السحور بركة ويزعم
ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعوا الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى لموسى
اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد

بالفكر

الصحيح

الصحيح تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم
الى مذهبهم الباطل فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون
احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراي
يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر
العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القران وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه
من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم
العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القران بالراي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع
الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرايب التي لا يفهم الا بالسماع فنون كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها
ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل
احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب
او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد
منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة
ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل
فحذف الحب وقوله تعالى اذن لاذقناك ضعف الحياة وضعف المماة اي ضعف عذاب الاحيا وضعف عذاب الموتى
فحذف العذاب وابدل الاحيا والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جايز في فصيح اللغة وقوله واسئل القرية التي
كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها والاهل محذوف مضمر وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على اهل
السموات والارض فالشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ به واقيم في مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله تعالى وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله تعالى واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك فحذف الالسنة
وقوله انا انزلناه في ليلة القدر اراد القران وما سبق له ذكر وقال تعالى حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما
سبق لها ذكر وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك
من حسنة فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله تعالى قل كل من عند الله ويسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها
المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اي طور سيناء وقوله سلام على الياسين اي على الياس وقيل ادريس
لان في حروف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله
قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم معناه الذين استكبروا لمن امن من الذين استضعفوا
ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه لولا كلمة
واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله يسالونك كانك حفي عنها اي يسالونك عنها كانك
حفي وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عايد الى قوله
السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت انفال الغنايم لك اذ انت راض
بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله تعالى حتى تؤمنوا بالله وحده
الا قول ابرهيم لابيه ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان في كلمة او حرف اما الكلمة فكالشيء والقرين والامة

والروح ونظايرها قال تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به المنفقة مما رزق وقوله ضرب الله
مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اي الامر بالعدل والاستقامة وقوله فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء اراد
به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السوال عنها حتى يبتدي بها العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله
ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على انه لا يخلق شيء الا من شيء واما القرين فقوله تعالى
قال قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة
فيطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبيا كقولك نحن من
امة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والامة الدين كقوله تعالى
انا وجدنا آباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله الى امة معدودة وقوله وادكر بعد امة والامة القامة
يقال فلان حسن الامة اي القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد
بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اي ام زيد واما الروح فقد ورد ايضا في القران
بمعاني كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالها
الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اثرن بالحوافر نقعا فالثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن
به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله فانزلنا به الماء يعني بالسحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء
وامثال هذا في القران لا ينحصر ومنها التدريج في البيان كقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران اذ لم يظهر به
انه ليل ام نهار وبان بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر انه في اي ليلة فظهر بقوله انا انزلناه في ليلة
القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقران من
اوله الى اخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار
وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير
القران ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور وهو داخل فيمن فسر القران برايه مثل ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه
فيميل طبعه ورايه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال رايه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه
فهذا ما يمكن ان يكون منهيا عنه دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا احصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر
التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقايق المعاني ويدرك الفرق بين حقايق المعاني وظاهر التفسير
بمثال وهو ان الله تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات
للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه الذي لم يرم رماه الله وكذلك قال قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما
معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه
ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة الحادثة بقدرة الله حتى ينكشف بعد اتضاح امور كثيرة
غامضة صدق قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف هذا المعنى وما يرتبط
بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القران الا وتحقيقها اسرار يحوج الى مثل
ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم
للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه اذ قال عز اسمه ولو كان البحر مدادا
لكلمات ربي الآية والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه يتفاوت
الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثال ما فهم بعض ارباب القلوب من قوله

عليه الصلوة والسلام في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها
من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات وقال اعوذ بك منك
ثم زاد قربه بما استحيا به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجا الى الثنا فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم
ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا
وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا
يدل تفسير ظاهر اللفظ عليها وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره
فهذا ما نريد بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم اخر كتاب آداب التلاوة ويتلوه كتاب الاذكار
والدعوات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما كثيرا

كتاب الاذكار والدعوات وهو الكتاب التاسع من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الشاملة رافته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره
فقال تعالى فاذكروني اذكركم ورغبهم في السوال والدعا بامره فقال تعالى ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي
والقاصي والداني في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله تعالى فاني قريب اجيب دعوة
الداعي اذا دعاني والصلوة على محمد سيد انبيائه وعلى آله واصحابه خيرة اصفيائه وسلم كثيرا اما بعد
فليس بعد تلاوة كتاب الله عبادة تودى باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله
فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعا وشروطه وادابه
ونقل الماثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدنيا والدين والدعوات الخاصة لسوال المغفرة والاستعاذة
وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة الباب الاول في فضيلة الذكر وفايدته جملة وتفصيلا الباب
الثاني في فضيلة الدعا وادابه وفضيلة الاستغفار والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب الثالث في ادعية
ماثورة معزية الى اصحابها واسبابها الباب الرابع في ادعية منتخبة محذوفة الاسانيد من الادعية الماثورة الباب
الخامس في الادعية الماثورة عند حدوث الحوادث

الباب الاول في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الايات والاخبار والاثار

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الايات قوله تعالى فاذكروني اذكركم قال
ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله
ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم الاية وقال تعالى
فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
الاية وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس اي بالليل والنهار في البر
والبحر والسفر والحضر والغنا والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال الله تعالى في ذم المنافقين
ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال
ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه
والآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الايات واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال ذاكر الله في الغافلين كالحي بين الاموات وقال ذاكر الله في
الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال
ايضا ما عمل ابن ادم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد

في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثلثا وقال صلى الله عليه
وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال ان تموت
ولسانك رطب بذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمس وليس عليك خطيئة
وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير
من ملائه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت
اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ومن جملتهم رجل
ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم
وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين **واما** الاثار فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل
قال ابن ادم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك مؤونة ما بينهما وقال بعض العلما ان الله عز وجل
يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه
وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله عند
ما حرم الله تعالى ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل
الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها **فضيلة مجالس الذكر** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال صلى الله
عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا
لكم قد بدلت لكم سياتكم حسنات وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي
صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيمة وقال داود عليه السلام الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس
الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس
من مجالس السوء وقال ابو هريرة ان اهل السماء ليتراون بيوت اهل الارض التي ذكر فيها اسم الله كما تتراى النجوم وقال
سفين ابن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل عتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون
فيقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق وقال اراكم ها هنا وميراث
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة
ما راينا ميراثا يقسم قال فماذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرون القران قال فذلك ميراث محمد صلى الله
عليه وسلم وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل
ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون
بهم الى السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى على اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك
ويسبحونك فيقول وهل راوني فيقولون لا فيقول كيف ولو راوني فيقولون لو راوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا
فيقول لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى هل راوها فيقولون لا فيقول تعالى كيف ولو راوها
فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول الله عز وجل واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى
وهل راوها فيقولون لا فيقول تعالى كيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول اني اشهدكم
اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم **فضيلة التهليل**

لذكر الله بالغدوة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سخا وقال صلى الله عليه وسلم صح

في خلاء

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال
صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير في كل يوم
مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى
يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضا فاحسن الوضوء
ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب
الجنة يدخل من ايها شا وقال صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كاني انظر
اليهم عند الصيحة ينفضون روسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال
ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان
لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا
الله ارجح من ذلك وقال لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له ذلك وقال صلى الله
عليه وسلم يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قال قلت يا رسول الله هذا
للموتى فكيف للاحيا فقال هي اهدم واهدم وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم لتدخلن الجنة كلكم الا من تابى وشرد على الله شرد البعير على اهله فقيل يا رسول الله من الذي
تابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي
كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي كلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل
هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الاخرة الجنة وكذى قوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وروى البراء ابن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه
صلى الله عليه وسلم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال عمر من قال في سوق من الاسواق
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
كتب له الف الف حسنه ومحي عنه الف الف سيئة وبنى الله له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله
اتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن عباده بن الصامت
عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل وفي الصحيح ايضا عن عباده بن الصامت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله
وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلاته
فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلوة ثلثا وثلاثين
وكبر ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه
وان كانت مثل زبد البحر وروى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلايق وبها يرزقون قال فقلت وبماذا
يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح

يحيي ويميت

تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا
قال العبد الحمد لله ملأت مابين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت مابين السماء السابعة الى الارض
فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه وقال رفاعة الزرقي كنا يومًا نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه
فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال لقد رايت بضعة وثلثين ملكًا يبتدرونها ايهم يكتبها
اوّلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الباقيات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد ولا حول ولا قوة
الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل احد يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا
قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كان مثل زبد البحر رواه ابن عمر رضي الله عنهما وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش لهم له دوي كدوي النحل
يذكر بصاحبه اولا يحب احدكم ان لا يزال عند الله شيء يذكر به وروي ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال لئن اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الى مما طلعت عليه الشمس وفي رواية وزاد لا حول
ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله يملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر يملآن مابين السماء
والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه
فمعتقها او موبقها وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام احب
الى الله تعالى قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون
حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي ذر انه قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد جعل الله
لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي
عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة ومباضعة الرجل اهله صدقة قالوا يا رسول الله يأتي احدنا شهوته
ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليك فيها وزر كذلك اذا وضعها في حلال كان لك فيها اجر وقال
ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه
وسلم افلا ادلك على عمل اذا انت عملته ادركت من قبلك وفقت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة ثلثا
وثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت بسيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للنساء عليكن بالتسبيح والتهليل
والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في يوم القيمة وقال ابن عمر رايته صلى الله عليه
وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري اذ شهدا انه صلى الله عليه
وسلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا
الله وحده لا شريك له قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وحدي لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا
بالله يقول الله صدق عبدي لا اله الا انا لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد

عن ابيه عنه عليه السلام انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يسبح الله
مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى
اولا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم
من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة
وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال
توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون
لا سبيل لكم اليه قد هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة
العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة
ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ذلك
ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله تعالى مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب
مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به يشرف سائر العبادات وذلك غاية ثمرة العبادات
العملية وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس والحب واخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب هو ذلك الانس
فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس
في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان يذكر غايب عن مشاهد بين يدي شخص
ويكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة
الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر
تكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبًا والثمرة مثمرا وهذا معنى قول
بعضهم كابدت القران عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا
من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعًا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان ان يتناول
طعاما يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تكلف كما قيل
هي النفس ما عودتها تتعود اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعًا اخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله
وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت ولا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله
فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله ولا
يبقى بعد الموت عايق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك غاية
قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان
ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان
يفنى في نفسه عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر
الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكرن بقاء ذكر الله معه بعد الموت فتقول انه
اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدمًا يمنع الذكر بل عدمًا من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت
والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وبقوله صلى الله
عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر تطير بها وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي
صلى الله عليه وسلم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون

العلي العظيم

عليه بغي المتابع

ثابت البناني

الحمد لله

واني بجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث
في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المومنون والشهدا فقد قال ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش
وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا تنافي ذكر الله وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولاجل
شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب
مستغرق بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في وصف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده
بل من الدنيا كلها فانه يريد ذلك لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك
في الشرع ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيه من الفضايل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري
يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير يا رسول الله قال ان الله احيا اباك
فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدي ما شئت اعطكه فقال يا رب تردني الى الدنيا
حتى اقتل فيك وفي نبيك صلى الله عليه وسلم مرة اخرى فقال تعالى سبق القضا مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل
هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم خوف
اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن
فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى
استيلاوه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه
ويحشر على ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع
او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله تعالى واعلا كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد يوافق معنى قولك لا اله الا الله
فانه لا مقصود له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قايل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصد
له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده قلبه فامره في مشية الله ولا يومن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله
الا الله على ساير الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع للترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة
من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسال الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل
لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله
فان من احب لقاء الله احب الله لقاه ومن كره لقاء الله كره الله لقاه فهذه مرامز الى معاني الذكر لا تمكن الزيادة عليها
في علم المعاملة **الباب الثاني في اداب الدعا وفضله وفضل بعض الادعية الماثورة فضيلة الدعا**
قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم
يرشدون وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين وروى النعمن بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدعا هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب
لكم وقال صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء اكرم عند الله من الدعا
وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطيه من الدعا احدى ثلث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له
وقال ابو ذر يكفي من الدعا مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال
وافضل العبادة انتظار الفرج **آداب الدعا وهي عشرة الاول** ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة

> ينقطع العلايق عن غيره فان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله صح

من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون
ولقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له
من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلام انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعوا
في وقت السحر فقيل انه قام وقت السحر يدعوا واولاده يومنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبيا
الثاني ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل
الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعا فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير
الساعات فعليكم بالدعا خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ايضا
الصايم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه
وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد
اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعا وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اني نهيت ان اقرا راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعا فانه قمن
ان يستجاب لكم **الثالث** ان يدعوا مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعوا حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه وسلم كان
يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعا ولا يشير باصبعيه وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر على انسان يدعو
باصبعيه السبابتين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احد احد اي اقتصر على الواحدة وقال ابو الدردا ارفعوا هذه
الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر الدعا قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مد يده في الدعا لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم
كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين
اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعا او لتخطفن ابصارهم **الرابع** خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي
ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال
صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غايب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت
عايشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله تعالى على نبيه زكريا عليه السلام حيث
قال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية **الخامس** ان لا تتكلف السجع في الدعا فان
حال الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون
في الدعا وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين فقيل معناه المتكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز
الدعوات الماثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسال ما لا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعا وكذلك ورد في الخبر والاثر
ان العلما يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلما وقد قال صلى الله عليه
وسلم اياكم والسجع في الدعا فحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سياتون قوم يعتدون في الدعا والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعوا بسجع
فقال الله تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمي يدعوا وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيمة
اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار

> زكريا عليه السلام صح

لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم فى الدعا على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر
سورة البقرة فان الله لم يخبر فى موضع من ادعيه عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك
لا يلايم الضراعة والذله والا ففى الادعية الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله
صلى الله عليه وسلم اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود
انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير
سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله **السادس** التضرع والخشوع والرهبة قال تعالى انهم كانوا يسارعون
فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه
حتى يسمع تضرعه **السابع** ان يجزم الدعا ويوقن بالاجابة ويصدق رجاؤه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم
اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة
فان الله لا يتعاظمه شئ وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة ~~فانه لا مكره له وقال اذا دعا احد~~
واعلموا ان الله عز وجل اجاب دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين **الثامن**
ان يلح فى الدعا ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا وينبغى
ان لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا
دعوت فاسئل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انى اسئل الله منذ عشرين سنه حاجة وما اجابني وانا
ارجو الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا سال احدكم ربه مسئلة
فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل
حال **التاسع** ان يفتتح الدعا بذكر الله فلا يبدا بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب وقال ابو سليمن الداراني من اراد ان يسال الله
عز وجل حاجة فليبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثم يسال الله حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله يقبل
الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله حاجة
فابدؤا بالصلوة على فان الله تعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احدهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي رحمه الله
العاشر وهو الادب الباطن وهو الاصل فى الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو
السبب القريب فى الاجابة يروي عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام
فخرج موسى ببني اسرائيل ليستسقى بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات ولم يسقوا فاوحى الله الى موسى انى لا استجيب لك
ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون
نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس
فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسل الله علينا السماء او لنؤذينه قيل له وكيف تقدر
ان تؤذيه وهو فى السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له قال فارسل الله عليهم السماء وقال سفين الثوري
بلغني ان بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال
ويتضرعون فاوحى الله الى انبيائهم لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن
الدعا فانى لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار
اصاب الناس فى بنى اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى بابدان نجسة وترفعون
الى اكفا قد سفكتم بها الدما وملاتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا

ليجزم

لا يستجيب دعاء من قلب
لاه اي غافل وقال
سفين ابن عيينة لا يمنعن
احدكم من الدعاء ما يعلم
من نفسه فان الله عز وجل
صح

وقال ابوا الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوايمها الى السماء
وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمن ارجعوا فقد سقيتم
بدعوة غيركم وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر
من حضر الستم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا
بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك
بن دينار ادع لنا ربك فقال انتم تستبطؤن المطر وانا استبطئ الحجارة ويروي ان عيسى عليه السلام خرج يستسقى
فلما اضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه الا رجل واحد فقال له عيسى
عليه السلام اما لك من ذنب فقال والله ما اعلم من شئ غير انى كنت ذات يوم اصلى فمر بي امراة فنظرت اليها
بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي فى عيني فانتزعتها واتبعت المراة بها فقال له عيسى فادع حتى اؤمن على دعائك
قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود النبي عليه السلام
فاختاروا ثلثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت فى توراتك ان نعفوا عمن ظلمنا
اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت فى توراتك ان نعتق ارقائنا اللهم انا
ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت فى توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم
انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعانا قال فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا نحن
بسعدون المجنون فى المقابر فنظر الي فقال يا عطا هذا يوم النشور او بعثر ما فى القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث
فخرجنا نستسقى فقال يا عطا بقلوب ارضية او بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطا قل
للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهى وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك
ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ما اسقيتنا ماء غدقا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا
من هو على كل شئ قدير قال عطا فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى
وهو يقول **شعر** نعم الزاهدون والعابدونا ٭ اذ لمولاهم اجاعوا البطونا ٭ اسهروا الاعين العليلة فيه ٭ فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى ٭ قيل فى الناس ان فيهم جنونا ٭ وقال ابن المبارك قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس
يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحدهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى
جنبي فسمعته يقول الهى اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد احتبست علينا غيث السماء لتؤدب
عبادك بذلك فاسئلك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول
الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي اراك
كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل ~~فقال لي اراك كئيبا~~ وخر مغشيا
عليه ويروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر رضي الله عنه من دعائه قال
العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله
عليه وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب وتواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار
مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان
يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله عليه الصلاة والسلام

قال الله عز وجل ان الله
وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروى انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم

والبشري ترى في وجهه فقال انه جاءني جبرئيل عليه السلام فقال يقول الله تعالى اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك
احد من امتك واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم
من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي
اكثرهم الصلوة علي وقال صلى الله عليه وسلم بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال صلى الله عليه وسلم
اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وقال من صلى علي من امتي كتب الله له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات وقال
من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك
واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم ان في الارض
ملائكة سياحين يبلغوني عن من امتي السلام وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما صليت
على ابرهيم وعلى آل ابرهيم وبارك على محمد وآله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد ويروى ان عمر
بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي وهو يقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد
كان جذع نخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن
فامتك كانت اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اخبرك
بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان بعثك آخر الانبيا وذكرك في اولهم وقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الآية
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها
يعذبون ويقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله
حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله
لئن كان سليمن اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء
السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه
الله احياء الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت الذراع لا تاكلني فاني مسموم بابي
انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا
كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنيه وطول عمره
ولقد امن بك الكثير وما امن معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك لما جالستنا ولو لم تنكح
الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست
الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك في الارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله
عليك وقال بعضهم كنت اكتب الحديث واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا اسلم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال اما تتم الصلوة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فقال
فقال اما تتم الصلوة وروي عن ابي الحسن الشافعي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بم جزى
الشافعي عنك حين يقول في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال
جزي عني انه لا يوقف للحساب **فضيلة الاستغفار** قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم

انجعلوا طاعته طاعته فقال تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضلك عنده صح

في قصر سنيك

ذكروا

ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود في كتاب الله عز وجل آيتان ما
اذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الآية ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما وقال عز وجل والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان
صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله
عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله
عليه وسلم اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا مع انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى اني استغفر الله في كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين
ياوي الى فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت
مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال في حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه
وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني
النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين انت من الاستغفار في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار
وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني
اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما
اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا
اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء ان ينفعني منه واذا حدثني احد من اصحابه
استحلفته فاذا حلف صدقته الا ابو بكر قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الآية وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى يعلوا
قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروي ابو هريرة انه صلى الله عليه
وسلم قال ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب اني لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة
رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا ياخذ
بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم
سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي لربا يا رب اغفر لي فقال
الله عز وجل قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر
وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة
على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت له ذنوبه ولو كانت كمدب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي
وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء اليك بنعمتك علي وابوء على نفسي
بذنبي وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت
الآثار قال خالد بن معدان قال الله عز وجل ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد

وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه صح

لا اله الا انت وانا عبدك صح

والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال
قتادة القران يدلكم على دائكم ودوائكم اما دائكم فالذنوب واما دوائكم فالاستغفار وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبد الاستغفار وهو يريد ان
يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها اقلني وقال بعض العلما العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها الا
الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن
ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا
يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكما من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابي
وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للوم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك
لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفا واذا توعد عفا
ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر
ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعا مخلصا ان شا الله اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه
ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم اف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك الكريم
فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة
من كل ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملا وخلا وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار الخضر عليه السلام

الباب الثالث في ادعية ماثوره ومعزية الى اسبابها واربابها

مما يستحب ان يدعو بها المريد
صباحا ومسا وبعقب كل صلاة فمنها دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل
صلاة الفجر قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن
وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني
بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة
اللهم اني اسالك الفوز عند القضا ومنازل الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا ومرافقة الانبيا اللهم اني
انزل بك حاجتي وان قصر رايي وضعف عنه عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور
كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه
عملي ولم يبلغه نيتي او امنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه
واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب
بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعا وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك
التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد
والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي
تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان
ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شي بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري
ونورا في لحمي ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن
يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا دعا عايشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسالك من الخير

كله

كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة
وما قرب اليها من قول وعمل ونية واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ونية واسالك من الخير ما سالك عبدك
ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ونبيك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك
ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين دعا فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة
عين واصلح لي شاني كله برحمتك يا ارحم الراحمين دعا الصديق رضي الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق
رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد نبيك وابرهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام
موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وبكل وحي اوحيته او قضا قضيته او سايل اعطيته او
غني افقرته او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلت على موسى عليه السلام واسالك باسمك
الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القران والعلم وتخلطه
بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين دعا
بريدة الاسلمي روي انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم
لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي
واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني يا ارحم الراحمين دعا
قبيصة ابن المخارق اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبر سني وعجزت عن اشيا
كنت اعملها فقال صلى الله عليه وسلم اما الدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت من كل غم وجذام وبرص وفالج واما لاخرتك فقل
اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم اما
انه اذا وافا بهن عبد يوم القيمة ولم يدعهن فتح الله له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شا دعا ابي الدردا رضي الله
عنه قيل لابي الدردا ذات يوم قد احترقت دارك وكان النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل
له ذلك ثلثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه ات وقال يا ابا الدردا ان النار حيث دنت من دارك طفيت
فقال قد علمت ذلك فقيل له ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هولا الكلمات
في ليل ونهار لم يضره شي وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط
بكل شي علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم دعا
الخليل ابرهيم صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا اصبح هذا اليوم خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك
وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما علمت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم
قال ومن دعا بهذا الدعا اذا اصبح فقد ادى شكر يومه دعا عيسى عليه السلام كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع
دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي
عدوي ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني دعا الخضر
عليه السلام يقال ان الخضر والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شا الله لا حول
ولا قوة الا بالله ما شا الله كل نعمة من الله ما شا الله الخير كله بيد الله ما شا الله لا يصرف السو الا الله فمن قالها ثلثا
اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق دعا معروف الكرخي رحمة الله عليه قال محمد بن حسان رحمه الله قال لي معروف الكرخي

على السموات فاستقلت واسالك
باسمك الذي تقسم به ارزاق العباد
واسالك باسمك الذي وضعته
على الارض فاستقرت واسالك
باسمك الذي وضعته على الجبال
فارست واسالك باسمك الذي
به استقل عرشك واسالك
باسمك الطهر الطاهر الاحد
الصمد الوتر المنزل في كتابك
من لدنك من النور المبين واسالك
باسمك الذي وضعته صح

الا اعلمك عشر كلمات خمسًا للدنيا وخمسًا للاخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردّدها
عليك كما ردّدها على بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم
القوي لمن بغا علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسالة
في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن ابي الدردا انه قال من قال في كل يوم سبع مرات
فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر اخرته صادقا كان
بها او كاذبا **دعاء عتبة الغلام** رحمه الله رؤي عتبة في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي
المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا
مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين رب العالمين
دعاء ادم صلوات الله وسلامه عليه قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله تعالى ان يتوب على ادم طاف
سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببني بل ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل
معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا تباشر قلبي ويقينا
صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي فارضني بما قسمته لي فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولن ياتي احد
من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت
له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها **دعاء علي** كرم الله وجهه رواه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم
اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني الله لا اله الا انا العفو الغفور
مبدئ كل شيء والي يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم ملك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد
الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباري المصور الكبير المتعالي المقتدر القهار الحليم الكريم اهل الثناء والمجد
اعلم السر واخفى القادر الرازق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما اوردناه في الاول
فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك انت الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين
يجاورون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى والنبيون في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين
دعاء ابي المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته رضي الله عنه روي ان يونس بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا
ببلاد الروم فقال ما افضل ما رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة
ما هو خالق وملأ ما خلق وملأ ما هو خالق وملأ سمواته وملأ ارضيه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد
خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع
ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من الابد
الى الابد ابد الدنيا وابد الاخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد آخره **دعاء ابرهيم** ابن ادهم رضي الله عنه
روي ابرهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعا في يوم الجمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح
الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال
في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعًا

لمن حسدني

كفاه الله تعالى ما اهمه من امر اخرته صادقا كان او كاذبا ع

قال صلى الله عليه وسلم ع

العفو

المقتدر

ولسوى الله في الالهية جاحدًا والى الله فقيرا وعلى الله متكلا والى الله منيبًا اشهد الله واشهد ملائكته وانبيائه
ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وسلم تسليمًا وان الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق
ولقاءك حق والساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث
ان شاء الله اللهم انت ربي لا رب لي الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن
الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك
والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك امنت اللهم بما ارسلت من رسول وامنت اللهم
بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتمة كل كلامي امر ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله
ورسله اجمعين امين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظما بعده
ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني
من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولا
تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات
باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصداتها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان
بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها ونضارتها وسبحان من
سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك من سبح له كل شيء من مخلوقاته سبحانك
يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على
كل شيء قدير **الباب الرابع في ادعية ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم** وعن اصحابه رضي الله
عنهم اجمعين محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمة الله عليهم ويستحب
للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعا كما سياتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الاخرة المقتدين
برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل
شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان الرجيم وشركه وقل اللهم اني اسالك العفو
والعافيه في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك
ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك
وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي فاغفر
لي ذنبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت
ثلث مرات وقل اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم
وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي
او اكسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسالك شكر نعمتك
وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسالك من خير ما تعلم

من شر ما صنعت ع

مرتين

يا رب

واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما
اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد
اللهم انى اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى اعلا
جنة الخلد اللهم انى اسالك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسالك حبك وحب
من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك
غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا
لي اسالك خير الحيوة وبركة الحيوة واعوذ بك من شر الوفاة واسالك خير ما بينهما وخير ما بعد ذلك احيني حيوة
السعداء حيوة من تحب بقاه وتوفني وفاة الشهدا وفاة من تحب لقاءك وتحب لقاه يا احسن الرازقين وارحم الراحمين
اسالك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنا والفقر ولذة النظر
الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واعوذ بك من كل ضر مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا
هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به الى جنتك
ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا والاخرة اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا واسكن فى
نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم
اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره تكرمة
الحمد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي
سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته
وبارك على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما صليت وباركت على ابرهيم وآل ابرهيم فى العالمين انك حميد مجيد
اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم
اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك بما يرضيك عنا ووفقنا
لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا نسئلك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر
وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك
انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت ارحم الراحمين وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت
الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه
لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني
بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني واسالك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والاخرة
يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا
وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا
فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا اتنا فى الدنيا حسنة
الاية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الى قوله تعالى انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تواخذنا ان
نسينا او اخطانا الى آخر السورة رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات
والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت

ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلا للذين امنوا ربنا انك
رؤف رحيم ربنا اغفر لنا
صح

انك تعلم ما لا نعلم
صح

خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله
ونعم الوكيل **انواع الاستعاذه الماثوره عن رسول الله** صلى الله عليه وسلم اللهم انى اعوذ بك من البخل واعوذ
بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم
انى اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حين لا مطمع اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب
لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل
والبخل والجبن ومن الهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم
انا نسالك قلوبا اواهة مخبتة اوابة فى سبيلك اللهم انا نسئلك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة
من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم انى اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم
والغرق والهدم والهموم واعوذ بك ان اموت فى سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت فى طلب الدنيا اللهم انى اعوذ
بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم انى اعوذ
بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم انى اعوذ بك من الكفر والدين والفقر
واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم انى اعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي
وشر منيي اللهم انى اعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان الجار البادي يتحول اللهم انى اعوذ بك من القسوة
والغفلة والعيلة والذلة واعوذ بك من المسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة
والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام اللهم انى اعوذ بك من زوال نعمتك
ومن تحول عافيتك ومن فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم انى اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب
القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والماثم
اللهم انى اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلوة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من شر العمر
وفتنة الصدر اللهم انى اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء **الباب الخامس فى الادعية
الماثورة عند كل حادث من الحوادث** اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن وقد
ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلا والخروج منه وادعية الوضوء فى كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل
اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى لساني نورا واجعل فى سمعي نورا واجعل فى بصري نورا واجعل من خلفي نورا ومن امامي
نورا واجعل فى فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم انى اسالك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا
اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسالك ان تنقذني
من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت واذا خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك
ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت
الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وآل محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم
رجلك اليمنى فى الدخول وان رايت فى المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رايت من ينشد ضالة
فى المسجد فقل لا ردها الله عليك امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم
انى اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعا الى اخره كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل فى ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك امنت ولك اسلمت وعليك
توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان
احببت قل سبحان ربي العظيم ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثلثا فاذا رفعت راسك من الركوع

الغم

وتقول سبحان ربي الاعلى ثلثا ثم

العلي العظيم صح

فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملا السموات وملا الارض وملا ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال
العبد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم
لك سجدت وبك امنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله احسن
الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وامن بك فوادي ابو بنعمتك علي وابو بذنوبي وهذا ما جنيت
على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت او تقول سبحان ربي الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت من الصلوة
فقل اللهم انت السلام ومنك السلم تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعوا بساير الادعية التي ذكرناها فاذا
قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
بسم الله اللهم انى اسالك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم انى اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى اعوذ
بك من ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني
بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم انك كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسالك من خيره وخير
ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رايت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت
ولا يذهب بالسيات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رايت رشد خير امنت بخالقك اللهم انى اسالك خير (وامن هلال)
هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر وكبر قبله ثلثا فاذا هبت الريح فقل اللهم انى اسالك خير هذه

(هامش: الهلال فكبر ثلثا وقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام والاحسان والاسلام ربي وربك الله فتقول هلال صح)

الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا بلغك وفاة احد فقل
انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في
الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله ويقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع
العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ويقول عند ابتداء الامور ربنا اتنا
من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول عند النظر الى السماء ربنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا فاذا سمعت صوت الرعد ورايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل
ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته قاله كعب واذا امطرت السماء فقل اللهم سيبا هنيئا وصيبا
نافعا اللهم اجعله سقيا سبب رحمة ولا تجعله سقيا سبب عذاب واذا غضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي واذهب
غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم واذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم
واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل فاذا اطنت اذنك فصل على محمد وقل ذكر الله من ذكرني
بخير فاذا رايت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطات فقل الحمد لله
على كل حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور
صلاتك اسالك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم انى عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك (وابن عبدك صح)
نافذ في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك
او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني
وهمي قال صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله همه وابدل مكانه فرحا فقيل
يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك

فارق

فارق برقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكا الانسان قرحه او جرحا وضع سبابته على الارض
ثم رفعها وبلها بريقه يشفيه وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا تشفى بها سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت
وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بالله بعزة الله وقدرته (بجلال الله وعزته)
من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحكيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا
الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم واذا اردت النوم فتوضا اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة
ثم كبر اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين ثم قل اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم انى لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك
اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التورية
والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء
وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين
واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها
فاحفظها اللهم انى اسالك العافية باسمك اللهم ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك (وباسمك ارفعه صح)
اللهم اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجا ولا منجا منك
الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت ويكون هذا اخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال لديك مما يقربني
اليك زلفا ويبعدني من سخطك بعدا اسالك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت
من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة
والسلطان لله والعزة لله والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وملة ابينا ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت
واليك المصير اللهم انا نسالك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى
مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح
وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسالك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله
ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله
رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا
امسيت قلت ذلك الا انك تقول امسينا وتقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر
ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر وشر كل دابة انت ربي اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم واذا نظرت في المراة
فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او
غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم انى اسالك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل
عليه واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين فقل
للمقضي له بارك الله لك في اهلك ومالك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء
فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والوضوء والصلاة فقد ذكرناه في
كتاب الحج والصلاة والطهارة فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء
واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم

فبدا فعان فكذلك الدعا والبلا يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ان لا تحمل السلاح وقد قال الله تعالى
خذوا حذركم وان لا تسقى الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضا بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات
هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير
هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من
انفتحت بصيرته ثم في الدعا من الفايده ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا يتصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند
المام حاجة او ارهاق ملمة فالانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعا والدعا يرد القلب الى الله
بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبيا ثم بالاوليا
ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله ويمنع من نسيانه واما الغنا فسبب للبطر في غالب
الامر فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق
للخير واما بقية الدعوات في الاكل والسفر والشرب وعيادة المرضى وغيره فستاتي في مواضعها ان شا الله
آخر كتاب الاذكار والدعوات والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل والنهار وقوانينه وبه اختتام وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله تعالى على آلائه حمدا كثيرا
ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله تعالى غدوة وعشيا
وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا **اما بعد** فان الله تعالى جعل الارض ذلولا
لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون منها محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان
العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن هو الجنة
والنار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه واياmه اميالة وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته
واوقاته روس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم
المقيم وخسرانه البعد من الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه
حتى ينقضي في غير طاعة يقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم
والخطب الهايل تشمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات
وظايف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات
علم طريق الاخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات
ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب الاول** في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار **الباب الثاني** في كيفية احياء
الليل وفضيلته وما يتعلق به

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها فضيلة الاوراد

وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله وانه لا سبيل الى
اللقا الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان
المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر
والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات
الليل والنهار في وظايف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا يصبر على فن واحد
من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله لا يمل
حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال
لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر
ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته
الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الاخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقته الطبع
اذ يكون الوقت متساويا فانى يتساويان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يساعد على امور الدنيا ويصفو
في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات
فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة ومن اراد ان يترجح كفة حسناته وتثقل موازين
خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع
والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم
يكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم
درجة لديه صلى الله عليه وسلم ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك
بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى
ان ناشية الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى
اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفايزين من عباده وبما
ذا وصفهم وقال تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما وقال عز من قايل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله
يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى
الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال
تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها ولا تظنن
ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا
بل ليعرف بها مقادير الاوقات فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر
وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان اعداد الاوراد وترتيبها**
اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان
وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة وردان من المغرب
الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق
به **فالورد الاول** من طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال

دثمه ورد خامس وهو
ورد النوم مخصص لا دعية
م

تعالى والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال تعالى فالق الاصباح وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق واظهاره القدرة
يقبض الظل فيه اذ قال تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده
الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى فسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقوله تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
واما ترتيبه فلياخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدي بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا
بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والايات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات
ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة على عبادته من غير قصد رياء
ولا رعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة اليه ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعوا بالادعية التي ذكرناها
فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضاء مراعيا لجميع السنن والادعية
التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا احاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب
فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقرا بعد الركعتين سواء اداهما في البيت او في المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم اني اسالك
رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسا دعاء الخروج الى المسجد
ولا يسعى الى الصلوة بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الحديث ولا يشبك بين اصابعه فيدخل المسجد ويقدم رجله
اليمنى ويدعوا بالدعاء الماثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب
الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في منزله ويشتغل بالدعاء المذكور بعده
وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله
عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فان لهما زيادة فضل
روي انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضاء ثم توجه الى المسجد يصلي فيه
الصلوة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس
كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة الفي الف حسنة
ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل
من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا هريرة قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي شيء خرجت من منزلك
هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة
في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما
نايمان فقال الا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم بعد ركعتي الفجر والدعاء
ينبغي ان يشتغل بالاستغفار والتسبيح الى ان يقام الصلوة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع
ما ذكرناه من الاداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه
فقد قال صلى الله عليه وسلم لئن اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق
اربع رقاب وروي انه كان صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي
ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروي الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما

والوقار ح

فالتقيت

يذكر من رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما
فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعية
واذكار يكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر اما الادعية فكما يفرغ من صلاته فليبدا وليقل اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت
ياذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى
الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين
ولو كره الكافرون ثم يبتدي بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الدعوات فيدعو بجميعها
ان قدر عليه او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارفق وارق لقلبه واخف على لسانه واما الاذكار المكررة فهي
كلمات ورد في تكرارها فضل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثره مائة او
سبعون واوسطه عشرا وليكرر بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط اقصد ان يكررها عشر مرات
فهو اجدر بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة
افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم مثال قطرات ما تتقاطر على الارض على التوالي فيحدث فيها
حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ما يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يتبين
لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله
العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة السادسة قوله اللهم
لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين
محمد رسول الله الصادق الصدوق الامين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء
وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد العاشرة
قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان تكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل
واحدة من هذه الكلمات فضل على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة
نوع استراحة وامن من الملال فاما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الايات وردت الاخبار بفضلها وهو ان يقرا
سورة الحمد واية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله تعالى امن الرسول وشهد الله انه لا اله الا هو وقل اللهم مالك الملك
الايتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
الى اخرها وقوله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وخمس ايات من اول الحديد وثلثا من آخر سورة الحشر وان قرا المسبعات
العشر التي اهداها الخضر الى ابرهيم التيمي ووصاه ان يقراها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة
جملة الادعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدي لي هدية
وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابرهيم التيمي
قلت افلم تسئل ابرهيم من اعطاه قال بلى سالته قال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني
رجل فسلم علي وجلس عن يميني ولم ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا واطيب رائحة منه

اوسطها وان قل عشر مرات او منه ح

ولا راد لما قضيت ح

فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شئ جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبًّا لك في الله عز وجل وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ماهي فقال هي ان تقرا قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الفاتحة وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون واية الكرسي كل واحدة سبع مرات ويقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعًا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور حليم رحيم وجواد كريم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدًا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه راى ذات يوم في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فراى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسالت الملائكة فقلت لمن هذه كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق الى المغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويوم صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيا من السيات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدًا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابرهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعل كان بعد هذا الرويا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيا مما انتهى اليه ورده من القران او اقتصر عليها فحسن فالقران جامع لفضل الذكر والفكر والدعا مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وادبه في كتاب التلاوة واما الافكار فليكن ذلك احد وظائفه وسياتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والفن الثاني ما ينفعه في علم المكاشفة وذلك ان يتفكر مرة في نعم الله وتواتر الائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع الفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وانما نستقصي ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله وزيادة امرين احدهما زيادة المعرفة لله اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا ينكشف عظمة الله وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجايب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضايله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غايب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب

الهدية

التفكر

واللسان

واللسان الذين صدقوا ما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا احاط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادرك بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابرهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه في ترقيه وقال لما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر راى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا يليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوايل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام والحجب المسماة انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الاية ولنتجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقايقها الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك ايضا مما تغزر فايدته ويعظم نفعه فهذه الوظايف الاربع اعني الدعا والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان يكون وظيفة المريد بعد صلوة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلوة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلوة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار فهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة فلو صلى كذلك فلا باس به الورد الثاني ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك بمضي ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنى عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زايدتان احدهما صلوة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلوة ان الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف رمح ويصلي اربعا او ستًّا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام لحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراده الله بقوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها بالتمام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت افضل لصلوة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلوة بين طرفي وقت الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء فاسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق يقع في مبدا وقت الاذن في الصلوة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها عن ترتفع عن حجاب الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شئ من ذلك عاد الى الوظايف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة

البالغ

بلغ المقابلة

والفكر او الصلوات المتطوع بها ان شآ فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلوة قسمًا
خامسًا من جملة وظائف هذا الوقت لمن اراده واما ما بعد فريضة الصبح فيكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب
ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلوة بل بالاذكار والقراءة والدعا والفكر **الورد الثالث**
من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلث ساعات امر بصلوة فاذا انقضى
ثلث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبيل مضيها صلوة الضحى فاذا مضت ثلث اخرى فالظهر فاذا مضت ثلث اخرى
فالعصر فاذا مضت ثلث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا
ان الضحى لم تفترض لانه وقت اكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد
امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرًا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان
كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما
قدر على ان يكتسب في كل يوم لوقته فاذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد
الآخرة اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا
في ثلث مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون
فيما عنه بدّ انه لا بد له منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشآء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون
خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه **الامر الثاني** القيلولة وهي سنة ليستعين
بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة ليستعين بها على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير
وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف
المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم
من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفين
الثوري رحمه الله كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فاذن نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام
الليل قربة ولكن ينبغي ان يتنبه قبيل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت
الصلاة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر فهو افضل اعمال النهار
لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير
بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا
وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنيي قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي
يخلف احدهما الآخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في الآخر **الورد الرابع** ما بين الزوال الى الفراغ
من صلوة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس
وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار
الذي اراد الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات بتسليمة واحدة وهي الصلوة وحدها
من بين ساير صلوات النهار هكذا نقل انه يصليها بتسليمة واحدة لكن طعن في تلك الرواية وهكذا قاله بعض العلما
ومذهب الشافعي رحمه الله انه يصلي مثنى مثنى كساير النوافل وليطول هذه الركعات اذ فيها يفتح ابواب السمآء كما
اوردنا الخبر فيه في باب صلوة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة من المائين او اربعًا من المثاني فهذه ساعة يستجاب
فيها الدعا واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة كما
سبق او قصيرة لا ينبغي ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ كره ابن مسعود ان يتبع الفريضة بمثلها من

غر

لقوته

السحور

غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة اية الكرسي واخر البقرة والايات التي اوردناها في الورد الاول ليكون
ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت **الورد الخامس** ما بعد
ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر او الصلوة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلوة معتكفا
فمن فضايل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المساجد بين الظهر
والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه واحياء
هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل
الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلما ثلث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع ونوم
بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثماني ساعات
في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر في الليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار
فحسب ابن ادم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد
نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء البدن وكما ان العلم والذكر غذاء القلب لم يكن
قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا ان يتعود السهر تدريجا فقد
تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الآصال التي ذكرها الله
تعالى اذ قال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله الجمادات
فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات **الورد السادس** اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد
السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر وهذا احد معنيي الاية وهو المراد بالآصال في احد التفسيرين
وهو العشاء المذكور في قوله وعشيا وفي قوله تعالى بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين
الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس
الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعا
والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلثة **الورد السابع** اذا اصفرت الشمس بان تقرب من
الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها فيدخل هذا الورد
وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهو الطرف الثاني المراد بقوله واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد
تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة ويستحب في هذا
الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وساير ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله العظيم الذي لا اله
الا هو الحي القيوم واسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده ماخوذة من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد
ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القران احب كقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا
استغفره انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان
يقرأ قبل غروب الشمس سورة والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار
فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعا كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلوة المغرب
وبالغروب ينتهي اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى
يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه
خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده

الرجل المسجد

اياه لطريقه وان يكن الاخرى فالليل خلفة للنهار فليعزم على تلافى ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات
فليشكر الله على صحة جسمه وبقآء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له
اخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون له بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر
الا اياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضآء احادها **بيان اوراد الليل** وهى خمسة **الاول** اذا
غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحيآء ما بين العشائين فاخر هذا الورد غيبوبة الشفق اعنى الحمرة التى بغيبتها
يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال تعالى فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه هى ناشئة الليل لانه اول
نشوة ساعاته وهو اناء من الاناء المذكورة فى قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهى صلوة الاوابين وهى المراد بقوله تعالى
تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن رحمه الله واسنده ابن ابى زياد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم الصلوة بين العشائين ثم قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلوة
بين العشائين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره والملاغاة جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام
بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسياتى فضل احيآء
ما بين العشائين فى الباب الثانى وترتيب هذا الورد ان يصلى بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلى اربعا يطيلها ثم يصلى الى غيبوبة
الشفق ما يتيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليها فى بيته ان لم يكن عزمه الاعتكاف فى المسجد
وان عزم على الاعتكاف لانتظار عشآء الاخرة فهو الافضل اذا كان امنا من التصنع والريآء **الورد الثانى** يدخل
بدخول وقت العشآء الاخرة الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال تعالى
والليل وما وسق اى وما جمع من ظلمته وقال تعالى الى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته وترتيب هذا
الورد بمراعاة ثلثة امور الاول ان يصلى سوى فرض العشآء عشر ركعات اربعا قبل الفرض احيآء لما بين الاذانين
وستة بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرا فيهما من القرآن الايات المخصوصة كاخر البقرة واية الكرسى واول الحديد
وغيرها الثانى ان يصلى ثلث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه اكثر ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى به من الليل
والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقويآء من اخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه
القيام اذا صار ذلك عادة له فاخر الليل افضل ثم ليقرا فى هذه الصلوة قدر ثلثمائة اية من السور المخصوصة التى كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر قرآتها مثل يس وسجدة لقمن وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة
فان لم يصل فلا يدع قرآءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روى فى ثلثة احاديث ما كان يقروه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفى رواية الزمر وبنى اسرائيل وفى اخرى انه كان يقرا المسبحات
فى كل ليلة ويقول فيها اية افضل من الف اية وكان العلمآء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك اذ فى الخبر انه صلى الله
عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرا فى ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك وقل يا ايها الكافرون
والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته
القيام قال ابو هريرة اوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلوة الليل فالتاخير
افضل قال صلى الله عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عائشة اوتر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه واخره وانتهى فى وتره الى السحر وقال على رضى الله عنه الوتر على ثلثة انحاء ان شئت
اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعنى انه يصير وترا بما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت
اليها اخرى ثم اوترت من اخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون اخر صلوتك هذا ما روى عنه والطريق الاول

العتمة

اول الليل صليت ركعتين

والثالث

والثالث لا باس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغى ان ينقض وروى مطلقا انه صلى الله عليه وسلم قال
لا وتران فى ليلة ولمن يتردد فى استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلمآء وهو ان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه
عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهيكم التكاثر لما فيهما
من التحذير والوعيد وفى رواية قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد لما فيهما من التنزيه وافراد العبادة لله فقيل ان
استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر فى اخر صلوته وكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استيناف
الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكى وقال فيه ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من اخر الليل وهو كما ذكره
لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ ويبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ
غير شافع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين
شفع بصورتهما وتر بمعناهما فتحسب وترا ان استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول
سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة
وقهرت العباد بالموت وروى انه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال
للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وهذا يدل على صحة النافلة نائما **الورد الثالث** النوم ولا
باس بان يعد ذلك فى الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا
لله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فان تحرك فى نومه فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفى
الخبر انه اذا نام العبد على الطهارة دفع روحه الى العرش هذا فى العوام فكيف فى العلمآء وارباب القلوب الصافية فانهم
يكاشفون بالاسرار فى النوم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ
لابى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام فيه شيئا واتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ
لكنى انام ثم اقوم واحتسب فى نومى ما احتسب فى قومتى فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه
منك **وآداب النوم** عشرة **الاول** الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج
بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث
احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيب
الثانى ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوى القيام للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه استاك كذلك
كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة
وعند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فيستحب له ان يمسح الاعضا بالما فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة
وليشتغل بالذكر والدعا والتفكر فى الآء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم
من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه
من الله تعالى **الثالث** ان لا يبيت من لم وصيته الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض فى النوم يقال ان
من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ الى يوم القيمة يتزاوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول
بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاءة وموت الفجاءة تخفيف الا لمن
ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم **الرابع** ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين
لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يحقد على احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اوى الى فراشه لا ينوى ظلم احد ولا يحقد على احد غفر الله له ما اجترم **الخامس** ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة
بل يترك ذلك او يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون

شفعا
شفع

بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم
ممن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد **السادس** ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة
على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلوة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس
رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي الليل فاذا
غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال تكلفوا
من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلي
فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال صلى الله
عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن شاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك عبادة الله **السابع** ان ينام
مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه
واخمصه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه واذا نام
على الشق الايمن **الثامن** الدعا عند النوم فيقول باسمك رب اللهم وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر
الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب ان يقرا الايات المخصوصة مثل اية الكرسي
وآخر البقرة وغيرها ويقرا قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله تعالى لقوم يعقلون يقال ان
من قرأها عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرا من سورة الاعراف هذه الاية ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الايتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرا المعوذتين
وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وساير جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرا عشرا من
اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الاي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي كرم الله وجهه يقول ما ارى ان رجلا
مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الايتين من اخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة **التاسع** ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة
والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فسماها توفيا وكما ان
المتيقظ ينكشف له مشاهدات لا يناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه
ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والاخرة وقال لقمن لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم
كما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه من نومك فكذلك تبعث بعد موتك
وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عايشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم آخرها يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك
اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعا الى آخره كما ذكرناه في الدعوات
فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا
وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب **العاشر** الدعا
عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد
القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله
واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب
عليه فليجرد قلبه به فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وانما استحب هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر الله فاذا

بعلم

وذلك

فليجب

استيقظ

استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية التيقظ **الورد**
الرابع يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد
يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار
وبه اقسم الله تعالى فقال تعالى والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه وهدوه في هذا الوقت فلا يبقى عين الا نائمة
سوى الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلام الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل
فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط
الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوايجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال
نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن
ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ
يتوضا وضوء كما سبق بسننه وادابه وادعيته يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا للقبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والعظمة
والكبرياء والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد
اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات
والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق
والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت
وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت
المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن
الاخلاق الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسالك مسئلة البايس
المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين
واكرم المعطين وقالت عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلوته وقال اللهم رب جبرئيل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين
خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين عند
تسليمه بماية تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا
ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل ينقص بالتدريج الى ثلث عشر ركعة
وسئلت عايشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما
اسر وقال عليه الصلوة والسلام مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلى الله عليه وسلم صلوة المغرب اوترت
صلوة النهار فاوتروا صلوة الليل واكثر ما صح من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلث عشر ركعة ويقرا
في هذه الركعات من ورده من القران او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد الى قريب من السدس
الاخير من الليل **الورد الخامس** السدس الاخير من آخر الليل وهو وقت السحر قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون
قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد
امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا الدردا ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدردا ليقوم

ولبحمد عشرا صح

فقال له سلمان نم ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن
فقاما وصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امراة ابي الدردا
اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو
الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلوة فاذا طلع
الفجر انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله سبحانه فسبحه وادبار
النجوم ثم يقرا شهد الله انه لا اله الا هو الى اخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت له ملائكته
واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسئله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم
احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظني بها واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير
مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور
صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية
دخل الجنة وان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا
ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله
عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عايشة رضي الله عنها الى سايل عنبة واحدة فاخذها فنظر من كان
عندها بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وكانوا يكرهون رد السايل اذ كان من اخلاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك ما ساله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى
من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسد الانسان ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة
وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال
وركعتا الضحى ياتي على ذلك كله او يجمعن لك ذلك

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال

اعلم ان المريد
لحرث الاخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد او عالم واما متعلم واما والي واما محترف واما موحد
مستغرق بالواحد الصمد عن غيره **الاول** العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا يشغل له اصلا غيرها ولو ترك العبادة لجلس
بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان يختلف وظائفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلوة او في القراءة
او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده
ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلوة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده
القران فكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم او الليلة في التفكر
في اية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين
اسبوعا وكان مع ذلك يختم القران في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع
ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ **فان قلت** فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من
هذه الاوراد **فاعلم** ان قراءة القران في الصلوة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل
ان يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر
المريد الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك يرى الاصوب
لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على
الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك يختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة
مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابرهيم بن ادهم عن بعض الابدال

انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى
شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال
مهليهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله
العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل وياتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن
شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد في قلبه
له وقعا فليلازمه اينما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه **الثاني** العالم الذي ينتفع الناس
بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب
والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل
به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والعلم في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم
المواظبة على ذكر الله وتامل ما قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق
الاخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضايعا وانما نعني بالعلم
المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الاخرة ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك
طريق الاخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه
وقبول الخلق فالاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي
ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة
في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الاخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل
عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات
ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركه الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال
النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرا بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب
يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان ووردة الثاني في عمل القلب بالفكر
الى الضحوة ووردة الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة ووردة الرابع بعد العصر في عمل السمع
ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتبة بعد العصر ربما اضرت بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان
فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما بالليل فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رحمه الله
اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلثا للصلوة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الاخر
وهذا يتيسر في ليالي الشتاء فاما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد
العالم **الثالث** المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد
لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب اوقاته
كما ذكرناه وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه
يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها
بعد الصبح وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات ففي حديث ابي ذر ان حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة
وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله
وما رياض الجنة فقال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي
امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل يخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل

افضل

الزاهد العلم

جبال تهامه فاذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس
العلما فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلما وقال رجل للحسن اشكوا اليك قساوة
في قلبي فقال اذنه من مجالس الذكر وراى عمار الراهب مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر
فقال مرحبا يا مسكينه فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنا فقال هيه فقالت ما تسأل عمن
ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذاك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل من القلب عقدة من عقد
حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا
الرابع المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات
بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله في صناعته فيواظب
على التسبيحات والاذكار وقراءة القران فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون
ناطورا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة مع ذلك ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم
على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل من ساير الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فايدتها
انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه يقربه الى الله ثم يحصل به فائدة للغير وينجذب
اليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الاجر الخامس الوالي مثل الامام او القاضي او المتولي للنظر في امور المسلمين
فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل
بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي
وللنوم لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت مما ذكرناه انه يقدم على العبادات
البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة وتفضل
ساير العبادات بتعدي فايدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه السادس الموحد المستغرق بالواحد الصمد
الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا يرى الله
فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات وردا
واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لايح الا
كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهولاء جميع احوالهم يصلح ان يكون سببا لازديادهم
فلا يتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله
تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله تعالى اني
ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة
عليها دهرا طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف عباداته فذلك علامته
ان لا يهجس في قلبه وساوس ولا يخطر بقلبه معصية ولا يزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظايم الاشغال
وانى يرزق هذه الرتبة لكل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تعالى
قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان
ثلث وثلثون وثلثماية طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريقة منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثماية
وثلث عشر خلقا بعدد الانبيا كل مومن هو على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله فاذن الناس وان اختلفت طرقهم
في العبادة فكلهم على الصراط اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما يتفاوتون في درجة
القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لا بد ان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل في الاوراد

ذي

فيحق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن واحاد الاعمال يقل اثارها بل لا يحس
باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب
انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه الذي يريد ان يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة
في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يوثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر
فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت عايشة رضي الله عنها
عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
من عوده الله تعالى عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان هو السبب في صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين
شغله عنهما الوفد ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كي لا يقتدى
به روت ذلك عايشه وام سلمه فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان
المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس او السجود في وقت ظهور قرن الشيطان
او الاستراحة من العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل
حتى لا يقتدى به الباب الثاني في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها
وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل فضيلة احيا ما بين العشائين قال النبي
صلى الله عليه وسلم فيما روته عايشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر
ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة
قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة او قال اربعين سنة
وروت ام سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة
سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين
المغرب والعشا في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر
منهما ماية عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين
المغرب والعشا له قصر في الجنة فقال عمر اذن تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن انس
بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما
بين ذلك من امر الدنيا ويقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر ايات من اول البقرة وايتين من وسطها والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى اخر الاية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع
ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرا فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتين بعدها الى قوله تعالى اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون وثلث آيات من اخر البقرة من قوله لله ما في السموات الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف
من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيا اعمله في كل ليلة فقال اذا
صليت المغرب فقم الى صلاة العشا مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلاتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين
واقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا
وصل ركعتين واقرا فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات
وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من
السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والاخرين يا رحمن الدنيا والاخرة
ورحيمهما يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعا ثانيا ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة

بني له ح

على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن
سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعا واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر
مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعا وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فراى انه ادخل الجنة وراى
فيها الانبيا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احيا ما بين العشائين كثير حتى
قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بصلوة غير المكتوبة قال
ما بين المغرب والعشا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى بين المغرب الى العشا فذلك صلاة الاوابين وقال الاسود
ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسالته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليها
ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي
سليمن الداراني اصوم النهار واترك الاحيا ما بين المغرب والعشا احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما
فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر قال افطر وصل ما بينهما **فضيلة قيام الليل** اما من الايات فقوله تعالى
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا وقوله
تعالى تتجافى جنوبهم وقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل الاية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس **ومن الاخبار**
قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك
ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح
نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل
الاخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشق على امتي لفرضتهما عليهم وفي الخبر انه ذكر عنده رجل نام كل الليل
حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد سا
خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا اذره نام الليل كله حتى يصبح وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله فيها خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية يسال الله خيرا من الدنيا والاخرة
الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما
تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر
سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك
حيا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضا ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في
السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم
وان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه
وسلم ما من امرئ تكون له صلوة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب الله له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال
صلى الله عليه وسلم لابي ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيمة الا انبئك يا ابا ذر بما ينفعك
ذلك اليوم قال بلى بابي وامي انت يا رسول الله قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل
لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها
وروى انه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدات العيون قام يصلي ويقرا
القران ويقول يا رب النار اجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه

دا لعشا ما بين المغرب والعشا احب اليك

ناصية

يضطجع الا اعطاه اياه

واستمع فلما اصبح قال يا فلان هلا سالت الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث الا
يسيرا حتى نزل جبرئل وقال اخبر فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة ويروى ان جبرئل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وكان يداوم بعده على قيام
الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعود لصلاته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم
فيقعد يستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال علي بن الحسين عليهما السلام شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير
ليلة فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك من داري ام وجدت جوارا خيرا لك
من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت
الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك خوفا ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد
المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال سينهاه ما تقول وقال
صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت فان ابت نضح في وجهها الماء ورحم الله
امراة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ
من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة
بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او عن شيء منه بالليل فقراه بين
صلوة الفجر والظهر كتب له كانما قراه من الليل **ومن الاثار** يروى ان عمر رضي الله عنه كان يمر بالاية في ورده
بالليل فيسقط حتى يعاد منها اياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود اذا هدات العيون قام فيسمع له دوي
كدوي النحل حتى يصبح ويقال ان سفين الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام
تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما يتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي الى
الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال
وقيل له ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين
من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعدها على فراش ابدا وكان عبد العزيز بن
ابي رواد اذا جن عليه الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله لفي الجنة الين منك ولا يزال يصلي
الليل كله وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني طوله فافتتح القران فاصبح وما قضيت نهمتي وقال
الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم
انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة
ولكن اجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكما اني لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي لا تعص الله بالنهار
ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل
الدار الصلاة الصلاة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما يصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت
يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رحمه الله ليالي كثيرة
فلم يكن ينام من الليل الا يسيره وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان
ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا هذا يحيي الليل كله فقال اني اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي
الليل كله ويروى انه ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار كان يردد هذه الاية ليلته حتى الصبح ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار
فتوضا بعد العشا ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار

الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع
الفجر وقال مالك بن دينار وسهوت ليلة عن وردي فاذا انا في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت
لي اتحسن ان تقرأ فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها مكتوب شعر ءالهتك اللذايذ والاماني ٭ عن البيض الاوانس في الجنان
تعيش مخلد لا موت فيها ٭ وتلهو في الجنان مع الحسان ٭ تنبه من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران ٭ وقيل حج مسروق
فما بات الا ساجدا ويروى عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت في المنام امراة لا يشبه نساء اهل الدنيا
فقلت لها من انت فقالت حورا فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك فقالت
طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد
اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه
وزقى وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب وزقى وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب وزقى
وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الارض ثلثين سنة وكان
يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى في بيتي وسادة لانها تدعوا الى النوم وكانت له مسورة من ادم اذا
غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وقال بعضهم رايت رب العزة في النوم فسمعته يقول
وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي الغدا بوضوء العشا الاخرة اربعين سنة ويقال كان
مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء ويروى عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي
لا ينتظر نفسه بقيامه صياح الديك **بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل** اعلم ان قيام الليل عسير
على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور **الاول** ان لا يكثر الاكل فيكثر
الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام **الثاني** ان
لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم **الثالث** ان
لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على قلة النوم بالليل **الرابع** ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك
يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا با سعيد اني ابيت معافا واحب قيام الليل واعد
طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل
سوء فانهم ما يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته فقيل وما ذلك الذنب قال رايت
رجلا بكا فقلت في نفسي هذا مراي وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال
اشد فقلت وجع يولمك فقال اشد قلت فما ذلك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا
لذنب احدثته وهذا لان الخير يدعوا الى الخير والشر يدعوا الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال
ابو سليمن الداراني رحمه الله لا يفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد
وقال بعض العلما اذا اصبحت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد ليا كل اكلة فينقلب قلبه عما كان
عليه ولا يعود الى حالة الاول فالذنوب كلها يورث قساوة القلب ويمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام
وتوثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يوثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة
بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليا كل
اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام الليل سنة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر فكذا الفحشا ينهى عن الصلوة وساير
الخيرات وقال بعض السجانين بدينور بقيت سجانا نيفا وثلثين سنة اسئل من كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشا في جماعة

(كل ليلة)

فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة يمنع من تعاطي الفحشا والمنكر واما الميسرات الباطنة فاربعة **الاول**
سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام
وان قام فلا يتفكر في صلاته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنايم
الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره
كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت
له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لم ياتيه النوم وقيل لغلام اخر وهو يقوم
كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام ولذي النون المصري في ذلك
منع القران بوعده ووعيده ٭ مقل العيون بليلها ان تهجعا ٭ فهموا عن الملك الجليل كلامه ٭ فرقابهم ذلت اليه تخضعا ٭ وانشدوا
يا طويل الرقاد والغفلات ٭ كثرة النوم تورث الحسرات ٭ ان في القبر ان نزلت اليه لرقادا يطول بعد الممات ٭ ومهادا
ممهد لك فيه بذنوب عملت او حسنات ٭ امنت البيات من ملك الموت ٭ وكم نال امنا ببيات ٭ **الثالث** ان يعرف فضل
قيام الليل بسماع هذه الايات والاخبار والاثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق الى طلب المزيد
والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وكانت امراته تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل المسجد
ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح قال والله اني كنت اتفكر من
حورا من حور الجنة طول الليلة فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقا اليها **الرابع** وهو اشرف البواعث
الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه
وان تلك الخطرات من الله خطاب معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة
للحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة ان يشهد لها العقل والنقل فاما العقل فليعتبر حال المحب
لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول ليله
فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان
المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في امر اخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه
وان كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله فاعلم انه وان كان
يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له ايضا لذة في عرض احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله
كلما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذى الذي يخلوا بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به
في رجاء انعامه والرجاء في حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات
واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة عند وصال الحبيب حتى
قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال اخر انا والليل فرسا رهان
مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالين افرح
بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر
وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي في بيتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي
وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا
لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلما ليس في الدنيا وقت
يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليس
من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل

(ولا اشتغب برقط)

ولقاء الاخوان والصلوة فى الجماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملاها انوارا
فترد الفوايد على قلوبهم فيستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى
اوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الى واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم
وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال
يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى وكارها فاذا جنهم الليل
واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي
فبين صارخ وباكي وبين متاوه وشاكي بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري
فى قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم
والثالثة اقبل بوجهي عليهم افترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد
يتهجد من الليل قرب منه الجبار وقال كانوا يرون ما يجدون فى قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب
وهذا له سر وتحقيق سياتي الاشارة اليه فى كتاب المحبة وفى الاخبار عن الله سبحانه اي عبدي انا الله الذي اقتربت
لقلبك وبالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال
له استاذه يا بني ان لله نفحات فى الليل والنهار يصيب القلوب المتيقظة ويخطى القلوب النائمة فتعرض لتلك
النفحات منه فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجا لما فى قيام الليل
من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفى الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل
ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسئل الله خيرا الا اعطاه اياه وفى رواية اخرى يسئل الله خيرا من امر الدنيا والاخرة
الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر فى رمضان
وكساعة يوم الجمعة وهى ساعة النفحات المذكورة **بيان طرق القسمة لاجزاء الليل** اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار
له سبع مراتب **المرتبة الاولى** احياء كل الليل وهذا شان الاقويا الذين تجردوا لعبادة الله وتلذذوا بمناجاته
وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار فى وقت اشتغال الناس وقد كان
ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن
اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليمان وفضيل
بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وابو سليمان
الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان
ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكا البصريون وكهمس بن المنهال
وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر فى
جماعة يكثر عددهم **المرتبة الثانية** ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق
فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخر منه حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الافضل **المرتبة
الثالثة** ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس
بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه
وقالت عايشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا
منهن والا اضطجع فى مصلاه حتى ياتيه بلال فيوذنه للصلوة وقالت ايضا ما الفيته السحر الا نايما حتى قال بعض السلف
هذه الضجعة قبيل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب

والمناهن

وهذا لا يحصر عددهم عن المواظبين واحسن طريق فيه ان ينام ثلثي الليل ثم

القلوب وفيه استراحة يعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير
قيام داود عليه السلام **المرتبة الرابعة** ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون فى النصف الاخير وقيل السدس
الاخير منه **الخامسة** ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف المنازل للقمر ويوكل به من يراقبه
ويوقظه ثم ربما يضطرب ذلك فى ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم
عاد الى النوم فيكون له فى الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من
اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف
يقول هى اول نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث
المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك فى الليالي
ودل عليه قوله تعالى فى الموضعين من سورة المزمل بقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه
وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب
من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عايشة رضى الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم
اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى عن غير واحد انه قال راعيت صلوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى
مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة **السادسة**
وهى الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة مشتغلا
بالذكر والدعا فيكتب فى جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء فى الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق
القسمة فليتخير المريد لنفسه ما راه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احيا ما بين
العشائين والورد الذي بعد العشا ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نايما ويقوم بطرفي الليل وهذه هى
المرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فرتبت هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما فى الرتبة الخامسة والسابعة
لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجرى امرهما فى التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذا السابعة ليست دون ما ذكرناه فى
السادسة ولا الخامسة دون الرابعة فتفهم ذلك ان شاء الله **بيان الليالي والايام الفاضلة** اعلم ان الليالي
المخصوصة بمزيد الفضل التى يتاكد فيها استحباب الاحياء فى السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها
فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضايل الاوقات
لم ينجح فستة من هذه الليالي فى شهر رمضان خمسة هى اوتار العشر اذ فيها يطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان
هى السادسة فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير هى ليلة القدر
واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشورا واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه
وهى ليلة المعراج وفيها صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل فى هذه الليلة حسنات ماية سنة فمن صلى فيها
اثنتى عشرة ركعة يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القران يتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى اخرهن ثم يقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ماية مرة ويستغفر الله ماية مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ماية
مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صايما فان الله يستجيب له دعاءه كله الا ان يدعو فى معصية
واما ليلة النصف من شعبان ففيها ماية ركعة يقرا فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركون
ذلك كما اوردناه فى صلوة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال النبي صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي العيد لم يمت

قلبه يوم يموت القلوب واما الايام الفاضلة فهى تسعة عشر يومًا يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفه ويوم
عاشورا ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صام يوم سبعه وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرًا وهو اليوم الذى هبط فيه جبرئيل على محمد
صلى الله عليه وسلم بالرساله ويوم سبعة عشر من شهر رمضان وفيه كانت وقعة يوم بدر ويوم النصف من شعبان ويوم
الجمعه ويوما العيدين والايام المعلومات وهى تسع عشر من ذى الحجة والايام المعدودات وهى ايام التشريق وقد
روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة
وقال بعض العلماء من اخذ مهناه فى الايام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناه فى الاخرة واراد به العيدين والجمعه وعرفه
وعاشورا ومن فواضل الايام فى الاسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضايل الاشهر
والايام للصيام فى كتاب الصوم فلا حاجة الى اعادته والله اعلم آخر كتاب الاوراد وهو منتهى ربع العبادات من كتاب
احياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين وصحبه اجمعين وسلم تسليمًا
يتلوه فى المجلد الثانى كتاب اداب الاكل وهو الكتاب الاول من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى احسن تدبير الكائنات فخلق الارض والسموات وانزل الماء الفرات
من المعصرات فانشا الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات
والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلوة على محمد ذى المعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه صلوة تتوالى على ممر
الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان مقصود ذوى الالباب لقاء الله سبحانه وتعالى
فى دار البقاء ولا طريق للوصول الى لقاء الله عز وجل الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا
تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض
السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات
واعملوا صالحًا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغى ان يترك نفسه مهملا
سدى فيسترسل فى الاكل استرسال البهائم فى المرعى فان ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه فينبغى ان تظهر انوار
الدين عليه وانما انوار الدين ادابه وسننه التى تزم العبد بزمامها وتلجم المتقى بلجامها حتى تتزن بميزان الشرع
شهوة الطعام فى اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر مجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ النفس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل المومن ليوجر فى اللقمة يرفعها الى فيه والى فى امراته وانما ذلك اذا رفعها بالدين
وللدين مراعيا فيه ادابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظايف الدين فى الاكل فرايضها وسننها واداابها ومروّاتها
فى اربعة ابواب وفصل فى آخرها **الباب الاول** فيما لا بد للاكل من مراعاته وان انفرد بالاكل **الباب الثانى** فيما
يزيد من الاداب بسبب الاجتماع على الاكل **الباب الثالث** فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزايرين **الباب
الرابع** فيما يخص الدعوة والضيافة واسبابها **الفصل** فى مجامع اداب ومناهى طبية وشرعية **الباب الاول**
فيما لا بد للمنفرد منه وهى ثلثة اقسام **قسم** قبل الاكل **قسم** مع الاكل **قسم** بعد الفراغ منه **القسم الاول فى الاداب
التى تقدم على الاكل** وهى سبعة **الاول** ان يكون الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه طيبًا فى جهة مكسبه موافقا
للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة فى الدين على ما سياتى فى معنى الطيب المطلق
فى كتاب الحلال والحرام فقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهى عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام
وتعظيمًا لبركة الحلال فقال سبحانه وتعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا
انفسكم ان الله كان بكم رحيمًا فالاصل فى الطعام كونه طيبا وهو من الفرايض واصول الدين **الثانى** غسل اليدين قال
صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد
لا تخلو من لوث فى تعاطى الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين
عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجرى منه مجرى الطهارة من الصلوة **الثالث** ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة
على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى
بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن على الارض فعلى السفرة فانها تذكر السفر ويتذكر من السفر
سفر الاخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس رضى الله عنه ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة
قيل وعلى ما ذا كنتم تاكلون قال على السفرة وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموايد والمناخل والاشنان

وهيئاتها ٢

والشبع واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول ان الاكل على المائدة منهي عنه نهي تحريم او كراهية اذ لم يثبت فيه نهي وما يقال من انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض ليتيسر الاكل وامثال ذلك الى ما لا كراهة فيه والاربع الذي ذكرانها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم للتنظيف فكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشغولين بامور هي اهم من المبالغات في النظافة وقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فليدرك التفرقة بين هذه المبدعات
الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكيا انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكيا مكروه للمعدة ايضا ويكره الاكل قائما ومتكيا الا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله
الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله عز وجل ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل قال ابرهيم بن شيبان رحمه الله منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا لشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذا كسر الشره وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسياتي فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شره الطعام من ربع المهلكات
السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلوة وان حضر وقتها اذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الامام ولا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلوة فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلوة وكان التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا
السابع ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم لا ياكل وحده وقال عليه الصلوة والسلام خير الطعام ما كثرت عليه الايدي

القسم الثاني في آداب حالة الاكل

وهو ان يبدا باسم الله عز وجل في اوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع اللقمة الثانية بسم الله الرحمن الرحيم ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر به غيره وياكل باليمين ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل وان لا يذم ماكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب ماكولا فان اعجبه طعام اكله والا تركه وان ياكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل فيها يده قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال عليه الصلوة والسلام ليس هو نوعا واحدا وان لا ياكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل ياكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهى عنه صلى الله عليه وسلم وقال انهشوه نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يوكل به قال صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السما ولا يمسح يده بالخبز وقال عليه الصلوة والسلام اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها وليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله وياكل من التمر وترا سبعا او احدى عشر او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضعه من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ما له عجم او ثفل وان لا يترك ما استرذل له من الطعام فلا يطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فياكله وان لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة **فاما الشرب** فادابه ان ياخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال عليه الصلوة والسلام مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما ولا مضطجعا فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما وروى انه عليه الصلوة والسلام شرب قائما ولعله كان لعذر ويراعي اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشا فيه بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا واذا ادير الكوز او غيره على قوم فيدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وابو بكر رضي الله عنه عن يساره واعرابي عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن ويشرب في ثلثة انفاس يحمد الله في اواخرها ويسمي الله في اوائلها ويقول في اخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا في حالة الاكل والشرب دلت عليه الاخبار والاثار

القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الخبز والطعام قال صلى الله عليه وسلم من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول اسنانه بلسانه اما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت عليهم السلام وان يلعق القصعة يقال من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا نعمة الله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع اولا فان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفي بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت على حرام فالنار اولى به وليس من ياكل ويبكي كمن ياكل ويلهو وليقل اذا اكل لبنا اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه واذا اكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعا مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا يا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع وامنت من خوف فلك الحمد اويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمنا طيبا فاستعملنا صالحا واجعله عونا لنا

بلغ المقابلة

على طاعتك واعذنا فانا نعوذ بك ان نستعين به على معصيتك يا ذا الجلال والاكرام واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته
ان يجعل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلث من اليمنى اولا ثم يضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح
شفتيه ثم ينعم غسل اليد باصبعيه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك
بقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ويستغنى بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله الباب الثاني
فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل وهي سبعة الاول ان لا يبتدى بالطعام ومعه من يستحق التقديم
بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرابوا للاكل
واجتمعوا له الثاني ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سير العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين
في الاطعمة وغيرها الثالث ان يرفق برفيقه في القصعة ولا يقصد ان ياكل زيادة على ما ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن
موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا ياكل تمرتين في دفعة واحدة الا اذا فعلوا
ذلك واستاذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلث مرات فان ذلك الحاح
وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شئ ثلثا لم يراجع بعد ثلث وكان عليه الصلوة والسلام يكرر
الكلام ثلثا وليس من الادب الزيادة عليه واما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام اهون
من ان يحلف عليه الرابع ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء احسن الاكلين اكلا من لا يحوج صاحبه
الى تفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤنة القول ولا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل
يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند
الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة
وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به بل هو احسن وكان ابن المبارك رضي الله عنه يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل
اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى ويعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحيا وزيادة النشاط
في الانبساط وقال الامام جعفر بن محمد بن الامام محمد رضي الله عنهم احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي
من يحوجني الى تعاهده في الاكل فكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال الامام جعفر الصادق رضي الله عنه
ايضا يتبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله الخامس ان غسل اليد في الطشت لا باس به وله ان يتنخم فيه ان كان
اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطشت اليه غيره اكراما فليقبله اجتمع انس بن مالك
وثابت البناني على طعام فقدم انس الطشت اليه فامتنع ثابت فقال له انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا
تردها فانما يكرمك الله عز وجل وروي ان هرون الرشيد دعا ابا معوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطشت فلما
فرغ قال يا ابا معوية اتدري من صب على يديك الماء فقال لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم
واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا على غسل الايدي في الطشت في حالة واحدة
فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطشت
قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم وقيل المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى الامصار
لا يرفع طشت من بين يدي القوم الا مملوة ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود رضي الله عنه اجتمعوا على غسل اليد
في طشت واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان
يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى انه صب على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب
على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد ان يكون قائما وهنا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي
يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة به ليس فيه تكبر فان العادة به جارية بذلك ففي الطشت اذا سبعة اداب

الفم

بكرم الله

ان لا يبصق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنه وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه
وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش الماء على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب
المنزل بنفسه على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رحمة الله عليهما في اول نزوله عليه وقال لا يروعنك ما رايت مني فان
خدمة الضيف فرض السادس ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيوا بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه
اذا كانوا يحتشمون من الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتدا
وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة وان امتنع لسبب فليعتذر اليهم دفعا
للخجلة عنهم السابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم عليها راسه عند وضع اللقمة في
فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة
فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات الباب الثالث
في اداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين فضيلة تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كثير قال الامام
جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا يحسب عليكم من اعماركم
وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام
فان الله تعالى يستحيي ان يساله عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة
تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه
طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا
رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لنا كل فضل ذلك وفي
الخبر لا يحاسب الله العبد على ما ياكله مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده
وفي الخبر ثلثة لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه لان
اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم الرجل طيب زاده
في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا
يجتمعون على قراءة القران ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس هو
من الدنيا وفي الخبر يقول الله عز وجل للعبد يوم القيمة يا ابن ادم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين
فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه الصلوة والسلام اذا جاءكم الزائر فاكرموه
وقال عليه الصلوة والسلام ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام
وصلى بالليل والناس نيام وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من اطعم الطعام وقال عليه الصلوة والسلام من اطعم اخاه حتى
يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام واما ادابه فبعضها
في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل وقت الاكل
فان ذلك من المفاجاة وقد نهى عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني
منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص
واتفق ان صادفهم على الطعام ان لا ياكل ما لم يؤذن له فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم يقولون ذلك عن محبة لمساعدته
فليساعد وان كانوا يقولونه ذلك حياء منه فلا ينبغي له ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه
ليطعمه ولم يتربص به وقت اكله فلا باس به قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل ابي الهيثم بن التيهان
وابي ايوب الانصاري لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب

الاطعام وهي عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي رحمه الله له ثلثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولاخر
ثلثون يدور عليهم في الشهر ولاخر سبعة يدور عليهم في الجمعة وكان اخوانهم يعولونهم وبدلا عن كسبهم وكان قيام اولئك
بهم على قصد التبرك عبادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه
بغير اذنه اذ المراد من الاذن الرضا لا سيما في الاطعمة فامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير
راض فاكل طعامه مكروه ورب غايب لم ياذن واكل طعامه محبوب وقد قال عز وجل او صديقكم ودخل صلى الله عليه
وسلم دار بريرة واكل طعامها وهي غايبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه عليه الصلوة
والسلام بسرورها بذلك وكذلك يجوز ان يدخل الدار بغير استيذان اكتفاء بعلمه بالاذن فان لم يعلم فلا بد من الاستيذان
او لا ثم الدخول وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن رحمهم الله فياكلون ما يجدون بغير اذن وكان الحسن يدخل
ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن انه كان قايما ياكل من متاع بقال ياخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه
فستقة فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تاكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل علي اية الاكل فتلا الى قوله
عز وجل او صديقكم قال فمن الصديق يا ابا سعيد فقال من استروحت اليه النفس واطمان اليه القلب وجاء قوم الى منزل
سفين الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا بسفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق
السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه
في المنزل فدخل فنظر الى قدر طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل
فلم ير الطعام فقيل له قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه اخبره فقال يا اخي ان عادوا فعد فهذه اداب الدخول
والله اعلم **فاما اداب التقديم** فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر فان لم يحضر شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لاجل
ذلك فيشق على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي ان يقدمه دخل بعضهم
على زاهد وهو ياكل فقال لولا اني اخذته بدين لاطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك
ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو
احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه من الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني فاني لا اتكلف له انما اقرب
ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل
وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجي فقطع التكلف ودام
اجتماعنا بسببه ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويوذي قلوبهم روي ان رجلا دعا عليا رضي الله
عنه فقال اجيبك على ثلث شرايط لا تدخل من السوق شيا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم
يقدم من كل ما في البيت شيئا فلا يترك نوعا الا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا
خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت
فلا تبق ولا تذر وقال سلمان امرنا صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا
وفي حديث يونس النبي عليه الصلوة والسلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان
الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن انس بن مالك وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة
وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم اليه او الذي يحقر ما عنده ان يقدمه **الادب
الثاني** وهو للزاير ان لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين
فليتخير ايسرهما عليه كذلك السنة وفي الخبر انه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين الا اختار ايسرهما
وروى الاعمش عن ابي وايل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبزا لشعير وملحا جريشا فقال

صاحبی

صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته على سعتر فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي
قنعنا بما رزقنا فقال له سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا توهم تعذر ذلك على اخيه او كراهيته
له فان علم انه يسر باقتراحه ويتيسر له ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني
يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق فيها لونا اخر
بخطه فلما راى الزعفراني ذلك اللون انكر وقال ما امرت بهذا فعرضت الجارية عليه خط الشافعي ملحقا بالرقعة
فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه قال ابو بكر الكتاني دخلت على سري
السقطي فجاء بفتيت واخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له ايش هو ذا تفعل انا اشربه كله في مرة فضحك وقال هذا
افضل لك من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلثة اقسام مع الفقرا بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع ابناء الدنيا
بالادب **الادب الثالث** ان يشهي المزور اخاه الزاير ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما
يقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل قال صلى الله عليه وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر اخاه المومن
فقد سر الله عز وجل وقال عليه الصلوة والسلام فيما رواه جابر من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة
ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة واطعمه الله من ثلث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة
الخلد **الادب الرابع** ان لا يقول له هل اقدم لك طعاما بل ينبغي ان يقدم ان كان قال الثوري اذا زارك اخوك
فلا تقل له اتاكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان لا يريد ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهره
عليه او يصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك قال بعض
الصوفية اذا دخل عليكم الفقرا فقدموا اليهم طعاما واذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسئلة واذا دخل القرا فدلوهم
على المحراب **الباب الرابع في اداب الضيافة** ومضان الاداب فيها ستة الدعوة اولا ثم الاجابة ثم الحضور
ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها **فضيلة الضيافة** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا
للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله فقد ابغضه الله وقال عليه الصلوة والسلام
لا خير فيمن لا يضيف ومر عليه الصلوة والسلام برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له
فقال عليه الصلوة والسلام انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال
ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف
فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفته الا برهن فاخبرته فقال عليه الصلوة والسلام والله
اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني لاديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده وكان ابرهيم خليل الله عز وجل
عليه الصلوة والسلام اذا اراد ان ياكل خرج ميلا وميلين يلتمس من يتغدى معه وكان عليه الصلوة والسلام يكنى ابا
الضيفان ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا ينقضي ليلة الا وياكل عنده جماعة من بين ثلثة
الى عشرة والى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الان ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان
فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال عليه الصلوة والسلام في الكفارات والدرجات واطعام الطعام والصلوة بالليل
والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة
والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر ادابها **اما الدعوة** فينبغي للداعي ان يقصد بدعوته
الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم اكل طعامكم الابرار في دعاء يدعو لواحد وقال لا تاكل الا طعام تقي
ولا ياكل طعامك الا تقي ويقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة
يدعى اليه الاغنياء دون الفقراء وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك ينبغي ان يراعي الترتيب

اذ كان نازلا عليه ببغداد
وكان الزعفراني صح

فى اصدقائه ومعارفه فان تخصيص البعض ايحاش للباقين وينبغى ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة
قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المومنين وينبغى
ان لا يدعوا من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغى ان لا يدعوا الا من يحب
اجابته قال سفين الثوري من دعى احدا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان اجاب المدعو فعليه خطيئتان
لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ذلك ما كان ياكله واطعام التقى اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق تقوية له على
الفسق قال خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل يخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة
من يبيع منك الخيط والابرة اما انت من الظلمة نفسهم **واما الاجابة** فهى سنة موكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع
قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدى الى ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب **الاول** ان لا يميز الغنى
بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل
وقال آخر اذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى ومن المتكبرين من يجيب الاغنيا دون الفقرا وهو خلاف
السنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين
الذين يسالون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الارض فى الرمل وهم ياكلون وكان على بغلة فسلم عليهم فقالوا
له هلم الى الغدا يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم فركب
وقال قد اجبتكم فاجيبونى قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم واما قول القايل
ان من وضعت يدى فى قصعته فقد ذلت له رقبتى فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان
الداعى لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى الداعى ذلك يدا له عند المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يحضر لعلمه بان الداعى لم يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والاخرة وهذا يختلف باختلاف
الاحوال فمن ظن به انه تستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل
ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده
ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه وقال سرى السقطى آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة
فاذا علم المدعو انه لا منة فى ذلك فينبغى ان لا يرد قال ابو تراب النخشبى عرض على طعام فامتنعت فبليت بالجوع اربعة
عشر يوما فعلمت انه عقوبته وقيل لمعروف الكرخى كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلونى **الثانى**
انه لا ينبغى ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعى وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها فى العادة
لا ينبغى ان يمتنع منها لاجل ذلك يقال فى التورية او بعض الكتب سر ميلا وعد مريضا وسر ميلين لتشيع جنازة
وسر ثلثة اميال لتجيب دعوة وسر اربعة اميال لتزور اخا فى الله عز وجل وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان
فيهما قضاء حق الحى فهو اولى من الميت وقال عليه الصلوة والسلام لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت وهو موضع على اميال
من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان لما بلغه وقصر عنده فى سفره **الثالث** ان لا يمتنع لكونه صايما
بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب فى افطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب فى الصوم
وافضل وذلك فى صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه به فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل
وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول انى صايم وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما
من افضل الحسنات اكرام الجلسآء فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق وثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر
فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب فقد قيل الكحل والدهن احد القرآئين **الرابع** ان يمتنع من الاجابة ان
كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام فى الموضع منكر من فرش ديباج او انآء

فحضروا صح

فضة او تصوير حيوان على سقف او حايط او سماع شئ من المزامير والملاهى او التشاغل بشئ من اللهو والهزو واللعب
فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذا اذا كان الداعى ظالما او مبتدعا او فاسقا
او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاه والفخر والريا والسمعة والنفاق فلا يجاب **الخامس** ان لا يقصد بالاجابة قضا
شهوة البطن فيكون عاملا فى ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوى الاقتدآء
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كونه لو دعيت الى كراع لاجبت وينوى الحذر من معصية الله تعالى لقوله عليه الصلوة
والسلام من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله عز وجل وينوى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله عليه الصلوة والسلام من
سر مؤمنا فقد سر الله سبحانه وينوى مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين فى الله عز وجل اذ شرط رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى التزاور والتباذل لله تعالى وقد حصل البذل من احد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوى
صيانة نفسه عن ان يساء به الظن فى امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق او استحقار اخ مسلم
او ما يجرى مجراه فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات احادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب
ان يكون لى فى كل عمل نية حتى فى الطعام والشراب وفى مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته
الى ما هاجر اليه والنية انما تؤثر فى المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على
شرب الخمر او حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز ان يقال فى هذه الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة الله تعالى
المباهات وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلحق بوجوه الخيرات
بالنيات فتؤثر النية فى هذين القسمين لا فى القسم الثالث **واما الحضور** فادابه ان يدخل الدار ولا يتصدر فياخذ
احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجيهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان
على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب الدار بموضع لم يخالفه البتة فانه يكون قد رتب فى نفسه موضع كل واحد
فمخالفته تشويش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان من التواضع
لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغى ان يجلس فى مقابلة باب حجرة النسا وسترهم ولا يكثر النظر الى الموضع الذى
يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيف للمبيت
فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت المآء وموضع الوضو كذلك فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما
وغسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعوا الناس الى كرمه فحكمه
ان يتقدم بالغسل وفى آخر الطعام يتاخر بالغسل لينتظر ان يدخل من ياكل معه واذا دخل فراى منكرا غيره ان قدر والا
انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اوانى الذهب والفضة والتصوير على الحيطان وسماع الملاهى والمزامير
وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد بن حنبل رحمه الله اذا راى مكحلة راسها مفضض
فينبغى ان يخرج ولم ياذن فى الجلوس الا فى ضبة وقال رحمه الله اذا راى كلة ينبغى ان يخرج فان ذلك تكلف بلا فائدة ولا
يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا راى على حيطان البيت مستورة بالديباج كما يستر الكعبة وقال اذا
اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام وراى فيه صورة فينبغى ان يحكها وكل ما ذكره صحيح وانما النظر فى الكلة وتزيين
الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهى الى التحريم اذ الحرير محرم على الرجال وقال صلى الله عليه وسلم هذان حرامان على ذكور
امتى حل لاناثها وما على الحيطان ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا الحرم تزيين الكعبة ايضا بل الاولى اباحته بموجب قوله
عز وجل قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده لا سيما فى وقت الزينة اذا لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال
ينتفعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجل الانتفاع بالنظر الى الديباج مهما لبسه الجوارى والنسا فالحيطان فى معنى النسآء

ومن لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله وينوى اكرام اخيه المومن اتباعا لقوله عليه الصلوة والسلام صح

بالتحية

فان لم يقدر خرج صح

اذ ليس موصوفا بالذكورية والله اعلم **واما احضار الطعام** فله اداب خمس **الاول** تعجيل الطعام فلذلك من اكرام الضيف
وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومهما احضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان
وتاخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين فى التعجيل اولى من حق اولئك فى التاخير الا ان يكون المتاخر فقيرا او ينكسر
قلبه بذلك فلا باس بالتاخير واحد المعنيين فى قوله تعالى هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين انهم اكرموا
بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله عز وجل فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان
الذهاب بسرعة وقيل فى خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمى عجلا بعجل لانه عجله ولم يلبث وقال حاتم الاصم العجلة
من الشيطان الا فى خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء
الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل فى الوليمة وقيل الوليمة فى اول يوم سنة وفى الثانى معروف وفى الثالث ريا
الثانى ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق فى الطب فانها اسرع استحالة فينبغى ان
يقع فى اسفل المعدة وفى القرآن ايضا تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ثم قال ولحم طير
مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد وقد قال صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على ساير الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى فى ضيف
ابرهيم اذا احضر العجل الحنيذ اى المحنوذ وهو الذى اجيد نضجه وهو احد معنى الاكرام اعلى تقديم اللحم وقد قال تعالى
فى وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادم ولا
يقوم غيره مقامه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات
ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات قال ابو سليمن الدارانى اكل الطيبات يورث الرضاء عن الله عز وجل ويتم هذه
الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المامون شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله
عز وجل وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك واطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة
وانفق بعضهم دراهم فى ضيافة فقال بعض الحكماء لم يكن يحتاج الى هذا ان كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك
حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على الموائد خير من زيادة لونين
ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فذلك مستحب ايضا لما فيه من التزيين بالخضرة وفى الخبر ان
المائدة التى انزلت على بنى اسرائيل كان عليها من كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها
ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا جمع حسن للموافقة **الثالث** ان يقدم من الالوان الطفها
حتى يستوفى منها من يريد فلا يكثر الاكل بعده وعادة المترفهين تقديم الغليظ ليستانف حركة الشهوة بمصادفة
اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة فى استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان
دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة لياكل كل واحد مما يشتهى وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا
منه فلا ينتظروا اطيب منه ويحكى عن بعض ارباب المروات انه كان يكتب نسخة بما يحضر من الالوان ويعرض على الضيفان
وقال بعض الشيوخ قدم الى بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا اخيرا فقال وكذا عندنا بالشام
ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال آخر كنا جماعة فى ضيافة فقدم الينا الوان من الروس المشوية طبيخا وقديرا فكنا
لا ناكل ننتظر بعدها لونا او حملا فجاءنا بالطشت ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ فينا وكان
مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق روسا بلا ابدان قال فبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور فلهذا يستحب ان يحضر الجميع
او يخبر بما عنده **الرابع** ان لا يبادر الى رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدى عنها فلعل فيهم من يكون
بقية ذلك اللون اشهى عنده مما يحضره او بقى فيه حاجة الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو يدلك من التمكن على المائدة

ولكن لم يخلق

الذى يقال انه خير من لونين فيحتمل ان يكون المراد به قطع ترك الاستعجال ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكى عن السيورى
رحمه الله وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من ابناء الدنيا على المائدة وقدم اليه حملا وكان فى صاحب المائدة بخل فلما
راى القوم قد مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام السيورى
يعدو خلف الحمل فقيل له الى اين فقال اكل مع الصبيان فاستحيى الرجل وامر برد الحمل الى القوم ومن هذا امر ان لا يرفع
صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغى ان يكون آخرهم اكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان
ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثا على ركبته ومد يده الى الطعام واكل وقال بسم الله ساعدونى بارك الله فيكم
وعليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه **الخامس** ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان القليل عن الكفاية نقص
فى المروة والزيادة عليه تصنع ومرايات لا سيما اذا كانت لا تسمح نفسه بان ياكلوا الكل الا ان يقدم الكثير وهو طيب
النفس لو اخذوا الجميع او نوى ان يتبرك بفضل طعامهم اذ فى الحديث انه لا يحاسب عليه احضر ابرهيم ابن ادهم رحمه الله
طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفين الثورى يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابرهيم ليس فى الطعام
سرف فان لم يكن له هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضى الله عنه نهينا ان نجيب دعوة من يباهى بطعامه
وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة وهذا من ذلك كان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة
طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع وينبغى ان يعزل اولا نصيب اهل البيت
حتى لا يكون اعينهم طامحة الى رجوع شئ منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وينطلق فى الضيفان السنتهم ويكون
قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة فى حقهم وما بقى من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذى يسميه
الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم بذلك بقرينة حاله وانه يفرح به
فان كان يظن كراهيته لذلك فلا ينبغى ان يوخذ واذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغى
ان ياخذ الواحد الا ما يخصه او ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء **واما الانصراف** فله اداب ثلثة **الاول** ان يخرج
مع الضيف الى باب الدار فهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه الصلوة والسلام من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال عليه الصلوة والسلام من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار قال ابو قتادة قدم وفد
النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا
لاصحابى مكرمين وانا احب ان اكافيهم ومن تمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة
قيل للاوزاعى ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد ابن ابى زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابى
ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا طيبا **الثانى** ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى فى
حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم
ودعى بعض السلف برسول فلم يصادف الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا فخرج اليه صاحب المنزل وقال
قد خرج القوم قال هل بقى بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم يبق قال فالقدور امسحها قال قد غسلناها فانصرف
يحمد الله تعالى فقيل له فى ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق
وحكى ان الاستاد ابا القسم الجنيد رحمه الله عليه دعاه صبى الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب فى المرات الاربع وهو
يرجع فى كل مرة تطييبا لقلب الصبى فى الحضور ولقلب الاب فى الانصراف وهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله
تعالى فاطمانت بالتوحيد وصار صاحبها يشاهد فى كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين ربه فلا تنكسر قلبه بما يجرى
من العباد من الاذلال كما لا يستبشر بما يجرى منهم من الاكرام بل يرون الكل من الله الواحد القهار ولذلك قال بعضهم انى لا
اجيب الدعوة الا لانى اتذكر بها طعام الجنة اى هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه **الثالث** ان لا يخرج الا

برضا صاحب المنزل واذنه فيراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى
اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلثة ايام فما زاد فصدقة نعم لو الح رب المنزل عليه عن خلوص قلب
فله المقام اذ ذاك ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فراش للرجل
وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع للشيطان **فصل** يجمع ادابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة **الاول** حكي
عن ابرهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسند هذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده غريب وقد نقل
على رضي الله عنه ضده وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب
ونحن قيام وراى بعض المشايخ من الصوفية المعروفين ياكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق فاكل
في البيت فقيل له تدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع وترك تكلف
من بعض الناس فهو حسن وخرق مروة من بعضهم فهو مكروه ويختلف ذلك بعادات البلاد واحوال الاشخاص
فمن لا يليق ذلك بسائر احواله حمل ذلك على قلة المروة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع احواله
واعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا **الثاني** قال على رضي الله عنه من ابتدا غداءه بالملح اذهب الله عزوجل
عنه سبعين نوعا من البلا ومن اكل في كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين
زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والشفارجات تعظم البطن وترخي الاليتين
ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن يستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسواك
وقراءة القران يذهبان البلغم والسمك يذيب الجسد ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء
وليخفف الرداء وهو الدين **الثالث** قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة اخذ بها ولا اعدوها قال له لا تنكحن من النساء
الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة
الا نضيجها ولا تاكل لقمة طعاما الا اجدت مضغها وكل ما احببت من الطعام ولا تشربن عليه الماء فاذا شربت فلا
تاكل عليه شيئا ولا تحبس البول والغائط واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة
وفي معناه قول العرب تغد وتمدد وتعش وتمش يعني تمدد كما قال الله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط ويقال
ان حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا اسد مجراه **الرابع** في الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء
مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعني الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك
حتى تاخذ حلمك اي تتغدا اذ به يبقى الحلم ويزيل الطيش وهو ايضا اقل لشهوة ما يرى في السوق وقال حكيم لسمين ارى
عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان **الخامس**
الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي
وهذا احسن في حال الصحة وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا ياكل التمر واحدى عينيه رمدة فقال له اتاكل التمر
وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الاخر يعني جانبه السليم فضحك رسول الله عليه الصلوة والسلام **السادس**
يستحب ان يحمل طعام الى اهل الميت ولما جاء نعي جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه قال عليه الصلوة والسلام ان آل جعفر
شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيئ
للنوايح والمعينات عليه بالبكا والجزع فلا ينبغي ان يوكل معهم **السابع** لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم فان اكره فليقلل
الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان وقال كنت مكرها فقال رايتك
تقصد الاطيب وتكبر اللقم وما كنت مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل واخلي التزكية
او ازكي ولا اكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن وكانت له اخت

في الله عزوجل فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا
ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي
رحمهما الله زائرا فاخرج بشر درهما ودفعه الى احمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت
خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت
تمرا جيدا وقدمته اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر تدرون لم قلت اشتر طعاما جيدا طيبا فقال لا قال لان الطعام الطيب
يستخرج خالص الشكر ثم قال بشر تدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب المنزل كل تدرون لم حمل ما
بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل وحكى ابو علي الروذباري عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل
قد اسرفت فقال ادخل فكل ما اوقدته لغير الله تعالى فاطفه فدخل الرجل ولم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع واشترى
ابو علي الروذباري رحمه الله احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة
منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **التاسع** قال الامام العلامة الشافعي رضي الله عنه
الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلث اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره وقال
رضي الله عنه اربع يقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع يوهن البدن كثرة
الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم
والنظر الى الخضرة وتنظيف الملبس واربع يوهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المراة
والقعود في استدبار القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير
والنوم على اربعة انحاء النوم على القفا وهو نوم الانبيا عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين
وهو نوم العلما والصلحا والعبادوالزهاد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين
واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة العلما والصالحين واربع هن من العبادة ان لا تخطر خطوة
الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القران وقال ايضا رضي الله عنه عجبت لمن يدخل الحمام على الريق
ثم يوخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال رضي الله عنه لم ار شيئا انفع
في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب والله عز سلطانه اعلم اخر كتاب الاكل والحمد لله حق حمده وصلوته على رسوله سيدنا
محمد المصطفى وعلى آله الطاهرين وذرياته الطيبة واصحابه اجمعين

كتاب اداب النكاح وهو كتاب الثاني من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام
في عجايب صنعته مجرى ولا يرجع العقول اذا انفكرت فكرا عن اوايل بدايعها الا وهي والهة حيرى ولا تزال الطائف نعمه
على العالمين ابدا تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدايع الطافه ان خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط
على الخلق شهوة واضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقتهارا وقسرا ثم عظم امر الانسان وجعل لها قدرا فحرم
بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وامرا امرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا
وامرا فسبحان من كتب الموت على العباد واذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام وانشا منها خلقا
وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا
ونشرا والصلوة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلوة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا
وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب
للتكثير الذي به مباهات سيد المرسلين لساير النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده
وآرابه ويفصل فصوله وابوابه والقدر المهم من احكامه ينكشف في ثلثة ابواب **الاول** في الترغيب فيه وعنه **والثاني**

فى الاداب المرغبة فى العقد والعاقدين والثالث فى اداب المعيشة بعد العقد الى الفراق بالموت او الطلاق

الباب الاول فى الترغيب فى النكاح وعنه

اعلم ان العلماء قد اختلفوا فى فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلى لعبادة الله عز وجل واعترف اخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلى للعبادة مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعوا الى الوقاع وقال آخرون الافضل تركه فى زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل ذلم يكن الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان تقدم اولا ما ورد من الايات والاخبار والاثار فى الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوايد النكاح وغوايله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه فى حق كل من سلم من غوايله او لم يسلم والله تعالى اعلم

الترغيب فى النكاح اما من الآيات فقوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال سبحانه وتعالى ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهى عنه وقال تعالى فى وصف الرسل عليهم السلام ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك فى معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح تعالى اولياءه بسوال ذلك فى الدعا فى قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاية ويقال ان الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الانبيا الا المتاهلين وقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع وانما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل فعله لغض البصر واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى فمن احب فطرتى فليستن بسنتى وقال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتى فليس منى وان من سنتى النكاح فمن احبنى فليستن بسنتى وقال صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا طول له فليصم فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد فى العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى يزول فحليته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال عليه الصلوة والسلام من نكح لله عز وجل وانكح لله تعالى استحق ولاية الله سبحانه وقال عليه الصلوة والسلام من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله تعالى فى الشطر الثانى وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخافة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء فى الاغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزوج احدهما وقال عليه الصلوة والسلام كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلث فذكر فيه وولد صالح يدعو له ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح واما الاثار فقد قال عمر رضى الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع فى امرين مذمومين وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزوج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه اذا ادركوا عكرمه وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحكم فان العبد اذا زنا نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج حتى لا القى الله عز وجل عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى فانى اكره ان القى الله تعالى عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا فى النكاح خيرا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة وكان عمر رضى الله عنه يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة او طرقه فقال له عليه الصلوة والسلام الا تتزوج فقال يا رسول الله انى فقير لا شئ لى وانقطع عن خدمتك فسكت ثم اعاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابى فى نفسه وقال والله لرسول الله اعلم بما يصلح لى فى دنياى وآخرتى وما يقربنى الى الله تعالى منى ولئن قال لى الثالثة لافعلن فقال صلى الله عليه وسلم له الثالثة الا تتزوج قال

فقلت يا رسول الله زوجنى قال اذهب الى بنى فلان فقل لهم ان رسول الله يامركم ان تزوجونى فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شئ لى فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهب به الى القوم فانكحوه فقال صلى الله عليه وسلم أولم وجمع له من الاصحاب شيئا للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل فى نفس النكاح ويحتمل انه توسم عليه الصلوة والسلام فيه الحاجة الى النكاح وحكى ان بعض العباد فى الامم السالفة فاق اهل زمانه فى العبادة فذكر لنبى زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشئ من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبى الذى فى زمانه عن ذلك فقال انت تارك للتزوج قال لست احرمه ولكنى فقير وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتى فزوجه النبى ابنته وقال بشر بن الحارث فضل على احمد بن حنبل بثلث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسى فقط ولاتساعه فى النكاح وضيقى عنه ولانه نصب اماما للعامة وكان يقال ان احمد رضى الله عنه تزوج فى اليوم الثانى من وفات ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا واما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال لهما يمنعنى من التزوج الا قوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فذكر ذلك لاحمد فقال واين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روى انه راى فى المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منازل فى الجنة واشرفت بى على مقامات الانبيا ولم ابلغ منازل المتاهلين وفى رواية اخرى قال لى ماكنت احب ان تلقانى عزبا قال فقلنا له ما فعل بابى نصر التمار فقال رفع فوقى بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفين بن عيينه رحمه الله كثرة النسا ليست من الدنيا لان عليا رضى الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبعة عشر سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبيا عليهم السلام وقال رجل لابرهيم بن ادهم طوبى لك قد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه فقال فما الذى يمنعك من النكاح قال مالى حاجة فى امراة وما اريد ان اغر امراة بنفسى وقد قيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل افضل من سبعين ركعة من عزب واما ماجاء فى الترغيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا اهل له ولا ولد وقال عليه الصلوة والسلام ياتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده ويعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك وقد قيل فى الخبر قلة العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين وسئل ابو سليمن الدارانى عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ايضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل وقال مرة ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال قال ابن ابى الحوارى تناظر جماعة فى هذا الحديث فاستقر رايهم على انه ليس معناه الا يكونا له بل معناه ان يكون له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابى سليمن الدارانى ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط واما الترغيب فى النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر فوايد النكاح وافاته

فوايد النكاح

وهى خمس الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن

الفائدة الاولى الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود بقاء النسل وان لا يخلو العالم من جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل فى اخراج البذر وبالانثى فى التمكين من الحرث تلطفا بهما فى السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير فى بث الحب الذى يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجايب الصنعة وتحقيقها

لما سبقت به المشية وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفى التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هى الاصل فى الترغيب فيها
عند الامن غوايل الشهوة حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله عز وجل عزبًا **الاول** موافقة محبة الله تعالى بالسعى فى تحصيل الولد
لبقاء جنس الانسان **الثاني** طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير من به مباهاته **الثالث** طلب التبرك بدعاء
الولد الصالح بعده **الرابع** طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله **اما الوجه الاول** فهو ادق الوجوه وابعدها
فى افهام الجماهير وهو احقها واقواها عند ذوى البصاير النافذة فى عجايب صنع الله تعالى ومجارى حكمته وبيانه
ان السيد اذا سلم الى عبده البذر والات الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة
كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله عز سلطانه خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة
فى الفقار وهيا لها فى الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد
من الذكر والانثى فهذه الافعال والالات تشهد بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف
ما اعدت له هذا ان لو لم يصرح به الخالق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا
تكثروا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله
من الالة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضا بخط الهى
ليس برقم حروف واصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك حقايق دقايق الحكمة الازلية ولذلك عظم
الشرع الامر فى القتل للاولاد وفى الواد لانه منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوادين فالناكح ساع فى اتمام
ما احب الله تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله عز وجل لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث
عليه وعبر عنه لعباده بعبارة القرض فقال عز وجل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فان قلت قولك ان بقاء النفس
والنسل يوهم ان فناها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحيوة بالاضافة الى ارادة الله تعالى ومعلوم ان الكل
بمشية الله وان الله تعالى غنى عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم عن فنائهم فاعلم ان هذه كلمة
حق اريد بها باطل وان كل ما ذكرناه لا ينافى اضافة الكائنات كلها الى ارادة الله عز وجل خيرها وشرها نفعها
وضرها ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصى
مكروهة وهى مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهى مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول
بانه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله عز وجل ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يكون الفنا بالاضافة الى محبة الله
عز وجل وكراهته كالبقاء وهو تعالى يقول ما ترددت فى شئ كترددى فى قبض روح عبدي المومن هو يكره الموت وانا
اكره مساءته ولا بد له من الموت فقوله تعالى لا بد له من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور فى قوله تعالى
نحن قدرنا بينكم الموت وفى قوله تعالى هو الذى خلق الموت والحيوة ولا مناقضة فى قوله تعالى قدرنا بينكم الموت وفى قوله
وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق فيه يستدعى تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها فان السابق
الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد
ما بين ذاته وذواتهم فكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله عز وجل مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر
وعرض الجوهر والعرض فكذا صفات الله سبحانه لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقايق داخلة فى علم المكاشفة
وورائها سر القدر الذى منع من افشائه فلنقبض عن ذكره العنان ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام
على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله تعالى وجوده من ادم عليه الصلوة والسلام عقبا بعد عقب
الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من وجود ادم على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان
الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ رضى الله عنه فى الطاعون زوجونى لا القى الله تعالى عزبا فان قلت

وهيا له ارضا مهيئة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضا عليها فان تكاسل وعطل الة الحرث صح

محبوب صح

فلكان

فما كان معاذ يتوقع ولدا فى ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة
وذلك امر لا يدخل فى الاختيار انما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع فى كل حال فمن عقد
فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقى خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة خفية
لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا فى حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع
امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع فى الحج الان وقد كان
المراد منهما اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتدا والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة فى حق من بعدهم ويضعف هذا
الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب فى حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المراة
وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك
النكاح مع فتور الشهوة **الوجه الثانى** السعى فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه وتكثير ما به مباهاته اذ قد
صرح عليه الصلوة والسلام بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر رضى الله عنه انه كان ينكح كثيرا
ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار فى مذمة المراة العقيم اذ قال عليه الصلوة والسلام لحصير فى ناحية البيت
خير من امراة لا تلد وقال عليه الصلوة والسلام خير نسائكم الولود الودود وقال عليه الصلوة والسلام سوداء ولود خير
من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل فى اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غايلة الشهوة لان الحسناء
اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد فى الخبر ان جميع
عمل ابن ادم ينقطع الا ثلثا الخبر وفى الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور وقول القايل ان الولد ربما لم يكن
صالحا لا يوثر فانه مومن والصلاح غالب على اولاد ذوى الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة
دعاء المومن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مواخذ بسياته فانه قال عز وجل
لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شئ اي ما نقصناهم من اعمالهم
شيئا وجعلنا اولادهم مزيدا فى حسناتهم **الوجه الرابع** ان يموت الولد قبله فيكون شفيعا له يوم القيمة فقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفى بعض الاخبار ياخذ بثوبه كما انا الان اخذ
بثوبك وقال ايضا عليه الصلوة والسلام انه قال ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل
محبنطيا اى ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معى فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفى خبر اخر
ان الاطفال يجمعون فى موقف القيمة عند عرض الخلايق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون
على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فاين اباؤنا وامهاتنا فيقول الخزنة
ان اباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيات فهم يحاسبون عليها ويطالبون بها قال فيتضاغون ويضجون
على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وتعالى وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا
لا ندخل الجنة الا مع اباءنا وامهاتنا فيقول الله عز وجل تخللوا الجمع فخذوا بايدى اباءهم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه
وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلثة لم يبلغوا الحنث ادخله
الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكى ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج
فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجونى زوجونى فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله تعالى
يرزقنى ولدا ويقبضه فيكون لى مقدمة فى الاخرة ثم قال رايت فى المنام كان القيمة قد قامت وكانى فى جملة الخلايق
فى الموقف وبى من العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذا الخلايق فى شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذا ولدان يتخللون
الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون

اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقنى فقد اجهدنى العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقى آباؤنا فقلت
ومن انتم قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعانى المذكوره فى قوله تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم
تقديم الاطفال الى الاخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فوايد النكاح وفضله لاجل كونه سببا للولد فى الله
اعلم **الفايدة الثانية** التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوايل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه
الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام من نكح فقد احرز نصف دينه فليتق الله فى الشطر الاخر واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم عليكم بالباة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الاثار والاخبار
اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكل متقاض لتحصيل الولد فالنكاح كان كافى
لشغله ودافع لجعله وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة فى تحصيل رضاه كمن يجيبه لطلب الخلاص
عن غايلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود اللذه والولد لازم منها
كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا فى ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة
عليه ولعمرى فى الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما فى قضائها من اللذة التى لا يوازيها لذة لو دامت
فهى منبهة على اللذات المدعوة فى الجنان اذ الترغيب فى لذة لم يجد لها ذواق لا ينفع فلو رغب العنين فى لذة
الجماع او الصبى فى لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب واحدى فوايد لذات الدنيا الرغبة فى دوامها فى الجنة
ليكون ذلك باعثا على عبادة الله تعالى فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة
واحدة حيوتان حيوة ظاهرة وحيوة باطنة فالحيوة الظاهرة حيوة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحيوة
الباطنة هى الحيوة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة فى الكاملة بلذة الدوام فتستحث
على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من
ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات والارضين الا وتحتها من لطايف الحكم
وعجايبها ما تحار العقول فيها ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا
وغرورها واغوائها فالنكاح بسبب دفع غايلة الشهوة مهم فى الدين لكل من لا يوتى من عجز وعنة وهو غالب الخلق
فان الشهوة ان غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار قوله تعالى الا تفعلوه تكن
فتنة فى الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر
ويحفظ الفرج واما حفظ القلب عن الوساوس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا يزال النفس تجاذبه وتحدثه
بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه فى اكثر الاوقات وقد يعترض له ذلك فى اثناء الصلوة حتى
يجرى على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيى منه والله عز وجل مطلع على قلبه والقلب
فى حق الله تعالى كاللسان فى حق الخلق وراس الامر للمريد فى سلوك طريق الاخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع
مادة الوسوسة فى حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه ضعف فى البدن وفساد فى المزاج ولذلك قال ابن عباس
لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة فى معنى قوله تعالى ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء وقال فياض
بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفى نوادر التفسير عن ابن عباس ومن
شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهى مع انها صالحة لان
تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهى اقوى آلة الشيطان على بنى آدم واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما رايت
ناقصات عقل ودين اغلب لذوى الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه

احصن

اللهم انى اعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومن شر منيى وقال عليه الصلوة والسلام اسالك ان تطهر قلبى
وتحفظ فرجى فما يستعيذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر
النكاح حتى لا يخلو من اثنين وثلث فانكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله تعالى جلسة
او وقف بين يديه موقفا فى معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل
حالكم فى وقت واحد لما تزوجت لكن ما خطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى الا نفذته لاستريح منه وارجع الى شغلى ومنذ
اربعين سنة ما خطر على قلبى معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين ما الذى تنكر منهم قال
ياكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينك
وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق
قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امراة فتاقت اليها نفسه
ان يجامع اهله لان ذلك يدفع ذلك الوسواس عن النفس روى جابر انه عليه الصلوة والسلام راى امراة فدخل على زينب
فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت فى صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله
فان معها مثل الذى معها وقال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا على المغيبات اى الذى غابت عنها زوجها فان الشيطان
يجرى من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك يا رسول الله قال ومنى ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم قال سفين بن عيينة فاسلم
انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم ولذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم
على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله تعالى واخراج
عدة الشيطان منه وروى انه جامع ثلثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخرة وقال ابن عباس خير هذه الامة
اكثرها نساء ولما كانت الشهوة اغلب على امزجة العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب
ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاقا للولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن
ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحيوة على الولد مدة وفى اقتحام الفاحشة تفويت الحيوة
الاخروية التى يستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروى انه انصرف الناس يوما من مجلس ابن عباس وبقى
شاب لم يبرح فقال ابن عباس هل من حاجة قال نعم اردت ان اسئل مسئلة واستحييت من الناس وانا الان اهابك واجلك
فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما افضيت به الى ابيك فافض الى به فقال انى شاب لا زوجة لى وربما خشيت
العنت على نفسى فربما استمنيت بيدي فهل فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف ويحك نكاح الامة
خير منه وهو خير من الزنا وهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين ثلثة شرور ادناها نكاح الامة وفيه ارقاق
الولد واشد منه الاستمناء باليد واشدها وافحشها الزنا ولم يطلق ابن عباس الاباحة فى شئ منها الا انهما محذوران
يفزع اليهما حذرا من الوقوع فى محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون
الشرين فى معنى الاباحة المطلقة ولا فى معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتاكلة من الخيرات وان كان يوذن فيه
عند اشراف النفس على الهلاك فاذا فى النكاح فضل من هذه الوجوه لكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت
شهوته بكبر السن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث فى حقه ويبقى ما سبق من امر الولد فان ذلك عام الا الممسوح
وهو نادر ومن الطباع ما يغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة
الى الاربع فان يسر الله تعالى له مودة ورحمة واطمان قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه
بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها بسبع ليال ويقال ان الحسن بن على كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتى امراة وربما
كان عقد على اربع فى عقد واحد وربما طلق اربعا فى وقت واحد واستبدل بهن وقد قال صلى الله عليه وسلم للحسن اشبهت

خَلقی وخُلقی وقال علیه الصلوة والسلام حسن منی وحسین من علی رضوان الله علیهم اجمعین فقیل ان کثرة نکاحه
احد ما اشبه به خلق رسول الله صلی الله علیه وسلم وتزوج المغیره بن شعبه بثمانین امراة وکان فی الصحابة من له الثلث
والاربع ومن کان منهم له اثنتان لا یحصی ومهما کان الباعث معلوما فینبغی ان یکون العلاج بقدر العلة فالمراد
تسکین النفس فلینظر الیه فی الکثرة والقلة **الفایدة الثالثة** ترویح النفس وایناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة
اراحة للقلب وتقویة له علی العبادة فان النفس ملولة وهی عن الحق نفور لانه علی خلاف طبعها فلو کلفت المداومة
بالاکراه علی ما یخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات فی بعض الاوقات قویت ونشطت فی الاستیناس بالنسا
من الاستراحة ما یزیل الکرب ویروح القلب وینبغی ان یکون لنفوس المتقین استراحات الی المباحات ولذلک قال الله
عز وجل لیسکن الیها وقال علی رضی الله عنه روحوا القلوب ساعة فانها اذا اکرهت عمیت وفی الخبر علی العاقل
ان یکون له ثلث ساعات ساعة یناجی فیها ربه وساعة یحاسب فیها نفسه وساعة یخلوا فیها بمطعمه ومشربه فان فی
هذه الساعة عونا علی تلک الساعات ومثله بلفظ آخر لا یکون العاقل طاعنا الا فی ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش
او لذة فی غیر محرم وقال علیه الصلوة والسلام لکل عامل شرة ولکل شرة فترة فمن کانت فترته الی سنتی فقد اهتدی
والشره الجد والمکابدة بجده وقوته وذلک فی ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وکان ابو الدردا یقول
انی لاستجم نفسی بشیء من اللهو لا تقوی بذلک فیما بعد علی الحق وفی بعض الاخبار انه علیه الصلوة والسلام قال شکوت
الی جبرئیل ضعفی من الوقاع فدلنی علی الهریسة فهذا الخبر ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا یمکن تعلیله
بدفع الشهوة لانها استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاکثر من هذا الانس وقال علیه الصلوة والسلام حبب
الی من دنیاکم ثلث الطیب والنسا وقرة عینی فی الصلوة فهذه ایضا فایدة لا ینکرها من جرب اتعاب نفسه فی الافکار
والاذکار وصنوف الاعمال وهی خارجة عن الفایدتین السابقتین حتی انها لتطرد فی حق الممسوح ومن لا شهوة له الا
ان هذه الفایدة تجعل للنکاح فضیلة بالاضافة الی هذه النیة وقل من یقصد بالنکاح ذلک فاما قصد الولد وقصد
دفع الشهوة فمما یکثر ثم رب شخص یستانس بالنظر الی الماء الجاری والخضرة وامثالهما ولا یحتاج الی ترویح النفس بمحادثة
النسا وملاعبتهن فیختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فلیتنبه له **الفائدة الرابعة** تفریغ القلب عن تدبیر
المنزل والتکفل بشغل الطبخ والکنس والفرش وتنظیف الاوانی وتهیئة اسباب المعیشة فان الانسان لو لم یکن له
شهوة الوقاع لتعذر علیه العیش فی منزله وحده اذ لو تکفل بجمیع اشغال المنزل لضاعت اکثر اوقاته ولم یتفرغ للعلم
والعمل فالمراة الصالحة المصلحة للمنزل عون علی الدین بهذا الطریق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب
ومنغصات للعیش ولذلک قال ابو سلیمن الدارانی الزوجة الصالحة لیست من الدنیا فانها تفرغک للآخرة وانما تفریغها
لک بتدبیر المنزل وبقضاء الشهوة جمیعا قال محمد بن کعب القرظی فی معنی قوله تعالی ربنا آتنا فی الدنیا حسنة قال
المراة الصالحة وقال صلی الله علیه وسلم لیتخذ احدکم قلبا شاکرا ولسانا ذاکرا وزوجة مومنة تعینه علی آخرته فانظر کیف
جمع بینها وبین الذکر والشکر وفی بعض التفاسیر فی قوله تعالی فلنحیینه حیوة طیبة ای الزوجة الصالحة وکان عمر
رضی الله عنه یقول ما اعطی عبد نعمة بعد الایمان بالله عز وجل خیرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا یحذا منه ومنهن
غلا لا یفدا منه قوله لا یحذا ای لا یعتاض عنه بعطاء وقال علیه الصلوة والسلام فضلت علی آدم علیه السلام بخصلتین
کانت زوجته عونا له علی المعصیة وازواجی عونا لی علی الطاعة وکان شیطانه کافرا وشیطانی مسلم لا یامرنی الا بخیر
فعد معاونتها علی الطاعة فضیلة فهذه ایضا من الفواید التی یقصدها الصالحون الا انها تخص بعض الاشخاص
الذین لا کافل لهم ولا مدبر ولا یدعوا الی امراتین بل الجمع ربما ینغص المعیشة ویضطرب به امور المنزل ویدخل فی هذه
الفائدة قصد الاستکثار بعشیرتها وما یحصل من القوة بسبب تداخل العشایر فان ذلک مما یحتاج الیه فی دفع الشرور

وطلب السلامة ولذلک قیل ذل من لا ناصر له ومن وجد من یدفع عنه الشر سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش
للقلب والعز بالکثرة دافع للذل **الفائدة الخامسة** مجاهدة النفس ورياضتها بالرعایة والولایة والقیام بحقوق
الاهل والصبر علی اخلاقهن واحتمال الاذی منهن والسعی فی اصلاحهن وارشادهن الی طریق الدین والاجتهاد
فی کسب الحلال لاجلهن والقیام بتربیة الاولاد فکل هذه اعمال عظیمة الفضل فانها رعایة وولایة والاهل
والولد رعیة وفضل الرعایة عظیم وانما یحترز منها من یحترز خیفة من القصور عن القیام بحقها والا فقد قال
صلی الله علیه وسلم یوم من وال عادل خیر وافضل من عبادة سبعین سنة ثم قال علیه الصلوة والسلام الا کلکم راع
وکلکم مسول عن رعیته ولیس من اشتغل باصلاح نفسه وغیره کمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر علی
الاذی کمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد فی سبیل الله تعالی ولذلک قال بشر رحمه الله
فضل علی احمد بن حنبل بثلاث احدها انه یطلب الحلال لنفسه ولغیره وقد قال علیه الصلوة والسلام ما انفق
الرجل علی اهله فهو صدقة وان الرجل لیوجر فی رفعه اللقمة الی فی امراته قال بعضهم لبعض العلما من کل عمل
قد اعطانی الله نصیبا حتی ذکر الحج والجهاد وغیرهما فقال له این انت من عمل الابدال قال ما هو قال کسب الحلال
والنفقة علی العیال وقال ابن المبارک وهو مع اخوانه فی الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فیه قالوا لا نعلم ذلک
قال انا اعلم ذلک رجل متعفف ذو عیلة قام من اللیل فنظر الی صبیانه نیاما متکشفین فسترهم وغطاهم بثوبه
فعمله افضل مما نحن فیه وقال صلی الله علیه وسلم من حسنت صلاته وکثر عیاله وقل ماله ولم یغتب المسلمین
کان معی فی الجنة کهاتین وفی حدیث آخر ان الله یحب الفقیر المتعفف ابا العیال قال علیه الصلوة والسلام اذا
کثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم لیکفرها قال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا یکفرها الا الغم بالعیال
وفیه اثر عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا یکفرها الا الهم بطلب المعیشة قال علیه الصلوة
والسلام من کان له ثلث بنات فانفق علیهن واحسن الیهن حتی یغنیهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة
الا ان یعمل عملا لا یغفر له وکان ابن عباس اذا حدث بهذا الحدیث قال هو والله من غرایب الحدیث وغرره وروی
ان بعض المتعبدین کان یحسن القیام علی زوجته الی ان ماتت فعرض علیه التزویج فامتنع وقال الوحدة اجمع لهمی
واروح لقلبی فلما کان بعد ایام قال لاصحابه زوجونی فسالوه عن ذلک فقال رایت فی المنام بعد جمعة من وفاتها
کان ابواب السماء فتحت وکان رجالا ینزلون ویسیرون فی الهوی یتبع بعضهم بعضا فکل ما نزل واحد نظر الی
وقال لمن وراءه هذا هو المشوم فیقول الآخر نعم ویقول الثالث کذلک فیقول الرابع نعم وخفت ان اسالهم
هیبة منهم الی ان مر بی آخرهم وکان غلاما فقلت له یا هذا من المشوم الذی الیه تومون فقال انت فقلت ولم
ذلک فقال کنا نرفع اعمالک فی اعمال المجاهدین فی سبیل الله ومنذ جمعة امرنا ان نضع عملک مع الخالفین
فلا ندری ما احدثت فقال لاخوانه زوجونی فکونی فلم یکن بعد ذلک یفارقه زوجتان او ثلث وفی اخبار
الانبیا علیهم السلام ان قوما دخلوا علی یونس علیه السلام فاضافهم وکان یدخل ویخرج الی منزله فتوذیه امراته
وتستطیل علیه وهو ساکت فتعجبوا من ذلک فقال لا تعجبوا فانی سالت الله وقلت ما انت معاقب لی به فی الآخرة
فعجله لی فی الدنیا فقال ان عقوبتک بنت فلان فتزوج بها فتزوجتها وانا صابر علی ما ترون منها وفی الصبر علی
ذلک ریاضة للنفس وکسر للغضب وتحسین الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارک لمن حسن خلقه لا یترشح منه خبائث
النفس الباطنة ولا تنکشف بواطن عیوبه فحق علی سالک طریق الآخرة ان یجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحرکات
واعتیاد الصبر علیها لتعتدل اخلاقه وترتاض نفسه وتصفوا عن الصفات الذمیمة باطنه والصبر علی العیال مع انه
ریاضة ومجاهدة التکفل لهم والقیام بهم وعبادة فی نفسها فهذه ایضا من الفواید ولکنه لا ینتفع بها الا احد

رجلين اما رجل قصده المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه فى بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا
للمجاهدة وترتاض به نفسه واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح
بصلاة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده لكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه
التى لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية فى اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان
له سير فى الباطن وحركة بفكر القلب فى العلوم والمكاشفات فلا ينبغى ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو
مكفى فيها واما العبادة بالعمل فى الكسب لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفايدته اعم واشمل لساير الخلق
من فايدة الكسب على العيال فهذه فوايد النكاح فى الدين التى بها يحكم له بالفضيلة والله اعلم **اما افاة النكاح**
فثلث **الاولى** وهى اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما فى هذه الاوقات مع اضطراب
المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع فى الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب فى امن
من ذلك واما المتزوج ففى الاكثر يدخل فى مداخل السوء ويتبع هوى زوجته ويبيع اخرته بدنياه وفى الخبر ان العبد
ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسال عن رعاية عياله والقيام بهن وعن ماله من اين اكتسبه وفيما
انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله حتى لا يبقى له حسنة فينادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته
فى الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل فى القيمة اهله وولده فيوقفونه بين يدى الله عز وجل
ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض
السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا انيابا تنهسه يعنى العيال وقال عليه الصلوة والسلام لا يلقى الله سبحانه
احد بذنب اعظم له من جهالة اهله فهذه افة عظيمة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال
يفى به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الافة او من هو محترف او مقتدر
على كسب حلال من المباحات باحتطاب او احتشاش او اصطياد او كان فى صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر
على ان يعامل بها اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سئل عن التزوج فقال هو
افضل فى زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينثنى عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك
نفسه فتركه اولى **الافة الثانية** القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهذه
دون الاولى فى العموم فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النسا والقيام بحقوقهن
اهون من طلب الحلال وفى هذا ايضا خطر لانه راع وهو مسؤل عن رعيته قال عليه الصلوة والسلام كفى بالمرء اثما
ان يضيع من يعول وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا يقبل له صلوة ولا صوم حتى يرجع اليهم
ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار
كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج ضاعف عليه الحق وانضاف الى نفسه نفس
اخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزوج وقال انا
مبتلى بنفسى فكيف اضيف اليها نفسا اخرى لم تسع الفارة تدخل فى جحرها علقت المكنس فى دبرها ولذلك اعتذر
ابرهيم ابن ادهم وقال لا اغر امراة بنفسى ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا
عاجز عنه ولذلك اعتذر بشر وقال يمنعنى من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وكان يقول
لو كنت اعول دجاجة لخفت ان اصير جلادا على الجسر وراى سفين على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك
فقال وهل رايت ذا عيال افلح وكان سفين يقول يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا ضجة فيه
ولا صياح فهذه ايضا افة عامة وان كانت دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير

بعادات النساء صبور على السنتهن وقاف على اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن يداري
بعقله اخلاقهن والاغلب على النسا السفه والفضاضة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب
تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم **الافة الثالثة** وهى دون الاولى
والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلين له عن الله تعالى وجاذبين له الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد
بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما يشغل عن الله تعالى من اهل ومال وولد فهو مشؤم
على صاحبه ولست اعنى بهذا ان يدعو الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الافة الاولى والثانية بل ان يدعوه
الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق فى ملاعبة النسا ومؤانستهن والامعان فى التمتع بهن ويثور من النكاح انواع
من الشواغل من هذا الجنس يستغرق القلب فينقضى الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للفكر فى الاخرة والاستعداد
لها ولذلك قال ابرهيم ابن الادهم من تعود افخاذ النسا لم يجي منه شيء وقال ابو سليمن من تزوج فقد ركن الى الدنيا
اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الافات والفوايد والغوايل فالحكم على شخص واحد بان الافضل
له النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ هذه الافات والفوايد معتبرا ومحكا
ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت فى حقه الافات واجتمعت الفوايد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد
فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله عز وجل وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير
المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يتمارى فى ان النكاح له افضل مع ما فيه من السعي فى تحصيل الولد وان انتفت الفوايد
واجتمعت الافات بان يكون هذه الامور باضدادها فالعزوبة له افضل وان تقابل الامران وهو الغالب فينبغي ان يوزن
بميزان القسط حظ تلك الفايدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الافة فى النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان
احدهما حكم له به واظهر الفوايد الولد وتسكين الشهوة واظهر الافات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى
فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن فى اذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه فى السعي لتحصيل الولد وكانت
الافة الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله تعالى ولا خير فى كسب الحرام
ولا يفى بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي فى طلب حيوة للولد موهومة وهذا نقصان فى الدين
ناجز فحفظه لحيوة نفسه وصونها عن الهلاك اهم له من السعي فى الولد وذلك ربح والدين راس مال وفى فساد الدين بطلان
الحيوة الاخروية وذهاب راس المال فلا يقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الافتين واما اذا انضاف الى امر الولد
حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى فى راسه وخاف على نفسه الزنا
فالنكاح له اولى لانه مردد بين ان يقتحم الزنا او ياكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه
لا يزنى ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح له اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه
حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا
العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع
ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار
الشاغلة للقلب فالاولى يترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا يتم عبادة
مع كسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان يوزن هذه الافات بالفوايد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل
عليه شئ مما نقل عن الصحابة والسلف من الترغيب فى النكاح مرة والرغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان
قلت فمن امن الافات فالافضل له التخلي لعبادة الله تعالى ام النكاح فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي
لعبادة الله تعالى من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل

لان الليل وساير اوقات النهار يبقى للتخلي فيها للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض
كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى اوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان
الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلوة النافلة او بالحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل ايضا
لان في الكسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواعا من العبادات لا يقصر
فضلها عن نوافل العبادات وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن فالكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح
افضل له **فان قلت** فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان التخلي لعبادة الله تعالى افضل فلم استكثر
النبي صلى الله عليه وسلم من الازواج **فاعلم** ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا
يشغله الله عن الله عز وجل شاغل فرسول الله صلى الله عليه وسلم أيد بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح فلقد
كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله تعالى وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة
في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة
بهمهم غير غافلة عن مهماتهم وكان عليه الصلوة والسلام لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب
مع الله عز وجل فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير
السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط
لنفسه ولعل حالته كانت حالة تؤثر فيها الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع
بين النكاح والتخلي للعبادة فآثر التخلي لعبادة الله تعالى وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب المكاسب
واخلاق النساء وما على الناكح من غوايل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها
افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء عليهم السلام على الافضل في كل حال والله اعلم بالصواب **الباب الثاني فيما**
يراعى حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل
اربعة **الاول** اذن الولي فان لم يكن فالسلطان **الثاني** رضاء المرأة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا بالغة ولكن
زوجها غير الاب والجد اذا لم تكن بالغة **الثالث** حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد
للحاجة **الرابع** ايجاب وقبول يتصل به بلفظ الانكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين
ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما **واما آدابه** فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة
بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخطبة
على الخطبة **ومن آدابه** الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على
رسول الله زوجتك ابنتي فلانة فيقول المتزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن
الصداق معلوما وخفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب **ومن آدابه** ان يلقى امر الزوج الى سمع الزوجة ان كانت
بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يودم بينهما **ومن الآداب** احضار جمع
من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين الذين هما ركنان للصحة **ومن آدابه** ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض
البصر وطلب الولد وساير الفوايد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع
ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان
ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا **ومن آدابه** ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال
قالت عايشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال **واما المنكوحة** فيعتبر فيها نوعان
احدهما للحل والثاني لطيب العشرة وحصول المقاصد **النوع الاول** ما يعتبر فيها للحل وهو ان تكون خلية عن موانع

النكاح

١٤٧

النكاح والموانع تسعة عشر **الاول** ان تكون منكوحة للغير **الثاني** ان تكون معتدة عن الغير سواء كان عدة طلاق
او وفات او وطئ بشبهة او كانت في استبراء وطئ عن ملك يمين **الثالث** ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة
الكفر على لسانها **الرابع** ان تكون مجوسية **الخامس** ان تكون وثنية او زنديقة لا تنتسب الى كتاب ونبي
ومنهن المعتقدات بمذهب اهل الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر
معتقده **السادس** ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط
ففيه خلاف **السابع** ان تكون رقيقة والناكح حرا قادرا على طول الحرة او غير خائف من العنت **الثامن** ان تكون
كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين **التاسع** ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول
اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل واعني باصوله الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد
وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن
العاشر ان تكون محرمة برضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم
خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم **الحادي عشر** المحرمة بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او حفدتها
من قبل او وطئهن بالشبهة في عقد او وطئ امها او احدى جداتها بعقد او شبهة او شبهة عقد فمجرد العقد
على المرأة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطئ او يكون قد نكحها ابوه او ابنه من قبل **الثاني عشر** ان تكون
المنكوحة خامسة بان تكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة
بينونة لم يمنع الخامسة **الثالث عشر** ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالناكح جامعا بينهما
فلا يجوز ان وكل شخصين بينهما قرابة او كان احدهما ذكرا والاخر انثى لم يجز بينهما نكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما
الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثا فهي لا تحل له ما لم يطاها زوج آخر في نكاح صحيح **الخامس**
عشر ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها تحرم عليه بعد اللعان ابدا **السادس عشر** ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح
نكاحها الا بعد البلوغ **السابع عشر** ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ **الثامن عشر** ان تكون محرمة
بالحج او بالعمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل **التاسع عشر** ان يكون من ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ممن توفى عنها او دخل بها فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع
المحرمة **واما الخصال المطيبة للعيش** التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فهي
ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة **الاولى**
ان تكون صالحة ذات دين متدينة فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتنا فانها ان كانت ضعيفة الدين
في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وتشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك
عيشه فان سلك فيه سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا
بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على
الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا عليها يصبر فيكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
ان لي امرأة لا ترد يد لامس قال عليه الصلوة والسلام طلقها قال اني احبها قال فامسكها وانما امره عليه الصلوة والسلام
بامساكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها هو وفسد هو معها ايضا فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه
مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت
ولم ينكر كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وان انكر عليه وخاصم ومنع تنغص عليه

وتركه في بعضها افضل صح

بالتهجد

بالنكاح

ولهذا بالغ صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفي حديث آخر
من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكح لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال عليه الصلوة والسلام لا تنكح
المراة لمالها فلعل مالها يطغيها ولا لجمالها فلعل جمالها يرديها وانكح المراة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل
هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له **الثانية** حسن الخلق
وذلك اصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة
النعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان النسا مما يمتحن به الاوليا قال بعض العرب لا تنكحوا من النسا
ستة لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي
وتعصب راسها كل ساعة فنكاح الممراضة او المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك
كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج آخر او ولدها من زوج آخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل
شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه
ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام فلا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه
لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين ويحكى ان السايح الازدي لقي الياس عليه السلام
في سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة
فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة
التي تعرف بخليل وخدن وهو الذي قال الله تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة التي تعلوا على زوجها في الفعال
والمقال والنشز العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خيار خصال النسا البخل والزهو والجبن
فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب
واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء ولم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد الى
مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح **الثالثة** حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي
بالذميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها
ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر
يرغب في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال لان الالفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع
الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل العقد وقال صلى الله عليه وسلم اذا اوقع الله في نفس احدكم
من امراة فلينظر اليها بالمهابة فانه احرى ان يودم بينكما اي يولف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطن
البشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال عليه الصلوة والسلام ان في اعين الانصار شيئا اذا
اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكح كرايمهم الا
بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ومعلوم ان بالنظر لا يعرف الخلق
والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه
فاستعدي عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا
اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله
وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بلى تزوجان
والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسكت فقد صدقت

فانكحك

فانكحك الصدق والغرور يقع في الخلق والجمال جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف
والاستيصاف فينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر
والباطن لا يميل اليها فيفرط في الثنا ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادي الكلام في النكاح ووصف المنكوحات
الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد والخداع والاغرا اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه
التشوف الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب الى الجمال فهو الى الزهد
اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني الزهد
في كل شيء حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج
يتيمة فقيرة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها فتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني
ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل رضي الله عنه عوراء على اختها الجميلة
الحسنا فسال من اعقلهن فقيل العورا فقال زوجوني اياها وروي انه انفذ امراة لتخطب احداهما
فقالت الاخت الحسنا لاختها لمن خطب فقالت اما انا فلا اصلح وما اراد الا انت بانكسار فبلغ ذلك احمد
فقال لا اتزوج الا هي لانكسارها فهذه صفة من لم يقصد التمتع فاما من لا يامن على دينه ما لم يكن له مستمتع
فليطلب الجمال والتلذذ بالمباح ليحصن الدين وقد قيل اذا كانت المراة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة
والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين وصفتها فان الله
تعالى وصف نساء الجنة بهذه الاوصاف في قوله تعالى فيهن خيرات حسان واراد بها الخيرات حسن الخلق
وفي قوله تعالى قاصرات الطرف وقوله تعالى عربا اترابا فالعربة هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم
اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديد سوادها في سواد الشعر والعيناء الكبيرة العين وقال
صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله
وانما يسره النظر اليها اذا كانت جميلة محبة للزوج **الرابعة** ان تكون خفيفة المهر قال صلى الله عليه وسلم خير النساء
احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وقد نهى عن المغالات في المهر تزوج عليه الصلوة والسلام بعض نسائه على
عشرة دراهم واثاث البيت وكان رحا يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير
وعلى اخرى بمدي تمر ومدي سويق وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج عليه الصلوة والسلام
ولا زوج بناته باكثر من اربع مائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد تزوج بعض اصحابه على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من
ابي هريرة رضي الله عنهما على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة
ايام يسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلما فلا باس وفي الخبر من بركة المراة سرعة تجويزها
وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها وقال صلى الله عليه وسلم ابركهن اقلهن مهرا وكما تكره المغالات في المهر
من جهة المراة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في مالها قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال
اي شيء للمراة فاعلم انه لص واذا اهدى اليهم شيئا فلا ينبغي ان يكون يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك
اذا اهدى اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فاما التهادي فيستحب وهو سبب المودة قال عليه الصلوة والسلام
تهادوا تحابوا فاما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط لتطلب اكثر وتحت قوله تعالى
وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله فان الربوا هو الزيادة وهذه طلب زيادة على الجملة وان لم
يكن في الاموال الربوية وكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح **الخامسة**

ان تكون المراة ولودًا فان عرفت بالعقم فليمتنع من تزوجها قال عليه الصلوة والسلام عليكم بالولود الودود وان لم يكن
لها زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودًا غالبا مع هذين الوصفين **السادسة** ان تكون بكرا
قال عليه الصلوة والسلام لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلاثة فوايد احداها ان تحب
الزوج وتالفه فيوثر ذلك في معنى الود وقد قال عليه الصلوة والسلام عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس
باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترتضي بعض الاحوال التي تخالف ما الفته فتقلى
الزوج وثانيها ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع
مهما تذكر ذلك وبعض الطباع في هذا اشد نفورا وثالثها انها لا تحن الى الزوج الاول واكد الحب ما يقع على الحبيب
الاول غالبا **السابعة** ان تكون نسيبة اعني به ان تكون من اهل بيت الدين والصلاح فانها سترتبي بناتها وبنيها
مؤدبة واذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اياكم وخضراء الدمن فقيل
وما خضراء الدمن فقال المراة الحسناء في المنبت السوء وقال عليه الصلوة والسلام تخيروا لنطفكم فان العرق دساس
وقيل نزاع **الثامنة** ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة
القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا فذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة كما قال صلى الله عليه وسلم فان
الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس في النظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود
الذي دام اليه النظر مدة يضعف الحس ان تمام ادراكه والتاثر به فلا تنبعث به الشهوة هذه هي الخصال المرغبة
في النساء ويجب على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف
دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافئها في نسبها قال عليه الصلوة والسلام النكاح رق فلينظر احدكم
اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال
ومهما زوج ابنته من ظالم او فاسق او مبتدع او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله تعالى بما قطع
من حق الرحم وبسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتق الله فانه ان احبها
اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال عليه الصلوة والسلام من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها والله اعلم بالصواب

الباب الثالث في اداب المعاشرة

وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج
فعليه مراعاة الاعتدال والاداب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة
والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز وفي الوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق **الادب الاول** الوليمة وهي مستحبة
قال انس راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امراة على
وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق وتمر
وقال عليه الصلوة والسلام طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به لم يرفعه
الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنية به فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع
بينكما في خير وروى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه الصلوة والسلام
فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال عليه الصلوة والسلام اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد
واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي
فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل الى ان قالت احديهن وفينا نبي يعلم ما في غد
فقال عليه الصلوة والسلام لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنتي تقولين قبلها **الادب الثاني** حسن الخلق معهن
واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال تعالى في تعظيم حقهن

الاوصاف

وحسن الخلق

ان عايشة

من آبائي

واخذن

واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال تعالى والصاحب بالجنب قيل المراة واخر ما وصى به عليه الصلوة والسلام ثلثا
كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه وجعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا
يطيقون الله الله في نسائكم فانهن عوان عندكم يعني اسرى في ايديكم اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله تعالى وقال عليه الصلوة والسلام من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله تعالى من الاجر مثل ما اعطى ايوب على
بلائه ومن صبرت على سوء الخلق زوجها اعطاها الله تعالى مثل اجر آسية امراة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق
معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد
كان ازواجه تراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر في الكلام فقال اوتراجعني
في الكلام يا لكعا فقالت ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت
اي ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن ابي قحافة انها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة
وروى انه دفعت احديهن في صدره عليه الصلوة والسلام فزجرتها امها فانكرت عليها فقال عليه الصلوة والسلام
دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه عليه الصلوة والسلام وبين عايشة رضي الله عنها كلام حتى ادخل
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر حكما بينهما واستشهده قال لها النبي عليه الصلوة والسلام تكلمين او اتكلم فقالت بل
تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنهما حتى دمي فوها وقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق
فهربت منه واستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي عليه الصلوة والسلام
لم ندعك لهذا او لم نرد هذا منك وقالت له صلى الله عليه وسلم مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك
نبي الله فتبسم عليه الصلوة والسلام واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك علي من رضاك
فقالت وكيف تعرف ذلك يقال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم عليه السلام قالت
صدقت انما اهجر اسمك فقال ان اول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها وكان
يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذينني في عايشة فانه والله ما نزل
علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها وقال انس كان عليه الصلوة والسلام ارحم الناس بالنساء والصبيان
الادب الثالث ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان عليه الصلوة
والسلام يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان صلى الله عليه وسلم
يسابق عايشة في العدو فسبقته يوما وسبقها عليه الصلوة والسلام في بعض الايام فقال عليه الصلوة والسلام
هذه بتلك وفي الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عايشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم
وهم يلعبون في يوم عاشورا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا
وقام عليه الصلوة والسلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وهم يلعبون
وانا انظر وجعل رسول الله عليه الصلوة والسلام يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عايشة
حسبك قلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال عليه الصلوة والسلام اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم
باهله وقال عليه الصلوة والسلام خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل
ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمس ما عنده وجد رجلا وقال لقمن لابنه ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي فاذا كان
في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه
وهو احد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وقال صلى الله عليه وسلم لجابر
هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت لقد كان والله ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا

اوتراجعني

خرج اكلا ما وجد غير سائل عما فقد **الادب الرابع** ان لا يبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد
يفسد خلقها ويسقط بالكلية مآء وجهه وهيبته عندها بل يراعى الاعتدال فى ذلك فلا يدع الهيبة والانقباض
مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعظ قال
الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته فيما تهواه الا اكبه الله فى النار وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النسا فان
فى خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك
لانه اذا اطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المراة فملكها هو نفسه فقد عكس الامر وقلب
القضية واطاع الشيطان كما قال ولامرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله
تعالى الرجال قوامون على النسا وسمى الزوج سيدا فقال تعالى والفيا سيدها لدا الباب فاذا انقلب السيد مسخرا
فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت
عذارها شبرا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها قال الشافعى رضى الله عنه
ثلثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطى اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك
بلينك وفظاظتك برفقك وكانت نسا العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المراة تقول لبنتها
اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعى زج رمحه فان سكت لذلك فقطعى اللحم على ترسه فان سكت
فاكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت
السموات والارض وكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغى ان يسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة
ويتبع الحق فى جميع ذلك ليسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب على اغلبهن سوء الخلق وركاكة
العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال صلى الله عليه وسلم مثل المراة الصالحة فى
النسا كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب والاعصم الابيض البطن وفى وصية لقمن لابنه يا بنى اتق
المراة السوء فانها تشيبك قبل المشيب واتق شرار النسا فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر
وقال عليه الصلوة والسلام استعيذوا بالله من الفواقر الثلث وعد منهم امراة السوء فانها المشيبة قبل المشيب
وفى لفظ آخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك وقال عليه الصلوة والسلام فى خيرات النسا
انكن صويحبات يوسف يعنى قال عليه الصلوة والسلام ان صرفكن ابا بكر عن التقدم فى الصلوة ميل منكن عن الحق
الى الهوى وقال تعالى حين افشين سر النبى عليه الصلوة والسلام ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اى مالت
عن الحق وقال ذلك فى خير ازواجه وقال عليه الصلوة والسلام لا يفلح قوم تملكهم امراة ويروى ما افلح قوم ملكتهم
امراة وزبر عمر رضى الله عنه امراته لما راجعته وقال ما انت الا لعبة فى جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة
والا جلست كما انت فاذا فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج
الضعف والطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء فليتفطن الرجل اولا اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها
بما يصلحها كما يقتضيه حالها **الادب الخامس** الاعتدال فى الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادى الامور التى تخشى
غوائلها ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت وتجسس الباطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تتبع
عورات النسا وفى لفظ آخر ان يتعيب النسا ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ليلا قال قبل دخوله الى
المدينة لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالفه رجلان فسبقا الى منازلهما فراى كل واحد فى بيته ما يكره وفى الخبر المشهور
المراة كالضلع ان اردت ان تقيمه كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا فى تهذيب اخلاقها وقال عليه الصلوة
والسلام غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على اهله من غير ريبة ولان ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه فان بعض

الظن

الظن اثم قال على رضى الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة التى فى محلها
فلا بد منها وهى محمودة قال صلى الله عليه وسلم ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان ياتى المؤمن ما حرم الله عليه
وقال عليه الصلوة والسلام اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله عز وجل
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله تعالى ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين
ولا احد احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك وعد بالجنة وقال عليه الصلوة والسلام رايت ليلة اسرى بى فى الجنة
قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذه الجارية والقصر فقيل لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر
وقال اغار عليك يا رسول الله وكان الحسن يقول اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج فى الاسواق قبح الله من لا يغار
وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله تعالى ومن الخيلا ما يحبه الله تعالى
ومنها ما يبغضه الله عز وجل فاما الغيرة التى يحبه الله فالغيرة فى الريبة والغيرة التى يبغضها الله تعالى
فالغيرة فى غير الريبة واما الاختيال التى يحبه الله فاختيال الرجل لنفسه عند القتال وعند الصدقة واما
الاختيال الذى يبغضه الله تعالى فالاختيال فى الباطل وقال عليه الصلوة والسلام انى لغيور وما من امرى لا يغار
الا منكوس القلب والطريق المغنى عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهى لا تخرج الى الاسواق وقال عليه الصلوة
والسلام لابنته فاطمة رضى الله عنها اى شئ خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال
ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان الصحابة يسدون الثقب والكوى فى الحيطان لان لا تطلع النسوان
الى الرجال وراى معاذ امراته تطلع فى الكوة فضربها وراى امراته دفعت الى غلام له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها
وطلقها وقال عمر رضى الله عنه اعروا النسا يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة
وقال ايضا عودوا نساءكم لا يخرجن وقد كان عليه الصلوة والسلام اذن للنساء فى حضور المساجد والصواب
الآن المنع الا للعجائز وقد استصوب ذلك فى زمان الصحابة حتى قالت عايشة رضى الله عنها لو علم النبى عليه
الصلوة والسلام ما احدثت النسا بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال النبى عليه الصلوة والسلام لا تمنعوا
اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه فقال تسمعنى اقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى نمنعهن وانما استجرء على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه
اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان عليه الصلوة والسلام قد اذن لهن فى الاعياد خاصة
ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الآن ايضا مباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود
اسلم وينبغى ان لا تخرج الا لمهم لان الخروج للنظارات والامور الغير المهمة قادح فى المروة حالا وربما يفضى
الى الفساد مالا واذا خرجت لمهم فينبغى ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل فى حقها عورة
كوجه المراة فى حقه بل هو كوجه الصبى الامرد فى حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم يكن فتنة
فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفى الوجوه والنسا يخرجن متنقبات ولو كان وجوه الرجال عورة فى حق
النسا لامروا بالتنقب او منعوا من الخروج الا لضرورة وهذه الدقايق مندرجة تحت قوله تعالى وقل للمومنين
يغضوا من ابصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن والله اعلم **الادب السادس** الاعتدال فى النفقة فلا ينبغى
ان يقتر عليهن بالانفاق ولا ينبغى ان يسرف فليقتصد قال الله عز وجل كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى فى صفة عباده المهتدين المرضيين والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال عليه
الصلوة والسلام دينار انفقته فى سبيل الله ودينار انفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته

على اهلك واعظمها اجرا الدينار الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي عليه السلام اربع نسوة وكان يشتري لكل واحدة
في كل اربعة ايام لحمًا بدرهم وقال الحسن كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب تقارب وقال ابن سيرين استحب للرجل
ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة فكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان
يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات في الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير
تصريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر على اهله بماكول طيب ولا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة
بالمعروف فان ابى الا ذلك فليا كله في خفية بحيث لا يعرفه اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعامًا ليس يريد اطعامهم
اياه واذا اراد ان ياكل فليقعد العيال كلهم على مايدته قال سفين بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون
في جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمهم من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجل النفقة فان ذلك جناية
عليهم لا مراعاة لهم وقد ذكرنا الاخبار في ذلك عند ذكرنا آفات النكاح **الادب السابع** ان يتعلم المتزوج من علم الحيض
واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلوة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر
بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارًا وعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة ان
استمعت اليها ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر الدين ويعلمها في احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليها وعلم الاستحاضة
طويل فاما القدر الذي لا بد من ارشاد النساء اليه من امر الحيض بيان الصلوات التي تقضى وانها مهما انقطع دمها قبل
المغرب ولو بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر لذلك اليوم وكذا عليها المغرب والعشاء ان انقطع قبل الصبح
بمقدار ركعة وهذا اقل ما تراعيه النساء فان كان الرجل قايمًا بتعليمها فليس لها الخروج لسوال العلماء وان قصر علم الرجل
ولكن ناب عنها في السوال واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج ايضا فان لم يكن كذلك فلها الخروج للسوال
بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ثم مهما تعلمت ما بقي عليها من الفرايض فليس لها الخروج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم
فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكمًا من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها و
شاركها في الاثم **الادب الثامن** اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد
استصحاب واحدة منهن اقرع بينهن كذلك كان يفعل عليه الصلوة والسلام فان ظلم امراة بليلتها قضاها لها
فان القضا واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك مما يطول ذكره وقد قال صلى الله عليه وسلم
من كان له امراتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفي لفظ آخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل وانما
عليه العدل في العطاء والمبيت اما في الحب والوقاع فلا اذ ذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لا تقدروا ان تعدلوا في شهوة النفس وميل القلب ويتبع ذلك التفاوت
في الوقاع وقد كان عليه الصلوة والسلام يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي
فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عايشة رضي الله عنها احب نسائه اليه وساير نسائه
يعرفن ذلك حتى كان عليه الصلوة والسلام يطاف به محمولا اذا كان مريضا في كل يوم وفي كل ليلة ويبيت عند كل واحدة
ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما تسل عن يوم عايشة فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت
عايشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت عايشة ومهما وهبت
واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها وكان عليه الصلوة والسلام يقسم بين نسائه فقصد
ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعايشة وسالته عن يقررها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه
فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعايشة ليلتين ولساير ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته
كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسائه في غير نوبتها فجامعها طاف في ليلته او يومه على ساير نسائه فمن ذلك ما روي

عن عايشة

عن عايشة رضي الله عنها انه عليه الصلوة والسلام طاف على نسائه في ليلة واحدة وعن انس انه عليه الصلوة والسلام
طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار **الادب التاسع** في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما
جميعا او من الرجل فلا تتسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها
لينظرا بينهما ويصلحا امرهما وان يريدا اصلاحًا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضي الله عنه حكمين الى زوجين فعادا
ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحًا يوفق الله بينهما فعادا واحسنا النية
وتلطفا في الامر فاصلحا بينهما واما اذا كانت من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها
على الطاعة قهرا وكذلك اذا كانت تترك الصلوة فله حملها على الصلوة قهرًا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها
وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها
في البيت من ليلة الى ثلث ليال فان لم ينجع ضربها ضربًا غير مبرح بحيث يولمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها
جسمًا ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل له عليه الصلوة والسلام ما حق المراة على الرجل فقال يطعمها
اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا في البيت وله ان يغضب
عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك عليه الصلوة والسلام اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها
عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمتك اذ ردت عليك هديتك معناه استصغرتك فقال عليه الصلوة والسلام
انتن اهون على الله تعالى ان تقمئني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن **الادب العاشر** في آداب الجماع
ويستحب ان يبدا ببسم الله الرحمن الرحيم العلي العظيم ويقرا قل هو الله احد ويهلل ويكبر ويقول بسم الله تعالى
اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج من صلبي ذلك قال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال
اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال
فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرا بصيرا وكان
بعض اهل الحديث يكبر فيرفع صوته حتى يسمع اهل الدار ثم لينحرف عن القبلة ولا يستقبلها بالوقاع اكراما للقبلة
وليغط نفسه واهله بثوب كان عليه الصلوة والسلام يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك بالسكينة
وفي الخبر اذا جامع احدكم امراته فلا يتجردا تجرد العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال
عليه الصلوة والسلام لا يقعن احدكم على امراته كما يقع البهيمة ولكن يقدم بينهما رسول فقيل وما الرسول فقال
عليه الصلوة والسلام القبلة والكلام وقال ثلث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم
اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه اخوه فيرد عليه كرامته والثالث ان يقرب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها
ويوانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه ويكره الجماع في ثلث ليال من الشهر الاول والنصف والاخر
يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي وان الشياطين ليجامعون فيها وروي كراهية ذلك عن علي كرم الله وجهه
ومعوية وابي هريرة رضي الله عنهما ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقا لاحد التاويلين لقوله صلى الله عليه
وسلم رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي هي ايضا نهمتها ووطرها فان انزالها ربما يتاخر
فتهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال
والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانه ربما تستحيي وينبغي ان ياتيها في كل اربعة ايام
مرة فهو اعدل اذ هو عدد النساء وقد جاز التاخر الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين
فان تحصينها واجب عليه وان كان لا يثبت المطالبة بالوطي فذلك لتعذر المطالبة والوفاء بها ولا ينبغي ان ياتيها في
الحيض ولا بعد انقطاعه قبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد والله اعلم وله ان يستمتع

ولدا

لبال

بجميع بدن الحايض ولا باتيها في غير الماتي اذ حرم غشيان الحايض لاجل الاذى والاذى في غير الماتي دايم فهو اشد
تحريما من اتيان الحايض وقوله تعالى فاتوا حرثكم انى شئتم اى اي وقت شئتم ولدان يستمنى بيدها وان يستمتع
بما تحت الازار منها سوى الوقاع وينبغي ان تتزر المراة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب
وله ان يواكل الحايض ويخالطها في المجالسة والمضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانيا
بعد اول فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام على غير
طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضا اولا وضوءه للصلوة فهو سنة قال ابن عمر رضي الله عنهما قلت للنبي عليه الصلوة
والسلام اينام احدنا وهو جنب فقال عليه الصلوة والسلام نعم اذا توضا ولكن فيه رخصة قالت عايشه كان عليه الصلوة
والسلام ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه او لينفضه فانه لا يدري ما حدث عليه بعده
ولا ينبغي ان يحلق ويقلم ويستحد ويخرج الدم فيبين من نفسه جزءا وهو جنب اذ يرد اليه ساير اجزائه في الاخرة حتى
لا يعود جزؤ اليه جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه في القيمة بجنابتها **ومن الاداب** ان لا يعزل بل يسرح الماء الى محل
الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله تعالى كونها الا وهي كاينة هكذا قاله عليه الصلوة والسلام ثم ان عزل فقد
اختلف العلما في اباحته وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قايل يحل برضاها
ولا يحل دون رضاها وكان هذا القايل يحرم الايذاء دون العزل ومن قايل باباحة ذلك في المملوكة دون الحرة **والصحيح**
عندنا ان ذلك مباح واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الافضل وهو مكروه بالمعنى
الثالث وهو انه ترك الافضل كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا مشتغلا بذكر وصلوة وللحاضر في مكة
مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة
في الولد ولما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له من جماعه اجر ولد له ذكر فقاتل
في سبيل الله تعالى فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه
ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب قد فعل وهو الوقاع وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة
بمعنى التحريم ولا التنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ههنا
اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك الافضل
وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم وله اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر
على الانزال ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع
عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والاول وليس هذا كالاستجهاض والواد لان ذلك جناية على موجود حاصل
وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المراة فتستعد لقبول الحيوة فافساد ذلك جناية فان
صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش فان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى
التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدا سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من
الاحليل لان الولد لا يخلق من الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها او من مائه ودم الحيض قال بعض
اهل التشريح ان المضغة انما تخلق بتقدير الله تعالى من دم الحيض فان الدم منها كاللبن من الرايب والنطفة من الرجل
شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الرايب وكيف ما كان فماء المراة ركن في الانعقاد
فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على
العقد في النقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة
في الفقار لا يتخلق منها ولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المراة او دمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت

فاول مراتب

فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه
الا نية فاسدة فيها شيء من شوايب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة على العزل خمس **الاولى** في السراري
وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك له بترك الاعتاق ودفع اسبابه ليس بمنهي
عنه **الثانية** استبقاء جمال المراة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حيوتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا
عنه **الثالثة** الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل
السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان قلة الحرج معينة على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله تعالى
حيث قال سبحانه وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك للافضل
ولكن النظر للعواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه **الرابعة** الخوف من
الاولاد الاناث لما في تزوجهن من المعرة كما كانت عادة بعض الاعراب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة ولو
ترك بسببها اصل النكاح او اصل الوقاع اثم بها لا بترك النكاح والوطي فكذا في العزل والفساد في اعتقاده
والمعرة في سنة رسول الله عليه الصلوة والسلام وينزل منزلة امراة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها
رجل وكانت تتشبه بالرجال ولا يرجع الكراهية الى عين ترك النكاح **الخامسة** ان تمتنع المراة لتعززها
ومبالغتها في النظافة فتتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال
المياه حتى كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي فاسدة واستاذنت
واحدة منهن على عايشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تاذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة
فان قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا **قلنا** فالعزل كترك
النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا فسنتنا فعل الافضل **فان قيل** فقد قال عليه الصلوة
والسلام في العزل ذلك الواد الخفي وقرئ واذا الموؤدة سئلت وهذا في الصحيح **قلنا** وفي الصحيح ايضا اخبار صريحة في
الاباحة وقوله الواد الخفي كالشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما **فان قلت** فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
العزل هو الواد الاصغر وان الممنوع وجودها به هي الموؤدة الصغرى **قلنا** هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعة
وهو قياس ضعيف ولذلك انكره عليه علي كرم الله وجهه لما سمعه وقال لا يكون موؤدة الا بعد سبعة اي بعد سبعة
اطوار وتلا الاية الواردة في اطوار الخلقة وهي قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله تعالى
ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الاية الاخرى واذا الموؤدة
سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه من طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله
عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف كان ومن المتفق عليه في الصحيحين عن جابر قال كنا نعزل على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم والقران ينزل وفي لفظ اخر كنا نعزل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وعن جابر ايضا انه قال
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال
عليه الصلاة والسلام اعزل عنها ان شئت فانها سياتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت
فقال عليه الصلوة والسلام قد اخبرتكم انه سياتيها ما قدر لها هكذا في الصحيحين البخاري والمسلم **الحادي عشر** في
اداب الولادة وهي خمس **الاول** ان لا يكثر فرحه بالذكر ولا يحزن بالانثى فانه لا يدري ان الخيرة له في ايهما فكم
من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا والسلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه وسلم من كانت
له ابنة فادبها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة
من النار الى الجنة وقال ابن عباس قال عليه السلام ما من احد يدرك ابنتين ويحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة

في ايهما

فانهي

وقال انس قال عليه الصلوة والسلام من كانت له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه الا كنت انا وهو في
الجنة كهاتين ومن خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله
تعالى اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه ومن حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ
بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله تعالى ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار
قال ابو هريرة قال عليه الصلوة والسلام من كانت له ثلث بنات او اخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن وسرائهن
ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله فقال وثنتان فقال رجل او واحدة فقال
عليه الصلوة والسلام او واحدة **الادب الثاني** ان يؤذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه قال رايت النبي صلى
الله عليه وسلم اذن في اذن الحسن حين ولدته فاطمه رضي الله عنها وروي انه قال عليه الصلوة والسلام من ولد
له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان ويستحب ان يلقن الصبي
اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به الخبر **الادب
الثالث** ان يسميه باسم حسن فذلك حق للولد قال عليه الصلوة والسلام اذا سميتم فعبدوا وقال احب الاسماء
الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن قال عليه الصلوة والسلام سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلما كان ذلك
في عصره عليه الصلوة والسلام اذ كان ينادى يا ابا القاسم واما الآن فلا باس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته لقوله
صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا في حيوته وسمى رجل ابا عيسى فقال عليه الصلوة
والسلام ان عيسى عليه السلام لا اب له فكره ذلك والسقط ايضا ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معوية
بلغني ان السقط يوم القيمة وراء ابيه يقول انت ضيعتني وانت تركتني لا اسم لي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
كيف وقد لا يدرى انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما مثل حمزة وعمارة وطلحة وعنبسة وقال
عليه الصلوة والسلام انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسمائكم ومن كان له اسم يكره يستحب
تبديله بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله قال ابو هريرة كان اسم زينب برة فقال عليه الصلوة
والسلام اسمها برة تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك قد ورد النهي في تسمية افلح وبركة لانه يقال اثم بركة فيقال
لا **الادب الرابع** العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا باس بالشاة ان يكون ذكرا او انثى روت
عايشة رضي الله عنها ان النبي عليه الصلوة والسلام امر في الغلام بشاتين مكافئتين وعن الجارية بشاة وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه عق عن الحسن رضي الله عنه بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال عليه الصلوة
والسلام مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بزنة شعره ذهبا او فضة
فقد ورد فيه خبر انه عليه الصلوة والسلام امر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع الحسين رضي الله عنه ان يحلق شعره
ويتصدق بزنته فضة وقالت عايشه لا يكسر للعقيقة عظم **الادب الخامس** ان يحنكه بتمرة او حلاوة روي
عن اسما انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقبا ثم اتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة
فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شئ دخل جوفه ريق النبي صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه
وكان رضي الله عنه اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانه قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم
الثاني عشر في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله سبحانه وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل
ومهما طلقها فقد اذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة من جانب المؤذي قال الله تعالى فان
اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة الفراق فان كرهها ابوه فليطلقها قال ابن عمر كان تحتي امراة
احبها وكان ابي يكرهها ويامرني بطلاقها فراجعت رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال يا ابن عمر طلق امراتك

عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر رضي الله عنهما ومهما اذت زوجها
وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا
يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة مهما بذت على اهل زوجها او آذت زوجها فهي فاحشة وهذا اريد به
في العدة ولكن تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل ان ياخذ
منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها ونوع تجارة على البضع قال الله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت
به فرد ما اخذته فما دونه لايق بالفدا فان سالت الطلاق بغير ما باس فهي اثمة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة
سالت زوجها طلاقها من غير ما باس لم ترح رايحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة حرام عليها وقال عليه الصلوة والسلام
المختلعات هن المنافقات ثم ليراعي الزوج في الطلاق اربعة امور **الاول** ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه
فان الطلاق في الحيض او في الطهر الذي جامعها فيه بدعي حرام وان كان واقعا بما فيه من تطويل العدة عليها
فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر زوجته في الحيض قال عليه الصلوة والسلام لعمر مره فليراجعها حتى تطهر
ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النسا وانما
امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط **الثاني** ان يقتصر على طلقة
واحدة ولا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في
العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة
وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اياها اعني زوجة المحلل
بعد ان تزوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من
غير محظور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعاني واعني بالكراهة تركه النظر لنفسه **الثالث**
ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر
لما فجعها به من اذى الفراق قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسلم لها مهر في اصل النكاح كان
الحسن بن علي مطلاقا منكاحا ووجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امراتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا
وامره ان يدفع الى كل واحدة منهما عشرة الاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا قال اما احديهما
فنكست راسها وسكتت واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق
الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امراة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن
بن الحارث بن هشام فقيه المدينه ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عايشة رضي الله عنها
حيث قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام رضي الله عنه فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه وقال
الا ارسلت الي فكنت اجيئك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن
ثم رفع راسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني
يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها فان فعلت خشيت ان يتغير قلبي
في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها
زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج من عنده وقيل انه قال وهو يمشي ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا
في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق
فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان وقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر بذلك

انيك

عليا رضي الله عنه فقال ولو كنت بوابا على باب الجنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام فهذا تنبيه على ان من طعن في جبيه
من اهل او ولد لنوع حياء فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر
لقلبه واوفق لباطن رايه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله تعالى الغنى في الفراق والنكاح
جميعا فقال تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع
عليم وقال سبحانه وتعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته **الرابع** ان لا يفشي سرها لا في النكاح ولا بعد
الفراق فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم وقيل لصالح وقد اراد طلاق امراته ما الذي يريبك
منها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامراة غيري فهذا بيان ما على الزوج
من حقوق امراته **القسم الثاني** من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشامل الشافي منه ان النكاح
نوع رق وهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق
الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل خرج
الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تستاذن النزول الى ابيها فقال عليه الصلوة والسلام اطيعي زوجك فمات فاستامرت فقال صلى الله
عليه وسلم اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها فاخبرها ان الله قد غفر لابيها بطاعتها
لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت
جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر عليه الصلوة والسلام النساء فقال حاملات والدات مرضعات
رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال عليه الصلوة والسلام اطلعت في النار
فاذا اكثر اهلها النساء فقيل لم يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام تكثرن اللعن وتكفرن العشير يعني الزوج
المعاشر وفي خبر اخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران
يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عايشة رضي الله عنها اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله
اني فتاة اخطب واني اكره التزوج فما حق الزوج على المراة فقال عليه الصلوة والسلام لو كان من فرقه الى قدمه صديد
فلحسته ما ادت شكره او حقه قالت فلا اتزوج فقال عليه الصلوة والسلام بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس رضي الله
عنهما اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج فقال
عليه الصلوة والسلام ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر قتب ان لا تمنعه ومن حقه
ان لا تعطي شيا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا
باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة
حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها
والولد لابيه من عظم حقهما عليهما وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما تكون المراة من وجه ربها عز وجل اذا كانت في
قعر بيتها فان صلوتها في صحن دارها افضل من صلوتها في المسجد وصلوتها في بيتها افضل من صلوتها في صحن دارها
وصلوتها في مخدعها افضل من صلوتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم للمراة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج
عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة
والستر والاخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف
كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امراته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الضر والجوع ولا نصبر على النار

ادخلي

وهم رجل من السلف على السفر وكره جيرانه ذلك وقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي
منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل
احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لا اشغل
بحالي منك وما لي غرض شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا عن زوجي فاردت ان انفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون
لي طريقا الى الله عز وجل فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمن قال وكان ينهاني عن التزوج ويقول ما تزوج احد
من اصحابنا الا وقد تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله تعالى هذا كلام الصديقين فتزوجها وكان
في منزلها كر من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا ممن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها
ثلث نسوة وكانت هي تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه
في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة رضي الله عنها ومن الواجبات عليها ان لا تفرط في ماله بل تحفظ عليه قال
صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده فان اطعمت عن
رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر **ومن حقها** على الوالدين تعليمها حسن
المعيشة واداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها انك خرجت من العش الذي
فيه درجت وصرت الى فراش لا تعرفينه وقرين لا تالفينه فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا
وكوني له امة يكن لك عبدا ولا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان ناى فابعدي عنه
واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا يرى الا جميلا وقال رجل لزوجته خذي العفو
مني تستديمي مودتي • ولا تنطقي في سورتي حين اغضب • ولا تنقريني نقرك الدف مرة • فانك لا تدرين كيف المغيب •
فاني رايت الحب في القلب والاذى • اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب **القول الجامع** في اداب المراة من غير تطويل
ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا تكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا
في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله وما
تخرج من بيتها الا باذنه ثم تخرج متخفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة
من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا يتعرف الى صديق زوجها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها
همتها صلاح شانها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها اذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل
حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله تعالى وتقدم
حقه على حقها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال كلها ليستمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها
حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج قال صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعاء الخدين
كهاتين امراة امت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا او ماتوا وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله على كل
ادمي الجنة ان يدخل قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادر الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد
هذه امراة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك
ومن ادابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها بقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا
انا بامراة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله
فقالت يا هذا اسكت اسات في قولك فلعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي اسات فيما بيني وبين
خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني وقال الاصمعي ايضا رايت في البادية امراة وعليها قميص
احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت ولله مني جانب لا اضيعه وللهو مني والبطالة جانب

في الجنة

فقال فعلمت انها امراة صالحة لها زوج تتزين له **ومن آداب المراة** ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع
الى اللعب والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال روي عن معاذ بن جبل قال قال
صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك
دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها من حقوق النكاح انه اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من
اربعة اشهر وعشرا وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفين بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست
به عارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامراة تؤمن
بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت اكثر من ثلثة ايام الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن
النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة ومن آدابها ان تقوم بكل خدمة في الدار
تقدر عليها فقد روي عن اسماء بنت الصديق رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال
ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه
واستقي الماء واخرز غربه واطحن الشعير واعجن وكنت انقل النوى على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادمة
وكفتني سياسة الفرس وكانما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال
عليه الصلوة والسلام اخ اخ لينيخ ناقته ليردفني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان
اغير الناس فعرف عليه الصلوة والسلام اني قد استحييت فجئت الى الزبير فحكيت له ما جرى فقال والله لنقل النوى على راسك
اشد علي من ركوبك معه تم كتاب اداب النكاح بحمد الله ومنه وحسن هدايته وتوفيقه والحمد لله حق حمده

كتاب آداب الكسب والمعاش وهو كتاب الثالث من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمد موحد انمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق فتلاشى ونمجده تمجيد
من يصرح بان كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
ولا فراشا نشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا لهم وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل
لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضرعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله
الذي يصدر المؤمنون من حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا
وانكماشا وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان رب الارباب الواحد الوهاب ومسبب الاسباب جعل الاخرة دار
الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد
دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الاخرة ومدرجة اليها والناس ثلثة رجل
شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال
هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد ما لم يلازم في طلب المعيشة
منهج السداد ولن ينتهض طلب الدنيا وسيلة الى الاخرة وذريعة ما لم يتادب في طلبها باداب الشريعة وها نحن
نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتساب وسننها ونشرحها في خمسة ابواب **الباب الاول** في فضل
الكسب والحث عليه **الباب الثاني** في علم صحيح البيع والشرى والمعاملات **الباب الثالث** في بيان العدل في المعاملة
واجتناب الظلم **الباب الرابع** في بيان الاحسان فيها **الباب الخامس** في شفقة التاجر على دينه **الباب الاول**
في فضل الكسب والحث عليه اما من الكتاب فقد قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان
وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان

تبتغوا

تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال
عليه الصلوة والسلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهداء وقال عليه الصلوة والسلام من طلب
الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان
صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا
لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال عليه الصلوة والسلام لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها
عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم
فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال عليه الصلوة والسلام ان الله يحب العبد
يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر ان الله يحب المؤمن المحترف
وقال عليه الصلوة والسلام احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر احل ما اكل العبد من كسب يد الصانع
اذا نصح وقال عليه الصلوة والسلام عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى عليه السلام
راى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد قال فمن يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال النبي عليه الصلوة والسلام
اني لا اعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم
عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطا عنها فاتقوا الله واجملوا في
الطلب امر عليه الصلوة والسلام بالاجمال في الطلب ولم يقل عليه الصلوة والسلام اتركوا الطلب ثم قال عليه الصلوة
والسلام في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله فان الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصيته
وقال عليه الصلوة والسلام الاسواق موائد الله تعالى فمن اتاها اصاب منها وقال عليه الصلوة والسلام لان ياخذ
احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من ان ياتي رجلا اعطاه الله من فضله فيساله اعطاه او منعه وقال عليه الصلوة
والسلام من فتح على نفسه بابا من السوال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر **واما الاثار** فقد قال لقمن لابنه وهو يعظه
يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه وضعف في
عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق
ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت
استغن عن الناس يكن اصون لدينك واكرم لك عليهم اما سمعت صاحبكم كيف قال احيحة بن الجلاح • فلن ازال على الزوراء
اعمرها • ان الكريم على الاخوان ذو المال • وقال ابن مسعود اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دينه ولا في امر دنياه وسئل
ابرهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه
الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والاعطاء فيجاهده وخالفه الحسن في هذا وقال عمر رضي الله عنه
ما من موضع ياتيني الموت فيه احب الي من موطن اسوق فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل
يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سوال الناس وجاءت ريح عاصفة
في البحر فقال اهل السفينة لابرهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ما هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس
وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد رضي الله عنه ما تقول
فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله عليه الصلوة والسلام حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح
بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان الصحابة يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم ثم قال والقدوة بهم

وقال ابو قلابه لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقي ابرهيم ابن ادهم
وعلى راسه حزمة حطب فقال يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني من هذا يا ابا عمرو فانه بلغني ان من وقف
موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمن ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت
لك ولكن ابدا برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وقال معاذ رضي الله عنه ينادي يوم القيمة اين بغضاء الله في ارضه
فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه
من ذلك الا الكسب والتجارة **فان قلت** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين
ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا
فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامر المسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا **فالجواب** ان
وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة اما
ان يطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره
لا للصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها راس كل خطيئة فان كان مع ذلك
خائنا فهو ظلم وفسق وتعد فهذا ما اراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا فاراد بالتاجر ههنا طالب الزيادة فاما
اذا طلب بها الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان
لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب ايضا افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله ومنادي
بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية الزائدة عن الفرائض
وترك الكسب افضل لاربع عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات
او عالم يشتغل بتربية علم الظاهر بما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل
بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة
للمصالح والاوقاف المسبلة على الفقراء والعلماء فاقبالهم على ما هم عليه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي عليه عليه السلم
ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان يكون من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني الاربعة الى زيادات
لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة الى ابي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان يشغله ذلك
عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال المصالح وراى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه
راه في الابتدا اولى ثم لهؤلاء الاربع حالتان اخريان احدهما ان يكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس
وما يتصدق به عليهم من زكوة او صدقة من غير حاجة الى سوال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة
الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم او فضل لهم الحالة الثانية الحاجة الى السوال وهذا في محل النظر
والتشديدات التي رويناها في السوال وذمه تدل ظاهرا على ان التعفف عن السوال اولى واطلاق القول فيه من
غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى في السوال
من المذمة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب
شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم والعمل ويهون عليه بادنى تعريض في السوال تحصيل الكفاية وربما
يكون بالعكس وربما تتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى
لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال فقد كان في السلف من كان له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد في
ليلة ومن له ثلثون فكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منه من قبولهم لمبراتهم وكان قبولهم لخيراتهم
خيرا لهم مضافا الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الاخذ كاجر المعطي مهما كان الاخذ يستعين به

على الدين والمعطي يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو
الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن للعقد الذي به الاكتساب جامعا لاربعة امور
الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدي بذكر اسباب الصحة في الباب الثاني

بلغ المقابلة

الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربوا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع
في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب
العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب فقد
وقف على مفسدات المعاملات فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقف على سبب اشكالها فيتوقف فيها
الى ان يسال فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسوال ولو قال لا اقدم العلم
ولكني اصبر الى ان يقع لي الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات
العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح من المحظور
وموضع الاشكال من موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار
بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من تفقه والا اكل الربوا شاء ام ابى وعلم العقود كثيرة ولكن هذه العقود الستة
لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربوا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها بعون الله تبارك وتعالى
العقد الاول البيع وقد احله الله عز وجل وله ثلثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ **الركن الاول** العاقد ينبغي
للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى فالصبي غير مكلف وكذا المجنون فبيعهما باطل
ولا يصح بيع الصبي وان اذن له فيه الولي عند الشافعي وما اخذ منهما فهو مضمون عليه لهما وما سلم في المعاملة
اليهما فضاع في ايديهما فهو المضيع له واما العبد البالغ العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال
والخباز والقصار والقصاب ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بان يسمعه منه صريحا
او ينتشر في البلد انه ماذون له في الشري والبيع لسيده فيعول على الاستفاضة او على قول عدل مخبر بذلك فان عامله بغير
اذن سيده فعقده باطل وما اخذ منه مضمون عليه لسيده وما سلم ان ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده
بل ليس له المطالبة به الا اذا اعتق فاما الاعمى فانه ان باع واشترى ما لا يراه فلا يصح فليامره ان يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له
ويبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه مضمون عليه بقيمته وما سلم اليه ايضا مضمون
له بقيمته واما الكافر فيجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا الامة المسلمة ولا السلاح
ان كان من اهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه عز وجل واما الجندية من الاتراك والتركمانية
والاعراب والسراق والاكراد والخونة واكلة الربوا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ايضا ان يتملك ما في ايديهم
شيئا لاجل انه حرام الا اذا عرف شيئا بعينه انه حلال وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام ان شاء الله **الركن
الثاني** في المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد العاقدين الى الآخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة امور مشروطة
الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب ولا خنزير ولا بيع زبل ولا عذرة ولا بيع العاج ولا الاواني المتخذة منه فان
العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح فلا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من
الحيوانات التي لا تؤكل وان كان يصلح للاستصباح او طلاء السفن ولا باس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس
بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل فهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع
بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى
بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حال الحياة **الثاني** ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات والفارة والحية ولا النفا

الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق في اخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل
وبيع الفهد والاسد وكل ما يصلح للصيد او ينتفع بجلده الا الكلب والخنزير او ما تولد من احدهما او منهما ويجوز
بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الطوطي وهي الببغا والطاوس والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج
باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتني اعجابا بصورته لنهيه عليه الصلوة
والسلام عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فانه لا منفعة فيها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين
كالحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا واما صور الاشجار يتسامح بها واما الثياب
والاطباق التي عليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها
اتخذي منها نمارق فلا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع بها من وجه صح البيع لذلك
الوجه الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او مأذونا له فيه من جهة المالك فلا يجوز ان يشتري من غير المالك
انتظارا لاذن المالك بل لو رضي بعد ذلك وجب استيناف العقد فلا ينبغي ان يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من
الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف لرضي به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وامثال
ذلك مما يكثر في الاسواق فواجب على العبد المتدين ان يحترز منه **الرابع** ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه
شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك
بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه
شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد
دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع **الخامس** ان يكون المبيع معلوم العين والقدر
والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه
الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس وخذه من اي جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذ من
اي طرف شئت فالبيع باطل فكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان يبيع شايعا مثل ان يبيع نصف الشيء
او عشره فان ذلك جايز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل والوزن او النظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب
بما باع به فلان ثوبه وهما لا يعلمان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم يكن الصنجة معلومة
ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك بهذه الصنجة الصبرة من الدراهم او بهذه القطعة من الذهب وهو
يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الاعيان ولا يصح
بيع الغايب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان بهذا استدل المذهب
ولا يجوز بيع التوزي في المسوح اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الارز في قشرته التي يدخر فيها
وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع الباقلي الرطب في قشريه للحاجة ويتسامح في
بيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ولكن يجعله اباحة بعوض فلو اشتريه ليبيعه فالقياس بطلانه فانه ليس مستترا
خلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ في اخراجه افساده كالرمان وما يستتر خلقة **السادس** ان يكون المبيع مقبوضا ان
كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي
فيه العقار والمنقول وكل ما اشتريه وباعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض
ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله فاما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة
فهو جايز قبل القبض **الركن الثالث** لفظ العقد فلا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم
اما صريحا او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصدا به البيع فانه قد يحتمل الاعارة

اذا كان في

اذا كان في ثوبين او دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل
ايضا فيما تختاره ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرط على خلاف مقتضى العقد ولو شرط ان يزيد شيئا آخر او ان يحمل
المبيع الى داره او اشترى الحطب بشرط النقل الى بيته فكل ذلك فاسد الا اذا فرد استيجاره على النقل باجرة معلومة
عن الشرى للمنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطات بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد بيع عند الشافعي اصلا
وينعقد عند ابي حنيفة ان كانت في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسر فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس
في المحقرات في المعاطات اذ يتقدم الدلال الى البزاز باخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله الى
المشتري ويعود اليه انه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فياخذ من صاحبه العشرة ويسلمها الى البزاز فياخذه ويتصرف فيه
ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب ولا قبول اصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض
متاع قيمته مائة دينار مثلا فمن يريد يقول هذا علي بتسعين ويقول الآخر بخمسة وتسعين ويقول الآخر بمائة فيقال له
زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير ايجاب وقبول وقد استمرت به العادة وهذا من المعضلات التي ليست تقبل
العلاج اذ الاحتمالات ثلثة اما فتح باب من المعاطات مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه الحكم بنقل الملك
من غير لفظ دال عليه وقد احل الله تعالى البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولم يطلق اسم البيع على مجرد
فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة
وما يكثر التنازع فيه اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت وما بعته اذ لم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس بيع
الاحتمال الثاني ان يسد الباب مطلقا كما قاله الشافعي من بطلان العقد وفيه اشكال من وجهين احدهما انه
يشبه ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمان الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز
والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة فان
الاعصار في مثل هذا يتفاوت الوجه الثاني ان الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الانسان شيئا من الاطعمة
وغيرها الا ويعلم ان البايع قد تملكه بالمعاطات فاي فايدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك الاحتمال الثالث
ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير
لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج الى تخريج قول للشافعي على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا باس لو ملنا
اليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بان ذلك معتاد في الاعصار الاولة **فاما الجواب**
عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها وليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن
بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شرى البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي ذكرناها
التي لا يعتاد فيها الا المعاطات وطالب الايجاب والقبول فيها يعد مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل
وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير لا وزن له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات
والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيه وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها هي
في محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع مما يعلم بالعادة وكذلك ينقسم الى
اطراف واضحة واوساط مشكلة واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل باليد اخذا وتسليما
سببا اذ اللفظ لم يكن سببا بعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم
اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف
فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم تفرق
في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات

هذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف
ولا ينبغي ان يمتنع بان البايع قد تملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرفه تحقيقا فربما اشتراه بايجاب وقبول
فان كان حاضرا عند شرائه واقر البايع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشئ محتقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ
فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن **فان قلت**
ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يقنعون بالمعاطات
في البيع والشرى او سمع ذلك منهم او يرى هل يجب عليه الامتناع من الاكل **فاقول** يجب عليه الامتناع من الشرى
اذا كان ذلك الشئ الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب عليه الامتناع منه فاني
اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان لا نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع
وامر نقل الملك اضيق وكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البايع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن
الحمامي في دخول الحمام واذن البايع في الاطعام ايضا لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال ابحت لك ان تاكل هذا
الطعام او تطعم من اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه حل الاكل ويلزمه الضمان
بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطات اكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته
والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه ومهما عجز عن مطالبة من عليه وان
كان قادرا على مطالبته فانما لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان يصرفها الى دينه فعليها
المراجعة واما هاهنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضا
بان يستوفي دينه مما يسلم اليه فياخذه بحقه لكن على كل الاحوال كلها جانب البايع اغمض لان ما فداخذه فقد
يريد الملك فيه ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك الا اذا تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف
قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول فاما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد
الا الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساق هذا ان الضيف يضمن
ما اتلفه وانما يسقط الزمان عنه اذا تملك البايع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا
ما نراه في قاعدة المعاطات على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها فلا يمكن بناء الفتوى
الا على مثل هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواقع الشبهة **العقد الثاني عقد الربوا** وقد
حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه فيجب الاحتراز منه على الصيارفة والمتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين
على الاطعمة اذ لا ربوا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة ان لا يبيع شيئا
من جوهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة
الذهب الى دار الضرب وشرى الدنانير المضروبة به حرام من حيث النسا ومن حيث ان الغالب انه يجري فيه تفاضل
اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فليحترز منه في ثلثة امور في بيع المكسور بالصحيح فلا يجوز المعاملة
فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه
في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حجر في الفضل والثالث في
المركبات من الذهب والفضة فالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم يصح المعاملة
عليه اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم
المغشوشة بالنحاس ان لم يكن رايجة في البلد لم يصح المعاملة عليها لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان
كان نقدا رايجا في البلد رخصنا في المعاملة رخصنا فيها لاجل الحاجة والخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا يقابلها

بالنقرة

بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب او فضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشترى
بمتاع اخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود
عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما هو ازيد من عين النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشترى
قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيع ذلك بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب
يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم
التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشتري او لم يختلف وان اختلف الجنس فعليهم التقابض ومراعاة
المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم نقدا او نسية فهو حرام ومعاملة الخباز
بان نسلم اليه الحنطة ويشتري به الخبز نسية او نقدا فهو حرام ومعاملة العصار بان يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون
او غير ذلك ليوخذ منه الادهان وهو حرام وكذا اللبان يعطي اللبن ليوخذ منه الجبن والسمن والزبد وساير اجزاء اللبن
فهو حرام ايضا فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومماثلا وكل ما يتخذ من الشئ فلا يجوز ان يباع
به منه متماثلا ولا متفاضلا فلا تباع الحنطة بدقيق ولا بسويق ولا خبز ولا العنب والتمر بدبس ولا بخل ولا عصير
ولا اللبن بسمن ولا زبد ولا بمخيض ولا مصل ولا جبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع
الرطب بالرطب والعنب بالعنب متماثلا ولا متفاضلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر
بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه فاذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربوا والحرام
وهو لا يدري **العقد الثالث السلم** فليراع التاجر فيه عشره شروط **الاول** ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر
تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال بمثله بعده فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في اصح القولين
الثاني ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم **الثالث** ان يكون المسلم فيه مما
يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والقطن والمعادن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين
واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما يختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمولة والخفاف والنعال
المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة
الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه **الرابع** ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف
يتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن الناس بمثله الا ذكره فان ذلك الوصف هو القايم مقام الروية في البيع **الخامس**
ان يجعل الاجل معلوما ان كان موجلا فلا يوجل الى الحصاد والى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك
قد يتقدم ويتاخر **السادس** ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويومن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي ان يسلم
في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا ساير الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب افة فله
ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء **السابع** ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به لئلا يثير
ذلك نزاعا **الثامن** ان لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا الزرع او ثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم
لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك **التاسع** ان لا يسلم في شئ نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز
مثلها او جارية حسناء معها ولدها وغير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا **العاشر** ان لا يسلم في طعام مهما كان راس المال
طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربوا **العقد الرابع الاجارة**
ولها ركنان الاجرة والمنفعة فاما العقد واللفظ يعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلوما
وموصوفا بكل ما شرطناه في البيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه
عن امر جرت العادة به وهو كراء الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري

ان يصرفها الى العمارة لم يجز لان عمله فى الصرف الى العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد
السلخ واستيجار حمال الجيفة بجلد الجيفة واستيجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل
ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر فى اجارة الدور والحوانيت
مبلغ الاجرة ولو قال لكل شهر دينار ولم يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم ينعقد الاجارة **الركن الثانى**
المنفعة المقصودة بالاجارة وهى العمل وحده ان كان عملا مباحا معلوما يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير
عن الغير فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا
القول فيها فى الفقهيات وانما نشير ههنا الى ما يعم به البلوى فليراع فى العمل المستاجر عليه خمسة امور **الاول**
ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان واشجارا لتجفيف الثياب عليها
او دراهم ليتزين الدكان بها لم يجز فان هذه المنافع تجرى مجرى حبة سمسم وحبة بر من الاعيان وذلك لا يجوز
بيعها ولهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذ البياعون عوضا عن جاههم وحشمتهم
وقبول قولهم فى ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم اذا تعبوا اما
بكثرة التردد واما بكثرة الكلام فى تاليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطا عليه الباعة فهو
ظلم وليس ماخوذا بالحق **الثانى** ان لا يتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه
ولا اجارة المواشى للبنها واجارة البساتين لثمارها ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا للحضانة لان افراده
غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما **الثالث** ان يكون العمل مقدورا
على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الاخرس على التعليم وغيره وكل ما يحرم فعله
فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لا يرخص الشرع فى قطعه او استيجار الحايض على كنس
المسجد او المعلم على تعليم السحر والفحش او استيجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها او استيجار المصور
لتصوير الحيوانات او استيجار الصايغ على صبغة الاوانى من الذهب والفضة فكل ذلك باطل **الرابع** ان لا يكون
العمل واجبا على الاجير او لا يكون بحيث لا تجزى النيابة فيها عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى ساير العبادات
التى لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك عن المستاجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور وحمل الجنايز ودفن الموتى
وفى اخذ الاجرة على امامة فى صلوة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدى للتدريس او اقراء القران خلاف واما الاستيجار
على تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة معينة لشخص معين فصحيح **الخامس** ان يكون العمل والمنفعة معلومين فالخياط
يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة
وكل ما يثير خصومة فى العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا ههنا هذا القدر ليعرف به جليات
الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسئل فان الاستقصا شان المفتى لا شان العوام **العقد الخامس القراض**
فليراع فيه ثلثة اركان **الركن الاول** راس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض
على الفلوس ولا على العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لان قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط
المالك لنفسه لم يجز لانه يضيق طريق التجارة **الركن الثانى** الربح وليكن معلوما بالجزوية بان يشرط له الثلث او
النصف او ما شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقى لى لم يجز اذ ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره
بمقدار معين بل بمقدار شايع **الركن الثالث** العمل الذى على العامل وشرطه ان تكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين
وتاقيت فلو شرط ان يشترى بالمال ماشية لياخذ نسلها فيتقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح
لم يصح لان القراض ماذون فيه فى التجارة وهو البيع والشرى وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف اعنى الخبز ورعاية

المواشى ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشترى الا من فلان او لا يتجر الا فى الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد
العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ
فى حالة والمال كله نقد لم يخف وجه القسمة وان كان عرضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرده الى النقد
لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا فان قال العامل ابيعه وابى المالك فالمتبوع راى المالك الا اذا وجد العامل زبونا
يظهر بسببه ربح على راس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار راس المال بجنس راس المال لا بنقد آخر حتى يتميز
الفاضل ربحا فيشترك فيه وليس عليه بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهم تعرف قيمة المال
لاجل الزكوة فاذا كان قد ظهر من الربح شىء فالاقيس ان زكوة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور
وليس للعامل ان يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته ولكنه يضمن الاعيان والاثمان
جميعا لان عدوانه بالنقل يتعدى الى ثمن المنقول وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض
كما ان نفقة الوزن والكيل والحمل الذى لا يعتاد التاجر مثله على راس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد
فليس له ان يبذل عليه اجرة وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد وليس عليه اجرة الحانوت ومهما تجرد فى السفر لمال
القراض فنفقته فى السفر على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا الات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما
العقد السادس الشركة وهى اربعة انواع ثلثة منها باطلة **الاول** شركة المفاوضة وهو ان يقولا تفاوضنا لان
نشترك فى كل ما لنا وعلينا ومالاهما ممتازان فهى باطلة **والثانى** شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك فى اجرة
العمل وهى باطلة ايضا **والثالث** شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما شوكة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ
ومن جهة غيره العمل فهى ايضا باطلة **وانما الصحيح** النوع الرابع المسمى شركة العنان وهو ان يختلط مالاهما بحيث يتعذر
التمييز الا بقسمة وياذن كل واحد منهما لصاحبه فى التصرف ثم حكمها توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان
يتغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة
على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم
الحرام من حيث لا يدرى **واما معاملة** القصاب والخباز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيها
من ثلثة اوجه من اهمال شروط البيع واهمال شروط السلم والاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبة الخطوط
على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة فى كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضى وذلك مما نرى القضاء باباحته
للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن يجب الضمان باكله ويلزم قيمته يوم الاتلاف
فيجتمع فى الذمة تلك القيم فاذا وقع التراضى على مقدار ما فينبغى ان يلتمس منهم الابراء المطلق حتى لا يبقى بعده عهدة
ان تطرق اليه تفاوت فى التقويم فهذا ما يجب القناعة به فان تكليف وزن الثمن لكل واحد من الحوايج فى كل يوم وكل
ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الايجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير من ذلك فيه عسر واذا كثر كل نوع سهل
تقويمه **الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة** اعلم ان المعاملة قد يجرى على وجه
يحكم المفتى بصحتها وانعقادها ولكنها يشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله اذ ليس كل نهى مقتضيا فساد العقد
وهذا الظلم نعنى به ما يستضر به الغير وهو ينقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل **القسم الاول فيما يعم ضرره** وهو انواع
الاول الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم فى الشرع قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم يكن صدقته كفارة لاحتكاره وروى ابن عمر رضى الله عنهما
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برى من الله وبرى الله منه وقيل فكانما قتل نفسا وعن على
ابن ابى طالب رضى الله عنه انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه وعنه رضى الله عنه انه احرق طعام محتكر بالنار

ما روي في فضيلة ترك الاحتكار روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جلب طعامًا فباعه بسعر يومه فكانما
تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار
من الظلم وداخل تحته بالوعيد وروي عن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله
بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق ذلك سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته الى جمعة ربحت
فيه اضعافا فاخره فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك وكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير
مع سلامة ديننا وانك خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك
كتابي فخذ المال كله وتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من اثم الاحتكار كفافا لا علي ولا لي واعلم ان النهي مطلق
ويتعلق النظر به في الوقت والجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات اما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية
والعقاقير والطيب والزعفران وامثاله لا يتعدى النهي اليه وان كان مطعومًا واما ما يعين على القوت فكاللحم
والفواكه وما يسد مسدًا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا تمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من
طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وغير ذلك مما يجري مجراه واما الوقت فيحتمل ايضا طرد
النهي في جميع الاوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل ان
يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر ما واما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى
الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار واذا كان
الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه ونعول في نفي التحريم
واثباته على الاضرار فانه مفهوم قطعًا من تخصيص الطعام واذا لم يكن اضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه
ينتظر مبادي الاضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار
عين الضرار ايضا هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة
في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت قوامًا والربح من المزايا الكبار فينبغي ان يطلب الربح
فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة بالخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين
ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلا وموت الناس والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة
تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة **النوع الثاني** ترويج الزيف من الدراهم في اثناء النقد
فهو ظلم اذ يتضرر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فيروجه على غيره وكذا حال الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي
ويعم الضرر به ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعًا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيئا وقال
بعضهم انفاق درهم زايف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف
بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزره بعد موته الى مائة سنة او مائتين او اكثر الى
ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه وزر ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل
لمن يموت وتبقى ذنوبه بعده مائة سنة او مائتين او اكثر يعذب بها في قبره ويسال عنها الى انقراضها قال الله تعالى ونكتب
ما قدموا وآثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ
بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم ان في الزيف خمسة امور **الاول** انه اذا رد عليه
شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع اخر وان افسده بحيث لا يمكن
التعامل به جاز **الثاني** انه يجب على التاجر تعلم علم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا يسلم الى مسلم زايفا وهو لا يدري

فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم ولكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون
علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم **الثالث** انه ان سلم وعرف انه زايف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا
ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذي
يخص معامليه فقط **الرابع** انه ان اخذ الزايف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا سهل البيع سهل
الشرا سهل القضا سهل الاقتضا فهو داخل في بركة هذا الدعا ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازما على ان
يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضا **الخامس**
ان الزايف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان
مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك
نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان
في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقص البلد فعليه ان يخبر معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج
في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن
يعلم انه يتخذ منه الخمر وذلك محذور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة
اشد على النفس من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من
المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى يروى عن بعض الغزاة في سبيل الله تعالى انه قال حملت
على فرسي لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنى مني العلج فحملت ثانية فقصر بي فرسي ثم حملت الثالثة
فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج
ولما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قايم فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني
ويقول لي بالله عليك اردت ان تاخذ علي العلج ثلث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه
درهما زائفا لا يكون هذا ابدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم
ضرره وليقس عليه امثاله **القسم الثاني** ما يخص ضرره المعامل فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل
ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به لشق عليه وثقل به
قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم
وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانق فانه ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب
لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها ولا خفايا
صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه
اما الاول فهو ترك الثناء وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل المشتري فهو تلبيس وظلم
مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروة وان اثنى
على السلعة بما فيها فهو هذيان وان تكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها قال الله
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصف
من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكرا لقدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب ولكن
قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته فلا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا
فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لايمانه
وقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله تعالى من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله لا والله

ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله تعالى اليهم يوم القيمة عائل مستكبر ومنان بعطيته
ومنفق سلعته بيمينه فاذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق
ولا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد روي عن يونس ابن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشرا فاخرج غلامه
سفط الخز فنشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان
يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم بل علموا
ان ربح الاخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا **الثاني** ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم شيا منها
فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما
اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا
عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه
فادخل يده فيه فراى بللا قال عليه الصلاة والسلام ما هذا فقال اصابته السما فقال عليه الصلوة والسلام هلا
جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم وكان جرير
اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هكذا
لم ينفذ لك بيع قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع
رجل ناقة له بثلثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال يا هذا
اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رايته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها
البايع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت على بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
النصح لكل مسلم فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم
ذلك الا تبيينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه المسلم الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضايل
وزيادة المقامات بل اعتقدوا انها من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعته وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك
يختارون التخلي بعبادة الله تعالى والانفراد عن الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة
لا يقوم بها الا الصديقون ولم يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد احد امرين احدهما ان تلبيسه للعيوب
وترويجه للسلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب بركته وما يجمعه من آفات التلبيسات يهلكه الله تعالى دفعة واحدة
فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيع فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده
ان تلك المياه المفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم
البايعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله
تعالى على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص مال من صدقة
ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا في الميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك
فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا والاخرة والالاف المؤلفة قد ينزع الله تعالى منها البركة
حتى يكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه اصلح له في بعض احواله فيعرف معنى قولنا
ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه
ان يعلم ان ربح الاخرة وغناها خير من ربح الدنيا فان فوايد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها

فكيف

فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله تعالى ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ آخر ما لم
يبالوا ما نقص من دنياهم مع سلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين
وفي حديث آخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان يحجزه عما حرم الله وقال صلى الله
عليه وسلم ما آمن بالقران من استحل محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله في تجارة
الاخرة لم يضيع راس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين انه قال لو دخلت
الجامع وهو غاص باهله وقيل لي من خير هؤلاء لقلت من هو انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من هو
شرهم قلت من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش حرام في البيوع والصنايع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون
الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها
عيب فبه يتخلص وسال رجل حذاء ابن سالم فقال له كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل
اليمنى على اليسرى وجود الحشو وليكن شيا واحدا تاما وقرب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على الاخرى ومن
هذا الفن ما سئل احمد رضي الله عنه عن الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وانما يحل للرفا اذا علم انه
يظهره او انه لا يريده للبيع **فان قلت** فلا يتم المعاملة مهما وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع **فاقول** ليس
كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله
له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بالتلبيس فمن تعود
هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرا اليك
من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت عندنا مرة دما فهكذا
كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الاخرة **الثالث** ان لا يكتم في المقدار
وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل
الحقيقي قل ما يتصور فيستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم
يقول لا اشتري الويل من الله تعالى بحبة وكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن يبيع
بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن
التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعوا معهم ويؤدي هو حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله
وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبا للتاجر
والبايع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمن عليه السلام لابنه كما تدخل الحبة بين حجرين كذلك تدخل
الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت
لي كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما وياخذ باخر اشار به الى ان فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد
والمسامحة والعفو فيه ابعد والتشديد في امر الميزان اعظم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة ابن مسعود
ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة
كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الايات
فان تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا بترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع اعماله فصاحب

الميزان فى خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين فى افواله وافعاله وخطراته وخطواته فالويل له ان عدل عن العدل
ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فبذلك يتفاوت
مدة مقامهم فى النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم الفا والوف سنين
فنسئل الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع
فيه فانه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة فى الدنيا على الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيمة
وكل من خلط بالطعام ترابا ثم كاله فهو من المطففين فى الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم يجر به العادة فهو من
المطففين فى الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى فى الذرع الذى يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب
فى وقت الذرع ولم يمد مدا واذا باعه مده فى المبيع والذرع ليظهر تفاوت فى القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض
صاحبه للويل **الرابع** ان يصدق فى سعر الوقت ولا يخفى منه شيئا فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تلقى الركبان
ونهى عن النجش اما تلقى الركبان فهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب فى سعر البلد قال صلى الله عليه وسلم لا تتلقوا
الركبان ومن تلقاه فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشرى منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبايع
الخيار وان كان صادقا ففى الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو
ان يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضرى اتركه عندى حتى اغالى فى ثمنه وانتظر
ارتفاع سعره وهذا فى القوت محرم وفى سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهى ولانه تاخير للتضييق على الناس
على الجملة من غير فايدة للفضولى المضيق واما النجش فهو ان يتقدم الى البايع بين يدى الراغب المشترى ويطلب السلعة
بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك رغبة المشترى فيها فهذا ان لم تجر مواطاة مع البايع فهو فعل حرام من صاحبه
والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففى ثبوت الخيار خلاف والاولى ثبوته لانه تغرير بفعل يضاهى التغرير فى المصراة
وتلقى الركبان فهذه المناهى تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البايع والمشترى فى سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه لما اقدم
على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكى عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام
بالسوس يجهز اليه بالسكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد اصابته آفة فى هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى
سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلثين الف درهم فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلثين الف درهم وخسرت
نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى بايع السكر فدفع اليه ثلثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت
لى فقال انى كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتنى الآن وقد طيبتها
لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحى منى فتركها الى فبكر اليه من الغد وقال
عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبى واخذ منه ثلثين الفا فهذه الاخبار فى المناهى والحكايات تدل
على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفى من البايع غلاء السعر ومن المشترى تراجع الاسعار
فان فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام على او بما اشتريته فعليه ان يصدق
من صدق ثم يجب عليه ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى الى اجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة
من صديقه او ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته فى الاستقصاء وانه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه
بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته والله اعلم

الباب الرابع فى الاحسان فى المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجرى من التجارة مجرى سلامة راس المال
والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجرى من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع فى معاملة الدنيا
براس ماله فكذا فى معاملات الآخرة فلا ينبغى للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان

ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذى من صفته انه ادق من الشعر واحد من السيف صح

فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى الى اجل وجب ذكره ولو اشترى صح

فقد قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال تعالى ان رحمة الله قريب
من المحسنين ونعنى بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب
العدل وترك الظلم وقد بيناه وينال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور **الاول** فى المغابنة فينبغى ان لا يغبن
صاحبه بما لا يتغابن به فى العادة فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع لا يراد الا للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما
ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لضرورة حاجته فى الحال
فينبغى ان يمتنع عن قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء على
ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن يروى انه كان
عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها اربع مائة وضرب قيمتها مائتان فمر الى الصلوة
وخلف ابن اخيه فى الدكان فجاء اعرابى وطلب حلة باربع مائة فعرض عليه حلة من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها
فاشتريها منه باربعمائة ومشى بها وهى على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال للاعرابى بكم اشتريت قال باربعمائة
قال لا يساوى اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تسوى ببلدنا خمسمائة وانا ارتضيتها فقال له يونس انصرف
فان النصح فى الدين خير من الدنيا وما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتى درهم وخاصم ابن اخيه فى ذلك وقال له اما استحيت
وما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له ما ترضاه
لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفى الحديث غبن المسترسل حرام وقال
الزبير بن عدى ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن يشترى لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم
وحرام وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقل ما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء سعر الوقت اما تصريحا
واما تعريضا وانما الاحسان المحض ما نقل عن السرى انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتبه فى روزنامجه وثلثة دنانير
ربحه وكانه راى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين دينارا فجاءه الدلال وطلب اللوز فقال
فقال بكم فقال بثلثة وستين دينارا فقال الدلال وكان ايضا من الصالحين قد صار اللوز بتسعين فقال السرى بل
عقدت مع الله تعالى عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلثة وستين دينارا فقال وانا عقدت بينى وبين الله تعالى ان لا
اغش مسلما ولست اخذ منك الا بتسعين فلا الدلال اشترى منه ولا هو باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين
فانه مع العلم بحقيقة الحال وروى عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه
فى غيبته شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابى المشترى طول نهاره حتى وجده وقال له ان
الغلام قد غلط فباعك ما يسوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت قال يا هذا وان رضيت فانا لا نرضى لك الا
ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلث خصال اما ان تاخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة
واما ان ترد شقتنا وتاخذ دراهمك فقال اعطنى خمسة فرد عليه خمسة دراهم فانصرف الاعرابى يسئل ويقول
من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذى نستسقى به فى البوادى اذا قحطنا فهذا احسان
فى ان لا يربح على العشرة الا نصف درهم او درهم على ما جرت به العادة فى مثل ذلك المتاع وفى ذلك المكان ومن
قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه يظهر البركة كان على رضى الله عنه يدور فى سوق
الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن
بن عوف رضى الله عنه ما سبب يسارك قال ثلث ما رددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فاخرت بيعه ولا بعت
بنسيئة وقيل انه باع الف ناقة فما ربح الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح منها الف درهم وربح من نفقته عليها ليومه
الف درهم **الثانى** فى احتمال الغبن فالمشترى ان اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن

الدلال

وبتساهل ويكون به محسنا وداخلا فى قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشرا فاما اذا اشترى من غنى
تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس بمحمود بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد وقد ورد فيه
حديث من طريق اهل البيت المغبون فى الشرا لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معوية بن قرة قاضى البصرة وكان من عقلا
التابعين كان يقول لست بخب والخب لا يغبننى ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن ابى يعنى معوية
بن قرة والكمال فى ان لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضى الله عنه فقال كان اكرم من ان يخدع واعقل من
ان يخدع وكان الحسن والحسين رضى الله عنهما وخيار السلف يستقصون فى الشرا ثم يهبون مع ذلك الجزيل من
المال وقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالى فقال ان الواهب يعطى فضله وان
المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلى وبصرى فلا امكن الغابن منه واذا وهبته فاعطى لله ولا استكثر
له شيئا **الثالث** فى استيفاء الثمن وساير الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال
والتاخير ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله امرا سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضا فليغتنم دعاءه صلى الله عليه وسلم وقال عليه
الصلوة والسلام اسمح يسمح لك وقال عليه الصلوة والسلام من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا
وفى لفظ آخر اظله الله عز وجل تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر عليه الصلوة والسلام رجلا كان مسرفا على
نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط قال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتيانى
سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفى لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله عز وجل فنحن احق بذلك منك فتجاوز
الله تعالى عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وسلم من اقرض دينارا الى اجله فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل
فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضى غريمه الدين لاجل
هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال عليه الصلوة والسلام رايت على باب الجنة مكتوبا الصدقة
بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر امثاله فقيل فى معناه ان الصدقة قد تقع فى يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل
ذل الاستقراض الا محتاج ونظر عليه الصلوة والسلام الى رجل يلازم رجلا بدين فاومى الى صاحب الدين بيده ضع
الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه فى الحال ولم يرهق الى طلبه فهو فى معنى المقرض
وروى ان الحسن باع بغلة له باربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشترى اسمح يا با سعيد فقال قد اسقطت
عنك مائة درهم ثم قال احسن يا با سعيد فقال قد وهبت لك مائة اخرى فقبض من حقه مائتى درهم فقال يا با سعيد
هذا نصف الثمن هكذا يكون الاحسان والا فلا وفى الخبر اذا اخذت حقك فى عفاف واف او غير واف يحاسبك الله
تعالى حسابا يسيرا **الرابع** فى توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضا وذلك بان يمشى الى صاحب الحق ولا
يكلفه ان يمشى اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه
ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما قدر عليه قال عليه الصلوة والسلام من
ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون
من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهم به اصحابه فقال عليه الصلوة والسلام دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام
بين المقرض والمستقرض فان الاحسان ان يكون الميل الاكثر من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن الغنى
والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذا ينبغى ان يكون الاعانة للمشترى اكثر فان البايع راغب عن السلعة يبغى ترويجها

والمشترى

والمشترى محتاج اليها هذا هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته فى منعه من تعديه
واعانة صاحبه اذ قال عليه الصلوة والسلام انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال عليه الصلوة
والسلام منعك اياه من الظلم نصرة له **الخامس** ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع
فلا ينبغى ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه المسلم قال عليه الصلوة والسلام من اقال نادما صفقته
اقاله الله عثرته يوم القيمة او كما قال **السادس** ان يقصد فى معاملته جماعة من الفقرا بالنسية وهو فى الحال عازم على
ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فقد كان فى صالحى السلف من له دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهولة فيه اسماء
من لا يعرف من الضعفا والفقرا وذلك ان الفقير كان يرى الطعام او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج الى خمسة
ارطال من هذا مثلا وليس معى ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار
من لم يكن يكتب اسمه فى الدفتر اصلا ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان تيسر لك فاقض والا فانت فى حل منه وسعة
فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقايم بذلك محيى لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن
دين الرجل وورعه ولذلك قيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه اثر قد
قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه فى الحضر واصحابه فى السفر ومعاملوه فى
الاسواق فلا تشكوا فى صلاحه وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد فقال ائتنى بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال
له عمر انت جاره الادنى الذى تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال فانت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم
الاخلاق فقال لا فقال عاملته بالدرهم والدينار الذى يستبين به ورع الرجل فقال لا فقال اظنك رايته قائما فى المسجد
يهمهم بالقران يخفض راسه طورا ويرفعه آخر فقال نعم قال اذهب فلست تعرفه فقال للرجل اذهب فائتنى بمن يعرفك

الباب الخامس فى شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته لا ينبغى للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده
فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح فى الاخرة لا يفى به ما يناله فى الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا
بالاخرة بل العاقل ينبغى ان يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض
السلف اولى الاشيا بالعاقل احوجه اليه فى العاجل واحوج شئ اليه فى العاجل احمده عاقبة فى الآجل وقال معاذ بن جبل
فى وصيته انه لا بد لك من نصيبك فى الدنيا فانت الى نصيبك فى الاخرة احوج فابدا بنصيبك من الاخرة فخذه فانك
ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اى لا تنس فى الدنيا نصيبك منها للاخرة فانها
مزرعة الاخرة وفيها تكسب الحسنات وانما يتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور **الاول** حسن النية والعقيدة
فى ابتداء التجارة فلينو به الاستعفاف عن السوال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين
وقياما بكفاية عياله ليكون بذلك من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لساير الخلق ما يحب لنفسه ولينو
اتباع طريق العدل والاحسان فى معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل ما يراه فى السوق فاذا
اضمر هذه العقايد والنيات كان عاملا فى طريق الاخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر فى الدنيا ربح فى الاخرة
الثانى ان يقصد القيام فى صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت
بطلت المعايش وهلك اكثر الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم على صنعة واحدة
لتعطلت البواقى وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتى رحمة اى اختلاف هممهم
فى الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هى مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين فى الدنيا
فليشتغل بصناعة مهمة ليكون فى قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما فى الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة
وتشييد البنيان بالجص وجميع ما وضع ليزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهى والآلات التى

تحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة
الصايغ مركب الذهب او خواتيم الذهب للرجال وكل ذلك من المعاصي والاجرة الماخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا
الزكوة فيها وان كنا لا نوجب الزكوة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وبكونها مهياة للنساء لا تلحقها
بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب
انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا
لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب
فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد
يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة السلعة هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب
وكرهوا شرى الحيوان للتجارة لان المشتري يكره قضاء الله سبحانه فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وخلق له
وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز منه عن دقايق الربوا عسير ولانه طلب لدقايق الصفات
فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقايق النقد وقلما
يسلم الصيرفي وان احتاط وكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح والدنانير الا عند الشك في جودته او عند ضرورة
قال احمد بن حنبل ورد نهي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير
دراهم ثم يشتري بالدراهم ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الي من البز
ان لم يكن فيها ايمان وقد روي خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث آخر لو تجر اهل الجنة لتجروا في البز ولو
تجر اهل النار لاتجروا في الصرف قيل وقد كان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز والتجارة والحمل والخياطة
والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب
الوراق قال لي احمد رضي الله عنه ما صنعتك قلت الوراقة فقال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك
ثم قال لي لا تكتب الا مواصفة واستثن الحواشي وظهور الاجزاء واربعة من ارباب الصنايع موسومون عند الناس
بضعف العقل الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطهم مع النساء والصبيان ومخالطة
ضعفاء العقول تضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها لعيسى عليهما السلام بحاكة فطلبت
الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها
وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان
وصلاة التراويح وان حكم بصحة الاستيجار على ذلك وكذا تعليم القران وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها
الى الآخرة فاخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الاخرة فلا يستحب ذلك **الثالث** ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق
الاخرة واسواق الاخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وقال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لاخرته فيلازم
المسجد ويواظب على الاذكار والاوراد وكان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم
وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار وآخره للاخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان
واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد في اول النهار وفي آخره ذكر
وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيء الاعمال وفي الخبر يلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلوة
العصر فيقول الله عز وجل وهو اعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله تبارك
وتعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج

عن مكانه ويدع كل ما كان فيه ما يفوته من فضيلة التكبيرة مع الامام في اول الوقت لا يوازنها الدنيا بما فيها ومهما
لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان بعض السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون الاسواق للصبيان
واهل الذمة وكانوا يستاجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في اوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وجاء في تفسير
قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين وكان احدهم اذا رفع المطرقة
او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلوة **الرابع** ان لا يقتصر
على هذا بل يلازم ذكر الله تعالى في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله تعالى في السوق بين الغافلين له فضل عظيم
كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كالمقاتل بين الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال
عليه الصلوة والسلام من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله تعالى له الف الف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم
يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله تعالى في السوق يجيء يوم القيمة له ضوء كضوء
القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله تعالى في السوق غفر الله تعالى له بعدد اهلها وكان عمر يقول اذا دخل
السوق يقول اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة
وصفقة خاسرة وقال ابو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الشيخ الجنيد رحمة الله عليه فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد
ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الشيخ كم ممن هو في
السوق حكمه ان يدخل المسجد وياخذ باذن بعض من في المسجد فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق
ووِرده كل يوم ثلثماية ركعة وثلثون الف تسبيحة قال فسبق الى وهمي انه يعني به نفسه وهكذا كانت تجارة من يتجر
لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا فان من طلب الدنيا للاستعانة بها على الاخرة كيف يدع ربح الاخرة فالسوق
والمسجد والبيت له حكم واحد وانما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى
لا ينقطع عن المتجردين للدين كيف ما تقلبت بهم الاحوال وبها يكون حياتهم وعيشهم اذ فيها يرون تجارتهم وربحهم
وقد قيل من احب الله تعالى عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوب نفسه فتاش
الخامس ان لا يكون شديد الحرص على التجارة والسوق وذلك بان يكون اول داخل واخر خارج وبان يركب البحر في التجارة
فهما مكروهان يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو وكان
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول لا تكن اول داخل في السوق ولا اخر خارج منها فان بها باض الشيطان
وفرخ وروي معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر ان ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فائت صاحب الاسواق
زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل واخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الاسواق
وشر اهلها اولهم دخولا واخرهم خروجا وتمام هذه الاحتياط ان يراقب وقت كفايته فاذا حصل له كفاية وقته انصرف
واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحوا السلف وقد كان منهم من اذا ربح دانقا انصرف قناعة منه وكان حماد
بن سلمة يبيع الخبز في سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع السفط وانصرف وقال ابرهيم بن بشار قلت لابن ادهم
امر اليوم اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من لا يفوته وتطلب ما قد كفيته اما رايت
حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان
منهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون بذلك
السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواضع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه
فما وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل عليه سلعة رابه امرها سال عنها حتى يعرفها والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله

ذكر الله في الغافلين

صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معشر الانبيا امرنا ان لا
ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسال عليه الصلوة والسلام عن اصل الشئ واصل اصله ولم يزد لان ما وراء
ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسئل عن كل ما
يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربوا فلا يعامله وكذا
الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم لانه معين بذلك على الظلمة وحكى عن رجل انه تولى
عمل سور بعمارة ثغر من الثغور فقال وقع في نفسي من ذلك شئ فان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرايض الاسلام لكن
كان الامير الذي تولى عن جهته من الظلمة قال فسالت سفين فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت
هذا في سبيل الله سور للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاءهم ليوفوك اجرك فتكون قد احببت
بقاء من يعصي الله تعالى وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه وفي الحديث
ان الله تعالى ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام وقد دخل على المهدي
سفين الثوري رضي الله عنه وفي يد المهدي درج ابيض فقال يا سفين اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني باي
شئ تكتب فان كان حقا اعطيتك وطلب بعض الامرا من بعض العلما المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب
فقال له ناولني الكتاب اولا حتى انظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون من معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع الاعانة
فينبغي ان يجتنبها ذووا الدين مهما وجدوا اليه سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس عنده الى من يعامل والى من
لا يعامل اكثر ممن يعامله في هذا الزمان قال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون
لي ان اعامل من الناس فيقال له عامل من شئت ثم اتى زمان آخر فكان يقال عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى وقت آخر
فكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان ياتي زمان يذهب هذا ايضا وكانه قد كان الذي خاف ان يكون
فانا لله وانا اليه راجعون **السابع** ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب
فليعد الجواب ليوم الحساب والكتاب في كل فعل وقول انه لم اقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال يوقف التاجر يوم القيمة
مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم
فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر علي خمسين الف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقيل لي هذه معاملات الناس
عدد من كنت عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من اول المعاملة الى آخرها فهذا ما يجب على
المكتسب المتدين مراعاته في معاملاته من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين
وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين وان راعى مع ذلك الوظايف الدينية التي ذكرناها في الباب الخامس كان من
الصديقين تم كتاب احكام المكتسب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله الطيبين يتلوه كتاب الحلال والحرام

كتاب الحلال والحرام وهو كتاب الرابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال ثم ركب صورته
في احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه من اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سايغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه
من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه
عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال فلقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال
فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يبذرقه الى اعماق العروق الا الشهوات المائلة الى الغلبة والاسترسال
فبقي لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال والصلوة والسلام على محمد الهادي من الضلال وعلى آله وصحبه

خير صحب وآل وسلم كثيرا **اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه عنه
ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين هذه الفرايض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا
ولذلك اندرس علمها بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان
السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والا الحشيش والنبات في الموات وما
عداهما فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش من
النبات لم يبق وجه شئ سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا من بين الاموال
فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات ولا تزال هذه الثلثة مقترنات
كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطا
عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق
عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب انشاء الله والله المستعان **الباب الاول** في فضيلة طلب الحلال
ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام **الباب الثاني** في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام
الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام **الباب الرابع** في كيفية خروج
التائب عن المظالم المالية **الباب الخامس** في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم **الباب السادس**
في الدخول على السلاطين ومخالطتهم **الباب السابع** في مسايل متفرقة **الباب الاول في الحلال والحرام** وفيه
فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه **فضيلة
الحلال ومذمة الحرام** قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل الصالح وقيل
ان المراد به الحلال وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين ثم قال تعالى فان لم تفعلوا فاذنوا
بحرب من الله ورسوله ثم قال تعالى وان تبتم فلكم رؤس اموالكم الاية ثم قال عز وجل ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون جعل اكل الربوا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله تعالى وفي آخره معرضا للنار والايات الواردة في الحلال والحرام
كثيرة وروي ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم وقد قال بعض العلما
اراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث آخر طلب العلم فريضة على كل مسلم طلب علم الحلال والحرام فجعل المراد بالحديثين
واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله تعالى ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف
كان في درجة الشهداء وقال عليه الصلوة والسلام من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه وفي رواية اخرى زهده في الدنيا وروى ان سعدا سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الله سبحانه ان يجعله
مجاب الدعوة فقال له عليه الصلوة والسلام اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر عليه الصلوة والسلام الحريص
على الدنيا قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب
يا رب فانى يستجاب لذلك وفي رواية ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا على بيت المقدس ينادي
كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل فريضة وقال عليه الصلوة والسلام من
اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله تعالى صلوته وعليه منه شئ وقال عليه الصلوة والسلام
كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال عليه الصلوة والسلام من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله تعالى من اين ادخله
النار وقال عليه الصلوة والسلام العبادة عشرة اجزا تسعة منها في طلب الحلال وروى هذا موقوفا على بعض الصحابة
ومرفوعا وقال عليه الصلوة والسلام من امسى دائبا في طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض وقال عليه الصلوة

من اصاب مالا من مأثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال عليه الصلوة والسلام خير دينكم الورع فقال عليه الصلوة والسلام من لقي الله سبحانه ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال عليه الصلوة والسلام درهم من ربوا اشد عند الله من ثلثين زنية في الاسلام وفي حديث اخر عن ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله الاية وفي الحديث من اكتسب مالا من الحرام فان تصدق به لم يتقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال

فاما الاثار فقد روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سال عبده فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظن انه ستخرج نفسه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالطه الامعاء وفي بعض الاخبار انه لما اخبر بذلك قال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا الطيب وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه في فيه وتقيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما يقبل منكم الا بورع حاجز وقال ابرهيم بن ادهم لم يدرك من ادرك الاجابة الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابرهيم بن ادهم الا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي دلو لشربت وقال سفين الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزاين الله تعالى ومفتاحها الدعاء واسنانها لقم الحلال وقال ابن عباس لا يقبل الله تعالى صلوة امرئ وفي جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب المنهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف بايات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف درهم ومائة الف ومائة الف حتى بلغ ستمائة الف وقال بعض السلف ان العبد لياكل اكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم فلا يعود الى حاله ابدا وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعت جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر وروي في اثار السلف ان الواعظ من السلف كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الاخبار المشهور عن علي رضي الله عنه او عن غيره انه قال ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزاد آخرون وشبهها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكله فسأله عنه فقال نحن لا ناكل الا حلالا ولذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونشاهد الاخرة ولو اكلنا مما تاكلون ثلثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القران في الشهر ثلثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التي رايتني شربتها احب الي من ثلثين ختمة في ثلثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية وحشية وقد كان

بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين رضي الله عنهما صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا اسال احدا شيئا ولو اعطاني السلطان شيئا لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال احمد تمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين وقد قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال عز وجل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقيل انه مكتوب في التورية من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله تعالى من اي ابواب النار ادخله وعن علي رضي الله عنه انه لم ياكل بعد قتل عثمان رضي الله عنه ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد رضي الله عنه بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو احب الطعام الي الا اني لا اكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفين قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا اكل خبزا ابدا حتى القاه وكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسالها فقالت هو من شاة بني فلان فسال عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه سالها من اين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لانها ربما كانت ترعى من موضع للمسلمين فيه حق فقالت له امه اشرب فان الله تعالى يغفر لك فقال ما احب ان يغفر لي وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافي رضي الله عنه من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل ويضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة فهكذا كان يحترزون عن الشبهات

اصناف الحلال ومداخله اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان لا ياكل من غيرها فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الان نشير الى مجامعه في سياق تقسيم ان شاء الله وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه

القسم الاول الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعد وثلثة اقسام فانها اما ان تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان فاما المعادن وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث انه يضر بالاكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم فالخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين الذي يعتاد اكله لا يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها تحرم مع انها لا تؤكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام لم يصر به محرما واما النبات فلا يحرم منها الا ما يزيل العقل او يزيل الحيوة او الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وساير المسكرات ومزيل الحيوة السموم ومزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان المقدار الذي لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لعجنه بغيره فلا يحرم

واما الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الاطعمة من كتب الفقه والنظر يطول في تفصيله لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكلها فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط الذابح والالة والذبح والمذبح وكل ذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لا يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما وما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنها غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنافس والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذرها لم يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهية لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون الطعام حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تردي نملة او ذبابة في قدر وماتت فيها لم يجب اراقتها اذ المستقذر جرمها

اذا بقي لها جرم ولا ينجس حتى يحرم بالنجاسة فهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزو من آدمي ميت
مثلا في قدر ولو وزن دانق او اقل حرم الاكل لا لنجاسته فان الصحيح ان الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم
احتراما لا للاستقذار واما الحيوانات الماكولة اذا ذبحت بشرط الشرع فلا يحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث
وكل ما يقضي بنجاسته منه بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الاعيان شيء نجس الا من الحيوانات واما
من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فانه وان كان محرما لازالته العقل فليس بنجس ونجاسة
المسكر تغليظ ايضا للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من نجاسة او جزو من نجاسة جامدة
في مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا
طلا السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد
عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره فالذي بغير اختياره كالارث
والذي باختياره فاما لا يكون من مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذي يوخذ من مالك فاما ان يوخذ قهرا او يوخذ
تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنايم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات
الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق او الاجرة واما ان يوخذ بغير عوض كالهبة
والوصية فيحصل من هذا السياق ستة اقسام الاول ما لا يوخذ من غير مالك كنيل المعادن واحياء الموات
والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة
من الآدميين فاذا انفك من هذه الاختصاصات ملكه آخذه وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات والثاني الماخوذ
قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وساير اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس
وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير
وفي كتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية والثالث ما يوخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيوخذ دون
رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق
واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب
الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكوة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت
شرايطها كان الماخوذ حلالا الرابع ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شروط العوضين
وشرط العاقدين وشرط اللفظين يعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك
كلها في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع
والكتابة والصداق وساير المعاوضات والخامس ما يوخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود
عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يود الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات
والسادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه
حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا والفرايض وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج
والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرايض فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام اوما نا الى
جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور وكل ما ياكله من جهة
من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيه اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال
للجاهل لم لازمت جهلك ولم لم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم درجات الحلال والحرام اعلم ان
الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب واصفى من بعض وكما ان الطبيب يحكم

على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها في الثانية كالفانيد وبعضها في
الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل فكذا الحرام بعضها خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية او الثالثة
او الرابعة وكذا الحلال تتفاوت درجات صفائه وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا
وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فكم من سكر اشد
حرارة من سكر وكذا غيره فكذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات الاولى ورع العدول وهو الذي يجب الفسق
باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهذا الورع عن كل ما يحرمه فتاوى الفقها
الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر
فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية الثالثة ما لا تحرمه الفتوى
ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداوه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذا ورع المتقين قال صلى الله
عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس الرابعة ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يودي
الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله ولا على غير نية التقوى به على عبادة الله او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية
او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد واما
الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهو ايضا على درجات
في الخبث فالماخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل
القهر بل المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذاء الغير وليس في المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك طريق
التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربوا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده
وتاكيده في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من فقير
او صالح او يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او فاسق لان درجات الايذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى
فهذه دقايق في تفاصيل الخبايث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار
وطبقات جهنم واذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة الى حصره في ثلث درجات او اربع فان ذلك جاري
مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حاصل له ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض
المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى اكل ميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض
هذه على بعض امثلة الدرجات الاربع في الورع وشواهدها اما الاولى وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى
تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام بفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي
ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق فلا نحتاج فيه الى امثلة وشواهد واما الدرجة
الثانية فامثلتها كل شبهة لا يجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سياتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب
اجتنابها فيلتحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها والورع عنه ورع الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان
يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل
عليه قوله عليه الصلوة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله عليه الصلوة والسلام
كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب
اخر فالذي نختاره ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله عليه الصلوة والسلام دع ما يريبك
اذ ورد في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لعدي
بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف

اذ قال عليه الصلوة والسلام لابي ثعلبة الخشني كل منه فقال وان اكل فقال عليه الصلوة والسلام وان اكل وذلك لان
حاله ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحمل هذا الورع وحال عدي كانت تحتمله يحكى عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة
الاف درهم لانه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلما على انه لا باس به وامثلة هذه الدرجة نذكرها عند التعرض لدرجات
الشبهة وكل ما هو شبهة فلا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة **واما الدرجة الثالثة** وهي درجة ورع المتقين فيشهد لها
قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة
اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال ابو الدردا ان تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض
ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما فيكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم ماية درهم على انسان فحملها
اليه فاخذ منها تسعة وتسعين وتورع عن استيفا الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرى وكل ما يستوفيه ياخذه بنقصان
حبة وكل ما يعطيه يزنه مع زيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح الناس به
فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان ينجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال فيترك الورع فمن ذلك
ما روي عن علي بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكري وكتبت كتابا واردت ان اخذ من تراب الحايط لاتربه واجففه
ثم قلت الحايط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حايط فاخذت من التراب حاجتي فلما نمت فاذا انا بشخص واقف
يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حايط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط من منزلته فان
التقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه
انه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت عاتكة امراته انا اجيد الوزن
فقال لا احببت ان تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك فاصبت بذلك فضلا على المسلمين
وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك المسلمين فاخذ بانفه حتى لا تصيبه الرايحة وقال هل ينتفع
منه الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال له عليه الصلوة
والسلام كخ كخ اي القها وقيل ان بعضهم كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا المصباح فقد حدث في الورثة حق
في هذا الدهن وروى سليمان التيمي عن نعيم العطارة قالت كان عمر رضي الله عنه يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين
قالت فتبيعه امراته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فيعلق باصبعها شيء منه فقالت به
هكذا ثم مسحت باصبعها خمارها فدخل عمر فقال ما هذه الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه فانتزع الخمار
من راسها فاخذ جرة من ماء فجعل يصب على الخمار الماء ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب
ثم يشمه حتى لم يبق له ريح فقالت ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها منه شيء فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت
بهما التراب فهذا من عمر ورع التقوى لخوف ادا ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب على المسلمين
ولكن اتلفه عليها زجرا وردعا وانفا من ان يتعدى الامر ومن ذلك ما سئل عنه احمد رضي الله عنه عن رجل يكون في
المسجد فيحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا
برايحته وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رايحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدري انه
يتسامح به ام لا وسئل عنه ايضا عمن سقط منه ورقة من احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن
ثم يكتب وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبه يرضى به ام لا فما هو في محل الشك فالاصل تحريمه فهو حرام وتركه من
الدرجة الاولى ومن ذلك التورع عن الزينة لانه يخاف منها ان تدعوا الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها
وقد سئل احمد ايضا عن النعال السبتية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فاجوز واما من اراد الزينة
فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل

فيطيبها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة ما به باس اي مخافة ان يفضي اليه واكثر المباحات داعية
الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعوا الى الفكر والفكر
الى النظر والنظر الى اكثر من ذلك وكذلك النظر الى دور الاغنيا وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعوا الى طلب
مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم توجد بقدر الحاجة وفي وقت الحاجة مع التحرز
من غوايلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا فقل ما يخلوا عاقبته عن خطر وكذا كل ما اخذ بالتنزه فقل ما يخلوا عن خطر
حتى كره احمد تجصيص الحيطان وقال اما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحايط فزينة لا فايدة فيها
حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه ايضا واستدل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل ان يكحل المسجد فقال
عليه الصلوة والسلام لا عريش كعريش موسى وانما هو شيء مثل الكحل يطلى به فلم يرخص فيه عليه الصلوة والسلام
وقد كره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه فكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في
المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح يشتهيهما شهوة واحدة واذا عودت الشهوة المسامحة وان اقتضى خوف
التقوى الورع من هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف
اداوه الى معصية الله تعالى البتة **اما الدرجة الرابعة** وهي ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم هو كل ما لا يتقدم
في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمال قضا وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى
على عبادته واستبقا الحيوة لاجله وهولاء هم الذين يرون كل ما ليس لله تعالى حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ انفسهم المتفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في ان
من يتورع عما يتوصل اليه بمعصية او يستعان عليه بمعصية ويتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية وكراهية فمن ذلك
ما روي عن يحيى بن يحيى انه شرب الدوا فقالت له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدوا فيك فقال هذه مشية
لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلثين سنة فكانه لم تحضره نية في ان هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام
عليها وعن السري انه قال انتهيت الى حشيش في جبل وما يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في
نفسي ان كنت قد اكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع
من اين هي فرجعت على هذا الخاطر وندمت ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري انه كان جايعا محبوسا فبعثت له
امراة صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل منه ثم اعتذر وقال جاني على طبق ظالم يعني ان القوة التي اوصلت الطعام
لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك انه قد كان بشر لا يشرب الماء من الانهار التي حفرها الامرا
وقال النهر سبب لجريان الماء ووصوله اليه وان كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجرا
وقد اعطوا اجرتهم من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته
من ماء يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا ابعد من الظلم من شرب نفس الماء لانه احتراز من استمداد العنب فمن ذلك
الماء وكان بعضهم اذا مر في الطريق للحج لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة مع ان الماء مباح ولكنه بقي محفوظا
بالمصنع والمصنع عمل بمال حرام فكانه انتفاع به وامتناع ذي النون من الطعام على يد السجان اعظم من هذا كله لان يد
السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكن اتصل اليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام
ولذلك تقيا الصديق رضي الله عنه من اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل به فكان لا يجب
اخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط في المسجد
فان احمد رضي الله عنه كره جلوس الخياط في المسجد وسئل احمد عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف
مجيء المطر فقال المقابر انما هي من امر الاخرة واطفى بعضهم سراجا اسرجه غلامه من عند قوم يكره مالهم وامتنع من

تسجر تنور الخبز وقد بقي فيه حمار حطب مكروه وامتنع من ان يحكم شسع نعله في مشعل سلطان فهذه دقائق الورع عند
سالكي طريق الآخرة والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع ما حرمه الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو
ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله تعالى مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه
وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيمة واسرع جوازا
على خطر الصراط وابعد عن ان تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه
الدرجات في الورع كما يتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة
الامر فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت فترخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك تترخص
والله تعالى هو الموفق والسلام **الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى لدينه
ولعرضه الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه
فهذا الحديث نص في اثبات الاقسام الثلثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة
فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل **فنقول** الحلال المطلق هو الذي
انحل عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما يتطرق اليه تحريم او كراهية **ومثاله** الماء الذي
ياخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد ويكون هو واقفا عند اخذه وجمعه من الهوا في ملك نفسه او في ارض
مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي عنه
قطعا كالمحصل بالظلم والربوا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم
يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها صياد ثم افلت
منه وكذلك السمك يتصور ان يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى
ماء المطر المختطف من الهوا ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الورع ورع الموسوسين حتى يلحق
به امثاله وذلك ان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة او كان
محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان تكون كيا لا يقدر عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جراحا فهذا موضع
الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من
يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج منها ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذا لم يدل على موته
سبب قاطع او مشكك اذ الشبهة المحذورة ما ينشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن
سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك انه صلى
ثلثا ام اربعا اخذ بالثلث اذ الاصل عدم الزيادة ولو سئل الانسان ان صلاة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين
كانت اربعا او ثلثا لم يتحقق قطعا انها اربع فاذا لم يقطع جوز ان يكون ثلثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره
سبب اوجب اعتقاد كونها ثلثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال
المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان محلل لكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لموروثه الذي
لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض
لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات **وانما الشبهة** نعني بها ما اشتبه علينا امره
بان يتعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين **ومثارات** الشبهة اربعة **المثار الاول**
الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكونا متعادلين او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمال

كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وان غلب احد الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة
كان الحكم للغالب ولا يتبين ذلك الا بالامثلة والشواهد فلنقسمه الى اقسام اربعة **القسم الاول** ان لا يكون الحل
المحرم معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها **مثاله** ان يرمي الى
صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا
مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين ولا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات
الصلوات وغيرها وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لا تاكله فلعله قتله غير كلبك وكذلك
كان عليه الصلوة والسلام اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية سال عنه حتى يعلم ايهما هو وروي انه ارق
ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة
وفي رواية فاكلتها فخشيت الحديث وروي عن بعضهم انه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع
فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها اذ قال عليه الصلوة والسلام امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف
ان تكون هذه فاكفانا القدور ثم اعلمه الله تعالى بعد ذلك انه لم يمسخ الله تبارك وتعالى خلقا فجعل له نسلا وكان
امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللا والله اعلم **القسم الثاني** ان يعرف الحل ويشك في المحرم
فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امراتين وطار طاير فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الآخر
ان لم يكن غرابا فامرأتي طالق والتبس امر الطاير فلا نقضي بالتحريم في واحدة منهما ولم نلزمهما اجتنابهما ولكن الورع
الاجتناب والتطليق حتى يحل لساير الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وكذا الشعبي افتى بالاجتناب
في رجلين كانا قد تنازعا فقال احدهما للآخر انت حسود فقال الآخر احدنا زوجته طالق ثلثا فقال الآخر نعم واشكل
الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث
والصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا معناه **فان قلت** واي مناسبة بين هذا وذاك **فاعلم** انه لا يحتاج
الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له ان يتوضا به
فكيف لا يجوز له ان يشرب به واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك بالشك الا ان ههنا دقيقة وهو ان وزان
الماء ان يشك انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطاير ان يتحقق نجاسة احد الانائين
ويشتبه عينه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب
وكذلك ههنا وقد وقع الطلاق على احدى الزوجين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف اصحاب
الشافعي في الانائين على ثلثة اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاده وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة
يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان تكون له زوجتان
فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد
اذ لا علامة ويحرمهما عليه لانه لو وطيهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطي احدهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما
بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين
اذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه **فان قيل** فلو كان الاناءان لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضا
كل واحد باناءه لانه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه **فنقول** هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد
الشخص ههنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوءه بمائه
فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطي لزوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات
والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة

ليقين الطهارة وابواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض الفقه ودقايقه وقد استقصيناهما في كتب
الفقه ولسنا نقصد الآن الا التنبيه على قواعدها **القسم الثالث** ان يكون الاصل التحريم ولكن طرا ما اوجب تحليله بظن
غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختار فيه
انه يحل وان اجتنابه من الورع **مثاله** ان يرمي الى صيد فيصيبه فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكنه
يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف
قول الشافعي في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرا غيره عليه فطريانه
مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك **فان قيل** فقد قال ابن عباس كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عايشة ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم يا رب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال الاصميت او انميت قال ان الليل خلق من خلق الله
تعالى لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله شيء وكذلك قال عليه الصلوة والسلام لعدي في كلبه المعلم
وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك الا
على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بان يفضي
الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك عليه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه عليه ان موته على الحل او على الحرمة
فلا يكون هذا في معنى ما تحقق من موته على الحل في ساعة ثم شك في ما يطرى عليه **فالجواب** ان نهي ابن عباس وانتهار النبي
صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد
فيه اثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا اخر فقد تعارض السبب بتعارض الظن
وان لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فنحكم به على الاستصحاب كما نحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس
المظنون والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القايل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكا في السبب
فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذا لم الجرح سبب الموت وطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على
ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه بل ان لم يغب يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه
كما يموت الانسان فجاة فينبغي ان لا يجب القصاص الا بحز الرقبة والجرح المذفف فان العلل القاتلة في الباطن
لا تؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجاة ولا قايل بذلك مع ان القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين المذكى
حلال ولعله مات قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم تنفخ فيه
او كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الآخر اذا لم يستند الى دلالة
تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرنا فكذلك ههنا والله اعلم واما قوله صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما
امسك على نفسه فللشافعي في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض ههنا اذ الكلب
المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور فيه ان يصطاد لنفسه ومهما
انبعث باشارته ثم اكل دل ابتداء انبعاثه على انه نازل منزلة آلته وانه يسعى في نيابته ووكالته ودل اكله اخيرا على انه امسك
لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض على الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك
وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل ان يتبين انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل
للموكل وطيها فان للوكيل قدرة على الشرا لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل يرجح والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الاول
لا بالقسم الثالث **القسم الرابع** ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا
فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب ضعيف فلا يبقى له حكم مع غالب الظن **ومثاله**
ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الانائين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فيه فيوجب تحريم شربه

نقال ابل انميت

السبان تعرض

ولا يزول

كما اوجب منع الوضوء به فكذا اذا قال ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامراتي طالق فجرحه وغاب
فوجد ميتا حرمت عليه زوجته لان الظاهر انه منفرد به كما سبق وقد نص الشافعي ان من وجد في الغدران ماء
متغيرا احتمل ان يكون بطول المكث او بالنجاسة فيستعمله ولو راى ظبية بالت فيها ثم وجده متغيرا واحتمل ان
يكون بالبول او بطول المكث لم يجز استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال لما
ذكرناه وهذا في غلبة الظن استند الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين
الشيء فقد اختلف قول الشافعي في ان اصل الحل هل يزال به اذا اختلف قوله في التوضي من اواني المشركين ومدمني
الخمر والصلوة في المقابر المنبوشة والصلوة مع طين الشوارع اعني المقدار الزايد على ما يتعذر الاحتراز عنه وعبر
الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من اواني المشركين ومدمني
الخمر والصلوة في المقابر المنبوشة لان النجس لا يحل شربه فاذن ماخذ النجاسة والحل واحد والتردد في احدهما
يوجب التردد في الاخر والذي اختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم يتعلق بعين المتناول لم يوجب
رفع الاصل وسياتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك
في طريان محرم عليه او ظن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه او ظن وبان فرق بين ظن يستند الى علامة في عين الشيء
وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة الاولى والاحتياط تركه
فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من جملة العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقه وعصيانه
واستحقاقه العقوبة الا ما الحقنا برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا **المثار الثاني** للشبهة
شك منشاؤه الاختلاط وذلك بان يختلط الحلال بالحرام ويشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع
بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج
بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المايعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد والدور
والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون فيما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج
من هذا التقسيم سبعة اقسام **القسم الاول** ان يستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية او بعشر
ذكيات ويختلط رضيعة بعشر نسوة او يتزوج احدى الاختين ثم تلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه
لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا واذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد وتقابل فيه يقين التحريم
والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل فيطرا اختلاط المحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه في مسئلة الطاير
او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلط رضيعته باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم
لطلاق احدي الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم قابل يقين
الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر اغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا اذا اختلط حلال محصور
بحرام محصور فانه ان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب الاجتناب اولى **القسم الثاني**
حرام محصور اختلط بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضايع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب
نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم منه ان يجوز النكاح اذا
اختلطت واحدة حرام بتسعة حلال ولا قايل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب
او محرم بمصاهرة او سبب من الاسباب لا يمكن ان يسد عليه باب النكاح فكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه
حرام قطعا لا يلزمه ترك الشرى والاكل فان ذلك حرج وما جعل الله في الدين من حرج ونعلم هذا بانه لما سرق
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباة لم يمتنع احد من شرى المجن والعباة في الدنيا

وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف ان فى الناس من يربى فى الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية وبالجملة انما ينفك الدنيا عن الحرام اذا عصم الخلق كلهم من المعاصى وهو محال واذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط ايضا فى بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به فى ملة من الملل ولا فى عصر من الاعصار **فان قلت** فكل عدد محصور فى علم الله تعالى فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه ايضا ان يمكن منه **فاعلم** ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة يلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفى مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وكذلك الاقسام الاربعة التى ذكرناها فى المثار الاول يقع فيها اطراف متقابلة واضحة فى النفى والاثبات واوساط متشابهة فالمفتى يفتى بالظن وعلى المستفتى ان يستفتى قلبه فان حاك فى صدره شئ فهو الاثم بينه وبين الله تعالى فلا ينجيه فى الاخرة فتوى المفتى فانه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر **القسم الثالث** ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال فى زماننا هذا فالذى ياخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم ههنا بالتحريم والذى نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن فى العين علامة تدل على انه من الحرام فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات ان ياخذ من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التى سياتى ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس **اما الاثر** فما علم فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربوا من ايدى اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذى نهى عليه صلى الله عليه وسلم عن الربوا اذ قال عليه الصلوة والسلام اول ربوا اضعه ربوا العباس ما ترك الناس الربوا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصى حتى روى ان بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضى الله عنه لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهموا ان تحريم الخمر تحريم لثمنه فقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا فى النار يجر عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين قد غله وكذلك ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن الشرا فى السوق بسبب نهب المدينة فقد نهبها اصحاب يزيد ثلثة ايام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا اليه فى الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة فى ايام الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم انه تفطن من الشرع لما لم يتفطنوا له فهو موسوس مخبل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم فى امثال هذا لجاز مخالفتهم فى مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام فى التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه فى القران والربوا جار فيما سوى الاشيا الستة وذلك محال فانهم اولى بفهم الشرع من غيرهم **واما** القياس فهو انه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه فى شروط الشرع فى العقود ويودى ذلك لا محالة الى الاختلاط **فان قيل** فقد نقلتم انه عليه الصلوة والسلام امتنع من اكل الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله تعالى وهو فى اختلاط غير المحصور **قلنا** يحمل ذلك على الورع والتنزه اذ يقول ان الضب شكل غريب ربما يكون من المسخ فهى دلالة فى عين المتناول **فان قلنا** فهذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

حزاز القلب

لها

وزمان

١٦٦

وزمان الصحابة بسبب الربوا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هى الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول فى زماننا وقد صار الحرام اكثر ما فى ايدى الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربوا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة فى عينه للتحريم فهو حرام ام لا **فاقول** ليس ذلك حراما وانما الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القايل اكثر الاموال حرام فى زماننا غلط محض ومنشاؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلثة قليل وهو النادر وكثير واكثر **ومثاله** ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا المسافر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم ان المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام فانما اراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط فالصحيح والمقيم هو الاكثر والمريض والمسافر هو الكثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القايل الحرام اكثر باطل لان مستند هذا القايل اما ان يكون كثرة الظلمة الجندية او كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدى التى تكررت من اول الاسلام الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة اليوم **اما** المستند الاول فباطل فان الظلم كثير وليس هو الاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا اضيف الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشرهم وكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد جند السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم فى المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم بجمع من الف وزيادة وكذا القول فى السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل **واما** المستند الثانى وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهى ايضا كثيرة وليس بالاكثر اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء اكثر والذى يعامل بالربوا وغيره فلو عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا ان يطلب الانسان بوهمه فى البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص نادر ولو كان كثيرا وليس بالاكثر ولو كان كل معاملاته فاسدة ولا يخلو هو ايضا عن معاملة صحيحة تساوى الفاسدة او تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تامله وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطا فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة **واما المستند الثالث** وهو اخيلها ان يقال الاموال انما يحصل من المعادن والنبات والحيوان والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهى تلد فى كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا من ان يتطرق الى الواحد من تلك الاصول غصب او معاملة فكيف يقدر ان تسلم اصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بزور الحبوب والفواكه يحتاج الى خمسمائة اصل او الى الف اصل مثلا الى اول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن اصله واصل اصله وكذلك الى اول زمان النبوة حلالا **واما** المعادن فهى التى يمكن نيلها على سبيل الابتدا وهى اقل الاموال واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا يخرج الا من دار الضرب وهى فى ايدى الظلمة بل المعادن فى ايدى الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقرا استخراجها بالاعمال الشاقة ثم ياخذونها منهم غصبا فاذا نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد او ظلم اليه وقت النيل ولا وقت الضرب فى دار الضرب ولا بعده فى معاملات الصرف والربا بعيد نادر ومحال فلا يبقى اذن حلال الا الصيد والحشيش فى الصحارى الموات والمفاوز

تامله

والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على اكله فيفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والاستيلاد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو اشد الطرق تخييلا **والجواب** ان هذه الغلبة لم تنشا من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما وعدناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح فيضاهي هذا محل القولين للشافعي في حكم النجاسات والصحيح عندنا انه يجوز الصلوة في الشوارع اذا لم ير نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين جائز والصلوة في المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا اولا ثم نقيس عليه ما نحن فيه ويدل على ذلك توضي عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع ان شربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف نسلم اوانيهم من ايديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تامل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم انهم كانوا ياكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع انها تداس بالبقر والدواب والحيوان وهي تبول عليها وتروث وقل ما يتخلص من ذلك وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطون امها وعليها رطوبات نجسة قد يزيلها الامطار وقد لا يزيلها وما كانوا يحترزون عن ذلك وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون على الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ان يظن ولا يجلسون عليها ويستنزهون منه ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على انهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم من مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير وقع فيه اذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة **فان قيل** لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات ويتحرزون في شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه **فنقول** ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة فالصلوة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصور التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة يتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وانما تورعهم في الحلال فانه كان بطريق التقوى وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس لان امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم يضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك وقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبه وهل حكي عن واحد انه احترز عن الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجوده اليوم مما يطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض وكما ان الذي يبتدا غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالاضافة الى غيره اقل وليس يدري ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه

فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذلك الحيوانات المغصوبة اكثرها يوكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام اكثر ولم يزل اصول الحلال اكثر من اصول الحرام وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات **فاما** المعادن فانها مخلاة مسبلة ياخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد ياخذ السلاطين بعضها منهم او ياخذون الاقل لا محالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس عنه فاما ما ياخذه الآخذ منه فياخذه السلطان باجره والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستيجار عليها فالمستاجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقى له واستحق الاجرة فكذا النيل فاذا فرعنا على هذا لم نحرم عين الذهب الا ان يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الاجرة في ذمته **واما** دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك او النقد الردي ويستاجرونهم على السبك والضرب وياخذون بمثل وزن ما سلموه الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان فهي بالاضافة الى مال التجار اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان ياخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من بين ساير الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما ياخذه عوض عن حشمته وذلك من باب الظلم فهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب ولا يسلم لاهل دار الضرب وللسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون هو الاكثر فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى يقبح الورع ويسد بابه ويستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال **فان قيل** فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فما تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة **فنقول** الذي نراه ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يدفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل ازيد واقول لو طبق الدنيا الحرام حتى علمنا يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنت اقول نستانف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده فمهما حرم الكل حل الكل **وبرهانه** انه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة **احدها** ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم **وثانيها** ان يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها اياما الى الموت **وثالثها** ان يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة **ورابعها** ان يتبعوا شروط الشرع ويستانفوا قواعده من غير اقتصار على الحاجة **وخامسها** ان يقتصر مع شروط الشرع ويستانف قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة **اما الاول** فلا يخفى بطلانه **واما الثاني** فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا اوقاتهم مع الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لان الدنيا مزرعة الآخرة واحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل اكثر احكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين **واما الثالث** وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما اتفق فهو دفع لسد الشرع بين المفسدين وبين انواع الفساد فتمتد الايدي بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فنحن ايضا محتاجون وان في حقي زائد على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه واذا لم يراع حاجة اليوم او السنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي الى بطلان سياسة الشرع واغراء اهل الفساد

فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو ان يقال كل ذي يد يقر على يده فهو اولى به لا يجوز ان يوخذ منه سرقة ولا غصبا بل يوخذ
برضاه والتراضي وهو طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي ايضا منهاج في الشرع يتعلق به المصالح فلم يعتبر اصل التراضي
ونعطل تفصيله واما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب الايدي
فهو الذي نراه لايقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الاخرة ولكن لا وجه لايجابه على الكافة وادخاله في فتوى العامة
لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في ايدي الناس وكذا ايدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد
فرصة سرق ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة وانا محتاج ولا يبقى الا ان يجب على السلطان ان يخرج كل زيادة على
الحاجة من ايدي الملاك ويستوعب بها اهل الحاجة ويدر على الكل الاموال يوما فيوما وسنة فسنة وفيه تكليف شطط
وتضييع اموال اما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك اصلا
واما التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي ان يلقى في البحر او يترك حتى يتعفن فان الذي
خلقه الله تعالى من الفواكه زايد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف يوزع على قدر حاجتهم ثم يودي الى سقوط الحج والزكوات
والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس اذا اصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجاتهم وهو في غاية القبح
بل اقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان ضر بالمثل لوجب عليه ان يمهد الامر ويستانف تفصيل اسباب الاملاك
بالتراضي وساير الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق واعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي
ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة والحاجة البته فان لم يبعث
للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز ان يقدر الله تعالى سببا يهلك به الخلق عن اخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم
فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر الامر جاريا على ما الف من سنة الله تعالى
في بعثة الانبيا لصلاح الدين والدنيا ومالي اقدر هذا وقد كان ما اقدره فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم
على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستماية سنة والناس منقسمون الى مكذبين
له من اليهود وعبدة الاوثان والى مصدقين له وقد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الان والكفار مخاطبون
بفروع الشريعة والاموال كانت في ايدي المكذبين له والمصدقين اما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى
عليه السلام واما المصدقون فتساهلوا مع اهل التصديق كما تساهل الان المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب وكانت
الاموال كلها او اكثرها او كثير منها حراما وعفا صلى الله عليه وسلم ولم يتعرض له وخصص اصحاب الايدي بالاموال ومهد
الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينقلب حلالا بان يسلم الذي في يده
الحرام فانا لا ناخذ في الجزية من اهل الذمة ما نعرف بعينه انه ثمن خمر او مال ربوا وقد كانت اموالهم في ذلك الزمان كاموال
الان وامر العرب كان اشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان ان الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس
هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك مقتضى طريق
الاخرة ونحن الان نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق
الدين لا يقدر على سلوكه الا الاحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير
في الاخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة بطل النظام ثم يبطل ببطلانه
الملك ايضا فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك فكذلك المقبلون على الدنيا سخروا على الدنيا ليسلم طريق الدين
لذوي الدين وهو ملك الاخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين ايضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون
عن طريقهم ويشتغلون بامور الدنيا وتلك قسمة سبقت بها المشية الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل فلا حاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال

فان ذلك

فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل او الاكثر وفيه نظر وما ذكرتموه
في انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات
كانها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين يقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلما لا يقبل
المصالح المرسلة فاقول ان سلم ان الحرام هو الاقل فناهينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
مع وجود الربوا والسرقة والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا وبرهانه ثلثة
البرهان الاول التقسيم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة اقسام واثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا جرى
فيما اذا كان الكل حراما كان احرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل وقول القايل هو مصلحة مرسلة هوس فان
ذلك انما يتخيل من يتخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في ان مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو
معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا يشك في ان رد كافة الخلق الى قدر الضرورة او الحاجة او الحشيش والصيد مخرب
للدنيا اولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا شك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات
المظنونة المتعلقة باحاد الاشخاص البرهان الثاني ان يعلل بقياس محرر مردود الى اصل يتفق الفقها الا نسرن
بالاقيسة الجزوية عليه وان كانت الجزويات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الامر الكلي الذي
هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو حكم بغيره لخرب العالم والقياس المحرر الجزوي هو انه قد تعارض اصل
وغالب فيما انقطعت منه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين
الشوارع وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة
احترازا عن الاواني التي يتطرق الاجتهاد اليها وقولنا ليست محصورة احترازا عن التباس الميتة بالمذكية والمرضعة
بالاجنبية فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم
فنقول الذي يحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الما
مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة
بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الما عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق بين الامرين والجواب الثاني
ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعى عليه
دين فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعي عليه ملك في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد
مقام الاستصحاب وكلما وجد في يد انسان شي فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة البرهان الثالث هو
ان ما دل على جنس لا يحصر ولم يدل على عين لم يعتبر وان كان قطعا فبان ان لا يعتبر اذا كان بطريق الظن اولى وبيانه ان ما
علم انه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى
وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص مثلا
او عشرين شخصا امتنع التصرف فالذي نشك في ان له مالكا سوى صاحب اليد لا يزيد على الذي نتيقن قطعا ان له
مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له
وكيف لا وكل مال ضايع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقرا وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ
فيه تصرفه ولو سرقه منه سارق قطعت يده وكيف نفذ تصرفه في ملك الغير وليس ذلك الا بحكمنا بان المصلحة تقتضي
ان ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان فنقول والسلطان
لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه لا بسبب له الا المصلحة وهي انه لو ترك لضاع فهو متردد بين تضييعه وبين صرفه
الى مهم والصرف الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما نشك فيه ولا نعلم تحريمه ان نحكم بدلالة اليد ونترك

القانون

الاموال ح

على ارباب الايدي اذا انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة
تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة يرى ان يصرفه الى جند الاسلام وتارة
الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف ما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق
غير ماخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في ملك الاعيان كما لم يواخذ السلطان والفقراء
الآخذون منه بعلمهم ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بغير مالك مشار اليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين
الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المبايعات والدراهم والعروض في يد
المالك الواحد وسياتي بيانه في تفصيل طريق الخروج من المظالم **المثار الثالث** للشبهة التي تتعلق وتتصل بالسبب المحلل
معصية اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد
وابطال السبب المحلل **مثال المعصية في القرائن** البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب
بالفاس المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع
من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة
في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة
معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم فان اريد
بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذه كراهية لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة
في الالفاظ فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه الكراهية لها ثلث درجات الاولى منها تقرب
من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة
الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد منه في الذبيحة بسكين مغصوب او المقتنص بسهم مغصوب
اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او الصياد ويليه البذر المزروع في ارض مغصوبة
فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو اثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن
الاقيس ان لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة
في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالفاس المغصوب ثم ذبح ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب احد
الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه
الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكوة دراهم او صلوة فائتة
وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب
بعد النداء ويجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب
عليه الا من حيث انه ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما سبق الى الافهام خصوص فيه فيكون الكراهة اشد ولا باس
بالحذر منه ولكن قد يجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكي عن بعضهم
انه اشترى شيئا من رجل فسمع انه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة
لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي والمفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام والورع حسن
والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وليحذر من امثال هذه المبالغات
فانها ان كانت لا تضر بصاحبها ربما اوهم عند الغير ان مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فليترك اصل الورع
وهو مستند اكثر الناس في زماننا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام به فاطرحوه فكما ان الموسوس في
الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال يسبق الى وهمه ان مال الدنيا كله حرام

فمن سعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال **واما امثال اللواحق** فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية فاعلاه بيع
العنب من الخمار وبيع الغلام المليح من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء
في صحة ذلك وفي حل الثمن الماخوذ منه والاقيس ان ذلك صحيح والماخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي
في الذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة على المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد
فالماخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر
ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة
خيفة من ان يشتريها ظالم وهذا ورع فوق الاول والكراهة فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس
وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لانهم يستعينون به على الحراثة ويبيعون الطعام من
الظلمة فلا يباع منهم البقر وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة اذ ينجر الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى
به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد
وان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول
بالخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين
يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبالجملة فلا
ينبغي ان يشتغل الانسان بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع
كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روي ان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه احرق كرمه خوفا من ان يباع العنب
ممن يتخذ خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو شيئا خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق نخيله وكرمه
من كان ارفع قدرا من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك
من الاتلافات **واما المقدمات** فلتطرق المعصية اليها ايضا ثلث درجات **الدرجة العليا** التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره
في المتناول كالاكل من شاة اعلفت بعلف مغصوب او رعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا
لبقائها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل
ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي التروغبذي شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها
وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم
يستحل اخذها **فان قيل** فقد روي ان عبد الله وعبيد الله ابني عمر رضي الله عنهم اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى
فرعت فيه ابلهما حتى سمنت فقال عمر رعيتما في الحمى فقالا نعم فشاطرهما فهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف
لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما **قلنا** ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس هو
عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر رضي الله عنه غرمهما قيمة الكلا وراى ذلك مثل شطر الابل
فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص ماله لما ان قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ راى ان كل
ذلك لا يستحقه العامل وراى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا **الرتبة الوسطى** ما نقل عن
بشر من امتناعه عن ما يساق في نهر احتفره الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله تعالى بحفره وامتناع آخر من الشرب
من مصانع السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون عن طعام حلال اوصل اليه على يد سجان وقوله انه
جاءني على طبق ظالم ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر **الرتبة الثالثة** وهي قريب من الوسواس والمبالغة ان يمتنع
من حلال وصل على يد رجل عصى الله تعالى بالزنا او القذف وليس هذا كما لو عصى الله تعالى باكل الحرام فان الموصل قوته
الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل

عن عنب كرم يسقى بماء جرى في نهر
حفر ظلما وهو ارفع مما قبله وابلغ
في الورع وامتناع اخر صح

على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا الى ان لا يوخذ خبز من عصى الله
تعالى ولو بغيبة او كذبة وهو غاية التنطع والاسراف فليضبط ماعرف من ورع ذى النون وبشر بالمعصية فى السبب
الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذا الحرام ولو امتنع عن الشرب من كوز لان صانع الفخار الذى عمل الكوز
كان قد عصى الله تعالى يوما بضربه انسانا او شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها اكل حرام
فهذا ابعد من يد السنجان لان الطعام يسوقه قوة السنجان والشاة تمشى بنفسها والسايق يمنعها عن العدول
عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر الان كيف تدرجنا فى بيان ما يتداعى اليه هذه الامور واعلم ان كل
هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه يختص بالدرجة الاولى التى يمكن تكليف كافة الخلق بها
ولو اجتمعوا عليها لم يخرب العالم دون ماعداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى فى هذا ما قاله صلى الله
عليه وسلم لوابصة اذ قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وعرف ذلك حيث قال عليه الصلوة والسلام
الاثم حزاز القلوب وكل ماحاك فى صدر المريد من هذه الاسباب فلو اقدم عليه مع حزازة القلب استضربه
وانما الذى ذكرناه فى النهى عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافى المعتدل هو الذى لا يجد حزازة فى مثل تلك
الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازه فاقدم مع ما يجده فى قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ
فى حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوسين فى الطهارة ونية الصلاة
فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع اجزاء عضو الطهارة بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب
ان يستعمل الرابعة وصار حكما فى حقه وان كان مخطئا فى سنته واولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك
شدد على اصحاب موسى عليه السلام لما استقصوا فى السوال عن البقرة لو اخذوا اولا بعموم لفظ الامر للبقرة
فى كل ما ينطلق عليه اسم البقرة لاجزاهم فلا تغفل عن هذه الدقايق التى رددناها نفيا واثباتا فان من لا يطلع
على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل فى درك مقاصده **واما المعصية فى العوض** فلها ايضا درجات
الدرجة العليا التى تشتد الكراهة فيها ان يشترى فى الذمة ويقضى ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم البايع
اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلبه فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع اعنى
قبل قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد فان قضاء الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم
يقضه اصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن
من الحرام وابراه البايع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه فى الدراهم الحرام بصرفها
الى البايع فان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراة لانه يبريه بما اخذه ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك
الا يفا فهذا حكم المشترى والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلبه ولكن اخذه فاكله حرام سواء
اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعدها لان الذى نرى الفتوى به ثبوت حق الحبس للبايع حتى يتعين ملكه
باقباض النقد كما تعين ملك المشترى وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء او الاستيفاء ولم يجر شىء منهما ولكنه
اكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن بالطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير
فرق ولكن اصل التحريم شامل هذا كله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البايع او من غير طيبة قلبه
فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البايع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حقه
من الحبس وبقى له الثمن فى ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم
يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم ما رضى به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام
تحريم اكل المرهون الى ان يبراه او يوفى من حلال او يرضى هو بالحرام ويبرى فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام

واظلم قلبه بقدر الحزازه التى
يجدها بل لو اقدم على حرام
فى علم الله وهو يظن انه حلال
لم يوثر ذلك فى قساوة قلبه
ولو اقدم على ما هو حلال
فى فتوى علماء الظاهر
ولكنه يجد حزازة فى قلبه
فذلك يضره صح

فهذا

١٧٠

الى الثمن م

فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم فى الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان
المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل تشتد الكراهة فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا
الثمن الحرام لما رضى البايع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهة شديدة ولكن العدالة
لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا او ارضا فى الذمة وقبضه برضا
البايع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك فى انه سيقضى ثمنه من الحلال او الحرام
فهذا اخف اذ وقع الشك فى تطرق المعصية الى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته فى مال
ذلك السلطان وما يغلب فى الظن فيه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه الى ما ينقدح فى القلب **الرتبة الوسطى**
ان لا يكون العوض غصبا او حراما ولكن يتهيأ بمعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والاخذ شارب خمر او
سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما فى مبيع اشتراه فى الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية
التى فى الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبه ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها
ومهما كان العوض علا حراما فبذله حرام وان احتمل تحريمه ولكن ابيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى
النهى عن كسب الحجام وكراهيته اذ نهى صلى الله عليه وسلم عنه مرات ثم امر بان يعلف الناضح وما يسبق الى الوهم
من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فهو فاسد اذ يجب طرده فى الدباغ والكناس ولا قايل به فان قيل به
فلا يمكن طرده فى القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم فى نفسه غير مكروه ومخامرة
القصاب اكثر منه للحجام والفصاد فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسح بالقطنة ولكن السبب والعلم عند الله
تعالى ان الحجامة والفصد جراحة هى تخريب لبنية الانسان واخراج لدمه وبه قوام حياته والاصل فيه التحريم
وانما يحل لضرورة ويعلم الحاجة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله
تعالى ولكن حكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد ولا صبى ولا معتوه الا باذن وليه
وقول طبيب ولولا انه حلال فى الظاهر لما اعطى عليه الصلوة والسلام اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم
لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه الا باستنباط وهذا المعنى كان ينبغى ان نذكره فى القراين المقرونة
بالسبب فانه اقرب اليها **الرتبة السفلى** وهى درجة الوسواس وذلك فى ان يحلف على ان لا يلبس من غزل امته
فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن المغيرة انه قال فى هذه الواقعة
لا يجوز واستشهد بان النبى صلى الله عليه وسلم لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها وهذا غلط لان
بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة فى الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذاك بل مثال هذا ان يملك
الرجل جارية هى اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبه ذلك ببيع الخمر وهذا
غاية السرف فى هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات
لا ينحصر فى ثلث واربع ولا فى عدد ولكن المقصود من التقديد التقريب والتفهيم والله اعلم **فان قيل** فقد قال
صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل له صلاة ما كان عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه
فى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم **قلنا** ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة
بعينها لا فى الذمة واما اذا اشترى فى الذمة فقد حكمنا بالتحريم فى اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد
عليه بمنع قبول الصلاة بمعصية تطرقت الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشترى فى وقت النداء
وغيره **المثار الرابع** الاختلاف فى الادلة فان ذلك كالاختلاف فى السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة
والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب فى حق المعرفة وما لم يثبت فى حق معرفة العبد فلا فايدة بثبوته

فى نفسه وان جرى سببه فى علم الله تعالى وهى اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع اولتعارض العلامات الدالة
اولتعارض المشابه **القسم الاول** ان يتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القران او السنة او تعارض
قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم
قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح فى جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر فى جانب الحل جاز الاخذ به ولكن
الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم فى الورع فى حق المفتى والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى
له مقلده الذى يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع
والقراين وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتى ان ينتقد من المذاهب اسهلها عليه واوسعها بل عليه
ان يجتهد حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه ولا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشئ ولامامه فيه
مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب
الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب ولقد كان المفتون يفتون بحل اشياء لا يقدمون عليها
قط تورعا عنها وحذرا من الشبهة فيها و[ا]لقسم هذا ايضا على ثلث مراتب **الاولى** ما يتاكد الاستحباب
بالتورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق ترجيح توجيه المذهب الاخر عليه فمن المهمات التورع
من فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتى بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا
ان ذلك حرام فهو اقيس قولى الشافعى ومهما وجد للشافعى قول جديد موافق لمذهب ابى حنيفة او غيره
من الائمة كان الورع فيه مهما وان افتى المفتى بالقول الاخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه
قول الشافعى لان الاية ظاهرة فى ايجابها والاخبار متواردة فيها فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله
عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الذبح بالتسمية
فكل ذلك يقوى دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى اولم
يسم فاحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الاية وساير الاخبار عن ظواهرها ويحتمل ان يخصص هذا بالناسى
ويترك الظواهر ولا يتاول وكان حمله على الناسى ممكنا تمهيدا لعذره فى ترك التسمية بالنسيان وكان
تعميمه وتاويل الاية ممكنا امكانا اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر دفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا
مهم واقع فى الدرجة الاولى **الرتبة الثانية** وهو مناجم درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذى
يصادف فى بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح فى الصحاح من الاخبار حديث الجنين وان ذكاته ذكاة
امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده وكذا صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك فى الصحيحين فالظن بابى حنيفة انه لم يبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال
بها ان انصف وان لم ينصف منصف فى ذلك كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف علم
الشرع وعلم الشئ بخبر الواحد **الرتبة الثالثة** ان لا يشتهر فى المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر
الواحد فيقول القايل قد اختلف الناس فى خبر الواحد فمنهم من قال لا يقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا
فالغلط جايز عليهم والكذب لغرض خفى جايز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جايز عليهم فانه قد
يسبق الى وهمهم او سمعهم خلاف ما يقوله القايل وكذا الى فهمهم وهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فما كانوا
يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه فاما اذا تطرق تهمة بسبب خاص ودلالة معينة فى حق الراوى فللتوقف
فيه وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف فى اخبار الاحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام فى اصل الاجماع
وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد اب

الاب ويقول ليس فى كتاب الله تعالى ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم غير معصومين
والغلط عليهم جايز اذ خالف النظام فيه فهذا هوس ثم يتداعى ذلك الى ان يترك ما علم من عمومات القران اذ من
المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقراين والدلالات وكل ذلك وسواس
فاذا الاطرف من اطراف الشبهات الا وفيه غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت
فيه القلب وليدع بالورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حزاز القلوب وما يحيك فى الصدور وذلك
يختلف بالاشخاص والوقايع ولكن ينبغى ان يحفظ قلبه ان دواعى الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق ولا ينطوى
على حزازة فى مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة فى مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد
صلى الله عليه وسلم كل احد الا فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة رضى الله عنه لما كان قد عرف من حاله **القسم
الثانى** ان يتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع فى وقت وبلد ووقوع مثله من
غير النهب فيرى مثلا فى يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير
المنهوب على انه حرام فيتعارض الامران وكذلك يخبر عدل بانه حرام واخر بانه حلال او يتعارض بشهادة
فاسقين وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والاجتناب عنه ورع وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتى
تفصيله فى باب التعرف بالبحث والسؤال **القسم الثالث** تعارض الاشباه فى الصفات التى بها تناط
الاحكام مثاله ان يوصى بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل فى الفقه داخل فيه وان الذى ابتدأ العلم منذ
يوم او منذ شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتى يفتى بحسب الظن والورع
الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتى فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيه اذ يكون
المتصف بالصفة فى درجة المتوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميل الى احدهما وكذلك الصدقات
المصروفة الى المحتاجين فان من لا شئ له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غنى ويتصدى مسايل غامضة
كمن له دار واثاث وكتب وثياب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليس
محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتصدى منه الناظر فى مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها
فى وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك فى نوع اثاث البيت اذ كان من الصفريات لا من الخزف
وكذلك فى عددها وقيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه فى كل يوم وما يحتاج اليه فى كل سنة كالات الشتاء وما لا
يحتاج اليه الا فى السنين وشئ من ذلك لا وجه له فالوجه فى مثل هذه ما قاله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك وكل ذلك فى محل الريب فان توقف المفتى فلا وجه له الا التوقف فان افتى المفتى بظن
وتخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة
الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ منه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان الاخر زايد وبينهما
امور متشابهات تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله عز وجل وحده وليس للبشر
وقوف على حدودها فما دون رطل المكى فى اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلثة ارطال بغدادى
زايد عن الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار فى كل حكم نيط
بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ اذ العرب وساير اهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود
محدودة تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد
وساير الفاظ الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ فى كتاب الله تعالى وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم الا ويتطرق الشك الى اوساط فى مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة وتعظم الحاجة

الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف فالوقوف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ
هذا من الغوامض وكذلك ساير الالفاظ وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليتعلم به طريق التصرف في
الالفاظ والا فلا مطمع في استيعابها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب الى طرفين متقابلين وكل
ذلك من الشبهات التي يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب بموجب قوله صلى الله
عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب ساير الادلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من
بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه
من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبايع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف
الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامه وهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح
من هذا الشرح فليؤخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا
به حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل
يطمئن الى كل شيء فلا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقايق الاحوال فهو المحك
الممتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة
وليعرض عليه واقعته قيل انه جاء في الزبور ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلوتكم
ولا صيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي ايده بنصري واباهي به ملائكتي

الباب الثالث

في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري
منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا اخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا
ان تترك البحث فتاخذ من كل احد وتاخذ كل مال لا تتيقن تحريمه بل السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما
امر يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال **المثار الاول** احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك ثلثة احوال اما ان
يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة **الحالة الاولى** ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس
معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغير ذلك
من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل صلاح
او اهل فساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا او قصابا او غيره ولا علامة
تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على ثقته فهذا مجهول لا يدرى حاله ولا نقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة
عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك
فيه وقد عرفت بما سبق ان الورع ترك ما لا يدرى قال يوسف ابن اسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء
الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع
اذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الان حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم
اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان
كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذا وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم
بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك ان لا تسيء الظن به فان اسات الظن به في عينه لانك
رايت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو اخذت المال لكان مشكوكا فيه ويدل
عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون
من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسال

واجب مرة وحرام مرة ومندوب اليه مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال صح

عن كل

عن كل ما يحمل اليه بل سال في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة او هدية لان قرينة الحال وهو دخول
المهاجرين المدينة وهم فقراء تغلب على الظن ان ما يحمل اليهم يحمل بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا يدلان على
انه ليس بصدقة وكان عليه الصلوة والسلام يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسال اصدقة ام لا اذ العادة ما جرت
بالتصدق بالضيافة وكذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط فيما رواه انس بن مالك وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه
الرجل الفارسي فقال عليه الصلوة والسلام انا وعايشة فقال لا فقال عليه الصلوة والسلام فلا ثم اجابه بعد فذهب
هو وعايشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك وسال ابو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه
لما رابه من امره شيء وسال عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن ابل الصدقة اذ رابه فانه اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يالفه كل ليلة
فهذه اسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو راى في داره
تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين اجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل
ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه مستحق احسان الظن به وازيد على هذا فاقول ليس له ان يساله بل ان كان
يتورع ولا يدخل جوفه الا ما يدري من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان لا بد له من اكله فلياكل بغير سؤال
اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وكلها حرام بلا شك **فان قلت** لعله لا يتاذى **قلت** لعله يتاذى وانت تسال
حذرا من لعل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء المسلم باقل من الاثم في اكل الشبهة والحرام
والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له ان يسال من غيره من حيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك
اكثر وان سال من حيث لا يدري هو ففيه اساءة الظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة
وان لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في اية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم
ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي
وانما يحسن الشيطان عنده ذلك طلبا للشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان
يتاذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير ماخوذ بما لا يدري اذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب
فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا هو المالوف
من الصحابة رضوان الله عليهم ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه
ولو انفق ما في الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل انها صدقة فقال عليه الصلوة
والسلام هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسال عن المتصدق عليها وكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع **الحالة الثانية**
ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة فلنذكر صورته ثم حكمه اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما في يده
دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله اما الخلقة فان يكون على خلقة الاتراك والبوادي والمعروفين
بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون الشعر مفرقا على راسه على داب اهل الفساد واما الثياب
فالقبا والقلنسوة وزي اهل الفساد والظلم من الاجناد وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام
على ما لا يحل فان ذلك يدل على انه يتساهل ايضا في المال وياخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان
يشتري من مثل هذا شيا او يقبل منه هدية او يجيبه في ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا هذه
العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالاقدام جايز والترك من الورع ويحتمل
ايضا ان يقال ان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورث ذلك ريبة فالهجوم غير جايز وهو الذي
نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب
ولقوله عليه الصلوة والسلام الاثم حزاز القلوب فهذا له وقع في القلب لا ينكر ولانه عليه الصلوة والسلام سال

اصدقة ام هدية وسال ابو بكر غلامه وسال عمر فكل ذلك كان فى موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا
ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس ليس يشهد لتحليل هذا فان دلالة اليد والاسلام عارضتها هذه الدلالات
فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وانما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا
الماء متغيرا واحتمل ان يكون بطول المكث فان راينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به وبغيره تركنا الاستصحاب وهذا
قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشارب ولبس القبا وهيئة الاجناد تدل على الظلم بالمال اما
الفعل والقول المخالف للشرع ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو سمعه يامر بالغصب والظلم او يعقد
عقد الربوا فاما اذا راه وقد شتم غيره فى غضبه او اتبع امراة مرت به نظرة فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان
يتحرج فى طلب المال ولا يكتسب الا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا
التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا بحد فليستفت العبد فى مثل ذلك قلبه واقول ان هذا ان راه من مجهول فله حكم
وان راه ممن عرفه بالورع فى الطهارة والصلوة وقراءة القران فله حكم اخر اذ تعارضت الدلالتان بالاضافة الى
المال وتساقطا وعاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج فى المال
لا يتحرج فى غيره وكم من محسن للصلوة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم فى مثل هذه المواقع ما يميل اليه القلب
فان هذا امر بين العبد وبين الله تعالى فلا يبعد ان يناط بسبب خفى لا يطلع عليه الا الله تعالى وهو حكم حزازة القلب
ثم ليتنبه لدقيقة اخرى وهى ان هذه الدلالة ينبغى ان تكون بحيث تدل على ان اكثر ماله حرام بان يكون جنديا او عامل
سلطان او نائحا او مغنيا فان دل على ان فى ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع **الحالة**
الثالثة ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك طلبا ظنا فى حل المال وتحريمه مثل ان يعرف
صلاح الرجل وديانته وعدالته فى الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما فى المجهول
بل اولى والاقدام ههنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وان لم يكن حراما واما
اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبيا والاوليا قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقى ولا ياكل طعامك الا تقى
فاما اذا علم بالخبرة انه جندى او مغنى او مربى واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فههنا
السؤال واجب لا محالة كما فى موضع الريبة بل اولى والله اعلم **المثار الثانى** ما يستند الشك فيه الى سبب فى المال
لا فى حال المالك وذلك بان يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح فى سوق احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق
فليس يجب على من يشترى فى تلك البلدة وذلك السوق ان يسال عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما فى ايديهم حرام
فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل
على انه لا يجب السؤال والتفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا من الشراء فى الاسواق وفيها دراهم
الربوا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسالون فى كل عقد وانما السؤال ينقل عن احادهم نادرا فى بعض الاحوال وهى
مجال الريبة فى حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا ياخذون الغنايم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين
وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون فى تلك الغنايم شئ مما اخذوه من المسلمين وذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق
بل يرد على صاحبه عند الشافعى وعند ابى حنيفة صاحبه اولى به بالثمن ولم ينقل التفتيش عن هذا قط وكتب عمر رضى الله عنه
الى ادربيجان انكم فى بلاد يذبح فيها الميتة كثيرا فانظروا ذكية من ميتة اذن فى السؤال وامر به ولم يامر بالسؤال عن
الدراهم التى هى اثمانها لان اكثر دراهمهم لم تكن اثمان الجلود وان كانت هى ايضا تباع واكثر الجلود كان كذلك ولذلك
قال ابن مسعود انكم فى بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكى من الميتة فخص بالاكثر الامر بالسؤال ولا يتضح مقصود
هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسايل يكثر وقوعها فى العادات والله تعالى الهادى **مسئلة** شخص معين خالط ماله
فلنفرضها

الحرام مثل ان يباع على دكان يباع فيه طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون القاضى او الرئيس او العامل
او الفقيه الذى له ادرار على سلطان ظالم له ايضا مال موروث ودهقنة او تجارة او رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة
ويربى ايضا فان كان الاكثر من ماله حراما لا يجوز الاكل فى ضيافته ولا قبول هديته وصدقته الا بعد التفتيش
فان ظهر ان الماخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك فان كان الحرام اقل والماخوذ مشتبه فهذا فى محل النظر لانه على
رتبة بين الرتبتين اذ قضينا بانه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من
حيث ان مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها
فى الحال يقينا والحرام الذى خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده وليس موجودا فى الحال فان كان المال قليلا وعلم
قطعا ان الحرام موجود فى الحال فهو مثل اختلاط الميتة واحدة وان كثر المال واحتمل ان يكون الحرام غير موجود فى الحال
فهذا اخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما فى الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص
واحد ولا نشك فى ان الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر فى كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى
غامض لتجاذب الاشتباه من حيث النقل غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع فى مثل هذا وكذا عن السلف
يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من اقدام على الاكل كاكل ابى هريرة طعام معوية مثلا
ان قدر فى جملة ما فى يده حرام فذلك ايضا محتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش والاستبانة ان عين ما ياكله من وجه
مباح والافعال فى مثل هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلما المتاخرين فيه مختلفة حتى قال بعضهم لو اعطانى السلطان
شيئا لاخذته وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل
باخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سياتى فى باب بيان اموال السلطان فاما اذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان
لا يكون موجودا فى الحال لم يكن الاكل حراما وان تحقق وجوده فى الحال كما فى مسئلة اشتباه الميتة بالذكية فهذا مما لا
ادرى ما اقول فيه وهى من المتشابهات التى يتحير المفتى فيها لانها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة
اذا اشتبهت بنسوة قرية فيها عشر وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها عشرة الف لم يجب وبينهما اعداد لو سئلت
عنها لكنت لا ادرى ما اقول فيها ولقد توقف العلماء فى مسايل هى اوضح من هذا اذ سئل احمد رضى الله عنه عن رجل رمى صيدا
فوقع فى ملك غيره ايكون الصيد للرامى او لمالك الارض فقال لا ادرى فروجع فيه مرات ويقول لا ادرى وكثير من
ذلك حكيناه عن السلف فى كتاب العلم فليقطع المفتى طمعه عن درك الحكم فى جميع الصور وقد سال ابن المبارك صاحبه
من البصرة عن معاملة قوم يعاملون السلاطين فقال ان يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملوهم وان تعاملوا السلطان
وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة فى الاقل ويحتمل المسامحة فى الاكثر ايضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة انهم كانوا
يهجرون بالكلية معاملة قصاب وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا او لمعاملته السلطان مرة وتقدير ذلك فيه
بعد والمسئلة مشكلة فى نفسها **فان قيل** فقد روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك
السلطان وانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر من الحرام وسئل ابن مسعود فى ذلك فقال له السايل ان لى
جارا لا اعلمه الا خبيثا يدعونا ونحتاج فنستسلفه فقال اذا دعاك فاجبه واذا احتجت فاستسلفه فان لك المهنا
وعليه الماثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل على عليه السلام بالكثرة وعلل ابن مسعود بطريق الاشارة بان عليه الماثم لانه يعرفه
ولك المهنا اى انت لا تعرفه وروى انه قال رجل لابن مسعود ان لى جارا ياكل الربوا فيدعونا الى طعامه افناتيه فقال نعم
وروى ذلك عن ابن مسعود بروايات كثيرة مختلفة واخذ مالك والشافعى جوائز الخلفا والسلاطين مع العلم بانه
قد خالط مالهم الحرام **قلنا** اما ما روى عن على فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت
المال ولا ياكل منه حتى انه امر ببيع سيفه ولا يكون له الا قميص واحد فى وقت الغسل لا يجد غيره ولست انكر ان رخصته

صريحة فى الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه ان صح فمال السلطان له حكم آخر فانه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر
وسياتى بيان ذلك وكذلك فعل مالك والشافعى متعلق بمال السلطان وسياتى حكمه وانما كلامنا فى احاد الخلق
واموالهم قريبة من الحصر واما قول ابن مسعود فقيل انما نقله خوات التيمى فانه ضعيف الحفظ والمشهور منه ما يدل على
توقى الشبهات اذ قال لا يقولن احدكم اخاف وارجوا فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك
الى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات فقيها الاثم **فان قيل** فلم قلتم اذا كان الاكثر حرام مالم يحل الاخذ مع
ان الماخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمها على الخصوص واليد علامة الملك حتى ان من سرق مال مثل هذا الرجل
قطعت يده والكثرة يوجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن فى طين الشوارع وغالب الظن فى الاختلاط
بغير محصور اذا كان الاكثر هو الحرام ولا يجوز ان يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى
ما لا يريبك لانه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو ان يريبه لعلامة فى عين الملك بدليل اختلاط القليل
بغير المحصور وان ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بانه لا يحرم **والجواب** ان اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب
وانما يوثر اذا سلم عن معارض قوى فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان الحرام المخالط موجود فى الحال والمال
غير خال عنه وتحققنا ان الاكثر هو الحرام وذلك فى حق شخص معين يقرب ماله ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى
اليد وان لم يحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك لا يبقى له محمل اذ لا يمكن ان تحمل على اختلاط
قليل بحلال غير محصور اذ كان ذلك موجودا فى زمانه وكان لا يدعه وعلى اى موضع حمل هذا كان هذا فى معناه
وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فان تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحابات وللكثرة
تاثير فى تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال ابو حنيفة لا يجتهد فى الاوانى الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فاشترط
اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال ياخذ اى انية اراد بالاجتهاد بنا على مجرد الاستصحاب
فيجوز الشرب ايضا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجرى ذلك فى بول اشتبه بماء اذ لا استصحاب فيه
ولا نطرده ايضا فى ميتة اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب فى الميتة اذ الميد لا تدل على انه غير ميتة ويدل فى الطعام
المباح على انه ملك فههنا اربع متعلقات استصحاب وقلة فى المخلوط وكثرة وانحصار او اتساع فى المخلوط وعلامة
خاصة فى عين الشئ يتعلق به الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الاربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسايل بما لا يشبهه فحصل
مما ذكرناه ان المختلط فى ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام اكثره او اقله وكل واحد اما ان يعلم بيقين او بظن
عن علامة او توهم والسوال يجب فى موضعين وهو ان يكون الحرام فيه اكثر يقينا او ظنا كما لو راى تركيا مجهولا
يحتمل ان يكون كل ماله من غنيمة وان كان الاقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تشير بسيرا اكثر السلف
وضرورة الاحوال الى الميل الى الرخصة واما الاقسام الثلثة الباقية فالسوال عنها غير واجب اصلا والله اعلم
مسئلة اذا حضر طعام انسان علم ان دخل فى يده حرام من ادرار كان قد اخذه او وجه آخر ولا يدرى انه بقى
الى الآن ام لا فله الاكل فلا يلزمه التفتيش وانما التفتيش فيه من الورع ولو علم انه قد بقى منه شئ ولكن لم يدر انه
الاكثر او الاقل فله ان ياخذ بانه الاقل وقد سبق ان امر الاقل مشكل وهذا يقرب منه **مسئلة** اذا كان فى يد
المتولى لسبل الخيرات من الاوقاف والوصايا مالان يستحق هو احدهما ولا يستحق الثانى لانه غير موصوف بتلك
الصفة فهل له ان ياخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف ينظر فان كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولى وكان
المتولى ظاهر العدالة فله ان ياخذ بغير بحث لان الظن بالمتولى ان لا يصرف اليه ما يصرفه الا من المال الذى يستحقه
وان كانت الصفة خفية وكان المتولى ممن عرف من حاله انه يخلط ولا يبالى كيف يفعل فعليه السوال اذ ليس ههنا
يد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزان سوال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده

فيها لان اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجى منه الا السوال فان السوال حيث اسقطنا
فى المجهول اسقطناه بعلامة اليد والاسلام حتى لو لم يعلم انه مسلم واراد ان ياكل من يده لحما من ذبيحته فاحتمل
ان يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف انه مسلم اذ اليد لا تدل على الميتة ولا الصورة تدل على الاسلام الا اذا كان
اكثر اهل البلدة مسلمين فيجوز ان يظن بالذى ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان الخطاء ممكنا فيه فلا ينبغى
ان يلتبس المواضع التى تشهد فيها اليد والحال بالتى لا تشهد **مسئلة** له ان يشترى فى البلدة دارا وان علم
انها تشتمل على دور مغصوبة لان ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السوال احتياط وورع فان كان فى سكة فيها عشر
دور مثلا احديها مغصوبة او وقف لم يجز الشرى ما لم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص
بوقفها ارباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له ان يسكن ايها شاء وياكل من وقفها
بغير سوال لان ذلك من باب الاختلاط فى المحصور فلا بد من التميز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان الرباطات
والمدارس فى البلد لا بد وان تكون محصورة **مسئلة** حيث جعلنا السوال ورعا فليس له ان يسال صاحب الطعام
والمال اذا لم يامن غضبه ولا يامن فرط غضبه وانما اوجبنا السوال اذا تحقق ان اكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالى بغضبه
اذ يجب ايذا الظالم باكثر من ذلك والغالب ان مثل هذا لا يغضب من السوال نعم ان كان ياخذ من يد وكيله او
غلامه او تلميذه او بعض اهله ممن هو تحت رعايته فله ان يسال مهما استراب لانهم لا يغضبون من سواله ولان
عليه ان يسال ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سال ابو بكر رضى الله عنه غلامه وسال عمر رضى الله عنه من سقاه من ابل الصدقة
وسال ابا هريرة ايضا لما ان قدم عليه بمال كثير فقال ويحك اكل هذا طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو
من رعيته لا سيما وقد دقق فى صيغة السوال ولذلك قال على رضى الله عنه ليس شئ احب الى الله عز وجل من عدل الامام
ورفقه ولا شئ ابغض الى الله تعالى من جوره وخرقه **مسئلة** قال الحرث المحاسبى لو كان لصديق او اخ يامن
غضبه لو ساله فلا ينبغى ان يساله لاجل الورع لانه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم
يودى الى البغضاء وما ذكره حسن لان السوال اذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع فى مثل هذه الامور احترازا عن
هتك الستر واثارة للبغضاء اهم وزاد على هذا فقال وان رابه منه شئ ايضا لم يساله ويظن به انه يطعم من الطيب ويجنبه
الخبيث فان كان لا يطمئن قلبه اليه فيحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسوال قال لانى لم ار احدا من العلماء فعله
فهذا مع شهرته فى الزهد يدل على مسامحته فيما اذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق
لان لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقايق فى السوال **مسئلة** ربما
يقول القايل اى فايدة فى السوال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فان وثق بامانته
فليثق بديانته فى الحلال فاقول مهما علم مخالطة الحرام لمال انسان وكان له غرض فى حضورك ضيافته او قبولك
هديته فلا يحصل الثقة بقوله فلا فايدة فى السوال منه فينبغى ان يسال من غيره وكذا ان كان بياعا وهو يرغب فى البيع
لطلب الربح فلا يحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فايدة فى السوال منه وانما يسال من غيره وانما يسال من صاحب اليد
اذا لم يكن متهما كما يسال المتولى عن المال الذى يسلمه اليه انه من اى جهة وكما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية
والصدقة فان ذلك لا يوذى ولا يتهم القايل فيه وكذا اذا اتهمه بانه ليس يدرى طريق الكسب الحلال ولا يتهم فى قوله
اذا اخبر عن طريق صحيح وكذلك يسال عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه وههنا يفيد السوال فاذا كان صاحب المال
يتهم فليسال من غيره فاذا اخبره عدل واحد قبله وان اخبره فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له
فيه جاز قبوله لان هذا امر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل
بقول عدل فى بعض الاحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة فى ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة

والعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها الا الله وحده وقد قبل ابو حنيفه شهادة الفاسق
وكم من شخص تعرفه وتعرف انه قد يقتحم المعاصي ثم اذا اخبرك بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبر به صبي مميز قد عرفته
بالتثبت فقد يحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فاما اذا اخبر به مجهول لا يدرى من حاله شيء اصلا فهذا مما جوزنا
الاكل من يده لان يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال اسلامه ايضا دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا
يخلو قوله عن اثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة يفيد ظنا قويا الا ان اثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر
الى حد تاثيره في القلب فان المفتي هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قراين خفية يضيق عنها
نطاق النطق فليتامل فيه ويدل على وجوب الالتفات اليه ما روى عقبة ابن الحارث انه قال جئنا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني تزوجت امراة فجاءتنا امة سودا فزعمت انها قد ارضعتنا فقال عليه الصلوة والسلام دعها فقال انها
سودا فصغر من شانها فقال عليه الصلوة والسلام كيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفي
لفظ اخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم يظهر امارة غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فلذلك
يتاكد الامر بالاحتراز فان اطمان اليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا **مسئلة** حيث يجب السوال فلو تعارض
قول عدلين تساقطا وكذلك قول فاسقين ويجوز ان يترجح في قلبه قول احد العدلين او احد الفاسقين ويجوز
ان يترجح احد الجانبين بالكثرة او بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره **مسئلة** لو نهب متاع
مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا في يد انسان فاراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان ذلك
الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشرى وكان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان
يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشترى وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا
وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع
عن شراه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست اقدر ان احكم فيه بحكم الا ان ارده
الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل له شراه واكثر هذه
الوقايع يلتبس الامر فيها فهي من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاه فقد استبرا لعرضه ودينه
ومن اقتحمه فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسئلة** لو قال قايل قد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم
اليه فذكر انه من شاة فسال عن الشاة من اين هي فذكر له فترك السوال افيجب السوال عن اصل المال ام لا وان وجب
فعن اصل واحد واثنين او ثلاثة وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسوال
اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسوال الا حيث ينقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت
التهمة من حيث لا يدرى صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشتريت انقطع بسوال واحد وان قال
من شاتي وقع الشك في الشاة فاذا قال اشتريت انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب ويتوالد
الذي في ايديهم المغصوب فلا ينقطع الريبة بقوله انه من شاتي ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاتي فان اسنده الى
الوراثة من ابيه وحال ابيه مجهولة انقطع السوال وان كان يعلم ان جميع مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان
يعلم ان اكثره حرام واكثره التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير حكمه فلينظر الى هذه المعاني **مسئلة**
سئل عن جماعة من سكان خانكاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم الطعام اليهم وقف على ذلك المسكن ووقف
اخر على جهة اخرى غير هولا وهو يخلط وينفق الكل على هولا فاكل طعامه حرام ام حلال ام شبهة فقلت هذا يلتفت على
سبعة اصول **الاول** ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطات والذي اخترناه صحة المعاطات
لا سيما في الاطعمة والمستحقرات فليس في هذا الا شبهة الخلاف **الثاني** ان ينظر الى الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام

وهي كاذبة صح

او في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه يشترى في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب
فلا ينشا من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراه بعين مال حرام **الثالث** انه من اين يشتريه فان اشترى ممن
اكثر ماله حرام لم يجز وان كان اقل ماله حرام ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف جاز له الاخذ بانه يشتريه ممن ماله حلال او ممن
لا يدري المشتري حاله بيقين كالمجهول وقد سبق جواز الشرى من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشا من هذا تحريم بل
شبهة احتمال **الرابع** ان يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي والخادم كالنايب وله ان يشترى لهم ولنفسه ولكن
يكون ذلك بالنية او صريح اللفظ واذا كان الشرا يجرى بالمعاطات فلا يجرى اللفظ والغالب انه لا ينوى عند المعاطات
والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضر فيقع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا الاصل
ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت انهم ياكلون من ملك الخادم **الخامس** ان الخادم يقدم اليهم الطعام ولا يمكن ان
يجعله ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع
ولا اقراض لانه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فاشبه اصل ينزل عليه هذه
الحالة الهبة بشرط الثواب اعني هدية لا لفظ فيها من شخص يقتضي قرينة حاله انه يطمع في ثواب وذلك صحيح والثواب
لازم وههنا ما طمع الخادم في ان ياخذ ثوابا عما قدمه الا حقهم من الوقف ليقضي به دينه من القصاب والخباز والبقال
وغيره وهذا ليس فيه شبهة ولا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة
بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب **السادس** ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر
القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى انه له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فاذا لم يرض يرد عليه وههنا
الخادم قد رضي بما ياخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا
ورضي به الخادم صح ايضا وان علم ان الخادم لا يرضى لولا ازدياد في يده من الوقف الاخر الذي ياخذه لقوت هولا السكان
فكان رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في ايدي السكان فهذا كالخلل المتطرق
الى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلناه
فلا تنقلب الهدية حراما بتوصل المهدى بسبب الهدية الى حرام **السابع** انه يقضي دين القصاب ودين الخباز والبقال
من ارتفاع الوقفين فان وفى ما اخذ من حقهم بقيمة ما اطعمهم فقد صح الامر وان قصر الامر عنه ورضي القصاب والخباز
وباي ثمن كان حلالا او حراما فهذا خلل تطرق الى ثمن الطعام ايضا فيلتفت على ما قدمناه من الشرى في الذمة
ثم قضى الثمن من حرام هذا اذا علم انه قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج من هذا
ان اكل هذا ليس بحرام ولكنه اكل شبهة وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد منها
احتمال صار احتمال الحرام بكثرته اقوى في النفس كما ان الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه اقوى
مما اذا قرب اسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وانما اوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقايع الملتفة
الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك مما يعجز عنه اكثر المفتين والله تعالى هاد للعباد

الباب الرابع في كيفية خروج التايب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه
ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما والله المستعان

النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج

اعلم ان كل
من تاب وفي ماله ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة او غيرها فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا
فلا يخلو اما ان يكون في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان يكون في اعيان متمايزة كالعبيد
والثياب والدواب فان كان في المتماثلات او كان شايعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في
المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب او الدراهم والدنانير

والدور صح

فلا يخلوا اما ان يكون معلوم القدر او مجهول القدر فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله
حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين والاخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما
قد قال به العلماء فى اشتباه ركعات الصلوة ونحن لا نجوز فى الصلوة الا الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمة
فتستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس فى اعداد الركعات علامات يوثق بها اما ههنا فلا يمكن ان يقال
ان الاصل ما فى يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع فى الاخذ باليقين فان
اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقى الا القدر الذي يتيقن انه حلال وان اراد الاخذ بالظن الغالب
فطريقه مثلا ان يكون فى يده مال التجارة فسد بعضها فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى
سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري فى كل مال وهو ان يقتطع القدر المتيقن من الجانبين
فى الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع الاخراج
وان شك فيه جاز الامساك والورع اخراجه وهذا الورع اوكد لانه صار مشكوكا فيه فكان امساكه اعتمادا على انه
فى يده ليكون الحل غلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام ويحتمل انه فى يده ان يقال الاصل التحريم
فلا ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين باولى من الاخر وليس يتبين لى فى الحال ترجيح وهو من
المشكلات فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي فى يده
فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلط ميتة بتسع ذكيات مثلا لعشر وله ان يطرح واحدة اي
واحدة كانت وياخذ الباقي ويستحلها ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة
لم يحل ايضا لاحتمال انها هي الميتة فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال يحل باخراج البدل والتطرق
المعاوضة اليه واما الميتة فلا يتطرق المعاوضة اليها فلنكشف الغطاء عن وجه هذا الاشكال بالفرض فى درهم
معين اشتبه بدرهم آخر ممن له درهمان احدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل احمد رحمه الله عن مثل هذا فقال
يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل المرتهن اليه انيتين وقال لا ادري ايتك
ايتهما هي فتركهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وانما كنت اجربك فقضى دينه ولم ياخذ الرهن وهذا ورع ولكنا
نقول انه غير واجب فلنفرض فى درهم له مالك معين خاص فنقول اذا رد احد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم
بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر وذلك لانه لا يخلوا اما ان يكون المردود فى علم الله تعالى هو الماخوذ فقد حصل
المقصود وان كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم فى يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا
وقع التقاصي والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم فى يد الغاصب وعسر الوصول الى
عينه فاستحق ضمانه فما اخذه وقع عن الضمان وهذا فى جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض
من غير لفظ والاشكال فى الجانب الاخر انه لم يدخل فى ملكه فنقول لانه ايضا وان كان قد سلم درهم نفسه فقد
فات له ايضا درهم هو فى يد الاخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالغايب فيقع هذا بدلا عنه فى علم الله تعالى
كما يقع التقاص لو اتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه بل فى عين مسئلتنا لو القى كل واحد ما فى يده فى البحر
او احرقه كان قد اتلفه ولم يكن عليه عهدة الاخر بطريق التقاص فكذلك اذا لم يتلف فان القول بهذا اولى من المصير
الى ان ياخذ درهما واحدا حراما ويطرحه فى الف الف درهم لرجل اخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا
المذهب يؤدي اليه فانظر ما فى هذا من البعد وليس فيما ذكرناه الا ترك اللفظ والمعاطات بيع ومن لا يجعلها بيعا
فحيث يتطرق اليه احتمال اذا الفعل يضعف دلالته حيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا
والبيع غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه ولا معلوم فى عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف

ان كان الامر كذلك ويقع هنا التبادل فى علم الله تعالى صح

رطل

رطل دقيق لغيره وكذلك الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض فان قيل فانتم جوزتم تسليم قدر
حقه فى مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات فى يده فيملكه كما يملك
المتلف عليه من الرطب اذا اخذ مثله هذا اذا ساعده صاحب المال وان لم يساعده واصر وقال لا اخذ درهما اصلا
الا عين ملكي فان اسبهم فاتركه ولا اهبه واعطل عليك مالك فاقول على القاضي ان ينوب عنه فى القبض حتى
يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به فان عجز عن القاضي ولم يجده فيحكم رجلا متدينا
ليقبض عنه فان عجز عن ذلك فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف اليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له
الباقي وهذا فى خلط المايعات اظهر والزم فان قيل فينبغي ان يحل له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته فاي حاجة
الى الاخراج او لا تم التصرف فى الباقي قلنا قال قايلون قد يحل له ان ياخذ ما دام يبقى قدر الحرام وليس له ان
ياخذ الكل وان اخذ لم يجز له ذلك وقال اخرون ليس له ان ياخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الابدال وقال اخرون
يجوز الاخذ فى التصرف ان ياخذ منه واما هو فلا يعطى فان اعطى عصى هو دون الاخذ واخذ ما جوز اخذ الكل
وذلك لان المالك لو ظهر فله ان يطلب حقه من هذه الجملة اذ يقول لعل المصروف الى ان يقع غير حقي فهذا المال
يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو اقرب الى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل وكذا ما يحتمل
فيه رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز لهذا ان يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الاخر ان ياخذ الدرهمين
ويتصرف فيهما ويقول على قضا حقك من موضع آخر اذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك احدنا بان يقدر فائتا
باولى من الاخر الا ان ينظر الى الاقل فيقدر انه فائت او ينظر الى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما
بعيدان جدا وهذا واضح فى ذوات الامثال فانها تقع عوضا فى الاتلافات من غير عقد واما اذا اشتبهت
دار بدور او عبد بعبيد ولا سبيل الى المصالحة والتراضي فان ابى ان ياخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد ان
يتوقى عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيم فالطريق ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليهم بقدر النسبة
وان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه قيمة مقدار الاقل ويتوقف فى
قدر التفاوت الى البيان او الاصلاح لانه مشكل فان لم يوجد القاضي فالذي يريد الخلاص وفى يده الكل ان
يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة فلا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة
وهذا فى الخلط ظاهر وفى النقود دونه وفى العروض اغمض اذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى
البيع ولنرسم مسايل بها يتم بيان هذا الاصل مسئلة اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم
فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفها فقد حقه ساير الورثة فان النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو
المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر الغصب فى نصيب الاخرين مسئلة اذا وقع فى
يده مال اخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي ان يحسب اجرة مثله لتلك المدة وكذلك
كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا يصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه وتقدير اجرة
العبد والثياب والاواني وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا بالاجتهاد والتخمين
وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى وما ربح على المال المغصوب فى عقود عقدها
على الذمة وقضاء الثمن منه فهي ملك له ولكن فيه شبهة اذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال
فالعقود كانت فاسدة وقد قيل ينفذ باجازة المغصوب منه اولى به والقياس ان تلك العقود تتبع بفسخ ويسترد
الثمن ويرد الاعواض فان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت فى يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل حرام
يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع فى يده مسئلة من ورث مالا

انتفاع

المصلحة فيكون المغصوب منه م

ولم يدر موروثه من اين اكتسبه امن حلال او حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما
وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم ذلك ولكن علم ان موروثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل
انه لم يكن ياخذ في عمله شيئا او كان قد اخذ شيئا ولم يبق منه في يده لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع منها
ولا يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه
بل الاثم على المورث واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله اي لوارثه
وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكر
لحرمة الصحبة فكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن اين يوخذ هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز
ان يقال هو غير ماخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا **النظر الثاني في المصرف** فاذا اخرج الحرام
فله ثلثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غائبا ينتظر حضوره
او الايصال اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فليجمع له فوائده الى وقت حضوره واما ان يكون لمالك معين
وقع الياس من الوقوف على عينه ولا يدري هل مات عن وارث ام لا وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول
الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينار واحد مثلا على الف والفين
فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون من اموال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك
الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل
من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولاه
القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدا به
فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمانا قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان التحكيم اولى من
الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما نطلبه لمصارف
دقيقة في المصالح ولا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف صالح هو اولى عند القدرة عليه **فان قيل** ما دليل
جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام وحكي
عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجهه رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب
ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي **فنقول** نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر
والقياس **واما الخبر** فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت بين يديه وكلمته
بانها حرام اذ قال عليه الصلوة والسلام اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم
من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصديق الا ترون ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب
فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذنه عليه الصلوة والسلام فلما حققه الله صدقه فجاء ابو بكر بما قمرهم به فقال عليه الصلوة
والسلام هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله تعالى وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار **واما الاثر** فما روي ان ابن مسعود اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقد له الثمن
بعد الطلب الكثير فلما لم يجده تصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال
بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها
عليه فابى ان يقبضها وقال تفرق الناس فاتى معوية فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فسأله فقال له ادفع خمسها
الى معوية وتصدق بما بقي فبلغ معوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد والمحاسبي وجماعة من الورعين
رحمهم الله الى ذلك **واما القياس** فهو ان هذا المال متردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ وقع الياس من مالكه

وبالضرورة نعلم ان صرفه الى خير اولى من القائه في البحر فانا اذا رميناه فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم
يحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول
الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس
والطيور من ثماره فاما قول القائل لا نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر
وقد ترددنا بين التضييع وبين التصدق وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا
حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل
فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى ان الفقر
لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا
فقير ولو تصدق به على فقير لجاز فكذلك اذا كان هو الفقير والله تعالى اعلم **ولنرسم** في بيان هذا الاصل ايضا
مسائل **مسئلة** اذا وقع في يده مال من يد سلطان فال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده
فهو خير من ان يتصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز له
ان يسرق من السلطان ويتصدق به وقال اخرون يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة
للظالم وتكثير لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار عندي انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده
الى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين من ان يرده على السلطان لانه ربما لا يكون له
مالك معين ويكون حقا للمسلمين فرده على السلطان تضييع له وان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع
واعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير للمالك وهذا ظاهر اذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالاخذ
من السلطان فانه شبيه باللقطة التي ايس عن معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له ان
يتملكه ثم وان كان غنيا من حيث انه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في
منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصدق **مسئلة** اذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له ان ياخذ قدر حاجته
لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب اسرار الزكوة فقد قال قوم ياخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر
على شرى ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل ان
وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش
بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا فني عاد اليه فاذا وجد حلالا لا معينا تصدق بمثل
ما انفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم ياكل الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا اكل اللحم من غير تنعم وتوسع
وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما انفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد
حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب عليه ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضا
اذا اخذه لفقره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه **مسئلة**
اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة ولم يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال ان يخص نفسه بالحلال لان الحجة
عليه اوكد في نفسه منه في عبده وعياله واولاده الصغار والكبار من اولاده يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم
ذلك الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة
وهو انه يتناول مع العلم والعيال ربما يعذرون اذا لم يعلموا او لم يتولوا الامر بانفسهم فليبدا بالحلال بنفسه ثم بمن يعول
فاذا تردد في نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كاجرة الحجام والصباغ والقصاب والاطلاء بالنورة
والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه

على الظلم

فان ما يتعلق ببدنه اولا غنا به عنه فهو اولى بان يكون طيبًا واذا دار بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال يخص
القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار اولى به واما الكسوة ففايدتها ستر العورة
ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا هو الاظهر عندي وقال المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة
والطعام لا يبقى عليه لما روى انه لا يقبل صلوة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل
ولكن امثال هذا قد ورد ايضا فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال
اولى ولذلك تقيا الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم ولحم يثبت ويبقى ايضا مدة **فان قيل**
فاذا كان الكل منصرفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وبين غيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق **قلنا**
عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل عليه الصلوة والسلام عن ذلك فمنع
عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما ياكله هو ودابته
واذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه والله اعلم **مسئلة** الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقرا
فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع
والتضييق ويكون الامر على ثلث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه
الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد غيره ذلك شيئا فانه عند ذلك فقير وان كان الفقير الذي حضر ضيفا تقيا
لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض عليه الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه
بما يكرهه لنفسه ولا ينبغي ان يأول على انه لا يدري فلا يضره لان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في قساوة القلب وان
لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيا ابو بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل فهذا وان افتينا بانه حلال
للفقراء حللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات **مسئلة** اذا كان
الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع عن مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما ايضًا
فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وان كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما
بل رضاهما هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ
ولا يتوسع فان ذلك غرور والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا مؤكد وكذلك اذا البسته امه ثوبًا
من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها
فيصلي فيه صلاة المضطر وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقايق وقد حكي عن بشر رحمه الله
انه سلمت اليه امه رطبة وقالت بحقي عليك ان تاكلها وكان يكرهه فاكل ثم صعد غرفه فصعدت امه وراءه فراته
يتقيا وانما فعل ذلك لانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل لاحمد سئل بشر هل للوالدين طاعة
في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العبادانی عنها فقال بروالديك فماذا تقول
فقال للسايل احب ان تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن ان تداريهما **مسئلة** من في يده مال حرام محض فلا
حج عليه ولا تلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا تجب الزكوة اذ معنى الزكوة وجوب اخراج ربع العشر مثلا وهذا
يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه او صرفا الى الفقرا ان لم يعرفه واما اذا كان ماله شبهة يحتمل انه
حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن فلا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب تحريمه
فالزكوة اولى بالوجوب وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين وقد قال قوم عليه الجمع
وقال اخرون يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره

الاما اكلتها

المالك

ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمناه اخراجها من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه
الجمع بين الصوم والاطعام اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل
ان يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام امسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج فان كان
ماشيا فلا باس لانه سياكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى
ما هو زيادة للمركوب فلا يجوز الاخذ بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شري المركوب في البلد وان كان يتوقع
القدرة على حلال لو اقام بحيث يستعين به ويستغني به من بقية الحرام فالاقامة في انتظاره اولى من الحج ماشيا بالمال
الحرام **مسئلة** من خرج للحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام
الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله عز وجل ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه
حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقنا
بالطيبات وان لم يقدر قليلا دم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه
بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهيته لذلك فالله تعالى قدير وبعباده رؤف رحيم **مسئلة**
سئل احمد رضي الله عنه فقال له قايل مات ابي وكان له مال وتركه وكان يعامل من يكره معاملته فقال تدع من ماله
بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقتضي فقال افترى ذلك فقال افتدعه محتبسا بدينه وما ذكره
صحيح وهو يدل على انه راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه راى ان اعيان امواله ملك
له بدلا عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابض مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول في قضاء
دينه على انه يقين فلا يترك بسبب الشبهة **الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما**
يحل منها وما يحرم اعلم انه من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلثه امور في مدخل ذلك الى يد السلطان
من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه
في الاستحقاق **النظر الاول** في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما تشترك فيه الرعية
قسمان قسم ماخوذ من الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية
واموال المصالحة وهي الذي تؤخذ بالشروط والمعاقدة **والقسم الثاني** ماخوذ من المسلمين ولا يحل منه الا قسمان المواريث
وساير الاموال الضايعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليس يوجد في هذا
الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره
ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب له ذلك على الجزية او على المواريث او على
الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة
الاول الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة
لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان لا يكون الجزية الا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها
زيادة على دينار او اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط ان يكون
الذمي الذي يؤخذ منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه ولا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا يكون صبيا ولا امراة
اذ لا جزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يصرف اليه ومقدار ما يصرف فيجب
النظر في جميع ذلك **الثاني** المواريث والاموال الضايعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله كله حرامًا
او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حرامًا بقي النظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم في
المقدار المصروف **الثالث** الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى

حملة

يكون الماخوذ موافقا له فى جميع شرايطه الرابع ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطى من ملكه ما شا
لمن شا اى قدر شا وانما النظر فى ان الغالب انه احياه باكراه الاجرا او باداء اجرتهم من حرام فان الاحيا يحصل بحفر القناة
والانهار وبنا الجدارات وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كان المستعملون فيه مكرهين على الفعل
لم يملكه السلطان وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قضيت اجورهم من الحرام فهذا يورث الشبهه وقد نبهنا عليه فى
تعلق الكراهة بالاعواض الخامس ما اشتراه السلطان فى الذمة من ارض او ثوب او خلعة او فرس او غيره فهو
ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه قد يستقضى ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله
السادس ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال القسمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذى لا شبهة فيه
وهو اكثر الادرارات فى هذا الزمان الا ما على اراضى العراق فانها وقف عند الشافعى على مصالح المسلمين السابع
ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيرهم فماله كمال خزانة السلطان وان كان معاملته مع غير السلاطين
اكثر فما يعطيه قرض على السلطان وما ياخذ بدله من الحرام فالخلل يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام
الثامن ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف السلطان دخلا الا من الحرام فهو
سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال
احتمالا قريبا له وقع فى النفس واحتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام فى هذه الاعصار
والحلال فى ايديهم معدوم او عزيز وقد اختلف الناس فى هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه وقال
آخرون لا يحل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال ولا يحل بشبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو
الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق ولقد
احتج من جوز اخذ مال السلاطين ان كان فيها حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روى عن جماعة من
الصحابة انهم ادركوا الايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم وهم ابو هريرة وابو سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وابو ايوب
وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمه فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد وعبد الملك واخذ
ابن عمر وابن عباس من الحجاج وكذا اخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى والنخعى والحسن وابن ابى ليلى واخذ الشافعى
من الرشيد الف دينار فى دفعة واخذ مالك من الخلفا اموالا جمة وقال على رضى الله عنه خذ ما اعطاك السلطان
فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك العطا منهم تورعا ومخافة على دينه ان يحمل على ما لا
يحل الا ترى قول ابى ذر للاحنف بن قيس خذ العطا ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا
اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة كان انه اذا اعطاه معوية سكت وان منعه وقع
فيه وعن الشعبى عن ابن مسروق لا يزال العطا باهل العطا حتى يدخلهم النار اى يحملهم ذلك على الحرام لا انه فى نفسه حرام
وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقنى الله تعالى واهدى
اليه ناقة فقبلها فكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روى ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا هدية المختار
والاسناد فى ردها اثبت وعن نافع انه قال بعث ابن معمر الى ابن عمر ستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سايل
فاستقرض له من بعد ما اعطاه واعطى السايل ولما قدم الحسن بن على بن ابى طالب على معاوية رضى الله عنهم فقال لا
اجيزك بجايزة لم اجزها احدا قبلك من العرب ولا اجيزها احدا بعدك من العرب فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن
حبيب ابن ابى ثابت قال لقد رايت جايزة المختار لابن عمر وابن عباس فيقبلانها فقيل ما هى قال مال وكسوة وعن
الزبير بن عدى انه قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربا فدعاك الى طعام او نحوه او
اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك والوزر عليه واذا ثبت هذا فى المربى فالظالم فى معناه قال جعفر الصادق عن ابيه

ان الحسن والحسين رضى الله عنهم كانا يقبلان جوايز معاوية وقال الحكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا
على سفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلا بن زهير الازدى
اتى ابرهيم النخعى ابى وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابرهيم النخعى لا باس بجايزة العمال ان للعمال مونة ورزقا
ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هولاء كلهم جوايز السلاطين الظلمة وكلهم
طعنوا على من اطاعهم فى معصية الله تعالى وزعمت هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع جماعة ما يدل على التحريم بل على
الورع كالخلفاء الراشدين وابى ذر وغيره من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذى يخاف
افضاؤه الى محظور ورعا وتقوى فاقدام هولاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن ابن المسيب
انه ترك عطاه فى بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلثين الفا وما نقل عن الحسن من قوله لا اتوضاء من ماء صيرفى وان ضاق
وقت الصلوة لانى لا ادرى اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم
اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة من يجوز اخذ مال السلطان الظالم الجواب ان ما نقل من احاد هولاء
محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم فان كان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من
اخذ ثلث احتمالات متفاوتة فى الدرجة بتفاوتهم فى الورع فان للورع فى حق السلاطين له اربع درجات الدرجة
الاولى ان لا ياخذ من مالهم اصلا شيئا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر حسب جميع
ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وحكى ان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة
له فاخذت درهما من المال فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه فدخلت الصبية الى بيت اهلها تبكى وجعلت
الدرهم فى فمها فادخل عمر اصبعه فى فمها فاخرجه وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لال عمر الا ما للمسلمين
قريبهم وبعيدهم وكنس ابو موسى بيت المال فوجد درهما فمر بنى لعمر فاعطاه اياه فراه عمر فى يد الغلام فقال له من اين لك
هذا فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا با موسى ما كان فى اهل المدينة بيت اهون عليك من بيت ال عمر اردت ان لا يبقى
من امة محمد عليه الصلوة والسلام احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا
ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر وكان يستبرى لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم
دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله عليه الصلوة والسلام من تركها فقد استبرا لدينه وعرضه ولما سمعه منه عليه الصلوة
والسلام من التشديدات فى اموال السلطان حتى قال عليه الصلوة والسلام حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة
اتق الله تعالى يا با الوليد لا تجئ يوم القيمة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها ثؤاج قال يا رسول الله
اهكذا يكون قال عليه الصلوة والسلام نعم والذى نفسى بيده الا من رحم الله قال فوالذى بعثك بالحق لا اعمل على شى
ابدا وقال عليه الصلوة والسلام انى لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدى انما اخاف عليكم ان تتنافسوا وانما خاف عليه الصلوة
والسلام التنافس فى المال ولذلك قال عمر رضى الله عنه فى حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال انى لم اجد لنفسى فيه الا
كالوالى مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروى ان ابنا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه
الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له وبعث به الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز
فهذه هى الدرجة العليا فى الورع الدرجة الثانية هى ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة
حلال فاشتمال يد السلطان على حرام اخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الاثار او اكثرها وما اختص منها باكابر الصحابة
والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان رضى الله عنهما من المبالغين فى الورع فكيف يتوسع فى مال السلطان وقد كان من اشدهم
انكارا عليهم واكثرهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو فى مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه
ماخوذا عند الله تعالى بها فقالوا له انا لنرجو لك حفرت الابار وسقيت الحاج وصنعت وابن عمر ساكت فقال له ما ذا

تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وستزد فترى وفي حديث آخر انه قال ان الخبيث
لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر الا تدعو لي فقال ابن عمر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة
فهذا قوله فيما صرفه الى الخيرات وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهب الدار الى يومي هذا
وروي عن علي رضي الله عنه انه ترك سويقا في اناء مختوم يشرب منه فقيل له أتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه
فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب اعرفه فهذا
هو المالوف منهم وكذا ابن عمر كان لا يعجبه شيء الا اخرج منه وطلب منه نافع بثلثين الفا فقال اني اخاف ان تفتنني
دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا
الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان في منصبه انه اخذ ما لا يدري انه حلال الدرجة الثالثة ان ياخذ
ليتصدق به على الفقراء ويفرقه على المستحقين فان كل مال لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم
يوخذ منه ولم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض العلماء
وسياتي وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون
بابن عمر وعائشة رضي الله عنهما ما يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذه حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين
الفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قيل جاءه مال فتصدق به وقال رايت ان آخذ منهم واتصدق احب الي
من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي رضي الله عنه بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك
لنفسه حبة الدرجة الرابعة ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستنفق ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا
كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر اموالهم حراما ويدل عليه تعليل علي رضي الله عنه
حيث قال فان ما ياخذونه من الحلال اكثر وهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر ونحن انما توقفنا فيه
في حق آحاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم
انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات
الظلمة في زماننا لا يجري مجراه وانما نفارقه من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا حرام كلها
او اكثرها وكيف لا والحلال الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل فيها يد السلاطين ولم يبق الا الجزية
وانها توجد بانواع من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في الماخوذ والماخوذ منه والوفاء له بالشرط
ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ
عشر معشار عشره الثاني من الوجهين ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا يستشعرون
من ظلمهم ومتشوفين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وعلماء الدين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم
وكانوا يبعثون اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا ياخذون منهم ذلك
ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم
ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات عليهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن
باخذهم باس فاما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر به والاستعانة به على اغراضهم
والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الآخذ
نفسه بالسؤال اولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه عند الاستعانة رابعا
وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه

ومقابحه ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد الا ما شاء الله ولو كان في فضل الشافعي مثلا فاذا لا يجوز
ان يوخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فكيف ما يشك فيه او يعلم انه حرام فمن استجرا
على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم
ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب
الذي يلي هذا فاذا قد تبين فيما قد تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما
يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى الثناء عليهم
وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعاني سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا ان شاء الله تعالى
النظر الثاني من هذا الباب في قدر الماخوذ وصفة الاخذ ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث
فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس فيء او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان
مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شاء لمن شاء وانما النظر في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى
من فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه
هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال
لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت
هذا فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال
حق الكفاية فيدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة
حتى يدخل فيه المعلمون والموذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل
فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العرامة
وعن اهل البغي وعن اعداء الاسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج
اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان يتعلق بالدين او بالدنيا اذ
بالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا فالدين والملك توامان لا يستغني احدهما عن الآخر والطبيب وان كان
لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج
اليها في مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة
وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار
ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية
على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن رضي الله عنه من معاوية في دفعة اربعمائة الف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه
يعطي لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت لعائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة ولجماعة عشرة الاف ولجماعة
ستة الاف فهذا مال هؤلاء فليوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص كل واحد منهم بمال كثير فلا باس وكذا السلطان
له ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه
الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع
والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين
احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل وكيف يجوز ان ياخذ من يده
وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعم بماله جميع المستحقين وكيف يجوز للآحاد ان ياخذوا افيجوز لهم الاخذ
بقدر حصصهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان ياخذ كل واحد ما اعطي اما الاول فالذي نراه ان لا يمنع اخذ الحق

لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكانت الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما يجب طاعة الامرا وقد ورد الخبر الامر بطاعة الامرا والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر فالذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنهم وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في الكتاب المستظهري ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز ههنا انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح راسا فكيف نفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في اقطار الارض ولاة نافذة الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلا نطول الآن به **واما الاشكال الآخر** وهو ان السلطان اذا لم يعم بالعطا كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلما فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذه فالمسلمون كلهم فيه شركا ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان ياخذ قوت يومه فقط فهذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال الآخرون انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هولاء فلم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقرا حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع التعميم للآخرين لجاز له ان ياخذه والتفضيل جائز في العطا سوى ابو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال انما فضلهم عند الله تعالى وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى عايشة رضي الله عنها اثنا عشر الفا وزينب عشرة الفا وجويرية ستة الف وكذا صفية واقطع عمر عليا رضي الله عنهما خاصة واقطع عثمان رضي الله عنه ايضا خمس جنات واثر عثمان عليا رضي الله عنهما فقبل ذلك منه ولم ينكر وكان ذلك جايزا لانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسئلة لا نص فيها على عينها ولا على مسئلة تقرب منها فيكون في معناها بقياس جلي كهذه المسالة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل واحد من ابي بكر وعمر مصيب باتفاق الصحابة ان المفضول ما رد في زمان عمر شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا ان كل واحد من الرائين حقا وليوخذ لهذا الجنس دستورا للاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسئلة شذت عن مجتهد فيها نص او قياس جلي لغفلة او سوء راي فكان في القوة بحيث ينتقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما هو في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة يتعلق بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة وادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سننبه

الباب السادس في ما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم

اعلم ان لك مع الامرا والعمال الظلمة ثلثة احوال الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم الثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك الثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك **اما الحالة الاولى** وهي الدخول عليهم فهي حالة مذمومة جدا في الشرع

وفيها

وفيها تغليظات وتشديدات وتواردت بها الاخبار والآثار فننقلها لتعرف ذم اهل الشرع ثم نتعرض بما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما يقتضيه الفتوى في ظاهر العلم **فاما الاخبار** فلما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لا يسلم من عذاب يعمه ان نزل بهم لترك المنابذة والمنازعة وقال عليه الصلوة والسلام سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منهم ولم يرد على الحوض وروى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال ابغض القرا الى الله عز وجل الذين يزورون الامراء وفي الخبر خير الامرا الذين ياتون العلما وشر العلما الذين ياتون الامرا وفي الخبر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه **واما الآثار** قال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفين في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم يوتى الى مجلسه ولا يوجد فيسئل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه كان يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القاري الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنيا ريا وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله عز وجل واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل له انه كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شي يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله تعالى بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هولاء السلاطين وقال وهيب هولاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هولاء ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك يا ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما عرفك من كتابه وعلمك من سنة نبيه عليه الصلوة والسلام وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلما قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يود حقا ولم يترك ظلما وباطلا حين اداناك اتخذوك قطبا يدور عليك رحا ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلما ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك مما افسدوا عليك من دينك فما يومنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهي زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السماء فهذه الاخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح **فنقول** الداخل على السلطان معرض لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور الا من شاء الله **اما الفعل** فالدخول اليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن المالك حرام ولا يغرنك قول القايل ان ذلك مما يتسامح به الناس

كثرة او قباة خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص
الملك فهي في محل التسامح وكذا الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما يتم بفعل المجموع وانما
يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم
التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يتخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا تنقص
لان المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم يباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات
توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحدة من الضربات لو انفردلكان لا يوجب قصاصا وان فرض
الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة ليس من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز
لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصى بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام
عليك ولكن ان يسجد او ركع او مثل قائما في سلامه او خدمته كان حراما لانه مكرم للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه
والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع ذهب ثلثا دينه
فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحنا في الخدمة فهو معصية الا لخوف او
لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة ابن الجراح يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لما ان لقيه
بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد السلام ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط
بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلوا من الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم
حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم فهذا من حيث الفعل **واما السكوت** فهو انه سيرى في مجلسهم في فرش الحرير واواني
الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من راى سيئة وسكت عنها فهو شريك في تلك السيئة
بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذآء والسكوت عن ذلك كله حرام بل يراهم لابسين واكلين للطعام وجميع
ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله
فان سكت فهو عاص **فان قلت** انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن ان
يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط
بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين
يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته **واما القول** فهو ان يدعوا للظالم او يثني عليه او يصدقه
فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق
الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدوا كلامه هذه الاقسام
اما دعاوه له فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري
هذا المجرى فاما الدعا بالحراسة وطول البقا واتساع النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله
عليه وسلم من دعا للظالم بالبقآ فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه فان جاوز الدعا الى الثنا فيذكر ما ليس فيه
فيكون كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلثة معاصي وقد قال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى ليغضب
اذا مدح الفاسق وفي خبر اخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول
والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثنا اعانة على الظلم والمعصية وتحريك الرغبة
فيها كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر
كلمة ولقد سئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة
له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه

عن ردّ جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم وراوه من محاسن القربات فاما السكوت صح

فان كان

فان كان كاذبا عصى الله تعالى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقآ الظالم وحقه ان يبغضه
في الله عز وجل ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو
عاص بمحبته وان احبه بسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه فكان الواجب عليه ان يبغضه في الله تعالى
وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحبه لاجل ذلك الخير ويبغضه لاجل ذلك الشر وسياتي في كتاب الاخوة
والمتحابين في الله تعالى وجه الجمع بين الحب والبغض فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه
فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله تعالى عليه ويكون مقتحما نهي النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال يا معشر
المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء غيره في الدخول ومن تكثير سواد الظلمة
بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات دعي سعيد بن المسيب رضي الله عنه
الى البيعة للوليد وسليمن ابني عبد الملك بن مروان رحمهم الله تعالى فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الاخر قال لا والله لا يقتدي بي احد من الناس
فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين **احدهما** ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام
وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة
الخلق حتى لا يضطرب الولاية **الثاني** ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او
بطريق التظلم والشفاعة فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول
عليه **الحالة الثانية** ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه اما القيام والاكرام له فلا يحرم
ايضا مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام
والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه
للدين واعراضه عمن اعرض عن الله تعالى فاعرض الله عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات
فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه النية فان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله اذى من غضبه
فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو
يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه وذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه بل عليه
ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طرق المصلحة ان كان يعرف طريقا
على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذا يجب
عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه فيما يغنيه عن الظلم
فهذه ثلثة امور يلزمه اذا توقع للكلام فيها اثرا وهو ايضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او غير
عذر قال محمد بن صالح كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرا فيه وجراب
فيه علمه ومطهرة يتوضا منها فبينا انا عنده اذ دق الباب واذا هو محمد بن سليمن فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا
رايتك امتلات منك رعبا قال حماد لانه صلى الله عليه وسلم قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شيء
فان اراد ان يكثر به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم جاء بها معه وقال تاخذها وتستعين بها
قال اردها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها فتقسمها فقال لعلي
ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فياثم فازوها عني **الحالة الثالثة** ان
يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فلعله ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم
ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك

فبينا انا عنده صح

اذا خطر ببالهم امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله امرهم وتنعمهم اذهبه بذكر الله تعالى وبما قال حاتم
الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما
عسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدردا اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون
ونلبس لهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابا ونحن منه برآ اذ كل من احاط علمه بظلم ظالم او
معصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته
في القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان تكره فانها اما ان يغفل عنها او يرضى بها او يكرهها ولا غفلة مع العلم ولا
وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل واحد على حق الله تعالى كجنايته على حقك **فان قلنا** الكراهة
لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب **قلنا** ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه
ومخالف له فانما لا يكره معصية الله من لا يحب الله عز وجل وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة
لله واجبة فاذا احبه كره ما يكره واحب ما يحبه وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا من ربع المنجيات
ان شاء الله تعالى **فان قلت** فلقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين **فاقول** نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل **فقد
حكي** ان هشام بن عبد الملك قدم مكة حاجا فلما دخلها قال ايتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المومنين قد تفانوا
قال فمن التابعين فاتي بطاوس اليماني رضي الله عنه فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين
ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه فقال كيف انت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله
فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما
الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا وقال خلعت نعلك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم بامرة المومنين ولم
تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين
يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاتبني ولا يغضب علي واما قولك فلم تقبل يدي فاني سمعت عليا كرم الله
وجهه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امراته من شهوة او ولده برحمة واما قولك لم تسلم بامرة المومنين
فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى انبياءه فقال تعالى
يا داود يا موسى يا يحيى يا عيسى وكنى عدوه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت عليا
رضي الله عنه يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام
عظني فقال سمعت عليا كرم الله وجهه يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير
لا يعدل في رعيته ثم قام من بين يديه وخرج وهرب واختفى **قال** سفين الثوري ادخلت على ابي جعفر المنصور
بمنى وقال ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله عز وجل تعالى فقد ملات الارض جورا وظلما قال فطاطا راسه ثم رفع
وقال ارفع الينا حاجتك قلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق
الله تعالى واوصل اليهم حقوقهم قال فطاطا راسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك قلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال لخازنه كم انفقت قال بضعة عشر درهما وارى هاهنا امورا لا تطيقها الجبال فهكذا كان يدخلون على السلاطين
اذا اكرهوا كانوا يغررون بارواحهم في الانتقام لله تعالى من ظلمهم **ودخل** ابن ابي شميلة على عبد الملك بن مروان
فقال له تكلم فقال ان الناس لا ينجون يوم القيمة من غصصها ومرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط
نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت **ولما** استعمل عثمان رضي الله عنه
العباس رضي الله عنهما اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطأ عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال
ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه **ودخل** مالك بن دينار

على امير البصرة وقال ايها الامير قرات في بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز
ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها
عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري ما الذي يجريك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال الله تعالى ثم قلة
الطمع فينا وترك الامساك بما في ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان
صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه
ثم نظر سليمان الى الناس في عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المومنين فقال سليمان ابتلاك الله
بهم **وحكي** ان سليمان بن عبد الملك رحمه الله قدم المدينة يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه
قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى
الخراب قال يا ابا حازم كيف القدوم على الله عز وجل قال يا امير المومنين اما المحسن فكالغايب يقدم على اهله
واما المسيء فكالابق يقدم به على مولاه فبكى سليمن وقال ليت شعري ما لي عند الله تعالى قال ابو حازم اعرض
نفسك على كتاب الله عز وجل حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمت الله
قال قريب من المحسنين قال سليمان يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال
اداء الفرايض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعا اسمع قال قول الحق عند من يخاف ويرجوا قال فاي المومنين اخسر
قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع اخرته بدنيا غيره قال سليمان وما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن
نصيحة تلقيها الي قال يا امير المومنين ان اباك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة
من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا ولو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من
جلسايه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله تعالى قد اخذ الميثاق على العلما ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال سليمن
فكيف لنا ان نصلح فيها الفساد قال ان تاخذ من حله فتضعه في حقه قال سليمن ومن يقدر عليه قال من يطلب الجنة
ويخاف النار فقال سليمن ادع لي فقال ابو حازم اللهم ان كان سليمن وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان
كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمن اوصني فقال اوصيك واوجز عظم الله ربك ونزهه
ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك **وقال** عمر بن عبد العزيز لابي حازم رضي الله عنهما عظني
فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر ما تحب ان يكون لك تلك الساعة فخذ به الان وما تكره ان يكون
فيك تلك الساعة فدعه الان فلعل تلك الساعة قريبة **ودخل** اعرابي على سليمن بن عبد الملك فقال تكلم
يا اعرابي فقال يا امير المومنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراه ما تحب ان قبلته قال يا اعرابي انا
لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجوا نصحه ولا نامن غشه قال الاعرابي يا امير المومنين انه قد تكنفك رجال اساؤا
الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز وجل ولم يخافوا الله تعالى فيك
حرب للاخرة سلم للدنيا فلا تامنهم على ما ايتمنك الله عليهم فانهم لم يالوا في الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا
وانت مسول عما اجترحوا وليسوا مسولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا من
باع اخرته بدنيا غيره فقال سليمن اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك قال اجل يا امير المومنين
ولكن لك لا عليك **وحكي** ان ابا بكرة دخل على معوية رضي الله عنهما فقال اتق الله يا معوية واعلم انك في كل يوم
يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد
نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زايل وفي الذي
نحن صايرون اليه باق ان خيرا فخير وان شرا فشر فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين اعني علماء الاخرة

فاما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقايق الحيل طرق السعة فيما
يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ماذكرناه فى معرض الوعظ بل يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم
وفى هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان قصدي فى الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون
على انفسهم بذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق فى طلب الاصلاح
انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه فى العلم ووقع موقع القبول وظهر به اثر الاصلاح فينبغي ان يفرح
ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه ان يعالج مريضا ضايعا وقام بمعالجته غيره فانه يعظم به
فرحه فان كان يصادف فى قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور الثانى ان يزعم انى اقصد الشفاعة
لمسلم فى دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره واذ ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم
فى احوال العارضة فى مخالطة السلاطين ومباشرة اموالهم مسايل اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه
على الفقرا فان كان له مالك معين فلا يحل اخذه وان لم يكن بل كان نحكم انه يجب التصدق به على المساكين كما سبق
فلك ان تاخذه وتتولى التفرقة ولا تعصى باخذه ولكن من العلماء من امتنع منه فعند هذا نظر يتصدى فى الاولى
فنقول الاولى ان تاخذه ان امنت ثلث غوايل الغايلة الاولى ان يظن ان السلطان بسبب اخذك ان ماله
طيب ولولاه لكنت ما تمد اليه اليد ولا تدخله فى ضمانك فان كان كذلك فلا تاخذه فان ذلك محذور ولا يفى الخير
فى مباشرتك التفرقة بما يحصل له من الجراءة على كسب الحرام الغايلة الثانية ان ينظر اليك غيرك من العلماء الجهال
فيقتدون بك فى الاخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون وهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ
الشافعى على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته واخذه على نية التفرقة فالمقتدى به والمتشبه به ينبغى ان يحترز
من هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير وقد حكى وهب بن منبه ان رجلا اتى به الى ملك بمشهد
من الناس ليكره على اكل لحم الخنزير فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل وقال الناس قد اعتقدوا
بانى طولبت باكل لحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت ودخل وهب بن منبه وطاوس
على محمد بن يوسف اخ الحجاج وكان عاملا وذلك فى غداة باردة فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان والقه على
ابى عبد الرحمن اى طاوس وكان قد قعد على الكرسى فالقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان عنه وغضب
محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه لو اخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا ان يقول من
بعدي اخذه طاوس ثم لا يصنع به ما اصنع به اذا لفعلت الغايلة الثالثة ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه
اياك وايثاره لك بما انفذه اليك فان كان كذلك فلا يقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين اعنى
ما يحبب الظلمة اليك فان ما احببته لابد وان تحرص عليه وتداهن فيه قالت عايشة رضى الله عنها جبلت القلوب
على حب من احسن اليها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى بين عليه الصلوة والسلام
ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروي ان بعض الامرا ارسل الى مالك بن دينار بعشرة الف فاخرجها كلها فاتاه
محمد بن واسع وقال ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق فقال سل اصحابى فقالوا اخرجه كله قال انشدك الله
اقلبك اشد حبا له الآن ام قبل ان يرسل فقال لا بل الان فقال انما كنت اخاف هذه وقد صدق فانه اذا
احبه احب بقاه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم
وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود من رضى بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار قيل لا ترضوا باعمالهم فان كنت فى القوة بحيث لا تزداد حبا لهم بذلك فلا باس بالاخذ وقد
حكى عن بعض العباد بالبصرة انه كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدى

فادخلنى الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبى لان الذي سخره للاخذ بيدي هو الذى ابغضه لاجله شكرا له على
تسخيره اياه وبهذا يتبين ان اخذ المال منهم الان وان كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لانه
لا ينفك عن هذه الغوايل مسئلة ان قال قايل اذا جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز ان يسرق ماله او يخفى وديعته
وينكر ثم يفرق على الناس فنقول ذلك غير جايز لانه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس
هذا كما بعثه اليك فان العاقل لا يظن به ان يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه فان كان
ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز ان يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يجوز ان يسرق ويحتمل ان يكون ملكه قد
حصل له بشرا فى الذمة فان اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو وجدت لقطة وظهر ان صاحبها جندى
واحتمل ان يكون له بشرا فى الذمة او غيره وجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عنده ولا
يجوز انكار ودايعهم ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد
بالدعوى مسئلة المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يوخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم
حله فيبقى النظر فيما سلمه اليهم فان علم انهم يعصون الله تعالى به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك
حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف فى الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها نساهم فهو شبهة مكروهة
هذا فيما يعصى فى عينه من الاموال وفى معناه بيع الفرس منهم سيما فى وقت ركوبهم الى قتال المسلمين اوجباية اموالهم
فان ذلك اعانة قريبة وهى محظورة فاما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراه مما لا يعصى الله فى عينه بل يتوصل
به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب وهذه
الكراهية جارية فى الاهدا اليهم وفى العمل لهم من غير اجرة حتى فى تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب
واما تعليم القران فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم انه حل ولو انتصب وكيلا
لهم يشترى لهم فى السوق من غير جعل واجرة فهو مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به
المعصية كالغلام والديباج للبس والفرس للركوب الى قتال المسلمين والظلم عليهم فذلك حرام فمهما ظهر
قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالته عليه حصلت الكراهية مسئلة
الاسواق التى بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعى لم
يحرم ما اكتسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخرى فالاولى الشرا منها
فان ذلك اعانة لسكناهم وتكثير الكرا حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التى لا خراج لهم عليها احب من معاملة سوق
لهم عليها خراج وقد بالغ قوم لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب الاراضى التى عليها الخراج لانهم ربما يصرفون
ما ياخذون الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو فى الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضى ولا غنى
بالناس عن ارتفاع الارض فلا معنى للمنع منه ولو جاز هذا الحرم على المالك زراعة الارض حتى لا يطالب بخراجها
وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعايش مسئلة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم
بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم
على زى العلما ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم والطباع مجبولة على الاقتدا والتشبه بذوى الجاه والحشمة
فهم سبب انقياد الخلق اليهم واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب الصريح ولا يقع فى ايديهم مال مصلحة
وجزية وميراث ووجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت
لانى اخاف تعديهم عمن شهدت عليه وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفسد الملوك بفساد العلما
فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم وتشنيعهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

لا يزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه مالم يمالي قراؤها امراؤها وانما ذكر القرا لانهم هم كانوا العلما وانما
كان علمهم بالقران ومعانيه المفهومة بالسنة وما ورآء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفين
لا تخالط السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطه
بعضهم شركآء بعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال
ابن مسعود اكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذا رواه جابر
وعمر رضي الله عنهما عنه عليه الصلوة والسلام وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى يعلم ما فيه وامتنع سفين
عن مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب به وكل من حواليهم من خدمهم واتباعهم ظلمة مثلهم
يجب بغضهم في الله جميعا وروي عن عثمان بن زايده انه ساله واحد من الجنود وقال اين الطريق فسكت واظهر
ان به صمما وخاف ان يكون موجها الى ظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا له وهذه المبالغة لم تنقل من السلف
مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين واهل الحمامات والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع الفسق والكذب
عليهم بل مع الكفار من اهل الذمة وانما هذا في السلاطين الظلمة والآكلين لاموال اليتامى والمساكين والمواظبين
على ايذآء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعايرها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة
ومتعدية فالفسق لازم لا يتعدى فكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله عز وجل فاما معصية
الولاة بالظلم فهي متعدية فالفسق لازم لا يتعدى فكذا الكفر وهو جناية وانما يغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم
وعموم التعدي يزدادون من الله تعالى مقتا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله
عليه وسلم يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال عليه الصلوة والسلام من اشراط الساعة رجال معهم سياط
كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القبا وطول الشوارب وساير
الهيئات المشهورة فمن راى على تلك الهيئة يجب اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه الذي جنى على نفسه
اذ تزيا بزيهم ومساوات الزي تدل على مساوات القلب فلا يتجان الا مجنون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق
نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه باهل الصلاح فاما الصالح فليس له ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم
وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة
وقد روي ان الله عز وجل اوحى الى يوشع عليه السلام اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا
من شرارهم فقال يا رب ما بال الاخيار فقال جل وعلا انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم
فبهذا يتيقن ان بغض الظلمة والغضب عليهم لله تعالى واجب روي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله تعالى لعن علمآء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معايشهم **مسئلة** المواضع التي بناها الظلمة
كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر اما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة
والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنه معدلا تاكد الورع وانما جوزنا العبور وان وجد عنه معدلا لانه اذا لم
يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من
دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل عليه العبور اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير
ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بنى في ارض مغصوبة او بخشب مغصوب من
مسجد آخر او مالك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف
خارج المسجد فان الصلوة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وينعقد في حق الاقتدا وان عصى صاحبها بالوقوف
في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة

الليقه

فحكم

والجماعة لهذا لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وان لا يكون له مالك معين فهو لمصالح المسلمين
ومهما كان في المسجد الكبير بنآء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع قيل لاحمد بن حنبل
رضي الله عنه ما حجتك في ترك الخروج الى الصلوة ونحن بالعسكر فقال حجتي الحسن وابرهيم التيمي خافوا ان يفتنهم
الحجاج وانا اخاف ان افتن ايضا اما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول فانه غير منتفع بها انما هي زينة
والاولى ان لا ينظر اليها واما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد
ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنه فانه محل شبهة فاما السقاية فحكمها ما ذكرناه
فليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلوة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة
واما الرباطات والمدارس فان كانت رقبة الارض مغصوبة او الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه
فلا رخصة للدخول فيها وان التبس المالك فقد ارصد لجهة من الخير فالورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله
وهذه الابنية وان صدرت من خدم السلاطين فالامر فيها اشد اذ ليس له صرف الاموال الضايعة الى المصالح
ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر **مسئلة** الارض
المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطاها البتة فان لم يكن له مالك معين جاز والورع العدول ان امكن
فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور تحته ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه الى
السقف كما يقف في الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس او اذى المطر وغيره فهو حرام لان
السقف لا يراد الا لذلك وهكذا حكم من يدخل ارضا او مسجدا مباحا سقف ذلك اذ كان له فائدة في الحيطان
والسقف وحوط بغصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف اذ كان له فائدة في الحيطان والسقف
لحر او برد او تستر عن بصر وغيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على غصب لما فيه من المماسة بل
للانتفاع والارض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال فلا فرق بينهما والله اعلم بالصواب واليه المرجع
والمآب **الباب الرابع في مسايل متفرقة مهمة** مما يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى **مسئلة**
سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه
وهل يختص بالصوفية ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوا واما غيرهم فيحل له اذا اكله برضا
الخادم ولكن لا يخلوا عن شبهة اما الحل فلان ما يعطى للخادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى
لا الصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم
غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يتسلط الخادم على الشرى به والتصرف فيه لان ذلك مصيره
الى ان المعاطات لا تكفي وهو ضعيف ثم لا صاير اليه في الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال زال الملك الى
الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سواله في الخانكاه اذ لا خلاف في ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا
كلهم او واحد منهم لا يجب ان يصرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه دفع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق
لان ازالة الملك الى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف لان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد
الى يوم القيمة وانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نائبا عن الجهة ولا وجه الا ان يقال هو ملكه
وانما يطعم الصوفية به فاشترط التصوف والمروة فان منعهم عنه ممنوع عن ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم
حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله **مسئلة** سئل عن مال اوصى به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف
اليه فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف
في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي ان كل من هو بصفة اذا نزل في خانكاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه

بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل انه يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية
وان لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانكاهات ثم بعض هذه الصفات ما يوجب
زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل
من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصي به للصوفية ولسنا
نعتبر فيه الصغائر واما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع
في حانوته او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هؤلاء لا يستحقون ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة واما الخياطة
والوراقة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيه فاذا تعاطاها لا في حانوت ولا في جهة اكتساب وحرفة
فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات واما القدرة على الحرف من غير
مباشرة لا يمنع واما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الصفات من الزي والمساكنة
والفقر اذ لا يتناقض ان يقال صوفي مقرئ وصوفي واعظ وصوفي عالم ومدرس وفقيه ويتناقض ان يقال
صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل به الى الثروة الظاهرة
فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية وان كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه لذلك وكذا اذا كان له
مال قاصر عن وجوب الزكوة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما المخالطة معهم والمساكنة
لهم فلها اثر ايضا ولكن من لا يخالطهم وهو في داره او في مسجد على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان
ترك المخالطة يجبره ملازمة الزي فان لم يكن على زيهم ووجد بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم
في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية والمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الاخر والفقيه الذي ليس على
زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان ينسحب
عليه بالتبعية حكمهم واما لبس المرقع من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضر مع
وجود الشرائط المذكورة واما المتاهل المتردد الى الرباط والمسكن لا يخرج من جملتهم **مسئلة** ما وقف على رباط
الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصي به للصوفية فان معنى الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير الصوفي
ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد به في الغنائم
المشتركة وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم وما اوصي به للصوفية
لا يجوز ان يصرف الى قوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من احضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء فمن
له غرض في استمالة قلوبهم يحل لهم الاكل برضاهم فان الواقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية
فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام وياكل وان رضوا به
اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول معهم وعليهم
وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات
بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم وهو ان الحجاب هو العلم
المذموم دون المحمود وذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما واما الفقيه اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من
النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية وكان عدم الزي يجبره المساكنة ولكن برضا اهل
الزي وهذه امور يشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا يخفى اطرافها في النفي والاثبات ويتشابه اوساطها
فمن احترز في موضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في باب الشبهات **مسئلة** سئل عن الفرق بين الرشوة
والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخرى فقلت باذل المال

لابدله

لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما اجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على
مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض
وراءها فالاقسام الحاصلة من هذا خمسة **الاول** ما غرضه الثواب في الاخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف
اليه محتاجا او عالما او منتسبا بنسب ديني او صالحا في نفسه متدينا فما علم الاخذ انه يعطى لحاجته لا يحل له اخذه
ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى لشرف نسبه فلا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل
له ان ياخذ الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب وان
لم يكن كاملا لم يحل له اخذه وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علم المعطي
لما اعطاه وقل ما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي
يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون وكلوا في الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يسامحوا في البيع خيفة من ان يكون
ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقوى خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين مهما
امكن **القسم الثاني** ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط
ثواب ولا يخفى حكمها وانما يحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود **الثالث** ان يكون المراد
اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط
ثواب يعرف بقرينة الحال فينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب وان كان حراما كالسعي في تنجز ادرار حرام
او ظلم انسان وغير ذلك حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر على ازالته او شهادة متعينة
فيحرم ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو
عرف لجاز الاستيجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد
السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا او
ينعم علي بكذا ويفتقر في تنجز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي
فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه
او تلك الفعلة من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه قصته بين يدي السلطان
فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سياتي في هدايا الملوك
واذا كان لا يجوز اخذ العوض عن اسقاط الشفعة ولا للرد بالعيب ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض
مع كونها مقصودة فكيف يوخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء
ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله في التلفظ به غير متقوم
كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى
هو عالما به ودون هذا الحاذق في صناعته مثلا كالصيقل الذي يزيل اعوجاج السيف او المراة بدقة واحدة
لحسن معرفته بموضع الخلل ولحذقه باصابته وقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمراة فهذا لا ارى
باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل
الرابع ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستيناس وتاكيدا للصحبة
وتوددا الى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب اليه في الشرع ايضا قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا
وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب ايضا محبة غيره لعين المحبة بل للفائدة في محبته ولكن اذا لم يتعين تلك الفائدة
ولا يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال او المال سمي ذلك هدية وحل اخذها **الخامس** ان يطلب التقرب الى قلبه

الاغصان

وتحصل محبته لا لمحبته والانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم ينحصر
عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي اليه وان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه
فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او
جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وان كان لولا تلك الولاية لكان لا يهدي اليه
فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر لا ينحصر جنسه اذ ما
يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى رايه وانه لا يبغي المحبة انه لو ولي غيره في الحال لسلم المال الى غيره فهذا مما اتفقوا
على ان الكراهية فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة
المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين واذا تعارضت المشابه القياسية وعضدت الاخبار والاثار احدهما
تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر فيها قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يستحل فيه السحت
بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة وسئل ابن مسعود عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة
فيهدى له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او يتبرع بها لا على قصد اجرة ولا يجوز له ان ياخذ بعده
شيئا في معرض العوض وشفع مسروق شفاعة فاهدى له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر رضي الله عنه ربح مال
القراض الذي اخذه ولداه من مال بيت المال وقال انما اعطيكما لمكانكما مني وعلم انه اعطي لاجل جاه الولاية واهدت
امراة ابي عبيدة ابن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافتها بجوهر فاخذه عمر رضي الله عنه فباعه واعطاها ثمن
خلوقها ورد باقيه في بيت مال المسلمين وقال جابر وابو هريرة رضي الله عنهما هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد
العزيز الهدية قيل له قد كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال رضي الله عنه كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة
اي كان يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات الازد فلما اتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض
ما معه وقال هذا ما لكم وهذا لي هدية فقال عليه الصلوة والسلام الا جلست في بيتك وبيت ابيك او بيت امك
حتى تاتيك هدية ان كنت صادقا ثم قال الصلوات عليه ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذه لكم وهذه هدية لي
الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي نفسي بيده لا ياخذ احد منكم شيئا بغير حقه الا اتى الله تعالى يحمله فلا ياتين
احدكم يوم القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه صلى الله عليه وسلم حتى رايت بياض ابطيه
ثم قال اللهم هل بلغت فاذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه في بيت امه وابيه
فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت امه يجوز له ان ياخذه في ولايته فهو حلال له لانه ما تقرب اليه للولاية وما
يعلم انه يعطى في الولاية ويمنع عند العزل فلا ياخذه فهو رشوة حرام وما اشكل عليه في اصدقائه انهم هل كانوا
يعطونه ذلك لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه والله تعالى اعلم بالصواب تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلوته
على رسوله محمد واله اجمعين ورضي الله تعالى عن الخلفاء الراشدين وعلى جميع المهاجرين والانصار وعلى جميع ائمة الدين
من العلماء والمتورعين والاتقياء وعلى مولف الكتاب غفر الله لكاتبه ولوالديه ولاستاذيه ولجميع المومنين والمومنات
والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات اللهي وسيدي ومولاي استر عيوبنا واغفر ذنوبنا واغفر لنا وارحمنا وارض
عنا فانا وان لسنا من اهل ان نرحم فانت اهل ان ترحم وصلى الله على جميع الملائكة والانبياء والصالحين والحمد لله وحده

كتاب اداب الصحبة والاخوة والمعاشرة وهو كتاب الخامس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه اعتصمت الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا

والف

والف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخوانا وفي الاخرة
رفقاء وخلانا والصلوة على محمد المصطفى وعلى اله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا
وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان التحاب في الله والاخوة في دينه من افضل القربات والطف ما يستفاد من الطاعات
في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو
الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى وبالمحافظة عليها
ينال الدرجات العلى ونحن بعون الله تعالى نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلثة ابواب **الباب الاول** في
فضيلة الالفة والاخوة في الله عز وجل وشروطها ودرجاتها وفوائدها **الباب الثاني** في حقوق الاخوة
والصحبة وادابها وفوائدها ولوازمها **الباب الثالث** في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع
من يدلي بهذه الاسباب **الباب الاول** في فضيلة الالفة والاخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها **فضيلة الالفة
والاخوة** اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف
والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة لا محالة محمودة
وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال عز وجل
وانك لعلى خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك
قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال عليه الصلوة والسلام خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله
خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال عليه الصلوة والسلام يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق فقال ابو هريرة وما
حسن الخلق يا رسول الله قال عليه الصلوة والسلام تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى
ان ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الالفة
وانقطاع الوحشة سيما اذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله تبارك وتعالى من الايات والاخبار
والاثار ما فيه كفاية ومقنع **الايات** قال الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الالفة لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة ثم ذم التفرقة
وزجر عنها فقال جل جلاله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون **الاخبار** قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقال عليه الصلوة
والسلام المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف وقال عليه الصلوة والسلام في الثناء على الاخوة في الدين
من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال عليه الصلوة والسلام مثل الاخوين
اذا التقيا مثل اليدين تغسل احدهما الاخرى وما التقى المومنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال
عليه الصلوة والسلام في الترغيب في الاخوة في الله من اخى اخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من
عمله وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم
لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولاء يا رسول الله
فقال هم المتحابون في الله عز وجل ورواه ابو هريرة فقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم
نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال عليه الصلوة والسلام
هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال عليه الصلوة والسلام ما تحاب اثنان في الله الا

واخوانا

محاسن

تم

كان احبهما الى الله تعالى اشدهما حبا لصاحبه ويقال ان الاخوين في الله تعالى اذا كان احدهما اعلى مقاما من الاخر
رفع الله الاخر معه الى مقامه وانه يلحق به كما يلحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا
اكتسبت في الله لم تكن دون عمل الولادة وقد قال تعالى الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء وقال عليه
الصلوة والسلام ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون
من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وقال عليه الصلوة والسلام
ان الله تعالى يقول يوم القيمة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه
وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا
خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه
ورجل دعته امراة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم
شماله ما تنفق يمينه وقال عليه الصلوة والسلام ما زار رجل رجلا في الله تعالى شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه
ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عليه الصلوة والسلام ان رجلا زار اخاه في الله فارصد الله له ملكا
فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا قال الحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال
فبنعمة له عندك قال لا قال فبم قال لا احبه في الله قال فان الله تعالى ارسلني اليك اخبرك بانه يحبك بحبك
اياه وقد اوجب لك الجنة وقال عليه الصلوة والسلام اوثق عرى الاسلام الحب في الله والبغض في الله فبهذا يجب
ان يكون للرجل اعداء يبغضهم في الله كما يكون له اصدقاء واخوان يحبهم في الله ويروى ان الله تعالى اوحى الى عيسى
عليه السلام لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك
شيئا وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله تعالى ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله تعالى بالتباعد منهم والتمسوا
رضى الله تعالى بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله تعالى رؤيته ومن يزيد في علمكم
كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله وروي في الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا ابن
عمران كن يقظان وارتد لنفسك اخدانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو واوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانا قال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود
كن يقظان وارتد لنفسك اخدانا فكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك
مني وفي اخبار داود ايضا انه قال يا رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس
باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق اهل الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق
اهل الاخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان احبكم الى الله تعالى الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله
تعالى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا نصفه من النار ونصفه
من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك الصالحين وقال عليه الصلوة والسلام
ما احدث عبد اخا في الله الا احدث الله تعالى له درجة في الجنة وقال عليه الصلوة والسلام المتحابون في الله
على عمود من ياقوتة حمراء في راس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة يضيء حسنهم لاهل الجنة كما يضيء
الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين في الله تعالى فيضيء حسنهم لاهل الجنة كما
تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله عز وجل **الاثار** قال علي كرم الله وجهه
عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والاخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
وقال عبد الله بن عمر والله لو صمت النهار كله لا افطر وقمت الليل لا انام وانفقت مالي علقا علقا في سبيل الله

ثم اموت يوم اموت وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما ينفعني ذلك شيئا
قال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم اني اذا كنت اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة
لي اليك وقال الحسن على ضده يا ابن ادم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم
فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة في بعض
الاعمال او كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين باي عمل عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته باي رحم قاطعة وصلتها
باي زلة لاخيك غفرتها باي قريب باعدته في الله باي بعيد قاربته في الله ويروى ان الله تعالى اوحى الى موسى
عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال الهي ذكرتك وصليت لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلوة لك
برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فاي عمل عملت لي قال موسى الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى
هل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا فعلم موسى عليه السلام ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله وقال
ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله تعالى سبعين سنة لبعثه الله يوم القيمة مع من يحب
وقال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله تعالى وقال رجل لمحمد بن واسع اني لاحبك في الله تعالى
فقال احبك الله الذي احببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض
ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت
ولكن انظر ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين
انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائي شر
من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب مثله وقال
مجاهد المتحابون في الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض يتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء
اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة **بيان معنى الاخوة في الله تعالى
وتمييزها عن الاخوة في الدنيا** اعلم ان الحب في الله والبغض في الله تعالى غامض وينكشف الغطاء بما نذكره
وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة
او في السوق او على باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة
في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة
عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه فان غير
المحبوب يجتنب ويتباعد عنه ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب
ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما
ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام **القسم الاول** وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن
وهو ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك
له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع
المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هو الصورة الظاهرة اعني حسن
الخلقة واما ان يكون هو الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن
الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم
وكل مستحسن ومستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد يستحكم المودة بين شخصين

من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشي
ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وقيل
في معناها وشبه الشي منجذب اليه واشبهنا بدنيانا الطغام وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتناكر نتيجة التباين والائتلاف
نتيجة التناسب الذي عبر عنه عليه الصلوة والسلام بالتعارف وفي بعض الالفاظ تلتقي الارواح فتشام
في الهوى وكنى بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش
فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك فلتقيا تواصلا في الدنيا وقال عليه الصلوة والسلام ان ارواح المومنين
لتلتقي على مسيرة يوم وما راى احدهما صاحبه قط وروي ان امراة كانت بمكة تضحك النسا وكانت بالمدينة
اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عايشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها قالت عايشة
صدق الله وصدق رسوله سمعته يقول صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا ان
المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والاخلاق باطنا وظاهرا امر
مفهوم واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم
ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا يظهر نظر الموافقة والمودة فيقتضي التناسب
والتواد فاذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة وهذا لو صدق لكونه كذلك في مجاري
سنة الله تعالى في خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا
معنى للخوض فيما لم ينكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة
وقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم لو ان مومنا دخل الى مجلس وفيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتى يجلس
اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مومن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشي
ينجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك ابن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما
وصف من الاخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق منهم نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما
مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما عرجان
فقال من هاهنا اتفقا وقيل كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان
برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد وان يفترقا وهذا معنى خفي تفطن له شاعر فقال وقائل كيف
تفارقتما فقلت قولا فيه انصاف لم يك من شكلي ففارقته فالناس اشكال والاف فقد ظهر من هذا ان
الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال او مال بل بمجرد المناسبة والمجانسة في الطباع الباطنة
والاخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصورة الجميلة
مستلذة في عينها فان قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح
المشرب بالحمرة والى الماء الجاري والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله تعالى
بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يومن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما
كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف
بحمد ولا بذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم **القسم الثاني** ان يحبه لينال من ذاته
غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب
بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود

189

اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم
حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوصل اليه ان كان مقصورا لفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله
تعالى وان لم يكن مقصورا لفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو خارج
عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله تعالى
بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والمال وقبول الخلق والعلم وسيلة الى محبوبه والاستاذ
وسيلة الى الوسيلة الى محبوبه وليس في شي من ذلك حب لله تعالى اذ يتصور كل ذلك ممن لا يومن بالله اصلا
ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة
الاموال من الاوقاف واموال اليتامى وظلم الرعية بولاية القضا وغيره كان الحب مذموما وان كان يقصد
به التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوسل اليه فانها تابعة له
غير قائمة بنفسها **القسم الثالث** ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا
بل يرجع الى حظوظه في الاخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به
الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة فهذا من جملة المحبين في الله عز وجل
وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت
السماء فقد قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم
فهو اذا آلة له في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه
الى رتبة العظمة من ملكوت السماء فهو محب في الله تعالى بل الذي يتصدق باموال الله تعالى ويجمع الضيفان
ويهيي لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله تعالى اذا احب طباخا يحسن صنعته في الطبخ فهو في جملة
المحبين في الله تعالى وكذا الواجب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله تعالى
بل نزيد على هذا فنقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك
للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله تعالى بل نزيد عليه
ونقول اذا احب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها
في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل للتقرب الى الله عز وجل فهو محب في الله سبحانه وتعالى
فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفاياتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسا جميعا من المتحابين
في الله بل نزيد على ذلك ونقول من نكح امراة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه
او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلته في هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله تعالى
ولذلك ورد في الاخبار وفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امراته
بل نقول كل من استهتر بحب الله تعالى وحب رضاه وحب لقائه في الدار الاخرة فاذا احب غيره كان
محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيا الا لمناسبة لما هو محبوب عنده وهو رضى الله تعالى بل ازيد واقول
اذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله تعالى ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان
يتوسل به الى الله تعالى والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين لله تعالى كمن يحب استاذه
الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا
وطلب السعادة في الاخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب في الله تعالى فليس من شرط حب الله الا يحب في العاجل
حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبيا فيه جمع بين الدنيا والاخرة فمن ذلك قولهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة

وفي الاخرة حسنة قال عيسى عليه السلام في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل
مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل لا تجعل الدنيا
اصلا من همي بل قال لا تجعل الدنيا اكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني اسالك رحمة
انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة وقال اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الاخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن
حب السعادة في الاخرة مناقضا لحب الله تعالى فالسلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون
مناقضا لحب الله تعالى والدنيا والاخرة عبارة عن حالتين احدهما اقرب الى الانسان من الاخرى فكيف
يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبه اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة
فالحالة الراهنة لا بد وان تكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوط الاخرة
ويمنع منها وهي التي احترز عنها الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنها والى ما لا يضادها وهو الذي
لم يمنعوا منها كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الاخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا
يحبه اعني انه يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك لعلمه انه لو اقدم عليه
لقطعت يده او جزت رقبته لا بمعنى ان الطعام الذي يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله
فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه ويحصل فيه كراهية للضرر المتعلق به والمقصود
من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل
والاخر آجل فيكون في زمرة المتحابين في الله تعالى ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا
او تعذر عليه تحصيل منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك
القدر ثواب الحب في الله تعالى وليس بمستنكر ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط لك به فان
امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما
وزنا لان الذهب يوصل الى اغراض هي اكثر مما توصل اليه الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض فلا يستحيل
اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله تعالى وحده هو ان كل حب لولا الايمان بالله
واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله عز وجل وكذلك كل زيادة في الحب وان دق فهو عزيز ايضا
قال الجريري تعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق الدين فتعاملوا في القرن الثاني بالوفا حتى ذهب
الوفا ثم تعاملوا في الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم يبق الا الرغبة والرهبة **القسم الرابع** ان يحب الله
تعالى وفي الله تعالى لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها
واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من اثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب
ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه
واحب من يثني عليه واحب من يثني على محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية ابن الوليد ان
المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار شعرائهم
ولذلك يحفظ ثوب المحبوب وتحفته تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بني عامر
رحمه الله امر على جدار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
فاذا المشاهدة والتجربة تدلان على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه
ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة واصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب
الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها فكذلك حب الله عز وجل اذا قوي وغلب

على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سوى الله تبارك وتعالى
فان كل موجود سواه تعالى اثر من اثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد
بربنا عز وجل وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجا في مواعيده وما يتوقع في الاخرة من نعيمه وتارة
لما سلف من اياديه وصنوف نعمه وتارة لذاته لا لامر اخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها وسياتي تحقيق
ذلك في كتاب المحبة من ربع المنجيات وكيف ما اتفقت محبة الله تعالى فاذا قوي تعدى الى كل ما يتعلق
به ضربا من التعلق حتى يتعدى الى ما هو في نفسه مولم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم
والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة
فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيها وقد انتهت محبة الله تعالى بقوم الى ان قالوا لا
نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله تبارك وتعالى ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد
ان انال مغفرة الله تعالى بمعصيته جل وعز قال سمنون رحمه الله وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت
فاختبرني وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود ان حب الله تعالى اذا قوي اثمر حب كل من يقوم
بحق عبادة الله تعالى في علم او عمل واثمر حب كل من فيه كل صفة هي مرضية عند الله تعالى من خلق حسن
او تادب بادب الشرع وما من مومن محب للاخرة ومحب لله تعالى الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عابد
عالم والاخر فاسق جاهل الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف
ايمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله تعالى وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه
لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الاخرة فذلك الميل هو حب في الله تعالى ولله عز وجل من غير حظ
فانه انما يحبه لان الله تعالى يحبه ولانه مرضي عند الله تعالى ولانه يحب الله تعالى ولانه مشغول بعبادة الله
تعالى الا انه اذا لم يظهر ضعف اثره فلا يظهر به ثواب واجر واذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب
بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا
على حظ ينال من المحبوب في الحال او في المال لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد والصحابة والتابعين
بل من الانبيا المنقرضين صلوات الله عليهم اجمعين وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك
بغضبه عند طعن اعدائهم في واحد منهم وفرحه عند الثنا عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله سبحانه وتعالى
لانهم خواص عباده عز وجل ومن احب ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه واحب من يحبه الا انه
يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى في النفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب
وعنه عبر قول من قال اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وكقول القائل وما لجرح اذا ارضاكم الم
وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او في ثلثه
او في عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا يعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن
استغرق الحب قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا سوى محبة محبوبه مثل ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه اهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله قال ابن عمر
رضي الله عنهما بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال
اذ نزل جبريل عليه السلام فاقراه من الله السلام وقال له يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها على
صدره بخلال فقال لصلى الله عليه وسلم انفق ماله علي قبل الفتح فقال له اقرئه من الله تعالى السلام وقل له

يقول لك ربك عزوجل اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر
فقال يا ابا بكر هذا جبرئيل عليه السلام يقرئك من الله تعالى السلام ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام
ساخط فبكا ابو بكر رضي الله عنه وقال اعلى ربي اسخط انا عن ربي راض انا عن ربي راض فحصل من هذا
ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في علم او في عبادة او في خير فانما احبه في الله ولله وله فيه
من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله تعالى ايضا ولكن
نزيده بيانا ان شاء الله عزوجل **بيان البغض في الله تعالى** اعلم ان كل من يحب في الله تعالى لا بد وان يبغض فيه
عزوجل فانك لو احببت انسانا لانه مطيع لله تعالى فان عصاه فلا بد وان يبغضه لانه عاص لله سبحانه وممقوت
عند الله تعالى ومن احب لسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الاخر
وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وانما يترشح بظهور
افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة في المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة
ولذلك قال الله تعالى هل واليت في وليا او عاديت في عدوا كما نقلناه فهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا
طاعة اذ يقدر على ان تحبه او لم يظهر الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان يبغضه وانما المشكل اذا
اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك يتناقض
ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة **فاقول** ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا تتناقض
في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال تحب بعضها وتكره بعضها فانك تبغضه من وجه
وتحبه من وجه مثلا من كانت له زوجة حسناء فاجرة او ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فانك تحبه من وجه وتبغضه
من وجه فتكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض له ثلثة اولاد احدهم ذكي بار والاخر بليد عاق والثالث بليد
بار او ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم وكذلك ينبغي ان تكون
حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلثة مراتب
وذلك بان يعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة وساير الافعال
الصادرة منه **فان قلت** فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام **فاقول** تحبه لاسلامه
وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر فاجر ادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الاسلام
وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله تعالى والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض
وخالفك في آخر فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين
التودد اليه والتواحش عنه ولا يبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ في
اهانته مبالغتك في اهانة من يخالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة
عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان يكون فيمن يطيع الله
تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى **فان قلت** فبماذا يمكن اظهار البغض **فاقول** اما في القول
فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فبقطع السعي
في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق
والمعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها ولا يصر فالاولى فيه الاغماض
والستر اما ما اصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تاكدت بينك وبينه مودة وصحبة فله حكم آخر وسياتي
وفيه خلاف بين العلماء واما من لم يتاكد له اخوة وصحبة فلا بد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض والتباعد

عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ
المعصية وخفتها وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احدهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو اقل الدرجات
والاخرى السعي في افساد اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية
اما ما لا يوثر فيه فلا **مثاله** رجل عصى الله تعالى بشرب الخمر وقد خطب امراة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا
فيها بالمال والجمال والجاه الا ان ذلك لا يوثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فان قدرت على
اعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه لتفويت غرضه فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة
فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا باس وليس يجب تركها اذ ربما لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار
الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك وهذا حسن وان لم تنتظر ذلك ولكن رايت ان تعينه على غرضه وما
يلحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه
نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يوتوا الاية الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم لما تكلم مسطح
بن اثاثة في واقعة الافك فحلف ابو بكر رضي الله عنه ان يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت هذه الاية
واية معصيته تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان في مثل عايشة رضي الله عنها الا
ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء
من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك فاما من ظلم غيرك وعصى الله تعالى به فلا يحسن
الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه يعني
المظلوم بالاعراض عن الظالم احب الى الله تعالى من تقوية قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن
في حقك العفو والصفح وطرق السلف رحمة الله عليهم قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل المعاصي فكلهم
اتفقوا على اظهار البغض على الظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله تعالى بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من
عصى الله تعالى في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد
كان احمد رضي الله عنه يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسئل احدا شيئا ولو حمل الي السلطان
شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك تورد اولا شبههم وتحمل الناس على
التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تاويل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته وهذا امر يختلف
باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم
مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد يلتبس به المداهنة فاكثر البواعث
على الاغضا على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على
الغبي الاحمق بانه نظر بعين الرحمة ومحك ذلك انه ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر
له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد يصح له نية في الاغماض عن الجناية على
حق الله تعالى وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله تعالى وان كان يغتاظ عند
الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله تعالى فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له
فان قلت فاقل الدرجات في اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق وترك الاعانة فهل يجب ذلك
حتى يعصي الله العبد بتركه **قلت** لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانك تعلم ان الذين
شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا
منقسمين فيه الى من يغلظ القول ويظهر البغض فيه والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة

ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقايق دينية يختلف فيها طرق السالكين لطريق الاخرة ويكون عمل كل واحد على
ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فيكون في رتبة الفضايل ولا ينتهى
الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة بالله تعالى واصل الحب لله تعالى وذلك قد لا يتعدى
من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق
عوام الخلق اصلا **بيان مراتب الذين يبغضون في الله تعالى وكيفية معاملتهم** **فان قلت** اظهار
البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف
ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا **فاعلم** ان المخالف لامر الله تعالى لا يخلو اما ان
يكون مخالفا في عقيدته او في عمله والمخالف في العقيدة اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت
اما لعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلثة **الاول** الكفر والكافر ان كان حربيا فهو مستحق للقتل
او الاسترقاق وليس بعد هذين الامرين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له
بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام واذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف
عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فمكروه كراهة
شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منه الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما
وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء **الثاني** المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر
فيها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان كان مما لا يكفر فيه فامره بينه وبين الله
تعالى اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعدي فان
المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى
البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعدي فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته
والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا باس برد جوابه وان
علم ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره عنها فترك الجواب اولى لان جواب السلام
وان كان واجبا فيسقط باذنى غرض حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه
الاغراض وان كان في ملأ فترك الجواب اولى لتنفير الناس عنه وتقبيحا لبدعته في اعينهم وكذلك الاولى كف
الاحسان والاعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق قال صلى الله عليه وسلم من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا
وايمانا ومن اهان صاحب بدعة امنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف
بما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم **الثالث** المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف منه الاقتداء
به فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب
والانقياد فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح البدعة في عينه تاكد الاستحباب في الاعراض فان علم ان
ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض عنه اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت
بين الخلق وعم فسادها فاما العاصي بفعله وعمله لا بالاعتقاد فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتاذى به غيره
كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر
عليه ويؤذي غيره فذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنسا

ويهيئ

يشرب

ويهيئ اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب ويزني وهذا الذي لا يدعو
غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او بصغيرة وكل واحد فاما ان يكون مصرا عليها او غير مصر فهذه التقسيمات
يتحصل منها ثلثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض فلا يسلك بالكل مسلكا واحدا **الاول** وهو
اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك
مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة سيما اذا رجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى من
يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض والاستحباب في اهانتهم
والاعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم او لغيرهم كان الامر فيه اكد واشد **القسم الثاني**
صاحب الماخور والذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقها الى الخلق فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يختاج
بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله تعالى
الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعدي على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض
والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه نوع زجر له او لغيره **القسم الثالث** الذي يفسق في نفسه بشرب
خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما
يمتنع عنه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر
عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالافضل النصح والزجر
بالتلطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم انه يصر
وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف نية الرجل
فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والاعراض
نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه
به وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة
قلبه للوصول به الى غرض او لخوف من تاثير وحشة ونفرة في جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك مردد
على اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال اهل الاخرة وكل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش
عن هذه الدقايق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطى وقد يقدم
على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله تعالى وسالك طريق الاخرة وسياتي
بيان هذه الدقايق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى ويدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر
الذي هو بين العبد وبين الله تعالى ما روي ان شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يعود ويشرب فقال عليه الصلوة والسلام لا تكن عونا للشيطان
على اخيك او لفظا هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى في حقه من العنف والتغليظ **بيان
الصفاة المشروطة فيمن يختار صحبته** اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم المرء على
دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد وان يتميز بخصال وصفات يرغب لسببها في صحبته ويشترط تلك
الخصال بحسب الفوايد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود وبالاضافة الى المقصود
تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوايد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال او الجاه او مجرد الاستيناس
بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا **واما الدينية** فيجتمع فيها ايضا اغراض مختلفة **فمنها** الاستفادة
من العلم والعمل **ومنها** الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العباده **ومنها** استفادة

المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات ليكون عدة من المصايب وقوة
في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعا ومنها انتظار الشفاعة في العقبة قال بعض السلف استكثر من الاخوان فان
لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع
في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا الانفراد والعزلة فهذه فوايد
تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته
خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال
وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق والى القطيعة والوحشة يرجع عاقبتها وان طالت مدتها قال امير المؤمنين
علي رضي الله عنه • لا تصحب اخا الجهل واياك واياه • فكم من جاهل اردى حليما حين اخاه • يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه
وللشيء على الشيء مقاييس واشباه • وللقلب على القلب دليل حين يلقاه • كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك
واعانتك من حيث لا يدري • ولذلك قال الشاعر • اني لامن من عدو عاقل • واخاف خلا يعتريه جنون • فالعقل
فن واحد وطريقه • ادرى فارصد والجنون فنون • وقيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله عز وجل • وقال الثوري النظر
الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم وعلم
واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشيا على ما هي عليها ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل وجبن
اطاع هويه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته ايضا واما الفاسق
المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله عز وجل علانيته مثل سره لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله
تعالى لا يؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
واتبع هويه الاية وقال تعالى ولا يصدنك عنها من لا يؤمن بها وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحيوة الدنيا وقال تعالى واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك كله زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته
خطر سراية البدعة وتعدي شومها اليه فالمبتدع مستحق للهجرة والمقاطعة فكيف يؤثر صحبته وقد قال عمر رضي الله
عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه بن المسيب عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة
في الرخا وعدة في البلا وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيك ما يقليك عنه واعتزل عدوك واحذر صديقك
الا الامين ولا امين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك
الذين يخشون الله عز وجل واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة يا بني
ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان مونته مانك اصحب
من اذا مددت يدك بخير مدها وان راى منك حسنة عدها وان راى منك سيئة سدها اصحب من اذا سالته
اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولتما امرا
امرك وان تنازعتما اثرك وكانه جمع بهذا الكلام جميع حقوق الصحبة وشرطان يكون قايما بجميعها قال
ابن اكثم قال المامون فاين هذا فقيل له تدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا من الناس وقال
بعض الادبا لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوايب ويؤثرك بالرغايب
وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي رضي الله عنه رجزا ان اخاك الحق
من كان معك • ومن يضر نفسه لينفعك • ومن اذا ريب زمان صدعك • شتت شمل نفسه ليجمعك • قال بعض
العلما لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك او رجلا تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل

منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه واخر مر كله فلا يوكل منه
واخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان ياخذ منك واخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر بن محمد
الصادق رضي الله عنهم لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد
ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شي يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع منك
احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ونفسه عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها فقيل
ما اقل منها فقال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني قاري
سيء الخلق قال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمن يا احمد لا تصحب الا احد رجلين رجل ترتفق به
في دنياك او رجل تزيد معه ما تنتفع به في اخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله
اجتنب صحبة ثلثة اصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقرا المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم
ان هذه الكلمات اكثرها غير محيطة بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط
بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروط في الصحبة للاخرة والاخوة كما قاله بشر
الاخوان ثلثة اخ لاخرتك واخ لدنياك واخ لتانس به وقل ما يجتمع هذه المقاصد في واحد بل يتفرق
على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة فقد قال المامون الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذا لا يستغنى عنه
والاخر مثله مثل الدوا يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الدا لا يحتاج اليه قط ولكن العبد
قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات منها ما له ظل وليس له
ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الاخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له
ظل وهو مثل الذي يصلح للاخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمرة وظل فيصلح للدنيا والاخرة جميعا ومنها ما ليس له
واحدة منهما كام غيلان تمزق الثياب لا طعم له ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفارة والعقرب قال الله
تعالى يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه وقال بعضهم في معناه • الناس شتى اذا ما انت ذقتهم • لا يستوون كما لا يستوي
الشجر • هذا له ثمر حلو مذاقته • وذاك ليس له ظل ولا طعم ولا ثمر • فاما من لم يجد رفيقا يواخيه ويستفيد به احد
هذه المقاصد فالوحدة اولى به قال ابو ذر الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة
واما الديانة فعدم الفسق فقد قال الله تعالى واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق
يهون امر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنه وقال ابن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم
الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الها معناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا
ما اردنا ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوايدها ولنشرع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها
فاما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بل الطبع يسرق من الطبع من
حيث لا يدري ومجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تحرك الزهد في الدنيا ولذلك تكره صحبة
طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الاخرة قال علي رضي الله عنه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه
وقال احمد ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمن لابنه يا بني جالس العلما وزاحمهم بركبتيك
فان القلوب تحيى بالحكمة كالارض الميتة تحيى بوابل القطر

الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفا
بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب اداب النكاح فكذا عقد الاخوة فاذا لاخيك عليك حق في المال

وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو وبالدعا وبالاخلاص والوفا وبالتخفيف بترك التكلف والتكليف
وذلك يجمعها ثمانية حقوق **الحق الاول** في المال قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احدهما
الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم
اخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السرآء والضرآء
والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستيثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلث مراتب
ادناها ان تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك
فضلة على حاجتك اعطيته ابتدآء ولم تحوجه الى السؤال فان احوجته الى السؤال فهو غاية التقصير في حق
الاخوة الثانية ان تنزله منزلة نفسك وترضا بمشاركته اياك في مالك ونزوله منزلك حتى تسمح بمشاطرته
على المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره بينه وبين اخيه الثالثة وهي العليا ان تؤثره على نفسك
وتقدم حاجته على حاجتك وهذا رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار
بالنفس ايضا كما روى انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفا فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين النوري
رحمه الله فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحياة في
هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه
الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع
لها في العقل والدين فقد قال ميمون ابن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليواخ اهل القبور
واما الدرجة الدنيا ليست ايضا مرضية عند ذوي الدين روى ان عتبة بن الغلام جاء الى منزل رجل كان قد اخاه
وقال احتاج من مالك الى اربعة الاف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله عز وجل وما
استحييت ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الاخوة ينبغي ان لا تعامله في الدنيا
قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله تعالى فلا تعامله في امور دنياك وانما اراد به من في هذه الرتبة واما
الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى بها في قوله عز وجل وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا
خلطا في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلي لانه اضافه الى نفسه وجاء
فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه مفتحة واخرج حاجته فاخبرت الجارية
مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله عز وجل سرورا بما فعل وجاء رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد
ان اواخيك في الله تعالى فقال اتدري ما حق الاخاء قال عرفني قال لا تكون بدينارك ودرهمك احق مني
فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهم لرجل هل يدخل احدكم يده في كم
اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد من غير اذن قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا
يا با سعيد اصليت قال نعم فقال ان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل السوق بلغني ان
احدهم يمنع اخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال اني اريد
ان ارافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك بشيئك منك قال لا قال اعجبني صدقك وكان ابرهيم اذا رافقه
رجل لم يخالف وكان لا يصحب الا من يوافقه فصحبه ذات يوم رجل شراك فاهدى رجل الى ابرهيم في بعض
المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراكه فجعله في القصعة وردها الى صاحب الهدية
فلما جاء رفيقه قال اين الشرك قال ذلك الثريد الذي اكلته ايش كان قال كنت تعطيه شراكين او ثلاثة فقال
اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا راه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك

وقال

وقال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه
فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله
سبعة وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين
خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم رحمهم الله روي انه لما اخى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع اثره بالمال والنفس فقال يا سعد بارك الله لك فيهما
فاثره بما اثره به وكانه قبله ثم اثره وذلك مساواة والبداية ايثار والايثار افضل من المساواة وقال
ابو سليمن الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم
اللقمة اخا من اخواني واجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقرا قال
علي كرم الله وجهه لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتدا الكل في الايثار برسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع
المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا
سئل عن صحبته هل اقام فيها حق الله تعالى او اضاعه فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة وخرج
عليه الصلوة والسلام الى بير يغتسل عندها فامسك حذيفة بن اليمان الثوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وستره فاغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول عليه الصلوة والسلام الثوب وقام يستر حذيفة من الناس
فابى حذيفة وقال بابي انت وامي يا رسول الله لا تفعل فابى عليه الصلوة والسلام الا ان يستره بالثوب حتى
اغتسل فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله تعالى في الصحبة وقال عليه الصلوة والسلام ما اصطحب
اثنان قط الا وكان احبهما الى الله تعالى ارفقهما لصاحبه وروي ان مالك ابن دينار ومحمد بن واسع دخلا
منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك
كف يدك حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل
الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط
في بيوت الاخوان من الصفا في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى او صديقكم وقال تعالى او ما ملكتم مفاتحه
اذ كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى
حتى انزل الله تعالى هذه الاية فاذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقا **الحق الثاني** في الاعانة بالنفس
في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا لها درجات كالمواساة
بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم
اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ
قوله تعالى والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما اسديته
الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلوة وكبر
عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى قال جعفر الصادق اني لاسارع الى قضاء حوايج اعدائي مخافة ان اردهم
فيستغنوا عني هذا في الاعدا فكيف في الاصدقا وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين
سنة يقوم بحاجاتهم يتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه
ما راوه من ابيهم في حيوته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح
هل لكم حاجة فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة اذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على اخيه

انصدق بمائة درهم على المساكين
وقال ايضا لان اصنع صاعا من
طعام واجمع عليه اخواني في الله
احب الي من ... صح

كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم يضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم
الا ان لله تعالى اواني في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله تعالى اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب
واصلبها في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم من حاجتك
وان تكون متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن السؤال واظهار
الحاجة الى الاستعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت به ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها
بل تتقلد منه بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره ولا ينبغي ان تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية
بالاكرام في الزيادة والايثار والتقديم على الاقارب والاولاد كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهالينا
واولادنا لان اهالينا يذكروننا الدنيا واخواننا يذكروننا الاخرة وقال الحسن من شيع اخاه في الله تعالى بعث الله
ملائكة تحت عرشه يوم القيمة يشيعونه الى الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخا في الله تعالى شوقا الى لقائه الا ناداه
ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عطا تفقدوا اخوانكم بعد ثلث فان كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل
فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم وذكر ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساله فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال اذا احببت احدا فساله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان
كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس
الرجل فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال جليسي
وقال ايضا ما اختلف رجل الى مجلسي ثلثا من غير حاجة الى فعلمت ما مكافاته من الدنيا وقال سعيد بن العاص
لجليسي علي ثلث حقوق اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد قال الله عز وجل في صفتهم
رحماء بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ او بحضور في مسرة دونه
بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه **الحق الثالث** على اللسان بالسكوت مرة وبالنطق اخرى **اما
السكوت** فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا يماريه
ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا راه في طريق او في حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره
ومورده فلا يسال عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه فلا يبثها
الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيا منه ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لوم الطبع وخبث
الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذي
سبك من بلغك قال انس بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بشيء يكرهه والتاذي اولا يحصل
من المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به اولا من المبلغ ثم من القائل واخفاء
ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف او نهي
عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فان ذلك لا يبالي بكراهيته فان ذلك نظر له واحسان اليه في التحقيق وان كان
يظن انها اساءة في الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك
عنه امران **احدهما** ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك
وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة
مذمومة فاي الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله تعالى فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس
حقك عليه باكثر من حق الله عليك **الثاني** ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة فلم
تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس واحد الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى

جماعة

والمؤمن

والمؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال فضيل بن عياض الفتوة الصفح عن زلات الاخوان ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان راى خيرا ستره وان راى شرا اظهره وما من شخص
الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه ايضا روي ان رجلا اثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان
من الغد ذمه فقال عليه الصلوة والسلام بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس
وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما علمت فيه فقال
عليه الصلوة والسلام ان من البيان لسحرا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر اخر البذا والبيان
شعبتان من النفاق وفي الحديث الاخر ان الله تعالى كره لكم البيان كل البيان ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ما احد
من المسلمين يطيع الله تعالى فلا يعصيه ولا احد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل
واذا جعل هذا عدلا في حق الله تعالى فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك
السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة
بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان لا تحمل فعله على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك
ان لا تعلم وعليك ان تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى تفرسا وهو الذي
يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشاؤه سوء اعتقادك فيه
حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد على ان تنزله على الوجه الاردا من غير علامة تخصصه
به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك جار في حق كل مؤمن اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم على المؤمن دمه
وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وقال عليه الصلوة والسلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث
وسوء الظن يدعو الى التجسس والتحسس وقد قال عليه الصلوة والسلام لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل
والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح واظهار الجميل ان الله تعالى يوصف
به في الدعاء والمناجاة فيقال يا من اظهر الجميل وستر على القبيح والمرضي عند الله تعالى من تخلق باخلاقه وانه تبارك
وتعالى ستار للعيوب وغفار للذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما
هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلام كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نائما فكشف الريح ثوبه
عنه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته فقالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع في اخيه الكلمة
فيزيد عليها او يشيعها باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحبه لنفسه واقل درجات الاخوة
ان يعامل اخاه بما يحب ان يعامله اخوه به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب
ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده اذا كان ينتظر من اخيه ما لا يضمره له ولا يعزم
عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال ويل للمطففين الايات وكل من التمس من الانصاف اكثر مما تسمح
به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الاية ومنشا التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء الدفين
في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحسود الحقود يمتلي باطنه بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه
مهما لم يجد له مجالا فاذا وجد له فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحيا وترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى
الباطن على حقد وحسد فالانقطاع اولى قال حكيم ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا
وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله عز وجل وقد
روى قال عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التورية فقدم علي اليهودي

فاسد ما امكن ان تحمله على وجه حسن

من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام واسلمنا وقد نزل علينا كتابا مصدقا للتورية فقال
اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما جاءكم به انا لنجد نعته ونعت امته في التورية انه لا يحل لامرئ
يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره
وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى
الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالبدن هذه حقيقة
الاخوة وكذلك لا يكون العمل بين يديه مرائيا ولا خارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته
بنفسه من غير فرق فقد قال صلى الله عليه وسلم من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا والاخرة وفي خبر آخر كانما
احيا مؤودة من قبرها وقال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال عليه الصلوة
والسلام المجالس بالامانة الا ثلثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه
مال حرام او من غير حله وانما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لاديب
كيف حفظك السر قال انا قبره فقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في
قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم
بل عن مشاهدتهم قيل لحكيم كيف تحفظ السر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره وقال
ابن المعتز ومستودعي سرا تبوأت كتمه • فاودعته صدري فصار له قبرا • وقال آخر واراد الزيادة عليه • وما السر في صدري
كثاو بقبره • لاني ارى المقبور ينتظر النشرا • وقال آخر واراد الزيادة عليه • ولكنني انساه حتى كانني • بما كان منه لم احط ساعة
خبرا • ولو جاز كتم السر بيني وبينه • عن السر والاحشا لم يعلم السرا • وافشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال له حفظت فقال
لا بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن
اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله تعالى
ثم يستر عليك كما يستر الله عز وجل وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما ومن افشى السر
عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا يقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير
عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتة على اختلاف هذه
الاحوال وقيل في معناه • وترى الكريم اذا تصرم وده • يخفي القبيح ويظهر الاحسانا • وترى اللئيم اذا انقضى وصله
يخفي الجميل ويظهر البهتانا • وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما يا بني اني ارى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه
يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا يجربن عليك كذبا ولا
تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت
عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيوذيك ولا حليما فيقليك وقال
صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة هذا مع
ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت عن الحق اشد على النفس من السكوت على الباطل
وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة فانها عين التدابر
والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالآراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال عليه الصلوة والسلام لا تدابروا ولا
تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخ المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب
المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق
او الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة

الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المرا لقلة خيره ذروا المرا
فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت
كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف
اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة
وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتري عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا
اظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار
والايذاء والشتم بالجهل والحمق ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال صلى الله عليه وسلم
انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى
السلف في الحذر عن المماراة الى حد لم يروا السوال ايضا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل قالوا
ينبغي ان يقوم ولا يسال قال ابو سليمن الداراني كان لي اخ بالعراق وكنت اجيه في النوايب فاقول اعطني من مالك شيئا
فكان يلقي الي كيسه فاخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة حب
اخائه من قلبي وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ما ذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء واعلم ان قوام الاخوة
بالموافقة في الكلام والفعل وبالشفقة قال ابو عثمن النهنوي موافقة الاخوان خير من الشفقة وهو كما قال الحق
الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما يقتضي السكوت عن المكاره فيقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص
بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما يراد الاخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت
معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقد فيها كالسوال عن عارض
اذا عرض واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التي يكرهها ينبغي ان يظهر بلسانه
وافعاله كراهيتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في السرور به فمعنى الاخوة المساهمة
في السراء والضراء وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امرنا بالاخبار والاعلام لان ذلك
زيادة حب فان عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة ولا يزال
الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه
الطريق وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره قال عمر
رضي الله عنه ثلث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه
ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يوثر هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب
المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيأته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع
ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكد من ذلك ان يبلغه ثناء من اثنى عليه
مع اظهار الفرح به فان اخفى ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكر على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم قال علي
رضي الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه
في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت
وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين تغسل احدهما الاخرى لينصر احدهما الآخر وينوب عنه قال صلى الله عليه وسلم
المسلم اخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه

فاخس باخ براك والكلاب يفترسك وتمزق لحمك وهو ساكن لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض
اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولهذا شبه الله تعالى باكل لحوم الميتة فقال عز وجل ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا فكرهتموه والملك الذي يمثل في المنام ما يطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة
باكل لحم الميتة حتى انه من يرى انه ياكل لحم ميت فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله يرعى المشاركة
والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذا حماية
تدفع ذم الاعدا وتعنتهم واجب في عقد الاخوة قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا بما تحب ان يذكرك به

الاخرة

في غيبتك فاذا لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذي
كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تقدر انه حاضر من وراء جدار
يسمع عليك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومراى ينبغي ان تكون
في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه بمثل ما احب ان يقال في وهذا

ما يحب ان يسمع لو حضر وقال اخر ما ذكر اخ لي الا تصورت في نفسي صورة فقلت فيه مع

من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه وقد نظر ابو الدردا الى ثورين يجريان في فدان فوقف
احدهما يحك جسده فوقف الاخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله تعالى يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الاخر
وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص استوا الغيب والشهادة واللسان
والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل
في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة
فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق لا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء
للصحبة والاسلام جزاء الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام
بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة بل على الدوام والجوار
لا يقتضي الا حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى
العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا متصفا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه
في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر له آفات ذلك الفعل وفوائد
تركه وتخوفه بنزول ما يكرهه في الدنيا والاخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن
ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملاء فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة
ونصيحة اذ قال صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة
عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه
من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال
ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني في الملا فلا وقد صدق فان النصح على الملاء افضاح والله تعالى يعاتب
المؤمن يوم القيمة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوافقه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين
يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما ليقراه واما اهل المقت فينادون على رؤس
الاشهاد فيستنطق جوارحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا نعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق
بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضا فان
اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضا فانت مدار فان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب

شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال ذو النون لا تصحب مع الله تعالى الا بالموافقة ولا مع الخلق
الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة **فان قلت** اذا كان في النصح ذكر العيوب
وفيه ايحاش للقلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة **فاعلم** ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من
نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة للقلوب اعني قلوب العقلا واما الحمقى فلا يلتفت
اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك
على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات المذمومة
عقارب وحيات وهي في الاخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد
وهي مخلوقة من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول
رضي الله عن امرئ اهدى الى اخيه عيوبه وقال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فالح
عليه فقال بلغني ان لك جبتين تلبس احدهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة
واحدة فقال اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط
بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك
وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى واعلم ان من قرا القران ولم يستغن واثر
الدنيا لم امن ان يكون بايات الله تعالى من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين اذ قال
تعالى ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما اذا علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور من طبعه
فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد له من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح
اخرى الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت
عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه
الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان بحيث يؤدي استمراره عليه
الى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال
خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره
لا للاستعانة به والاسترفاق منه قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على ان يزول
ما في قلبي فلم يزل فاخذت بيده يوما الى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فابى فقلت لا بد ففعل فزال ذلك
من قلبي وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت
فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له اعطني فقال
الست انا الامير فعليك الطاعة فاخذنا المطر ليلة فوقف على راسي الى الصباح وعليه كساء وانا جالس يمنع
عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير **الحق الخامس** العفو عن الزلات والهفوات وهفوة
الصديق لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصيره في الاخوة اما ما يكون في الدين
من ارتكاب معصية واصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الصلاح والورع
حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلف طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر
رضي الله عنه الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته وراى ذلك من مقتضى الحب
في الله والبغض في الله واما ابو الدردا وجماعة من الصحابة ذهبوا الى خلافه فقال ابو الدردا اذا تغير اخوك وحال
عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره

عند الذنب بذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة
ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر وقد سئل عن اخ كان اخاه
فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل اخي فقال له ذاك اخو الشيطان قال له قال انه قارف الكبائر
حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج فآذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم عاتبه تحت
ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكا وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلى احدهما بهوى
فاظهر عليه اخاه وقال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تعقد على محبتي لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد
اخوتك لاجل خطيئتك ابدا ثم اعقد اخوة بينه وبين الله تعالى ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله تعالى
اخاه من هواه فطوى اربعين يوما في كلها يساله عن هواه وكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من
الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد يتلف هزلا
وضرا وكذلك حكي عن الاخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه لا تهجره فقال احوج ما كان
الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان اخذ بيده وان تلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وروي
في الاسرائيليات ان اخوين عابدين كانا في جبل نزل احدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فراى بغية عند اللحام
فرمقها فعشقها ثم واقعها واقام عندها ثلثة ايام واستحيى ان يرجع الى اخيه من اجل جنايته فافتقده اخوه
واهتم بشانه ونزل الى المدينة فلم يزل يسال عنه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وقبله وانكر
الاخر انه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي فقد علمت شانك وقصتك وما كنت قط احب الي ولا
اعز من ساعتك هذه فلما راى ان ذلك لم يسقط عن عينه قام وانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه
من طريقة ابي ذر احسن واسلم والله عز سلطانه اعلم **فان قلت** ولم قلت هذا الطف وافقه ومقارف هذه
هذه المعصية لا تجوز مواخاته ابتداء فيجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها
وعلة عقد الاخوة التعاون على الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية **فاقول** اما قوله الطف فلما فيه من
الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحيا عند دوام الصحبة ومهما قطع وانقطع
طمعه عن الصحبة اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تاكد
الحق ووجب الوفا بموجب العقد ومن الوفا به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد
اصابته جايحة والمت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان
على الخلاص من الواقعة التي المت به فالاخوة عدة النائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوايب وامر الحوادث
والفاجر اذا اصحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فيرجع على قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص
في العمل ويحرص حيا منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت الى محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع
نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب
والقريب لا يجوز ان يكون ممن يهجر اخاه وقريبه بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام
في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب ولهذا
اشار ابو الدردا لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة
الدين اوكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك ام صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا
وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال

وطريقة ابي ذر

جعفر

جعفر الصادق مودة يوم خلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذا الوفا بعقد
الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جواب عن ابتداء المواخاة مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له
قرابة فلا جرم ولا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا مكروه
بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة في دوامه فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركه كنسبة الطلاق
الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله تعالى من ترك النكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله
المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف في زلات الاخوان وذا الشيطان يلقي على اخيكم مثل
هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا ابقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفرق بين الاحباب من محاب الشيطان كما ان
مقارفة العصيان من محابه فاذا قد حصل للشيطان احد غرضيه ولا ينبغي ان يضاف اليه الثاني والى هذا اشار عليه
الصلوة والسلام في الذي شتم الرجل الذي اتى فاحشة اذ قال مه وزبره وقال لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم فبهذا
كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا محذورة
وليس ما سلم من معارضة غيره كالذي لم يسلم في الابتداء قد سلم فراينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام
تعارضا وكان الوفا بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه فلا خلاف
في ان الاولى العفو والاحتمال بل كلما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب
بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فقل للقلب ما اقساك
يعتذر اليك سبعين عذرا فلا تقبل فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب
ان قدرت وذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم
يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا
واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك بان لم يقبل قال الاحنف حق الصديق ان يحتمل منه ثلث ظلم الغضب
وظلم الزلة وظلم الهفوة قال آخر ما شتمت احدا قط لانه لو شتمني كريم فانا احق من غفرها يعني زلته وان كان
لئيما فلا اجعل عرضي له غرضا ثم تمثل وقال واغفر عوراء الكريم ادخاره • واعرض عن شتم اللئيم تكرما • وقال آخر
خذ من خليلك ما صفا دون الذي فيه الكدر • فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير • ومهما اعتذر اليك اخوك
صادقا كان او كاذبا فاقبل عذره قال صلى الله عليه وسلم من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل اثم صاحب
المكس وقال عليه الصلوة والسلام المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب ولذلك قال تعالى
والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين للغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتالم بل تنتهي
الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان التالم بالجرح مقتضى لطبع البدن فالتالم باسباب الغضب طبع القلب لا يمكن قلعه
ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه
ممكن وقد قال الشاعر ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب • وقال ابو سليمان الداراني
لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تامن ان ترى في جوابك
ما هو شر من الاول فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من
القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا يبالغ في البغض عند الوقيعة قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه الصلوة والسلام احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
وهو ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك **الحق السادس** الدعا للاخ في حيوته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولاهله

استدامة

وكل متعلق به فتدعوا له كما تدعوا لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاك له دعا لنفسك على التحقيق فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ اخر يقول الله تبارك وتعالى بك ابدا يا عبدي وفي الحديث يستجاب الرجل في اخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد وكان ابوا الدردا يقول اني لادعوا الله لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت لهم وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت يدعوا لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح يقتدي بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسلون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه وترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعا للاموات بمنزلة الهدايا للاحيا فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية

الحق السابع الوفاء والاخلاص ومعنى الوفا الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت عرشه اخوين تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وقال بعضهم قليل من الوفا بعد الوفاة خير من كثير في حال الحيوة ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال عليه الصلوة والسلام انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين وفي لفظ اخر حسن العهد من الايمان فمن الوفا مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديه من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي ان يتميز في القلب عن ساير الكلاب ومهما انقطع الوفا بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله عز وجل ومتحابين فيه تعالى فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال تعالى مخبرا عن يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله تعالى فيفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله تعالى سلبه الله عز وجل من كان يونسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشيا مجالسة الاخوان والانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله سبحانه وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة في الله تعالى ان لا تكون مع حسد في دين ولا في دنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه يرجع فايدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال عز وجل ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفا ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع عن الاخوان بما يتجدد من الاحوال لوم قال الشاعر

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يالفهم في منزل الخشن *

واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من ان افتقرت قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يترفع عليك وقال بعض الحكما اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع رحمه الله ان الشافعي رضي الله عنه اخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان فكتب اليه الشافعي هذه الابيات **شعر**

اذهب فودك من ودادي طالق * ابدا وليس طلاق ذات البين *
فان ارعويت فانها تطليقة * ويدوم ودك لي على ثنتين *
وان امتنعت شفعتها بمثالها * فيكون تطليقين في حيضين *
فاذا الثلث اتتك مني بتة * لم تغن عنك ولاية السيبين *

واعلم انه ليس من الوفا موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من بل من الوفا المخالفة له فقد كان الشافعي رضي الله عنه اخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي وقال

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه * فاجابه محمد
واتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه *

فظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته بعد وفاته اليه فقيل للشافعي في علته التي مات فيها الى من نجلس بعدك في الحلقة يا ابا عبد الله واستشرف له محمد بن عبد الحكم وكان عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان الله وهل يشك في هذا ابو محمد يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان محمدا كان قد حمل منه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي الشافعي انقلب محمد بن الحكم عن مذهبه الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الان الى الربيع ابن سليمن ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره رحمة الله عليهم اجمعين والمقصود ان الوفا بالمحبة من تمامها قال الاحنف الاخا جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للافات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن اثار الصدق والاخلاص وتمام الوفا شدة الجزع من المفارقة ونفور الطبع عن اسبابها وقيل في معناه

وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الاحباب هينة الخطب *

وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفا ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر الصدر فذلك من دقايق الحيل في التضريب ومن لا يحترز منه لم تدم مودته اصلا قال رجل لحكيم قد جئت خاطبا لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلثا فعلت قال وما هي قال احدها لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امر ولا توطئني في الله عشوة ومن الوفا ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك

الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ولا مال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله عز وجل تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وحمل مؤونته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال حكيم من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره فقد اثم واثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحيي منه كما لا يستحيي من نفسه قال الجنيد رضي الله عنه ما تواخى اثنين في الله تعالى فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشمه الا لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجاك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدا اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه قالت عايشة رضي الله عنها المومن اخ المومن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطايفة كل طبقة ثلثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته والحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن

الكرنبي وطبقته فما نواخى اثنان في الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم
من تصحب قال من يدفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان جعفر الصادق رضي الله عنه
يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم علي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية
لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سواء وانما
قال هذا لان به تخلص من التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده
وقال كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال الاخر لا تصحب الا
من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل
هذا قد ضيق على طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم
بهذه الشروط ولا يكلف هذه الشروط حتى يكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا في الله تعالى والا كانت مواخاته لحظوظ
نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان اين اخ في الله تعالى فاعرض الجنيد حتى اعاده
ثلثا فلما اكثر قال له ان اردت اخا يكفيك مؤونتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تعالى
تحمل انت مؤونته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته
ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق او السيئ
الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تتجنب فاما الثاني فلا تتجنب لانك تنتفع به في الاخرة بشفاعته ودعائه وثوابك
على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم
تحسدهم وقد قال رجل منهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي فمن
هذا شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكليف ان لا يعترض في نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية
يصطحبون على شرط المساواة بين اربع معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم
يقل له صاحبه افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم ويستوي حالاته عنده بلا مزيد
ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته
ومن خفت مؤونته دامت مودته قال بعض الصحابة ان الله تعالى لعن المتكلفين وقال عليه الصلوة والسلام
انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل
عنده ودخل الخلا ونام وصلى وذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر مع اهله دار اخيه ويجامعها
ويكون مصطحب اهله في دار اخيه فهذا تمام الانس قال لان البيوت تتخذ للاستخفاء في هذه الامور الخمسة والا
فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذا الخمس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول
العرب يشير في تسليمهم الى ذلك اذ تقول مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان
ولك عندنا اهل تأنس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله اي لا يشتد علينا ولا يتم التخفيف وترك
التكليف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فاذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك
يكون هو خيرا منهم وقال ابو معاوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى لي الفضل عليهم ومن فضلني
على نفسه فهو خير مني وقد قال عليه الصلوة والسلام المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له
فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفين اذا قيل لك يا شر الناس
فغضبت فانت شر الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك اي ينبغي ابدا وسياتي وجه ذلك في كتاب
العجب والغرور والكبر وقيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان ٭ تذلل لمن ان تذللت له ٭ يرى ذلك للفضل لا للبله

بعضهم

وجانب

وجانب صداقة من لا يزال ٭ على الاصدقاء يرى الفضل له ٭ وقال آخر كم صديق عرفته بصديق ٭ صار احظى من الصديق
العتيق ٭ ورفيق رايته في طريق ٭ صار عندي هو الصديق الحقيق ٭ ومهما راى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا
في عموم المسلمين مذموم قال عليه الصلوة والسلام بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط
وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل اشاراتهم عليه فقد قال عز وجل وشاورهم في الامر فلا
ينبغي ان يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن يعقوب بن اخي معروف قال جاء الاسود بن سالم الى عمي معروف
وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك
ويسالك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر
بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة وملاقاة فانه يكره كثرة الالتقا فقال معروف اما انا فاذا احببت احدا
فلا احب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولا ثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر في فضل الاخوة والحب
في الله تعالى احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فشاركه في العلم وقاسمه
في البدن وانكحه افضل بناته واجملهن اليه وخصه بذلك للمواخاة واني اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه
وعقدت اخاه في الله عز وجل برسالتك وبمسالته على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت
وآمره ان يلقاني في مواضع نلتقي فيها وآمره ان لا يخفي علي شيئا من شأنه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر ابن سالم
بشرا بذلك فرضي به وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان
تكون على نفسك لاخوانك ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك
اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم
في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روي انه صلى الله عليه وسلم كان يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه وما استقصاه
احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسالته ~~نصيبه من وجهه وما استقصاه احد~~
للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وامانة وكان عليه الصلوة والسلام اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه
اصحابه وتعجبا فيما تحدثوا به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه الصلوة والسلام
واما السمع فبان يسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا له ومظهرا للاستبشار به ولا يقطع حديثهم عليهم
بمرادة ومنازعة ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون
واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه وان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا بما يفهمون
واما اليدان فبان لا يقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد واما الرجلان فبان يمشي وراءهم مشي الاتباع
لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا
ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خف جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار
والثناء وامثالها فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف
بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الاداب الظاهرة عنوان ادب الباطن وصفاء القلب ومهما
عرفت القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان
نظره الى الخالق سبحانه لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله تعالى ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة
والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق يدرك ويدرك العبد بحسن خلقه درجة
الصائم القائم وزيادة كما ورد به الخبر **خاتمة لهذا الباب** نذكر فيها جملة من اداب العشرة والمجالسة مع اصناف
ملتقطة من كلام الحكماء ان اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضاء من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم

ونوجهه

وتوقر فى غير كبر وتواضع من غير مذلة وكن فى جميع امورك فى وسطها فكلا طرفى قصد الامور ذميم ولا تنظر فى
عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث
بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك فى انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك
وكثرة التمطى والتثاوب فى وجوه الناس وفى الصلوة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا
واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار تعجب مفرط ولا تساله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات
ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا بجاريتك ولا بشعرك وتصنيفك وساير ما يخصك ولا تتصنع تصنع المراة
فى التزين ولا تبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع احدا
على الظلم ولا تعلم اهلك فضلا عن غيرهم ما مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عندهم وان كان كثيرا
لن تبلغ قط رضاهم واخشن لهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك
واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارات بيدك ولا تكثر
الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غضبك فتكلم وان قربك سلطان فكن منه على حد
السنان وان استرسل اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك
لطفه بك ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك
واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك
واذا دخلت مجلسا فالادب فيه البداية بالتسليم وترك التخطى لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث اقرب الى التواضع
وان تحيى بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة
الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السايل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والارتياد
لموضع البصاق ولا تبصق الى جهة القبلة ولا على يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك
فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوايج وتهذيب الالفاظ والاعراب فى الخطاب
والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشا بحضرته ولا تتخلل بعد
الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شىء الا افشاء السر والقدح فى الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان
فعلت فادبه ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغا الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم
مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك ولان المزاح يخرق
الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرى السفيه ويسقط المنزلة
عند الحكيم ويمقته المتقون وهو يميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظهر السرائر
ويموت الخواطر وبه تكثر الذنوب ويتبين به العيوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلى فى مجلس بمزاح
او لغط فليذكر الله تعالى عند قيامه قال صلى الله عليه وسلم من جلس فى مجلس فكثر لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه
ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك

الباب الثالث فى حقوق الاسلام والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الاسباب

اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان وحده ولا يتم الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن
له بد من تعلم ادب المخالطة وكل من خالط ففى مخالطته آداب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التى بها
وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهى اخصها او اخوة الاسلام وهى اعمها واما الجوار واما صحبة السفر والمكتب
او الدرس واما الصداقة والاخوة ولكل واحدة من الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد

وللرحم المحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند
النسبة حتى ان البلدى فى بلاد الغربة يجرى مجرى القريب فى الوطن لاختصاصه بحق الجوار فى البلد وكذلك حق
المسلم يتاكد بتاكد المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذى عرف بالمشاهدة كحق الذى عرف بالسماع بل
المتقدم منه آكد والمعرفة بعد وقوعها يتاكد بالاختلاط وكذلك الصحبة يتفاوت درجاتها فحق الصحبة فى الدرس
والمكتب آكد من حق الصحبة فى السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت
محبة فان ازدادت صارت خلة فالخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما يتمكن من حبة القلب والخلة ما يتخلل سر القلب
فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون
الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هى اتم من الاخوة ونعرفه من قوله عليه الصلوة والسلام لو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذى يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا
وباطنا ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله تعالى وقد منعته الخلة عن الاشتراك
فيه مع انه اتخذ عليا رضى الله عنه اخا حتى قال عليه الصلوة والسلام على منى بمنزلة هرون من موسى عليهم السلم
الا النبوة فعدل بعلى عن النبوة كما عدل بابى بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا رضى الله عنهما فى الاخوة وزاد عليه بمقاربة
الخلة واهليته بها لو كان للشركة فى الخلة مجال فانه نبه عليه بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا وكان عليه الصلوة والسلام
حبيب الله وخليله وروى انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا
فانا حبيب الله وانا خليل الله فاذا ليس مثل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سويهما من الدرجات دونهما
وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة ويدخل فيه ما وراهما من المحبة والخلة وانما تفاوت الرتب فى تلك الحقوق كما سبق
بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة حتى ينتهى اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما اثر ابو بكر رضى الله عنه
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وكما اثره طلحة رضى الله عنه ببدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه
فنحن الآن نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعنى ملك اليمين فان
ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه فى كتاب آداب النكاح حقوق المسلم هى ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه
ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه
ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه ورد جميع ذلك فى اخبار وآثار
وقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلم على المسلمين ان يعين محسنهم وان
يستغفر لمذنبهم وان يدعو المدبرهم وان يحب لتائبهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى رحماء بينهم
قال يدعو صالحهم لطالحهم وصالحهم لصالحهم اذا نظر الصالح الى الصالح من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك
له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته
ومنها ان يحب للكافة من المؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكرهه لنفسه قال النعمن بن بشير سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه اشتكى ساير الجسد كله
تداعى سايره بالحمى والسهر وروى ابو موسى عنه عليه الصلوة والسلام انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
ومنها ان لا يوذى احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال عليه الصلوة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
وقال عليه الصلوة والسلام فى حديث طويل يامر فيه بالفضايل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تتصدق
بها على نفسك وقال ايضا عليه الصلوة والسلام افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال عليه الصلوة
والسلام اتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله اعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال عليه الصلوة

بلغ المقابله

والسلام من امنه المؤمنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال عليه الصلوة والسلام من هجر السوء واجتنب
الشر قالوا يا رسول الله ما الاسلام قال عليه الصلوة والسلام ان تسلم قلبك لله عز وجل ويسلم المسلمون من لسانك
ويدك وقال مجاهد يسلط الله تبارك وتعالى على اهل النار الجرب فيحكون حتى يبدو اعظم احدهم من جلده
فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال عليه الصلوة والسلام
لقد رايت في الجنة رجلا يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي الناس وقال ابو برزة يا رسول الله
علمني شيئا انتفع به قال عليه الصلوة والسلام اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال عليه الصلوة والسلام من زحزح
عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له حسنة اوجب الله له بها الجنة وقال عليه الصلوة والسلام
لا يحل للمسلم ان يشير الى اخيه بنظر يؤذيه وقال عليه الصلوة والسلام لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال عليه الصلوة
والسلام ان الله تعالى يكره اذى المؤمنين وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله
ومنها ان تتواضع لكل مسلم ولا تتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور وقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى
اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلوة والسلام
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يانف ولا
يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته **ومنها** ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض
ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال عليه الصلوة والسلام لا يدخل الجنة قتات قال الخليل بن احمد من نم اليك
نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك **ومنها** ان لا يزيد في الهجرة لمن يعرفه على ثلثة ايام مهما
غضب عليه قال ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة
ايام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهم الذي يبدأ بالسلام وقال عليه الصلوة والسلام من اقال مسلما
عثرته اقاله الله تعالى يوم القيمة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف عليه السلام بعفوك عن اخوتك رفعت
ذكرك في الدارين قالت عايشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان يصادف حرمة الله
عز وجل فينتقم لله تعالى وقال ابن عباس ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله تعالى بها عزا وقال عليه الصلوة والسلام
ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله تعالى الا رفعه الله عز وجل **ومنها**
ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع ولا يميز بين الاهل وغير الاهل روى عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده
رضوان الله عليهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله فان لم تصب اهله فانت اهله
وباسناده قال قال عليه الصلوة والسلام راس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل
بر وفاجر قال ابو هريرة رضي الله عنه كان عليه الصلوة والسلام لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل
هو الذي يرسلها ولم يكن يرى ركبته خارجا عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لا يصرفه
عنه حتى يفرغ من كلامه **ومنها** ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه بل يستاذن ثلثا فان لم يؤذن له انصرف
قال ابو هريرة قال عليه الصلوة والسلام الاستيذان ثلث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة
ياذنون او يردون **ومنها** ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعامله بحسب طريقته فانه اذا اراد لقاء الجاهل بالعلم واللاهي
بالفقه والعيي بالبيان آذى وتاذى **ومنها** ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال عليه الصلوة والسلام
ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا والتلطف بالصبيان من عادة النبي عليه الصلوة والسلام وقال عليه
الصلوة والسلام من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين يديهم
الا بالاذن قال جابر قدم وفد جهينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال له عليه الصلوة والسلام

كبر الكبر وفي الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه من يوقره وهذه اشارة الى دوام
الحيوة وبشارة فليتنبه لهما فلا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى له بطول العمر وقال عليه الصلوة والسلام لا تقوم
الساعة حتى يكون المطر قيظا والولد غيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير
واللئيم على الكريم كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعوا اليه
فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض
حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك انت وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان
عليه الصلوة والسلام يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وللتسمية فياخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي
فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته اباه ويبلغ سرور
اهله فيه ولا يروا انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك **ومنها** ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا
طلق الوجه رفيقا قال عليه الصلوة والسلام اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين
السهل القريب وقال ابو هريرة قال عليه الصلوة والسلام ان الله يحب السهل الطلق الوجه وقال بعضهم يا رسول الله
دلني على عمل يدخلني الجنة فقال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر البر
شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال عليه الصلوة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة
وقال عليه الصلوة والسلام ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي
يا رسول الله فقال لمن طيب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ
الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح قال انس عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم امراة
وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من الصحابة فقال عليه الصلوة اجلسي في اي نواحي السكك شئت
اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بني اسرائيل
صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال الله تعالى ان يريه كيف يغوي الشياطين الناس فلما طال عليه
ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل
الله تعالى اليه ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به
اعجب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله تعالى بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض فاذا
ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا فقال الورع اللين
ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال عليه الصلوة والسلام العدة
دين وقال عليه الصلوة والسلام ثلث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال
عليه الصلوة والسلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك **ومنها** ان ينصف الناس من نفسه
ولا ياتي اليهم الا ما يحب ان يؤتى اليه قال عليه الصلوة والسلام لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلث
خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال عليه السلام من سره ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الدردا احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب
لنفسك تكن مسلما وقال الحسن اوحى الله تعالى الى آدم صلى الله عليه وسلم باربع وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك
واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا

واما التي لك فعملك اجزيك به افقر ماتكون اليه وامّا التي بيني وبينك فعليك الدعا وعلى الاجابة واما
الذي بينك وبين الخلق فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك به وسال موسى صلوات الله عليه ربّه عز وجل
فقال اى رب اي عبادك اعدل قال الله جل جلاله من انصف من نفسه **ومنها** ان يزيد في توقير من يزيد لهيانه
وشيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روي ان عايشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت
طعامها فجاء سايل فقالت عايشة ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام
فقيل لها تعطين السايل المسكين وتدعين هذا الغني للطعام فقالت ان الله تعالى قد انزل الناس منازل
لابد لنا ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة
قرصا وروى انه عليه السلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى امتلأ المجلس فجاء جرير بن عبد الله البجلي
فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف عليه الصلوة والسلام رداءه فالقاه اليه وقال له اجلس على هذا فاخذه
رضي الله عنه ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي عليه الصلوة والسلام وقال
ماكنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله عز وجل كما اكرمتني فنظر عليه الصلوة والسلام يمينا وشمالا ثم قال
اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه روى ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بامي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي
وسلي تعطي فقالت قومي قال عليه الصلوة والسلام اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل
ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد من الابل والغنم ووهب لها احد سهمانه بخيبر فبيع ذلك
من عثمان بن عفان بمائة الف درهم ولربما اتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس فلايكون فيها سعة يجلس معه
عليها فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل **ومنها** ان يصلح ذات البين
بين المسلمين مهما وجد اليه السبيل قال عليه الصلوة والسلام الا اخبركم بافضل من درجة الصلوة والصيام
والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال عليه الصلوة والسلام
افضل الصدقة اصلاح ذات البين وعن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى
بدت نواجذه قال عمر يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي جثيا بين يدي الله
عز وجل فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا قال الله تعالى رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق
من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني
من اوزاري ثم فاضت عيناه عليه الصلوة والسلام بالبكا فقال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه
الى ان يحملوا عنهم اوزارهم قال عليه الصلوة والسلام فيقول الله تعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال
يا رب ارى مداين من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ فلاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد
هذا فيقول الله هذا لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك فيقول انت تملك قال بماذا يا رب قال عز وجل
بعفوك عن اخيك قال يا رب فقد عفوت عنه قال الله تعالى فخذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال
عليه الصلوة والسلام اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة وقال
عليه الصلوة والسلام ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نما خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح
لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه وقال عليه الصلوة والسلام كل الكذب
مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامرأته
ليرضيها **ومنها** ان يستر عورات المسلمين كلهم قال عليه الصلوة والسلام من ستر على مسلم ستره الله

في الدنيا والآخرة وقال عليه الصلوة والسلام لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة وقال ابو سعيد
الخدري قال عليه الصلوة والسلام لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة فقال عليه الصلوة
والسلام لماعز لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك فاذا على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه
واجب عليه كحق اسلام غيره قال ابو بكر رضي الله عنه لو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله ولو اخذت
شاربا لاحببت ان يستره الله وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فراي رجلا وامراة
على فاحشة فلما اصبح قال للناس ارايتم لو ان اماما راى رجلا وامراة على فاحشة فاقام عليهما الحد ماكنتم
فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذا يقام عليك الحد ان الله تعالى لم يأمن
على هذا الامر لاقل من اربعة شهدا ثم تركهم ماشاء الله ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى
فقال علي مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان مترددا في ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه
في حدود الله تعالى فلذلك راجعهم في معرض الفتوى لا في معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك
فيكون قاذفا في اخباره فمال علي الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش فان
افحشها الزنا وقد نيط باربعة عدول يشاهدون ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان
علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنهم فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم في الذي
هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كثيف ستر الله تعالى كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق
في كشفه فنرجوا ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر وفي الحديث ان الله تعالى اذا ستر على عبد عورته
في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الآخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن
بن عوف قال حرست مع عمر رضي الله عنهما ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا من ضوء سراج فانطلقنا
نؤمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم لغط واصوات فاخذ عمر بيدي وقال اتدري بيت من هذا قلت
لا قال هذا بيت ربيعة ابن امية ابن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عز وجل
عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقال عليه الصلوة
والسلم لمعوية رضي الله عنه انك ان تتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقال عليه الصلوة والسلام
يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتتبع عورة
اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال ابو بكر رضي الله عنه لو رايت
احدا على حد من حدود الله تعالى ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا
مع عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل باخر وقال هذا نشوان فقال ابن مسعود استنكهوه فاستنكهوه فوجدوه
نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمرته ثم قال اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده
وعليه قباء او مرطق فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عمه قال عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب
ولا سترت الخزية انه ينبغي للوالي اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو ثم قرأ قوله تعالى
فليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر اول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطعه فكانما اسف
وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه قال عليه الصلوة والسلام وما يمنعني لا تكونوا عونا للشيطان
على اخيكم انه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا
تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية كانما سفي في وجهه عليه الصلوة والسلام رماد لشدة تغيره
وروى ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امراة

وعنده خمر فقال يا عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت على معصية فقال وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل
ان اكن عصيت الله في واحدة فقد عصيت الله في ثلث قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت علي وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها وقد دخلت بغير اذن ولا سلام فقال عمر هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله
يا امير المومنين لئن عفوت عني لا اعود لمثلها ابدا فعفى عنه وتركه وخرج وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا
عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله عز وجل ليدني منه
المومن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى اذا قرره بذنوبه وراى
في نفسه انه قد اهلك قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم
فيعطى كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة
الله على الكاذبين وقال عليه الصلوة والسلام كل امتي معافا الا المجاهرون وان المجاهر ان يعمل الرجل
السوء ثم يخبر به فقال عليه الصلوة والسلام من استمع سر قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الانك يوم
القيمة **ومنها** ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا
عصوا الله تعالى بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عليه الصلوة والسلام كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه
فقال عليه الصلوة والسلام نعم يسب اب غيره وامه فيسبون ابويه روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم
احدى نسائه فمر به رجل فدعاه عليه الصلوة والسلام وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله
من كنت اظن فيه فاني لم اكن اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وزاد في رواية اني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيا وكانا رجلين وقال على رسلكما انها صفية وذكر الحديث وكانت قد زارته
في العشر الاواخر من شهر رمضان وكان معتكفا وقال عمر من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء
به الظن ومر برجل يكلم امراة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها امراتي فقال فهلا
حيث لا يراك الناس **ومنها** ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء
حاجته بما يقدر عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اوتي واسئل وتطلب الي الحاجة وانتم عندي
فاشفعوا لتوجروا ويقضي الله على يدي نبيه محمد ما احب وقال معاوية قال عليه الصلوة والسلام اشفعوا الي توجروا
اني اريد الامر فاوخره لكي تشفعوا الي فتوجروا وقال عليه الصلوة والسلام ما من صدقة افضل من صدقة
اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر
وروى عن عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كاني انظر اليه خلفها يبكي وتسيل دموعه
على لحيته فقال عليه الصلوة والسلام للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك قالت يا رسول الله اتامرني فافعل فقال عليه
الصلوة والسلام انما انا شفيع **ومنها** ان يبدا بكل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال
صلوات الله عليه من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبه حتى يبدا بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال عليه الصلوة والسلام ارجع وقل السلام عليكم وادخل قال
جابر قال عليه الصلوة والسلام اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل معه
بيته وقال انس خدمت النبي عليه الصلوة والسلام ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك

الظالمين

وسلم على من لقيته من امتي يكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقال الله
تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقال تعالى فاذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فقال عليه الصلوة
والسلام والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تومنوا ولا تومنون حتى تحابوا او لا ادلكم على عمل اذا عملتموه
تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال عليه الصلوة والسلام اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت
عليه الملائكة سبعين مرة فقال عليه الصلوة والسلام الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه وقال عليه
الصلوة والسلام يسلم الراكب على الماشي واذا سلم واحد من القوم اجزا عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم
السجود فاعطى الله تعالى هذه الامة بالسلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم
ويقول ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل
الى النبي عليه الصلوة والسلام فقال سلام عليكم فقال عشر حسنات فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله
فقال عشرون حسنة فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال عليه الصلوة والسلام ثلثون حسنة
وكان انس يمر على الصبيان ويسلم وروي عن النبي عليه الصلوة والسلام انه فعل ذلك وروى عبد الحميد ابن
بهرام انه عليه الصلوة والسلام مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فاومى بيده بالتسليم واشار عبد الحميد
بيده الحكاية وقال عليه الصلوة والسلام لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام فاذا لقيتم احدهم في الطريق
فاضطروهم الى اضيقه وعن ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام لا تصافحوا اهل الذمة ولا تبدؤهم بالسلام واذا لقيتموهم
في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقالت عايشة ان رهطا من اليهود دخلوا عليه صلوات الله عليه فقالوا السام عليك
فقال عليه السلام وعليكم فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه الصلوة والسلام يا عايشة ان الله تعالى يحب الرفق
في كل شيء فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا فقال عليه الصلوة والسلام فقد قلت عليكم وقال عليه الصلوة والسلام
يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه الصلوة والسلام
لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالاكف
قال ابو عيسى الترمذي رحمة الله عليه اسناده ضعيف وقال عليه الصلوة والسلام اذا انتهى احدكم الى مجلس
فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الثاني وقال انس قال عليه الصلوة
والسلام اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسعة وستون لاحسنهما بشرا وكان عمر رضي الله
عنه يقول سمعته عليه الصلوة والسلام يقول اذا التقى المسلمان يسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما
مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود عن ابي هريرة انه قال عليه الصلوة والسلام
تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال عليه الصلوة والسلام قبلة الرجل المسلم اخاه المصافحة ولا باس بقبلة يد المعظم
في الدين تبركا به وتوقيرا له روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن
مالك قال لما نزلت توبتي اتيته عليه الصلوة والسلام فقبلت يده وروى ان اعرابيا قال يا رسول الله ائذن
لي ان اقبل راسك ويدك فاذن له ففعل ولقي ابو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده فتنحيا
يبكيان وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوءه ورد عليه
ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال عليه الصلوة والسلام
ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاطت ذنوبهما وعنه عليه الصلوة والسلام انه قال اذا مر الرجل بالقوم
فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملاخير منهم واطيب
او قال وافضل والانحناء عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال صلى الله عليه وسلم

وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المومنان وتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لاحسنهما بشرا صح

قال لا نتقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح قال عليه الصلوة والسلام نعم والالتزام والتقبيل فقد ورد به الخبر
عند القدوم من السفر قال ابو ذر ما لقيته عليه الصلوة والسلام الا صافحني وطلبني يوما ولم اك في البيت
فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلما ورد به الاثر
فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر بعضد زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد وباصحاب
زيد والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام وهو في المسجد اشد كراهية لان المسجد موضع
الصلوة والقيام لله وحده لا شريك له فلا نشرك به احدا قال الله عز وجل ولا يشرك بعبادة ربه احدا وايضا
فالجلوس في المسجد عبادة فكره القيام فيه للداخل لانه اشراك عبادة بغيرها قال انس ما كان شخص احب الينا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروى انه عليه الصلوة
والسلام قال مرة اذا رايتموني فلا تقوموا كما تصنع الاعاجم وقال عليه السلام من سره ان تمثل له الرجال قياما
فليتبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا
وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال عليه الصلوة والسلام اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه
واوسع له فلياته فانما هي كرامة اكرم بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان فليجلس فيه وروى انه سلم
رجل على النبي عليه الصلوة والسلام وهو يبول فلم يجبه فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ايضا ان
يقول ابتداء عليك السلام قال رجل للنبي عليه الصلوة والسلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله
ثلثا ثم قال اذا القى احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا
ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد اذ اقبل ثلثة نفر فاقبل
اثنان اليه عليه الصلوة والسلام فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفه واما الاخر
فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة فاما احدهم فاوى الى الله
فاواه الله واما الثاني فاستحيا من الله فاستحيا الله منه واما الثالث فاعرض عن الله فاعرض الله عنه
وقال عليه الصلوة والسلام ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يفترقا وسلمت ام هاني
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له ام هاني فقال مرحبا بام هاني **ومنها** ان يصون عرض اخيه
المسلم وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره روى ابو الدردا ان رجلا نال من رجل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عنه رجل فقال عليه الصلوة والسلام من رد عن عرض اخيه كان له حجابا
من النار وقال عليه الصلوة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار
جهنم يوم القيمة وعن انس انه عليه الصلوة والسلام قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره
فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عز وجل بها في الدنيا والاخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم
ينصره فنصره الله سبحانه بها في الدنيا والاخرة وقال عليه الصلوة والسلام من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث
الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا عليه الصلوة والسلام يقول ما من امرئ
ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل
مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته **ومنها** تشميت العاطس قال صلى الله عليه
وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله
ويصلح بالكم وعن ابن مسعود قال كان عليه الصلوة والسلام يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب
العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت عليه الصلوة والسلام

عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت وقال صلى الله عليه وسلم شمت المسلم اذا عطس
ثلثا فاذا زاد فهو زكام وروى انه صلى الله عليه وسلم شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة
كان عليه الصلوة والسلام اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او بيده وروي خمر وجهه وقال ابو موسى كان
اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول لهم يرحمكم الله وكان يقول يهديكم الله عز وجل
وروي عبد الله بن عامر بن ربيعه عن ابيه ان رجلا عطس خلفه عليه الصلوة والسلام في الصلوة وقال
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضاه ربنا وبعد ما يرضا والحمد لله على كل حال فلما سلم عليه الصلوة
والسلام قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا خيرا فقال صلى الله عليه وسلم
لقد رايت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها فقال عليه الصلوة والسلام العطاس من الله تعالى
والتثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال اه اه فان الشيطان يضحك من جوفه
فقال صلى الله عليه وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال النخعي اذا عطس على قضاء الحاجة
فلا باس ان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله تعالى في نفسه وقال كعب قال موسى عليه السلام يا رب اقريب انت فاناديك
ام بعيد فاناجيك فقال عز وجل انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة
والغائط فقال اذكرني على كل حال **ومنها** انه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص
المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر فقال ابو الدردا انا لنكشر
في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله عز وجل ادفع بالتي هي
احسن قال ابن عباس في معنى قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة اي بالسلام والمداراة الفحش والاذى وقال
في معنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحيا والمداراة وقالت عايشة استاذن
رجل على النبي صلى الله عليه وسلم ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة
فلما خرج قلت له لما دخل قلت والان الت له القول فقال يا عايشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيمة من
تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم
بالقلوب وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا
ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنيا ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمان عليه السلام في ملكه اذا دخل المسجد
فراى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام احب اليه من ان
يقال له يا مسكين وقال كعب الاحبار كلما في القران من يا ايها الذين امنوا وفي الزبور يا ايها المساكين
وقال عبادة بن الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلاثة للاغنيا وثلاثة للنسا وواحد للفقرا والمساكين وقال
الفضيل بلغني ان نبيا من الانبيا قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا المساكين عنك
وقال صلى الله عليه وسلم اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنيا وقال موسى عليه السلام الهي اين
ابغيك قال الله عز وجل عند المنكسرة قلوبهم من اجلي وقال عليه الصلوة والسلام لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك
لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم فقد قال عليه الصلوة والسلام من ضم
يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال عليه الصلوة والسلام انا وكافل اليتيم
في الجنة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على راس يتيم ترحما
كانت بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وقال عليه الصلوة والسلام خير بيت من المسلمين فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت

نكرمه ح

فهذه جمل تنبيه على اداب المعاشرة مع عموم الخلق ح

من المسلمين بيت فيه يتيم يسآء اليه **ومنها** النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم المومن
يحب للمومن ما يحب لنفسه وقال عليه الصلوة والسلام لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه الصلوة
والسلام ان احدكم مراة اخيه فاذا راى به شيئا فليمط عنه وقال عليه الصلوة والسلام من قضى حاجة لاخيه
فكانما خدم الله تعالى عمره وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين مومن اقر الله عينه يوم القيمة وقال صلى الله عليه
وسلم من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال
صلى الله عليه وسلم من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلث وسبعين مغفرة وقال عليه الصلوة والسلام
انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال عليه الصلوة والسلام تمنعه من الظلم اى تنصره على
الشيطان في منعه ما يزينه له من الظلم وقال صلى الله عليه وسلم من احب الاعمال الى الله تعالى ادخال السرور
على المومن وان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعمه من جوع وقال عليه الصلوة والسلام من حمى مومنا
من منافق يغتبه بعث الله تعالى ملكا يحميه لحمه يوم القيمة من نار جهنم وقال عليه الصلوة والسلام خصلتان
ليس فوقهما شئ من البر الايمان بالله تعالى والنفع لعباد الله تعالى وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر الشرك
بالله والضر لعباد الله وقال عليه الصلوة والسلام من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف من قال اللهم
اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد كل يوم ثلث مرات كتبه الله من الابدال وبكى على بن الفضيل
يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكى من على ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة
ومنها ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العايد خفة الجلسة
وقلة السوال واظهار الرقة والدعا بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وادبه عند الاستيذان ان لا يقابل
الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام لكن يحمد ويسبح ويسلم وقال عليه الصلوة والسلام
تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويساله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال
صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه
حتى الليل وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المسلم اخاه وزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات
منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده
فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله تعالى وهو اعلم به فيقول الله لعبدي على ان توفيته ان
ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته وقال صلى الله عليه
وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد
قاله مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهو مريض فقال قل اللهم اني اسالك
تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احدهن ويستحب للعليل
ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد وقال علي بن ابي طالب عليه السلام اذا شكى احدكم بطنه
فليسال امراته شيئا من صداقها يشتري به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنا والمرى والشفا والمبارك وقال صلى الله عليه
وسلم يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله
قال يقول لا اله الا الله يحيى ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله الذي رحم العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا
طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان انت امرضتني لقبض
روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت اولئك الذين

اذا عاد الرجل مريضا
خاض في الرحمة فاذا
قعد عنده قرت فيه وقال
ايضا صلى الله عليه وسلم
صح

سبقت

سبقت لهم منك الحسنى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة
اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة سنة فما زادت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث وقال
عليه الصلوة والسلام اغبوا في العيادة واربعوا وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع
الى الدعا والتوكل بعد الدوا على خالق الدوا والدا **ومنها** ان يشيع جنايزهم قال عليه الصلوة والسلام من شيع
جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى دفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل جبل احد ولما روى ابو هريرة
هذا الحديث وسمعه ابن عمر فقال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلم والاعتبار
كان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغد فانا رايحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر
لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت
لا والله لا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنايز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم ونظر ابرهيم
الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك
الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان
ويبقى واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله **ومنها** ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك
الدعا والاعتبار وترقيق القلب قال عليه الصلوة والسلام ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر رضي الله
عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى الناس منه فبكا وبكينا فقال
عليه الصلوة والسلام ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك فقال عليه الصلوة والسلام هذا قبر آمنة بنت وهب استاذنت
ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنت في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة على الوالدة
وكان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكا حتى يبل لحيته ويقول سمعت النبي عليه الصلوة والسلام يقول
ان القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول
ما تكلم ابن ادم حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك
فماذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدردا يقعد الى القبور
فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم الاصم رضي الله
عنه من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال عليه الصلوة والسلام ما من ليلة
الا ينادي مناد يا اهل القبور من تغبطون فيقولون نغبط لاهل المساجد لانهم يصلون ولا نصلي ويصومون
ولا نصوم ويذكرون الله تعالى ولا نذكره وقال سفين من اكثر ذكر الموت وجد القبر روضة من رياض الجنة ومن
غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبرا وكان اذا وجد في قلبه قساوة
دخل فيه واضطجع ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع
وقال ميمون ابن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكا وقال يا ميمون هذا
قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد خلت من قبلهم المثلات واصاب
الهوام من ابدانهم ثم بكا وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله تعالى واما
ادب المعزى فخفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم وادب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك
الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة بقربها والاسراع بها
سنة فهذه جمل تنبه على اداب المعاشرة مع عموم الخلق **والجملة** الجامعة في ذلك لا تستصغر منهم احدا حيا
كان او ميتا فتهلك فانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله الان ويختم له بالصلاح

ولا تنظر لهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله تعالى صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا
في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله تعالى ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم
دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول
الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي
افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لتعرضهم لمقت الله تعالى وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها
فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت
حقيقة ذلك لم تجد في المائة الا واحدا وربما لا تجده ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله تعالى اليهم ولا تطمع ان يكونوا
لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب وانى تظفر بذلك ولا تطمع فيما ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال
الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله تعالى يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء
واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد فان لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته
ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ولتكن وعظك عرضا وارسالا من
غير تنصيص على الشخص ومهما رايت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله تعالى الذي سخرهم لك واستعذ بالله تعالى
ان يكلك اليهم واذا بلغك منهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله تعالى واستعذ
بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بذلك ولا تقل لهم لم لا ترفعوا موضعي واعتقد
انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله تعالى هو المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا
لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون
زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون
ويؤاخذون على الخطا والنسيان ولا يعفون ويغرون الاخوان بالاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران
وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق ولا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم
ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد
ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة بان تصحبه
مدة في دار او في موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او
تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا
ان كان مثلا لك والله اعلم فهذه جملة ادب المعشرة مع اصناف الخلق **حقوق الجوار** اعلم ان الجوار يقتضي حقوقا
وراء ما يقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة
جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار
وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الجار الذي له حق واحد
فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار فقال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما
وقال صلى الله عليه وسلم ما زال جبرئيل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال عليه الصلوة والسلام من
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوايقه وقال صلى الله
عليه وسلم اول خصمين يوم القيمة جاران فقال عليه الصلوة والسلام اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته ويروى
ان رجلا جاء الى عبد الله بن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال له اذهب فان هو عصى الله تعالى
فيك فاطع الله فيه وقيل له عليه الصلوة والسلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال

لا يجهلون بها فيقصيهم صح

هي في النار وجاء رجل اليه عليه الصلوة والسلام يشكوا جاره فقال له اصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة اطرح
متاعك على الطريق ففعل فجعل الناس يمرون به فيقولون ما لك فيقال اذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله
فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهري ان رجلا جاءه صلى الله عليه وسلم يشكوا جاره
فامر عليه الصلوة والسلام ان ينادي على المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا وهكذا
واشار الى اربع جهات من كل جهة اربعين دارا وقال عليه الصلوة والسلام اليمن والشوم في المراة والمسكن
والفرس فيمن المراة في خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها
ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه
صعوبته واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى عنه فقط بل احتمال الاذى منه فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس
في ذلك قضاء حق ولا يكفي ايضا احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار
الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع
ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة الجوار ولا بحل ان يبيع
داره معدما فدفع اليه مثل ثمن الدار وقال لا تبعها وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا
فقال لا اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فيكون قد احببت لهم ما لا احبه لنفسه وجملة
حق الجار ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة
ويقوم معه في العزاء ويهنيه في الفرح ويظهر له الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح الى
عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا
يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا
نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلامه ويغض بصره عن حرمه ولا يديم النظر
الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي ذكرناها
للمسلمين عامة فقد قال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته
وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هناته وان اصابته مصيبة
عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد منها له فان لم تفعل فادخلها
سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذيه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي
نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه عليه الصلوة والسلام
قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت الشاة فابدا بجارنا اليهودي
حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان النبي عليه الصلوة والسلام لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا
انه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان يطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيته وقال ابو ذر اوصاني
خليلي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وقال اذا طبخت قدرا فاكثر المرق ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك
فاغرف لهم منها وقالت عائشة قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل علي ببابه والاخر ناء ببابه عني وربما
كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا قال المقبل عليك ببابه وروى ابو بكر الصديق رضي الله عنه راى ولده
عبد الرحمن وهو يماظ جارا له فقال لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون قال الحسن بن عيسى النيسابوري
سالت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور ياتيني فيشكوا غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكر فاكره ان اضربه
فلعله بريء واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع قال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه

ظل داره صح

وان استنصرك نصرته صح

الادب فاحفظ عليه ذلك فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون قد ارضيت جارك وادبته على
ذلك الحدث وهذا التلطف في الجمع بين الحقين اعني حق الجار وحق المملوك في كل واحد منهما حق واجب المحافظة
وقالت عايشة خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله
عز وجل لمن احب فقالوا ما هي يا ام المؤمنين فقالت صدق الحديث وصدق الباس واعطاء السايل والمكافاة
بالصنايع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى الضيف وراسهن الحيا وقال
ابو هريرة قال عليه الصلوة والسلام يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه
وسلم ان من شعار سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف
لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون
قد اسات فقد اسات قال جابر قال صلى الله عليه وسلم من كان له جار في حايط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه
عليه وقال ابو هريرة قضى عليه الصلوة والسلام بضع جذوعه في حايط جاره شا ام ابى وقال ابن عباس قال
عليه الصلوة والسلام لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في حايط وكان ابو هريرة يقول مالي اراكم عنها معرضين
والله لارمينه بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلما الى وجوب ذلك وقال عليه الصلوة والسلام من اراد الله به خيرا
عسله قيل وما معنى عسله قال يحببه الى جيرانه **حقوق الاقارب والرحم** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم من سره
ان ينسا له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع عليه في رزقه فليتق الله
وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول
الحق وان كان مرا وقال صلى الله عليه وسلم ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافي لكن الواصل الذي اذا انقطعت
رحمه وصلها وقال صلى الله عليه وسلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمى
اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له
رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال عليه الصلوة والسلام ان الله
سبحانه منع من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما قدمت على امي فقلت يا رسول الله
ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال عليه الصلوة والسلام نعم وفي رواية افاعطيها قال نعم صليها قال
عليه الصلوة والسلام الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحايط له
كان يعجبه عملا بقوله تعالى حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هي في سبيل الله والفقرا والمساكين
فقال عليه وجب اجرك فاقسمه في اقاربك فقال عليه الصلوة والسلام افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح
وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم افضل الفضايل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك
وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور
يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم **حقوق الوالدين والولد** لا يخفى انه اذا تاكد حق
القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تاكد الحق فيها قال عليه الصلوة والسلام لن يجزي
ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال عليه الصلوة والسلام بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم
والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان
الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار

ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة
يوجد ريحها من مسيرة خمسماية عام لا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وانه قال عليه الصلوة والسلام بر امك
واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك وذكر ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى انه من بر
والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم
له فاوحى الله تعالى اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على
احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما
من غير ان ينقص من اجورهما شي وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل
من بني سلمة فقال يا رسول هل بقي علي من بر ابوي شي ابرهما بعد وفاتهما قال عليه الصلوة والسلام نعم الصلوة
عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه
وسلم من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الوالد ضعفان وقال
صلى الله عليه وسلم دعاء الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال ارحم من الاب ودعوة الرحم لا يسقط
وساله رجل فقال يا رسول الله من ابر فقال بر والديك فقال ما لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك
عليك حق كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على
العقوق بسوء عمله وذميم اخلاقه وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او
شريكك قال انس قال عليه الصلوة والسلام الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ
ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلث عشرة ضرب على الصلوة والصوم فاذا
بلغ ستة عشر زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا
وعذابك في الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالدين تحسين اسمه وتحسين ادبه وقال عليه
الصلوة والسلام كل غلام رهين او رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق راسه وقال قتادة اذا ذبحت
العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبل بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منها مثل الخيط ثم يغسل
راسه ويحلق بعده وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم
قال فانت افسدته ويستحب الرفق بالولد راى الاقرع بن الحابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسين
رضي الله عنهم فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلوة والسلام ان من لا يرحم لا يرحم
وقالت عايشة قال لي عليه الصلوة والسلام يوما اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انقيه فضرب يدي ثم اخذه
فغسل وجهه ثم قبله ثم قال عليه الصلوة والسلام قد احسن الله تعالى بنا اذ لم تكن جارية وتعثر الحسن رضي الله عنهم
وهو عليه الصلوة والسلام على منبره فنزل فحمله وقرا قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسين فركب عنقه عليه الصلوة والسلام وهو ساجد
فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى صلوته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث
امر فقال ان ابني كان قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه الصلوة والسلام ريح الولد
من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية ارسل ابي الى الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال يا ابا الحسن ما تقول في الولد
فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول الى كل جليلة فان
طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم قفلا ثقيلا فيملوا حياتك
ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك ويطلبوا بعدك فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني مملوء غضبا

وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل
يزيد الى الاحنف بماية الف درهم ومائة ثوب فشاطره ذلك فهذه الاخبار دالة على تاكد حق الوالدين وكيفية
القيام بحقهما تعرفها مما ذكرناه في حق الاخوة فان هذه الرابطة اكد من الاخوة بل يزيد ههنا امران **احدهما**
ان اكثر العلما على ان طاعة الابوين واجب في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك
عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم **وثانيهما** انه ليس لك ان
تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على التاخير والخروج لطلب
العلم نفل الا اذا كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلوة والصوم وغيرهما ولم يكن في بلدك من يعلمك وكذلك
لمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد لحق الوالدين قال ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه هاجر رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل
باليمن ابواك قال نعم قال عليه الصلوة والسلام هل اذنا لك قال لا قال فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان
فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله تعالى به بعد التوحيد وجاء اخر اليه عليه الصلوة
والسلام يستشيره في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدمها وجاء آخر وطلب البيعة
على الهجرة فقال ما جئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم
حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه الصلوة والسلام اذا استصعبت على احدكم دابته
او ساء خلق زوجته او احد من اهل بيته فليؤذن في اذنه **حقوق المملوك** اعلم ان ملك النكاح قد سبق حقوقه
في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما اوصى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله في ما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله
ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال عليه الصلوة والسلام لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة
وقال عليه الصلوة والسلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال ابن عمر جاء
رجل اليه عليه الصلوة والسلام فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ما شاء الله ثم قال اعف عنه كل يوم
سبعين مرة وكان عمر يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيق وضع عنه وراى ابو هريرة
رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال
لا يزال العبد يزداد من الله تعالى بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لابي الدردا اني سممتك منذ سنة وما عمل
فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى وقال الزهري
متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ
من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادمة له بسفود عليه شوا فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره
فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق فقال لها انت حرة لوجه الله لا باس عليك
وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك
واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب ان تمت فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل
على جاريته بالعشا فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها على راس سيدها ميمون فقال
يا جارية احرقتني فقالت يا معلم الخير ومودب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله قالت والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس قد كظمت غيظي وعفوت عنك قالت زد فقال الله تعالى والله يحب المحسنين قال انت حرة

حم يوص

لوجه الله تعالى وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب النبي عليه الصلوة والسلام ضرب عبدا له فجعل العبد
يقول اسالك بالله اسئلك بوجه الله مرارا فسمع عليه الصلوة والسلام صياح العبد فانطلق اليه فلما راى السيد
رسول الله امسك يده فقال عليه الصلوة والسلام سالك بوجه الله فلم تعف فلما رايتني امسكت يدك قال
فانه حر لوجه الله عز وجل يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال عليه
الصلوة والسلام العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله تعالى فله اجره مرتين فلما اعتق ابو رافع بكى
فقال كان لي اجران فذهب احدهما وقال عليه الصلوة والسلام عرض علي اول ثلثة يدخلون الجنة واول ثلثة
يدخلون النار فاول ثلثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف
متعفف ذو عيال واول ثلثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله تعالى وفقير فخور قال ابو مسعود
الانصاري بينما انا اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالقيت السوط من يدي فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وقال عليه الصلوة والسلام اذا
ابتاع احدكم الخادم فليكن اول كل شيء يطعمه الحلوا فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة قال عليه الصلوة
والسلام اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه او ليأخذ اكلة فليروغها واشار بيده فليضعها في يده
وليقل كل هذه ودخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثت الخادم في شغل فكرهنا
ان نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك
له اجران فقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته **فجملة حق المملوك** ان يشركه في طعامه وكسوته
ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته او
بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته وروى
فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا يسال عنهم رجل فارق الجماعة او عصى امامه فمات عاصيا
فلا يسال عنه او امراة غاب عنها زوجها وقد كفلها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسال عنها وثلثة لا يسال
الله عز وجل عنهم رجل ينازع الله جل جلاله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من الله تعالى والقنوط
من الرحمة تم كتاب الصحبة والاخوة والمعاشرة والحمد لله حق حمده والصلوة والسلام على محمد وآله اجمعين الطيبين الطاهرين

كتاب آداب العزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه اعتصمت الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بان صرف
هممهم الى مؤانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر
في قلوبهم النظر الى زينة الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستانس بمطالعة
سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش به عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته والصلوة والسلام
على محمد سيد انبيائه وخيرته وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته **اما بعد** فان للناس اختلافا كثيرا
في العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الاخرى مع ان كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد
تدعوا اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة
من فضيلة المخالطة والمواخاة والموالفة يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة
فكشف الغطاء عن الحق فيه مهم وتحصيل ذلك برسم بابين **الباب الاول** في نقل المذاهب والحجج فيه
والباب الثاني في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل ان شاء الله تعالى ومنه الاستعاذة **الباب الاول**
في نقل المذاهب والاقاويل فيها وذكر حجج الفريقين فيه اما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا

ولياكل معه وان لم يفعل
فلينا وله وفي رواية اذا
كفى احدكم مملوكه صنعة
طعامه فكفاه حره
وعلاجه ومؤونته
وقربه اليه فليجلسه
صح

الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة الثوري وابن ادهم وداود الطائي
والفضيل بن العياض وسليمن الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي رحمة الله عليهم وقال
اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتألف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة
بهم في امر الدين تعاونوا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة
وابن شبرمه وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينه وابن المبارك واحمد بن حنبل والشافعي وجماعة رضوان
الله عليهم والماثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرايين والى كلمات
مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتبيين المذاهب فيها وما هو مقرون
بذكر العلة نوردها عند التعرض للغوايل والفوايد **فنقول** وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال خذوا بحظكم من العزلة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقران مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا
ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة
وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رضي الله عنه كلمات احفظهن من التورية قنع ابن ادم فاستغنى
اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال
وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم
لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على ما هو اشد من هذا
كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت
في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك
منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فقال قليل الهم لا ولد يموت ° ولا امر يحاذر ان يفوت ° قضى وطر الصبي
فافاد علما ° فغايته التفرد والسكوت ° قال النخعي لعنبر تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم قيل كان
مالك ابن انس يشهد الجنايز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم ثم ترك واحدا واحدا حتى ترك جميعا
وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لو تفرغت لنا فقال ذهب
الفراغ فلا فراغ الا عند الله تعالى وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا
مرضت ان لا يعودني وقال الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصكه في جبهته
فشجه وجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت
جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لا لجمعة
ولا لغيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف ابن اسباط سمعت سفين الثوري يقول والله الذي لا اله
الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيمة فان تكن
فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل حاتم الاصم على بعض الامرا فقال الك حاجة فقال نعم فقال ما هي قال
ان لا تراني ولا اراك وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب الآخر فليصحبه
الآن وقيل للفضيل ان ابنك عليا يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل
وقال يا ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه
وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة

ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
وبقوله سبحانه فالف بين قلوبكم فامتن على الناس بالسبب المولف بين الناس وهذا ضعيف لان المراد به

تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوايل من الصدور
وهي الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا ايضا بقوله صلى الله عليه
وسلم المؤمن آلف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ايضا ضعيف فان هذا اشارة الى مذمة
سوء الخلق الذي يمتنع بسببه الموالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي ان خالط الف والف ولكنه
ترك المخالطة اشتغالا بنفسه او طلبا للسلامه من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة
فمات فميتته جاهلية وبقوله صلى الله عليه وسلم من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه وهذا ايضا ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقت اراؤهم على امام يعقد له والخروج
عليهم بغي وذلك مخالفة بالراي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع راءهم ولا يكون
ذلك الا بالبيعة من الاكثر والمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا ايضا
بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فوق ثلث اذ قال من هجر اخاه فوق ثلث فمات دخل النار وقال صلى الله عليه
وسلم لا يحل لامرئ ان يهجر اخاه فوق ثلث والسابق بالصلح يدخل الجنة وقال من هجر اخاه فوق ستة ايام
فهو كسافك دمه وقالوا العزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع
الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجر فوق ثلث
جايز في موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني ان يرى لنفسه سلامة فيه والنهي
وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم هجر عايشة رضي الله عنها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروي عمر رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام
اعتزل نساءه والى عنهن شهرا وصعد الى غرفة كانت خزانته فلبث فيها تسعا وعشرين فلما نزل قيل له انك
كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين وروت عايشة رضي الله عنها انه قال عليه الصلوة
والسلام لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام الا ان يكون ممن لا يومن بوايقه وهذا صريح في التخصيص وعلى
هذا ينزل قول الحسن حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله تعالى فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر
زوالها ولا يمكن علاجها وذكر عند الواقدي هو محمد بن عمر رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه
قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى ماتا وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف
وعايشة كانت مهاجرة لحفصه وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم
في المهاجرة واحتجوا ايضا بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل
انت ولا احد منكم لصبر احدكم في بعض مواطن الاسلام خير له من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر ان هذا انما
كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي ابو هريرة قال غزونا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد لو اعتزلت الناس في هذا الشعب
ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله
خير من صلاته في اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل
في سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة واحتجوا بما روى معاذ بن جبل انه عليه الصلوة والسلام قال ان
الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة
والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي ذلك منهي عنه الا لضرورة **ذكر حجج**
المائلين الى تفضيل العزلة احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله

وادعوا ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا ثم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق ويعقوب الآية اشارة الى ان ذلك انما كان من بركة العزلة وهذا ايضا ضعيف لان مخالطة الكفار لا
فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين فلما وقع الياس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرهم وانما الكلام في مخالطة المسلمين
وما فيها من البركة اذ روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر مخمر احب اليك او من هذه المطاهر
التي يتطهر منها الناس فقال عليه الصلوة والسلام بل من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدي المسلمين وروي انه
عليه الصلوة والسلام لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في الحياض الادم قد مغثه
الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال العباس ان هذا النبيذ شراب
قد مغث وخيض بالايدي افلا آتيك بشراب انظف من هذا في جر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي
يشرب منه الناس التمس بركة ايدي المسلمين فشرب منه فكيف يستدل باعتزال الكفار وعبدة الاصنام
ومعبودهم الباطل على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى العزلة عند الياس منهم وقال في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما
يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا عليه الصلوة والسلام
قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به في المدينة
بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار عند الياس منهم وفرار منهم للخوف عنهم فانه صلى الله
عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون
وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني
لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك دينك وابك على خطيئتك وقيل
يا رسول الله اي الناس افضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال عليه الصلوة والسلام
رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد
التقي الخفي الغني وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله عليه الصلوة والسلام لعبد الله بن عامر
لا يمكن تنزيله الا على ما عرفه بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يأمر
جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود
في البيت وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على
اذاهم وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير
بطبعه يتأذى بمخالطته وقوله عليه الصلوة والسلام ان الله يحب التقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وتوقي
الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا
شهرة فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا ايضا بما روي انه قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الا انبئكم بخير
الناس قالوا بلى قال فاشار بيده نحو المغرب وقال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار
عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ويعلم حق الله
في ماله اعتزل شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح
بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيه ان شاء الله وبالله التوفيق

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم

في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات
النكاح وفوائده وكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دنيوية والى
فوائد دينية والدينية تنقسم الى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية
العلم والى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة من الجلساء السوء واما الدنيوية
فتنقسم الى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى تخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة
كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة
والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائاته او سوء ظنه او نميمته او محاسدته والتأذي بثقله وتشوه خلقته
والى هذا يرجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ستة فوائد

الفائدة الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس
بعبادة الله تعالى ومناجاته عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله تعالى في امر الدنيا
والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة والعزلة وسيلة
اليه ولهذا قال بعضهم من الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون
بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله
ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر والعزلة اولى بهم ولذلك كان
صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه
عن الله تعالى وكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الحق تبارك وتعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر
رضي الله عنه خليله فاخبر عليه الصلوة والسلام عن استغراق همه بالله عز وجل فقال لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا لكن صاحبكم خليل الله عز وجل ولم يتسع الجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله
تعالى سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه ويطمع في ذلك ولا يبعد ان تنتهي درجة
بعض الاولياء اليه وقد نقل عن الجنيد رحمة الله عليه انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون
اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى فيه لغيره متسع وذلك غير منكر ففي
المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه
بل الذي دهاه ملمة تشوش عليه امرا من امور دنياه قد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع
اصواتهم لشدة استغراقه فامر الآخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين
الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال ليستدعوا
بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حيوة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض
الرهابين ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجيني قرأت
كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعضهم الى اي شيء افضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس
بالله تعالى وقال سفين بن عيينة لقيت ابن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت خراسان فقال
ما تهنأت بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن رآني يقول هو موسوس او حمال او ملاح
وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك فقال اني اصيب راحة قلبي في مجالسة
من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط الا جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن
اذا رأيتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم وقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به فاشاروا اليه

بلغ المقابلة

فمضى اليه الحسن وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس فقال له فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن فما ذاك الشغل يرحمك الله قال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرايت ان اشغل نفسي بذكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن فالزم ما انت عليه وقيل بينما اويس القرني رحمه الله جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لانس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهة لقاء الناس وان يجيء من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الاخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله تعالى في الدنيا ويجاوره في الاخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله تعالى وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسالت الله سبحانه ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عز وجل عن الاضطراب والف الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يده وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذا في الخلوة انس بذكر الله تعالى واستكثار من معرفة الله تعالى وقيل في ذلك **شعر**

وانى لاستغشي وما بى نعسة ۝ لعل خيالا منك يلقى خياليا ۝
واخرج من بين الجلوس لعلني ۝ احدث عنك النفس في السر خاليا ۝

ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة جميع المعاملات ان يموت الانسان محبا لله تعالى عارفا بالله عز وجل ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة فلا بد من العزلة **الفائدة الثانية** التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويتخلص ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والافعال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا **اما الغيبة** فاذا عرفت ما في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها فهي طعمتهم ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وذكروا ذلك المغتاب

واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم **واما الامر بالمعروف** والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه في آخر هذا الربع ان شاء الله عز وجل ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله ربه وان انكر تعرض لانواع من الضرار وربما يجره طلب الخلاص منه الى معاصي هي اكثر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام ابو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم لتضعونها في غير مواضعها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى ليسال العبد حتى يقول ما منعك اذا رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته فيقول يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ۝ وقد يستفيد البغضة المتنصح ۝

ومن جرب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ندم عليه غالبا فانه كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه يقول ليتني تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا ذلك الحائط حتى يحكمه بدعامة استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج براسك **واما الرياء** فهو الداء العضال الذي يعسر على الاوتاد والابدال الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقع الناس فيه وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه فقد صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال صلى الله عليه وسلم تجدون من شرار الناس ذا الوجهين وقال عليه الصلوة والسلام ان من شرار الناس ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق محض قال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من بيته فيلقى الرجل به اليه حاجة فيقول دمث وربيت فيمدحه ولا يحظى من حاجته بشيء فيرجع وقد اسخط الله عليه ما معه من دينه من شيء قال السري لو دخل على اخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله لخشيت ان اكون في جريدة المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك قال المؤانسة يا ابا علي فقال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك فقال بعض العلماء ما احب الله عبدا الا احب ان لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه فقال لم لم تخاطبني بامرة المؤمنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يتحرز مثل هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوالهم في الدين لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال اصبحت لا املك تقديم ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل له

كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفين الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت
اشكوا ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس كيف اصبحت فقال كيف يصبح رجل اذا امسى
لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص
وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكما كيف اصبحت فقال اصبحت لا ارضى حيوتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لاخر
كيف اصبحت قال اصبحت اكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك
برجل يرتحل كل يوم الى الاخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل
فقيل له الست في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصى الله تعالى فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما
حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا من غير زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك
عدل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين
لرجل كيف حالك فقال ما حال من عليه خمسماية درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج الف
درهم فدفعها اليه وقال خمسماية اقض بها دينك وخمسماية فجد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال
والله لا اسئل احدا عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه قد خشي ان يكون سواله غير اهتمام بامره فيكون به مرائيا
منافقا وقد كان سواله عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله سبحانه وتعالى وان سالوا عن
امور الدنيا وعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة قال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا
لا يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم بحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد
الريا والنفاق واية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الاخر كيف انت فالسايل لا ينتظر الجواب
والمسول يشتغل بالسوال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم ان ذلك عن ريا وتكلف ولعل القلوب لا تخلوا عن ضغاين
واحقاد والالسنة تنطلق بالسوال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب واما
الان كيف اصبحت اصلحك الله كيف انت عافاك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا ولا كرامة فان شاوا
غضبوا علينا وان شاوا قالوا لا وانما قال ذلك لان البداية بقوله كيف اصبحت بدعة قال رجل لابي بكر بن عياش رحمه الله
عليه كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى
طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان يلقى الرجل اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية
فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقا في غالب العادات ليس يخلوا من انواع من التصنع والريا والنفاق
وكل ذلك مذمومات بعضها محظورة وبعضها مكروهة وفي العزلة الخلاص منها فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم
مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما
مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين
فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك فيها تفرقة
في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه عنه وانما
الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن
الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طال مشاهدته للكباير من غيره استحقر الصغاير من نفسه ولذلك يزدري الناظر
الى الاغنيا نعمة الله تعالى عليه فيوثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويوثر مجالسة الفقرا في استعظام
ما اتيح له من النعم فكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال
الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار

ولو حكم احدهم على صاحبه
بجميع ما يملكه لم يمنعه وارى
الان اقواما يتلاقون
صح

ومادام

ومادام يرى نفسه مقصرا فلا يخلوا عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واهتماما للاقتدا ومن نظر الى الاحوال
الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله تعالى باقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه بادنى
رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي عن تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته
وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله عليه الصلوة والسلام عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة
ولقاء الله تعالى وليس ينزل عند الذكر عينه ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتدا
بهم والاستنكاف مما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدا الرحمة فعل الخير ومبدا فعل الخير الرغبة
ومبدا الرغبة ذكر احوال الصالحين وهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن
كالمفهوم من لفظه وهو ان عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم تهون على الطبع امر المعاصي واللعنة
هو البعد ومبدا البعد من الله هو المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة
لا على الوجه المشروع ومبدا المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ سقوط ثقلها وتفاحشها من
القلب ومبدا سقوط الثقل وقوع الانس بما يكثر السماع وان كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين
فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك
بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح تعبق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر
به وقال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك الا يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من
عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احديهما انها غيبة والثانية وهي اعظمها ان حكايتها تهون على
المستمعين امر تلك الزلة وتسقط من قلوبهم استعظامهم الاقدام عليه فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية
فانه مهما وقع فيه فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى
العلما والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه مرموق معتبر لشق عليه الاقدام فكم
من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان
الصحابة لم تنزهوا عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية رضي الله عنهما ويخمن في نفسه
ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة وهذا الاعتقاد الخطا يهون عليك امر الرياسة ولوازمها من
المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل
على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهي من دقايق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله عز وجل امر المراغمين للشيطان
فيها بقوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب عليه الصلوة والسلام لذلك مثلا وقال مثل
الذي يسمع الحكمة ثم لا يحمل منها الا شر ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزر لي شاة من غنمك فقال
اذهب وخذ خير شاة فيها فمضى واخذ باذن كلب الغنم وكل من ينقل هفوات الائمة فهذا مثاله ايضا ومما يدل
على سقوط وقع الشي عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان
استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم تجويز كفره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها
فلا ينفر عنها طباعهم كنفرتهم عن تاخير الفطر في الصوم مع ان صلوة واحدة يقتضي تركها الكفر عند بعض
الائمة وحز الرقبة عند اخرين وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلوة تتكرر والتساهل
فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب او شرب
من اناء من فضة استبعد به النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب
للناس ولا يستبعد ذلك منه والغيبة اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة

ومشاهدة المغتابين اسقط وقعها عن القلوب وهون امرها على النفوس فتفطن لهذه الدقايق وفر من الناس
فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الاخرة ويهون عليك
المعصية ويضعف في الطاعة رغبتك فان وجدت جليسا يذكرك الله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه
ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير
من جليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك
ان الاولى التباعد عنه بالعزلة وترك التقرب اليه بالمخالطة واياك وان تحكم مطلقا على العزلة او الخلطة
بان احدهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف محض ولا حق في المفصل الا التفصيل
الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها
وقل ما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما لما ذكر صلوات الله عليه الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس قد مرجت عهودهم وخفت
اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت فما تامرني قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ
ما تعرف ودع ما تنكره وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وروي ابو سعيد الخدري انه عليه الصلوة
والسلام قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن
وروي عبد الله بن مسعود انه عليه الصلوة والسلام قال سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا
من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك
يا رسول الله قال اذا لم ينل المعيشة الا بمعاصي الله واذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذاك
يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال عليه الصلوة والسلام اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على
يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن ذلك فعلى يدي قرابته قالوا فكيف ذلك
يا رسول الله قال عليه الصلوة والسلام يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد
الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة منها مفهومة اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة
ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله عز وجل ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار
قبل هذا العصر ولاجله قال الثوري والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر صلوات الله عليه الفتنة
وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فبم تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال
كف نفسك ويدك وادخل دارك فقلت ارايت يا رسول الله ان ادخل على داري قال عليه الصلوة والسلام
فادخل في بيتك قال ان ادخل على بيتي فقال ادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل الله ربي
حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان
ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبيناهم كذلك
يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها
فتاهوا وضلوا وقال بعضهم ذات الشمال فاخذوا فيها وتاهوا وضلوا واناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت
الريح وتبينت الطريق فسعدوا وجماعة فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر انه لما بلغه
ان الحسين رضي الله عنهم توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلثة ايام من المدينة فقال له اين تريد فقال العراق
واذا معه طوامير وكتب وقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا الى ايمانهم ولا تاتهم فابى عليه
وقال اني محدثك حديثا ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والاخرة فاختار

العزوبة

الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم
الا للذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكا وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة
عشرة آلاف فما خف ايام الفتن اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال لفساد الزمان
وحيف الائمة ولما بني عروة قصره بالعقيق لزمه ولم يخرج فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفاشية
وفيما هنالك عما انتم فيه عافية فاذا الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى فوايد العزلة **الفائدة**
الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات
والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب فربما يرون منك من الاعمال والاقوال
ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت يظهر فيه فرصة للشر فاذا اعتزلتهم استغنيت
عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكما لغيره اعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم فقال ما هو فقال
اخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل المقال * ليس للقول رجعة حين يبدو * بقبيح يكون او بجمال *
ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك عن حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد
لمعاداته ولنصب المكيدة عليه ولدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم
هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا ولا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبي اذا ساء فعل المرء
ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم * وعادى محبيه بقول عداته * واصبح في ليل من الشك مظلم * وقد قيل
معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالابرار وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه وممن يختلط
به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار
اكثر من اختار العزلة قال ابو الدردا اخبر تقله قال الشاعر * من حمد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد *
وصار بالوحدة مستانسا * يوحشه الاقرب والابعد * وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من خلطاء
السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة قال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك
كتب صاحب الى صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك
من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة وهو يقول هو نديم فيه ثلث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان
تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندما وكان بعضهم
قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من الوحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليسا انفع من
دفتر وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من الاولياء الله عز وجل فقال بلغني انك تريد
الحج فاحببت ان نصطحب فقال له الحسن ويحك دعنا نتعايش بستر الله عز وجل اني اخاف ان نصطحب
فيرى بعضنا من بعض ما يتماقت عليه وهذا اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهي بقاء الستر على الدين
والمروة والاخلاق والفقر وساير العورات وقد مدح الله سبحانه وتعالى المستترين فقال يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف وقال الشاعر * ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل * فلا يخلو الانسان
في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات والاولى به في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها
وقال ابو الدردا كان الناس ورقا لا شوك فيه والناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه
وهو في اواخر القرن الاول فلا ينبغي ان نشك في ان الاخير شر وقال ابن عيينة قال لي سفيان الثوري
في اليقظة في حيوته وفي المنام بعد مماته اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب رايت ما اكره

الا من عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبتيه فذهبت اطرده فقال دعه فان هذا لا يضر وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر وهذا اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء وقال ابو الدردا اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف **الفائدة الخامسة** ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع عنهم طمعك فاما انقطاع جميع طمع الناس ففيه كل الجدوى فان رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولايم والاملاكات وفيها تضييع للاوقات وتعرض للافات ثم قد يعوق عن بعضها العوايق ويشتغل عنها بالمعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له قمت بحق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوته وقيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص لاستوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا قال عمرو بن العاص رضي الله عنه كثرة الاصدقا كثرة الغرما قال ابن الرومي عدوك من صديقك مستفاد • فلا تستكثرن من الصحاب • فان الدا اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب • وقال الشافعي رضي الله عنه اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع طمعك منهم فهو ايضا فائدة جزيلة فانما النظر الى زهرة الدنيا وزينتها يحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى به دينه ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يطمع قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال عليه الصلوة والسلام انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال جابر بن عبد الله كنت اجالس الاغنيا فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقرا فاسترحت وحكي ان المزني رضي الله عنه خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيأته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلي بمثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الامر واغلب الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا يتيسر له وان كانت صغيرة خسيسة واما في الاخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه قال ابن الاعرابي اذا كان باب الذل من جانب الغنى • سموت الى العليا من جانب الفقر • اشار الى ان الطمع يوجب في الحال ذلا **الفائدة السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلا والحمقى ومقاساة خلقهم واخلاقهم فان روية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلا ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما اني كفاني روية الثقلا وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشي علي وقال جالينوس لكل شي حمى وحمى الروح النظر الى الثقلا قال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني فيه اثقل من الجانب الاخر وهذا مذكور في معرض المطايبه وهذه الفوايد ما سوى الفايدتين

عون
عبد

الاولين تتعلق بالمقاصد الدنيوية الحاضرة لكنها ايضا تتعلق بالدين فان الانسان مهما تاذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او نميمة او محاسدة او غير ذلك لم يصبر عن مكافاته وربما يزيد عليه في المكافاة وكل ذلك ينجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم والله تعالى اعلم **آفات العزلة** اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير فلا يحصل ذلك الا بالمخالطة وكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوايد المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب والتادب والاستيناس والايناس ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوايد المخالطة وهي سبعة **الاولى** التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم من كتب ربع العبادات وانهما من افضل العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة البدنية فليعتزل وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او في فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور ويخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله عز وجل وفي صفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من الاوتاد فالعلم هو اصل الدين ولا خير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة ضرره بمرضه فلا يليق العزلة الا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت النية للمتعلم والمعلم فمهما كان القصد هو اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو هلاك في الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا يرى الا طالبا للكلام المزخرف ليستميل به العوام في معرض الوعظ او الجدال تعقيد يتعقد انه يتوصل به الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة وقد يزعم انه يجوز المذهب ايضا ولا يطلب ذلك غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال وهو لا كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب فهم لدينه خالصة لله تبارك وتعالى ومتقرب بالعلم اليه عز وجل فاكبر الكباير الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد كبير اكثر من واحد واثنين او نهايته ثلاثة ان صودف فلا ينبغي ان يعتزل عنه ثم ينبغي ان لا تغتر بقول سفين تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم الا ان يكون لله سبحانه وتعالى وان الفقها يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله فانظر الى آخر اعمار الاكثرين منهم فاعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين عنها وزاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفين هو علم تفسير القران ومعنى الحديث ومعرفة الله تعالى وسيرة الانبيا والصحابة والصالحين فان فيها التخويف والتحذير وهي سبب لاثارة الخوف من الله تعالى فان لم تؤثر في الحال اثرت في المآل فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا الى الله تعالى بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره

ولا يعرف جميع
بالعزلة فيهما

ولعل ما ادعناه هذه الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة فى الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر به فى اخر عمره
فانه مشحون بالتخويف بالله تعالى وبالترغيب فى الاخرة والتحذير من الدنيا وذلك ما يصادف فى التفسير والاحاديث
ولا يصادف فى الكلام والخلاف والمذاهب فلا ينبغى ان يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد
حالا من الجاهل المغرور او المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول
والجاه وحظه تلذذ النفس فى الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كذلك قال
النبى صلى الله عليه وسلم وحكى عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث التى سمعها وكان لا يحدث
ويقول اشتهى ان احدث فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت وقال ايضا حدثنا باب من الدنيا
واذا قال الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لى وقالت رابعة العدوية لسفين نعم الرجل انت لولا رغبتك فى الدنيا
قال وماذا رغبت قالت فى رواية الحديث وكذلك قال ابو سليمن الدارانى من تزوج او كتب الحديث او اشتغل
بالسفر فقد ركن الى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها فى كتاب العلم والحزم والاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار
من الاصحاب ما امكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان يكون عاقلا فى هذا الزمان
ان يتركه ولقد صدق ابو سليمن الخطابى رحمه الله حيث قال دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك
منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سبعوك من اتاك كان عليك
رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم
بل المال والجاه وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا فى حاجاتهم ان قصرت فى غرض من اغراضهم كانوا اشد
اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك
وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون
لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف
بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين فى رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد
اليه وكانه يهدى اليه تحفة ويرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل له برزق من الادرارات والمدرس
المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد المسكين الى ابواب السلاطين ويقاسى الذل والشدايد
مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه
ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقى فى مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى
بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات اهل الفضل والقيام فى
مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والآساد
فلا يزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مظالم ما ياخذه ويفرقه فى العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمنى نفسه
بالاباطيل ويحيل الغرور يتدلى ويقول لا تفتر عن صنيعك فانما انت بما تفعله تريد وجه الله تعالى وتذيع شرع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشر علم دين الله وقايم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك
لها وهى مرصدة للمصالح واى مصلحة اكثر من تكثير العلماء فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان
لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون
ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم اعين الجهال ويستجرون على المعاصى باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء
لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسدت الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من
الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء. **الفائدة الثانية** النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب

والمعاملة وذلك لا يتأتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع فى جهاد من المخالطة
ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه فى كتاب الكسب وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه
فالعزلة افضل له اذ قد انسدت طرق المكاسب فى الاكثر الا من المعاصى الا ان يكون غرضه الكسب للصدقة
فاذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو افضل من العزلة والاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال
بالتحقيق فى معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد به لذكر الله تعالى اعنى
من حصل له انس ذلك بمناجاة الله تعالى عن كشف وبصيرة لا عن تخييل الاوهام وخيالات فاسدة واما النفع
فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففى النهوض بقضاء حوايج المسلمين ثواب
وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الله عز وجل فى الشرع فهو افضل له من العزلة اذ كان
لا يشتغل فى عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام
ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة **الفائدة الثالثة** التاديب للنفس والتادب ونعنى به الارتياض بمقاساة الناس
والمجاهدة فى تحملها اذ فيهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهى من الفوايد التى تستفاد بالمخالطة وهو افضل من
العزلة فى حق من لم تتهذب بعد اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية من
الرباطات فيخالطون الناس لخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء
الصوفية المنصرفين بهمتهم الى الله تعالى كان هذا هو المبدأ فى الاعصار الخالية واما الآن فقد خالطته
الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال ساير شعاير الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثر
بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذا فالعزلة له خير منه ولو
الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهى خير من العزلة فى حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه
فى بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغى ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد
منها ان تتخذ مركبا يقطع بها المراحل ويطوى على ظهرها الطريق فالبدن هو مطية القلب يركبها ليسلك بها طريق
الاخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به فى الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول
عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص فى الحال من عضها ورمحها ورفسها وهى لعمرى فائدة
مقصودة ولكن مثلها حاصلة من البهيمة الميتة وانما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص
عن الم الشهوات فى الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغى ان يقنع بها كالراهب الذى قيل له يا راهب فقال ما
انا براهب انما انا كلب حبست نفسى حتى لا اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر الناس ولكن
لا ينبغى ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس بل ينبغى ان يتشوف الى الغاية المقصودة بها
ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان ان العزلة اعود عليه من المخالطة والافضل
لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة آخرا **واما التاديب** فانما نعنى به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية
معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقايق الآفات
والرياء ما يتطرق الى ناشر العلم الا ان محل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة
العلم ولذلك يرى فيهم قلة ولطلبة العلم كثرة فينبغى ان يقيس بما يتيسر له من الخلوة ما يتيسر له من المخالطة
وتهذيب القوم ليقابل احدهما بالآخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال
والاشخاص ولا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفى او اثبات **الفائدة الرابعة** الاستيناس والايناس فهو غرض من
يحضر الولايم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس والمباشرة وهذا يرجع الى حظ النفس فى الحال وقد

يكون ذلك على وجه حرام بموانسة من لا يجوز موانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك
فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله فى الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ
النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب ليهيج دواعى النشاط فى العبادة فان القلوب اذا اكرهت
عميت ومهما كان فى الوحدة وحشة وفى المجالسة انس يروح القلب فهى اولى اذ الرفق فى العبادة من حزم
العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف
الحق على الدوام ما لم تروح وفى تكليفها الملازمة تنفير وفى نشاده هذا الدين بغلبه فان الدين متين والايغال
فيه برفق من داب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس ولدخلت بلادا
لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغنى المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته
فى اليوم والليلة ساعة فليجتهد فى طلب من لا يفسد عليه فى ساعته تلك ساير ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم
المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء فى امور الدين وحكاية احوال
القلب وشكوته وقصوره عن الثبات الى الحق والاهتداء الى الرشد ففى ذلك متنفس ومستروح للنفس
وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع شكوته ولو عمر اعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور
قطعا وهذا النوع جملة من الاستيناس فى بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة فى حق بعض الاشخاص
فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا ثم ليجالس **الفايدة الخامسة** فى نيل الثواب واناله اما النيل فبحضور
الجنايز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منها وحضور الجماعة فى ساير الصلوات ايضا
لا رخصة فى تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك
لا يتفق الا نادرا وكذلك فى حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم
واما الاناله فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه بالمصايب او يهنوه على النعم فانهم ينالون به ثوابا
وكذلك اذا كان من العلماء واذن له فى الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغى ان يزن
ثواب هذه المخالطات بافاتها التى ذكرناها وعند ذلك قد يترجح المخالطة حكى عن جماعة من السلف مثل
مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وتشييع الجنايز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا
الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل
الفايدة السادسة من المخالطة التواضع فانه من افضل المعاملات والمقامات ولا يقدر عليه فى الوحدة وقد
يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة وقد روى فى الاسرائليات ان حكيما من الحكما صنف ثلثمائة وستين مصحفا
فى الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله تعالى منزلة فاوحى الله تعالى الى نبى ذلك الوقت قل لفلان انك قد
ملات الارض نفاقا وانى لا اقبل من نفاقك شيئا فتخلى وانفرد فى سرب تحت الارض قال الآن قد
بلغت رضا ربى فاوحى الله الى نبيه قل له انك لم تبلغ رضاى فدخل الاسواق وجالس العامة وخالطهم وواكلهم
ومشى فى الاسواق معهم فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له الآن قد بلغت رضاى فكم من معتزل فى بيته وباعثه التكبر
ومانعه عن المحافل الا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله واو فى لطراوة ذكره بين الناس
وقد يعتزل خيفة من ان يظهر مقابحه لو خالط واكل الطعام معهم ومشى فى الاسواق معهم ولا يعتقد فيه
الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس فى زهده وتعبده
من غير استغراق وقت فى الخلوة بذكر او فكر وعلامة هولاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون
بتقرب العامة والسلاطين اليهم واجتماعهم على بابه وطريقه وتقبيله يده على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال

بنفسه هو الذى يبغض اليه المخالطة وزيادة الناس لبغض اليه زيارتهم كما حكيناه عن الفضيل حيث قال
وهل جئتنى الا لا تزين لك وتتزين لى وعن حاتم الاصم اذ قال للامير الذى زاره حاجتى ان لا اراك ولا ترانى
فمن ليس هو مشغولا مع نفسه بذكر الله تعالى فاعتزاله من الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه
متجرد للالتفات الى نظرهم بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع
والمخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان على رضى الله عنه يحمل التمر والمالح فى ثوبه وبيده
ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وكان ابو هريرة وحذيفة وابى وابن مسعود رضى الله
عنهم كانوا يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم ويقول ابو هريرة وهو والى المدينة وعلى
كتفه حزمة الحطب طرقوا الاميركم وكان سيد المرسلين صلوات الله عليه يشترى الشئ فيحمله الى بيته بنفسه
فيقول له صاحبه اعطنى احمله فيقول عليه الصلوة والسلام صاحب المتاع احق بحمله وكان الحسن بن على رضى الله
عنهما يمر على السوال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الى الغدا يا ابن رسول الله وهم جلوس على الطريق وكان ينزل
وياكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثانى ان الذى حبس نفسه بطلب رضا الناس عنه
وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف الله تعالى حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنى عنه من الله شيئا وان ضرره
ونفعه بيد الله تعالى فلا نافع ولا ضار الا الله عز وجل وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله
عليه واسخط الناس عليه بل رضا الناس غاية لا تدرك فرضا الله اولى بالطلب قال الشافعى رضى الله عنه
ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك
فافعله ولذلك قيل من راقب الناس مات غما وفاز بالراحة الجسود ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال
اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا
الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس عن عينه فلا يرى فى الدنيا الا خالقه وان احدا لن يقدر
ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالى باى حال يرونه قال الشافعى رضى الله عنه ليس من
احد الا له محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله عز وجل وقيل للحسن يا ابا سعيد قوما يحضرون
مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك فى السوال فتبسم وقال للقايل هون على نفسك
فانى حدثت نفسى فى سكنى الجنان ومجاورة الرحمن وطمعت وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس لانى قد علمت
ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عنى السنة الناس فقال
هذا شئ لم اصطنعه لنفسى فكيف افعله بك واوحى الله تعالى الى العزير عليه السلام ان لم تطب نفسا
بان اجعلك علكا فى افواه الماضغين لم اكتبك عندى من المتواضعين فاذا من حبس نفسه فى البيت ليحسن
اعتقادات الناس واقوالهم فيه فهو فى عناء حاضر فى الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذا لا يستحب
العزلة الا لمستغرق الاوقات بربهم ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته وكثرت
آفاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوايل خفية فى اختيار العزلة ينبغى ان تتقى فانها مهلكات فى صور منجيات
الفايدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجارى احوالهم والعقل الغريزى ليس كافيا فى تفهم
مصالح الدين والدنيا وانما يفيدها التجربة والممارسة فلا خير فى عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبى اذا اعتزل
بقى غمرا جاهلا بل ينبغى ان يشتغل بالتعلم ويحصل له فى مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل
بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات
باطنه وذلك لا يقدر عليه فى الخلوة فان كل مجرب فى الخلا يسر وكل غضوب وحقود او حسود اذا خلا ونفسه لم يترشح

منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب اماطتها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال
القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالقيح والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمدة ما لم يتحرك او يمسه
غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورتها ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل
في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام انفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق
اذا احبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وساير الاخلاق الذميمة
انما يتفجر منه خبائثها اذا احرك وعن هذا كان السالكون لطريق الاخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون
انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد
في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها حكي عن رجل انه قال
اعدت صلوة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما لعذر فما وجدت موضعا
في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت بالصف
الاول فعلمت ان جميع صلوتي كانت مشوبة بالريا ممزوجة بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة
السابقين الى الخير فالمخالطة لها اذا فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها من مكامنها ولذلك
قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة الدائمة وسياتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات
فان الجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكوا العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل
ان يكون العلم بالصلوة ولا يراد الا للصلوة افضل من عمل الصلوة فانا نعلم انما يراد لغيره فذلك الغير اشرف
منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي
على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى
فايدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد به العلم بالله عز وجل وبصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل
بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لينبعث بعد الانصراف اليه بمعرفته ومحبته فالعمل
وعلم العمل مراد لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل الصالح كالحمال الرافع له الى مقصده
فيكون المرفوع اذا افضل من الرافع وههنا كلام معترض لا يليق بهذا الكتاب فلنرجع الى المقصود فنقول
اذا عرفت فوايد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطا محظر بل ينبغي
ان تنظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث الى مخالطته والى الفايت بسبب مخالطته
من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفايت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي
رضي الله عنه هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم
مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط وكذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف
ذلك بالاحوال فبملاحظة الفوائد والافات يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا
فهو قاصر وانما هو اخبار عن كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال
والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم يختلف
اجوبتهم في المسايل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه فلا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
مما لا يختلف ~~اجوبتهم في المسايل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه فلا ينظر الى حال نفسه فيكشف
الحق فيه~~ فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر ولذلك سئل بعض الصوفية عن الفقر فما من

واحد الا واجاب بجواب آخر وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا
واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلا وقد سئل عن الفقر فقال اضرب بكميك الحائط وقل ربي الله فهو الفقر
وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسال ولا يعارض وان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله التستري
الفقير الذي لا يسال ولا يدخر وقال اخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن
لك لم يكن لك وقال ابرهيم الخواص الفقر هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سئل منهم
مائة لسمعت منهم مائة جواب مختلفة قل ما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد
عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف او يثني
عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض
لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء
ورفع الاختلاف ومثال نظر هؤلاء ما رايت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل قال بعضهم هو
في الصيف قدمان وحكي عن اخر انه نصف قدم يرد عليه ويقول انه في الشتاء سبعة اقدام وحكي عن اخر انه خمسة
اقدام واخر يرد عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء اخبر عن الظل الذي
راه ببلد نفسه فصدق في قوله واخطا في تخطئة صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو كله مثل بلده كما
ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حاله في نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل
وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة فيقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها
يبقى ظل ثم الباقي في بعضها طويل وفي بعضها قصير فهذا ما اردنا ان نذكر في فضيلة العزلة والمخالطة
فان قلت فمن اثر العزلة وراها افضل له واسلم لدينه فما آدابه في العزلة **فنقول** انما يطول النظر في اداب
المخالطة وقد ذكرناها في اداب الصحبة والمعاشرة فاما العزلة فلا يطول النظر فيها لكن ينبغي للمعتزل
ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من افة القصور
عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله تعالى رابعا فهذه آداب نيته ثم
ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه
وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغا الى اراجيف البلد وما الناس
مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة والفكر من حيث لا يحتسب فوقوع
الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان ينبت ويتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى
بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها
ويقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه
من اذى الجيران وليصم سمعه عن الاصغا الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او ذم له بترك المخالطة فان كل
ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد وان يكون واقفا على سيره في طريق الاخرة
فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت
سمواته واما بالتامل في دقايق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي
الفراغ والاصغا الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظره
وليكن له اهل صالح او جليس صالح ليستريح نفسه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات
ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل

وقرب الاجل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدّر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله تعالى ومعرفته ما يانس به لا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بذكر الله تعالى ومعرفته وانسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما قال تعالى في الشهدا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية وكل متجرد لله فهو في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر هو جهاد النفس كما قالت الصحابة رضوان الله عليهم حين انصرفوا عن قتال المشركين رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر تم كتاب العزلة ويتلوه كتاب اداب السفر انشا الله وحده والحمد لله وصلوته على نبيه محمد واله وصحبه

كتاب اداب السفر وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه اعتصمت الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجايب صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر متنزهين قلوبهم عن الالتفات الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلوة على محمد سيد البشر وعلى اله واصحابه المقتفين لاثاره في الاخلاق والسير وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب عنه او الوصول الى مطلوب والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقنه بالتقليد من الابا والاجداد لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص ومستبدل بمتسع فضا عرضها السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس **شعر** ولم ار في عيوب الناس عيبا ۝ كنقص القادرين على التمام ۝ الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير جليل لم يستغن عن خفير ودليل فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانفس والملكوت والافاق واليه دعا الله سبحانه بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وبقوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن تيسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن فهو السفر الذي لا يضيق فيها المناهل والموارد ولا يضر فيها التزاحم والتوارد بل يزيد بكثرة المسافرين غنائمه ويتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يوهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا او ذخيرة للاخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الاخرة وكان له في سفره شروط واداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع

جنة عرضها

الشياطين وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوايد تلحقه بعمال الاخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين ان شا الله

الباب الاول في الاداب من اول النهوض الى اخر الرجوع وفي نية السفر وفايدته

وفيه فصلان **الاول في فوايد السفر وفضله ونيته** اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيها فوايد ولها آفات كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة والفوايد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما ان يكون امرا له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوبا اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة او خصومة او غلا سعر وهو اما عام كما ذكرنا او خاص كمن يقصد باذية في بلده فهرب منها واما ان يكون امرا له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله تعالى فيوثر الغربة والخمول ويجتنب السمعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو ايضا اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بايات الارض وعجايبها كسفر ذي القرنين وتطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هي الحج والعمرة والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاوليا والعلما وهم اما موتى فيزار قبورهم واما احيا فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتدا بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام **الاول** السفر في طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينية او باخلاقه في نفسه وصفاته او بايات الله تعالى في ارضه وسمائه وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله تعالى حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى ما كان سفره ضايعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه وقل مذكور بالعلم محصل من زمان الصحابة الى زماننا هذا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الاخرة لا يمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله تعالى الخبا في السموات والارض وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال لا اراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القرا سيحوا تطيبوا فان الما اذا كثر مقامه في موضع تغير وبالجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة الاسباب لا يظهر خبائث اخلاقها لاستيناسها بما يوافق طبعها من المالوف المعهود فاذا حملت وعثا السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوايلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوايد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما ايات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوايد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوان والنبات وما منها من شي الا وهو شاهد لله تعالى بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب في زهرة الدنيا

فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن ايات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به في الاية ما كانوا معزولين عنه
وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات ويشاركه فيه الانسان ساير الحيوان واما
السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القايل حكاية لكلام الوتد والحايط
قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني ولم يتركني وراي الحجر الذي ورايي وما من ذرة في السموات والارض
الا ولها انواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقديس وهي تقديسها
وتسبيحها ولكن لا تفقهون تسبيحهم لانهم لم يسافروا من مضيق السمع الظاهر الى فضاء السمع الباطن ومن ركاكة
لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمن عليه السلام مختصا بفهم
منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف
والاصوات ومن يسافر ليستقري هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات
لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له وللتردد
في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصاير مسافرات
في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرايب ان يدأب في التطواف باحاد
المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن العجايب ان يطوف في اكناف الارض من يطاف به في اقطار السماء
ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السايرين
الى الله تعالى والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف على باب الوطن لم يفض به السير الى متسع الفضاء ولا سبب
لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن او القصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون
افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن
المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطأها الا مخاطر
بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما ياخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء الطريق والهالكون في التيه
هم الاكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السايحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت
لهم من الله الحسنى فاعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب
قل المساعد ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب
شعر
واذا كانت النفوس كبارا • تعبت في مرادها الاجسام
وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر
شعر
يرى الجبناء ان الجبن حزم • وتلك خديعة النفس اللئيم
فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن لمطالعة ايات الله في الارض فلنرجع الى الغرض
الذي كنا نقصده ولنبين **القسم الثاني** وهو ان يسافر للعبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وادابه
واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبيا والصحابة والتابعين وساير
العلما والاوليا وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارة قبره بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض
ولا يمنع من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام
والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبيا
والاوليا والعلما في اصل الفضل وان كانت تتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم
عند الله تعالى وبالجملة زيارة الاحيا اولى من زيارة الاموات فالفائدة في زيارة الاحيا طلب بركة الدعا

وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجه العلما والصلحا عبادة وفيه ايضا تحريك الرغبة في الاقتدا بهم والتخلق
باخلاقهم واادابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوايد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان
في الله تعالى فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التورية سر اربعة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا معنى
لزيارتها سوى المساجد الثلثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا يشد الرحال لطلب بركة
البقاع الا الى المساجد الثلثة وقد ذكرنا
فضايل الحرمين في كتاب الحج فاما بيت المقدس فله ايضا فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس
حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سال سليمن عليه السلام ربه عز وجل ان من
قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلوة فيه ان لا تصرف عنه نظرك ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان
تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله تعالى **القسم الثالث** ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش
للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة
العلايق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ من غير الله تعالى فان لم يتم
فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهماتها والحاجات الضرورية ولكن يتصور
تخفيفها وتقليلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار
والاعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن
لمن اتسع جاهه وكثرت علايقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلايق التي له بد عنها حتى يروض
نفسه مدة ثم ربما يمده الله تعالى بمعونته فينعم عليه بما يقوي به نفسه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر
والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلايق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله
تعالى وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما
يسعد بهذه القوة الانبيا والاوليا والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل
ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضا فرب رجل قوي ذي مرة سوي
شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف من فلو اراد الضعيف والمريض ان ينال رتبته بممارسة
الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد تزيدان في قوته زيادة ما وان كان ذلك
لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند الياس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال
والخسران وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفين الثوري هذا زمان سوء
لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره
وقال ابو نعيم رايت الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال قد بلغني
عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقيل وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص فاقم بها فانه
اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وكان السري السقطي رحمه الله يقول للصوفية اذا خرج
الشتاء فقد خرج اذار واورقت الاشجار فطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم في بلد اكثر من اربعين
يوما وقد كان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسياتي اسرار الاعتماد على
الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله عز وجل **القسم الرابع** السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون
او في المال كغلاء السعر وما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب
في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوايد واستحبابه في ذلك ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي

ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع او السقم
رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن
عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عايشة رضي الله عنها قال صلى الله عليه وسلم
ان فنا امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن فقد عرفناه فما الطاعون قال عليه الصلوة والسلام
غدة كغدة البعير تاخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله
والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله
لا تشرك بالله تعالى شيئا ولو عذبت بالنار او خوفت اطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شي هو لك
فاخرج منه لا تترك الصلوة عمدا فانه من ترك الصلوة عمدا فقد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها
مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله لا تفر من الزحف واذا اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت
فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم الله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من
الطاعون منهي عنه وكذا القدوم عليه وسياتي تبيين سر ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه
ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه
كالخروج من بلد الطاعون فرارا منه والمحمود ينقسم الى واجب كطلب العلم والحج المفترض والى مندوب اليه كزيارة العلما
وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب يتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض
لاجابة الداعية ولكن بنية الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور
واما المباح فمهما كان قصده بطلب المال ميلا للتعفف عن السوال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال والتصدق
بما يفضل من المال عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الريا والسمعة
خرج عن كونه من اعمال الاخرة وقوله عليه الصلوة والسلام الاعمال بالنيات وهو عام في الواجبات والمباحات
دون المحظورات فان النية لا توثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين
ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من آخرته اضعافه
وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة
والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له **واما النظر** في ان السفر هو الافضل او الاقامة
فيضاهي النظر في ان العزلة هي الافضل او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا ايضا منها فان
السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة يفرق الهم ويشتت القلب في حق الاكثرين والافضل ما هو الاعون
على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الانس بذكره والانس يحصل بدوام الذكر
والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتدا
والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتها **واما السياحة** في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا
في حق الاقويا فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه
وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف
الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط والارتحال مشوش
لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير
من مشاهدته فان استقل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر والعمل فالسكون اولى به الا ان اكثر المتصوفة
في هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطايف الافكار ودقايق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره

المشوشات

مطلب مهم

في الخلوة

في الخلوة فكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق
المكسب واستلانوا جانب السوال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين
للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم واديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الريا والسمعة وانتشار
الصيت واقتناص الاموال بطريق السوال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن له في الخانقاهات حكم نافذ ولا
تاديب للمسافرين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاهات متنزهات وربما
تلقفوا الفاظا مزخرفة من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي
لفظهم وعبارتهم وفي اداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سودا تمرة ويتوهمون
ان المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في الحقايق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهولا بغضا
الله تعالى في ارضه فان الله عز وجل يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من
سافر لحج او عمرة في غير ريا وسمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الان
والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت حتى التصوف فانه قد انمحق بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس
بعد والعالم وان كان عالم سو فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما
التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله تعالى وحاصله يرجع الى عمل القلب
والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفار هولا نظر للفقها من حيث انها اتعاب نفس بلا فايدة
وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان يحكم بالاباحة فان حظوظهم الفرج عن كرب البطالة
بمشاهدة البلاد المختلفة فهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين ايضا بهذه الحظوظ خسيسة
ولا باس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتاذي به وهو المتلذذ والفتوى تقتضي
تسييب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسياحون من غير مهم في الدين والدنيا بل بمحض التفرج
في البلاد كالبهايم المترددة في الصحاري فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم
وانما عصيانهم في التلبيس والسوال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي وقفت على الصوفية لان الصوفي
عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخرى ورا الصلاح ومن اقل احوال هولا اكلهم اموال السلاطين
واكل الحرام من الكباير فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي
وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي
يحصل به العدالة وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله تعالى
حرم عليهم الاخذ وكان ما اكلوه سحتا واعني به اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم ما اعطاهم واخذ المال
باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى
ومن زعم انه علوي وهو كاذب فاعطاه مسلم مالا لحب اهل البيت عليهم السلام ولو علم انه كاذب لم يعطه شيا فاخذه
عليه حرام فكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك
في باطنه من عورات لو انكشفت للراغب في مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون
شيا بانفسهم مخافة ان يسامحوا لاجل دينهم فيكونوا اكلين للدنيا بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل
ان لا يظهر انه لمن يشتري نعم انما يحل اخذ ما يعطى لاجل الدين اذا كان الاخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه
ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا في رايه فيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه ان ذلك ممتنع او عزيز والمغرور
الجاهل بنفسه احرى بان يكون جاهلا باحر دينه فان اقرب الاشيا الى قلبه قلبه فاذا التبس عليه امر قلبه

عن الخلق

فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من كيسه لبا من هذه الغائلة
او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فان اضطر طالب
الحلال ومريد طريق الاخرة الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل انك ان كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين
فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت اني شر الخلق او من شرارهم
فان اعطاه مع ذلك فليا خذ فانه ربما يرتضي منه هذه الخصلة هو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم
استحلاله لما ياخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو انه قد يقول ذلك مظهرا انه متشبه
بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدرا فيكون صورة الكلام صورة
القدح والازدرا وباطنه وروحه هو المدح والاطرا فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس في
الخلوة مع النفس هو المحمود فاما الذم في الملاء فهو عين الريا الا اذا اورده ايرادا يحصل المستمع يقينا بانه
معترف للذنوب ومعترف بها وذلك لا يمكن تفهيمه بقراين الاحوال ويمكن تلبيسه بقراين الاحوال والصادق
بينه وبين الله تعالى يعلم ان مخادعته لله تعالى او مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن امثال ذلك فهذا
هو القول في اقسام السفر ونية المسافر وفضيلته الفصل الثاني في اداب المسافر من اول نهوضه الى
آخر رجوعه وهي احد عشر ادبا الاول ان يبدا برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن يلزمه نفقته ورد
الودايع ان كان عنده ولا ياخذ لزاده الا الطيب الحلال وليا خذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر رضي الله
عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره فلا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام ومن اظهار مكارم الاخلاق
فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن يصلح لصحبة السفر يصلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر
ولذلك قيل اذا اثنى على رجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر احد اسباب الضجر
ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قل ما يظهر سوء الخلق
وقد قيل ثلثة لا يلامون على الضجر الصايم والمريض والمسافر وتمام خلق المسافر بالاحسان الى المكاري وبمعاونة
الرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل منقطع بان لا يجاوزه الا بالاعانة بمركوب او زاد او ماء او توقف لاجله وتمام ذلك
مع الرفقاء بمزاح ومطايبه في بعض الاوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه
الثاني ان يختار رفيقا ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا
نسيه ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه وقد نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ان يسافر الرجل وحده وقال صلى الله عليه وسلم الثلثة نفر واذا كنتم ثلثة في سفر فامروا احدكم
وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هو اميرنا امره رسول الله صلى الله عليه وسلم فليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم بالاصحاب
واقربهم من الانصاف واسرعهم الى الايثار وانما يحتاج الى الامير لان الاراء تختلف في تعيين المنازل والطرق
ومصالح فلا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا في الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم امر التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر
والسفر الا ان مواطن الاقامة لا تخلو من امير عام كامير البلد وعن امير خاص كرب الدار واما السفر فلا
يتعين له امير الا بالتامير فلهذا وجب التامير ليجمع شتات الاراء ثم على الامير ان ينظر لمصلحة القوم وان
يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي رحمه الله انه صحبه ابو علي الرباطي فقال اما ان تكون انت الامير
او انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت السماء ليلة فقام عبد الله طول الليل
على راس رفيقه وفي يده كساء يمنع المطر منه كلما قال له لا الله الله لا تفعل يقول الم تقل ان الامارة لي مسلمة فلا تتحكم

بلغ المقابلة

الى الانقياد وطلب الموافقه

علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني مت ولما قلت له انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير
قال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب اربعة وتخصيص الاربعة من بين ساير الاعداد لا بد وان يكون له فائدة والذي
ينقدح فيه ان المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلثة لكان
المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو
تردد في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل واحدا فلا يخلو عن الخطر وعن ضيق الصدر فاذا ما دون الاربعة
لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة
بعد الحاجة ومن يستغني عنه لا تصرف الهمة اليه فلا يتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة الامن من
المخاوف ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة لا للعامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يتكلم ولا
يخالط الى آخر الطريق للاستغناء عنه الثالث ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند
الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت ان
افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمن ان الله تعالى اذا استودع شيئا
حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم بركة وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير
حيث ما توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر اردته
فقال الا اعلمك يا ابن اخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوداع فقلت بلى فقال قل استودعك الله
الذي لا يضيع ودايعه وعن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد سفرا فاوصني
فقال له عليه الصلوة والسلام في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير
حيث ما كنت او اين ما كنت شك فيه الراوي وينبغي اذا استودع الله تعالى ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا
يخصص فقد روي ان عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم اذ جاء رجل ومعه ابن له فقال له عمر ما رايت
احدا اشبه باحد من هذا بك فقال احدثك عنه يا امير المؤمنين بامره كنت اردت ان اخرج الى سفر وكانت
امه حاملا به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت
فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه قالوا هذه من قبر فلانة نراها كل
ليلة فقلت والله انها كانت لصوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج وهذا
الغلام يدب وسمعت هاتفا يقول ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت امه لوجدتها فقال عمر هو اشبه
بك من الغراب بالغراب الرابع ان يصلي قبل السفر صلوة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلوة
وايضا قبل الخروج يصلي لاجل السفر ركعتين او اربعا فقد روى انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فالى اي الثلثة ادفعها الى ابي ام اخي ام ابني فقال عليه الصلوة والسلم
ما استخلف عبد في اهله من خليفة احب الى الله تعالى من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب السفر
يقرا فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثم يقول اللهم اني تقربت بهن اليك في اهلي ومالي فاخلفني
بهن في اهلي ومالي فهي خليفة في اهله وماله وحرز له حول داره حتى يرجع الى اهله الخامس اذا حصل على باب الدار
فليقل بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او
اضل او اذل او اذل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت

وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به
مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت
وليدع بهذا الدعا في كل منزل يرحل منه فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور **السادس** ان يرحل من المنازل بكرة
روي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتي في بكورها
ويستحب ان يبتدي بالخروج يوم الخميس فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن ابيه قال قلما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس وروى انس انه قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لامتي في بكورها
يوم الخميس والسبت و[كان] النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم خميسها وقال
عبد الله بن عباس اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لامتي في بكورها ولا ينبغي ان يسافر بعد طلوع الفجر من يوم
الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب اليها وكان اوله من اسباب وجوبها والتشييع للوداع سنة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكتنفه على رحله غدوة او روحة احب الي من الدنيا
وما فيها **السابع** ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة
فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع
وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب
البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات
كلها التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ
بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك واعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن
ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الارض في وقت
السير ينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف
الوحشة في سفره قال سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت
الثامن ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند
النوم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا
وجعل راسه في كفه والغرض ان لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة افضل
مما يطلبه بسفره والمستحب بالليل ان يتناوب الرفقا في الحراسة فاذا نام واحد حرس آخر فهو السنة فمهما
قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرا آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما
شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك
التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ولا تهلكنا وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم
اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة منك انك ارحم الراحمين **التاسع** ان يرفق بالدابة ان
كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضربها في وجهها فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم ويتادى

وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية بعثها اول النهار وروى ابو هريرة رضي الله عنه صح

وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه فاصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صح

لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالحسنات الا الله ما شاء الله صح

به الدابة كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم
كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض
السلف يكتري ويشترط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيوضع في ميزان
حسناته لا ميزان المكاري ومن آذى البهيمة بضرب او بزيادة او حمل بما لا يطيق طولب به يوم القيمة اذ لكل كبد
حرى اجر وقال ابو الدردا لبعير له عند الموت ايها البعير لا تخاصمني عند ربك فاني لم اكن احملك فوق
طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان احدهما ترويح الدابة والاخرى ادخال السرور على قلب المكاري وفيه
فائدة اخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الاعصاب بطول الركوب وينبغي ان
يقدر مع المكاري بالجملة شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستاجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثير بينهما نزاعا يودي
القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ العبد من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز من كثرة الكلام
واللجاج مع المكاري ولا ينبغي ان يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابته احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استاذن
الجمال فاني لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقها ان هذا مما يتسامح به ولكن سلك
طريق الورع **العاشر** ينبغي ان يستصحب ستة اشيا قالت عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم
اذا سافر حمل معه خمسة اشيا المراة والمكحلة والمدرى والمسواك والمشط وفي رواية اخرى ستة اشيا هذه الخمسة والقارورة
وفي بعض الروايات بدل المدرى المقراض وقالت ام سعد الانصارية كان عليه الصلوة والسلام لا يفارقه في السفر
المراة والمكحلة وقال صهيب قال عليه الصلوة والسلام عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد في البصر
وينبت الشعر وروي انه كان يكتحل ثلثا ثلثا وفي رواية انه كان اكتحل اليمنى ثلثا واليسرى ثنتين وقد
زادت الصوفية الركوة والحبل وقال بعضهم اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما
زادوا هذا لما راوه من الاحتياط في طهارة الما وغسل الثياب والركوة بحفظ الما الطاهر والحبل لتجفيف الثوب
المغسول ولنزح الما من الاعماق وكان الاولون يكتفون بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الما ولا يبالون بالوضوء
من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضا عمر رضي الله عنه من ما في جرة نصرانية وكانوا يكتفون
بالارض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة
ما يضاد السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط في السنن الثابتة فتستحسن وقد ذكرنا احكام المبالغة
في الطهارات في كتاب الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغي ان يوثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة
ما لم يمنعه ذلك عن عمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين لا يفارقه اربعة اشيا في السفر والحضر الركوة والحبل
والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول ليست هذه من الدنيا **الحادي عشر** في اداب الرجوع من السفر كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا
حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينته قال اللهم اجعل لنا بها
قرارا ورزقا حسنا ثم ارسل الى اهله من يخبرهم بقدومه لئلا يقدم عليهم بغتة ويرى ما يكره ولا ينبغي ان
يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت
فاذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي ان يحمل لاهل بيته ولاقاربه تحفة من مطعوم او غيره
على قدر امكانه فهو سنة وقد روي انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا مبالغة في الاستحباب

على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من سفر والقلوب تفرح به فيتاكد الاستحباب فى تاكيد فرحهم واظهار التفات القلب فى السفر الى ذكرهم بما يستصحب فى الطريق لهم فهذه جملة من الاداب الظاهرة لهم **واما الآداب الباطنة** ففى الفصل الاول بيان لجملة منها وجملته ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه فى السفر ومهما وجد قلبه متغيرا فليقف او لينصرف ولا ينبغى ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث نزل قلبه وينوى فى دخول كل بلدة ان يرى شيخها من شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة لينتفع به لا ليحكى ذلك ويظهر انه لقى الشيوخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يامره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس فى مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكما يدخل البلد لا يشتغل بشئ سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان فى بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستاذن حتى يخرج هو فاذا خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يساله فان ساله اجاب بمقدار السوال ولا يسئله عن مسئلة ما لم يستاذن اولا واذا كان فى السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلاد واسخيائها ولا اصدقاه فيها وليذكر مشائخها وفقراءها ولا يهمل فى سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها فى كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة مع من يقدر على ازالتها ويلازم فى الطريق الذكر وقراءة القران بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم رجع فان تبرمت نفسه بالاقامة او السفر فليخالفها فالبركة فى مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغى ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران النعمة ومهما وجد نفسه فى نقصان عما كان فى الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان بحق لظهر له اثره وقال رجل لابى عثمن المغربى خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له فى السفر زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل الغربة فليكن سفر المريد فى وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز فى هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه فى سفره ذل لا محالة اما عاجلا او اجلا

الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

اعلم ان المسافر يحتاج فى اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولاخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا باس به اذا كان سفره فى قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا مثلا او يقدر على ان يجتزى بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى بنفسه الى التهلكة ولهذا سر سياتى فى كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزح الماء من البير ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله تعالى ملكا او شخصا آخر حتى يصب الماء فى فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح فى التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حتى لا ينتظر له وجودا اولى بان لا يقدح فيه وسياتى حقيقة التوكل فى موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين واما زاد الاخرة فهو العلم الذى يحتاج اليه فى طهارته وصلاته وصومه وساير عباداته فلا بد وان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه اموره فيحتاج الى معرفة القلب الذى يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها فى الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه فى الحضر وفى البلد مكتفى بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفى البادية قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذا ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين القسم الاول العلم برخص

من فعله

السفر والسفر يفيد فى الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم وفى الصلوة الفرض رخصتين القصر والجمع وفى النفل اداوه على الراحلة واداوه ماشيا وفى الصوم رخصة واحدة وهى الفطر فهذه سبع رخص **الاولى** المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين او سفرى ان لا ننزع خفافنا ثلثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلوة فله ان يمسح على خفه من وقت حدثه ثلثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا ويوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شرايط **الاول** ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها ثم غسل اليسرى ثم ادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعى حتى ينزع رجله من الخف اليمنى ويغسل رجله اليسرى ويعيد لبسه **الثانى** ان يكون الخف قويا يمكن المشى عليه وجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا لان العادة جارية بالتردد فيه فى المنازل لان فيه قوة على الجملة بخالف جورب الصوفية فانه لا يجوز المسح عليه وكذلك الجرموق الضعيف **الثالث** ان لا يكون فى موضع فرض الغسل خرق فان تخرقت بحيث لو انكشف محل الفرض لم يجز المسح وللشافعى فى قول قديم انه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك ولا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز فى السفر فى كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا يبدو منه بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذى يرد على محل الشق بشرج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف ما كان فاما اذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقى باللفافة لم يجز المسح عليه **الرابع** ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى له استيناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز **الخامس** ان يمسح على الموضع المحاذى لمحل فرض الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلث اصابع خرج من شبهة الخلاف والسنة ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل عليه الصلوة والسلام ووجه ان يبل اليدين ويضع روس اصابع اليد اليمنى على روس اصابع رجله اليمنى ويمسحه بان يجر اصابع يده الى جهة نفسه ويضع روس الاصابع من يده اليسرى على العقب من اسفل الخف ويمرها الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف فى الحضر ولم يمسح فى الحضر ثم خرج واحدث فى السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس فى اليوم الرابع لم يكن له ان يصلى الا بعد غسل الرجل فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعى وقت الحدث ويستانف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف فى الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلثة ايام لان العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح فى الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس خف فى حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من عقرب او حية او شوكة فانه قد روى عن ابى امامة انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب واحتمل الاخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال عليه الصلوة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما **الرخصة الثانية** التيمم والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء اما بان يكون بعيدا من المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذى لا يعتاد اهل المنزل فى ترددهم لقضاء الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه فى يومه او بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج لعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه بذله اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه القدر حتى يطبخ به مرقة او بل فتيت او يحتاج اليه

ثم اقام

ليجمع به الكعك او يطبخ به اللحم لم يجز التيمم بل عليه ان يجتزى بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما
وهب له الماء وجب قبوله فان وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة فان بيع بثمن المثل وعنده ثمنه لزمه الشرى
وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب
وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الاوانى والمطاهر فان نسى الماء فى رحله او نسى
بيرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلوة لتقصيره فى الطلب وان علم انه سيجد الماء فى آخر الوقت فالاولى ان يصلى
بالتيمم فى اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله عز وجل تيمم ابن عمر فقيل له اتتيمم وجدران المدينة
تنظر اليك فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع فى الصلوة لزمه الوضوء ومهما طلب
فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما
وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم ويفرج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة
واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه ذكرناها فى كتاب الطهارة فلا نعيدها ثم اذا
صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما شاء بذلك التيمم فان اراد الجمع بين صلوتين فعليه ان يعيد التيمم للصلوة
الثانية فلا يصلى فرضين الا بتيممين ولا ينبغى ان يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم
ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلوة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما
تاما **الرخصة الثالثة** فى الصلوة الفريضة القصر وله ان يقصر فى كل واحد من الظهر والعصر والعشا على ركعتين
ولكن بشروط ثلثة **الاولى** ان ينوى القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام وان شك فى انه نوى القصر او
الاتمام لزمه الاتمام الثانى ان لا يقتدى بمقيم ولا مسافر متم فان فعل لزمه الاتمام بل ان كان شاكا فى ان
امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعده انه مسافر لان شعار المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند عقد
النية وان شك فى ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع
عليها وهذا كله اذا كان فى سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته
والسفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهايم وراكب التعاسيف ليس
له الترخص وهو الذى لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز
خراب البلد وبساتينها التى قد يخرج اليها اهل البلد للتنزه واما القرية فالمسافر منها ينبغى ان يجاوز البساتين
المحوطة دون التى ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شئ نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم
يجاوز العمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج عنها والخروج منه واما نهاية
السفر فباحد امور ثلثة الوصول الى العمران من البلدة التى عزم على الاقامة بها **الثانى** العزم على الاقامة
ثلثة ايام فصاعدا سوى يوم الدخول فى بلد او صحرا **الثالث** صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على
موضع واحد ثلثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل
وهو يتوقع كل يوم ان يتنجز ولكنه كان يتعوق ويتاخر فله ان يترخص وان طالت المدة على اقيس
القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالات بصورة الثبوت على موضع واحد مع
انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون متاخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلثة ايام او لغيره اذ ترخص
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر فى بعض الغزوات ثمنية عشر يوما على موضع واحد فبظاهر الظن انه لو تمادى
القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمنية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا
مقاتلا هذا معنى السفر فاما معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتان كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثمانية

فالنظر

اميال

اميال وكل ميل اربعة الآف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا
تكون الزوجة هاربة من زوجها ولا ان يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها فى قطع
الطريق او قتل انسان او طلب ادرار حرام من سلطان ظالم او سعى للفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان
الا فى غرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره
فسفره حرام ومعصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسق فى السفر كشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل
سفر ينهى الشرع عنه فلا نعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والاخر محظور وكان بحيث لو لم يكن
الباعث المحظور لكان الباعث المباح مستقلا بنفسه فى تحريكه ولكان لا محاله يسافر لاجله فله الترخص
والمتصوفة الطوافون فى البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج ومشاهدة البقاع المختلفة فى ترخصهم خلاف
والمختار ان لهم الترخص **الرخصة الرابعة** الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما وبين المغرب والعشاء فى وقتيهما
فذلك ايضا جايز فى كل سفر طويل مباح وفى جوازه فى السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو
الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم اولا ان كان متيمما
ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحريم بصلوة العصر جاز عند
المزنى وله وجه من القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة فى
العصر ويكفى النية فيها واما الظهر فجار على القانون ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغى ان يجمع بين سنن الصلاتين
اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التى بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او مقيما لانه
لو صلى راتبة الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة بينهما وهى واجبة على وجه فان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة

> قبل الظهر والاربعة المسنونة صح

قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلى سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر
ثم سنة الظهر ركعتين وهما اللتان بعد فرض الظهر ولا ينبغى ان يهمل النوافل فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله
من الربح فى سفره لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداها على الراحلة كى لا يتعوق عن الرفقة بسببها وان
اخر الظهر الى العصر فيجرى على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع راتبة الظهر بعد العصر فى الوقت المكروه لان
ما له سبب لا يكره فى هذا الوقت وكذلك يفعل فى المغرب والعشاء والوتر اذا قدم او اخر وبعد الفراغ من الفرض
يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج الوقت فليعزم على ادايه مع العصر جمعا
فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك واما بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه
حرام وان لم يتذكر الظهر حتى يخرج وقته اما لنوم او شغل فله ان يؤدى الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لان
السفر كما يشغل عن فعل الصلوة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما تقع اداء اذا عزم على فعلها
قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان وقت الظهر والعصر صار مشتركا فى السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على
الحايض قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتقدح ان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر
والعصر عند تاخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذى جعل وقتا
للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر او على تاخيره وعذر المطر يجوز الجمع كعذر
السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهى متعلقة بفرايض الصلوات ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر
وادرك وقت العصر فى الحضر فعليه اداء العصر وما مضى انما كان مجزيا بشرط ان يبقى العذر الى خروج وقت العصر
الرخصة الخامسة فى التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته اينما توجهت به دابته واوتر
صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب فى الركوع والسجود الا الايما وينبغى ان يجعل سجوده اخفض

من ركوعه ولا يلزم الانحنا الى حد يتعرض لخطر بسبب الدابة فان كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه
واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلوة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن
في جميع صلاته اما مستقبلا للقبلة او متوجها في صوب الطريق ليكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق
قصدا بطلت صلوته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرف ناسيا وقصر الزمان لم تبطل وان طال ففيه خلاف وان
جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل وان طال لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه
بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء **الرخصة السادسة** التنفل للماشي جائز في السفر ويومي بالركوع
والسجود ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلوة مستقبلا
لان الانحراف في لحظة لا عسر فيه بخلاف الدابة فان في تحريفها وان كان العنان بيده نوع عسر وربما تكثر الصلاة
فيطول عليه ذلك ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب
نجاسة وليس عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو عنها الطريق غالبا وكل هارب
من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا وماشيا كما ذكرنا في التنفل **الرخصة السابعة** الفطر وهي في الصوم
وللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صائما ثم اقام فعليه
الاتمام وان اقام مفطرا فليس عليه الامساك بقية نهاره وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان
يفطر اذا اراد والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف فانه ليس في عهدة القضا
بخلاف الفطر فانه في عهدة القضا وربما يتعذر عليه ذلك بعايق فيبقي في ذمته الا اذا كان يتضرر به فالافطار
افضل فهذه سبعة رخص تتعلق ثلثة منها بالسفر الطويل وهو القصر والفطر والمسح ثلثة ايام وتتعلق
اثنان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهو سقوط الجمعة وسقوط القضا عند اداء الصلوة بالتيمم فاما الصلوة
النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير ايضا وكذا في الجمع بين الصلاتين خلاف والاظهر
اختصاصه بالطويل واما صلوة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا اداء الصلوة
في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيهما السفر والحضر مهما وجدت اسبابها **فان قلت** فالعلم بهذه الرخص
هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك **فاعلم** انه ان كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر
وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه الوقوف على شروط الترخص في ذلك لان الترخص ليس بواجب واما
علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس له فيه اختيار الا ان يسافر على شط نهر يوثق ببقاء مائه او يكون معه
في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يؤخر الى وقت الحاجة اما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه
عالم فيلزمه التعلم لا محالة **فان قلت** التيمم يحتاج اليه لصلوة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلوة
بعد لم يجب وربما لا يجب **فاقول** من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتداء السفر
ويلزمه تعلم المناسك لا محالة اذا كان يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحيوة واستمرارها
وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا غالبا على الظن ظاهرا وله شرط لا يتوصل اليه
الا بتقديم ذلك الشرط لا محالة كتعلم مناسك الحج قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل اذا للمسافر ان ينشئ السفر
ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما على ساير الرخص فعليه ان يتيمم ايضا القدر الذي ذكرناه من
علم التيمم وساير الرخص اذا لم يعلم القدر الجائز برخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه **فان قلت** ان لم يعلم كيفية
التنفل راكبا وماشيا فماذا يضره وغايته اذا صلى ان تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة عليه فكيف يكون علمها
واجبا **فاقول** من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير

على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط صح

اتمام

اتمام شروط الصلوة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحظور
والله اعلم فهذا بيان ما خفف عن المسافر في سفره **القسم الثاني** ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة
والاوقات وذلك ايضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن
يراعي الوقت ويغنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد يشتبه عليه الوقت وقد تلتبس عليه القبلة فلا بد من العلم
بادلة القبلة والمواقيت **ادلة القبلة** فهي ثلثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار
او هوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصبائها ودبورها او سمائية وهي النجوم اما الارضية والهوائية
فانها تختلف بالبلاد فرب طريق فيها جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل وشماله او ورائه او قدامه فليعلم ذلك
وليفهمه وكذلك الرياح فقد يدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم
حكم اخر واما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية فاما النهارية فالشمس فلا بد ان يراعي قبل الخروج
من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين ام هي على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى الجبين
ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال
بدليله الذي سنذكره عرف به القبلة وكذلك يراعي مواقع الشمس في وقت العصر فانها في هذين الوقتين يحتاج
الى القبلة بالضرورة ولهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب
فانما تدرك بموضع الغروب وهو ان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه
وبالشفق ايضا تعرف القبلة للعشاء الاخرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلوة الصبح فكان الشمس تدل
على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت
محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل
على القبلة به فعليه ان يراعي موقع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا تظهر
حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في البلاد
الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما وراءها فيقع في مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه في بلده
فليعول عليه في الطريق كله اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع
المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد فينبغي ان يسأل اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو
مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطا
في جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن
لم يخرج عن جهتها لم يلزمها القضا وقد اوردا الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل معناه
على قوم اذ قالوا ان قلنا المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف
في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا يصح صلاته وقد طولوا
في تاويل معنى الخلاف في العين والجهة فلا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين
ان يقف موقفا لو اخرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان
متساويتان والخط الخارج من موقف المصلى قدر انه خارج من بين عينيه **صورة مقابلة العين**



فاما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف الخط الخارج من بين عينيه الى الكعبة من غير ان يتساوى
الزاويتان عن جانبي الخط بل لا تتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط
على الاستقامة الى ساير النقط من يمينها او شمالها كانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج

او يساره

عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف
مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما خارجين من العينين ولكن طرفاهما
في داخل الراس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة
ما بين الخطين يتزايد بطول الخطين وبالبعد يتزايد عن الكعبة وهذه صورة مقابلة الجهة فاذا فهم معنى الجهة



والعين فاقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن رويتها وان كان يحتاج
الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفا
بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس اما الكتاب فقوله تعالى وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اى نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها واما السنة فما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة فالمغرب يقع على يمين اهل المدينة
والمشرق على يسارهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة ومسامتة الكعبة لا تفي بما بين المشرق
والمغرب وانما تفي جهتها وروى هذا اللفظ ايضا عن عمر وابن عمر رضي الله عنهما واما فعل الصحابة فما روى ان اهل مسجد قبا
كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم الا ان
القبلة قد حولت الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلوة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمى مسجدهم ذا
القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف الا بادلة هندسية يطول النظر فيها وكيف ادركوا بالبديهة
في اثناء الصلوة في ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالي مكة وفي ساير بلاد الاسلام ولم
يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق النظر في الهندسة واما القياس
فهو ان الحاجات تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم
هندسية فلم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة
للضرورة واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في اربع جهات قوله صلى الله عليه وسلم
في قضاء الحاجة لا تستقبلوها ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا قال هذا بالمدينة والمشرق هاهنا على يسار
المستقبل والمغرب عن يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك اربع جهات ولم يخطر قط ببال
احد ان جهات العالم يمكن ان تفرض ستا او سبعا او عشرا وكيف ما اريد فما كان حكم الباقي بل الجهات تثبت
في الاعتقادات بناء على خلقة الانسان فليس له الا قدام وخلف ويمين وشمال وهي اربعة وكانت الجهات بالاضافة
الى الانسان في ظاهر النظر اربعا والشرع لا يبنى الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة
وذلك يسهل امره بالاجتهاد فيها وتعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة
عن جهة خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف
المصلى ثم يقابل احدهما بالاخر ويحتاج فيه الى آلات واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذا القدر الذي
لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع الشرق والغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب
فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك فهل يعصى فاقول ان كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب او كان
معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصى وان لم يكن شيء من ذلك
عصى لانه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الادلة
واستبهم عليه الامر بغيم مظلم او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب حاله
ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطا والاعمى ليس له الا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده

مجتهدا

مجتهدا في القبلة وان كان القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك في سفر او حضر وليس للاعمى
ولا للجاهل ان يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى الاستدلال كما ليس للعامي
ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل تلزمه الهجرة الى حيث يجد من يعلمه امر دينه وكذا ان لم
يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى
كما في الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة
لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او
راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك اذا راه ياكل على مائدة سلطان
اغلب ماله حرام لو ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي ياخذه من وجه حلال وكل ذلك فسق
يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة اما معرفة اوقات الصلوات الخمس فلا بد منها
ووقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال
ينقص الى وقت الزوال ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الى الغروب فليقم المسافر او المقيم في موضع
او لينصب عودا مستقيما وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت
صلوة الظهر وطريقه ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته فاذا كانت مثلا ثلثة اقدام بقدمه
فمهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى الظهر فاذا زاد عليه ستة اقدام ونصف دخل وقت العصر
لان ظل كل شيء بقدمه ستة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره في اول الصيف
وان كان في اول الشتاء فينقص كل يوم واحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان المسمى المقياس او الاصطرلاب
لمن كان قد حصل معرفة درجاته وخطوطه فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف
موضع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر يمكنه
ان يعرف الوقت بالشمس بان يصير بين عينيه مثلا ان كان كذلك في البلد واما وقت المغرب فيدخل بالغروب
ولكن قد يحجب الجبال في المغرب عنه فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع من الارض
قيد رمح فقد دخل وقت المغرب واما وقت العشا فيعرف بغيبوبة الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور
الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة واما الصبح فيبدو في الاول مستطيلا كذنب
السرحان فلا حكم له الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا وجمع كفه وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى
وفتحهما واشار به الى انه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة
انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطا فان ذلك هو الصبح
الكاذب والذي ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا ايضا تقريب ولا اعتماد عليه فان بعض
المنازل يطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها يطلع منتصبا فيطول زمان طلوعه ويختلف ذلك
ايضا بالبلاد اختلافا يطول ذكره نعم يصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما حقيقة اول الصبح
فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاذا بقيت اربعة منازل الى طلوع قرص الشمس فقدار منزلة يتيقن
انه الصبح الكاذب واذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة
بالتقريب يشك فيه انه من وقت الصبح الصادق او الكاذب وهو مبتدا ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه
فمن وقت الشك ينبغي ان يترك الصايم السحور ويقدم القايم الوتر عليه ولا يصلي صلوة الصبح حتى تنقضي مدة

الشك فاذا تحقق الصبح صلى ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيها متسحرا ويقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلا به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر اصلا بل الصبح لا بد من مهلة التوقف والشك ولا اعتماد في العيان الا على ان يصير الضوء منتشرا في العرض حتى تبدو مبادي الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى ابو عيسى الترمذي في جامعه باسناده عن طلق ابن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا تصريح برعاية الحمرة وقال ابو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم وقال ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا فاذا لا ينبغي ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول وقبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير الصلوة الى ان يتيقن فيسمح بفوات فضيلة اول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى اليقين استغنى عن تعلم الاوقات فان المشكل اوايل الاوقات لا اواسطها والله تعالى اعلم تم كتاب السفر بحمد الله

كتاب السماع والوجد وهو كتاب الثامن من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا في الكونين شيئا سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصائرهم وان قرع اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرايرهم وان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن او مبهج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم وقد اقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه وخاصته والصلوة على نبيه محمد المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه ائمة الحق وقادته وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان القلوب والسراير خزاين الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقداح السماع فلا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع والنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها او مساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل روح السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بواردها مكامنها وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوايد والافات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما يتطرق اليهما من خلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين ان شاء الله عز وجل **الباب الاول** في بيان اباحة السماع **الباب الثاني** في آدابه وآثاره في القلوب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء وكشف الحق فيه وبيان اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه

اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فنبدأ بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القايلون بتحريمه **فاما نقل المذاهب** فقد حكى القاضي ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري عن الشافعي رضي الله عنهما وعن مالك وابي حنيفة وسفين رحمهم الله وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على انهم راوا تحريمه فاما الشافعي فقد قال في كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال ابو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقال قال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال حكي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما لعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروة واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب ساير اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك ساير اهل الكوفة كالثوري وحماد والنخعي والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها بذكره كايام التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين مع اهل مكة على السماع الى زماننا فانا ادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين وقد اعدهن للصوفية قال وكان لعطا جاريتان يلحنان وكان اخوانه يستمعون اليهما وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد والسري وذا النون يسمعون قال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني وقد كان عبد الله بن جعفر يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع قال يحيى بن معاذ فقدنا ثلثة اشياء فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء وقال الشيخ رايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشمره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع وحكى عن واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القسم ابن بنت منيع وابو بكر ابن ابي داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع وابن ابي داود في ان يسمع قال ابن ابي داود حدثني ابي عن احمد ابن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القسم ابن بنت منيع اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك ايش تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام قال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت حرام عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطول وقصر منه الممدود وطول المقصور يحرم عليه قال لا انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشياطين وقال كان ابو الحسن العسقلاني الاسود من الاوليا يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا رد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكي عن بعض الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلام في المنام فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء وحكي عن ممشاد الدينوري انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكي عن طاهر بن بلال

الهمدانی الوراق وکان من اهل العلم انه قال کنت معتکفا فی جامع جدة علی البحر فرایت یوما طایفة یقولون
فی جانب منه قولا ویسمعون فانکرت ذلک بقلبی وقلت فی بیت من بیوت الله تعالی یقولون الشعر قال
فرایت النبی صلی الله علیه وسلم تلک اللیلة وهو جالس فی تلک الناحیة والی جنبه ابی بکر الصدیق واذا ابو بکر
یقول شیا من القول والنبی صلی الله علیه وسلم یستمع الیه ویضع یده علی صدره کالواجد بذلک فقلت فی نفسی
ما کان ینبغی لی ان انکر علی اولئک الذین کانوا یسمعون وهذا رسول الله صلی الله علیه وسلم یستمع وابو بکر یقول
فالتفت الی النبی صلی الله علیه وسلم وقال هذا حق بحق او قال حق من حق انا اشک فیه وقال الجنید تنزل الرحمة
علی هذه الطائفة فی ثلثة مواضع عند الاکل لانهم لا یاکلون الا عن فاقة وعند المذاکرة لانهم یتجاوزون
فی مقامات الصدیقین وعند السماع لانهم یسمعون بوجد ویشهدون حقا وعن ابن جریج انه کان یرخص
فی السماع وقیل له یوتی به یوم القیمة فی جملة الحسنات لک او سیاتک فقال لا فی الحسنات ولا فی السیات لانه
یشبه باللغو قال الله تعالی لا یواخذکم الله باللغو هذا ما نقل من الاقاویل ومن طلب الحق من التقلید فمهما
استقصی تعارضت عنده الاقاویل فیبقی متحیرا او مائلا الی بعض الاقوال بالتشهی وکل ذلک قصور بل
ینبغی ان یطلب الحق بطریقه وذلک بالبحث عن مدارک الحظر والاباحة کما سنذکره **بیان الدلیل علی اباحة السماع**
اعلم ان قول القایل السماع حرام معناه ان الله تعالی یعاقب علیه وهذا امر لا یعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة
الشرعیات محصورة فی النص والقیاس علی المنصوص واعنی بالنص ما اظهره رسول الله صلی الله علیه وسلم
بقوله او فعله وبالقیاس المعنی المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم یکن فیه نص ولم یستقم فیه قیاس علی منصوص
بطل القول بالتحریم وبقی فعلا لا حرج فیه کسایر المباحات ولا یدل علی تحریم السماع نص ولا قیاس ویتضح ذلک
فی جوابنا عن ادلة المایلین الی التحریم ومهما تم الجواب عن ادلتهم کان ذلک مسلکا کافیا فی اثبات هذا الغرض
لکن نستفتح ونقول قد دل القیاس والنص جمیعا علی اباحة السماع **اما القیاس** فهو ان الغنا اجتمع فیه معانی
فینبغی ان یبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فیه سماع صوت طیب موزون مفهوم المعنی محرک للقلب فالوصف
الاعم انه صوت طیب ثم الطیب ینقسم الی الموزون وغیره والموزون ینقسم الی المفهوم کالاشعار والی غیر
المفهوم کاصوات الجمادات وسایر الحیوانات اما سماع الصوت الطیب من حیث انه طیب فلا ینبغی ان یحرم
بل هو حلال بالنص والقیاس واما القیاس فهو انه یرجع الی تلذذ حاسة السمع بادراک ما هو مخصوص به
وللانسان عقل وخمس حواس ولکل حاسة ادراک وفی مدرکات تلک الحاسة ما تستلذه فلذة البصر فی
المبصرات الجمیلة کالخضرة والماء الجاری والوجه الحسن وبالجملة فسایر الالوان الجمیلة وهی فی مقابلة ما یکره
من الالوان الکدرة القبیحة وللشم الروایح الطیبة وهی فی مقابلة الانتان المستکرهة وللذوق الطعوم اللذیذة
کالدسومة والحلاوة والحموضة وهی فی مقابلة المرارة والمستبشعة وللمس لذة اللین والنعومة والملاسة وهی
فی مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهی فی مقابلة الجهل والبلادة فکذلک الاصوات
المدرکة بالسمع تنقسم الی مستلذة کصوت العنادل والمزامیر والی ما یستکره کنهیق الحمیر وغیره فما اظهر قیاس
هذه الحاسة ولذتها علی سایر الحواس ولذاتها واما النص فیدل علی اباحة سماع صوت الحسن امتنان الله تعالی
علی عباده اذ قال عز وجل یزید فی الخلق ما یشاء فقیل هو الصوت الحسن وفی الحدیث ما بعث الله نبیا الا حسن الصوت
وقال صلی الله علیه وسلم لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القینة الی قینته وفی الحدیث فی
معرض المدح لداود انه کان حسن الصوت فی النیاحة علی نفسه وفی تلاوة الزبور حتی کان یجتمع الانس والجن
والوحش والطیر لسماع صوته وکان یحمل من مجلسه اربع مایة جنازة وما یقرب منه فی الاوقات وقال علیه الصلوة

وال

والسلام فی مدح ابی موسی لقد اعطی مزمارا من مزامیر آل داود وقول الله تعالی ان انکر الاصوات لصوت
الحمیر یدل مفهومه علی مدح الصوت الحسن ولو جاز ان یقال انما ابیح ذلک بشرط ان یکون فی القران للزمه
ان یحرم سماع صوت العندلیب لانه لیس یقرا القران واذا جاز سماع صوت غفل لا معنی له فلم لا یجوز
سماع صوت یفهم منه الحکمة والمعانی الصحیحة وان من الشعر لحکمة فهذا نظر فی الصوت من حیث انه طیب
حسن **الدرجة الثانیة** النظر فی الصوت الطیب الموزون فان الوزن وراء الحسن فکم من صوت حسن خارج
عن الوزن وکم من صوت موزون غیر مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلثة فانها اما ان تخرج
من جماد کصوت المزامیر والاوتار وضرب القضیب والطبل وغیرها واما ان تخرج من حنجرة حیوان وذلک
الحیوان اما انسان او غیره فصوت العنادل والقماری وذوات السجع من الطیور مع طیبها موزونة متناسبة
المطالع والمقاطع ولذلک یستلذ سماعها والاصل فی الاصوات حناجر الحیوانات وانما وضعت المزامیر علی
صوت الحناجر وهو تشبه بالصنعة بالخلقة وما من شیء توصل اهل الصناعات بصناعتهم الی تصویره الا وله
مثال فی الخلقة التی استاثر الله تعالی اختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتدا وشرح ذلک یطول فسماع
هذه الاصوات یستحیل ان یحرم لکونها طیبة او موزونة فلا ذاهب الی تحریم سماع صوت العندلیب وسایر الطیور
ولا فرق بین حنجرة وحنجرة ولا بین جماد وحیوان فینبغی ان یقاس علی صوت العندلیب الاصوات الخارجة من
سایر الاجسام باختیار الادمی کالذی یخرج من حلقه او من القضیب والطبل والدف وغیره ولا یستثنی من هذا
الا الملاهی والاوتار والمزامیر اذ ورد الشرع المنع منها لا للذتها اذ لو کان للذة لقیس علیها کل ما یلتذ به الانسان
ولکن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فی الفطام عنها حتی انتهی الامر فی الابتدا الی کسر
الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهی الاوتار والمزامیر فقط وکان تحریمه من قبیل الاتباع کما حرمت الخلوة
بالاجنبیة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الی الفخذ لاتصاله بالسوءتین وحرم قلیل الخمر وان کان لا یسکر لانه
یدعو الی المسکر وما من حرام الا وله حریم یطیف به وحکم الحرمة ینسحب علی حریمه لیکون حمی للحرام ووقایة له وحصنا
ما نعا حوله کما قال صلی الله علیه وسلم ان لکل ملک حمی وان حمی الله محارمه فهی محرمة تبعا للتحریم فی الخمر بثلث علل
احدها انها تدعو الی شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر وبمثل هذه العلة حرم قلیل الخمر الثانیة
انها فی قریب العهد بشرب الخمور تذکر مجالس الانس بالشرب فهو سبب الذکر والذکر سبب لانبعاث الشوق وانبعاث
الشوق اذا قوی فهو سبب الاقدام وبهذه العلة نهی فی الابتداء عن المزفت والحنتم والنقیر وهی الاوانی التی کانت
مخصوصة بها بهیاتها فان مشاهدة صورها یذکرنها وهذه العلة تفارق الاولی اذ لیس فیها اعتبار لذة فی المذکر
اذ لا لذة فی رؤیة القنینة واوانی الشرب لکن من حیث التذکیر لها فان کان السماع یذکر الشرب والشرب یذکر الشوق
الی الخمر عند من الف ذلک مع الشرب فهو منهی عن السماع بخصوص هذه العلة فیه **الثالث** ان الاجتماع علیها لما ان
صار من عادة اهل الفسق فیمتنع التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترک السنة مهما صار
شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة ایضا یحرم ضرب الکوبة وهی طبل مستطیل دقیق الوسط واسع
الطرفین اذ ضربها عادة المخنثین ولو لا ما فیه من التشبه لکان مثل طبل الحج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة
وزینوا مجلسا واحضروا آلات الشراب واقداحها وصبوا فیها السکنجبین ونصبوا ساقیا یدور علیهم ویسقیهم فیاخذون
من الساقی ویشربون ویحیون الجمیع ویحیی بعضهم بعضا بکلماتهم المعتادة بینهم یحرم ذلک وان کان المشروب مباحا
فی نفسه لان فی ذلک تشبها باهل الفساد بل لهذا ینهی عن لبس القبا وعن ترک الشعر علی الراس قزعا فی بلاد صار القبا
فیها من لباس اهل الفساد ولا ینهی عن ذلک فیما وراء النهر لاعتیاد اهل الصلاح ذلک فیهم فبهذه المعانی حرم المزمار

العراق والاوتار والعود كلها كالصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكرها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم تكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضرب به على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين انه ليس العلة في تحريمه بمجرد اللذة والطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده الاية فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فنقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محذور حرم نثره ونظمه وحرمت التصويت به سواء كان بالحان اولم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رضي الله عنه اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت حسن والحان جاز انشاده مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محذورا لا تتضمنه الآحاد ولا محذور هاهنا وكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان من الشعر لحكمة وانشدت عايشة رضي الله عنها ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب وروي في الصحيحين عنها ايضا انه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول شعر
كل امرئ مصبح في اهله • والموت ادنى من شراك نعله • وبلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته يقول
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة • بواد وحولي اذخر وجليل • وهل اردن يوما مياه مجنة • وهل يبدون لي شامة وطفيل
قالت عايشه فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه الصلوة والسلام اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وقد كان عليه الصلوة والسلام ينقل اللبن مع القوم في بنيان المسجد وهو يقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر وقال عليه الصلوة والسلام اللهم ان العيش عيش الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة لي البيان في الصحيحين وكان صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد ويقوم عليه قايما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول عليه الصلوة والسلام ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسوله ولما انشده النابغة شعرا قال له عليه الصلوة والسلام لا يفضض الله فاك وقالت عايشة كان الصحابة يتناشدون الاشعار والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدوا بالنسا وكان البراء بن مالك يحدوا بالرجال فقال عليه الصلوة والسلام يا انجشه كذلك رويدا سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة وما هي الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم موزون مستلذ مؤدي باصوات طيبة والحان موزونة الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة في الارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها

ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هي جارية في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي وهو في مهده فقد يسكته الصوت الطيب عن بكائه وينصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة الطبع متاثر بالحداء تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة فيستقصر بقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليه البوادي واعتراها الاعياء والكلال تحت المحامل والاحمال اذا سمع منادي الحادي تمد اعناقها وتصغي اليه ناصبة اذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف انفسها في شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها قد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبايل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني خباء فرأيت في الخباء عبدا اسود مقيدا ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل قد نحل وهو ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع الى سيدي في حقي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال السيد ان هذا الغلام قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا واني كنت اعيش من ظهر هذه الجمال فحملهم احمالا ثقالا وكان يحدوا بها حتى قطعوا مسيرة ثلثة ايام بليلة في ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالهم ماتوا كلهم الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدوا على جمل يستقي الماء من بير هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني قط سمعت صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في القلوب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مايل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على ساير البهايم فان جميعها يتاثر بالنغمات الموزونة ولذلك كان يقف الطير على راس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع وتاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمن السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لاغراض مخصوصة يرتبط بها اثاره في القلب وهي سبعة مواضع الاول غناء الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغنا وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وساير المشاعر ووصف البادية وتاثير ذلك تهييج الشوق الى حج بيت الله تبارك وتعالى واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل واستثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان النظم اذا انضاف الى السجع صار الكلام اوقع في القلب فاذا اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان اضيف اليه الطبل والشاهين وحركات الايقاع زاد التاثير وكل ذلك جايز ما لم يدخل فيه المزامير والاوتار التي هي من شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له ابواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه الى الخروج بالسماع وبكل كلام مشوق فان التشويق الى الحرام حرام وكذا اذا كانت الطرق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض

وغيرها

كان التشويق اليه بجل ما يشوق محمودا

الناس على القتال وذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي ان يخالف اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحاج
لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار
النفس والمال بالاضافة اليه والاشعار المشجعة مثل قول المتنبي والا تمت تحت السيوف مكرما
تمت وتقاسي الذل غير مكرم وقوله يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة النفس اللئيم وامثال ذلك
وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة وهذا ايضا مباح في وقت مباح في الغزو ومندوب اليه
في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج الى الغزو **الثالث** الرجزيات التي يستعملها الشجعان
في وقت اللقا والغرض منها التشجيع للنفس والانصار وتحريك النشاط فيه للقتال وفيه تمدح بالشجاعة
والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح
ومندوب اليه في كل قتال مندوب ومحظور في القتال المحظور كقتال المسلمين بغير حق وقتال اهل الذمة
وغيره لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد رضي الله عنهما
ولذلك نقول ينبغي ان يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن يحل عقدة الشجاعة
ويضعف صرامة النفس ويشوق الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الاصوات والالحان
المرققة للقلب المحزنة فالالحان المرققة للقلب تباين الالحان المحركة للشجاعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير
القلوب وتفتير الارآء عن القتال المندوب اليه فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو به
مطيع لله تعالى **الرابع** اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكا وملازمة الكآبة والحزن
قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكي لا تاسوا على ما فاتكم والحزن على
الاموات من هذا القبيل فانه تسخط على قضاء الله تعالى وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما
كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهي الصريح في النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان
على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكا والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكا آدم
وداود عليهما السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة
داود عليه السلام محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكا بسبب الخطايا والذنوب وقد كان يحزن
ويحزن ويبكي ويبكي حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود
لان المفضي الى المحمود محمود وعن هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار
المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكي ويتباكى ليتوصل به الى ابكا غيره واثارة حزنه **الخامس** السماع في اوقات
السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغنا في ايام العيد وفي العرس
وفي وقت قدوم الغايب ووقت الوليمة والعقيقة وكذلك عند ولادة الولد وعند ختانه وعند حفظه للقران
فكل ذلك معتاد لاجل اظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب وكل ما جاز السرور
به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد النسا على السطوح بالدف والالحان عند قدوم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ° طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ° وجب الشكر علينا ما دعى لله داعي ° فهذا اظهار السرور
بقدومه وهو سرور محمود واظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود وقد نقل عن جماعة من الصحابة
انهم حجلوا في سرور اصابهم كما سياتي في احكام الرقص وهو جار في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب
مباح من اسباب السرور ويدل على هذا ما في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لقد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا الذي اسأمه فاقدروا قدر

قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول مدة وقوفها وروي في الصحيحين ايضا
في حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عايشة ان ابا بكر الصديق رضي الله عنهم دخل على عايشة وعندها
جاريتان في ايام منى ترقصان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم مستغشي بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف النبي
صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عايشة رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يسترني بثوبه وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
امنا يا بني ارفدة يعني من الامن وفي حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه تغنيان وتضربان وفي
حديث ابي الطاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة
يلعبون بحرابهم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسترني بردائه لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلي
حتى اكون انا الذي انصرف وروت عايشة قالت كنت العب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان ياتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلوة والسلام يسربهن
الي فيلعبن معي وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يوما ما هذا قالت بناتي قالت فما هذا الذي
ارى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت اوما سمعت
ان سليمن بن داود كان له خيل لها اجنحة قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه والحديث عندنا
محمول على عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات
ان الفرس كان له جناحان من رقعة وروت عايشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان
بغنا بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله
فاقبل عليه الصلوة والسلام عليه وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان
بالحراب والدرق فاما سالت النبي صلى الله عليه وسلم واما قال تشتهين ان تنظري فقلت نعم فاقامني وراءه
وخدي على خده وهو يقول دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي رواية صحيح
مسلم فوضعت راسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا الذي انصرفت فهذه الاحاديث كلها في الصحيح
وهو نص صريح في ان الغنا واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص الاول اللعب ولا يخفى عادة الحبشة
في الرقص واللعب والثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله صلى الله عليه وسلم دونكم يا بني ارفدة وهو امر باللعب
والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه ابا بكر وعمر عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد اي هو وقت
السرور وهذا من اسباب السرور الخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عايشة وفيه دليل على
ان حسن الخلق في تطييب قلوب الصبيان والنسا في مشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف في
الامتناع والمنع منه والسادس قوله عليه الصلوة والسلام ابتدآء لعايشة اتشتهين ان تنظرين فلم يكن ذلك
عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب الوحشة
وهو محذور فيقدم محذورا على محذور اعظم فاما ابتدآء السؤال فلا حاجة فيه السابع الرخصة في الغنا والضرب
بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك بمزامير الشيطان وفيه بيان ان المزمور المحرم غير ذلك والثامن ان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار في موضع
لما جوز الجلوس ثم ليقرع اصوات الاوتار سمعه فيدل هذا على ان صوت النسا غير محرم تحريم صوت المزامير
انما حرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغنا والرقص والضرب بالدف واللعب
بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج في اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور

وكانوا يذكرون الله تعالى بنعمة الاسلام
ويصفون رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رقصهم وحركاتهم مع بلوغ الغاية

ففى معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وساير اسباب الفرح وهو كل
ما يجوز الفرح به شرعا ويجوز الفرح بزيادة الاخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام او كلام
فهو ايضا مظنة السماع **السادس** سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان
فى مشاهدة المعشوق فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما
ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجا لذيذ واليأس مولم وقوة لذة الرجا بحسب قوة الشوق
والحب للشئ المرجو فى هذا السماع تهييج للعشق وتحريك للشوق وتحصيل لذة الرجا المقدر فى الوصال مع
الاطناب فى وصف حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سريته
فيصغى الى غنائها ليتضاعف لذته فى لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطايف معانى
الوصال والفراق القلب فيترادف اسباب اللذة وهذا نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما
للحيوة الدنيا كلها الا لعب ولهو وهذا منه وكذلك ان غضبت منه جاريته او غابت وحيل بينه وبينها
بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجا الوصال فان باعها او طلقها حرم
عليه ذلك بعده اذ لا يجوز رجاء تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء واما من يتمثل فى نفسه
صورة صبى او امراة لا يحل النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل ما فى نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر
فى الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر الفساق والسفهاء من الشبان فى وقت
هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شئ من ذلك فذلك ممنوع فى حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لامر
يرجع الى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه
السماع **السابع** سماع من احب الله تعالى وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شئ الا راه فيه وصنعه
ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومورى
زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها
وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذا من الوجود والمصادفة
اى صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم يكون تلك الاحوال اسبابا لروادف وتوابع لها
يحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن الكدورات كما تنفى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل
به مشاهدات ومكاشفات وهى غاية مطالب المحبين لله تعالى ولها ثمرة القربات كلها فالمفضى اليها
من جملة القربات لا من جملة المعاصى والمباحات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سر الله تعالى فى
مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا
ومعرفة السبب فى تأثر الارواح بالاصوات من دقايق المكاشفات والبليد الجامد القاسى القلب المحروم
عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج
وتعجب العنين من لذة المجامعة وتعجب الصبى من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة
معرفة الله ومعرفة جلاله وعظمته وعجايب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك
يستدعى مدركا ويستدعى قوة مدركة فمن لم يكمل قوى ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعام
من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع او لذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع
فى القلب بعد وصول الصوت الى السمع يدركه بحاسة باطنة فى القلب من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك
تقول كيف يتصور العشق فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله تعالى احبه لا محالة

عشق

ومن تاكدت معرفته تاكدت محبته بقدر تاكد معرفته فالمحبة اذا تاكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا
محبة موكدة مفرطة ولذلك قالت العرب ان محمدا عشق ربه لما راوه يتخلى للعبادة فى جبل حرى فاعلم ان
كل جمال فمحبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة
وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق
وارادة الخيرات لكافة الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك
بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار ايضا له فيقال ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته ويعنى انه
جميل الصفات محمود الاخلاق حسن السيرة حتى قد يحب الرجل لهذه الصفات الباطنة استحسانا
لها كما يحب الصورة الظاهرة وقد تتاكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلات فى حب ارباب المذاهب
كالشافعى وابى حنيفة ومالك يبذلون اموالهم وارواحهم فى نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق
فى الغلو والمبالغة ومن العجب ان يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته اجميل هو ام قبيح وهو الان
ميت ولكن جمال صورته الباطنة وسيرته الرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من
الخصال ثم لا يعقل عشق من لا خير الا منه ولا جمال ولا محبوب فى العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من اثار كرمه
وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال فى العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وساير الحواس من مبداء
العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهى ذرة من خزاين قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعرى
كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتاكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون
اطلاق اسم العشق عليه ظلما فى حقه لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة
ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا احتجابه تبارك وتعالى بسبعين حجابا من نور لاحرقت
سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت
القلوب وتخاذلت القوى وتناثرت الاعضا ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت تحت
مبادى انوار تجليه دكا دكا فانى تطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسيأتى تحقيق هذه الاشارة
فى كتاب المحبة ويتضح ان محبة غير الله قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى اذ ليس فى
الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعاله فلم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره
فمن عرف الشافعى مثلا وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق
وكلام منظوم ولغة عربية فقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعى الى غيره ولا جاوزت محبته الى غيره
وكل موجود سوى الله فهو تصنيفه وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هى صنع الله فراى من الصنع
صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة
على الله تعالى غير مجاوزة الى ما سواه ومن حد العشق انه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو
قابل للشركة اذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير اما فى الوجود او فى الامكان واما هذا الجمال فلا يتصور
له ثان لا فى الوجود ولا فى الامكان فكان اسم العشق على حب غير الله تعالى مجازا محضا لا حقيقة نعم
الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال الذى هو عبارة
عن تماس ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغى ان لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق
والوصال والانس بل يجنب هذه الالفاظ والمعانى كما يجنب البهيمة النرجس والريحان ويخصص
بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها فى حق الله تعالى اذا لم تكن موهمة معنى

يجب تقدس الله عز وجل عنه والابهام يختلف باختلاف الافهام فليتنبه بهذه الدقيقة فى امثال هذه
الالفاظ بل لا يبعد ان ينشا من مجرد سماع صفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد
روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان فى بنى اسرائيل كان على جبل فقال
لامه من خلق السما فقالت الله عز وجل فقال من خلق الارض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبل قالت الله
عز وجل فقال من خلق هذا الغيم قالت الله عز وجل فقال انى لاسمع لله تعالى شانا ثم رمى نفسه من الجبل
فتقطع وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله عز وجل وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى نفسه فى الوجد وبالحقيقة
ما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله تعالى تبارك رايت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم
ترقصوا اى شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته
وقد ظهر على القطع اباحته فى بعض المواضع والندب اليه فى بعضها **فان قلت** فهل له حالة يحرم السماع فيها
فاقول انه يحرم بخمسة عوارض عارض فى المسمع وعارض فى آلة الاسماع وعارض فى نظم الصوت وعارض
فى نفس المستمع او فى مواظبته وعارض فى كونه الشخص من عوام الخلق لان اركان السماع هو المسمع والمستمع وآلة الاسماع
العارض الاول ان يكون المسمع امراة لا يحل النظر اليها ويخشى الفتنة فى سماعها وفى معناها الصبى الذى تخشى فتنته
وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغنا بل لو كانت المراة بحيث يفتتن صوتها فى المحاورة من
غير الحان فلا يجوز محادثتها ولا سماع صوتها فى القران ايضا وكذا الصبى الذى يخاف فتنته **فان قلت**
فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا بحيث يخاف الفتنة فى حق من يخاف الفتنة **فاقول**
هذه مسئلة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام
سواء خيف الفتنة او لم يخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور
والثانى ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنسوان فى عموم الحسم بل يتبع
فيه الحال وصوت المراة دائر بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم هذا الباب وهو
قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر فى اول هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت وليس
تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المراة فى غير الغنا ليس بعورة فما زالت النسا
فى زمان الصحابة يكلمن الرجال فى السلام والاستفتا والسوال والمشاورة وغيره ولكن للغنا مزيد اثر فى تحريك
الشهوة فقياس هذا على النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النسا بستر الاصوات فينبغى
ان يتبع مثار الفتن ويقتصر فى التحريم عليه هذا هو الاقيس عندى ويتاكد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت
عايشة اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع صوتهما ولم يحترز عنه ولكن لم يكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك
لم يحترز فاذا يختلف هذا باحوال المراة واحوال الرجل فى كونه شابا او شيخا ولا يبعد ان يختلف الامر فى مثل
هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صايم وليس للشاب ذلك والقبلة تدعو الى الوقاع فى
الصوم وهو محظور والسماع يدعو الى النظر بالمقارنة وهو حرام فيختلف ذلك ايضا بالاشخاص والله اعلم
العارض الثانى فى الآلة بان تكون من شعار الشرب او المخنثين وهى المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلثة انواع
وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب
وساير الالات **العارض الثالث** فى نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شئ من الخنا والفحش والهجو او كذب على الله تعالى
او على احد من رسله او الصحابة كما رتبه الروافض فى هجا الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان
فالمستمع شريك القايل وكذلك ما فيه وصف امراة بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدى الرجال فاما هجاء

مجة
الكفار

الكفار واهل البدعة فذلك جايز وقد كان حسان ينافح عن النبى صلى الله عليه وسلم يهاجى الكفار وامره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك واما التشبب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وساير اوصاف
النسا فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة
معينة اجنبية فان نزله نزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزل على اجنبية فهو العاصى بالتنزيل واجالة
الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغى ان يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء
كان اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على معانى بطريق الاستعارة فالذى يغلب
على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال
لقاء الله تعالى فى جملة المقبولين وبذكر الفراق الحجاب عن الله عز وجل فى زمرة المردودين وبذكر الرقيب
المشوش لروح الوصال عن عوايق الدنيا وافاتها المشوشة لدوام الانس بالله تعالى ولا يحتاج فى تنزيل
ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل يسبق المعانى الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روى عن بعض
الشيوخ انه مر فى السوق فسمع واحدا يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال اذا كان الخيار
عشرة بحبة فما قيمة الاشرار وكان واحد يجتاز فى السوق فسمع قايلا يقول اى سعتر برى فغلب عليه الوجد
فقيل له على ما ذا كان وجدك قال سمعت كانه يقول اسع ترى برى حتى ان العجمى قد يغلب عليه الوجد
على الابيات المنظومة بلغة العرب فان اللغة بعض حروفها توازن حروف العجمية فيفهم منه معانى اخر فقال
واحد وما زارنى فى الليل الا خياله فتواجد عليه عجمى فسال فقال انه يقول ما زاريم وهو كما يقول فان لفظ زار
يدل فى العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عنده خطر هلاك
الاخرة والمحترق فى حب الله وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر
ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك دار الاخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله وتضطرب
عليه احواله واعضاؤه فاذا ليس فى تغيير اعيان الالفاظ كثير فايدة بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى
ان يحترز من السماع باى لفظ كان والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا يضره الالفاظ ولا يمنعه عن فهم المعانى
اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة **العارض الرابع** فى المستمع وهو ان يكون الشهوة غالبة عليه وكان فى غرة
الشباب وكان هذه الصفات اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم
يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله
على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيها نار الشهوة ويحتد بواعث الشر لذلك وهو النصرة
لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى والقتال فى القلب دايم بين جنود الشيطان
وهى الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل الا فى قلب فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب
القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج ان يستانف اسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز
تكثير اسلحتها وتشحيذ سيفها وسنانها والسماع مشحذ لاسلحة جنود الشيطان فى حق مثل هذا عن مجمع السماع
فانه يستضر به **العارض الخامس** ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له
محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة ليكون فى حقه محظورا ولكنه ابيح فى حقه كساير انواع اللذات المباحة الا انه
اتخذه ديدنه وهجيراه وكثر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية
توجب رد الشهادة وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة
وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر اليهم لاعبين على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا

الناس

فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة
كراهية شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب
معالجة في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه فيشتغل في ساير الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة او في
الدين كالصلوة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ولو استوعب الخيلان
الوجه فما اقبح ذلك فيعود ذلك الحسن قبيحا بسبب الكثرة فما كل حسن قليله فيحسن كثيره ولا كل مباح يباح
كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام وهذا المباح ايضا كساير المباحات **فان قلت** فقد ادى مساق
الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت القول اولا بالاباحة اذ اطلاق القول بلا
او نعم خلف وخطاء **فاعلم** ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع بتفصيل ينشا من عين ما فيه النظر فاما ما ينشا
من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سئلنا عن العسل هو حلال ام لا
قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سئلنا عن الخمر قلنا انه حرام مع انه يحل لمن
غص بلقمة ان يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هو من حيث انه خمر حرام وانما ابيح بعارض الحاجة والعسل
من حيث انه عسل حلال وانما حرم بعارض الضرر وما يكون بعارض الضرر فلا يلتفت اليه فان البيع حلال
ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ويجله من العوارض فالسماع من جملة المباحات
من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهوم وانما يحرم لعارض من خارج عن حقيقة ذاته فاذا انكشف
الغطاء عن دليل الاباحة فلا يبالي بمن يخالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي فليس تحريم الغناء من مذهبه
اصلا وقد نص الشافعي رضي الله عنه وقال في الرجل يتخذه صناعة لم يقبل شهادته وذلك لانه من اللهو
المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذه صنعة كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة وان لم يكن
محرما بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا ياتي لاجله وانما يعرف بانه
يطرب في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين
كانتا تغنيان عند عائشة رضي الله عنها وقال يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعي رضي الله عنه عن اباحة اهل
المدينة السماع فقال الشافعي لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف فاما الحداء
وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالالحان في الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل
فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وكان عليه الصلوة والسلام
ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يواخذ الله به ان عنى به انه فعل لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على
نفسه مثلا ان يضع اليد على راسه في اليوم مائة مرة وهذا عبث لا فائدة فيه ولا يحرم قال الله تعالى لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء والمخالفة فيه مع انه لا فائدة فيه لا يواخذكم به
فكيف يواخذ بالشعر والرقص واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاده التحريم بل لو قال هو باطل
صريحا لما دل على التحريم بل دل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لزوجته مثلا بعت
نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك
المحقق الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها او ينزل على التنزيه
فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوي
الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة لا يدل على تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل
في السوق وما يخرم المروة بل الحياكة مباحة وليست من صنايع ذوي المروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة

الخسيسة

الخسيسة فتعليله يدل على انه اراد بالكراهية التنزيه وهذا هو الظن ايضا بغيره من كبار الايمة فان ارادوا التحريم
فما ذكرناه حجة عليهم **حجة القايلين بتحريم السماع والجواب عنه احتجوا** بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو
الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ان لهو الحديث هو الغناء وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها **فنقول** اما القينة فالمراد بها الجارية
التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم
لا يقصدون بالقينة الا ما هو محظور فاما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغيره مالكها
عند عدم خوف الفتنة بدليل ما روي في الحديث الصحيح من غناء الجاريتين في بيت عائشة واما شراء لهو الحديث
بالدين استبدالا به ليضل عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى
به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد في الاية فلو قرا القران ليضل به عن سبيل الله كان حراما حكي عن واحد من
المنافقين انه كان يؤم الناس ولا يقرا الا سورة عبس لما فيه من العتاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فهم عمر
رضي الله عنه بقتله فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم **احتجوا** بقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بلغة حمير يعني السامد **فنقول** ينبغي ان يحرم
الضحك وعدم البكاء ايضا لان الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم
فهو ايضا مخصوص باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون
واراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه **احتجوا** بما روى عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغناء **قلنا** لا جرم كما استثنى
عنه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك
السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه كما استثني غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وغناؤهم عند قدومه عليه الصلوة والسلام بقولهم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع الابيات **واحتجوا**
بما روى ابو امامة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما احد رفع صوته بغناء الا بعث الله تعالى اليه شيطانين
باعقابهما على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك **قلنا** هو منزل على بعض انواع الغناء الذي قدمنا
وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق فاما ما يحرك الشوق الى الله تعالى
والسرور بالعيد او حدوث الولد او قدوم الغايب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة
والاخبار التي نقلناها من الصحاح بالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع في الف موضع يحتمل التاويل
ويحتمل للتنزيه اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم بعوارض
كثيرة حتى النيات والقصود **احتجوا** بما روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء يلهو به الرجل
فهو باطل الا تاديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته **قلنا** فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على
عدم الفايدة وقد نسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة خارج عن هذه الثلثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور
غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث فانه يلحق به رابع وخامس
وكذلك ملاعبة امراته لا فائدة له الا التلذذ في هذا ايضا دليل على ان التفرج في البساتين وسماع اصوات
الطيور وانواع الملاعبات مما يلهو به الرجل ولا يحرم عليه شيء منها وان جاز وصفه بانه باطل **احتجوا** بقول
عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ اسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم **فنقول** فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراما ان كان هذا دليل تحريم الغناء فمن اين ثبت ان عثمان كان

لا يترك الا الحرام **احتجوا** بقول ابن مسعود الغنا ينبت النفاق في القلب وزاد بعضهم كما ينبت الماء البقل
ورفع بعضهم ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح ومر ابن عمر على قوم محرمين وفيهم رجل يغني
فقال الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه
في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه قال وهكذا رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم صنع وقال الفضيل الغنا رقية الزنا وقال بعضهم الغنا رايد من رواد الفجور وقال يزيد
بن الوليد اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم
لا بد فاعلين فجنبوه النسا فان الغنا داعية الزنا **فنقول** وبالله التوفيق اما قول ابن مسعود ينبت النفاق اراد
به في حق المغني فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال
ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا في غنائه وذلك ايضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل
المهملجة وساير انواع الزينة والتفاخر بالحرث والانعام والزرع وغير ذلك ينبت كذا الريا والنفاق في القلب
ولا يطلق القول بتحريمها فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع
نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلا
لحسن مشيته فمبدا النفاق من المباحات واما قول ابن عمر الا لا اسمع الله لكم لا يدل على التحريم من حيث انه غنا
بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخايلهم ان سماعهم لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله
عز وجل بل لمجرد اللهو وانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة الى حالهم وحال الاحرام وحكايات الاحوال
يكثر فيها الاحتمالات واما وضعه اصبعيه في اذنيه يعارضه انه لم يامر نافعا بوضع الاصبع ولا انكر عليه
سماعه وانما وضع هو اصبعيه لانه راى ان ينزه في الحال سمعه وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر
كان فيه او ذكر هو اولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل على التحريم
بل يدل على ان الاولى تركه ونحن ايضا نرى ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا فالاولى
تركها اذا علم ان ذلك يوثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلوة ثوب ابي جهم
اذ كان عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك يدل على تحريم الاعلام على الثوب فلعله عليه الصلوة والسلام
كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما كان العلم يشغله عن الصلوة بل الحاجة الى
استثارة الاحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من هو دايم الشهود للحق وان كان
كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصري ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان
السماع من الله تعالى هو الدايم فالانبيا على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة
واما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهي تنزل على سماع العشاق والمغتلمين
من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم **واما القياس** فغاية
ما يذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لهو ولعب وهو كذلك لكن الدنيا كلها لهو ولعب
قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النسا لهو الا الحراثة التي هي سبب
لوجود الولد وكذلك المزح الذي لا يكون معه الفحش حلال نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
الصحابة كما سياتي تفصيله في كتاب آفات اللسان ان شا الله تعالى فاي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج
في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته على اني اقول اللهو مروح القلب ويخفف عنه اعبا الفكر والقلوب اذا اكرهت
عميت وترويحها اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث

النشاط في ساير الايام والمواظب على الصلوات في ساير الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله
كرهت الصلوة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل فهكذا اللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض
والحق المر الا نفوس الانبيا فاللهو دواء للقلب عن داء الاعيا والملال فينبغي ان يكون مباحا ولا ينبغي
مع ذلك ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدوا فاذا اللهو على هذه النية يصير قربة هذا فيمن لا يحرك السماع
من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك
ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج
الى ان يروح نفسه بغير الحق ولهذا قيل حسنات الابرار سيات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب
ووجوه التلطف بها للسياقة الى الحق علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دوا نافع لا غنا عنه
والله تعالى اعلم **الباب الثاني في اثار السماع وادابه** اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله
على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلثة **المقام
الاول في الفهم** وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال **الاولى** ان يكون سماعه بمجرد الطبع
اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريك له
فيه وكذا ساير البهايم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة **والثانية**
ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا او غير معين وهو سماع الشبان وارباب الشهوات ويكون
تنزيلهم المسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها
والنهي عنها **والثالثة** ان ينزل ما يسمعه على احوال نفسه في معاملته مع الله تعالى وتقلب احواله في التمكن
مرة والتعذر اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدين فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده
معرفة الله ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطا وله في مقصده طريق هو سالكه
ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول
او رد او وصل او هجر او قرب او بعد او تلهف على ما فات او تعطش لمنتظر او شوق الى وارد او طمع
او ياس او وحشة او استيناس او وفا بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح وصال او ذكر ملاحظة
الحبيب او مدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات او طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما
يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد وان يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد
قلبه فيشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه احوال مخالفة لعادته ويكون له
مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل
ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم **امثلة** كيلا يظن الجاهل ان المستمع
لابيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الابيات
ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكي ان بعضهم سمع قائلا يقول قال الرسول غدا تزور فقلت
تدري ما تقول فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرر مكان التا نونا ويقول قال الرسول غدا نزور
حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم
ان اهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة وحكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي على دجلة
مارين بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن له منظرة وعليها رجل بين يديه جارية تغني وتقول كل يوم تتلون
غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحيوة مولاك

الا عدت على هذا البيت فاعادت وكان الشاب يقول هذا والله تلونى مع الحق فى حالى فشهق شهقة ومات
قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله تعالى ثم خرج اهل البصرة
فصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شيء لى فى سبيل الله وكل جوارى احرار وهذا القصر
للسبيل ثم القى ثيابه واتزر بازار وارتدى بآخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم
يبكون فلم يسمع له بعد ذلك خبر والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة
وعجزه عن الثبوت على حسن الادب فى المعاملة وتاسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق
حاله سمعه من الله تعالى كانه يخاطبه ويقول له يا عبد كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله
وعلى الله وفى الله عز وجل فينبغى ان يكون قد احكم قانون العلم فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والا خطر له
فى السماع فى حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به ففى سماع المريد المبتدى خطر الا اذا لم ينزل ما يسمع الا على
حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى ومثال الخطاء فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه فى نفسه وهو يخاطب
به ربه فيصرف التلون الى الله تعالى فيكفر به وهذا قد يقع على جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون
عن جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب ساير احوال العالم من الله تعالى وهو حق
فانه تارة يبسط قلبه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليه وتارة يسلط الشيطان
عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه افعال مختلفة فى اوقات متقاربة فقد يقال
له فى العادة انه ذو بذوات وانه يتلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون فى قبوله ورده وتقريبه
وابعاده وهذا هو المعنى وسماع هذا كله فى حق الله تعالى كفر محض بل ينبغى ان يعلم انه يلون ولا يتلون ويغير
ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدى ايمانى ويحصل للعارف البصير
بيقين كشفى حقيقى وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا فى حق الله
تعالى بل كل مغير سواه فلا بد وان يتغير اولا فى نفسه ثم يغير غيره ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر
المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تبارك وتعالى ويستنكر اقتهاره للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت
فانه المصطفى لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطى لما
منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه
قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال تعالى ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون **فان خطر** ببالك انه لم اختلفت السابقة
وهم فى ربقة العبودية مشتركون نودين من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون ولعمرى فادب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون فاما ادب السر عن اضمار الاستبعاد لهذا
الاختلاف الظاهر فى التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة ابد الاباد فلا
يقوى عليه الا العلماء الراسخون فى العلم ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع فى المنام انه الصفا الزلال
الذى لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش المسكر المدهش
الذى يكاد يحل عقدة الادب عن السر الا من عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا
نجونا من هذا السماع راسا براس ففى هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع على مخلوق بالشهوة فان غاية
ذلك معصية وغاية الخطاء ههنا كفر **واعلم** ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين
لبيت واحد واحدهما مصيب فى الفهم والاخر مخطئ او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين

فاستحيا لهذا الخطاب استحياء اذهب نفسه فان الحياء يميت وقد حكى ان رجلا كان بين يدى جماعة فخرج منه صوت فاستحيا ونكس راسه وسكن فحركوه فوجدوه ميتا صح

وتارة يقبضه صح

ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام انه سمع قائلا يقول سبحان جبار
السماء ان المحب لفى عناء فقال صدقت وسمعه آخر فقال كذبت فقال بعض ذوى البصاير اصابا جميعا وهو الحق
فالتصديق كلام محب غير متمكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام محب مستانس
بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متاثر به او كلام محب غير مصدود عن مراده فى الحال ولا مستشعر
لخطر الصد فى المآل وذلك باستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم وحكى
عن ابى القسم بن مروان وكان صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر فى دعوة انسان
وهناك قوال ينشد واقف فى الماء عطشان وآخر فى البر يسقى فقام القوم وتواجدوا فلما سكتوا سالهم عن
معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها
فلم يقنعه ذلك فقيل له ماذا عندك فيه فقال ان يكون فى وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة
وهو اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات الاحوال سابقها والكرامات تسنح فى مباديها والحقيقة
بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذى فهمه وبين ما ذكروه الا فى تفاوت رتبة المتعطش اليه فان
المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان مكن منها تعطش الى ما وراها فليس بين المعنيين اختلاف
فى الفهم بل الاختلاف بين المرتبتين وكان الشبلى كثيرا ما يتواجد على هذا البيت • ودادكم هجر وحبكم قلى •
ووصلكم صرم وسلمكم حرب • وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها
ان يفهم هذا المعنى فى الخلق بل فى الدنيا باسرها وفى كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها
معادية لهم فى الباطن ومظهرة صورة الود فما امتلات منها دار حبرة الا امتلات عبرة كما ورد به الخبر
وكما قال الثعالبى فى وصفها • تنح عن الدنيا ولا تخطبنها • ولا تخطبن قتالة من تناكح • فليس يفى مرجوها بمخوفها
ومكروهها اما تاملت راجح • لقد قال فيها القايلون فاكثروا • وعندى لها وصف لعمرى صالح • سلاف قصاراها ذعاف
ومركب شهى اذا استلذذته فهو جامح • وشخص جميل يونق الناس حسنه • ولكن له اسرار سوء قبايح • والمعنى الثانى ان
ينزل على نفسه فى حق الله تعالى فاذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدر الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقى الله حق تقاته
وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته فى حبه ومن اراد الله تعالى به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق
هذا البيت فى نفسه وان كان على الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصى ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة سبعين مرة وانما
كان استغفاره عن احوال هى درجات بعد بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا
ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله تعالى غير متناهى والوصول الى اقصى درجات القرب محال
المعنى الثالث ان ينظر فى مبادى احواله فيرتضيها ثم ينظر فى عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها
فيرى ذلك من الله تعالى فيسمع البيت فى حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه ومامن
بيت الا ويمكن تنزيله على معانى وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه **الحالة الرابعة** سماع من جاوز الاحوال
والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش
الغايص فى عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فى مشاهدة جمال يوسف حتى
بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بانه فنى عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فنى عن كل شيء
الا عن الواحد المشهود وفنى ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه فانه مشاهد فقد
عن المشهود فالمستهتر بالمرئى لا التفات له فى حالة استغراقه الى رؤيته والى عينه التى بها رؤيته والى قلبه

الذي به لذته والسكران لا خبر له من سكره والملتذ لا خبر له من التذاذه وانما خبره عن الملتذ به فقط **ومثاله** العلم
بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء
ومثل هذه الحالة قد يظن في حق المخلوقين فيظن ايضا في حق الخالق تبارك وتعالى ولكنه في الغالب يكون كالبرق
الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما يضطرب تحت اعبائه اضطرابا يهلك
فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين النوري رحمه الله انه حضر مجلسا انشد فيه هذا البيت ما زلت انزل من ودادك
منزلا • يتحير الالباب عند نزوله • فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطعت وبقيت اصولها
مثل السيوف وكان يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه
ومات بعد ذلك بايام فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان السماع على الاحوال
وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا
يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى اليد والسكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة
من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق محض الاخلاص ولم
يبق فيه منه شيء اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته الى الصفات البشرية راسا ولست اعني
بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة
خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله تعالى عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود
وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر **ومثاله** المرآة المجلوة
اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر
في نفسها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها في هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان يعرب
عن هذه الحقيقة في سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر • رق الزجاج ورقت الخمر • فتشابها فتشاكل
الامر • فكانما خمر ولا قدح • وكانما قدح ولا خمر • وهذه مغاصة من مغاصات وهذه مقامات من مقامات علوم
المكاشفة منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى
اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها به او حلولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي
غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة اذ ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة
فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات **المقام الثاني** بعد الفهم والتنزيل **الوجد**
وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل
من الفاظهم واقوالهم اولا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه ثانيا **اما الصوفية** فقد قال ذو النون المصري في السماع انه
وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد
بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال ابو الحسين
الدراج مخبرا عما وجده في السماع والوجد عبارة عما يوجد عند السماع قال جال بي السماع في ميادين البهاء
فاوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكاس الصفا فادركت به منازل الرضا واخرجني الى رياض النزهة
والصفا وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد
استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن سائر
الاعمال ويدرك برقة الطبع لدقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع
على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله تعالى عند المؤمنين والموقنين وقيل الوجد مكاشفات من الحق وقال

ابو سعيد بن الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة
السر وايناس المفقود وهو فناؤك انت من حيث انت وقيل الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب
فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس
والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا
القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل فيه من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية
وقلب شاهد وسر ظاهر يشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما كان معدوما عنده
وقال ايضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى
فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب بالظاهر
او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج
ما لك بما عليك مما سبق لك لتسعى فيه وكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا
ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجود واقوال الصوفية من
هذا الجنس في الوجد كثير **واما الحكماء** فقالوا في القلب فضيلة شريفة تعذر على قوة النطق اخراجها باللفظ
فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظاهر
وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال
من الافهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب ولا يخطي
ويأتي ولا يبطي وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني
وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق
عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ
والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق باجمع الا انها روحانية واما العاشق البهيمي
فانه يستعمل النطق الجرمي ليعبر عنه ويموه ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الدائر وقال آخر من حزن فليسمع
الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها واظهرت فرحها فيظهر الحنين
بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل المفرقة المعرفة في الاستماع
والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار منها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه **فنقول** انه عبارة عن
حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فاما ان يرجع
الى مكاشفات ومشاهدات ~~الى تغيرات واحوال~~ يهيجها السماع او يقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله
حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق ويسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر
على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا او قويا بحسب قوة الوارد وقدرته على ضبط جوارحه وقد يقوى الوجد في الباطن
ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى
المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة
الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها
التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور
لم يكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع مؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ومنها
انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل

الى مكاشفات ومشاهدات هي من فوائد العلوم والتنبيهات واما ان يرجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال صح

ماكان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير الحمل فبواسطة
هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم
يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي
انه قال خرجت ليلة في ايام جاهليتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت بسرناباذ كرم ما مررت به الا تعجبت
ممن يشرب الماء فسمعت هاتفا يقول وفي جهنم ماء ما تجرعه حلق فابقى له في الجوف امعاء فكان ذلك سبب
توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغنا في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم
في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر وعن مسلم العباداني قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة
الغلام وعبد الواحد بن زيد وسالم الاسواري فنزلوا على الساحل وهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه
فجاؤا فلما وضعت الطعام بين ايديهم فاذا قائلا يقول رافعا صوته ويلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس
غبها غير نافع فصاح عتبة وخر مغشيا عليه وبكا القوم فرفعنا الطعام ما ذاقوا والله منه لقمة وكما يسمع صوت
الهاتف عند صفا القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور
مختلفة وفي مثل هذه الحالة يتمثل الملائكة ~~الملائكة~~ للانبيا عليهم السلام اما على حقيقة صورتها واما على مثال
يحاكي صورتها بعض المحاكاة فقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل عليه السلام مرتين في صورته
واخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى
الى اخر هذه الايات وفي مثل هذه الاحوال من الصفا يقع الاطلاع على ضماير القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع
بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى حكي ان بعض المجوس
كان يدور على المسلمين ويسئلهم عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل وكان
قد ذكر له تفسيره ولا يقنعه حتى انتهى الى بعض مشايخ الصوفية فساله فقال معناه ان تقطع الزنار الذي
على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الان عرفت انك مؤمن وان ايمانك حق
وكما حكي عن الخواص قال كنت ببغداد مع جماعة من الفقرا في الجامع فاقبل شاب طيب الرايحة حسن الوجه
فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم فقال ايش قال الشيخ
في فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاءني واكب على يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان
الصديق لا يخطي فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطايفة لانهم
يقولون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس في علمت انه صديق وصار الشاب من كبار
الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم
لنظروا الى ملكوت السماء وانما يحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانهن
مرعى الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاها لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة
بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وبقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفا
القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفا وعلى هذا يدل ما روي ان ذا النون دخل بغداد فاجتمع اليه قوم
من الصوفية معهم قوال فاستاذنوه في ان يقول شيئا فاذن لهم فقال صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا
وانت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل اخر فقال ذو النون الذي
يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه

وجنس هواك يقتلني
وقتل لا يحل لكا

اما ترثي لمكتئب
اذا ضحك الخلي بكى

ان الذي

ان الذي يراك حين يقوم فجلس ذلك الرجل هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا
قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم انه ينقسم كل واحد منهما الى ما يمكن التعبير عنه
عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن
التعبير عن حقيقته فلا تستبعد فانك تجد في احوالك القريبة لهما شواهد اما العلم فكم من فقيه يعرض عليه
مسئلتان متشابهتان في الصورة فيدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق
لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه
الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا شك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله حقيقة عند الله تعالى ولا يمكنه
الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن ان تنالها العبارة وهذا مما قد تفطن له المواظبون
على النظر في المشكلات واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح قبضا وبسطا ولا يعلم سببه
وقد يتفكر الانسان في شيء فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون
الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر
عقيبه وقد يكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة
مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض
وهو حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون والمنزحف ولا يمكنه
التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له ففي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف
والحزن والسرور انما يحصل في السماع عن غناء مفهوم فاما الاوتار وساير النغمات التي ليست مفهومة تؤثر
في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجايب تلك الاثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه
المشتاق اليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الاوتار والشاهين وما اشبهه ليس يدري الى ماذا يشتاق
ويجد في نفسه حالة كانه تتقاضى امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب
ادمي ولا حب الله تعالى وهذا له سر وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة
مع المشتاق اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق
ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت
تلك الصفة واشتعلت نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة فلو نشا ادمي وحده لم ير صورة النسا
ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق
الى الوقاع لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا صورة النسا فكذلك في نفس الادمي مناسبة مع العالم الاعلى
وللذات التي وعدت بها في السدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسما
كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النسا ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة
ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه
ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش
ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام
حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكنه
اظهاره واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف فمنه
مذموم وهو الذي قصد به الريا واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل

الى اسد عاد الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخل فى جلب الاحوال الشريفة
ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لم يحضره البكا فى القران ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال
قد يتكلف مباديها ثم يتحقق اواخرها فكيف لا يكون التكلف سببا فى ان يصير المتكلف فيه اخرة طبعا وكل
من يتعلم القران اولا يحفظه تكلفا ويقراه تكلفا مع تمام التامل واظهارا لذهن ثم يصير ذلك ديدنا
للسان مطردا حتى يجري به لسانه فى الصلوة وهو غافل ليقرا تمام السورة ثم يثوب نفسه اليه بعد انتهائه
الى اخرها ويعلم انه قراها فى حالة غفلته وكذلك الكاتب يكتب بجهد شديد فى الابتدا ثم تمرن عليه يده
فيصير الكتبة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستغرق فى القلب بفكر اخر فجميع ما يحتمله النفس والجوارح من
الصفات لا سبيل الى اكتسابه الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم
العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغى ان يقع الياس عند فقدها بل ينبغى ان يتكلف
اجتلابها بالسماع وغيره ولقد شوهد فى العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل
يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه بالاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه
ورسخ ذلك فى قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله
سبحانه وتعالى والشوق اليه والى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان
فينبغى ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم فى النفس وبالجلوس
معهم فى السماع وبالدعا والتضرع الى الله تعالى فى ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها ومن اسبابها
السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه
صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى دعائه اللهم ارزقنى حبك وحب من احبك وحب ما يقربنى الى حبك فقد فزع الى الدعا فى طلب
الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا
يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع **فان قلت** فما بال هولاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن
وهو كلام الله عز وجل ويظهر على الغنا وهو كلام الشعرا فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا
من غرور الشيطان لكان القران اولى به من الغنا **فنقول** الوجد الحق ما ينشا من فرط حب الله تعالى وصدق
ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن ايضا وانما الذي لا يهيج بالقران حب الخلق والعشق
للمخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى مثانى تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع فى النفس فهو
وجد فالطمانينة والاقشعرار ولين القلب كل ذلك وجد قال الله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فالوجل والخشوع
وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم وقال عليه الصلوة والسلام لابى موسى لقد اوتى مزمارا من
مزامير آل داود واما الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القران فكثيرة فقوله
صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود واخواتها خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد وروى
ابن مسعود انه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هولاء شهيدا فقال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفى رواية اخرى انه قرا هذه الاية او قرى

والخشية

عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وفى رواية قرا عليه الصلوة والسلم
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الاية فبكى واذا مر باية رحمة دعا واستبشر عليه الصلوة والسلام و
الاستبشار وجد وقد اثنى الله تعالى على اصحاب الوجد بالقران فقال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع الاية وروي انه عليه الصلوة والسلام كان يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل
فهذه الاحوال كلها انواع الوجد المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم واما ما نقل من الوجد بالقران ايضا عن الصحابة
والتابعين واكابر السلف الصالحين فكثيرة ايضا فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من
مات فى غشيته سمع عمر رضى الله عنه رجلا يقراء ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر
مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا فى بيته شهرا وكان زرارة بن اوفى من التابعين يام بالناس بالرقة
فقرا ليلة فاذا نقر فى الناقور الايتين فصعق ومات فى محرابه وكان ابو جهير من التابعين قرا عليه صالح
المرى فشهق ومات فى محرابه وسمع الشافعى قاريا يقرا هذا يوم لا ينطقون فغشى عليه وسمع على بن الفضيل قاريا
يقرا يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك
نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان الشبلى فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف امام له فقرا
الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا فزعق الشبلى زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه واخضر وجهه
وارتعد وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري السقطى فرايت
بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لى هذا رجل قد سمع اية من القران فغشى عليه فقلت اقرؤا عليه تلك الاية
فقرى فافاق فقال من اين قلت هذا فقلت رايت يعقوب عليه السلام كان عماه لاجل مخلوق فبمخلوق ابصر
ولو كان من اجل الحق ما ابصر الا بالحق وهذا سمع من الكلام القديم فحياته بالكلام القديم فاستحسن ذلك
ويشير الى ما قال الجنيد قول الشاعر ۝ وكاس شربت على لذة ۝ واخرى تداويت منها بها ۝ وقال بعض الصوفية
كنت اقرا ليلة هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت اردها واذا هاتف يهتف بى كم تردد هذه الاية
فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السما منذ خلقوا وقال ابو على المغازلى للشبلى ربما يطرق
سمعى باية من كتاب الله عز وجل فتجد بى على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالى والى الناس فلا ابقى على
ذلك فقال ما طرق سمعك من القران فاجتذبك به اليه فهو عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى
نفسك فهو شفقة منه عليك وانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة فى التوجه الى الله تعالى ويشير الى
ما قاله الجنيد قول الشاعر وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها وسمع رجل من اهل التصوف قاريا
يقرا يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك الاية فاستعادها من القاري وقال كم اقول لها ارجعى وليست
ترجع ثم تواجد وصاح صيحة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قاريا يقراء وانذرهم يوم الازفة فاضطرب
ثم صاح وقال ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد النذير بطاعتك ثم غشى عليه وكان ابن ادهم اذا سمع احدا
يقرا اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله حتى كان يرتعد قال محمد بن صبيح كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به
على الشط واحد يقرا وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات رحمه الله وذكر
ان سلمان الفارسى ابصر شابا يقراء فاتى على اية فاقشعر جلده فاحبه سلمان وفقده فساله عنه فقيل انه
مريض فاتاه يعوده فاذا هو فى الموت فقال يا با عبد الله ارايت تلك القشعريرة التى كانت منى فانها اتتنى
فى احسن صورة فاخبرتنى ان الله تبارك وتعالى قد غفر لى بها كل ذنب وقال صوفى كنت اقرا ليلة هذه الاية
كل نفس ذائقة الموت كما مر فيما قبل وبالجملة لا يخلوا صاحب القلب عن وجد عند سماع القران فان كان القران

لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي الآية بل صاحب القلب يؤثر
فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد
متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد
ليس هذا من شانك ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة وخرج **فان قلت**
فان كان سماع القران مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون المقربين وكان ينبغي
ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنيين وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل
دعوة قاري لا قوال فان كلام الله تعالى افضل من الغناء لا محالة **فاعلم** ان الغناء اشد تهييجا للوجد من
القران من سبعة اوجه **الاول** ان جميع آيات القران لا يناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه وتنزيله على ما هو
ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله قوله تبارك وتعالى يوصيكم الله في
اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين او قوله تعالى والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الآيات التي هي
في بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما
نظمها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب ولا يحتاج في فهم الحال منه الى تكلف نعم من يستولي عليه حالة غالبة
قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب فيتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ الغريبة
فقد يحضر وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى
الوصية وان كل انسان لا بد وان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما
جميعا ويغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر كلمة الله تعالى في قوله يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج
الى الوصية وان كل انسان ... فيدهشه بمجرد الاسم عما سواه وقبله وبعده او يخطر له رحمة الله تعالى على عباده
وشفقته بان تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا اليهم في حيوتهم وموتهم فيقول اذا نظر لاولادنا بعد موتنا
فلا شك ان ينظر لنا ايضا اذا رجعنا الى حضرته فيهيج منه حال الرجاء ويورث ذلك استبشارا وسرورا ويخطر
له من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر بكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى وان من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب
او يؤخر في نعيم الآخرة كما اخرت الاناث في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان
احدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبه في الامور القريبة للمعاني البعيدة
وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغناء التي هي الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها وروي انه كان
ابو الحسين النوري مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسئلة في العلم والشيخ ابو الحسين رحمه الله ساكت ثم رفع
راسه وانشدهم
رب ورقاء هتوف في الضحى ۝ ذات شجو صدحت في فنن ۝ ذكرت الفا ودهرا صالحا ۝ فبكت حزنا
فهاجت حزني ۝ فبكائي ربما ارقها ۝ وبكاها ربما ارقني ۝ ولقد اشكو فما افهمها ۝ ولقد تشكو فلا تفهمني ۝ غير اني
بالجوى اعرفها ۝ وهي ايضا بالجوى تعرفني ۝ فما بقي في القوم احد الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم
الذي خاضوا فيه وان كان العلم جدا وحقا **الوجه الثاني** ان القران محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب
وكل ما سمع اولا عظم اثره في الكرة الثانية يضعف آثاره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد
الغالب ان يحضر الوجد على بيت على الدوام في مرات متقاربة في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك وان ابدل ببيت آخر
تجدد له اثر وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون اللفظ والنظم غريبا بالاضافة الى الاول يحرك النفس
وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القاري على ان يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة لان القران محصور

لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ ومتكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث راى الاعراب
يقدمون فيسمعون القران ويبكون فقال كنا كما كنتم فقست قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق كان اقسى
من قلوب الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرر على قلبه اقتضى
المرون عليه وقلة التاثر به لما حصل له من الانس بكثرة سماعه اذ محال في العادة ان يسمع السامع آية لم يسمع
قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها عشرين سنة يرددها ويبكي ولا يفارق الاول الآخر الا في كونه غريبا جديدا
فلكل جديد لذة ولكل طارئ حلاوة ومع كل مالوف انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان
يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت ان يتانس الناس بهذا البيت اي يانسوا به ومن قدم حاجا
فراى بيت الله عز وجل اولا بكا وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وهو يقيم بمكة شهرا فلا يحس من ذلك
في نفسه شيئا من ذلك التاثر فاذا المغني يقدر على الاتيان بالغرايب من الابيات ولا يقدر على ذلك في الآيات
الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا في النفس فليس الصوت الموزون كالصوت الغير الموزون
وان كان طيبا وانما يوزن الوزن في الابيات دون الآيات ولو زحف المغني في البيت الذي انشده او لحن
فيه او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر عنه طبعه لعدم
المناسبة واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا مؤثر فلذلك طاب الشعر **الوجه الرابع**
ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق
بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز
في الشعر ولا يجوز في القران الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف
ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القران كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو
سبب مستقل بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والشاهين والمزمار وساير الاصوات التي لا تفهم
الوجه الخامس ان الالحان الموزونة تعضد وتوكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب
بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي وانما هو بمجموع هذه الاسباب
ولكل واحد حظ في التاثير وواجب ان يصان القران عن مثل هذه القراين لان صورتها عند عامة الخلق
صورة اللهو واللعب والقران جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة
وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القران فلا
يقرا على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة
القران في كل حال الا المراقبون لاحوالهم فيعدل على الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز
الضرب بالدف مع قراءة القران ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس
وقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او بلفظ هذا معناه ويكون ذلك مع الشعر دون القران وكذلك
لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين في صبيحة عرسها فسمع احديهن
فلما رات النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفينا نبي يعلم ما في غد على وجه الغناء فقال عليه الصلوة والسلام دعي
هذا وقولي ما كنت تقولينه وهذه شهادة بالنبوة ثم زجرها عنه وردها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا هو
جد محض فلا يجمل ان يقرن بصورة اللهو فاذا يتعذر بسببه تقوية الاسباب التي بها يصير السماع محركا
للقلب فواجب في الاحترام العدول الى الغناء عن القران كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة
الى الغناء **الوجه السادس** ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس

كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا فى الدعوات على القارى فربما يقرأ آية لا يوافق حالهم اذ القرآن شفاء للناس
كلهم على اختلاف الاحوال كلها فايات الرحمة شفاء الخايف وايات العذاب شفاء المغرور الآمن وتفصيل
ذلك مما يطول فلا يامن ان يوافق المقرو الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهية كلام الله تعالى من حيث
لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص عنه الا بتنزيله على
وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله عز وجل الا على ما اراده الله سبحانه وقول الشاعر يجوز تنزيله على غير مراده
ففيه خطر الكراهية او خطر التاويل الخطاء لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله تعالى وصيانته عن ذلك
هذا ما ينقدح لى فى علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن سماع القران فى حال الجمع والاوقات **وهاهنا**
وجه سابع ذكره السراج الطوسى فى الاعتذار فقال رحمه الله القران كلام الله عز وجل وصفته وهو حق لا تطيقه
البشرية لانه غير مخلوق ولا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت
ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر
نسبته كنسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما فى الابيات من اللطايف والاشارات شاكل
بعضها بعضا وكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت البشرية
باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء
هذه الحظوظ الى القصايد اولى من انبساطنا الى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا واليه
يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره والله اعلم وقد حكى ابو الحسن الدراج قال قصدت يوسف
بن الحسين الرازى رحمهما الله من بغداذ للزيارة والسلام فلما دخلت الري كنت اسئل عنه وكل من سالته قال
تعمل بذاك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت فى نفسي قد جئت هذا الطريق كله
فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسال عنه حتى دللت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف
وهو يقرا واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت فاقبل علي وقال من اين فقلت من بغداذ فقال وما الذي
جاء بك فقلت قصدتك للسلام فقال لي لو ان فى بعض هذه البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى اشتري لك
دارا او جارية كان يقعدك ذلك عن المجيء فقلت ما امتحنني الله تعالى بشيء من ذلك ولو امتحنني الله تعالى
بشيء من ذلك ما كنت ادري كيف اكون ثم قال لي الحسن ان تقول شيئا فقلت نعم فقال هات فابتدأت
اقول رايتك تبني دائما فى قطيعتي ٭ ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني ٭ كاني بكم والليت افضل قولكم ٭ الا ليتنا
كنا اذا الليت لا يغني ٭ فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى بلت لحيته وثوبه فرحمته انا من كثرة بكائه ثم قال يا بني
تلوم اهل الري ان يقولون يوسف زنديق من صلوة الغداة هو ذا انا اقرا فى المصحف لم يقطر من عيني قطرة وقد
قامت علي القيامة بهذين البيتين فاذا القلوب وان كانت محترقة فى حب الله تعالى يهيج منها البيت الغريب
ما لا يهيجه تلاوة القران وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم
الشعر واما القران فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل فى قوة البشر لعدم مشاكلته
لطبعه وروي ان اسرافيل استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فراه وهو ينكت الارض باصبعه ويترنم ببيت
فقال هل تحسن تترنم بشيء فقال لا فقال فانت بلا قلب اذا اشارة الى ان من له قلب وعرف طباعه علم انه تحركه
الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف فى غيره فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره فقد ذكرنا
حكم المقام الاول فى فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثاني فى الوجد الذي فى القلب فلنذكر الآن اثر الوجد الذي
يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره **المقام الثالث** من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا

وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم منها **فاما الاداب** فهي خمس جمل **الادب الاول** مراعاة الزمان والمكان
والاخوان ومعناه ان الاشتغال به فى وقت حضور طعام او صيام او خصام او صلوة او صارف من الصوارف
مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيرعى حالة فراغ القلب والمكان قد يكون شارعا
مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب والاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس
من منكري السماع متزهد بالظاهر مفلس عن لطايف القلوب كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به
وكذلك اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائي
الوجد والرقص وتمزيق الثوب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط
نظر للمستمع **الادب الثاني** وهو نظر الحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع فى حضورهم
فان سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذي يستضر بالسماع ثلثة اقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا الاعمال
الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو ليلهو ولا من اهل
الذوق ليتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو مضيع لزمانه وثانيهم هو الذي له ذوق السماع ولكن
بعد فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا يؤمن غوائله فربما
يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال وثالثهم ان يكون قد انكسرت
شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم فلم يعرف اسماء الله
تعالى الحسنى وصفاته العلى وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع فى حق الله تعالى على ما يجوز
وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من نفع السماع قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب
والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثناء ولا لمن
يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع
عليه طريقه والسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه قال الجنيد رحمه الله رايت ابليس فى النوم فقلت له
هل تظفر من اصحابنا بشيء قال نعم فى وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني ادخل عليهم به فقال بعض الشيوخ
لو رايته انا لقلت له ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به قال الجنيد صدقت **الادب
الثالث** ان يكون مصغيا الى ما يقوله القايل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه
المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته فى سره
متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف متحرزا عن التنحنح والتثاوب
يجلس مطرقا راسه كجلوسه فى فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وساير الحركات على وجه التصنع
والتكلف والمراياة ساكتا عن النطق فى اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختياره فهو فيه معذور
غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع وجده على
القرب ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة حكي ان شابا كان يصحب الجنيد وكان
اذا سمع شيئا من الذكر صاح فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه
حتى يقطر منه من كل شعرة قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة وانشق فؤاده
ومات رحمه الله وروي ان موسى عليه السلام قص فى بني اسرائيل فمزق واحد منهم قميصه او ثوبه فاوحى الله تعالى
الى موسى قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك قال ابو القسم النصراباذي رحمه الله لابي عمرو بن نجيد انا اقول
اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو رحمه الله انا اقول الرياء فى السماع وهو ان

بلغ المقابلة
قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلثة اشيا والا فلا يسمع الزمان والمكان والاخوان صح

ترى من نفسك حالا ليست فيك شئ من ان تعاتب ثلثين سنة او نحوه **فان قلت** الافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره او الذي يظهر عليه **فاعلم** ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان يكون اليه الاشارة بقول الصديق رضى الله عنه هكذا كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القراءة جديدة في حقنا طارية علينا حتى تاثر بها فاذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماسك بضبط الظواهر وقد يغلب احدهما الآخر اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي يضرب نفسه على الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شئ اشارة الى ان القلب مضطرب جايل في الملكوت والجوارح متادبة في الظاهر ساكنة وقال ابو الحسن محمد بن احمد وكان بالبصرة صحبت سهلا ستين سنة فما رايته تغير عند شئ كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا فرايته قد تغير وارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال لملازمة الشهود كما حكي عن سهل انه قال حالي قبل الصلاة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال وكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما روي ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد **فان قلت** فلم لم يحضر هذا السماع **فاعلم** ان من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا لمساعدة اخ من الاخوان او ادخالا للسرور عليه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعض من ينقل عنه ترك السماع ويظن انه كرهه كان سبب تركه استغناؤه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من **الادب الرابع** ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكا وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص وتباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المرايا لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط وكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عايشة رضي الله عنها الى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عايشة في بعض الروايات وقد روي جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما اصابهم سرور اوجب ذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي واخوه جعفر وزيد

بن حارثة

بن حارثة فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك فحجل علي رضي الله عنه فرحا وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي عليهما رضوان الله وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر ثم قال عليه الصلوة والسلام هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي رواية انه عليه الصلوة والسلام قال لعايشة اتحبين ان تنظرين الى زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص فلو كان ذلك حراما لما كان قاله عليه الصلوة والسلام في بعض الروايات لها وذلك يكون بفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا فالرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين الناس ينبغي ان يجتنبه المقتدى به كيلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث ان يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ويكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل يحصل بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة اضطر من باطنه الى ان يختار النفس فكذلك الصيحة والتمزيق قد يكون كذلك فهو لا يوصف بالتحريم فقد قال السري الوجد الحاد الغالب ان يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد واصر عليه ولم يرجع معناه انه في بعض الاحوال قد ينتهي الى هذا الحد **فان قلت** فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة **فاعلم** ان ذلك مباح اذا مزق قطعا مربعة يصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق لغرض فكذلك رقعة الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود بالتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير فهو مباح ولكل مالك ان يقطع كرباسه بماية قطعة ويسلمها الى ماية مسكين وذلك ينبغي ان يكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها في رقع الثياب والسجادات وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا ينتفع به فهو تضييع محض لا يجوز ما دام له اختيار **الادب الخامس** موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار من غير اظهار وجد فقام له الجماعة فلا بد له من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طائفة بتنحية العمايم على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الاحوال من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس باخلاقهم كما وردت به السنة لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقولهم ان ذلك بدعة اذ لم يكن في الصحابة فليس من كل ما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة وانما المحذور بدعة تراغم سنة ماثورة ولم ينقل النهي عن شئ من هذا **فاما القيام** عند دخول الداخل فلم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحوال كما روي انس لكن اذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به باسا في البلاد التي جرت بها العادة باكرام الداخل بالقيام اذا لم يكن مسجد الصلوة فان المقصود من القيام في غير المسجد الاحترام والاكرام وتطييب القلب به وكذلك ساير انواع المساعدة اذا قصد بها طيبة القلب واصطلح عليها جماعة فلا باس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التاويل **ومن الآداب** ان لا يقوم من الرقص مع القوم ان كان

يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجمع
منه اثر التكلف ومن يقوم عن صدق فلا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب
فهي محك الصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له اذا كانوا اشكالا
غير اضداد **فان قيل** فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام انه باطل ولهو ومخالف للدين فلا
يراه ذو جد في الدين الا وينكره **فاعلم** ان الجد كل الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راى
الحبشة يزفنون في المسجد وما انكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة
الطباع عنه سببها انه لا يرى غالبا الا مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة
ومن اشبههم وهو مكروه لذوي المناصب لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز
ان يوصف بالتحريم فمن سال فقيرا شيئا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سال ملكا فاعطاه رغيفا
او رطل خبز كان ذلك منكرا عند الناس ومكتوبا في تواريخ الاخبار من جملة مساويه ويعير به اعقابه واشياعه
ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام من حيث انه اعطى خبزا لفقير حسن ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه
كالمنع بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الابرار وحسنات
الابرار سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا نظر اليه في نفسه وجب الحكم
بانه في نفسه لا تحريم فيه فقد خرج من جملة التفصيل السابق ان السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون
مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون مكروها **اما الحرام** فهو لاكثر الناس من الشبان وممن غلبت عليه شهوة
الدنيا فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة **واما المكروه** فهو لمن لا ينزله
على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو **واما المباح** فهو لمن لا حظ له منه
الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله عز وجل ولم يحرك السماع منه الا الصفات
المحمودة والله تعالى اعلم تم كتاب السماع والوجد بحمد الله تعالى وصلى الله على محمد وآله اجمعين ويتلوه كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو كتاب التاسع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه اعتصمت الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب الا بحمده ولا تستمنح النعم الا
بواسطة كرمه ومجده والصلوة على سيد الانبيا والرسل محمد صفيه وعبده وعلى آله الطيبين واصحابه الطاهرين
من بعده **اما بعد** فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي بعث الله
تعالى له النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل عمله وعلمه تعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة
وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد وان لم
يشعروا بالهلاك الى يوم التناد وقد كان الذي خفنا ان يكون فانا لله وانا اليه راجعون اذ قد اندرس من هذا
القطر عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحقت عنها مراقبة
الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهايم وعز على بسيط الارض مؤمن صادق
لا ياخذه في الله تعالى لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا
لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستاثرا من بين الخلق باحياء
سنة افضى الزمان الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نعون الله تعالى
وحسن توفيقه نشرح علمه في اربعة ابواب **الباب الاول** في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلتها
الباب الثاني في اركانها وشرايطها **الباب الثالث** في بيان مجاريها وفيه بيان المنكرات المالوفة في العادات

الباب الرابع في امر الامرا بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والنهي عن المنكر والمذمة في اهماله ويدل على ذلك بعد اجتماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه
الايات والاخبار والاثار **اما الآيات** فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف و
ينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الايجاب فان قوله تعالى ولتكن منكم امر وظاهر الامر
الوجوب ففيها بيان ان الفلاح منوط به اذ خصص وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين
وانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الباقين اذ لم يقل كونوا كلكم امرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة فمهما قام به
واحد او جماعة سقط الحرج عن الاخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له وان تقاعد عنه الخلق اجمعين
عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة قال الله تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله آناء الليل
وهم يسجدون يومنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك
من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الاخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وقد نعت الله المؤمنين بانهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والذي هجر الامر بالمعروف خارج
عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الاية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى
ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية
التشديد اذ علل استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا خير امة
وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون
فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلوة والزكوة في نعت الصالحين
والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهذا امر جزم ومعنى
التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون تبين انهم اثموا بترك النهي وقال
تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا فبين انه اهلك جميعهم الا
قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد في الارض وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير
في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية والاصلاح نهي عن البغي
واعادة الى الطاعة الله تعالى فان لم يفعل فقد امر الله تعالى بقتاله وقال تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله
وذلك هو النهي عن المنكر **واما الاخبار** فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها ايها
الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتؤولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك
ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن ابي ثعلبة الخشني انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة

واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع العوام فان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل
الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وانهم لا يجدون
عليه اعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الاية فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة معمول بها
ولكن قد اوشك ان ياتى زمانها تامرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون ولا يقبل منكم فحينئذ عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال صلى الله عليه وسلم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن
الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الشرار فلا يخافونهم وقال
عليه الصلوة والسلام يا ايها الناس ان الله سبحانه يقول لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا
فلا يستجيب لكم وقال عليه الصلوة والسلام ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما
جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال عليه الصلوة
والسلام ان الله تعالى ليسئل العبد ما منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله تعالى العبد حجته
قال رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال عليه الصلوة والسلام اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا
بد منها انما هي مجالسنا نتحدث فيها فقال عليه الصلوة والسلام فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقها
قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال عليه
الصلوة والسلام كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهى عن منكر او ذكر الله تعالى وقال عليه الصلوة
والسلام ان الله تعالى لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه
فلا ينكروه وروى ابو امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساءكم وفسق
شبابكم وتركتم جهادكم قالوا ان ذلك لكاين يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا
وما اشد منه قال فكيف انتم اذا لم تامرون بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكاين ذلك قال نعم والذي نفسي
بيده واشد منه قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا رايتم المعروف منكرا ورايتم المنكر معروفا قال وكاين ذلك
قال والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه قال كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف
قالوا وكاين ذلك قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه قال يقول الله عز وجل
بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيرانا وعن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفع عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما
فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفع وقال عليه الصلوة والسلام لا ينبغي لامرى شهد مقاما فيه حق
الا تكلم فانه لن يقدم ذلك اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة
ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضره ولا يجوز
له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات
في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح
السواح وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل الذي نزل بنا حين راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس وراوا انه
لا يقبل منهم كلمة وراوا الفتن لم يامنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه
فراوا ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قراء قوله تعالى ففروا الى الله اني لكم
منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل الله تعالى وجل ثناؤه في النبوة لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما
بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها وتجيبه ويسالهم اين امرت

فتحج

فتحج وليس بنبي وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب
عنها فاحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه فاما الحضور قصدا
فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود قال عليه الصلوة والسلام ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري
فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون
يعملون بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر ويقولون ما لا
يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
بلسانه فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر
ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا
يردون عليه ولا يرجعون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فعصوني
ولم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الاخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه
فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم اعتزل ثم قام الثالث
فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل عنهم ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني
ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال
ابن عباس كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله فقال ابن عباس قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون
قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله
صلى الله عليه اوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها فقال يا رب ان
فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت
عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله
كيف قال لم يكونوا يغضبون لله تعالى وكانوا لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه قال قال
موسى عليه السلام يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع النسر الى هواه والذي يكلف
بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس والذي يغضب اذا اوتي بمحارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر
اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس ام كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال ابو ذر الغفاري قال
ابو بكر الصديق رضي الله عنهما يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال عليه الصلوة والسلام نعم يا ابا بكر
ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقون يمشون على الارض يباهي الله تعالى بهم ملائكة
في السماء ويزين لهم الجنة كما تزين ام سلمة لرسول الله فقال ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال هم الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة
فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثماية الف باب منها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على كل
باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلثماية الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر
اليها تقول له اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له
كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال ابو عبيدة ابن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله
تعالى فقال عليه الصلوة والسلام رجل قام الى وال جاير فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله
فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وعن الحسن البصري روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
افضل شهداء امتي قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته

ابن مسعود صح

والحافظون لحدود الله صح

في الجنة بن حزم وجعفر قال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون
بالقسط وبئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر **واما الاثار** فقد قال ابو الدرداء لتامرن
بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه
خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت
الاحيا فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه فقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل
يغشى منزله الرجال والنسا يعظهم ويذكرهم بايام الله تعالى فراى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النسا فقال
مهلا يا بني مهلا قال فسقط من سريره وانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله سبحانه
الى نبي زمانه ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا
يا بني مهلا وقال حذيفة رضي الله عنه ياتي على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يامرهم
وينهاهم واوحى الله تعالى الى يوشع ابن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم
فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال عز وجل انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وقال
بلال ابن سعد ان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير فانها تضر بالعامة قال
كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التورية لتقول غير ذلك
قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت
التورية وكذب ابو مسلم وكان عبد الله بن عمر ياتي العمال ثم قعد عنهم قيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون
في انفسهم قال ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي في وان سكت رهبت ان اثم وهذا يدل على
ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه فقال علي
رضي الله عنه اول ما يغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف
القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس وجعل اعلاه اسفله وقال سهل ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به او
نهي عنه وتعلق به عند فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله تعالى في زمانه بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام وانكر احوال الغير بقلبه فهو جار بما هو الغاية في حقه
وقيل للفضيل الا تنهى وتامر فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا من ذلك
وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر ان يسكنه فقد ظهر بهذه الادلة
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع ذلك الا بقيام واحد به فلنذكر الان شروطه
وشروط وجوبه **الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه** اعلم ان الاركان في الحسبة
التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب
فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط **الركن الاول** المحتسب وله شروط وهو ان يكون مسلما مكلفا قادرا
فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز صح ويدخل فيه احاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين لهم ويدخل فيهم الفاسق
والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه **اما الشرط الاول** وهو
التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما
امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا الفعل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله
انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه
ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة فيها وساير القربات وليس حكمه حكم الولايات

حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتنا للعبد ولاحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية
وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل
ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر **واما الشرط الثاني** وهو الايمان فلا يخفى وجه
اشتراطه ايضا لان هذه نصرة للدين فكيف يكون من اهلها من هو جاحد لاصل الدين وعدو له **واما الشرط
الثالث** وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد
على من يامر بما لا يفعله مثل قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم كانت تقرض
شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه وبما روي
ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني
وربما استدلوا به من طريق القياس بان هداية الغير فرع للاهتدا وكذا تقويم الغير فرع للاستقامة والاصلاح
زكوة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل
ما ذكروه خيالات **وانما الحق** ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون
متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة
للصحابة فضلا عمن دونه والانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا كلها والقران يدل على نسبة آدم عليه
الصلوة والسلام الى المعصية وكذا جماعة من الانبيا ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم ينه
عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب مالك ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط
عن الصغاير حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر **فنقول** وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار
فيحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر
وشاربي الخمر وظالمي الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر النبي عليه الصلوة والسلام ولا بعده فان قالوا
نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز
له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق فان قالوا نعم وفصلوا
الامر فيه بان كل مقدم على شيء لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع
الشارب من الزنا والقتل فمن اين يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب هو ويمنع غلمانه
وخدمه وبنيه من الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني بالعصيان باحدهما ان اعصي الله
تعالى بالثاني اذ كان النهي واجبا علي فمن اين وجب سقوطه باقدامي ويستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب
الخمر عليه ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي **فان قيل** فيلزم على هذا ان يقول القايل الواجب علي
الوضوء والصلوة فانا اتوضا وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب السحور والصوم واجب ايضا جميعا
ولكن يقال احدهما مرتب على الاخر وكذلك تقويم الغير مرتب على تقويم نفسه فليبدا بنفسه ثم بمن يعول **والجواب**
ان التسحر يراد للصوم فلولا الصوم لما كان التسحر محبوبا وما يراد لغيره فلا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير
لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب احدهما على الاخر تحكم واما الوضوء
والصلاة فهو لازم فلا جرم ان من توضا ولم يصل كان مؤديا امر الوضوء وكان عقابه اقل ممن ترك الوضوء
والصلاة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه
بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة فاما الحسبة فليس شرطا في الانتهاء والايتمار فلا مشابهة بينهما **فان قيل**

يلزم على هذا ان يقال اذا زنا الرجل بامراة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاخذ
الرجل يحتسب في اثناء الزنى ويقول انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما انا بمحرم لك فاستري
وجهك فهذا احتساب بشع يستنكره قلب كل عاقل ويستبشعه كل طبع سليم فالجواب ان نقول ان الحق قد
يكون شنيعا وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول
قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او حرام او مباح فان قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف
معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم هو مباح فاذا له ان يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة
وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه على الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما
بسبب ارتكابه حرام اخر واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل
بما هو مهم وكما ان الطباع تنفر عن ترك المهم الى ما لا يعني فتنفر عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر
عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الزنا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور
لان شهادة الزور افحش واشد من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيها المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس
لا يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك
ضرره في الاخرة من معصيته اكثر من ضرره من معصية غيره اشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر في الطبع من
حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك
طلب الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئا وما صدر منه من طلب اللجام وليس بمنكر وترك طلب الفرس وهو منكر
والانصراف عن الفرس الى اللجام وهو ايضا منكر وشدة الانكار في هذا الثالث فكذلك حسبة الفاسق تستبعد
من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انه حسبة مستنكرة وثانيهما ان الحسبة تارة تكون بالنهي
بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس
بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه والفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقطت
فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالحجة والفعل
جميعا فاذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فتنفر الطباع
عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة ومع هذا لا يخرج فعله الحسبة عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم
عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معه تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج
من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه
يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الانكار وهو
الوعظي قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا تشترط فيها ذلك فلا حجر
على الفاسق في اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة فاما
الايات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم بالمعروف ولكن امرهم
دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به
الوعد الكاذب وقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث
انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتاكيدا للحجة عليهم وقوله تعالى يا ابن مريم عظ
نفسك الخبر هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله
تعالى فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال

احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا راه يزني لان قوله
لا تزن حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم
بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله
لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه
اذلال للمتحكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا
اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذ لم يقل لا تزن
يعاقب عليه ان راينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يليق بغرضنا
الان الشرط الرابع كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاحاد من الرعية
الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الايات والاخبار التي رويناها تدل على ان كل من راى منكرا فسكت عليه
عصى اين ماراه وكيف ماراه على العموم والتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان
الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام
الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاءوا الى القضاة طالبين لحقوقهم في
دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم
من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر
بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا
فينبغي ان لا يثبت للاحاد من الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه
من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما احاد المسلمين فيستحقون
هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى تفويض الى ما يحتاج فيه كعز التعليم
والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر لجهله لا يحتاج الى اذن
الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي وشرح القول
في هذا ان الحسبة فيها خمس مراتب اولها التعريف وثانيها الوعظ بالكلام اللطيف وثالثها السب والتعنيف
ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف الله وما يجري مثل هذا المجرى ورابعها
المنع بالقهر بطريق المباشرة بكسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من بدنه واستلاب المنديل
المغصوب من راسه ورده على صاحبه وخامسها التخويف والتحذير والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب له
حتى يمتنع عنه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب
وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر الى القتال واما سائر المراتب فلا يخفى وجه
استغنائها عن اذن الامام وفي المرتبة الخامسة نظر سياتي بيانه اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج
الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله تعالى وما يجري مجراه فهو كلام
صدق والصدق مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث واذا جاز الحكم على
الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي والمنع من شرب الخمر فانه تعاطي ما يعرف كونه
حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام فاما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فقد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر
سياتي واستمرار عادة السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل
من امر بالمعروف او نهى عن المنكر فان كان الوالي راضيا به فذلك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار

عليه فكيف يحتاج الى اذنه فى الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف فى الانكار على الائمة كما روى ان مروان
بن الحكم خطب قبل الصلوة فى العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فى العيد فقال لمروان ان تركت ذلك يا
يا فلان فقال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكرا فلينكره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذاك اضعف الايمان ولقد كانوا فهموا من هذه العمومات
دخول السلاطين تحته فكيف يحتاج الى اذنهم وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ فى الطواف
نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت
احق ممن اتاه من البعد والقرب قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه
من جعل لك هذا فنظر فى وجهه وكان يعرفه بانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذه وجيء به
الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة تشنع عليه بها فى العامة فجعله فى اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا
اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس ثم صيره المهدي فى بيت واخذ المهدي
المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل البقل فاذن به المهدي فقال له من اخرجك قال الذي
حبسني فضج المهدي وصاح وقال ما اخاف شيئا ان اقتلك فرفع عبد الله راسه اليه يضحك وهو يقول
لو كنت تملك حيوة او موتا فرده الى الحبس فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة وكان
قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة وكان يعمل فى ذلك حتى نحرها مائة وروى
حيان بن عبد الله قال تنزه الرشيد بالدوميتين ومعه من بني عمه سليمان بن ابي جعفر من بني هاشم فقال هرون
قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال لها ما شانك قالت ليس هذا
عودي فقال للخادم جئها بعودها فذهب فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ
فرفع الشيخ راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض وكسره فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع
فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المومنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون
طلبة امير المومنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل الخادم على هرون فقال اني مررت على شيخ يلقط
النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه وضرب به الارض فكسره فاغتاظ هرون وغضب
واحمرت عيناه فقال له سليمن ابن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المومنين ابعث الى صاحب الربع يضرب
عنقه ويرمي به الدجلة قال لا ولكن نبعث اليه نناظره فجاء الرسول فقال اجب امير المومنين قال نعم قال
اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون اصلح
نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس اخر ليس فيه منكر فقالوا بل نقوم الى مجلس
ليس فيه منكر فقاموا واصغوا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال
له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المومنين فقال من هذا عشائي الليلة ان شاء الله قال نحن نعشيك قال
لا حاجة لي فى عشائكم فقال له هرون اي شيء تريد منه قال فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على امير المومنين
فقال دعه لا يطرحه فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت
وجعل هرون يستحيي ان يقول كسرت عودي فلما اكثر عليه قال الشيخ ان اباءك واجدادك يقرون هذه الاية
على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ورايت منكرا
فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال الي الا حقا فلما خرج اعطى رجلا بدرة وقال له هرون اتبع الشيخ فان رايته
يقول قلت لامير المومنين كذا وقال لي كذا فلا تعطيه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج

من القصر اذا هو بنواه فى الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول امير المومنين خذ هذه
البدرة فقال قل لامير المومنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من الكلام على نواه يعالج
قلعها من الارض وهو يقول ارى الدنيا لمن هي في يديه * هموما كلما كثرت عليه * تهين المكرمين لها بصغر * وتكرم
كل من هانت عليه * اذا استغنيت عن شيء فدعه * وخذ ما انت محتاج اليه * وقال سفين الثوري حج المهدي
فى سنة ست وستين ومائة فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت
وقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن ابن نايل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت تخبط الناس
بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفين الثوري فقال يا سفين لو كان المنصور ما احتملك
على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقى لاقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه
ولم يقل لك يا امير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفين فاختفى وقد روى عن المامون انه بلغه ان رجلا
محتسبا يمشي فى الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عندهم بذلك فامر بان يدخل
عليه فلما صار بين يديه قال له بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك وكان
المامون جالسا على كرسي ينظر فى كتاب او قصة واقفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لا يشعر فقال
المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال ماذا يقول حتى
اعاده ثلثا فلم يفهم فقال اما رفعت او اذنت لي ان ارفع فقال لا اذنت فاومى نحو الكتاب فنظر المامون
تحت قدمه فراي الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال ولم تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا
اهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير
انا اعوانك واولياؤك فيه لا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلوة والسلم قال
الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال النبي
صلى الله عليه وسلم المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت فى الارض وهذا كتاب الله تعالى
وهذه سنة رسول الله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك حرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لهما لزمك
ذمهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن عملا فقل الان ما شئت
فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له ان يامر فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر
عليه الرجل وفى سياق هذه الحكايات بيان الدليل على استغناء هذا الشان عن اذن السلطان **فان قيل**
افتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاد والرعية
على الوالي مطلقا كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاد على التلميذ
والسلطان على الرعية او بينهما فرق **قلنا** ان الذي نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق فى التفاصيل
ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا المحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو
التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف فى التهديد ولا بمباشرة الضرب وهما
الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث يودي الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو ان
يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط من ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد الى الملاك ما يجده فى بيته
من المال الذي غصبه او سرقه او اخذه عن ادرار ورزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه متعينا او يبطل

الصور المنقوشة على حيطانه والمنقوره في خشب بيته او يكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشاوه حبه للباطل وللحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور وزجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا قد يشتد فيه الغضب وليس يجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر **فان قيل** ومن اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة وردعاما من غير تخصيص واما النهي عن التافيف والايذا فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات **فنقول** قد ورد في حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء عن العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يوذيه في مقابلته وقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاوه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاوه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين اكد من ملك النكاح ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة ان تسجد لزوجها وهذا يدل على تاكد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فالامر فيه اشد من الوالد فليس له معه الا التعريف والنصح واما المرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من خزانته ورده الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر الخمور من بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت عن المنكر وقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكل الى اجتهاد منشاوه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لم يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاد فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم هو الاستاد المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلم منه وروي انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت عنه **الشرط الخامس** كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله فيكره معاصيه وينكرها وقال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال **احدها** ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا يجب عليه الحسبة بل ربما يحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلده والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه **الثانية** ان ينتفي المعنيان بان يعلم ان المنكر يترك بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه هي القدرة المطلقة **الثالثة** ان يعلم انه لا يفيد لكنه لا يخاف مكروها فلا يجب الحسبة لعدم فائدتها ولكن يستحب لاظهار شعار الاسلام وتذكير الناس بامر الدين **الرابعة** عكس هذه وهو ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر ان يرمي زجاجة

الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال فيتعطل عليه هذا المنكر ولكنه يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمن الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفا كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملا من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل **فان قيل** فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **قلنا** لا خلاف في ان للمسلم الواحد ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقه في طاعة الله تعالى اي من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء ابن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال عبيدة هو ان تذنب ثم لا تعمل بعده خيرا حتى تهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم اية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقاتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقادهم في ساير المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فيكسر به شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في دفع المنكر او كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين فاما ان راى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى للحسبة فيها وجها وهو عين الهلاك فان المفهوم من الحسبة ان يوثر في الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له في الدين بل ينبغي ان يكون حراما وانما يستحب الانكار اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه وحده فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل يحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضي ذلك الى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شي بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك ان يكون مع الانسان مثلا شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقته ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكر واما شرب الاخر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسايل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر المعين والمنكر الذي يفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره لياكلها وعلم انه لو منع من ذلك لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان او قطع طرفه يحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقايق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقايق نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتاكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس هو لها اهلا لقصور معرفته او قصور ديانته فيودي الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك **فان قيل** وحيث اطلقتم القول بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيده حسبته فلو كان بدله ظن فما حكمه **قلنا** الظن الغالب في هذه الابواب في معنى العلم

وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم ان ترجح العلم اليقين على الظن ويفرق بين العلم والظن في موضع آخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعًا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهًا فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقع وعمومات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمأمور فاذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فاما اذا لم يكن يأس فينبغي ان لا يسقط الوجوب **فان قيل** فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنًا ولا معلومًا بغالب الظن ولكن كان مشكوكًا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند التيقن بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه **قلنا** ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب فاما مجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان وهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعًا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه او ظن انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرًا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف **فان قيل** فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبًا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى انه لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل **قلنا** التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة قد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جراءته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالمًا بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل وضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفًا حتى يصير معتادًا اذ المبتدئ في المناظرة والوعظ مثلًا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس ذلك واعتاده فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريًا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على راي لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر في وجوب الحسبة **فان قيل** فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالتعنيف بالغيبة وما من شخص يأمر بالمعروف الا ويتوقع منه نوعًا من الاذى وقد يكون منه ان يكره السعي به الى سلطان لو يقدح فيه في مجلس من يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به **قلنا** هذا ايضًا نظر غامض وصورة منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه **فنقول** المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة امور اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذن المطلوب

العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك القلوب من الناس كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة وسياتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه في ربع المهلكات ان شاء الله وكل واحد من هذه الاربع يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل وزواله وتعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصًا في ترك الامر بالمعروف اصلًا ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة **اما** العلم فمثاله ترك الحسبة على من يختص باستاذه خوفًا من تقبيح حاله عنده فيمتنع من تعليمه **واما** الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلًا وهو لابس حرير خوفًا ان يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحة المنتظرة **واما** المال فترك الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل ويترك مواساته **واما** الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاهًا في المستقبل خوفًا من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررًا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء الا ما يتحقق اليه الحاجة ويكون في فواتها محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجًا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تاخيره شدة الضنى وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلًا بمهمات دينه ولا يجد الا معلمًا واحدًا ويعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعًا له او مستمعًا لقوله فان الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي اليقين في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعًا فهذا ايضًا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص في السكوت واما الجاه فهو ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلًا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من السلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير ويشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم ان الله تعالى يطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء او خير محضرًا عند الله تعالى ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور فما الله بظلام للعبيد **واما القسم الثاني** وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة

فكذلك

الجميع ما في الدنيا من المطالب ح

ولا قدرة له على الرحلة الى غيره ح

والمال والجاه وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في العقبى فلا انقطاع
له ابدا الاباد واما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مولما يتاذى به في الحسبة
لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجروح والقطع
والقتل اظهر واما الثروة فهو بان يعلم بانه ينهب داره ويخرب بيته ويسلب ثيابه وهذا ايضا يسقط
عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا باس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد
في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المها في الضرب وحد في الكثرة ينبغي اعتبارهما وسط
يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يشتهد فيه ويترجح جانب الدين ما امكن واما الجاه
ففواته بان يضرب ضربا غير مولم بالبدن او يسب على ملا او يطرح منديله في رقبته ويدار في البلد ويسود
وجهه ويطاف وكل ذلك من غير ضرب مولم للبدن وهو قادح في الجاه ومولم للقلب وهذا له درجات والصواب
ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروة كالطوف في البلد حافيا حاسرا وهذا يرخص في السكوت واما
لان المروة مامور بحفظها في الشرع وهذا مولم للقلب الما يزيد على الم ضربات معدودة وعلى فوات دريهمات
قليلة والى ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيول
فلو علم انه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها او كلف المشي راجلا وعادته الركوب
فهذا من جملة المزايا ولبس المواظبة على حفظها محموده وحفظ المروة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة
بمثل هذا العذر وفي معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة
الى الريا والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه
التي ليس اليها كثير حاجه ولو تركت الحسبة للوم لايم او باغتياب فاسق او شتم فحاش او تعنيف جبار او
سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة وجوب اصلا اذ لا ينفك الحسبة عنه الا اذا كان المنكر
هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت عن المغتاب ولكن اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فيحرم هذه الحسبة
لانه سبب لزيادة المعصية ولو علم انه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا يجب عليه لان غيبته ايضا
معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور لعرض نفسه على سبيل الايثار وقد
دلت العمومات على تاكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره
والمال والنفس والمروة قد ظهر في الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء
الخلق وكل ذلك لا خطر له واما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في حقه
دونه لان تاذيه بامر نفسه اشد من تاذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه ولان يسامح في حقوقه وليس
له المسامحة في حق غيره فاذا ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب
والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى منكر فان كان لا يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء المسلم
ايضا فليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يودي ذلك الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له
اقارب اغنيا فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منهم بواسطته
فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركه فان اذى المسلمين محذور كما ان السكوت محذور
نعم ان كان لا ينالهم اذى في مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه
بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض **فان**
قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يودي الى قتله فهل له ان يقاتله

خوفه

دفع

علا المنكر

عليه

عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف
ايضا **قلنا** يمنعه عنه ويقاتله اذ ليس غرضنا حفظ النفس وطرفه بل الغرض حسم سبل المنكر والمعصية
وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطعه طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل عن مال مسلم بما ياتي على
قتله فانه جائز لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن دفع المعاصي
فان قيل فلو علمنا انه لو خلا بنفسه قطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله في الحال حسما لباب المعصية **قلنا** ذلك
لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رايناه في حال مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا
قاتلناه ولم نبال بما ياتي على روحه فاذا المعصية لها ثلثة احوال **احدها** ان تكون متصرمة فالعقوبة
على ما تصرم منها حدا وتعزيرا وهو الى الولاة لا الى الاحاد **الثانية** ان تكون المعصية راهنة وصاحبه
مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب وكل ما يمكن ما لم يود الى معصية
افحش منها او مثلها وذلك يثبت للاحاد من الرعية ايضا **الثالثة** ان تكون متوقعة كالذي يستعد لكنس
المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عايق
فلا يثبت للاحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز
لا للاحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية معلومة منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب الذي
اليه يودي ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك لوقوف الاحداث على ابواب
حمامات النسا للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم يمنعون من ذلك وان يضيقوا الطريق لسعته فيجوز
الحسبة عليهم باقامتهم من المواضع ومنعهم من الوقوف بالضرب والتعنيف وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه
يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان الخلوة بالاجنبية في نفسها
معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان بها
لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية
منتظرة **الركن الثاني** للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه
منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث عنها **الاول** ذلك كونه منكرا ونعني به ان يكون محذور الوقوع
في الشرع وعدلنا من لفظ المعصية الى هذا لان المنكر اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب الخمر
فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا ان راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش
صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية
في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم
هذا الصغيرة والكبيرة فلا يختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر
الى النسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغاير ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سياتي في كتاب
التوبة ان شاء الله تعالى **الشرط الثاني** ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب
الخمر فان ذلك ليس للاحاد بعد انقراض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه
عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه الا بالوعظ فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة
ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدر على ما عزم عليه لعايق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان
الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النسا وما يجري مجراه **الشرط الثالث** ان يكون المنكر
ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصيته في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه

قصده لاخذ مال المسلمين معصية
وقتله في الدفع عن المعصية ليس
بمعصية وانما المقصود م

وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك
روي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال الرجل يا امير المومنين ان كنت عصيت
الله تعالى من وجه فقد عصيته من ثلثة اوجه فقال ما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال
الله تعالى واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال سبحانه لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر رضي الله عنهما وشرط عليه التوبة وكذلك شاور الصحابة وهو على المنبر
وسالهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد واشار علي كرم الله وجهه بان ذلك منوط بعدلين
ولا يكفي فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم على المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها
فان قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه
لتعرف المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت
بحيث جاوزت حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسرها وكذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى
بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا انما يدرك مع تخلل
الحيطان صوت او رايحة فاذا فاحت روايح الخمر فان احتمل ان تكون من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها
بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر
قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا روي فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر
بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر اذ الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره فلا يجوز ان يستدل
باخفائه انه لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفا مما تكثر وتختلف فان كانت الرايحة فايحة فهذا
محل النظر والظاهر ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور وكذا
العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرايحة والصوت وما ظهرت
دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستره الله وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء
له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة اللمس ولا
يمكن ان يخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم فاذا انما يجوز ان يكشف ما
تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات
المعرفة فالامارات المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارات المعرفة فلا
رخصة فيه اصلا **الشرط الرابع** ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه
فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ
الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري
الاجتهاد نعم لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطا زوجته فهذا في محل النظر والاظهر
ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب من المحصلين احد الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا
ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه افضل العلما ان له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب
اطيبها عنده واسهلها عليه بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا
بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو انه يجوز للحنفي ان يعترض
على الشافعي اذا نكح بغير ولي اذ يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك
ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان لم يكن صوابا عند الله تعالى

وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول اما ان تعتقد
ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر آخر في المحسوسات وهو ان يجامع
الاصم مثلا امراة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امراته زوجه ابوه اياها في صغره ولكنه ليس يدري وعجز
عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها اجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار
الاخرة فينبغي ان يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال له في علم الله عز وجل قريب من حيث انه
حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشية او غضب
او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا
رآه يجامعها فعليه المنع اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلثا
وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا
انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم
من عكس هذا ان يقال كل ما ليس بمنكر عند الله تعالى وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الاظهر
والعلم عند الله تعالى فيحصل من هذا ان الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وان الشافعي يعترض
على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسايل فقهية دقيقة والاحتمالات
فيها متعارضة وانما افتينا فيها بحسب ما يترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطا المخالف فيها وان راى راي انه
لا يجري الاحتساب الا في معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما
يقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يوثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في القبلة
ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره اذ ربما يظن
غيره ان الاستدبار هو الصواب وراي من يرى انه يجوز لكل مقلد ان يختار من هذه المذاهب ما اراد غير معتد
به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت فان ثبت فلا يعتد به **فان قلت** اذا كان
لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فلا ينبغي ان لا يعترض على المعتزلي في قوله ان الله تعالى لا
يرى ولا في قوله ان الخير من الله والشر ليس من الله تعالى وفي قوله كلام الله سبحانه مخلوق ولا على الحشوي في قوله ان الله
تعالى جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا ينبغي على الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس
لان هولاء ايضا ادى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق فان قلت بطلان مذهب هولاء ظاهر
فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر وكما يثبت بظواهر النصوص ان الله تعالى يرى والمعتزلي
ينكرها بالتاويل فكذلك يثبت بظواهر النصوص مسايل خالف فيها الحنفي كمسئلة النكاح بلا ولي ومسئلة شفعة
الجوار ونظايرها **فاعلم** ان المسايل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل
والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطاؤهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان لا يكون
المصيب فيه الا واحدا كمسئلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار على العرش وغيرها
وهذا مما يعلم خطا المخطي فيه قطعا فلا يبقى لخطائه الذي هو جهل محض عذر فاذا البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها
وينكر على المبتدعين بدعتهم وان اعتقدوا انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان
ذلك حق لان خطاهم معلوم على القطع بخلاف الخطا في مظان الاجتهاد **فان قلت** فمهما اعترضت على القدري
في قوله الشر ليس من الله تعالى اعترض عليك القدري ايضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله تعالى
يرى وفي ساير مسايلك اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا

بلغ المقابله

ان يعترض صح

فكيف يتم الاحتساب **فاعلم** انا لاجل هذا التعارض نقول ننظر الى البلد التي فيها ظهرت تلك البدعة فان كانت
البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل البدعة
واهل السنة وكان في الاعتراض تحريك الفتنة بالمقابلة فليس للاحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب السلطان
فاذا راي السلطان الراي الحق ونصره واذن فيه لواحد ان يزجر المبتدع على اظهار البدعة كان له ذلك وليس
هو لغيره فانما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الاحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة
في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي ان يراعي فيه هذا التفصيل الذي ذكرناه لئلا يتقابل الامر
ولا يجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بان القران مخلوق وان الله تعالى
لا يرى او انه مستقر على العرش مماس له او غير ذلك من البدع تسلط الاحاد على المنع منه ولم يتقابل الامر فيه
وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط **الركن الثالث** المحتسب عليه وشرطه بصفة يصير الفعل الممنوع
منه في حقه منكرا ولعله يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي لو شرب الخمر
منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بالمجنونة
او ياتي بهيمة وجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره
ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح
وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها يتهيأ لتوجه اصل الانكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل **فان قلت**
فاكتف بكونه حيوانا ولا يشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا للانسان لكنا نمنعها منه كما نمنع
المجنون من الزنا واتيان البهيمة **فاعلم** ان تسمية ذلك حسبة لا وجه لها اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر
لحق الله تعالى وصيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة لحق الله تعالى صيانة
للممنوع وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى
فان فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احديهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه
فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه باذنه فتثبت الحسبة والمنع باحدي العلتين والبهيمة اذا
اتلفت فقد عدمت المعصية ولكن ثبت المنع باحدي العلتين ولكن فيه دقيقة وهي انا لسنا نقصد باخراج
البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت نجاسة او ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ماء مشوب
بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والخبائث ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا
على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا وحفظ ذلك المال حتى لو وقعت جرة خمر من علو لانسان وتحتها قارورة
لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط فانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من ان تصير كاسرة
للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة بالبهيمة المانية او الخمر المشروبة
بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث انه محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون
فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وفي
غير ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث **فان قلت** فكل من راى بهائم قد استرسلت في زرع انسان
فهل يجب عليه اخراجها وكل من راى مالا لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه فان قلتم ان ذلك
واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب
الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير **فنقول** هذا بحث دقيق غامض
والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله

او نفس

او نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلمين بعضهم على بعض بل هو اقل درجات
الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى
في هذا اكثر من الاذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده
شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل
دفع لا ضرر على الدافع فيه فاما ان كان عليه خوف او ضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي في منفعة
بدنه وفي ماله وفي جاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل
المسلمين فهو قربة فاما ايجابها فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه ولكن اذا كان لا يتعب
بتنبيه صاحب الزرع وهو نائم او باعلامه وهو غافل يلزمه ذلك فاهمال تعريفه بالتنبيه تعريفه وتنبيهه كاهمال
تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع
من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيرجح جانبه لان الدرهم الذي
هو له يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف فلا سبيل للمصير الى ذلك فاما اذا كان فوات المال
بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع فيه وان كان فيه تعب ما لان المقصود
حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه في ترك
المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه
احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في
مسئلتين تقرب من غرضنا وهي ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع
في الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل ويقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او
تترك كما لو كان في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان كان في مضيعة نظر فان
كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط
لحق المال وحقه بكونه انسانا محترما والملتقط ايضا انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره
لاجله وان كان ذهبا او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا بمجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل الوجهين
فقائل يقول التعريف والقيام بشروطه سنة تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلزمه حينئذ طلبا
للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين وينزل هذا منزلة
تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلد اخر الا ان يتبرع به فاذا كان دار القاضي في
جواره لزمه وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان في الطرف
الاخر من البلد واحوج الى الحضور في الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فاذا الضرر
الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك
في انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي
ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين اجزائها المتقاربة لكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه
الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل **الركن الرابع** نفس الاحتساب وله درجات وآداب
اما الدرجات فاولها التعرف **ثم** التعريف **ثم** النهي **ثم** الوعظ والنصح **ثم** السب والتعنيف **ثم** التغيير
باليد **ثم** التهديد بالضرب **ثم** ايقاع الضرب وتحقيقه **ثم** شهر السلاح **ثم** الاستظهار فيه بالاعوان
وجمع الجنود **اما الدرجة الاولى** وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس

المصايب
السعي في ذلك ح
الذي
الحضور ح

الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر
ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما جرى في داره نعم لو اخبره عدلان
ابتداء من غير استخبار ان فلانا يشرب الخمر في داره او بان في داره خمرا اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره
ولا يلزمه الاستيذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب للمنع مهما
احتاج اليه وان اخبره عبدان او عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم
فيه نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه
الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل حدا فيه وقد قيل انه كان نقش خاتم لقمن عليه السلام هذا الستر لما عاينت
احسن من اذاعة ما ظننت **الدرجة الثانية** التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم لجهله فاذا عرف انه منكر
تركه كالسوادي يصلي ولا يتم الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليس بصلوة ولو رضي بان لا يكون
مصليا لترك اصل الصلوة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق
والتجهيل ايذاء وقل ما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور الدينية لا سيما بالشرع وكذلك ترى الذي
يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطاء والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة
من ان تنكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في
صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من
البدن فقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة ولم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره
ازالته وتحسينه والجهل قبيح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تالم الانسان بظهور جهله
ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة موذيا للقلب
فلا زم ان يعالج اذاه بلطف الرفق فيقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلوة
فعلمنا العلماء ولعل قريتك او محلتك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلوة وايضاحها انما شرط
الصلوة الطمانينة في الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام
محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذور السكوت
على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا
وقفت على خطاء في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت
انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا **الدرجة الثالثة** النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم
على الامر وهو عالم بكونه منكرا وفيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب او على الظلم
او على اغتياب المسلمين او ما يجرى مجريه فينبغي ان يوعظ او يخوف بالله تعالى وتورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد
فيها وبان تحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه
نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وهاهنا آفة عظيمة
ينبغي ان تتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد
بالتعريف الاذلال واظهار التميز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث
هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره عن النار
باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان ان يتدلى بحبله كل انسان الا
من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من

عدلان

وجهين احدهما من جهة دالة العلم والاخرى من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب
الجاه وهو الشهوة الخفية المتداعية الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو
ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان
كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان
اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو في وعظه واحتسابه
الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله عز وجل فيه وليحتسب اولا
على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى صلوات الله عليه يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي ارايت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر
قال اخاف عليه السوط قيل انه يقوى عليه قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى عليه قال اخاف عليه الداء الدفين
وهو العجب **الدرجة الرابعة** السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع
باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك كقوله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته
ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله عز وجل
وكقوله يا سوادي يا غبي يا ابله وما يجري مجراه فان كل فاسق فهو احمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى
بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الاماني ولهذه الرتبة ادبان
احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل
فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة
ليست تزجره فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازراء بمحله لاجل معصيته
وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر فاظهر الكراهية بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان
يقطب وجهه ويظهر الانكار به **الدرجة الخامسة** التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي وازالة الصور واراقة
الخمر وخلع الحرير من راسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله
واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما يشبه ذلك ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعضها
فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي
وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه
ذلك فاذا امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان يدفعه ويجره واذا
قدر على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل زرور ثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف
على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفي الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني
ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على
جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق الثوب الحرير بل يحل زروره فقط ولا يحرق الملاهي
والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحها للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حال يحتاج في
استيناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستيناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمر يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه
سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار

حايلا بيننا وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجراح لنتوصل الى اراقة الخمر
فاذا لا تزيد حرمة ملكه فى الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر فى قوارير ضيقة الروس ولو اشتغل باراقتها طال
الزمان وادركه الفساق فمنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق ومنعهم ولكن كان يضيع فيه
زمانه ويتعطل عليه اشتغاله فله ان يكسرها ايضا فليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف
الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فكسر لزمه الضمان **فان قيل** فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز
الجر بالرجل فى الاخراج عن الارض المغصوبة ليكون ابلغ فى الزجر **قلنا** ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة
تكون على الماضى والدفع يكون عن الحاضر الراهن وليس الى احاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام
فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك امر الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالى له ان يفعل ذلك اذا
راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التى فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديد واذ راى الوالى باجتهاده مثل
ذلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لاحاد الرعية **فان قلت**
فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصى باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التى فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم
التى بها يتوصلون الى المعاصى **فاعلم** ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن الصلاح والمصالح ولكنا
لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة
لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها فانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد
الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاوانى بعدها بل جاز كسرها تبعا
للخمر فاذا خلت عنها فكسرها اتلاف مال الا ان يكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها وكان الفعل المنقول
عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والاخر تبعية الظروف للخمر التى هى
مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راى صاحب الامر
لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغاية فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج
المحتسب لا محالة الى معرفتها **الدرجة السادسة** التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او
لاضربن رقبتك او لامرن بك وما اشبهه وذلك ينبغى ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب
فى هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين
زوجتك وما يجرى مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله من غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض
لوعيد بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد فى الوعيد على ما هو
عزمه الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة فى مثل ذلك معتادة
وهو فى معنى مبالغة الرجل فى اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة
وهذا فى معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار بعض الناس انه لا يقبح من الله تعالى
ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف فى الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد وعدا لا يفعل وهذا غير مرضى عندنا فان
الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا فى حق العباد وهو كذلك اذ الخلف
فى الوعيد ليس بحرام **الدرجة السابعة** مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح
وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغى ان يكف والقاضى
قد يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضى قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله

ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعى التدريج فان احتاج الى شهر سلاح
وكان يقدر به على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او
كان يضرب بمزمار معه وهو ليطرب به وبينه وبين المحتسب نهر حايل او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول له خل
عنها والا رميتك فان لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغى ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ ويراعى فيه
التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع المنكر ودفعه واجب
بكل حال ممكن ولا فرق فى ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله تعالى وما يتعلق بالآدميين وقال المعتزلة ما لا
يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيها الا بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للاحاد **الدرجة الثامنة** ان لا
يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدى الى ان
يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف فى احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد
الرعية بذلك لانه يؤدى الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن
وهو الاقيس لانه اذا جاز للاحاد الامر بالمعروف واوايل درجاته يتجر الى ثوانيه وقد ينتهى لا محالة الى التضارب
والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغى ان يبالى بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود فى طاعة الله تعالى
ورضاه ودفع معاصيه ونحن نجوز لاحاد الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر
وكذلك قمع اهل الفساد جايز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد وكذلك الفاسق المناضل
عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل ظلما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر فى الحسبة
فلا يغير به قانون القياس بل يقال ان كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وسلاحه وبنفسه و
باعوانه فالمسئلة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر آدابها **واما آداب المحتسب** فقد ذكرنا تفاصيل
الآداب فى آحاد الدرجات ونذكر الان جملها ومصادرها **فنقول** جميع آداب المحتسب مصدرها ثلث صفات العلم
والورع وحسن الخلق **اما العلم** فيعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه **واما
الورع** ليردعه عن مخالفة معلومة فلا كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزايد على الحد الماذون
شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكون كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يستهزا به اذا احتسب ويورث
ذلك جراءة **واما حسن الخلق** فليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفى فيه
فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه ما لم يكن فى الطبع قبول بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم
الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه فى دين الله تعالى
والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه
ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلثة بها تصير الحسبة من القربات وبها يندفع المنكرات وان فقدت
لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم
لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما
يامر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به وينهى عنه وكذا الحلم وقال
الحسن اذا كنت ممن تامر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل لا تلم المرء على فعله وانت منسوب الى مثله
من ذم شيئا واتى مثله فانما يزرى على عقله ولسنا نعنى بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن
يسقط اثره عن القلوب بظهوره للناس وقد روى عن انس قال قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر

وان لم تجتنبوا كله واوصى بعض السلف بنيه وقال ان اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق
بالثواب من الله تعالى فمتى وثق بالثواب لم يجد مس الاذى فاذا من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك
قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال تعالى حاكيا عن لقمن عليه السلام يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور **ومن آداب المهمة** في الحسبة تقليل العلايق حتى
لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلايق حتى يزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان
ياخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار واخرج السنور
ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك
الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فان من لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع
في ان يكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم بالثناء عليه منطلقة لم يتيسر له الحسبة قال كعب لابي مسلم الخولاني
كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال كعب ان التورية تقول غير ذلك قال وما تقول التوراة قال تقول
ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر سارت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التورية وكذب ابو مسلم
ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المامون اذ وعظه واعظ له وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث
الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن
اقتداء المحتسب في الرفق بالانبيا صلوات الله عليهم فقد روي ابو امامة ان شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال عليه الصلوة والسلام اقربوه اذن فدنا حتى جلس
بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه
لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر
العمة والخالة وهو يقول في كل واحد لا جعلني الله فداك وهو عليه الصلوة والسلام يقول كذلك الناس لا يحبونه
وقالا جميعا في حديثهما اعني ابا امامة وابن عوف رضي الله عنهما فوضع عليه الصلوة والسلام يده على صدره
وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه من الزنا وقيل للفضيل ان سفين
بن عيينة قبل جوايز السلطان فقال الفضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفين يا ابا علي
ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل اسبل ازاره فهم اصحابه
ان ياخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال
احب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم
وقال محمد بن زكريا العلابي شهدت عبد الله بن محمد بن عايشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد
منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امراة فجذبها واستغاثت فاجتمع عليه الناس يضربونه
فنظر اليه ابن عايشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي فاستحيى الغلام فجاء الغلام اليه
فضمه الى نفسه ثم قال امض معي فمضى معه حتى صار به الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك
فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تاتيني به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحيى منه
وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد امر ان تاتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما استحييت
لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت عليه فبكى الغلام منكسا راسه ثم رفع راسه وقال عاهدت الله
تعالى عهدا يسالني عنه يوم القيمة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وانا تايب فقال ادن مني
فدنا منه فقبل راسه وقال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك بركة

علانيا

رفقه

رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون معروفهم منكرا عليكم بالرفق في جميع اموركم تنالوا به ما
تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامراة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنوا منه احد الا عقره وكان
الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمراة تصيح من يده اذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكتف
الرجل فوقع الرجل الى الارض ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومرت المراة بحالها فسالوه
ما حالك فقال ما ادري ولكني حاكني شيخ وقال لي ان الله عز وجل ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت لقوله قدمي
وهبته هيبة شديدة لا ادري من ذلك الرجل فقالوا له ذلك بشر بن الحارث فقال واسوأتاه كيف ينظر
الي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت سيرة اهل الدين في الحسبة وادابهم فيها
وقد نقلنا فيها اخبارا واثارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب اداب الصحبة في امثال هذه اللطايف
والاداب فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وادابها والله الموفق **الباب الثالث**
في المنكرات المالوفة في العادات نشير بها الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها
فمن ذلك **منكرات المساجد** اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان
المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة
حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا انه منكر محظور او قلنا انه منكر مطلقا فنريد بهما ما ارتكابه
حرام فيكون السكوت عليه مع القدرة حراما والانكار عليه والنهي عنه بقدر الاستطاعة واجبا **فمنها** ما يشاهد
كثيرا في المساجد اساءة الصلوة بترك الطمانينة في ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلوة بنص الحديث
فيجب النهي عنها الا الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلوة اذ لا ينفع النهي معه ومن راى مسيئا في صلاته
فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد الاثر وفي الخبر ايضا ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القايل
وكذلك كلما يقدح في صحة الصلوة من نجاسة على ثوبه وهو لا يريها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل
ذلك يجب الحسبة فيه **ومنها** قراءة القران باللحن فيجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف
في المسجد يضيع اكثرا وقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن تطوعه والذكر فليشتغل به فان هذا افضل من ذكره
وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فايدتها فهي افضل من نافلة تقتصر عليه فايدتها وان كان ذلك يمنعه
من الوراقة مثلا او عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك
الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان كان يحتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فسقط الوجوب عنه لعجزه
والذي يكثر اللحن في القران ان كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه
اللسان فان كان اكثر ما يقراه لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم فاتحة الكتاب وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس
يقدر على التسوية فلا باس عليه ان يقرا ولكن ينبغي ان يخفض صوته حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه
ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به باسا والله اعلم **ومنها** تراسل
المؤذنين في الاذان وتطويلهم في مد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين وانفراد كل واحد
باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع الاذان الاخر بحيث يضطرب على السامعين جواب الاذان لتداخل
الاصوات وكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها
وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه فان ذلك مشوش للصوم والصلوة
على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في الصلوة وترك التسحر وكان معه مؤذن
اخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح **ومنها** تكرير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الصبح في مسجد واحد

محظورا

فی اوقات متعاقبة متقاربة امام واحد او من جماعة فانه لا فایدة فیه اذا لم یبق فی المسجد نایم ولم یکن الصوت
مما یخرج عن المسجد حتی ینبه غیره فکل ذلك من المکروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف **ومنها** ان
یکون الخطیب لابسا الثوب اسود یغلب علیه الابریسم او ممسکا بسیف مذهب فهو فاسق والانکار علیه
واجب فاما مجرد السواد فلیس بمکروه ولکنه لیس بمحبوب اذ احب الثیاب الی الله تعالی البیض ومن قال انه
مکروه او بدعة اراد به انه لم یکن معهودا فی العصر الاول ولکن اذا لم یرد فیه نهی فلا ینبغی ان یسمی بدعة ومکروها
ولکنه ترك الاحب **ومنها** کلام القصاص والوعاظ الذین یمزجون بکلامهم البدعة فاما القاص ان کان یکذب
فی اخباره فهو فسق والانکار علیه واجب وکذا الواعظ المبتدع یجب منعه ولا یجوز حضور مجلسه الا علی
قصد الانکار والرد علیه اما للکافة ان قدر علیه او لبعض الحاضرین حوالیه فان لم یقدر فلا یجوز سماع البدعة
قال الله تعالی لنبیه علیه الصلوة والسلام فاعرض عنهم حتی یخوضوا فی حدیث غیره ومهما کان کلامه مائلا الی الارجاء
وتجرئة الناس علی المعاصی وکان الناس یزدادون بکلامه جراءة وبعفو الله ورحمته وثوقا ویزید بسببه رجاؤهم
علی خوفهم فهو منکر ویجب منعه منه لان فساد ذلك عظیم بل لو رجح خوفهم علی رجائهم فذلك اقرب وبطباع اهل
العصر الیق فانهم الی الخوف احوج وانما العدل تعدیل الخوف والرجاء کما قال عمر رضی الله عنه لو نادی منادی
یوم القیمة لیدخل النار کل الناس الا رجل واحد لرجوت ان اکون انا ذلك الرجل ولو نادی منادی لیدخل
الجنة کل الناس الا رجل واحد لخفت ان اکون ذلك الرجل ومهما کان الواعظ شابا متزینا للنساء فی ثیابه وهیئاته
کثیر الاشعار والاشارات والحرکات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منکر یجب المنع منه جدا فان الفساد فیه
اکثر من الصلاح ویتبین ذلك منه بقراین احواله بل لا ینبغی ان یسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع وهیئاته
السکینة والوقار وزیه زی الصالحین والا فلا یزداد الناس به الا تمادیا فی الضلال ویجب ان یضرب بین
الرجال والنساء حایل یمنع من النظر فان ذلك ایضا مظنة الفساد والعادات تشهد بهذه المنکرات ویجب
منع النساء من حضور المساجد للصلوة ولمجالس الذکر اذا خیفت الفتنة بهن فقد منعتهن عایشة رضی الله
عنها فقیل لها ان النبی صلی الله علیه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم علیه الصلوة والسلام ما احدثن بعده
لمنعهن کما منعت نساء بنی اسرائیل فاما اجتیاز المراة بالمسجد متسترة فلا تمنع منه الا ان الاولی ان لا تتخذ
المسجد مجازا اصلا وقراءة القران بین یدی الوعظ مع التمدید والالحان علی وجه یغیر نظم القران ویجاوز
حد الترتیب منکر مکروه شدید الکراهة انکره جماعة من السلف **ومنها** الجلوس یوم الجمعة لبیع الادویة
والاطعمة والتعویذات وکقیام السؤال وقراءتهم الاشعار وانشادهم وما یجری مجراه فهذه منها ما هو محرم
لکونه تلبیسا وکذبا کالکذابین من طرقی الاطباء وکاهل الشعبذة والتلبیسات وکذلك ارباب التعویذات فی
الاغلب یتوصلون الی بیعها بتلبیسات علی الصبیان والسوادیة فهذا حرام فی المسجد وخارج المسجد ویجب
المنع منه بل کل بیع فیه کذب وتلبیس واخفاء عیبه علی المشتری فهو حرام فی المسجد وخارج المسجد **ومنها**
ما هو مباح خارج المسجد کالخیاطة وبیع الادویة والکتب والاطعمة فهذا فی المسجد ایضا لا یحرم الا بعارض
وهو ان یضیق المکان علی المصلین ویشوش علیهم صلوتهم فان لم یکن شیء من ذلك فلیس بحرام ولکن الاولی
ترکه وشرط اباحته هذه فی المسجد ان یجری فی اوقات نادرة وایام معدودة فاما اذا اتخذ المسجد دکانا علی
الدوام فیحرم ویجب عنه المنع فمن المباحات ما یباح بشرط القلة فان کثر صار صغیرة کما ان من الذنوب
ما یکون صغیرة بشرط عدم الاصرار فان کان القلیل من هذا لو فتح بابه خیف ان ینجر الی الکثیر فلیمنع منه
ولکن هذا المنع الی الوالی او الی القیم بمصالح المسجد من جهة الوالی لانه یدرك ذلك بالاجتهاد ولیس للاحاد

المنع

المنع مما هو مباح فی نفسه لخوفه ان ذلك مما یکثر **ومنها** دخول المجانین والسکاری والصبیان فی المسجد
ولا باس بدخول الصبی المسجد اذا لم یلعب ولا یحرم علیه اللعب فی المسجد ولا السکوت علی لعبه الا ان یتخذ
المسجد ملعبا ویصیر ذلك عادة له فیجب المنع منه فهذا ایضا مما یحل قلیله دون کثیره ودلیل حل قلیله حدیث
عایشة وما ذکر من زفن الحبشة فی المسجد یوم العید بالحراب والدرق ولا شك فی ان الحبشة لو اتخذوا المسجد
ملعبا لمنعوا منه ولم یر ذلك صلی الله علیه وسلم علی الندور والقلیل منکرا حین نظر الیهم بل امرهم به لاجل نظر عایشة
وتطییبا لقلبها اذ قال علیه الصلوة والسلام دونکم یا بنی ارفدة کما نقلناه فی کتاب السماع واما المجانین فلا
باس بدخولهم المسجد ایضا الا ان یخشی تلویثهم او شتمهم ونطقهم بما هو فحش او تعاطیهم لما هو منکر فی صورته
ککشف العورة وغیره فاما المجنون الهادی الساکن الذی علم بعادته سکوته وسکونه فلا یجب اخراجه من المسجد
والسکران ایضا فی معنی المجنون فان خیف منه القذف اعنی القیء والایذاء باللسان وجب اخراجه
وکذا ان کان مضطرب العقل فانه یخاف ذلك منه وان کان قد شرب ولم یسکر والرایحة تفوح منه
فهو منکر مکروه شدید الکراهة وکیف لا ومن اکل الثوم والبصل فقد نهاه علیه الصلوة والسلام عن حضور
المساجد ولکن یحمل ذلك علی الکراهة فالامر فی الخمر اشد **فان قیل** ینبغی ان یضرب السکران ویخرج عن المسجد
زجرا **قلنا** لا بل ینبغی ان یلزم القعود فی المساجد ویدعی الیه ویامر بترك الشرب مهما کان فی الحال عاقلا
فاما اذا ضربه للزجر فلیس ذلك للاحاد بل هو الی الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدین فاما
بمجرد الرایحة فلا بل اذا کان یمشی بین الناس متمایلا بحیث یعرف سکره فیجوز ضربه فی المسجد وغیر المسجد
منعا له عن اظهار اثر السکر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصی یجب ترکها وبعد الفعل یجب سترها
وستر آثارها وان کان مستترا مخفیا لاثره فلا یجوز ان یتجسس علیه والرایحة قد تفوح من غیر شرب بالجلوس
فی موضع الخمر وبوصوله الی الفم دون الابتلاع فلا ینبغی ان یعول علیه **منکرات الاسواق** من المنکرات المعتادة
فی الاسواق الکذب فی المرابحة واخفاء العیب فمن قال اشتریت هذه السلعة مثلا بعشرة وقد بعته بربح
درهم وهو کاذب فهو فاسق وعلی من عرف ذلك ان یخبر المشتری بکذبه فان سکت مراعاة لقلب البایع کان
شریکا له فی الخیانة وعصی بسکوته وکذا اذا علم به شیئا من عیب فیلزمه ان ینبه المشتری علیه والا کان راضیا
بضیاع مال اخیه المسلم وهو حرام وکذا التفاوت فی الذراع والمکیال والمیزان علی کل من عرفه تغییره بنفسه
او رفعه الی الوالی حتی یغیره وکذا ترك الایجاب والقبول والاکتفاء بالمعاطاة ولکن ذلك فی محل الاجتهاد
فلا ینکر الا علی من اعتقد وجوبه وکذا فی الشروط الفاسدة المعتادة بین الناس یجب الانکار فیها فانها مفسدة
للعقود وکذا فی الربویات کلها وهی غالبة وکذا سایر التصرفات الفاسدة وکذا بیع الملاهی وبیع اشکال
الحیوانات المصورة فی ایام العید وغیرها لاجل الصبیان فذلك یجب کسرها والمنع من بیعها کالملاهی وکذلك
بیع الاوانی المتخذة من الذهب والفضة وکذا بیع ثیاب الحریر وقلانس الذهب والحریر واعنی بالحریر الذی
لا یصلح الا للرجال ویعلم بعادة البلد انه لا یلبسه الا الرجال فکل ذلك منکر محظور وکذا بیع من یعتاد بیع
الثیاب المبتذلة المقصورة الذی یلبس علی الناس بانها مقصورة جدد وهی خلع وقد طویت وجددت
بالقصارة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وکذا تلبیس انخراق الثیاب بالرفو وما یودی الی الالتباس
وکذا جمیع انواع العقود المودیة الی التلبیسات وذلك یطول احصاؤه فلیقس علی ما ذکرناه ما لم نذکره
منکرات الشوارع من المنکر المعتادة فی الشوارع وضع الاسطوانات وبناء الدکات متصلا بالابنیة المملوکة
وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب والاطعمة وغیرها علی الطرقات فکل ذلك

بلعبون ح

القوابل

منكران كان يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا منع منه
نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة
اليه الكافة فلا يمكن المنع منه وكذا ربط الدواب على الطريق بحيث تضيق الطريق وتنجس المجتازين منكر
يجب المنع منه الا بقدر الحاجة للنزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة وليس لاحد ان يختص بها الا
بقدر الحاجة والمرعي هي الحاجة التي يراد الشوارع لاجلها دون سائر الحاجات وكذا سوق الدواب وعليها
الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا يمزق الثياب او امكن العدول
بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس اليه نعم لا يترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة
النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقها منكر يجب منع الملاك منه وكذا القصاب اذا كان
يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فيمنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه مذبحا فان ذلك
تضييق للطريق واضرار بالناس بسبب ترشيش النجاسة واضرار بسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذا
طرح الكناسة على جواد الطريق وتبديد قشور البطيخ ورش الماء بحيث يخشى منه الزلق والسقوط فكل ذلك من
المنكرات وكذا ارسال الماء من الموازيب المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب ويضيق
الطريق ولا يمنع ذلك في الطرق الواسعة التي العدول عنه فيها ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج
في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن لا يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد
او الماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة
عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط وكذا اذا كان له كلب عقور على
باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته
لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان يتركه ان ينام على الطريق او
يقعد قعودا يضيق به الطريق فكلبه اولى بالمنع **منكرات الحمام** فمن ذلك الصور التي تكون على باب الحمام فذلك

او داخل الحمام

منكر يجب ازالتها على كل من دخل الحمام او راى الصور ان قدر عليها فان كان الموضع مرتفعا لا يصل اليه بيده
فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائز ويكفيه ان يشوه وجوهها
بحيث يبطل به تصويرها ولا منع من تصوير الاشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوانات وكذا كشف العورات
والنظر اليها من جملتها كشف المدلك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار
فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها وكذا الانبطاح على الوجه بين يدي المدلك لتغمز الاعجاز والافخاذ
فهذا مكروه وان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة وكذا كشف العورة للحجام و الفصاد
الذمي وهو من الفواحش فان المراة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذميات في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورة

التماثيل

للرجال وكذا غسل اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجسين في الحوض وماؤه
قليل فانه منجس للماء القليل الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية
فان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان
يقول له انا محتاج الى ان تغسل اولا يدك ثم تغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة علي
هذا وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر وكذا ان يكون في مداخل بيوت الحمامات
ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يتزلق بها الغافلون فهذا منكر يجب قلعه وازالته وينكر على الحمامي
اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد يؤدي السقطة الى انكسار عضو وانخلاعه وكذا ترك السدر والصابون

المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في
موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ على الحمامي تنظيف
الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة تنظيف الحمام
كل يوم مرة معتاد والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفي الحمام امور اخر مكروهة
ذكرناها في كتاب الطهارة فلا نطول باعادتها **منكرات الضيافة** فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذا
تبخير البخور في مجمرة ذهب او فضة وكذا الشرب منهما واستعمال ماء الورد فيهما او مما راسه منهما واسدال الستور
وعليها الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى الرجال مهما
كان في الرجال شباب يخاف الفتنة بينهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره يلزمه
الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس على مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والزرالي
المفروشة فليس بمنكر وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فانه قد يكون
روس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منها وفي المكحلة الصغيرة من الفضة
خلاف وقد خرج احمد رضي الله عنه عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كان
الثياب حراما فهي من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل
حضور مجالس الشراب وان كان مع ترك الشرب فلا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرة للفسق
وانما النظر في مجالسته بعد ذلك ايضا وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته فهو كما ذكرناه في باب
الحب والبغض في الله تعالى وكذا ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق به لا يجوز الجلوس معه
في غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك ايضا منكر ويجب
نزعه ان كان مميزا لعموم قوله عليه الصلوة والسلام هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وكما انه
يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يانس به فاذا بلغ يعسر عليه الصبر عنه فكذلك
شهوة التزين بالحرير قد يغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر في صدره فينبت منه شجرة
من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في حقه وان
كان لا يخلو عن احتمال والعلم عند الله عز وجل والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم
فيه نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل
حلق الذهب فهذا جرح مولم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان
والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط من الاذنين وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا
فهو حرام والمنع منه واجب والاستيجار عليه غير صحيح والاجرة الماخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة
النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الان فيه رخصة ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز
الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته
فيجوز الحضور مع اظهار الكراهية عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله عز وجل فان كان
فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالغيبة والفحش والكذب فلم يجز الحضور وعند
الحضور يجب الانكار عليه وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش ولا غيبة غائب ولا ايذاء حاضر فهو
مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد فيه
التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام عليك الف مرة

وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد به الشهادة وسيأتي
حد المزح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى ومنها الاسراف في الطعام
والبنا فهو منكر وفي المال منكران احدهما الاضاعة والآخر الاسراف فاما الاضاعة فهو تفويت مال بلا فائدة يعتد
بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البنا من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب
وفي انواع الفساد لانها فوايد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال
الى النائحة والمطرب وساير المنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة
تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا وله عيال واولاد ولا معيشة لهم سواه فانفق
الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه منه قال الله عز وجل ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا
في رجل كان بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال جل جلاله ولا
تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
ذلك قواما فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له
قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع امواله في ابواب البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان
يتصدق بجميع ماله وكذا لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل ذلك
ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين وان كان عدولا عن الزهد فهو من الاغراض الصحيحة ولم يزل المساجد
تزين وتنقش ابوابها وسقوفها وحيطانها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذا الدور
وكذا القول في التجمل في الثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته ومروته
وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذا منكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين
ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق بل لا تخلو بقعة عن منكر محظور او مكروه واستقصاء
جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع اصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها والله المستعان

منكرات العامة اعلم ان كل قاعد في بيته اين ما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد
الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلوة في البلاد فكيف في القرى
والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وساير اصناف الخلق فواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من
البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وكذا واجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية
ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرايض شرعهم ويستصحب
مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون شبهة فان قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين
والا عم الحرج عن الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم
وكل عامي عرف شروط الصلوة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد
عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بتلك المسئلة
ولعمري الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر بصناعتهم وبهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم
لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه في صلاح الخلق وشان الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن النبي
صلى الله عليه وسلم فان العلماء ورثة الانبياء فليس للانسان ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس
لا يحسنون الصلوة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذلك كل من تيقن ان في السوق
منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود

في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على تغيير البعض لزمه
الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا تضره مشاهدة ما لا يقدر على تغييره وانما يمنع الحضور
لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرايض وترك المحرمات
ثم يعلم ذلك اهل بيته واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى اهل
السواد المكتنف لبلده ثم الى اهل البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى
سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل
بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه
ويشغله عن تجزية الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقايق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم
على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه والله تعالى هو الموفق للصواب

الباب الرابع في امر السلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه
التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجايز من جملة ذلك مع السلاطين
الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ فاما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فانه يحرك
الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر واما التخشين في القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف
الله تعالى وامثاله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف
الا على نفسه فهو جايز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار
من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك
وقال عليه الصلوة والسلام افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جاير ووصف النبي عليه الصلوة والسلام عمر رضي الله
عنه فقال قرن من حديد لا تاخذه في الله تعالى لومة لايم تركه قوله الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون
في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جاير وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار
اقدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين بذلك انواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله
تبارك وتعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله تعالى **وطريق** وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم
عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد اوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام
ونختصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم **فمنها** الدخول على السلاطين ما روي
من انكار الصديق رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي
عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من
عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا
مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق بين جماعتنا وسب آلهتنا
ولقد صبرنا منه على عظيم وغير ذلك وكلام هذا معناه فبينما هم كذلك اذ طلع النبي عليه الصلوة والسلام
يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجهه
عليه الصلوة والسلام ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه عليه الصلوة والسلام ثم
مضى فلما مر بهم الثالثة غمزوه ايضا فقال صلى الله عليه وسلم اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده
لقد جئتكم بالذبح فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا كانما على رأسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وطاة

قبل ذلك ليرفاه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القسم راشدا فوالله ما كنت جهولا
قط قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق القوم حتى اذا كان من الغداة اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال
بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك اذ
طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا لما
كان بلغهم من عيب الهتهم ودينهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذي اقول ذلك قال فلقد رايت
رجلا منهم اخذ بمجامع ردائه قال وقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي ويلكم اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغوا منه قط وروى عنه ايضا انه قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فاخذ بمنكبه عليه الصلوة والسلام فلف ثوبه
في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر رضي الله عنه فاخذ بمنكبه ودفعه عنه عليه الصلوة والسلام وقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم **وروي** ان معاوية رضي الله عنه حبس العطاء
مرة فقام اليه ابو مسلم الخولاني وهو يخطب فقال له يا معوية انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا من كد امك
فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم وقد اغتسل وقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني
واني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفؤ النار بالماء
فاذا غضب احدكم فليغتسل واني قد دخلت واغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من كدي ولا كد ابي
فهلموا الى عطائكم غدا ان شاء الله تعالى **وروي** عن ضبة ابن محصن العنزي قال كان علينا ابو موسى الاشعري
اميرا بالبصرة وكان اذا خطبنا فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله عليه الصلوة والسلام انشا يدعو لعمر
فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر
يشكو مني يقول ان ضبة ابن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي قال فاشخصني
اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت فقلت انا ضبة ابن محصن العنزي فقال لي لا
مرحبا ولا اهلا يا ضبة قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فيما ذا استحللت يا عمر اشخاصي
من مصري بلا ذنب اذنبته ولا سبب اتيته قال فما الذي شجر بينك وبين عاملي قلت الآن اخبرك
انه كان اذا خطبنا فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله عليه الصلوة والسلام انشا يدعو لك فغاظني ذلك
منه فقمت اليه وقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه اولا فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني فاندفع
عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال
قلت غفر الله لك يا امير المومنين ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر
ثم قال عمر رضي الله عنه فهل لك ان احدثك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي خلفه ومرة
عن يمينه ومرة عن شماله قال عليه الصلوة والسلام ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك قال يا رسول الله
اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك
قال فمشى عليه الصلوة والسلام ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما راى ابو بكر انها قد حفيت حمله
على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان
كان فيه شي نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه
ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منهن شي اليه عليه الصلوة والسلام فيوذيه فجعلن يلسعنه وجعلت دموع ابي بكر

تحذر على خديه من الم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله
سكينته اي الطمانينة لابي بكر فهذه ليلته واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال
بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار
في الجاهلية خوار في الاسلام فبما ذا اتالفهم قبض رسول الله وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم قال فقاتلنا عليه وكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابي موسى
يلومه رضوان الله عليهم اجمعين قال الاصمعي دخل عطاء ابن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس
على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه
معه على السرير وقعد بين يديه وقال يا ابا محمد ما حاجتك فقال يا امير المومنين اتق الله في حرم الله وحرم رسول الله
فتعاهده بالعمارة واتق الله تعالى في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله تعالى
في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك
فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ان شاء الله تعالى ثم قام فقبض عليه عبد الملك فقال
يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال
عبد الملك هذا وابيك الشرف وهذا وابيك الشرف **وقد روي** ان الوليد بن عبد الملك قال يوما لحاجبه
قف على الباب فاذا مر بك رجل عليه سمت حسن فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب ووقف على الباب مدة
فقدر الله تعالى ان مر به عطاء ابن ابي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى امير المومنين فانه امرك بذلك
فدخل عطاء رحمه الله وعنده عمر بن عبد العزيز فلما راى عطاء الوليد قال السلام عليك يا وليد فجلس فغضب الوليد
على حاجبه فقال له ويلك امرتك ان تدخل الي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا لم يرض لي ان يسميني
بالاسم الذي اختاره الله تعالى لي فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم اقبل عليه يحدثه وكان فيما حدثه به عطاء ان
قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هب هب اعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان
جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت امير المومنين
فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف
وبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي **وكان** ابن ابي شميلة يوصف بالعقل
والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم قال بما اتكلم وقد علمت ان كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال
الا ما كان لله عز وجل قال فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال
الرجل يا امير المومنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله
تعالى بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت حيا
وروي عن ابن عائشة قال ان الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه والحسن آخر من دخل
فقال الحجاج مرحبا مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا
ويسائلنا اذ ذكر عليا رضي الله عنه فنال منه ونلنا مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه
فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله
جل ذكره يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت
لكبيرة الا على الذين هدى الله الاية فعلي رضي الله عنه ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول علي ابن عم رسول الله
وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله تعالى لن تستطيع انت ولا احد

على الوليد

من الناس ان يخطرها عليه ولا يحول بينه وبينها فاقول انه ان كانت لعلي كرم الله وجهه هنات فالله حسيبه
والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا
قال الشعبي فاخذت بيد الحسن وقلت يا با سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر
يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رايه
ويحك يا عامر هلا اتقيت اذ سئلت فصدقت او سكت فسلمت فقال عامر يا باسعيد قد قلتها وانا اعلم
ما فيها قال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال وفي رواية انه بعث الحجاج الى الحسن قال
فلما دخل عليه قال له انت الذي تقول قتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال فما حملك
على ذلك قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك لسانك
واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك **وحكي** ان حطيطا الزيات جيء به
الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عز وجل عند المقام على
خصال ثلث لان سئلت لاصدقن ولئن عوقبت لاصبرن ولئن عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول
انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك قال انه
اقول هو اعظم جرما منك وانما انت خطية من خطاياه قال الحجاج ضعوا عليه العذاب فانتهى به العذاب
ان شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه
فما سمعوه يقول شيئا فقيل للحجاج انه في اخر رمق فقال اخرجوه وارموه في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب
له فقلنا يا حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة ماء ثم مات رحمة الله عليه ورضوانه عليه
وكان ابن ثمان عشرة سنة **وحكي** ان عمر بن هبيرة دعى بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة
واهل الشام وقرائها فجعل يسالهم وكلم الشعبي فجعل لا يساله عن شيء الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على
الحسن ثم قال لهما هذا رجل اهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن وامر الحاجب فاخرج
الناس وخلى بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي فقال يا عامر اني امين امير المومنين على العراق وعامله عليها
وهو رجل مامور على الطاعة وقد ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فاني احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم
مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطائهم فاضعه
في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المومنين اني قد قبضته على ذلك من النحو فيكتب الي ان لا ترده
فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه
من الامور والنية فيها على ما ذكرت فقال الشعبي قلت اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطي ويصيب
قال فسر بقولي واعجب به ورايت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن رضي الله عنه فقال ما تقول
يا باسعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انا امين امير المومنين على العراق وعامله عليه وهو رجل مامور
على الطاعة وابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق
عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال عليه الصلوة والسلام من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة وتقول اني قبضت
من عطاياهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المومنين اني قبضتها على ذلك
من النحو فيكتب الي ان لا ترده عليهم ولا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله تعالى الزم من
حق امير المومنين والله سبحانه احق ان نطيع ولا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فاعرض كتاب امير المومنين

على كتاب الله تعالى فان وجدته موافقا لكتاب الله عز وجل فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه
يا ابن هبيرة اتق الله عز وجل فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك
من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك تنزل على
عملك يا ابن هبيرة وان الله تعالى يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله تعالى فوق كل
امر وانه لا طاعة في معصية الله واني احذرك باس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة
اربع على ضلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم والحكم وصاحب
الفضل وانما ولاه الله تعالى ولاية من امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن
هبيرة الحساب من وراك سوط بسوط وغضب بغضب والله تعالى بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلق
من ينصح لك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجل يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد
بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه
وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفانا
فكان اهلا لما ادي اليه وكنا اهلا ان يفعل ذلك بنا فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل
الفرس العربي بين المقاريف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال ما قال لله تعالى وقلنا مقاربة لهم
قال عامر الشعبي وانا اعاهد الله عز وجل ان لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس فاحابيه **ودخل** محمد
بن واسع على بلال ابن ابي برده فقال له ما تقول في القدر فقال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم فان
فيهم شغلا عن القدر **قال** الشافعي رضي الله عنه حدثنا عمي محمد بن علي اني حاضر مجلس امير المومنين ابي جعفر
المنصور وفيه ابن ابي ذئب قال وكان واليا بالمدينة وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فاتى الغفاريون
وشكوا الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المومنين سل عنهم ابن ابي ذئب فسئله فقال
ما تقول فيهم يا ابن ابي ذئب فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثير الاذى لهم فقال ابو جعفر قد
سمعتم فقال الغفاريون يا امير المومنين سله عن الحسن بن زيد فقال لابن ابي ذئب ما تقول في الحسن
بن زيد فقال اشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذئب
وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المومنين سله عن نفسك فقال ما تقول في فقال تعفني يا امير المومنين
قال اسالك بالله الا اخبرتني قال تسلني بالله كانك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد
انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر
من موضعه حتى وضع يده على قفا ابن ابي ذئب وقبض عليه ثم قال اما والله لولا اني جالس هاهنا لاخذت
فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك فقال ابن ابي ذئب قد ولي ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
رضوان الله عليهم فاخذوا الحق وقسموا بالسوية واخذوا باقفاء فارس والروم واصغروا انافهم فخلى
قفاه ابو جعفر وخلى سبيله وفي رواية اخرى انه قال ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما اخذاه بحقه وصرفاه
في وجهه واخذا بقفا فارس والروم واصغرا انافهم فخلى ابو جعفر قفاه واذن له في الانصراف وقال
والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذئب والله يا امير المومنين اني لانصح لك من
ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذئب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا
الحارث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا ابا عبد الله
كلنا مهدي كلنا كان في المهد **روي** عن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور وانا بالساحل

فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة فرد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي ابطأبك عنا يا اوزاعي قلت وما
الذي تريد يا امير المؤمنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال قلت فانظر يا امير المومنين لا تجهل شيئا مما
اقول لك فقال وكيف اجهله وانا اسالك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له قال قلت اجهله ان تسمعه ثم
لا تعمل به فصاح ابن الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت
نفسي وانبسطت في الكلام فقلت له يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايما عبد جاءته موعظة من الله تعالى في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله تعالى
عليه ليزداد بها اثما ويزداد بها عليه سخطا يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين
ان الذي لين قلوب رعيتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم روفا رحيما مواسيا
لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قايما ولعوراتهم
ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتائس بما اصابهم من سوء يا
امير المومنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم
وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فيام وراء فيام ليس منهم احد الا وهو يشكوا
بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة
التي كسرت بها قلوب امتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب بلادهم
وديارهم واجلاهم عن بلادهم وغشيهم الخوف منه يا امير المومنين حدثني مكحول عن زياد بن حارثة عن حبيب بن
مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبرئيل
فقال يا محمد ان الله تعالى لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا عليه الصلوة والسلام الاعرابي فقال اقتص مني فقال
الاعرابي قد احللتك بابي وامي انت يا رسول الله وما كنت لافعل ذلك ابدا ولو كنت اتيت على نفسي فدعا له بخير
يا امير المومنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض
التي يقول فيها النبي عليه الصلوة والسلام لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير المومنين ان
الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين اتدري ما جاء في تاويل هذه
الاية عن جدك قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الصغيرة قال التبسم والكبيرة
الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغني ان عمر رضي الله عنه قال لو ماتت على
شاطي الفرات سخلة ضيعة لخشيت ان اسئل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المومنين تدري
ما جاء في تاويل قوله تعالى عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله قال الله عز وجل في الزبور يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما هوى
فلا تتمنين نفسك ان يكون الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة يا داود انما
جعلت رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا
والماء يا امير المومنين انك بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه
يا امير المومنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري ان عمر رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار
على الصدقة فراه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله

استارهم

قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور الناس
الا اتى الله به يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر جهنم من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة
يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك
الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا قال له عمر رضي الله عنه ممن سمعت هذا قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما
عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه واعمراه واعمراه من يتولاها بما فيها
فقال ابو ذر من سلت الله انفه والصق خده بالارض فاخذ المنصور منديلا ووضعه على وجهه وانتحب وبكى
حتى ابكاني ثم قلت يا امير المومنين قد سال جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة على مكة والطايف او اليمن
فقال له عليه الصلوة والسلام يا عباس يا عم النبي نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة
عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله تعالى شيئا اذ اوحى الله تعالى اليه عليه الصلوة والسلام وانذر عشيرتك
الاقربين فقال يا عباس ويا صفية عمة النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيئا ان لي عملي ولكم
عملكم وقد قال عمر رضي الله عنه لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل اريب العقد لا نطلع منه على عورة ولا يخنق
منه على جرة ولا ياخذه في الله لومة لايم وقال الامرا اربعة امير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في
سبيل الله يد الله سبحانه باسطة عليه بالرحمة وامير فيه ضعف قد ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا
هلاك الا ان يرحم الله تعالى وامير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المومنين ان جبرئيل
عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم
القيمة فقال عليه الصلوة والسلام يا جبرئيل صف لي النار فقال جبرئيل ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام
حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا
جمرها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعهم ولو ان ذنوبا من
شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى وضع على
جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن
ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبرئيل عليه السلام لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد
غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال عليه الصلوة والسلام افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ولم بكيت يا جبرئيل
وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني على
اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبرئيل ويا محمد ان الله
قد امنكما ان تعصياه فبعد بكما وفضل محمد عليه الصلوة والسلام على ساير الانبيا كفضل جبرئيل على ساير الملايكة
في السماء وقد بلغني يا امير المومنين ان عمر رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان
بين يدي على من مال الحق من قريب او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين ان اشد الشدة القيام لله
تعالى بحقه وان اكرم الكرم عند الله عز وجل التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله تعالى رفعه الله عز وجل
واعزه ومن طلبه بمعصية الله تعالى اذله الله عز وجل ووضعه فهذه نصيحتي يا امير المومنين والسلام عليك
ثم نهضت فقال لي اين فقلت الى الاهل والولد والوطن باذن امير المومنين ان شاء الله قال قد اذنت لك وشكرت
لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخيرات والمعين عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل
ولا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله قال محمد

علي جسر من النار

ويا صفية عمة النبي

العقل

بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا
وعرف المنصور مذهبه وسيرته فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم المنصور مكة حاجا ونزل في دار الندوة
وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في اخر الليل يطوف ويصلي فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون
فسلموا عليه واقيمت الصلوة فيخرج فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند
الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكوا اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع
فاسرع المنصور في مشيته حتى ملا مسامعه من قوله ثم رجع فجلس ناحية من المسجد فارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول
فقال له اجب امير المومنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا
الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد
حشوت مسامعي ما امرضني واقلقني فقال يا امير المؤمنين ان امنتني على نفسي انباتك بالامور من اصولها
والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال له انت امن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه
وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء
على يدي والحلو والحامض في قبضتي فقال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير المومنين ان الله استرعاك
امور المسلمين واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر
وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت
وزراء واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح
وامرت بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع
ولا العاري ولا الضعيف الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فما زال هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك
واثرتهم على رعيتك وامرتهم ان لا يحجبوا عنك يأتون بالاموال فلا تقسمها فلما فعلت ذلك قالوا هذا قد خان الله
تعالى فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فايتمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك
عامل فيخالف لهم امرا الا اقصوه حتى يسقط منزلته ويصغر قدره عندك فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم
وكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من
رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هولاء القوم شركاءك
في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول وان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك
فقد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب
المظالم ان لا يدفع مظلمته وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف
اليه ويلوذ به ويشكوا ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا اجهد واخرج وظهرت انت صرخ بين يديك فيضرب
ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله على هذا وقد كانت بنو امية
وكانت العرب لا ينتهي اليهم ظلامة المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل ياتي من اقصى البلاد
حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون ظلامته الى سلطانهم فينتصف
له وقد كنت يا امير المومنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم وجعل يبكي
فقال له وزراؤه ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال اما اني لست ابكي على المصيبة لم نزلت بي ولكن المظلوم بالباب
يصرخ فلا اسمع صوته ثم قال اما ان كان ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس الا لا يلبس ثوبا احمر
الا مظلوم وكان يركب الفيل في طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المومنين مشرك بالله قد غلبت

رافته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مومن بالله وابن عم رسول الله لا تغلبك رافتك بالمسلمين
على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله عبرا في الطفل
الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه نفس شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى
يلطف لذلك الطفل حتى يعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشاء وان قلت اجمع المال
لاشد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من
الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك وما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين اراد الله تعالى بكم ما اراد
وان قلت اجمع المال لطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه منزلة الا منزلة لا تدرك
الا بالعمل الصالح يا امير المومنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك
الذي خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى ذكره لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه
بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته فما تقول اذا انتزع الملك الحق
المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك
الدنيا فبكى المنصور رحمه الله بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف
احتيالي فيما خولت ولم ار من الناس الا خائنا قال يا امير المومنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومنهم
قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقك ومن قبل عمالك ولكن افتح
الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل
وانا ضامن عن من هرب منك ان ياتيك فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني
ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة فخرج وصلى بهم ثم قال للحرسي عليك
بالرجل اطلبه ان لم تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسي يطلب الرجل
فبينما هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله عز وجل
قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد الى ان يقتلني ان لم اته بك قال ليس الى ذلك من سبيل
قال يقتلني قال ولا يقتلك قال فكيف قال تحسن ان تقرا قال لا فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب
شيئا فقال خذه فاتركه في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت
رحمك الله فقد احسنت الي فان رايت ان تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت
ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين على عدوه وكتب
عند الله تعالى صديقا ولا يموت الا شهيدا اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء
وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول
كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والاخرة كله لك
وبيدك اجعل لي من كل هم اصبحت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك
على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك امنا واسالك مستانسا فانك المحسن الي
واني المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم واتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراة
عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم
غير امير المومنين فدخلت وسلمت عليه فرفع راسه ونظر الي وتبسم ثم قال ويلك اتحسن السحر فقلت لا والله يا
امير المومنين ثم قصصت عليه امري مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك فاعطيته فنظر اليه ثم جعل يبكي

وقال قد نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة الآف درهم ثم قال تعرفه قلت لا قال يوشك ان ذلك الخضر عليه السلام
وعن ابن عمران الجوني قال لما ولي الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه وفتح بيوت الاموال واجازهم
بالجوايز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلما والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفين بن
سعيد الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره واشتاق هرون الى زيارته ليخلوا به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه
ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون
الرشيد امير المومنين الى اخيه سفين اما بعد يا اخي قد علمت ان الله تعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك
فيه وله واعلم اني واخيتك مواخاة لم اصرم فيها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطولك على افضل المحبة
والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله عز وجل لاتيتك ولو حبوا لما اجدلك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا
عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك احدا الا وقد زادني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال
واعطيتهم من الجوايز السنية ما فرحت بها نفسي وقرت بها عيني واني استبطاتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا
شوقا مني اليك وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته واذا ورد عليك كتابي
فالعجل العجل قال فلما كتب وفرغ من الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفين وخشونته فقال
علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة
فاذا دخلتها فاسئل عن قبيلة بني ثور ثم اسال عن سفين الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه وع بسمعك
وقلبك جميع ما يكون واحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة
وسال عن القبيلة وعن سفين فارشد اليه وهو في المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما راني قام قائما ثم قال
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة
في قلبي فخرجت فلما راني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلوة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت
واذا جلساوه قعود قد نكسوا رؤسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من العقوبة فسلمت
فلما رفع احد راسه الي وردوا السلام على برؤس الاصابع فبقيت واقفا ما منهم من احد يعرض علي الجلوس وقد
علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب
ارتعد وتباعد عنه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعبائه واخذه يقلبه
بيده ثم رماه الى من كان خلفه فقال ياخذه احدكم يقراوه فاني استغفر الله ان امس شيا مسه ظالم بيده قال عباد
فمد بعضهم يده اليه فجعله كانه خايف من فم حية تنهشه ثم فضه وقراه وسفين يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من
قرائته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهره فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة الله فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال
اكتبوا اليه في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به
فلا يبقى شئ مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
من العبد الميت سفين بن سعيد الثوري الى العبد المغرور بالامال هرون الذي سلب حلاوة الايمان اما
بعد فاني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد
جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه
وانفقته بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك
انا واخواني الذين شهدوا قراة كتابك وسنودي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هرون هجمت على
بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المولفة قلوبهم والعاملون عليها والمجاهدون في سبيل الله تعالى

وابن

وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القران واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك
فشد يا هرون ميزرك واعد للمسئلة جوابا وللبلاء تجفافا واعلم انك سوف تقف بين يدي الحكم العدل
فاتق الله تعالى في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القران ومجالسة الاخيار ورضيت
لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الوثير واسبلت سترا
دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون
الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقتلون
السارق افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا
نادى المنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا عليه اين الظلمة واعوان الظلمة فقدمت
بين يدي الله عز وجل ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك
وانت لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هرون قد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق وانت
حسناتك في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك على سياتك بلاء على بلاء وظلم فوق ظلم فاحتفظ بالوصية
واتعظ بموعظة التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك
واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك
وهو صاير الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر
دنياه واخرته واني احسبك يا هرون ممن خسر دنياه وآخرته واياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا
اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى
سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة في قلبي ناديت يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا
هرب من الله الى الله عز وجل فاقبلوا الي بالدراهم والدنانير فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة من صوف
خشنة وعباءة قطوانية قال فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير المومنين
فاقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المومنين حافيا راجلا يهزا بي
بي من كان على باب الخليفة ثم استاذن لي فلما دخلت مجلسه وبصرني هرون على تلك الحال قام وقعد ثم
نهض قائما وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعوا بالويل والحزن انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا
مالي وللملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فاقبل هرون يقراه ودموعه تتحدر
من عينيه ويقرا ويشهق فقال بعض جلسائه يا امير المومنين لقد اجترا عليك سفين فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد
وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور والله من غررتموه والشقي
من اهلكتموه ان سفين امة وحده فاتركوا سفين وشانه ثم لم يزل الكتاب الى جنب هرون يقراه عند كل صلاة
حتى توفي فاحمد الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى
والله ولي التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب البوق بالرحيل
فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يوذونه ويولعون به اذ اقبلت هوادج
هرون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المومنين يا امير المومنين فكشف هرون
السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا امير المومنين حدثنا ايمن بن نايل عن قدامة بن عبد الله
العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك
وتواضعك في سفرك هذا يا امير المومنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقط دموعه على الارض

قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا امير المومنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتب
في خالص ديوان الله عز وجل من الابرار قال احسنت يا بهلول واعطاه جايزة قال اردد الجايزه على من اخذتها منه فلا
حاجة لي فيها قال يا بهلول فان يكن عليك دين قضيناه فقال يا امير المومنين هولا اهل العلم بالكوفة متوافرون
اجمعت اراوهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك او يقيمك قال فرفع بهلول
راسه الى السماء ثم قال يا امير المومنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل هرون السجاف
ومضى وعن ابي العباس الهاشمي من ولد صالح بن المامون قال دخلت على حرث المحاسبي فقلت له يا با عبد الله احاسبت
نفسك فقال هذا كان مرة قلت له فاليوم قال اكاتم حالي اني لاقرا آية من كتاب الله عز وجل فاظن بها ان
تسمعها نفسي ولولا ان يغلبني فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه
طيب الرايحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من انت فقال انا واحد من السياحين اقصد المتعبدين في
محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا فاي شي عملك قال قلت له كتمان المصايب واستجلاب الفوايد قال فصاح
وقال ما علمت ان احدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحرث فاردت ان ازيد عليه فقلت له
اما علمت بان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله تعالى كتمان ذلك عليهم فمن اين
تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في ثيابه فعلمت ازالة
عقله واخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني قد اثرتك به فاغتسل واعد صلوتك فقال هات الما فاغتسل
وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال لي قم فلم يزل معي حتى دخل على المامون امير المومنين
فسلم عليه ثم قال له يا ظالم وانا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله عز وجل فيما
قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل اليه المامون فقال من انت قال انا رجل
من السياحين فكرت فيما فعل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب
عنقه فاخرج وانا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحرث
فاجتنبت عنه فاخذه اقوام غربا فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد في المقابر محزونا على الفتى
فغلبتني عيناي فاذا هو بين وصايف لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث انت والله لكاتمين الذين
يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلتقون بك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من
انتم قالوا احرك هذا كلامك فلم يكن في قلبه مما وصفت شي فخرج بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان الله
عز وجل انزله معنا وغضب لعبده وعن احمد بن ابرهيم المقرى قال كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الفضول
لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم
الى مشرعة الفحامين يتطهر للصلوة اذ راى زورقا فيه ثلثون دنا مكتوب عليه بالقار لطف فقراه وانكره
لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعرف ويعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذا الدنان
قال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له
احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال الملاح انت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان
يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم قال احب ان تعطيني ذلك المردي فاغتاظ الملاح وقال لغلامه
اعطه المردي حتى انظر ما يصنع فلما صار المردي في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على اخرها
الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ يونس بن افلح فقبض على النوري واشخصه
الى المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال النوري فادخلت عليه وهو جالس

على كرسي

على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما راني قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة
ولاني الحسبة يا امير المومنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت
فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فاطرق مفكرا في كلامي
ثم رفع راسه وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المومنين
اذا اذن فقال هات خبرني فقال يا امير المومنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه وتعالى لي بذلك
وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني الى ان صرت الى هذا الدن فاستشعرت
نفسي كبرا على اني اقدمت على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملا الارض دنانا لكسرتها
ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما احببت ان تغيره من المنكر قال ابو الحسين يا امير المومنين
بغض الي التغيير لاني كنت اغير عن الله عز وجل وانا الان اغير وانا شرطي فقال المعتضد ما حاجتك قلت
يا امير المومنين تامر باخراجي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر اياميه بها خوفا من ان يسال حاجة
يسالها المعتضد فاقام بالبصرة حتى توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلما وعادتهم في الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لانهم اتكلوا على فضل الله تعالى ان يحرسهم ورضوا
بحكم الله تعالى ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا فيه النية اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وازال
قساوتها واما الان فقد قيدت الاطماع السن العلما فسكتوا وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو
صدقوا الله وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعاة بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلما وفساد
العلما باستيلا حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الارذال فكيف على الملوك والاكابر
والله المستعان على كل حال اخر كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتلوه فيما بعده كتاب آداب المعيشة
واخلاق النبوة والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين وسلم تسليما كثيرا

كتاب اخلاق النبوة وآداب المعيشة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق كل شي فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
فاحسن تاديبه وحرم النحلق باخلاقه من شار تجنيبه فصلى الله على محمد وآله اما بعد فان آداب الظواهر عنوان آداب
البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وسراير القلوب هي مغارس
الافعال ومنابعها وانوار السراير هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها
ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية
ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها
من جميع هذه الكتب ثم رايت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الآداب فاستثقلت
تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفس مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر في هذا الكتاب
على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة عنه بالاسناد فاسردها مجموعة فصلا فصلا
محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي تشهد
احادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه
ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معرفا بمكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن
آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتدا بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال
وساير معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه اولا بيان تاديب الله اياه

وزكى اوصافه واخلاقه
ثم اتخذه صفيه وحبيبه
ووفق للاقتدا به من
اراد تهذيبه صح

بالقران ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من ادابه واخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه
ثم بيان اخلاقه وادابه في الطعام ثم بيان اخلاقه وادابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم
بيان اغضائه عما كان يكرهه ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان تواضعه ثم
بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته واياته

بيان تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقران

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دايم السوال من الله
تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فكان يقول في دعائه اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي ويقول
اللهم جنبني منكرات الاخلاق واستجاب الله سبحانه دعاه فيه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم فانزل عليه القران
وادبه به فكان خلقه القران قال سعد بن هشام دخلت على عايشة فسالتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت اما تقرا القران قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما ادبه القرآن
بمثل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وبقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية
وبقوله واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وبقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وبقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وبقوله
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وبقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس وبقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته
يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم
فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في القران لا تنحصر وهو
المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقران وادب الخلق به
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما اوردناه في
كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله خلقه وخلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى
خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه انظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق
الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب
مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها وقال علي رضي الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة
فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع في مكارم الاخلاق
فانها مما يدل على سبيل النجاة فقال له رجل اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما اتي
بسبايا طي وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت
سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجايع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب
حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المومنين حقا لو كان ابوك مسلما
لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق فقام ابو برده
بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الخلق وعن
معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن
ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض
المسلم برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة
المسلم واجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام

اللهم حسن خلقي وخلقي

وشج جبينه صح

وكظم

وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب الاسلام اللهو والباطل والغنا والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل دخل
والكذب والغيبة والبخل والشح والجفا والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق
والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي
والعدوان والظلم قال انس رضي الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة الا قد دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال
عيبا ولا شيئا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وقال معاذ
اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ اوصيك باتقاء الله وحسن الحديث والوفاء بالعهد واداء
الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان
والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حكيما او تكذب صادقا
او تطيع اثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث
لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن
الاداب

بيان جملة من محاسن اخلاقه

التي جمعها بعض العلما والتقطها من الاخبار فقال كان صلى الله عليه وسلم
احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده قط يد امراة لا يملك رقها او عصمة
نكاحها او تكون ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه
وفجاه الليل لم ياو الى منزله حتى يتبرا منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما اتاه الله الا قوت عامه فقط من
ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع ساير ذلك في سبيل الله لا يسال شيئا الا اعطاه ثم يعود الى قوت عامه
فيوثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم ياته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في
مهنة اهله ويقطع اللحم معهن وهو اشد حياء من البكر لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة العبد والحر
ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة
الامة والمسكين يغضب لربه تعالى ولا يغضب لنفسه وينقاد للحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه
عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه فابى
وقال انا لا نستنصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على
مر الحق بل وداه بماية ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة
ياكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد
خبز بر او شعير اكله وان وجد حلواء وعسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا
اكله لا ياكل متكيا ولا على خوان منديله باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا
على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنايز ويمشي وحده بلا حارس من اشد
الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امور الدنيا ويلبس
ما وجده فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره
الايمن والايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة
حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب
ويكره الرايحة الردية ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف اهل الشرف
بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم لا يجفوا على احد يقبل معذرة المعتذر
اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات

عليه فيصبر وكانت له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في ماكل
ولا ملبس لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى او في ما لا بد له من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر
مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله تعالى دعاء واحدا قد جمع الله له
السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امي لا يكتب ولا يقرا نشا في بلاد الجهل والصحاري في فقر
وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين
والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول
وفقنا الله لطاعته في امره والتاسي به في فعله والصلاح امين امين رب العالمين **بيان جملة اخرى**
من اخلاقه وادابه مما رواه ابو البختري قال ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المومنين بشتيمة الا
جعلت له كفارة ورحمة وما لعن امراة قط ولا خادما بلعنه وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال
انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان اذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر غايب او حاضر عدل عن الدعاء عليه
ودعا له وما ضرب بيده احدا قط الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع اليه قط الا ان
ينتهك حرمة الله وما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة
رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان ياتيه احد حر او عبد او امة الا قام معه في حاجته وقال
انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه انما كان
هذا كتاب وقدر قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش اضطجع
على الارض وقد وصفه الله في التورية قبل ان يبعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار
لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته
بطيبة وملكه بالشام ياتزر على وسطه هو ومن معه وعاة للقرآن والعلم يتوضا على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل
وكان من خلقه ان يبدا من لقيه بالسلام ومن فاوضه بحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد
بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بداه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه
ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف
صلاته واقبل عليه وقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته اعاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب
ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان حيث ما انتهى
به المجلس جلس وما روي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد الا ان يكون المكان واسعا
لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه
وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه وكان يوثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم
عليه حتى يفعل وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه
حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة
قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو
اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان يكني ايضا النسا
اللاتي لهن الاولاد واللائي لم يلدن يبتدي لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس
غضبا واسرعهم رضا وكان ارف الناس بالناس وخير الناس بالناس وانفع الناس بالناس ولم يكن ترفع
في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك

عام او خاص

طعاما ولا فرش

واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام **بيان كلامه وضحكه** صلى الله عليه وسلم كان عليه الصلوة
والسلام افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما وكان يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة
محمد صلى الله عليه وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم
قالت عايشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام سردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا
قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاء جبريل عليه السلام وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد وكان يتكلم
بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه وقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير
الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا
والغضب الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا تكلم اطرق
جلساوه واذا سكت تكلم جلساوه ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القران
بعضه ببعض فانه انزل الله على وجوه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به
وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا
ولقد جاءه اعرابي يوما وهو صلى الله عليه وسلم متغير ينكره اصحابه فاراد ان يساله فقالوا لا تفعل يا اعرابي
فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني
الدجال ياتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها
حتى اهلك هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا امنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المومنين قالوا وكان من اكثر الناس تبسما
واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر ورضي
فهو احسن الناس رضى وان وعظ وعظ بجد وان غضب ولم يكن يغضب الا لله لم يكن يقوم لغضبه شيء وكذلك
كان في اموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرا من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني
الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك
واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك
انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم **بيان اخلاقه وادابه في الطعام** كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما وجد
وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المايدة قال
بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه
كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل
مما يليه باصابعه الثلث وربما استعان بالرابعة ولم ياكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وجاءه
عثمان بن عفان رضي الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي نجعل السمن
والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه
حتى ينضج فياتي كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا طعام طيب وكان ياكل خبز الشعير غير منخول وكان
ياكل القثاء بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر
وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت
به شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تاكل في كفه اليسرى وياكل هو بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان

ربما اكل العنب خرطا يرى زواله على لحيته كحدرا للؤلؤ وهو الماء الذي يتقطر منه وكان اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس عليه السلام قالت عايشة رضي الله عنها وكان يقول يا عايشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدبا فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير التي تصاد وكان لا يتبعها ولا يصيدها ويحب ان يصاد له ويوتى به فياكلها وكان اذا اكل اللحم لم يطاطي راسه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا وكان ياكل الخبز بالسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدبا ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندبا والباذروج والبقلة الحمقى التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول ولا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحيا والدم ويكره ذلك وكان لا ياكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط ولكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الطعام البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يده غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سوره الى من على يمينه فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان احببت اثرتهم واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكن اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل او يشرب بنفسه

بيان اخلاقه وادابه في اللباس كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القبا المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة وفوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلوة وغيرها وكان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده وما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام بالناس به على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وربما كان يصلي بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي بدنه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي وامي انت ما فعل ذلك الكساء الاسود قال كسوته فقالت ما رايت شيا قط كان احسن من بياضك على

يا رسول الله

سواده

٢٦٧

سواده قال انس وربما رايته يصلي الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمايم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن له العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي رضي الله عنه فربما طلع فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه اخرج من مياسره وكان له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه ولا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما ينقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحرب ذا الفقار وكان له سيف يقال له المخذم واخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبيعة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلث حلق من فضة وكان اسم قوسه المكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة وكان له مطهرة من فخار يتوضا فيها ويشرب فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة

بيان عفوه مع القدرة كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى انه اتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر رضي الله عنه فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان صلى الله عليه وسلم في حرب فراوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني قال الله قال فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال لا غير اني لا اقاتلك ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وروى انس ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة لياكل منها فجيء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها فقال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبرئيل بذلك حتى استخرجه وحل عقده فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال علي رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير بن العوام والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب قلنا لتخرجن الكتاب او لننزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا بها النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم امرا من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين

لهم قرابات بمكة يحمون بها اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك منهم من النسب ان اتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي
ولم افعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادًا عن دين الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر
رضي الله عنه دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك
لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله عز وجل فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر
وجهه وقال رحم الله اخي موسى فقد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد
منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر **بيان اغضائه عما كان يكرهه** كان صلى الله عليه
وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر من مس
لحيته وكان لا يشافه احدًا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض
القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة وبال الاعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال صلى الله
عليه وسلم لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء
وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
له احسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام
ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل
بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او من العشي جاء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك
الله من اهل وعشيرة خيرًا فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورًا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها
واعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض شيئا فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **بيان سخاوته
وجوده وكرمه** كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا
وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واجرأ الناس صدرًا واصدق
الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول
ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه
فساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وما سئل
شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال
له عمر رضي الله عنه يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق
ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه ولما قفل من حنين
جاءت الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى شجرة سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **بيان
شجاعته صلى الله عليه وسلم** كان صلى الله عليه وسلم انجد الناس واشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رايتني يوم بدر

ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسًا وقال ايضا كنا
اذا احمر الباس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه
وقيل كان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس
باسًا وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه ما لقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا وكان هو اول من يضرب فيها قالوا وكان قوي البطش ولما غشيه المشركون
نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما روي يومئذ احد كان اشد منه باسًا **بيان تواضعه
صلى الله عليه وسلم** كان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعًا في علو منصبه قال ابن عامر رايته صلى الله عليه وسلم
يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع
ذلك يستردف وكان يعود المرضى ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان
يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان
فيسلم عليهم واتي صلى الله عليه وسلم برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة
من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري ايهم هو
حتى يسال حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له
عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك فاصغى اليه براسه حتى كاد ان تصيب جبهته
الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق
بالله تعالى وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك كان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى
امر الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام او شراب تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم
وتواضعا لهم لم تهض عنهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية
ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام **بيان خلقته وصورته صلى الله عليه وسلم** كان من صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قامته انه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده
ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه
الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة ويقول صلى الله
عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة واما لونه صلى الله عليه وسلم فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالادم ولا الشديد البياض
والازهر هو الابيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه ابو طالب فقال
وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل • ونعته صلى الله عليه وسلم بعضهم بانه مشرب بحمرة
فقالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب
منه وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ وريحه اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان رجل
الشعرة حسنها ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا مشطه بالمشط ياتي كانه حبك الرمل وقيل كان شعره
يضرب منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين
وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه تتلالأ وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على
ذلك وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجهًا وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى
رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر رضي الله عنه حين قال • امين مصطفى
للخير يدعو • كضوء البدر زايله الظلام • وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج

مابين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجها وكان في عينيه تمزج من
حمرة وكان اهدب الاشفار حتى يكاد يلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوي الانف وكان
مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن
عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية
وكان يعفي لحيته ويأخذ شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر وما ظهر من
عنقه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان صلى الله
عليه وسلم عريض الصدر ولا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمراي في استوائه وكالقمر في بياضه موصول ما بين
لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلث يغطي الازار
منها واحدة وتظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي روس العظام من المنكبين والمرفقين
والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب
الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين
رحب الراحتين سايل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا
مسها بطيب اولم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحا ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه
وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن واما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كانما
ينقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفوا ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان عليه الصلوة
والسلام يقول انا اشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان ابي ابرهيم عليه السلام اشبه الناس بي خلقا
وخلقا وكان صلى الله عليه وسلم يقول ان لي عند ربي عشرة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد وانا الحاشر يحشر العباد على قدمي وانا رسول الرحمة ورسول التوبة
ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو البختري والقثم الكامل الجامع **بيان معجزاته
وآياته الدالة على صدقه عليه السلام** اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وسلم او اصغى الى سماع اخباره المشتملة
على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف الخلق
وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجايب اجوبته في مضايق الاسولة وبدايع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن
اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعلماء والعقلاء عن ادراك اوايل دقايقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب
ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا باستمداد من تاييد سماوي
وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمايله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان
العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب وكان يشهد له بالصدق بمجرد شمايله فكيف بمن شاهد
اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه ليعرف محاسن الاخلاق وليتنبه
بصدقه صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس
العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين
حصل له محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته بالله وملائكته
وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن اين للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة
لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار

واشتملت

واشتملت عليه الكتب الصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل لحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير
مرة اذ شق له القمر بمكة لما سالته قريش آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل ابي طلحه ويوم الخندق ومرة
اطعم ثمانين من اربعة امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير
حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل
لهم ونبع الماء من بين اصابعه عليه الصلوة والسلام فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضاوا من قدح صغير
ضاق ان يبسط عليه الصلوة يده فيه واهراق عليه الصلوة والسلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة
في بير الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وقال لمعاذ ان طالت بك
حياة سترى ما ههنا قد ملئ جنانا فكان كذلك وشرب من بير الحديبية الف وخمسماية ولم يكن فيها قبل
ذلك ماء وامر عليه الصلوة والسلام عمر بن الخطاب ان يزود اربعماية راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة
البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم بحسبه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك
القران في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله تعالى الكهانة لمبعثه صلى الله عليه وسلم
فعدمت وكانت ظاهرة موجوده وحن الجذع الذي كان يخطب عليه لما ان عمل له عليه الصلوة والسلام المنبر
حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل
بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه الاية مذكورة في سورة يقرا بها في جميع جوامع الاسلام من شرق
الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للاية التي فيها واخبر عليه الصلوة والسلام بالغيوب وانذر بان
عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة وان عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله تعالى به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين واخبر عليه الصلوة والسلام عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك
لان ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها اشياء لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمه المعرفة لا بنجوم ولا بكتف ولا
بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن مالك بن جعشم فساخت قدما فرسه في الارض
واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلقت الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سواري كسرى فكان ذلك
واخبر بقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله واخبر بموت النجاشي بارض الحبشة
وصلى عليه بالمدينة وخرج على ماية من قريش ينتظرونه فوضع التراب على روسهم ولم يروه وشكا اليه البعير بحضرة
اصحابه وتذلل له فشفع له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم ضرسه في النار مثل احد فماتوا كلهم استقامة وارتد
منهم واحد فقتل مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في نار احترق فيها فمات ودعا
شجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعاه عليه الصلوة والسلام النصارى الى المباهلة فامتنعوا واخبر
عليه الصلوة والسلام انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن الطفيل بن مالك
واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه الصلوة والسلام فحيل بينهما وبين ذلك
فدعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر عليه الصلوة والسلام انه يقتل ابي بن
خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكانت فيه ميتته واطعم عليه السلام السم فمات الذي اكله معه وعاش
هو صلى الله عليه وسلم بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسمومة واخبر عليه الصلوة والسلام يوم بدر بمصارع
صناديد قريش واوقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وانذر عليه الصلوة والسلام
بان طوايف من امته يغزون في البحر وكان كذلك وزويت له الارض فاوري مشارقها ومغاربها واخبر ببلوغ ملك
امته ما زوي له منها وكان ذلك كما اخبر فقد بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس

ولا بكتب

ومن بلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر عليه الصلوة والسلام سوآء بسواء واخبر فاطمة ابنته رضوان
الله عليها بانها اول اهله لحاقا به فكان كذلك واخبر نسائه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش
الاسدية اطولهن يدا بالصدقة واولهن لحوقا به ومسح ضرع شاة حايل لا لبن بها فدرت فكان ذلك سبب اسلام
ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه صلى الله عليه وسلم فسقطت
فردها عليه السلام بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم خيبر فصح من وقته
وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت رجل بعض اصحابه
صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرات من حينها وقل زاد جيش كان معه صلى الله عليه وسلم فدعا بجمع ما بقي
فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ من ذلك وحكى الحكم بن ابي
العاص مشيته صلى الله عليه وسلم مستهزئا فقال عليه الصلوة والسلام كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات
وخطب عليه الصلوة والسلام امراة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص
فقال عليه الصلوة والسلام فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب ابن برصا الشاعر الى غير ذلك من اياته ومعجزاته
صلى الله عليه وسلم وانما اختصرنا على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم ان احاد هذه
الوقايع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القران فقط كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم
ومعلوم ان احاد وقايعهم غير متواتره ولكن مجموع الوقايع يورث علما ضروريا ثم لا يتمادى في تواتر القران
وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه عليه الصلوة والسلام اذ تحدى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوة بالالاف منهم والفصاحة
صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور من مثله او بسورة
من مثله ان شكوا فيه وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن الاية وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا
عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في
جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالمين شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض
اليوم قريب من خمسماية سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله
ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الان ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض
له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من امن به وصدقه واتبعه
في كل ورد وصدر فنسال الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده انه
سميع مجيب اخر ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش
في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السراير العالم بمكنونات الضماير المستغني
في تدبير ملكه عن المشاورة والموازرة مقلب القلوب وغافر الذنوب وساتر العيوب ومفرج الكروب والصلوة
على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين **اما بعد** فشرف
الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله تعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله
وفخره وفي الاخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله تعالى
وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم
والات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب
هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو
المعاتب والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه
وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله وانما
الساري الى الاعضاء من الفواحش اثاره وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه
وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد
جهل نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد
حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية
تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف
يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح
من خزاين الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب
وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما
يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب
من الصفات المهلكات والمنجيات وهو علم الباطن ولا بد وان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب
واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نتدرج بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات
فنذكر الان من شرح عجايب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجايبه واسراره الداخلة
في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام **بيان معرفة النفس والروح والقلب والعقل وما هو
المراد بهذه الاسامي** اعلم ان هذه اربعة اسماء اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط
بمعاني هذه الاسما واختلاف معانيها وحدود مسمياتها واكثر الاغاليط منشاه الجهل بمعاني هذه الاسامي
وباشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا الاول لفظ القلب
وهو يطلق بمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه
تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الان شرح شكله وكيفيته اذ لا يتعلق

به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطبا وهذا القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا
اطلقنا القول بالقلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة
وقد يدركه البهايم بحاسة البصر فضلا من الادميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب
الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة من الانسان وهي المخاطبة والمطالبة
والمعاتبة ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه بها يضاهي
تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان
وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه يتعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة
والثاني ان تحقيقه يستدعي افشا سر الروح وما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه
والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر
حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها ~~في ذاتها وعلم المعاملة~~
اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني
وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى ساير الجسد وجريانها في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والسمع والبصر
والشم منها الى اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت
الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل من الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركاتها في الباطن
مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطبا اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف
انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق بها غرض الاطبا الذين يعالجون الابدان فاما غرض
اطبا الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذا الروح اصلا المعنى الثاني
وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب وهو الذي اراده الله تعالى
بقوله ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه
حقيقته اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به
المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية
فهم يريدون بالنفس الاصل الجامع ~~لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال~~
للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه اشار عليه الصلوة والسلام
بقوله اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة
وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها
الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة كما قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الاية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم
سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها
عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت لطاعة
بمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقد
يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم
وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وساير المعلومات
اللفظ الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعاني مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها

معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب
والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله
في نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق
ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام
اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا
قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا
قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجوده وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهواني
والعقل والعلوم وهذه اربعة معاني يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهو اللطيفة العالمة
المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ
اطلق لمعنيين واكثر العلما قد التبس عليهم اختلاف هذه الاحوال والالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون
في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس
يدري العامي اختلاف معاني هذه الاسما فلاجل كشف الغطا عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث
ورد في القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشيا وقد
يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت
متعلقة بساير البدن ومستعملة لها ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب فكانه محلها
ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل بن عبد الله التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي
فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي فلا تظن انه يريد انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به
انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى
ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها
من العوالم جنود مجندة لا يعلم حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الان نشير الى بعض جنود القلب وهو
الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهو في حكم الملك والجنود
في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد المعاين بالعين فهو اليد والرجل والعين
والاذن واللسان وساير اعضاء الظاهرة والباطنة فان هذه الاعضا خادمة للقلب ومسخرة له وهو
المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين
بالانفتاح فتح واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضا
وتسخير الاعضا والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون
له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها
وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها
ومن طاعتها القلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله
خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه
من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا

فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزلة من منازل الهدى
وانما سميت الدنيا لانها ادنى المنزلين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى
هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذا وغيره
وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه ويمكنه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذا الى جندين باطن وهو
الشهوات وظاهر وهو اليد والاعضا الجالبة للغذا فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلق
الاعضا التي هي الات الشهوات وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به
يدفع المهلكات وينتقم من الاعدا وظاهر وهو اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب فكل ذلك بامور
خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذا اذا لم يعرف الغذا لا ينفعه شهوة الغذا والفه
فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو الادراك بالبصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والانف
والاذن وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويها مجلدات كثيرة وقد اشرنا
الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلثة اصناف صنف باعث ومستحث
اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة
والثاني هو محرك للاعضا الى تحصيل هذه المقاصد وقد يعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهو جنود مبثوثة
في سائر الاعضا لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشيا كالجواسيس
وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضا معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضا المركبة من اللحم والشحم والدم والعظم
والعصب التي اعدت الات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشي
بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضا فانها من عالم الملك والشهادة
وانما نتكلم الآن فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما
اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل
باطنة وهي تجاويف الدماغ وهو ايضا خمسة فان الانسان بعد روية الشي يغمض عينيه فيدرك صورته في
نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شي يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب
بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك
بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله تعالى قوة الحفظ
والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما تخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة
واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفا يطول ومقصود مثل
هذا الكتاب ان ينتفع به الاقويا والفحول من العلما ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفا بضرب الامثلة لتقرب
ذلك من افهامهم والله الموفق بعونه ومنه وجوده **بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة** اعلم ان جندي الغضب
والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه ويحسنان موافقته ومرافقته في السفر
الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصا بغي وتمرد حتى يملكاه ويهلكاه ويستعبداه وفيه هلاكه
وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جنود آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي بيانه
شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان
فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال

اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضا الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة
مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلثة امثلة المثال الاول ان نقول مثل
نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس
وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح
والوزير العاقل والشهوة له كعبد سو يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب شرطته
والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل
وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في رايه ساعة فكما
ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا في اشارته
في ان الصواب في نقيض رايه وادب صاحب شرطته واسلمه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا
العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سايسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر
بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الغضب والحمية وسلطها على الشهوة
واستعانت باحدهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة
بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه
ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وقال
تعالى واتبع هويه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى لمن نهى النفس ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي
كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس المثال الثاني ان البدن
كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة
كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسو التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته
ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره
على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقا الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السو
اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تووي الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه
المجاهدة تؤدي الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر المثال الثالث
مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه
مودبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان فرسه جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث
تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب وانما مثال
خرق الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا غلبة
شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه **بيان خاصية قلب الانسان** اعلم
ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله بها على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس
الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتدرك عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك
ادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله تعالى وهو
راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقايق العقلية فان هذه امور
ورا المحسوسات فلا تشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان

بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهنا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لا يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زايد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في ساير النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامور وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدهما ويطلبهما ويبذل المال عليهما والشهوة تميل الى لذايذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى العقل المعرف لعاقبة الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضا على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بعلوم وارادة تنفك عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حالة الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احدهما ان يشتمل قلبه على جملة من العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجايزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفرده دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر ويكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية لكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى تتفاوت الخلق فيها بالكثرة المعلومات وقلتها وشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ يحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المباداة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطي الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلما والحكما والاوليا والانبيا ودرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى المراتب فيها رتبة النبي الذي ينكشف له كل الحقايق او اكثرها من غير اكتساب بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله تعالى فلا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نومن بالنبوة وبالنبي عليه السلام ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على اولياء الله وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله تعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما يظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله تعالى كما قال النبي عليه الصلوة والسلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي بيانه والى هذا الجود والاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله صلى الله عليه وسلم عن الله لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل

والمنع علوا كبيرا ولكن لخبث وكدوره وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة من الماء لا يدخلها الهوا فالقلوب المشغوله بغير الله تعالى لا يدخلها المعرفة لجلال الله واليه الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وفيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجمال والكمال والجلال والبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجله خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقه في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملئكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين البهايم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى ويتنسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشيا فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق ان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع الشهوات واللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او سنورا وحقودا كجمل ومتكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضا ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضا خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودع في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها موخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضا المتحركة مجرى كتابه ويجري حواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحدة باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الارايح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويردونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي القوة الحافظة ثم يعرضها الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا لنعمة الله تعالى واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدائه وهو الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه الذي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله ناصرا لاعداء الله تعالى ومخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله منه والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه انية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله

وتكلم

حكاية

هو العلم

تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى او كظلمات في
بحر لجي مثل قلب الكافر المنافق وقال زيد بن اسلم في اللوح المحفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر
مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثاله

اعلم ان الانسان
قد اصطحب في تركيبه وخلقته وجبلته اربع شوايب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي
الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانيه فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع
من العداوة والبغضا والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم
من الحرص والشره والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي فانه
يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة
والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة
بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا قرن بالجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر
على جميع الخلايق من اوصاف الربوبيه وفي الانسان حرص على ذلك من حيث يختص عن البهايم بالتميز مع مشاركته
لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التميز في الاستنباط والحيل في وجوه الشر
ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل
انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة يعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع
في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير
مذموما للونه وشكله وصورته بل لشبقه وجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب
العقور ليس كلبا او سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر
وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعوا بالشره الى الفحشاء والمنكر
والسبع يدعوا بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما
بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره
بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه
اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته
فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم فان
عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب
فيكون دايما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همتهم الفرج والبطن ومنافسة الاعدا
والعجب منه مع انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل
له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم اما في اليقظة لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له
مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير بطلب شيا من شهوته انبعث على الفور في خدمته
واحضار شهوته اوراها ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يبتغيه ويقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر
في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه
فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده
ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هولاء وهذا غاية الظلم اذ جعل
المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلا

وقد سخره

حاليا

كلب ع

وقد سخره لخدمة هولاء فلاجرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولاء الثلث صفات تتراكم عليه حتى يصير طبعا وربنا
مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا
والهتك والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر
منها الى كلب القلب صفة التهور والبذاة والنذالة والبدخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزا
والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب
فيحصل منها صفة المكر والحيلة والخداع والدها والجربزه والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها
ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة
واليقين والاحاطة بحقايق الاشيا ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلا على الكل بقوة العلم والبصيرة
واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله والاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا ينتشر اليه من ضبط
خنزير الشهوات ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى
والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها
وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو
والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مراة وقد اكتنفته هذه الامور الموثره فيه
بهذه الاثار على التوالي واصلة على القلب اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مراة القلب اشراقا
ونورا وضياء حتى يتلالا فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب من الدين والى مثل هذا القلب
الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وفي رواية اذا اراد الله بعبد
خيرا جعل له ناصحه في قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار المذمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد الى مراة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا
عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان
لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط عدم
ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليه فاذا قرع سمعه امر
امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك
اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب
كما نطق به القران والسنه وقال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نقطة سوداء فاذا هو
نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الرين الران وقال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المومن اجرد
وفيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته
مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره
كالمراة التي يتنفس فيها ثم تمسح فانها لا تخلوا عن كدورة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة
قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط
على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء
الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة الجراحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي
رواية ذهبت به وقد قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون

السماع بالتقوى فقال واتقوا الله
واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله
ومهما تراكمت الذنوب طبع
على القلب وعند ذلك يعمى
القلب صح

فاخبران جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر
باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى **بيان مثال القلب بالاضافة الى
العلوم خاصة** اعلم ان محل العلم هو القلب اعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع
الاعضاء وهى بالاضافة الى حقايق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات وكما ان للمتلون صورة
ومثال تلك الصورة ينطبع فى المرآة ويحصل فيها فلذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع فى
مرآة القلب وتتضح فيه وكما ان المرآة غير وصورة الاشخاص غير وحصول امثالها فى المرآة غير وهى ثلاثة امور
فكذلك هاهنا ثلاثة امور القلب وحقايق الاشيا وحصول نفس الحقايق فى القلب وحضورها فيه فالمرآة
والعالم عبارة عن القلب الذى فيه يحل مثال حقايق الاشيا والمعلوم عبارة عن حقايق الاشيا والعلم عبارة
عن حصول المثال فى المرآة وكما ان القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين
اليد والسيف بحصول السيف فى اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم فى القلب يسمى علما وقد
كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب
كما كان السيف موجودا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف فى اليد نعم
القبض عبارة عن حصول السيف بعينه فى اليد والمعلوم بعينه لا يحصل فى القلب فمن علم النار لم يحصل عين
النار فى قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان
لا يحصل فى المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم فى القلب يسمى
علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورته كجوهر الحديد قبل ان يدور
ويشكل ويصقل والثانى لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة
الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة ورآء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس
الجهل بالجهة التى فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذى به شطر الصورة وجهتها فكذلك
القلب مرآة مستعدة لان يتجلى فيها حقيقة الحق فى الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التى خلت
عن هذه الاسباب الخمسة اولها نقصان فى ذاته كقلب الصبى فانه لا يتجلى له المعلومات فيه بنقصانه
والثانى لكدورة المعاصى والخبث التى تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب
وجلاه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا
فارقه عقل لم يعد اليه ابدا اى حصل فى قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا اذ ان يتبعها بحسنة تمحوها فلو جاء بالحسنة
ولم يتقدم السيئة لزاد لا محالة اشراق القلب فلو تقدمت السيئة سقطت فايدة الحسنة لكن عاد القلب بها
الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له وليس المرآة التى تدنس
ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله تعالى والاعراض
عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلى القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وان الله لمع المحسنين وقال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث ان يكون
معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة وان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية
الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذى بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات
البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل فى الحضرة الربوبية والحقايق الحقيقة الالهية
ولا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقايق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها

اومصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف
جلية الحق فما ظنك بصرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلايقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى
الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر فى حقيقة من الحقايق قد لا ينكشف له ذلك لكونه
محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه فى ضد الحق منذ الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه
وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم
حجب به اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض
لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين
درك الحقايق الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان
يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا
مخصوصا يعرفه العلما بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة المطلوب
لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا يقتنص الا بشبكة العلم الحاصل بل كل علم فلا يحصل الا عن
علمين سابقين ياتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل
النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة وانسان
بل لا بد من اصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم
فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل
بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها
بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه فى المرآة فانه ان رفع المرآة بازآء وجهه لم يكن قد حاذى بها
شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها ورآء القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة
ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها ورآء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويرعى
مناسبة بين وضع المرآتين حتى ينطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المرآة
فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم يدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق
عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه فى المرآة ويعز عن بسيط الارض من يهتدى الى
كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقايق الامور والعلوم
والا فكل قلب فهو فى الفطرة صالح لمعرفة الحقايق لانه امر ربانى شريف فارق سابر جواهر العالم بهذه
الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشارت على ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل
امانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل ادمى مستعد لحمل الامانة ومطيق
لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك
قال النبى صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله عليه الصلوة
والسلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى ادم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه
الاسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر قال قيل يا رسول الله
اين الله فى الارض قال فى قلوب عباده المومنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى ارضى ولا سمائى
ووسعنى قلب عبدى المومن اللين الوادع وفى الخبر انه قيل من خير الناس قال كل مومن مخموم القلب فقيل

وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذي لا غش فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضى الله عنه
راى قلبى ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوة
فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات
والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على
الجملة واما عالم الملكوت وهى الاسرار الغايبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصاير فلا نهاية
لها نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك
والملكوة اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات
اذ ليس فى الوجود شئ سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى للقلب من ذلك هو الجنة
بعينه عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته
وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب
وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفة وهو المراد
بقول الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه نعم هذا التجلى وهو الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان
التقليد المحض والثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع الاستدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان
العوام والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين وتبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك
بكون زيد مثلا فى الدار له ثلث درجات الاولى ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا
تتهمه فى القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان
العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وساير صفاته
وبعثة الرسول وصدقه فيما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه
بحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم او معلميهم وهذا الايمان سبب النجاة فى الآخرة واهله من اوايل رتب اصحاب
اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيهم كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع
من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوه من آبائهم
وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطا لانهم القى عليهم الخطا والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم
عليه ولكن القى اليهم كلمة الحق المرتبة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكنه من وراء جدار فتستدل
به على كونه فى الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه فى الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك
اذا قيل لك انه فى الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع
الصوت فى حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل
والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكات الا ان
ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر فى هذا التلبيس والمحاكات غرضا
المرتبة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هى المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية
وهو تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوى ايمانهم على ايمان العوام والمتكلمين
ويتميزون بمزية يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما
الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا فى الدار عن قرب وفى صحن الدار وفى وقت اشراق النهار فيكمل له ادراكه

والاخر يدركه فى بيت او من بعد او فى وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يتيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل فى نفسه
الدقايق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور فى تفاوت مشاهدة الامور الالهية واما مقادير المعلوم
فهو بان يرى فى الدار زيدا وعمروا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات
لا محالة فهذه حال القلب بالاضافة الى العلوم الدينية والدنيوية **بيان حال القلب بالاضافة
الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية** اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول
حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التى تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية
ومكتسبة والمكتسب تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعنى بها ما يقتضى به غريزة العقل ولا يوخذ بالتقليد
والسماع وهى ينقسم الى ضرورية لا يدري من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون فى
مكانين والشئ الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه العلوم يجد الانسان نفسه منذ الصبى
مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ومن اين حصل له اعنى انه لا يدرى فيه سببا قريبا والا فليس
يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقه والى مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا
قال على رضى الله عنه رايت العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء
العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى خلقا اكرم عليه من العقل والثانى هو
المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بابواب البر فتقرب انت بعقلك
اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على هو الذي يقدر على التقرب
باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة
العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الابصار لطيفة وتفقد بالعمى وتوجد فى البصير وان كان
قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشيا وتاخر
العلوم عن عين العقل فى مدة الصبى الى اوان التمييز او البلوغ يضاهى تاخر الرؤية عن البصر الى اوان طلوع
الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي يسطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى
قرص الشمس وانما لم يحصل العلم فى قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم
عبارة عن خلق من خلايق الله جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر كما قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما ان ليس ذاته
من جوهر ولا عرض فان قلمه من نور طوله ما بين السماء والارض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر
صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما فى الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة
المذكورة وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين
الى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما راى سمى ادراك
الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة
فان ذلك غير مخصوص بابرهيم عليه السلام حتى يذكر فى معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال
تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى
الآخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلى واما العلوم الدينية فهى الماخوذة بطريق التقليد من الانبيا
عليهم السلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيه بعد السماع
وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن الادواء والامراض والاعراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب

وان كان محتاجا اليهما كما ان العقل غير كاف فى استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية
والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهدى اليه ولا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل
عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن انوار
القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين بل كن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية
والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذا مهما فاته الدوا وكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها
الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والاعمال التى ركبها الانبيا ورتبها عليهم السلام
لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية يستضر بها
كما يستضر المريض بالغذا وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن
هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القايل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية
لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض فى الدين فيتحير فيه وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما
ذلك عجز فى نفسه خيل اليه نقصا فى الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذى دخل دارا فتعثر فيها باوانى
الدار فقال ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاوانى فى مواضعها وانما
انت لست تهتدى الى الطريق لعماك والعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك
فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب
والهندسة والنجوم وساير الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته
وافعاله كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متناقضان اعنى ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه
قصرت بصيرته عن الاخر ضرورة على الاكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والاخرة ثلثة امثلة فقال
هما ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احدهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس
فى امور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى امور الاخرة والاكياس فى دقايق علوم
الاخرة جهالا فى الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفى بالامرين جميعا فى الغالب فيكون احدهما مانعا
عن الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله اى البله فى امر الدنيا وقال الحسن ادركنا
اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل
الكياسة فى ساير العلوم فلا ينفرنك ولا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق
بما يوجد فى الغرب فكذلك يجرى امور الدنيا والاخرة ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
بالحيوة الدنيا الاية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال تعالى فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم والجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا
والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رشحه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس
المستمدون من قوة الالهية تتسع لجميع الامور ولا يضيق عنها واما قلوب ساير الخلق فانها اذا اشتغلت بامر الدنيا
انصرفت من امر الاخرة وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار فى الاكتساب

اعلم ان العلوم التى ليست ضرورية انما
تحصل فى القلب فى بعض الاحوال ويختلف الحال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القى فيه من حيث لا يدرى
وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل لا بطريق الاستدلال والاكتساب وحيلة الدليل
يسمى الهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتحمل اجتهاد

من العبد ينقسم الى ما لا يدرى العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذى منه
استفيد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الذى القى فى القلب والاول يسمى الهاما ونفثا فى الروع والثانى يسمى
وحيا ويختص به الانبيا والاول يختص به الاوليا والاصفيا والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال
يختص به العلما وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان يتجلى فيه حقيقة الحق فى الاشيا كلها وانما
حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التى سبق ذكرها فهى كالحجاب المسدل الحايل بين مراة القلب وبين اللوح
المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيمة وتجلى حقايق العلوم من مراة اللوح فى
مراة القلب يضاهى انطباع صورة من مراة فى مراة يقابلها والحجاب بين المراتين تارة يزال باليد واخرى
يزول بهبوب ريح يحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلى فيها بعض
ما هو مسطور فى اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون فى المستقبل وتمام ارتفاع
الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطا وفى اليقظة ايضا قد ينقشع الحجاب بلطف خفى من الله تعالى فيلمع فى القلب
من وراء ستر الغيب شئ من غرايب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالى الى حد ما ودوامه فى
غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب فى نفس العلم ولا فى محله ولا فى سببه ولكن يفارقه فى جهة زوال
الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحى الالهام فى شئ من ذلك بل فى مشاهدة الملك المفيد
للعلم فان العلوم انما تحصل فى قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم
الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل
والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة لمحو الصفات المذمومة وقطع العلايق كلها والاقبال
بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار العلم
واذا تولى الله تعالى امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور فى القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت
وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة وتلالا فيه حقايق الامور الالهية فليس على المريد الا
الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار
لما يفتحه الله تعالى من الرحمة اذ الانبيا والاوليا انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة
للكتب بل بالزهد فى الدنيا والتبرى عن علايقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى
فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق فى ذلك اولا ان يقطع علايق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها
ويقطع عنها همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه عنها الى حالة يستوى
فيه وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ الهم
مجموع القلب ولا يفرغ فكره بقراءة قران ولا بالتامل فى تفسيره ولا بكتبة حديث وغيره بل يجتهد ان لا
يخطر بباله شئ سوى ذكر الله تعالى ولا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قايلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور
القلب الى ان ينتهى الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان
يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان تمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه
وهيئة الكلمة ويبقى معه معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهى
الى هذا الحد واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله تعالى
بل هو بما يفعله فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمة فتحها على الانبيا

والاوليا بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم يجاذبه
شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا فتلمع لوامع الحق فى قلبه ويكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف
لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول
وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اوليا الله فيه لا تحصى كما لا يحصى فيه
تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلا ثم استعداد
وانتظار فقط واما النظار وذوا الاعتبار فلم ينكروا وجدان هذا الطريق وامكانه وافضاه الى هذا المقصد
على الندور فانه اكثر احوال الانبيا والاوليا ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطاوا ثمرته واستبعدوا اجماع
شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل فى حالة فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس
وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر فى غليانه وقال قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فى اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض
البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها لحقايق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن
النفس اليها مدة طويلة الى ان تزول والعمر ينقضى دون النجاح فكم من صوفى سلك هذه الطريق ثم بقى فى
خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال
بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهى ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم
ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحى والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهى
بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة ورجاء العثور
على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلما
وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلما فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان
القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس بمدرك بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس
ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفا بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا فى الارض احتمل ان يساق
الما اليه من فوقه بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع عنه التراب الى ان يقرب من مستقر
الما الصافى فينفجر الما فيه من اسفل الحوض ويكون ذلك الما اصفى وابقى وادوم وقد يكون اغزر واكثر
فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الما والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم الى القلب
بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلى علما ويمكن ان تسد عنه هذه الانهار بالخلوة
والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله
فان قلت وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب فلا يسمح بذكره
فى علم المعاملة القدر الذى يمكن ذكره ان حقايق الاشيا مسطورة فى اللوح المحفوظ بل فى قلوب الملائكة المقربين
وكما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدار فى بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذى
خرج الى الوجود بصورته تتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السما والارض ثم يغض
بصره يرى صورة السما والارض فى خياله حتى كانه ينظر اليها ولو انعدمت السما والارض وبقى هو لوجد صورة
السما والارض فى خياله حتى كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فتحصل فيه حقايق
الاشيا التى دخلت فى الحس والخيال فالحاصل فى القلب موافق للعالم الحاصل فى الخيال والحاصل فى الخيال

> فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره فى اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة صح

موافق للعالم الموجود فى نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة فى
اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات فى الوجود وجود فى اللوح وهو سابق على وجوده الجسمانى ويتبعه
وجوده الحقيقى ويتبع وجوده الحقيقى وجوده الخيالى اعنى وجود صورته فى الخيال ويتبع وجوده الخيالى
وجوده العقلى اعنى وجود صورته فى القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية
بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها
صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسرى من وجودها فى الحس وجود فى الخيال ثم منه وجود
فى القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثال فى ذاتك لما كان لك خبر
مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب فى القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار
حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بالقلب وبعجايبه فلنرجع الى المقصود فنقول القلب يتصور ان
تحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان تحصل فيها
صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الما الذى يقابل الشمس فتحكى صورتها فمهما ارتفع الحجاب
بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وينفجر اليه العلم منه فاستغنى عن اقتباس العلوم من مداخل الحواس
فيكون ذلك كتفجر الما من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا
له من مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الما اذا اجتمع من الانهار فى الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض وكما ان
من نظر الى الما الذى يحكى صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم
الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وعالم
الشهادة والملك ايضا يحاكى عالم الملكوت نوعا من المحاكات فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس
فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخلانى الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا
بالتامل فى عجايب الرويا واطلاع القلب فى النوم على ما سيكون فى المستقبل او كان فى الماضى من غير اقتباس
من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال عليه الصلوة والسلام سبق المفردون
قيل من هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال الله تعالى
فى وصفهم اقبل اليهم بوجهى اترى ان من واجهته بوجهى يعلم احد اى شى اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم
ان اقذف النور فى قلوبهم فيخبرون عنى كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذن الفرق
بين علوم الانبيا والاوليا وبين علوم الحكما والعلما هذا وهو ان علومهم تاتى من داخل القلب من الباب المنفتح
الى عالم الملكوت وعلوم الحكما ياتى من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده
بين عالمى الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى فى علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العالمين
المثال الثانى يعرفك الفرق بين العملين اعنى عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما يعملون فى اكتساب نفس
العلوم واجتلابها الى القلب واوليا الصوفية يعملون فى جلا القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط
وقد حكى ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر
راى الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجابا يمنع
اطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من
غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم ايضا فرغوا فعجب الملك
من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم منا

ارتفعوا الحجاب فرفعوا فاذا بجانبهم وقد تلالا فيه عجايب الصنايع الرومية مع زيادة اشراق وبريق
اذ كان جانبهم قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاوليا
بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين
وعناية العلما والحكما باكتساب نقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب وكيف ما كان الامر فقلب المومن
لا يموت وعلمه عند الموت لا ينمحي وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان
فيكون وسيلته المقربة له الى الله تعالى انما ما حصله من نقش العلم او ما حصل له من الصفا والاستعداد لقبول
نقش العلم ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب
الدرهم غني وصاحب الخزاين المترعة غني وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان
كما تتفاوت درجات الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف انوار ولا يسعى المومنون الى لقاء الله تعالى
الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل
وبعضهم يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدمه فيضي مرة ويطفى مرة اخرى
فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا اطفى قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين
ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر
كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدميه يحبوا على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق اخرى
وتجر رجل ويتعلق اخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا ظهر
تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا
يضاهي قول القايل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم
نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبيا نوره كنور الشمس وكما ينكشف
في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة في البيت
فكذلك يتفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء
في الخبر انه يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال
وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول
النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه
مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شي خير من الف مثله
الا الانسان او المومن اشارة الى تفضيل قلب العارف المومن فانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال الله
تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين ففضل المومن على المسلم المراد به المومن العارف دون المقلد وقال الله
تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم
وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر
ابن عباس رضي الله عنه قوله والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المومن بسبعماية درجة بين كل درجتين
كما بين السماء والارض قال عليه الصلوة والسلام اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال فضل العالم
على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على ساير الكواكب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت
درجات اهل الايمان والجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولذلك كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم
من رحمة الله تعالى عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر غني الذي

بملك

بلكه عشرة دراهم الى الغنى الذي
بملك

عالما

يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من
بخس حظه منه وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا **بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف
في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد** اعلم ان من انكشف له ولو الشي اليسير بطريق الالهام
والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدر ذلك من نفسه قط فينبغي ان يومن
به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب في الحكايات اما الشواهد فقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم
فهو بطريق الكشف والالهام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما
يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من
حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله صلى الله عليه
وسلم في دعائه سوال النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري
وبشري ولحمي ودمي وعظامي نورا وسئل عليه الصلوة والسلام عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه فما هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شي اسره النبي
صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يوتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى
يوتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال الله تعالى ففهمناها سليمن خص ما انكشف له باسم
الفهم وكان ابو الدردا يقول المومن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم
ويجريه على انفسهم وقال بعض السلف ظن المومن كهانة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه
ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى لايات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الايات لقوم يوقنون وروى
الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان علم باطن في القلب فذلك هو النافع وسئل بعض العلما
عن علم الباطن ما هو فقال سر من اسرار الله يقذفه في قلوب احبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقال عليه الصلوة
والسلام ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس رضي الله عنه وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من
جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقران مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك
علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون خصصها بهم وقال
تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب
فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا
هو العالم الرباني واليه مثله الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها
بواسطة تعلم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني هو الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف
من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الايات والاخبار والاثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة
ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر رضي الله
عنه لعايشة انما هما اخواك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا وكان قد عرف قبل الولادة انها بنت

وقال عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره فمعرفته
ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس رضي الله عنه قال دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه
وكنت لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرا شديدا وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال لي يدخل علي
احدكم واثار الزنا ظاهرة في عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت
له اوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز قال
دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله تعالى في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن دلويه دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي
وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح
بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال
يا احمد فقلت ما الخبر فقال لي كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا ببخيل فعاود مني خاطري
فقال بلى انك بخيل فقلت ما فتح الله تعالى اليوم على بشيء الا ودفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم
الخاطر حتى دخل علي صاحب ليونس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها
وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال
اعطها المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قيل انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين عقدنا لما
جلس هذا الفقير بين يدينا ان لا ناخذ عليه اجرا فرميت الدنانير في دجلة فقال ما اعزك احد الا اذله
الله تعالى وقال حمزة بن عبد الله العلوي قال دخلت على ابي الخير التيناني فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه
ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به يا تيني خلفي وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا
فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابرهيم الرقي قصدته مسلما
فصلى صلاة المغرب ولم يقرا فاتحة الكتاب مستويا فقلت في نفسي ضاع سفري فلما سلمت خرجت للطهارة
فقصدني السبع فعدت اليه فقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض
لضيفاني فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب
فخافنا الاسد وما يحكى عن تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمايرهم يخرج عن الحصر بل ما
يحكى عنهم من مشاهدة الخضر والسوال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر
والحكاية لا ينفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي
لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجايب الرويا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم
فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات
وكم من متيقظ غايص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب
وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي عبارة عن
شخص كوشف بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يبعد ان يكون في الوجود شخص يكاشف بحقايق الامور
ولا يشغل باصلاح الخلق فلا يبعد ان يكون في الوجود شخص يكاشف بالحقايق ولا يشغل باصلاح الخلق وهذا
لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبيا وصدق بالرويا الصحيح لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين
باب الى خارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع

والوحي

والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلم بالتعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة
سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما
السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملايكة بصور مختلفة للانبيا
والاوليا فذلك ايضا من اسرار عجايب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف
للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني عن املي عليه
شيئا من ذكر الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل نتقرب به الى الله
تعالى فقلت الستما تكتبان الفرايض قالا بلى فقلت فيكفيكما ذلك وهذا اشارة الى ان كرام الكاتبين لا
يطلعون على اسرار القلوب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة قال بعض العارفين سالت بعض الابدال
عن مسالة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول
رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته
فقال لم يكن في المسئلة عندي علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين فقال
لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبتك فاذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب فيه
التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحدثه وانيسه وقال ابو سليمن الداراني القلب بمنزلة
القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى
جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك
كتب عمر رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه يتجلى لهم امور صادقة وقال بعض
العلما يد الله على افواه الحكما لا ينطقون الا بما هيا الله لهم من الحق وقال الاخر لو شئت لقلت ان الله تعالى
يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسليط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة ولها ابواب ينصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله
ايضا مثال هدف يصيب اليه السهام من كل الجوانب او هو مثل مراة منصوبة تجتاز اليها اصناف الصور المختلفة
فترى صورة بعد صورة ولا يخلو عنها او هو مثال حوض ينصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه
وانما مداخل هذه الاثار المجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال
والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيا حصل منه اثر في القلب
وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن
الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل
القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دايما من هذه الاسباب واخص الاثار
الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخاطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار فاعني به ادراكات وعلوما
اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بالقلب بعد ان كان القلب
غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال
لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والعزم يحرك الاعضا
والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى
ما ينفع في الدنيا والاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمودة يسمى الهاما والخاطر

المذموم اعنى الداعى الى الشر يسمى وسواسًا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لابد له من سبب
ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات
على الاسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم السقف واسود بالدخان علمت ان سبب السواد
غير سبب الاستنارة فكذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى
ملكًا وسبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذى به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى
توفيقا والذى به يتهيأ لقبول وساوس الشيطان يسمى اغواءً وخذلانا فان المعانى المختلفة تفتقر الى اسامى
مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف
وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء
والتخويف وعند الهم فى الخير بالفقر فالوسوسة فى مقابلة الالهام والشيطان فى مقابلة الملك والتوفيق
فى مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شىء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة
مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان
والملك وقد قال عليه الصلوة والسلام فى القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق
ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان فى القلب هم
من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه وما كان من عدوه جاهده
ولتجاذب القلب بين هذين اللمتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن والله سبحانه وتعالى عن ان يكون له اصابع مركبة من لحم ودم وعظم منقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة
التقليب والقدرة على التحويل والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها فى التقليب والترديد
وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران
لقدرته فى تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك فى تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة
صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما
يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان
مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان
الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار
قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك
من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعاننى
عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله
على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغى والى الحد الذى ينبغى فشهوته لا تدعو الى الشر والشيطان المتدرع
بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس
ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين
جندى الملائكة والشياطين فى معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيتمكن ويستوطن ويكون اجتياز
الثانى اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشيطان وملكوها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار
العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان

وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذى هو مطرح اثر الملائكة قال جرير بن عبد الله العدوى
شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد فى نفسى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص
فان كان فيه شىء عالجوه والا مضوا وتركوه يعنى ان القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال
الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الاية وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك
تسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو
عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمان بن العاص يا رسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال
ذلك شيطان يقال له خنزب اذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله
عنى وفى الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب
الا ذكر شىء سوى ما يوسوس به لانه اذا حضر فى القلب ذكر شىء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن ذكر كل شىء سوى الله
وسوى ما يتعلق به فيجوز ايضا ان يكون مجال الشيطان فذكر الله تعالى هو الذى يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان
فيه مجال ولا يعالج الشىء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى والاستعاذة والتبرى عن الحول
والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه
الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف عليهم فى اوقات الغفلات والفلتات عن
سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال
مجاهد فى معنى قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض
واذا غفل انبسط على قلبه والتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين الظلام والنور وبين الليل
والنهار ولتطاردهما قال عليه الصلوة والسلام ان للشيطان خرطوما فى قلب ابن آدم فاذا ذكر الله راع واذا
نسى التقم قلبه ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس رضى الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسى الله التقم
قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده على وجهه
وقال بابى وجه من لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمى ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية فى لحمه
ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى
الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب
من جوانبه قال تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم فى طرق فقعد له
بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر
وتذر ارضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل
فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك فمات كان
حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر عليه الصلوة والسلام معنى الوسوسة وهى هذه الخواطر التى تخطر
للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم
بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه واسم سببه الملك او الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمى
وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا
النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر

فى ذات الشيطان وانه جسم لطيف اوليس بجسم وان كان جسمًا فكيف يداخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا
الآن غير محتاج اليه فى علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخل فى ثوبه حية وهو محتاج الى دفع
ضرها عنه فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على الشرور
قد علمت ودل ذلك على ان له سببا لا محالة وعلم ان الداعى الى الشر المحذور فى المستقبل عدو فقد عرف
العدو فينبغى ان يشتغل لا محالة بمجاهدته وقد عرف الله تعالى عداوته فى مواطن كثيرة من كتابه ليؤمن به
ويحترز عنه فقد قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الاية وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان
لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغى للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسوال عن اصله
ونسبه ومسكنه نعم ينبغى ان يسال عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف
للعالمين فاما معرفة حقيقة ذاته وصفته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين فى علوم
المكاشفة ولا يحتاج فى المعاملة الى معرفته نعم ينبغى ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعها انه داع الى
الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك فى كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى
انه من لمة الملك او من لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر فى معرض الخير والتمييز فى ذلك
غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير
كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل وهلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك
رحمة على عباد الله فتنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق
ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله تعالى الى الصراط
المستقيم فلا يزال يستجره بلطايف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين
اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقطت ووقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال
يقرر ذلك وهو فى اثنائه يوكد فيه شوايب الريا وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى
الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده
الى الجاه والقبول فيهلك نفسه بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يويد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك
روى ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا
تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلما والزهاد والعباد والفقرا
والقرا والاغنيا واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض فى المعاصى المكشوفة
وسنذكر من جملة مكايد الشيطان فى كتاب الغرور فى آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان نصنف فيه
كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه فى البلاد والعباد فى المذاهب والاعمال
حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق العبد ان يقف
عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع
ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا اى رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اى انكشف لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى
فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو لا يشعر وفى مثلهم
قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هى اعمال ظنوها حسنات فاذا هى سيئات واغمض

ضررها

انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله
الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز
منه ولا ينجى من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات
وعلايق الدنيا والخلوة فى بيت مظلم تسد ابواب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس
من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية فى القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب
بذكر الله ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا
آخر لها الى الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن
نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجرى فى بدنه فانه ما دام
حيًا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهى الشهوة والغضب والحسد والحدة والطمع والشره
وغيرها كما سياتى شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة
قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة ولا خلاص للمؤمن عنه نعم له سبيل
الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى احدكم بعيره
فى السفر قال ابن مسعود رضى الله عنه شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطان دخلت
فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور فقلت ولم ذلك تذيبنى بكتاب الله تعالى واهل التقوى
لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعنى الابواب الظاهرة والطرق الجلية
التى تفضى الى المعاصى الظاهرة وانما يتعثرون فى طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها
كما اشرنا اليه فى غرور العلما والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب بالشيطان كثيرة وباب
الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيه مثال المسافر الذى يبقى فى بادية
كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة ولا يكاد يفلح الا بعين بصيرة وطلوع الشمس مشرق
والعين البصيرة هاهنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبهما يهتدى الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال
ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين
الخط وعن شماله فقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطى
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا
للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلما والعباد والمالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى
الظاهرة فلنذكر مثالا للطريقة الواضح الذى لا يخفى الا ان يضطر الادمى الى سلوكه وذلك كما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب فى بنى اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى فى قلوب
اهلها ان دواها عند الراهب فاتوا بها الى الراهب فابى ان يقبلها فلا يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها
فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه وقال الآن
تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى اهلها الشيطان فوسوس اليهم
والقى فى قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه عنها فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان
فقال له انا الذى اخذتها وانا الذى القيت فى قلوب اهلها فاطعنى تنج فاسجد لى سجدتين واخلصك منهم
قال بماذا قال فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برئ منك فهو الذى قال الله تعالى كمثل الشيطان

اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني برئ منك فانظر الآن الى حيلته واضطراره الراهب الى هذه الكباير
وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك
في قلبه بخفي الهوى فتقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى
البعض بحيث لا يجد محيصًا فنعوذ بالله من تضييع اوايل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب
مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن
عن العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواقع ثلمته ولا يقدر على حفظ الحصن وحراسة
ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف
وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله
فصار معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير
الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان **ومن ابوابه** العظيمة الحسد
والحرص فمهما كان العبد حريصا على شيء عماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء
يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فوجد الشيطان
فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام
لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح عليه
السلام ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك فقال نوح
اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك عنهن بثلاث
ولا احدثك بالثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث مره فليحدثك بالثنتين
فقال ما الثنتان فقال هما لا يكذباني هما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك الناس الحسد والحرص وبالحسد
لعنت وجعلت شيطانا رجيما وبالحرص فانه ابيح لادم الجنة كلها الا الشجرة فاصبت حاجتي منه بالحرص
ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان
ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام
فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله لرسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد
ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا ربه موسى فقال يا موسى قد قضيت حاجتك
فلقي موسى ابليس فقال امرت ان تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا
فاسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك
فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين
تلقى الزحف فاني اتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس
امراة ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب والحرص
فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من سجوده لادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال
بعض الانبيا لابليس باي شيء تغلب ابن آدم فقال اخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب
فقال له اي اخلاق بني ادم اعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة
وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون

بلغ المقابلة

من العدو صح

قوله ان يسجد لقبر آدم صح

في راسه **ومن ابوابه** حب التزين في الثياب والاساس والدور فان الشيطان اذا راى ذلك غالبًا على
قلب انسان باض فيه الشيطان وفرخ ولا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع
بيوتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى
عن معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض ولا يزال يؤديه شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو
في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة
الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان
روي ان ابليس ظهر ليحيى ابن زكريا فراى عليه معاليق من كل شيء فقال له ما هذه المعاليق قال هذه
الشهوات التي اصيب بهن من بني آدم فقال فهل لي فيها شيء فقال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة
وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح
مسلما ابدا ويقال في كثرة الاكل ست خصال مذمومة اولها ان يذهب خوف الله من قلبه الثاني ان
تذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع اذا سمع كلام الحكمة
لا يجد له رقة الخامس اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا تقع في قلوب الناس السادس انه يهيج منه الامراض
ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن اليه التصنع والتزين
لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد
والتحبب اليه ويدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثنا عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة لا تسال
احدا غير الله تعالى سوال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العجلة وترك التثبت في الامور وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله وقال تعالى خلق الانسان عجولا وقال ولا
تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد البصيرة والمعرفة والبصيرة
يحتاج الى تامل ومهلة والعجلة يمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري
روي انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها
فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام
قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم وقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت
الا وانا بحضرتها الا هذا فايسوا ان يعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ايتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة
ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار وكل ما يزيد على
قدر القوت والحاجة فهي مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على
طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل واحدة الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعمائة اخرى
وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن وجد مائة وظن انه قد صار غنيا بها وقد صار محتاجا الى تسعمائة
ليشتري بها دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك
يستدعي شيئا اخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية اخرها عمق جهنم ولا اخر لها سوى ذلك قال ثابت
لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤه
وقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل
شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قط قوما مثل هؤلاء

ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمكه قال هات قال انظر ان يكن سرك ان يكن ردده جاءني خيرا قبلته وان فاني املكك اذا غضبت صح

نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فينحى ذلك عنهم فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك
تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلام كان يتوسد حجرا عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان
يكون عدة للشيطان عليه فان القايم بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال
يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته في النوم هذا في حجرة فكيف
بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه البخل
وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم
هو الموعود للكانزين كما نطق به القران قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني شي عليه ابن آدم فلن
يغلبني على ثلث ان آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه من غير حقه ومنعه من حقه وقال سفين ليس للشيطان
سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء
ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشيطان روي عن ابي امامة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما
فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال
ما لا يذكر اسم الله تعالى عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعلني مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا
قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء ومن
ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهوا والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدرا والاستحقاد
وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم وفضايحهم
صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا
لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور ويظن انه يسعى في الدين وهو
ساع في اتباع الشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو اكل الحرام ومطلق اللسان بالكذب
والفضول والغيبة ومتعاط لانواع الفساد ولو راه ابو بكر رضي الله عنه لكان هو اول عدو له اذ موالي ابي بكر
رضي الله عنه من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما احبه وكان من سيرته ان يضع حجرا في فيه ليكف لسانه
عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي ولاه وحبه وترى فضوليا اخر يتعصب لعلي رضي الله
عنه وكان من زهد علي وسيرته ان لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ
فترى الفاسق لابسا لثياب الحرير متجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه
وهو اول خصمائه يوم القيمة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وثمرة فواده وحيوة قلبه
فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك حب ابيه وولاه فكيف يكون حاله
عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعلي وساير الصحابة من الاهل والولد بل من نفوسهم
والمقتحمون بمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس
عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله تعالى لا بل لو كشف
الغطا وعرف هولاء ما يحبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من ان يجروا على اللسان
ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل على الاخر
انه من مات محبا لعلي رضي الله عنه لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولده فاطمة رضي الله
عنها فهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيا وهذا مثال وردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم

فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به فقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده ع

نقصانهم وعيوبهم ع

حصاه

المتعصبين للشافعي وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم من الائمة رحمهم الله فكل من ادعى مذهب امام وهو
ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي بالعمل دون الحديث باللسان وكان الحديث
باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة الذي هو مسلكي ومذهبي الذي سلكت
وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك
به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا
رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك
في صدورهم ولم ينبههم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه
ونسوا مهمات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا ان ابليس قال
سولت لامة محمد عليه الصلوة والسلام المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون
الله منها وهي الاهوا وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف
يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس
في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم
من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد ما بينهم فقاموا
يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك
مراد الشيطان منهم ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله
وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله خيالا يتعالى الله
عنهم فيصير المرء به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور متبجح بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة
والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه
واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لانفسهم وظنهم واحرصهم على السوال من العلما قالت عايشة رضي الله
عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تعالى فيقول
من خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله ورسله فان ذلك يذهب عنه فالنبي صلى الله
عليه وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلما وانما
حق العوام ان يومنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم او بمعايشهم ويتركوا العلم الى العلما فالعامي لو زنا
او سرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث
لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا تحصر
وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من
الظن ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام
بحقوقه او يتوانا في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل
ذلك منع الشرع من التعرض للتهم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى انه عليه الصلوة والسلام
احترز منه وروي عن علي بن الحسين ان صفية بنت حيي رضي الله عنها اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما
ثم مضيا فدعاهما وقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا قال عليه الصلوة والسلام
ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما

فانه من تكلم ع

وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في
احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس
كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم شعر وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن عين السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون
بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن
وان ذلك خبثه الذي يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب
العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت
استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي
سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول
الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات
المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من هذا الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات
ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه ان شاء الله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات
كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان
حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا
فيكون الذكر حديث النفس لا سلطان له على القلب ولا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين
الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا خصص ذلك بالمتقين ومثال الشيطان مثل كلب جايع يقرب
منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فانه ينزجر بان تقول له اخس فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين
يديك لحم وخبز وهو جايع يهجم على اللحم فلن يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر
عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من
سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة
فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل
ذلك قوله جل جلاله فاستعذ بالله وساير الايات والاخبار الوارده في الذكر قال ابو هريرة رضي الله عنه
التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول
اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جايعا
واذا شرب سمى الله فاظل عطشانا واذا ادهن سمى الله فاظل شعثا واذا لبس سمى الله فاظل عريانا
قال شيطان الكافر ولكني مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد
بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله
من حيث لا نريهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعد بيننا وبينه
كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع
هل تعرفني من انا قال ومن انت قال انا اللعين قال له وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة ولا اتعرض
لك ابدا قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع الان ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان
ياتي النبي صلى الله عليه وسلم وبيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ ولا يذهب فاتاه
جبرئيل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات كلها التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر

يطلع على عوراتنا صح

ومن طوارق الليل والنهار صح

ماذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا
يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفيت شمعته وخر على وجهه فقال الحسن نبئت ان جبرئيل عليه السلام
اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي فقال
صلى الله عليه وسلم لقد اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق نبيا ما ارسلته
حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحا وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا وسلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لان هذه القلوب مطهرة عن مرعى
الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع عنك الشيطان بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر
رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتما والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة
ويطمع في ان ينفعه كما ينفع الذي شربه بعد الاحتما وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتما يخلي
القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول
الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه
من تولاه فانه يضله ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث
فقد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط
يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك في صلاتك
فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف تجاذبه الشياطين الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب
المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في
صلاتك فلا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها تظهر مساويها
ومحاسنها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان
بل ربما تزيد عليك الوساوس كما ان الدواء قبل الاحتما ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص
من الشيطان فقدم الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما كان يفر من عمر
رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه
في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد
معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله
ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعا قيل لابراهيم ابن ادهم ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا
وقد قال تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم
حق الله فلم تقوموا بحقه وقراتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم
سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقد قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطاتموه
على المعاصي وقلتم نخاف النار فارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم
رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي
الى المعاصي المختلفة شيطان واحد ام شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة
فاشتغل بدفع العدو ولا تسئل عن صفته كل البقل من حيث توتى به ولا تسئل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور
الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعوا اليه
فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على

كما يقال

اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة
اولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ان اسماءهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور واما
ثبر فهو صاحب المصايب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور
فهو صاحب الزنا يامر بالزنا ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى
اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون ملتطمين وشيطان
الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضو يسمى الولهان وقد وردت في ذلك الاخبار الكثيرة وكما ان الشياطين
فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل
واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون
عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر تسعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصايف
وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين وقال يونس بن زيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤن معهم وقال جابر بن عبد الله
ان آدم عليه السلام لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لا تعينني عليه لا اقوى عليه
قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال
رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام الروح في الجسد قال ابليس رب هذا العبد الذي كرمته علي الا
تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا يولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم
وتتخذ من صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابي الدردا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض
وصنف كالريح في الهوى وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم
قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين
وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله قال وهيب ابن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا وقال انصحك
كالملائكة صح
فقال لا اريد ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا
نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه
فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عنا واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة
الكرة في ايدي الصبيان فنقلبهم كيف نشاء وقد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون
لا نقدر منهم على شيء فان قلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون بعض واذا راى صورة فهل صورته
الحقيقة او هو مثال له يتمثل به وان كان صورة الحقيقة فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين
وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما
ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته
الا مرتين وذلك انه عليه الصلوة والسلام ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده على ذلك بحراء فطلع له جبريل
فسد الافق من المشرق الى المغرب وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في
صورة الادمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل
المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه ويقوم ذلك
مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي ينتهي الى رتبة

لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما
روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فراى في النوم جسد
رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه ويرى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه
واذنه له خرطوم طويل وهو دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ومثل هذا
قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد راه بعض المكاشفين على صورة كلب جاثم على جيفة يدعوا الناس اليها وكانت
الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقته من الوجه
الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل
بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي
يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كلها متخيلات
الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا يكون الصورة على وفق المعنى حتى
يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما صورة
التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكيا للصفة وموافقا لها لان
الصورة ~~التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت~~ في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح
الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة يكون
تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكيا لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث
ويدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع انواع التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجايب علوم القلب
ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك
تارة بطريق التمثل والمحاكات كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى وهذا
مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من
حواليه كالنايم **بيان ما يواخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها
وما يعفى عنه وما لا يواخذ به** اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه اخبار وآيات متعارضة لا يتيسر طريق
الجمع بينهما الا على سماسرة العلما فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها
فاكتبوها سيئة عليه واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري
وان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة صح
في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشر الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت
واحدة وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل
على المواخذة فقوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك
به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا فدل على ان عمل الفواد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه
وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن
يواخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسئلة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلب
من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة
امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر اليها وهو حركة الشهوة

التي في الطبع وهو يتلو لدى الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ونسمي الاول حديث النفس والثالث حكم القلب
بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان تنظر اليها فان الطبع اذا مال تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف
فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم من
جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه
وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبدأ ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر
الاول حتى طالت محادثته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما
يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عايق فيتعذر عليه
العمل فههنا اربعة احوال القلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد
ثم الهم ونقول اما الخاطر فلا يواخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما
لا يدخلان تحت الاختيار وهما المراد ان يقوله عليه الصلوة والسلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث
النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس
بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال مهلا
ان من سنتي النكاح قال ان نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصا امتي الصيام قال ان نفسي تحدثني ان
اترهب بنفسي قال مهلا ان رهبانية امتي الجهاد والحج قال ان نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه
ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله لاطعمني فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس وكذلك
شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب
بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يواخذ
به والاضطراري لا يواخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يواخذ به الا انه لم يعمل نظر فان تركه خوفا من الله
وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على
تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع لا
يدل وهو العمل لله اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه ترجح جده في الامتناع
وهمه به على همه بالفعل وان تعذر الفعل بعايق او تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت له سيئة فان همه بالفعل فعل
من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت الملائكة ربنا ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له
بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من اجلي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة
وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن
نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته
وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه
وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يواخذ بالنية
والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الى ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك
كتب حسنة واما فوات المراد بعايق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة وكل ذلك
لا يدخل تحت الاختيار فالمواخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم

دوثب ح

او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث
نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال عليه الصلوة والسلام لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل
سمعنا وعصينا فقالوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا
يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يواخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس فكل من يظن
ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلثة فلا بد وان يغلط وكيف
لا يواخذ باعمال القلب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع
والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا اي مما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير
محرم لم يواخذ به فان اتبعه نظرة ثانية كان مواخذا بها لانه مختار وهكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى
بل القلب اولى بمواخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب ثم قال الله
تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال عليه الصلوة والسلام الاثم حواز القلوب
قال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب
شيء وكان مخطيا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله
وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية
وان ظن انها اجنبية عصى بوطئها وان كانت زوجته كل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها
وعجايبها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله
عليه وسلم قال اذا ذكر الله تعالى خنس والخنوس هو السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري
في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه
فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت قد يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا
ولكن تسقط غلبتها للقلب فكانه يوسوس من بعيد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم
الذكر به في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوية وهو كالكرة التي عليها نقط
متفرقة فانها اذا ادبرت بسرعة رايت النقط دواير لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنوس قد
ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان
في القلب على الدوام تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب
قد يكون مجرى لشيئين وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما
امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه
المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد من الوسواس
واخبر عنه والوسواس اصناف الصنف الاول ان يكون من جهة التلبيس للحق فان الشيطان قد يلبس الحق
فيقول للانسان لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر الم عظيم فعند هذا
اذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه
ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع
ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب
الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه

والتقوى في القلب ح

ينقطع

ويعبده كما تعبد فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها علمه
وعمله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين تعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة
والايمان تدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان
يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب
الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا ربما يبقى مؤثرا
بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة لكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان
يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور
ان يندفع ساعة ويعود ساعة ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى
يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع
هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه الصلوة والسلام من صلى ركعتين ليس
يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك
في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو يتأذى به فقد يتفكر بمقدار
ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غيره وكذا المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة
محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد
بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو عند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من
خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر واذا تاملت جملة هذه
الاقسام واصناف الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص
من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا طويلا بعيد وهو محال في الوجود ولو تخلص احد
من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه نظر الى علم في ثوبه
في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب قال شغلني عن الصلوة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر
فرماه وقال نظرت اليه ونظرت اليكم وكان ذلك من وسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم
الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا تنقطع وسوسة عروض الدنيا
ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلاته
عن الفكر في ديناره انه كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف يظهره حتى يباهي
به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل
وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد بل له ابواب
قال حكيم من الحكما الشيطان ياتي ابن آدم من قبل المعاصي فاذا امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة
فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوءه وصلاته حتى يخرجه عن العلم
فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعند
ذلك يشتد لجاجه فانها اخر درجته ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة **بيان سرعة تقلب القلب
وانقسامه في التغير والثبات** اعلم ان القلب كما ذكرناه يكتنفه الصفات التي ذكرناها وينصب اليه
الاثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء
وتاثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده فيتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى انفتح للملك

اليه فصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر
الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا
واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله
في عجائب القلوب وتقلبها كان يحلف بها ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبها كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا
استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة يقلبها الريح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب
صنع الله تقلبها من حيث لا يهتدي اليه لا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون احوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات
على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق ينقدح
فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير
ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم انه لا بد من فعله ويستحثه عليه ويدعوه الى العمل به
فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانواع المعرفة فيراه
صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى
الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبية
حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية
ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف عليه الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا
القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف
والرجا والعفة والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي
اقبل على الله بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس
المطمئنة القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح
فيها ابواب الشياطين المسدود عليها ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه
فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي فيه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به
واستمر على استنباط الحيل له على مساعدة الهوى وموافقته فينشرح الى هوى النفس ويساعد عليه فينشرح الصدر
بالهوى ويبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار
الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان
بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الاخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه
حتى تنطفي انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها ولا تقدر على ان تنظر فهكذا يفعل غلبة الشهوة
بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم
وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الشهادة
من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه
افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله تعالى

لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ورب قلب هذا
حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض
الاشيا ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه فطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه
فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب
مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه
تهالك الواله المستهتر فينسى منه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفى
فيه انوار البصيرة فينطفى نور الحيا والمروة والايمان والتقوى ويسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث
قلب يبتدئ فيه خاطر الهوى فيدعوا الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها
الى نصرة خاطر الشر فيقوى الشيطان ويحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير فتنبعث النفس
بشهوتها ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على
الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوى داعي
الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتوذي نفسك هل ترى احدا من اهل عصرك يخالف
هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا
يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا
اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان
وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة اتقنع بلذة
يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة
الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك
ارايت لو كنت في يوم صايف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس ام تطلب
لنفسك الخلاص وكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل
النفس الى قول الملك فلا يزال القلب يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب
من هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها
غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين معرضا عن حزب الله واوليائه ومساعدا
لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه سوابق القدر ما هو سبب بعده عن الله وان كان الاغلب على
القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغوا الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاخرة
بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضا على جوارحه وقلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب
اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي
تظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزاين الملكوت وهي اذا ظهرت
كانت له علامات تعرف بها ارباب القلوب سابق القضا فمن خلق للجنة يسر له الطاعة واسبابها ومن خلق
للنار يسر له اسباب المعصية سلط عليه اقران السوء والقى في قلبه حكم الشياطين فانه بانواع الحكمة يغتر
الحمقى كقوله ان الله رحيم ولا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب
غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه

بطاعة

الحيل

الحيل وما يجري مجريها فالاحمق يوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقايق وكل ذلك بقضاء
من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل
ما يشا ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وخلق الله الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة
وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار وعلامة اهل الجنة
وقال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال فيما حكي عنه النبي عليه الصلوة والسلام هولاء
في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسال عما يفعل وهم يسلون فلنقتصر
الآن على هذا القدر اليسير من ذكر عجايب القلب فان استقصاه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه
ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور
عن اللباب بل يتشوف الى معرفة دقايق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية تم الكتاب وصلى الله على محمد وآله وصحبه

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة مرض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن
في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره
وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص
عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه
وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من اساريره ويتكشف حقايق الحق من مخايله وتباشيره
وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله
ولا بكثيره **اما بعد** فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق
شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق الحسنة هي الابواب المفتوحة من القلب الى
نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذايل
الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب
المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب
الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة هي امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت منه
حيوة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطبا بضبط قوانين العلاج
للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية والعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت
حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلوا قلب من القلوب عن اسقام
لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى تشمر
في معالجتها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكيها واهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد
خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير
تفصيل العلاج لخصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب
الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ونتضح
ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة
ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس

ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطريق الذى به يتعرف الانسان عيوب نفسه
ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق
ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى احد
عشر فصلا يجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عايشة
رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القران قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفوا عمن ظلمك وقال صلى الله
عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوزن فى الميزان الخلق الحسن وجاء
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه
من قبل يمينه وقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من
وراءه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم
قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصنى قال اتق الله حيث كنت قال زدنى قال اتبع السيئة
الحسنة تمحوها قال زدنى قال خالط الناس بخلق حسن وسئل صلى الله عليه وسلم اى الاعمال افضل فقال حسن الخلق
وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هى من اهل النار
وقال ابو الدردا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن والسخا ولما خلق
الله عز وجل الايمان فقال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخا ولما خلق الله عز وجل الكفر فقال اللهم قونى فقواه
بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم
الا السخا وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل
يا رسول الله اى المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم
فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله
رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد احسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن
البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابى مسعود البدرى
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعا يقول اللهم انى اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن
ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن
شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبى صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطى العبد قال خلق حسن
وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الى واقربكم منى مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من لم يكن فيه او واحدة منهن فلا يعتد بشىء من عمله تقوى يحجره
عن معاصى الله عز وجل او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به فى الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى
افتتاح الصلوة اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدينى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى
سيئها الا انت وقال انس بن مالك بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة
كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه الصلوة والسلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال عليه الصلوة والسلام اليمن

وقالت الحكما الخلق الحسن الصالح مجمع المحاسن وعنه تنشر الخصال المحموده وصاحبه فى ظل ظليل من رضى العامة عنه وقال حكيم حسن الخلق ان تحتمل اثقال الخلق ولا تحمل غيرك ثقلك صح

حسن

حسن الخلق وقال عليه الصلوة والسلام لابى ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس رضى الله
عنه قال قالت ام حبيبه رضى الله عنها يا رسول الله ارايت المرءة منا يكون لها زوجان فى الدنيا فيموت ويموتان
ويدخلان الجنة لايهما هى تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها فى الدنيا يا ام حبيبه ذهب حسن الخلق بخير الدنيا
والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصايم القايم بحسن خلقه وكرم ضريبته
وفى رواية اخرى ليدرك درجة الظمان فى الهواجر وقال عبد الله بن سمرة كنا عند النبى عليه الصلوة والسلام
فقال انى رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاء حسن
خلقه فادخله على الله وقال انس قال عليه الصلوة والسلام ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة
وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وروى ان عمر رضى الله عنه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
نساء من نساء قريش يكلمنه ويسالنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن بالحجاب
فدخل عمر ورسول الله يضحك فقال عمر مما اضحكك اضحك الله سنك بابى انت وامى يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عجبت لهؤلاء النسوة اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب
قال عمر فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اى عدوات انفسهن اتهبنى ولا تهبن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال
صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تنوج وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من
سوء خلقه اسفل درك جهنم الاثار قال ابن لقمن الحكيم لابيه يا ابت اى الخصال من الانسان افضل قال الدين
قال فاذا كانتا اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كان ثلثة قال الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا
قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال
فاذا كانت ستا قال يا بنى اذا اجتمعت فيه الخصال الخمس فهو تقى نقى لله تعالى ولى ومن الشيطان برى وقال
الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد
ويبلغ بسوء خلقه اسفل دركة فى جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال
وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبنى
فاجر حسن الخلق احب الى من ان يصحبنى عابد سيئ الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيئ الخلق فى سفره وكان
يحتمل منه ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له فى ذلك فقال ابكى رحمة عليه فارقته وخلقه معه لا يفارقه وقال
الجنيد اربع يرفع العبد الى الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو كمال الايمان
وقال الكتانى التصوف خلق من زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف وقال عمر رضى الله عنه خالطوا الناس
بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق
حسنة لا يضر معها كثرة السيات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال ما بين الله فى كتابه ان اكرمكم عند الله اتقيكم
وقيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق وقال ابن
عطا ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله تعالى
السالكون اثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا فى حقيقة الخلق
الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد منهم من ثمراته
ما خطر له وكان حاضرا فى ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب

وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم
من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا
وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضا الخلق في السرآء والضرآء وقال ابو عثمن هو الرضا عن الله عز وجل
وسئل سهل عن الخلق الحسن فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه
وقال مرة ان لا تتهم مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفآء بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور
فيما بينك وبين الله تعالى وفيما بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم
وطلب الحلال والتوسيع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفآء الخلق بعد مطالعتك
للحق وقال الخراز ان لا يكون لك همة غير الله هذا وامثاله كثيرة وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم
ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف الغطآء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان
مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالصورة الخلق الظاهرة
ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر الظاهر ومن روح ونفس
مدركة بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا
من الجسد المدرك بالبصر وكذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالروح والنفس
في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة
الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر منه الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا
حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انه هيئة راسخة
لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخآء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ
وانما شرطنا ان تصدر الافعال منها بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند
الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخا والحلم فها هنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة
عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن
واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخآء ولا يبذل الا لفقد المال او لمانع وربما يكون
خلقه البخل وهو يبذل المال لباعث او لريآء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطآء
بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطآء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق
السخا وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة يتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى
الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة
النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم
والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم
حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي قوة العلم وقوة
الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث واما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير
بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين
الجميل والقبيح في الافعال فاذا حصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي
التي قال الله تعالى فيها ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها

بسهولة

وانبساطها

وانبساطها على حد ما يقتضيه الحكمة وكذلك قوة الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني
اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهي في ضبط قوة الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته
منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلته منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي
تنفذ فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه
بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة
يكون مروضا مودبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا
ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض
اجزاء وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة
واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا
وان مالت الى الضعف والنقصان سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة يسمى
شرها وان مالت الى النقصان سمي جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان
والعدل اذا فات وليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند
الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى الاخر بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا
امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك
الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة
وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة
كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل
والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة يصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العدل يصدر
حسن التدبير وجودة الذهن ونقالة الراي واصابة الظن والتفطن بدقايق الاعمال وخفايا افات النفس
ومن افراطها يصدر الجربزة والمكر والخداع والدها ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني
بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شي دون شي والفرق ما بين الحمق والجنون
ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض
واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة يصدر
منه الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها
وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر عنه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما
تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب
واما خلق العفة فيصدر منه السخا والحيا والصبر والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة والظرف
وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط ومنه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير
والريا والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا واستحقار الفقرا وغير ذلك فامهات
محاسن الاخلاق هذه الفضايل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال
الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده يتفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب
منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق
استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع كلهم اليه ويقتدون به في جميع الاقوال والافعال ومن انفك عن جملة

ولا

هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق بان يخرج من البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين
المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق ومكارمها كما قال عليه السلام ولقد اشار القران الى هذه الاخلاق
في اوصاف المومنين فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى
الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخا الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هو الشجاعة التي ترجع
الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله الصحابة فقال تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال
فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة

اعلم ان بعض من غلبت عليه البطالة استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس
وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور
تغيرها وان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر
والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر على ان يجعل نفسه
طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق
بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا هذا بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا
ينقلع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فايدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة
وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل من الصيد
التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل
ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل لاختيار
الادمي في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا من ساير اجزاء الحيوانات
وبالجملة كلما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قبول الكمال بعد
ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة
يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة
متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما
بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم يقدر عليهما اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة
قدرنا عليهما وقد امرنا بهذا وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها
سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة
الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير
قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبتدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما
يخلق له الغضب وبعد ذلك ربما يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل
بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا مرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاول هو الانسان الغفل
الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستمر

شهوته ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث
من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود
العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهوته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه
ولكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه وقمعه
من كثرة التعود للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة
ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانه حق
وجميل وتربى عليه فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه وعلاجه الا على الندور وذلك لتضاعف
اسباب الضلال الرابع ان يكون مع وقوع نشوه على الراي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة
في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب
وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب ومن العناء رياضة الهرم والاول من هولاء جاهل فقط والثاني
جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما
الخيال الاخر الذي استدلوا به وهو قولهم ان الادمي ما دام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة
وحب الدنيا وساير هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطايفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات
ومحوها بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطع شهوة الطعام
لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان
عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى
يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال
الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن
التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله
تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل
جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك
قال سيدهم محمد صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه
فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا وكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى والكاظمين
الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل
ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة
على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال
فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على ان المطلوب
هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخا خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير
وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال
دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب
عن عوارض هذا العالم قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا وكذلك الجود ايضا

من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما عنهما اى لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على امساكه
ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك
مصروف القلب اليه فكان كمال القلب فى ان يصفوا عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ماهو
الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه
خال عن الوصفين وكذلك السخا بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود
وكذلك ساير الاخلاق فكلى طرفى قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد
للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا وامساك المال بذلا راسا ولا يرخص له فى شئ منه لانه لو رخص فى ادنى شئ منه
اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له
الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المطلوب المقصود
فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق **بيان السبب
الذي به ينال حسن الخلق على الجملة** قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى
اعتدال قوة الغضب والشهوة بكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود
الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا
معتدلين منقادين للعقل والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مودب متادبا كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا وكذا
ساير الانبيا صلوات الله عليهم ولا يبعد ان يكون فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى يخلق
صادق اللهجة جريا سخيا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق
وربما يحصل بالتعلم والوجه الثانى لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة والرياضة واعنى بها حمل النفس على
الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطى فعل
الجود وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير نفسه
جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين
مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير له ذلك خلقا وطبعا فيتيسر عليه وكذا جميع الاخلاق
المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذي يستلذ بذل
المال دون الذي يبذله عن كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ اخلاق الدين فى النفس
مالم يتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة ومالم يواظب عليها مواظبة من يشتاق
الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى
فى الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال
السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك
قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى
الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه
المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى ان يكون كذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة
ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر فى طاعة الله تعالى ولذلك كره
الانبيا والاوليا الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل
والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها فى القلوب وانما تتاكد

(في الهامش: المحمود ح)

آثارها فى القلب بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله
فلا يكون شئ احب اليه من لقاء الله ولا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من
المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل
ثم يكون مع ذلك فرحا به ومتلذذا ولا ينبغى ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان
العادة يقتضى فى النفس عجايب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين فى احزان دائمة ونرى المقامر
المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستنكر معه فرح الناس بغير القمار وربما يسلب
ماله ويخرب داره ويتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له ورده نفسه اليه مدة
مديدة وكذلك اللاعب بالحمام فقد يقف طول نهاره فى حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه بفرحه
بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها فى جو السما وعودها بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقتل
والصبر على السياط وعلى تقديمه الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته فى الصبر على ذلك ويرى ذلك
فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما يتعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالى
بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة فقد صارت احواله مع ما فيه من النكال قرة عينه وسبب افتخاره
بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء ويرى
المخنث فى فرح من حاله وافتخار بكماله فى تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين
من التفاخر والمباهات كما يجرى بين الملوك والعلما وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام
مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى
القبايح فكيف لا تستلذ الحق لو كانت ردت اليه مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور
الشنيعة وهو خارج عن الطبع يضاهى الميل الى اكل الطين وقد يغلب ذلك على بعض الناس بالعادة فاما ميله
الى الحكمة وحب الله ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب اللذيذ الشهى فهو مقتضى طبع القلب فانه امر
ربانى وميله الى مقتضى الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله
تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سبب
حيوته وكل قلب مال الى حب شئ سوى حب الله تعالى ولا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشئ
لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق
الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهى تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب
العلاقة بين القلب والجوارح اعنى النفس والبدن فان كل صفة يظهر فى القلب فيفيض اثرها على الجوارح
حتى يتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجرى على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور
ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له
الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن
فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة
فى نفسه فيصدر منه بالاخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه فى الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذى
جعل خطه حسنا ولكن الاول متكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة
فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقها وهو
التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما

(في الهامش: مع ان القمار ح — ودرجلية ح)

متواضعا فليلزمه ان يتعاطا افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعًا فلا علاج له الا ذلك وكما ان
طالب فقه النفس لا يياس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس
وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة
الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد يدعوا الى مثلها ثم يتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس
بالكسل ويهجر التحصيل راسًا فيفوته فضيلة الفقه فكذلك صغاير المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل
السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس باثره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس
شيئا شيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس باثرها في تزكية النفس
وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة
من الاحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فلها لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية
وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وكذا على التوالي يسوف نفسه يومًا يومًا الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه
فكذا من يستهين بصغاير المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي اما ان يختطفه الموت بغتة او يتراكم
ظلمة الذنوب على قلبه ويتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعوا الى الكثير ويصير القلب مقيدًا بسلاسل الشهوات
لا يمكن تخليصه عن مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدًا
ومن خلفهم سدًا ولذلك قال علي رضي الله عنه الايمان في القلب يبدو نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك
البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض قلبه كله وان النفاق ليبدوا في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق
ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع
والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدات ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير
واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار
ذا فضيلة طبعًا واعتيادا وتعلمًا فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له الاقران السوء فتعلم
منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعوده فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه
الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون **بيان تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق**
قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة في النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيه كما ان الاعتدال
في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالًا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو
الرذايل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضايل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل عنه
وكسب الصحة وجلبها له اليه فكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعترى العلة المغيرة بعوارض
الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه اي بالتعود والتعلم يكسب الرذايل وكما ان البدن في الابتدا لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو
والتربية بالغذا فكذلك النفس يخلق ناقصة قابلة للكمال وانما يكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية
بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحًا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه
جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وحفظ
صفتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفاء لها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان يسعى
لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة

فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض
الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد
من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة
والصبر لمداواة مرض القلب بل هذا اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى
يتصل منه عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يكفي لعلة سببه الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص
ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من عيار يعرف به مقدار النافع
منه فان لم يحفظ عياره زاد الفساد فكذلك النقيض الذي يعالج به الاخلاق لا بد له من عيار وكما ان عيار الدوا
ماخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة
فيعرف درجتها اهي ضعيفة ام قوية فاذا عرف ذلك التفت معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة
المريض وسنه وساير احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب
المسترشدين ينبغي ان لا يقدم ولا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف
اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين
بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما يحتمل
بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة
والصلوة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزين
بالعبادات ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر اثر الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض
قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت
اليه فان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره بان يخرج الى السوق للكدية والسؤال فان عزة
الرياسة لا ينكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه
فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة فان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مائلا
اليه فرحا به ملتفتا اليه فليستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ
ومواضع الدخان حتى يتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات
الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان
نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت
اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخوا بترك الرعونة راسًا او بترك
صفة اخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر اخف منه كالذي يغسل
الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذ كان الماء لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان
وما اشبهه ثم ينقله من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقله من ذلك الى الترغيب في الرياسة وطلب الجاه
ثم ينقله عن الجاه بالترغيب في الاخرة فكذلك لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف مما هو فيه
وكذلك ساير الصفات وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الاكل اولا ثم كلفه ان يهيئ الاطعمة
اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى تقوى به نفسه فيتعود الصبر وينكسر شهوته وكذلك اذا راه شابا
متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح فيامره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على الماء
دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسًا حتى تذل له نفسه وينكسر شهوته ولا علاج في مبادي

الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكون وسلط عليه من يصحبه ممن هو فيه سوء
خلق ويامره بخدمة من ساء خلقه ويراعيه حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل
عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملاء من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار
الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل
لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام
طول ليلة على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كانت نفسه تكسل عن القيام فالزم نفسه القيام
على راسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه في البحر
اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل فهذه الامثلة يعرفك طريق معالجة القلوب فليس
غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الآن التنبيه على ان الطريق الكلي فيه
سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة وقال
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة
فقد تيسرت اسباب تلك الشهوة يكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه كسر
العزم الفت ذلك وفسدت فاذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة
النفس من كتاب المراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد به الرياضة
بالكلية **بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة** اعلم انه كما ان كل عضو من اعضاء
البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع
نوع من الاضطراب فمرض اليدان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض
القلب بان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله سبحانه وتعالى
وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي
للآدمي ما يتميز به عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار وغيرها بل بمعرفة الاشياء على
ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله
سبحانه فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة ومن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا
ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فمن عنده شيء احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين
احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف ان
القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه
فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة جميع الشهوات وهي نزع الروح
وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب
المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب
وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامة
اصل المرض فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء
البخل فانه المهلك المبعد عن الله تعالى وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا

فيكون

فيكون التبذير ايضا داء وكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب
الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد
عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المذموم فان كان اسهل عليك
والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك
وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل
على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على
الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الافعال وتعسرها حتى تنقطع علاقة قلبك
عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله
لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك ولا الامساك على البذل فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله
بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما
يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها
فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية
الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على
مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل
الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار
وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا الآية
اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى
في كل يوم سبعة عشر مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم ووجبت قراءة الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود واخواتها فلم قلت ذلك قال لقوله
تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب
من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال
الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب
بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف عيوبه امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم
يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في عين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاول
ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته
وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا
قد عز في هذا الزمان وجوده الطريق الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ
احواله وافعاله فما يكره من افعاله واخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة فينبهه عليه فهكذا كان يفعله الاكابر
من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان الفارسي رضي الله عنه
عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين
على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غيرهما قال لا قال اما هذان فقد كفيتهما وكان

بسل حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من اثار النفاق
فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كان يتهمه لنفسه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا
واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فيقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك
الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا يخلوا في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا
او عن مداهن يخفي عليك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس
قال ما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كان شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم تنبيه غيرهم وقد آل
الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا وكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان
فان الاخلاق السيئة عقارب وحيات لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة
وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ولا يدوم المها الا يوما فما دونه ونكاية
الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابد الاباد والاف السنين ثم انا لا نفرح بمن
ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول انت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا
العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل
كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها
ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه
فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق
مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد
ولكن البصير لا يخلوا عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد ان ينتشر على السنتهم الطريق الرابع ان يخالط
الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مراة المؤمن فيرى
في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران
لا ينفك القرين الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره
وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام
من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب
النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد
ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده **بيان**
شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب
ترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار
انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك
فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة
كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هي الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو
من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم درجات وكلا
وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله
تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل

انما

نزع

نزع عنها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق
يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى
ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة
بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غايب لم يره
وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا عليه من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا
وما الجهاد الاكبر يا رسول الله فقال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله عز
وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذن تخاصمك يوم القيمة
فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفين الثوري ما عالجت شيئا اشد من نفسي
مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الاخرة
مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح
باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة
اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام
موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى
البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى فاذا تحرك من النفس
ارادة الشهوات والاثام وهاجت فيها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد
وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتامن من بوائقها في ساير الايام وتصفيها
من ظلمة شهواتها فتنجوا من غوائل افاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات
وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفارة في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان
ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترز من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات
وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه
الفوائد قال جعفر بن محمد اجتمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق
من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامات وقال وهيب ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب
بن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيا للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن
الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال
الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة
التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح
على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب
ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها
صار داؤها دواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد قال
فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخرة وقال رجل لعمر بن
عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه
من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راى الشيء يشتهيه قال
لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان الطريق الى سعادة الاخرة

نهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشئ لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشئ منه انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الاخرة بحال ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوايق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه ولا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرقت الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حديث النفس حين يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى الرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فواده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القايل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسياتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابرهيم الخواص كنت في جبل لكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من هذه الزنابير فقال وارى لك مع الله حالا فلو سالته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد المها في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فلا اطعمتها فاذن لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم يمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شئ جميل لم يتحفظ من النظر الى ما لا يحل وكذلك ساير الشهوات لان الذي يشتهى به الحلال هو الذي يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراء هذه آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى يصير ممتلية به كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك لان الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيمة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وقال الله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور فاولوا العزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التاثر بذكر الله تعالى واليوم الاخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدايم والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع من العذاب فمن نوقش في الحساب في عرصات القيمة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والاخرة في الخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى

والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس اولا في بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهوا وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم عودت الثنا والذكر والدعا ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عوضا عن الانس بالدنيا وساير الشهوات وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاوه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما بعد يوم وعظم تعبه في الصبر وغلبت شدة الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير طبعا له فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويالف الطعام وكذلك الدابة في الابتدا تنفر عن السرج واللجام والركوب فيحمل على ذلك قهرا وتمنع عن الانسراح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث يترك في موضعه فيقف فيه من غير قيد وكذلك تؤدب النفس كما تودب الطيور والدواب وتاديبها بان يمنع عن البطر والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم ان من احب شيا يلزمه فراقه يشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلايل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حيوة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيره شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان يختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال والجاه او القبول في الوعظ او بالعز في القضا والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شئ من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمان اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت **بيان علامات حسن الخلق** اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المومنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق ونورد جملة من ذلك ليعلم به حسن الخلق وقد قال الله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله هم الوارثون وقال الله تعالى التائبون العابدون الى قوله وبشر المومنين وقال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون حقا وكذلك قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال

من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان
يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات الايمان هي حسن الخلق فقال اكمل المومنين
ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن شكورا حليما رفيقا صموتا وقورا فادنوا منه فانه
يلقن الحكمة وقال عليه الصلوة والسلام من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مومن وقال عليه الصلوة والسلام لا يحل
لمومن ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال عليه الصلوة والسلام انما يتجالس
المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال
ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول
برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا
ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله
فهذا احسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن همته في الصلوة
والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر
والمنافق مشغول بالحرص والامل والمومن ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج من كل احد الا الله والمومن امن من كل
احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمومن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون
ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمومن يحب الوحدة والخلا والمنافق يحب الخلطة والملا
والمومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمومن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى
للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكى من سوء خلق غيره فيدل
ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه
انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي
عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر له بعطاء ولما اكثر اليهود ايذاءه وضربه
فقال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال تعالى انك لعلى خلق عظيم وحكي عن ابرهيم ابن ادهم انه يخرج
الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم قال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال
الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه موضحة ورده الى البلد
فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا واخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم ابن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه
ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد قال انه لم يسئلني انت عبد من بل قال لي انت عبد قلت نعم
لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله عز وجل له الجنة فقيل له ظلمك فكيف سالت الله تعالى له الجنة قال
علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي ابو عثمن الحيري الى دعوة وكان
الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه هذا فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال له
ترجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمن ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك
مرات وابو عثمن لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمن الذي رايت مني هو خلق
الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمن اجتاز بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته
وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له
ان يغضب وروي ان علي بن موسى الرضا رضي الله عنه كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان له بنيسابور

المؤمنين ع

قريش صح

على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق الحمامي باب الحمام ومر الحمامي
الى بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه فدخل الحمام فراى علي بن موسى
الرضا رضي الله عنهما فظن انه بعض خدمة الحمام فقال له قم فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان
يامره فرجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج
علي بن موسى وسال عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب ليس الذنب له انما
الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي
يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط لذلك المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذها منه ولا يخبره
بذلك ولا يردها عليه فقضي من القضا ان عبد الله قام يوما من الحانوت لبعض حاجته فتقدم المجوسي الى تلميذه
واسترجع منه ما خاطه ودفع اليه درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك
فقال له بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة فانا اصبر عليه فاخذ الدراهم والقيها في
البير كيلا يغر بها مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشيا قلة الخلاف وحسن الانصاف
وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة
على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن
دونه وفوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار
له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس ابن عاصم قيل له وما بلغ من خلقه حلمه
قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على راس ابن له فمات
فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله عز وجل وقيل كان اويس القرني اذا راه الصبيان
يرمونه بالحجارة وهو يقول وان كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلوة وشتم رجل
الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمع سفهاء الحي
فيجيبوك وروي ان عليا رضي الله عنه دعى غلاما فلم يجبه فدعى ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا
فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي فقال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت
حر لوجه الله وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل
ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت
بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى
حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه وهولاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناها
فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل
بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان طريق رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي
امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش
وصورة ومايل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلم نشا عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل
معلم له ومودب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه
وقال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الاخرة اولى
وصيانته بان يودبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه

فهذا اما رايت من حلمه صح

الطريق في رياضة الصبيان من اهم الامور واوكدها وان صح

الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا
يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة
فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدت فيه مخايل
التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوايل الحيا فاذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال
فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى راى بعض الاشيا قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء
دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر
بكمال العقل عند البلوغ والصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه فاول ما يغلب
عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثلا ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند
اخذه ويا كل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق النظر الى الطعام ولا الى من ياكل ولا يسرع في الاكل
ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات
حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهايم وبان يذم بين
يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام
وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض دون الملون
والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النسا والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما
راي على صبي ثوبا من ابريسم او ملونا فينبغي ان يستنكر ويذم ذلك ويحفظ الصبي على الصبيان الذين عودوا
التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتدا
نشوه خرج في الاكثر ردي الخلق كذابا حسودا سروقا نماما لجوجا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ
عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم ينبغي ان يشغل في المكتب بتعلم القران وباحاديث الاخيار وحكايات الابرار
واحوالهم لينغرس حب الصالحين في نفسه وقلبه ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظه
عن مخالطة الادبا الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر
الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل حميد فينبغي ان يكرم عليه ويجازي عليه بما يفرح به ويمدح بين
اظهر الناس فان خالف ذلك الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشف ولا يظهر
انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده
جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تطلع
عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة
وركوب القبايح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه لا يوبخه الا احيانا
وينبغي للام ان يخوفه بالاب وتزجره عن القبايح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم
ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش
والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود
فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه
ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه
او بشيء من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف بالكلام معهم
ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمته ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في العطا لا في

من الحلال فيه البركة واللبن الحاصل صح

في بعض صح

يتخف

الاخذ فان الاخذ لوم وخسة وان كان من اولاد الفقرا فيعلم بان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك
من داب الكلب فانه يبصبص في انتظار لقمة وفي الجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع
فيهما ويحذر منهما اكثر من التحذير من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من
آفة السموم على الصبيان بل هي على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاوب
بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك
دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وان
ذلك فعل اولاد اللئام ويمنع اليمين راسا صادقها وكاذبها حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع من ان يبتدي
بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر سنا
منه وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب
ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تاديب الصبيان
الحفظ من القرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصياح والصراخ والتشغب ولا يستشفع باحد
من الصبيان ولا غيرهم بل يصبر فيذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك
والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب
بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه
وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه
وكل من هو اكبر منه سنا من قريب او اجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين
ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام
من رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل
الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما قارب
البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وان المقصود منها ان يقوى الانسان
على عبادة الله بها وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر
وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في
الجنات نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في
الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين
والتفاخر نبي قلبه عن قبول الحق نبوة الحايط عن التراب اليابس فاوايل الامور هي التي ينبغي ان يراعى فان الصبي
خلق بجوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال النبي صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال سهل بن عبد الله التستري كنت ابن ثلاث
سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما يا بني الا تذكر الله الذي خلقك فقلت
يا خالي كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي
الله ناظر الى الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال لي قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته
فقال قل في كل ليلة احد عشر مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك
ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري
ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهد عليه كيف يعصيه اياك والمعصية فكنت

ولا يتمخط

تحت ذقنه صح

وان الاخرة دار مقر لا دار ممر صح

فابواه

اخلوا فبعثوني الى المكتب فقلت اني لا اخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة
فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القران وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر
وقوتي من خبز الشعير اثنا عشر سنة فوقعت لي مسالة وانا ابن ثلث عشرة سنة فسالت اهلي ان يبعثوني
الى البصرة اسال عنها فجئت البصرة فسالت علماءها فلم يشف عني احد شيا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف
بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت معه مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه
ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر
عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على
ان اطوي ثلث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسة وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت
اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين
اصبح بالضرورة مريدا حرث الاخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان
معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث
الاخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله ورسوله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث النفس
وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهر خير من
الخرزة الا انه لا يدري من الجوهر الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة فلا
يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة
والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه
والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم
وغاصوا في بحر هواهم وخلطوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك
الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار
ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله سبحانه وتعالى عن السالكين ومهما كان
المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة
فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم
ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به
ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي
لا بد من تقديمها في الارادة فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه
تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة اشيا المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب
المال بان يخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد
محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه والتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب
الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان
يصدق بمعنى قول لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويخوض في تحقيق صدقه بان يدفع كل معبود له
سوى الله تعالى واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي

قدر درهم فاضل عن ضرورته صح

تلقفه

تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم
يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا
واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق
الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان
يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد
فان ترجمة غريب القران لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منه الى اسرار معانيه وكذا لا بد من تصحيح ظاهر
الشريعة اولا واخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال
والجاه كان كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد
يحتاج الى شيخ واستاد يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان
كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طريقه فمن سلك سبيل البوادي المهلكة
بنفسه من غير خفير ودليل فقد خاطر بنفسه وربما اهلكها ويكون المريد المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها
فانها تجف على القرب فان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه
فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر
ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطاء شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب نفسه لو
اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع
الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد
اصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب
شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب
ضاق منه مسالك العدو فان مجاريه العروق الممتلية بالشهوات قال عيسى ابن مريم عليه السلام يا معشر
الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص
البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلوب امر ظاهر تشهد له التجربة
وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره
وينضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال
الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة
والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة
فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة
وقال ابرهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله
العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب وتدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر
الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب للكلام عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر
ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى فاما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط
السمع والبصر فانهما دهليزا القلب والقلب في حكم حوض انصبت اليه مياه كدرة من انهار الحواس ومقصود
الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل فيه منها لينفجر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف
الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط

قذرة صح

الحواس الا عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة فى مكان مظلم فيلف راسه فى الجيب او يتدثر بكساء او ازار
ففى مثل هذا الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن تدفع عنه القواطع
ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات
ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم
من بعض والترتيب فى قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهى اعنى تلك الصفات اسرار العلايق التى
قطعها فى اول الارادة واثارها اعنى اثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصى
فلا بد وان يخلى الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك
باختلاف الاحوال فرب شخص مكفى قد كفى اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق
المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد كفى ذلك او ضعف بالمجاهدة
ولم يبق فى قلبه علقة تشغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنع من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر
على الفرايض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعنى ملازمة القلب لذكر
الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله مادام قلبه ملتفتا الى علايقه وقال الشبلى للحصرمى ان كان
يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التى تاتينى شئ غير الله تعالى فحرام عليك ان تاتينى وهذا التجرد لا يتصور
الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى
ليس له هم الا هم واحد فاذا كان كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم به ويقوته بقدر يسير
من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشتغل به لسانه
وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى
يسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر
عن اللسان وتبقى صورة اللفظ فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى
حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه وقد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشئ
خلا عن غيره اى شئ كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب
وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشئ
منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد فى دفع ذلك ومهما دفع
الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هى وما معنى قولنا الله
ولاى معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس
الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهى اعنى الخواطر
منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله منزه عن ذلك ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا
يبالى به ويفزع الى ذكر الله ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه
فينبغى ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد فى قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق
فى ارادة فينبغى ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر فى حاله ويتامل فى
ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغى ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته

فانه لم يكن مكان مظلم صح

كما يستدرك فاذا صح

عن غيره صح

حتى يقذف فى قلبه من النور ما ينكشف به حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد
الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغى ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك
الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه
طريقه فما يشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر والفكر ودفع العلايق
الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان
اخطا كان من الهالكين ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجايز وهو ان يلقن اصل الايمان وظاهر
الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر فى العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ
ان يتفرس للمريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال
الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن المجاهدة فى صف
القتال ينبغى ان يسقى القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة فى زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم
ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف من الاحوال وما
يبدوا من اوايل الكرامات ومهما التفت الى شئ من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا فى طريقه ووقوفا
بل ينبغى ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذى لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك
غلته وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة وقال بعض السايحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق
كيف الطريق الى التحقيق فقال ان تكون فى الدنيا كانك عابر سبيل وقال لى مرة اخرى قلت له دلنى على عمل اجد فيه قلبى مع الله تعالى فى كل وقت على الدوام
فقال لى لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لى منه قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت
لا بد لى من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم ولا بد لى من معاملتهم قال فلا
تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين
وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة
ان يجد قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو من غيره ولا يخلو الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله ابدا
انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطايف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف به
اصلا واذا انكشف للمريد شئ من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير
فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوا تلك اللذة الى ان يتفكر فى ايراد تلك المعانى وتحسين الالفاظ
المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل
القلوب اليه والاسماع اليه والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن ذكر الله
وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعوا عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح
كيد الشيطان بان يظهر فى اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك
فى باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى
صراط المستقيم فيعظم به فرحه بذلك فيقول الحمد لله الذى عضدنى وايدنى بمن يوازرنى على اصلاح عباده
كالذى وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذا وجده ضايعا ويتعين عليه ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه
فانه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون ففى كثرتهم استرواح
وتناصر فينبغى ان يعظم الفرح بهم ~~اعظم حبايل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتح على حذر منه~~ فانه اعظم
حبايل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتح لهم اوايل الطرق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان

قال ان تكون فى الدنيا كانك غريب او عابر طريق صح

عن غيره ولا يخلوا بل لا يحيط الوصف صح

وهنا عن الوجود حقا فينبغى الذى يكون المريد صح

ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين الله تعالى ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدرج الى لقاء الله تعالى اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي بيانه فان اغلب الصفات على الانسان بطنه ولسانه وفرجه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بها احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه العجب والكبر والرياسة واذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدنيا راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا اوجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد وكتاب في كسر شره الكلام وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الريا وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طريق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما ياتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى

كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القايم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه وكل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهويه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه **اما بعد** فاعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى دار الافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سواتهما فالبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منها آفة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريا ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلا ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا

منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح آفة شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها وهي بيان فضيلة الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس ولباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال النبي عليه الصلوة والسلام البسوا واشربوا وكلوا في انصاف بطونكم فانه جزء من النبوة قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان النبي عليه الصلوة والسلام كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ادمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة رضي الله عنهما الحديث الطويل الذي ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا هم الاخفيا الاتقيا الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض لفقدهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف الاعلى في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك اشرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم ايضا رواه طاوس وفي التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله يبغض القاري السمين من الشبع وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل في معاء واحد والكافر ياكل

فى سبعة امعآ اى ياكل سبعة اضعاف المؤمن او يكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعا كناية عن الشهوة
لان الشهوة هى التى تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذه المعاء وليس المعنى به زيادة عدد امعاء المنافق على امعاء
المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة
يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروى ان ابا جحيفة تجشا فى مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا فى الدنيا وكانت عائشة رضى الله
عنها وعن ابيها كانت تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلا قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى به من
الجوع فيقول صلى الله عليه وسلم يا عائشة اخوانى من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى دونهم فاصبر
اياما يسيرة احب الى من ان ينقص حظى غدا فى الاخرة وما من شئ احب الى من اللحوق باخلائى واخوانى قالت
عائشة رضى الله عنها والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس رضى الله عنه قال جاءت
فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قال قرص خبزته ولم تطب
نفسى حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة رضى الله
عنه ما اشبع النبى صلى الله عليه وسلم اهله ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه
وسلم ان اهل الجوع فى الدنيا هم اهل الشبع فى الاخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاء وما ترك عبد
اكلة يشتهيها الا كانت له درجة فى الجنة واما الاثار فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اياك والبطنة فانها
ثقل فى الحيوة ونتن فى الممات وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة وقال لقمن لابنه
يا بنى اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض
لنفسه اى شئ تخافين اتخافين ان تجوعى لا تخافى فانك اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد عليه الصلوة والسلام
واصحابه وكان كهمس يقول الهى اجعتنى واعريتنى وفى ظلم الليالى اجلستنى فباى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى
وكان فتح الموصلى اذا اشتد جوعه ومرضه يقول اللهم ابتليتنى بالجوع والمرض وكذلك تفعل باوليائك
فباى عمل اودى شكر ما انعمت به على قال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت
له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لى يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا وامسى جائعا وهو عن الله راض
وكان الفضيل يقول الهى اجعتنى واجعت عيالى وتركتنى فى ظلم الليالى بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك
فباى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين
كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفى التورية مكتوب اتق الله واذا شبعت فاذكر
الجائع وقال ابو سليمن لئن اترك لقمة من عشائى احب الى من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله
فى خزائنه لا يعطيه الا لمن احبه وورث داود الطائى عشرين دينارا فاكلها فى عشرين سنة وكان سهل
التسترى يطوى نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ
فيه حتى قال لا ترى فى القيمة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام والاقتداء بالنبى عليه الصلوة والسلام
فى اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الاخرة من الاكل
وقال وضع الحكمة والعلم فى الجوع وجعل الجهل والمعصية فى الشبع وقال ما عبد الله بشئ افضل من مخالفة
الهوى فى ترك الحلال وقال جاء فى الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانه ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة
فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين

فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال انما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة
وقيل ان اولياء الله صفرالوجوه من السهر عمش العيون من العبر وقال راس كل بر بين السماء والارض الجوع
وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله تعالى على العبد الجوع والسقم
والبلا الا ما شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد
وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وان شكر الله وكيف الشبع من الطعام
وسئل حكيم باى قيد اقيد النفس قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت
ارجل ابناء الاخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانج من افاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف
هواها وكان عبد الله بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احد الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا والاهم
الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكى مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن
صوته لخفته ورقته لانه اجوف غير ممتلى فكذلك الجوف اذا خلى كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام
وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله عز وجل رجل قليل الاكل قليل الراحة قليل النوم وروى ان عيسى عليه السلام
مكث يناجى ربه عز وجل ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن لذة المناجاة فاذا رغيف موضوع بين
يديه فقعد يبكى لفقد المناجاه فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى عليه السلام بارك الله فيك يا ولى الله ادع الله
تعالى لى فانى كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالى منذ عرفتك
فلا تغفر لى بل كان اذا حضر شئ اكله من غير فكر ولا خاطر وروى ان موسى عليه السلام لما قربه الله نجيا كان قد
ترك الاكل اربعين يوما على ما ورد فى القرآن لانه اسناك بعد ثلثين يوما فزيد عشر الاجل ذلك وكان يدعى
ابو سليمن الدارانى بندار الجائعين وقال اذا شبع الانسان جاعت اعضاؤه بالشهوة واذا جاع الانسان شبعت
اعضاؤه عن الشهوة وقيل الجوع طعام الحق لا يطعم الا الخواص من اوليائه

بيان فوايد الجوع وافات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان
كذلك فينبغى ان يعظم الفضل فى كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة
وما يجرى مجراه فاعلم ان هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهيته فاخذ
يتناول كل ما هو مكروه مر المذاق وهو غلط منه بل نفعه فى خاصية فى الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك
الخاصية الاطباء وكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء فى الشرع
من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم عين المنفعة وعلتها ووجه
كونه نافعا ولكن نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقى من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول فى الجوع عشر فوايد الفايدة الاولى صفاء القلب وانفاد
القريحة ونفاد البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ كشبه السكر على يحتوى
على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان فى الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبى اذا اكثر الاكل
بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطئ الفهم والادراك قال ابو سليمن عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة
للقلب ويورث العلم السماوى وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك والشبع وطهروها بالجوع
تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم
من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى عليه الصلوة والسلام من
شبع ونام قسى قلبه ثم قال ان لكل شئ زكاة وزكاة البدن الجوع قال الشبلى رحمه الله ما جعت لله تعالى يوما

الا رايت فى قلبى بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى
المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحرى ان
تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بنى اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال
صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا
فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلى فى خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح الفائدة الثانية رقة القلب
وصفاوه الذى به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب
ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق فى بعض الاحوال
فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلوا المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمن احلى ما يكون العبادة
الى اذا الصق ظهرى ببطنى وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله تعالى مخلاة من الطعام ويريد ان يجد
حلاوة المناجاة وقال ابو سليمن القلب اذا جاع وعطش صفى ورق واذا شبع عمى ونام فاذن تاثر القلب
بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهى فائدة ثانية الفائدة الثالثة الانكسار والذل
وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبداء الطغيان والغفلة عن الله ولا تنكسر النفس ولا تذل بشئ كما تذل
بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له ويقف على عجزها وضعفها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام
فاتتها واظلمت عليه الدنيا بشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه
وقهره وانما سعادته فى ان يكون دائما مشاهدا لاضطراره نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز
والقدرة والقهر فليكن دائما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا لاضطراره بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها فقال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت
شكرت او كما قال فالبطر والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة
واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق
والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء
فان الشبعان ينسى الجايع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر به بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه
عطش الخلق فى عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون
الغساق والمهل ولا ينبغى ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذى يهيج الخوف ومن لم يكن فى
ذلة ولا قلة ولا علة ولا بلاء نسى عذاب الاخرة ولم يتمثل فى نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغى ان يكون العبد فى بلاء
او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا
احد الاسباب الذى اقتضى اختصاص البلاء بالانبيا والاوليا والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلم
لم تجوع وفى يدك خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احدى فوايد
الجوع فان ذلك يدعوا الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله والشبعان فى غفلة عن الم الجايع الفائدة
الخامسة وهى من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشا
المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة
وقوة وانما السعادة كلها ان يملك الرجل نفسه والشقاوة فى ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح
الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد

بدنك

بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر واخاف ان يجمح بى فيورطنى ولان احمله على
الشدايد احب الى من ان يحملنى على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية
وقالت عايشة رضى الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما اشبعوا
بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل هى خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع
خزانة من خزائن الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه
شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع
من كل ذلك فاذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم الا
حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع يكفى شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه
التقوى فلا يملك عينه فالعين تزنى كما ان الفرج يزنى فان ملك عينه بغطاء التقوى فلا يملك فكره فيخطر له
من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض فى اثناء الصلوة
وانما ذكرنا افة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع
قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخالطه شيا من الشهوات ويا كل
بنصف بطنه رفع الله عنه مؤونة النساء الفائدة السادسة رفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب
كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب
الماء وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال
العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر ثم فضيلة التهجد لا يخفى وفى النوم فواته ومهما غلب النوم
فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتهجد المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه
الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام فربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره
للتهجد ثم يحتاج الى مؤونة الحمام وربما يقع عينه على عورة فى دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها فى الطهارة
وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمن الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل
فى كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له وكان السلف رحمهم الله لا يصحبون من يحتلم
كثيرا الفائدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان
يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان فى شرى الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده
الى بيت الماء لكثرة اكله وشربه والاوقات المصروفة الى هذه الامور لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير
العبادات لكثر ربحه قال السرى رايت على الجرجانى سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال انى حسبت
ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته
فلم يضيعه فى المضغ وكل نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغى ان يستوفى منه خزانة باقية فى الاخرة لا
اخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد
فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع والصوم ودوام الاعتكاف
ودوام الطهارة وصرف اوقات شغله بالاكل واسبابه الى العبادة فيه ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون
الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ويعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة
هم غافلون وقد اشار ابو سليمن الدارانى الى ست افات فيه وقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة

ونفوذ حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا ونقل عن العبادة وزيادة
الشهوات وان ساير المؤمنين الجياع يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل الفائدة الثامنة
من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق
ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة
والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان منها بعدا لتعب عن انواع المعاصي
واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك وحكي ان الرشيد جمع اربعة اطبا هنديا وروميا وعراقيا
وسواديا فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو
الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء الحار قال السوادي
وهو اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهو داء وحب الرشاد يرق المعدة وهو داء والماء الحار هو يرخي المعدة
وهو داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك
عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث
للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم منه وانه لكلام حكيم
وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن تعجب الطبيب
جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما
الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطبا في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان
معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يتقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور
صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان
والبطر وغيرهما الفائدة التاسعة خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود
الشبع صار بطنه غريما ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب
من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة
والمؤمن خفيف المؤونة قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون اروح لنفسي وقال آخر اذا اردت
ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهو خير غريم لي وكان ابرهيم
ابن ادهم يسال اصحابه عن الشيء من الماكولات فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول
مذموم في ثلثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الافات وان كان ممن يدخل
عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج
وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها
فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في ساير
الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى وتجارة الاخرة
فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة
واما المحتاج فتلهيه لا محالة الفائدة العاشرة ان يتمكن بذلك من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة
على اليتامى والمساكين ويكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق
به فخزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق
بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن اذا قرا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات

والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على
السموات السبع الطباق اللاتي زينت بالنجوم وحملت العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها
قالت وما فيها قيل ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارض كذلك فابت ثم
عرضها على الجبال الصم البوادخ الشوامخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت
وما فيها فذكر الجزا والعقوبة قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه
فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فما صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا
قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون
البلاء وهم من الله في عافية يقول قايلهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من
غير ماله خدمته سخرة وماله حرام حتى اذا بلغت به الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء يهضم
طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين اليتيم والمسكين الذين امرك الله
بهم وهذا اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقرا ليدخر به الاجر في الاخرة فذلك
خير له من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى
الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك وعن
وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما ان كان الرجل منهم ليمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله
فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله عز وجل فهذه عشر فوايد للجوع يتشعب عن كل واحدة
فوايد لا ينحصر درها ولا يتناهى فوايده فالجوع خزانة عظيمة لفوايد الاخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح
الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على
تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع
كان لك رتبة المقلدين في الايمان **باب طريق الرياضة في كسر شهوة البطن** اعلم ان على المريد في بطنه
وماكوله اربع وظايف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب
مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام ويبقى ثلث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام
في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها اما
الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل
لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين
مثلا واراد ان يرد الى نفسه واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين
جزءا او جزءا من ثلثين فيرجع الى رغيف مثلا في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن
وان شاء بالمشاهدة فيترك في كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها
ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال
استعبد الله الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منهما وهو الحيوة والعقل اكل وافطر
ان كان صايما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي ان لا يبالي ولو ضعف
حتى صلى قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع وفضله افضل من صلاته قائما مع قوة الاكل سئل سهل
عن بدايته وما كان يتقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلث دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم
دقيق الارز فاسويه مخلطا بثلثمايه وستين كرة اخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف قال اكل بلا حد و توقيت

الطابق

الوظيفة الاولى في كل يوم

ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة
في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث
البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة
فهو لما دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم الدرجة الثالثة
ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد
ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الاخبار وثلث للذكر بدل قوله للنفس
والرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني
في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام تختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق
خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة
بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر على منع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه
ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز
وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او ادما فليس ذلك بالجوع وقيل ان علامته ذلك ان يبصق
فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض والصواب
للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت
شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة
صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصف وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم
قريبا من نصف مد وهو قدر ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وكان ابو ذر
يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني
سمعته يقول اقربكم مني مجلسا واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة
قد غيرتم نخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلفت عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم
في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر
بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف
من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء ومثل المنافق مثل السبع الضاري خرطا خرطا وبلعا بلعا وسرطا
سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما
عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط الوظيفة الثانية في وقت
الاكل ومقداره تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي بعض المريدين
من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين او اربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلما
يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو العدوي وعبد الرحمن بن ابرهيم بن دجم وابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصه وحفص العابد
المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمن الخواص وسهل بن عبد الله وابرهيم ابن احمد الخواص وكان ابو بكر الصديق
رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس
يطوي سبعا وروي ان الثوري وابرهيم بن ادهم رحمهما الله كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون
بالجوع على طريق الاخرة وقال بعض العلما من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف
ببعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه

يوم الجمعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اولى

من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا تكون
الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق
وانك على الباطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فطوى الى تمام
الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة
قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته
الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد
والمجاهدة الدرجة الثالثة وهي ادناها ان تقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز
ذلك اسراف ومداومة الشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة وروى ابو سعيد
الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة
واحدة وقال عليه الصلوة والسلام لعايشة رضي الله عنها اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف
فكان اكلتين في كل يوم سرف واكله واحدة في يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في
كتاب الله ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون اكلة بعد التهجد
وقبل الصبح ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة التفكر واجتماع
الهم وسكون النفس الى معلوم فلا ينازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط
غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى
السحر فان كان يلتفت قلب الصايم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله ذلك عن حضور القلب في التهجد فالاولى
ان يقسم طعامه بنصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف
عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم
ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق
في مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر
فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه
الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع عن الادام على
الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فياكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة
في قلبه وانسا لقلبه بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه
فيكون الموت سجنا له واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه
ومضيقا له واشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال
معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه
من افات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات من المباحات وتناول اللذات فلا نطول باعادتها ولذلك يعظم
الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي
الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن دام عليه ايضا
فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم وتانس بالدنيا وتالف اللذايذ وتسعى في طلبها فيجرها ذلك
الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي الله وقد قال صلى الله عليه

عليه وضيقا صح

شرار امتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسادهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون
فى الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبور فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات
وقد اشتد خوف السلف من تناول لذايذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا
منع الله تعالى اياهم غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال احدهما
للاخر من اين فقال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الاخر امرت باهراق زيت
اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير وبهذا امتنع عمر رضى الله عنه من شرب
ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عنى حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه فى كتاب
رياضة النفس وقد روي نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة ولم توجد ثم وجدت
بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشويت وحملت عليه على رغيف فقام سايل على الباب فقال للغلام
لفها برغيفها فادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله منذ كذا وكذا فلم تجدها حتى وجدتها فاشتريتها
بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسايل هل لك ان تاخذ درهما وتترك
السمك فقال نعم فاعطاه وردها فاخذها ووضعها بين يديه وقال قد اعطيته درهما فاخذتها منه قال لفها
وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرء اشتهى شهوة فرد
شهوته واثرها على نفسه غفر الله له وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء
القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار واشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا
وبلغ عمر رضى الله عنه ان يزيد بن ابى سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر رضى الله عنه لمولى له اذا علمت انه قد حضر
عشاؤه فاعلمنى فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاءه فجاء بثريد لحم فاكل معه عمر رضى الله عنه ثم قرب الشواء وبسط يزيد
يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن ابى سفين اطعام بعد طعام والذى نفس عمر بيده ان خالفتم
عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن نمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاصى عن عمر امره
وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه فى الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا فى الدار
الاخرة الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف به من حب كان فى الشمس نهاره فتقول مولاة له
يا عتبة لو اعطيتنى دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد سددت عنى كلب الجوع
وعن شقيق ابن ابرهيم البلخى انه قال لقيت ابرهيم ابن ادهم بمكة فى سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس بناحية من الطريق يبكى فعدلت اليه وقعدت عنده فقلت له ايش هذا البكاء يا ابا اسحق فقال
خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فلما اكثرت عليه قال يا شقيق انا اخبرك تحدث به او تستر على فقلت يا اخى
قل ما شئت فقال اشتهت نفسى منذ ثلثين سنه سكباجا فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا فغلبنى
النعاس اذا انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلوا منه بخار ورايحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى عنه فقربه
منى وقال يا ابرهيم كل فقلت ما اكل شيا قد تركته لله عز وجل فقال لى وان اطعمك الله تاكل فما كان لى جواب
الا ان بكيت فقال لى كل يرحمك الله فقال ابرهيم فقلت له قد امرنا ان لا نطرح فى وعائنا الا من حيث نعلم فقال
له كل عافاك الله فانما اعطيته وقيل لى يا خضر اذهب بهذا واطعم نفس ابرهيم ابن ادهم فقد رحمها الله من طول
صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابرهيم انى سمعت الملئكة تقول من اعطى فلم ياخذ طلب ولم يعطا فقلت ان
كان كذلك فها انا بين يديك لاحل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بفتى آخر ناوله شيا وقال يا خضر
لقمه انت فلم يزل يلقمنى حتى شبعت فانتبهت وحلاوته فى فمى قال شقيق فقلت فارنى كفك فاخذت بكفه

فقبلتها

فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح فى الضمير اليقين يا من شفا قلوبهم من محبته
اترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابرهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود
الذي وجد منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابرهيم
ومشى حتى دخلنا المسجد الحرام وروي عن مالك بن دينار انه بقى فى البصرة اربعين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة
ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم ما تعلمون فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى
ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال مالك اشتهت نفسى لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله واهدى
اليه يوما رطب فداروه فى اكله فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنه ولقد طلقت الدنيا خمسين سنة
وقال احمد بن ابى الحوارى اشتهى ابو سليمن الدارى رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح
الرغيف واقبل يبكى وقال عجلت الى شهوتى بعد اطالة جهدي وشقوتى قد عزمت على التوبة فاقبلنى قال
احمد فما رايته اكل الملح حتى لقى الله وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق بالبصرة فنظرت الى البقل فقالت
لى نفسى لو اطعمتنى الليلة من هذا فاقسمت لا اطعمها اياه اربعين ليلة وقال حماد بن ابى حنيفة اتيت داود الطائى
والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تاكلينه ابدا فسلمت
فدخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فراى فيه من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه
الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التى لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال
لنفسه قد خدعتنى حتى نظرت واشتهيت وغلبتنى حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء
من جيرانه وعن موسى الاشج انه قال نفسى تشتهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسى منذ
عشرين سنه ما تطلب منى الا الماء حتى تروى فما ارويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما منذ سبع سنين
فلما ان كان بعد ذلك قال استحييت من نفسى ان ادافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنه فاشترى قطعة لحم على
خبز وشواها فلقى صبيا فقال الست ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه واقبل يبكى ويقول ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد ذلك ومكث عتبة الغلام يشتهى تمرا سنين فلما ان كانت
ذات ليلة اشترى بقيراط تمرا فرفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة وهذا
لجراتى عليك وشراى التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذوا الا بذنبك على الله الا ذقتيه وترك التمر واشترى
داود الطائى بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته ويقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيمة
لم يكن ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال
لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيا فقال ان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم
وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك اتبكى على التمر فقال له عبد الواحد دعه فان نفسه
قد عرفت صدق عزمه فى الترك واذا ترك شيا لم يعد فيه ابدا قال جعفر بن نصير امرنى الجنيد ان اشترى له
التين الوزيرى فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال
هتف فى قلبى اما تستحيى تركتها لاجلى ثم تعود اليها وقال صالح المرى قلت لعطا السلمى انى متكلف لك شيا
فلا ترد على كرامتى قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل وقلت
له لا تبرح حتى يشربها فشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فاتيته ولمته وقلت سبحان الله
رددت على كرامتى فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا منى انى قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسى
فى المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك لانى كلما اردت ذلك ذكرت قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه

ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في
واد وانت في واد اخر وقال السري ان نفسي تطالبني منذ ثلثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها
وقال ابو بكر الجلا اعرف انسانا يقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة
اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوى عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة ويروي ان عابدا دعا بعض
اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شي تصنع
اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذي
يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه
لا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم
ميكائيل الذي يكيل الماء من خزاين الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة
الهواء ودواب الارض واخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي
فسألته عن الزهد اي شي هو فقال لاي شي سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شي تقول
فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ومقدار ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر
بن الحرث قد اعتل فسأل عبد الرحمن المتطبب عن شي موافقه من الماكول فقال تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل عني
قال بشر تصف لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدباجا فقال له بشر اتعلم
شيا اقل من السكنجبين ثمنا يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال ما هو قال الهندبا والخل ثم قال تعرف شيا
اقل ثمنا من السفرجل قال لا قال انا اعرف هو الخرنوب الشامي قال فتعرف اقل ثمنا من الاسفيدباج ويقوم مقامه
قال لا قال فانا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن فانت اعرف بالطب مني فلم تسألني فقد
عرفت ان هولاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها
في بعض الاوقات لانه كان لا يصفوا لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من
الضرورات حتى قال ابو سليمن الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم
يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه
ويفعل كل ما يهواه وينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم وقال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن
داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جايعا وتاقت نفسه
الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع
ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسوا قلبه لذلك ولكن ليصل ويجلس فيذكر الله
تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم واقل ذلك
ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القرآن عقيب كل اكلة وكان سفين الثوري اذا شبع ليلة
احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلوة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده
ومهما اشتهى شيا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا
يجمع للنفس بين عادة وشهوة نظر سهل الى سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابتدا بالتمر فان قامت كفايتك به
والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجدت طعاما لطيفا وغليظا فليتقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ
بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا
تطلبوها وان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما يأتينا من العراق فاكهذا احب الينا

النفس صح

من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وبالجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر
ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته
يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض عباد اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمك فمنعتها وقويت مطالبتها فاشتد
مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك فقال لا احسن اصف ما
لقاني به ربي عز وجل من النعيم والكرامة وكان اول شي لقيني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم هنيا
مريا بغير حساب وقال تعالى كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا قد اسلفوا ترك الشهوات
ولهذا قال ابو سليمن ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها **بيان اختلاف**
احكام الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق
الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط
فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الله تعالى في الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان
فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة بالمنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع
بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح
غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع
بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل
على اسائته كما ان الشرع قد بالغ في الثنا على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم
انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل
ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء
الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان
ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية
الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو
الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة في وسط حلقة
محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال
تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة
التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة
ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله به البعد وابعد المواضع
عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر قوله صلى الله عليه وسلم
خير الامور اوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع
تيسرت له العبادة والفكرة ويخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية
الامور اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة
في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان يعتدل فاذا ارتاضت
واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامر
بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن
التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كانت اصلح لها الجوع الذي تحس بالمه

فى اكثر الاحوال ليكسر والمقصود ان ينكسر حتى يعتدل فيرد بعد ذلك فى الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما
يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكى طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه
على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق اما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق
المستغنى عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهو غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما
تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما يغتر فينظر الى الصديق ومسامحته فى ذلك بنفسه فيسامح نفسه كالمريض ينظر
الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذى يدل على ان تقدير الطعام بمقدار
يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا فى نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة
رتبة الكمال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتاقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها كان
عليه الصلوة والسلام يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله ويقول
هل عندكم من شئ فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال انى اذا لاصوم وقد كان يقدم اليه الشئ فيقول اما
انى كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وقال انى صايم فقالت عائشة رضى الله
عنها قد اهدى الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه وكذلك حكى ان سهلا قيل له كيف كنت
فى بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن
ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات ثلثة دراهم فى ثلث سنين فقيل له فكيف انت فى وقتك قال اكل بلا حد ولا توقيت
وليس المراد بقوله اكل بلا حد وتوقيت انى اكل كثيرا بل لا اقدر بمقدار واحد ما اكله وقد كان معروف الكرخى
رحمه الله يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فيقال له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخى بشر قبضه
الورع وانا بسطتنى المعرفة ثم قال انا ضيف فى دار مولاى اذا اطعمنى اكلت واذا جوعنى صبرت مالى وللاعتراض
والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حوارى
فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح
ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعى والثورى فقال الثورى اما تخاف ان يكون هذا
اسرافا فقال ليس فى الطعام اسراف انما الاسراف فى اللباس والاثاث فالذى ياخذ العلم من السماع
والنقل تقليدا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتى منذ عشرين
سنة وعن سرى السقطى انى منذ اربعين سنة اشتهى ان اغمس جزرة فى دبس فلم افعل فيراه متناقضا
او يتحير او يقطع بان احدهما مخطى والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف
الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن متقن محتاط او غبى مغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين
حتى اسامح نفسى اطوع من نفس سرى السقطى ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين من الشهوات فيقتدى بهم
والمغرور يقول وما نفسى باعصى على من نفس معروف الكرخى وابرهيم بن ادهم فاقتدى بهم وارفع التقدير
على ماكولى فانا ايضا ضيف فى دار مولاى فمالى والاعتراض ثم انه لو قصر احد فى حقه وفى توقيره او فى ماله وجاهه
بتطريفة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير
فى الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكوة الولاية او النبوة فيكون بينه وبين الله علامة
فى استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله
اذا اكل على نية كما يكون امساكه على نية فيكون عاملا لله فى اكله وافطاره وينبغى ان يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه
فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل

جعل يدير الاناء فى كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عنى حسابها وتركها وهذه
اسرار ينبغى ان لا يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوا الى الاعتدال فانه يقصر
لا محالة عما يدعوه اليه فينبغى ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل
يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقى اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذى فاتك
من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد فى كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر
بباله ان الشيخ يامره بما لا يفعله فينفره ذلك فى رياضته والقوى اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير
لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فى سياقهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء
واذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى ان لا يترك ولذلك ادب عمر رضى الله عنه
ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة فقال لا ام لك كل يوم خبزا ولحما
كل يوما خبزا وزيتا ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال
فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك **بيان افة
الرياء الى من يترك اكل الشهوات ويقلل الاكل** اعلم انه يدخل على تارك الشهوات افتان عظيمتان وهما
اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف
بانه يشتهيها فيخفى الشهوة وياكل فى الخلوة ما لا ياكله فى الجماعة وهذا هو الشرك الخفى سئل بعض العلماء
عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل نعلم به باسا فقال ياكل فى الخلوة ما لا ياكله فى الجماعة وهذه افة عظيمة
بل حق العبد اذا ابتلى بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو يدل على فوات المجاهدة بالاعمال
فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا
لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل
من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا اخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه
وعظم عين المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصى ولا يبتلون بالرياء
والغش بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق
وقد كان بعضهم يشترى الشهوات ثم يعلقها فى بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن يبتغى بها تلبيس حاله ليصرف عن نفسه
قلوب الغافلين حتى لا يشوش عليه حاله فنهاية الزهد فى الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع
بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه
ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا ايضا هى طريق من ياخذ وما يعطى جهرا وبالعقد
سرا فمن فاته هذا فلا ينبغى ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغى ان يغره قول الشيطان بانك
اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه
عليه الشيطان فى معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدى به
فى الفعل او لا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات الافة الثانية ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح ان يعرف
به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهى شهوة الاكل واطاع شهوة هى شر منها وهى شهوة
الجاه وتلك هى الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فلياكل
فهو اولى له قال ابو سليمن اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها
فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما

ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل
جهرا صح

وهذا محال م

لكان اصلاح نفسه
اهم عليه من اصلاح غيره
صح

فليحتفظ من هذه الافة
العظيمة صح

اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها لها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها واذا
حفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذه طريقة في عقوبة النفس على
هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية
لان شهوة الريا اضر كثيرا من شهوة الطعام القول في شهوة الفرج اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان
لفايدتين احدهما ان يدرك لذته فيقيس بها لذة الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات
الاجساد كما ان النار والمها اعظم الالام للجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك
الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام
الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الافات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال
وقد قيل في تفسير قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى
من شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره
الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام الذكر على الرجل ذهب ثلثا عقله وقيل ذهب ثلثا دينه وكان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النسا حبايل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كانت للنسا
سلطنة على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذا اقبل عليه ابليس وعليه برنس يتلون
فيه عليه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك يا نبي الله فقال موسى من انت قال انا ابليس
قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه فقال فما الذي رايت عليك
قال برنس به اختطف قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه
واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه
دون اصحابه حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل
صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابه حتى احول بينه وبين الوفا بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى
علم ما يحذر به بني ادم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم يياس ابليس ان يهلكه بالنسا ولا
شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم
ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في
حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة شهوة النسا وهذه الشهوة ايضا لها افراط واعتدال
فالافراط ما قهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنسا والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين
حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطايفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهواتهم
لاستكثار الوقاع كما يتناول بعض الناس ادوية يقوي المعدة لعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا من يبلى
بسباع ضارية وبهايم عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها
فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت
فقد روي في غرايب الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم شكوت الى جبرئيل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم
انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة
لهذا لا للتنعم والامر الثاني انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع
وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهايم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان
يستحيي منها حتى اعتقد بان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فيكتفي به وهذا

مطلب ذم العشق

لا يكتفي

لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة
وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها وما العشق الا متبعه افراط الشهوة وهو مرض
قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوايله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه
وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور
قد تستولي على طائفة بحيث ينغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق
في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها
ومثال من يعالج بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها
الى وراء وما اعظم التفاوت بين الامرين في العسر واليسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها
فلا يفيد العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع النفس فاذن افراط الشهوة ان تغلب العقل الى هذا
الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود
ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح
قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشبان عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج
فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه
كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا يقاس الملائكة
بالحدادين ولذلك قال ابو سليمن الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على
ما كان عليه وقيل له ما احوجك الى امراة تستانس بها فقال لا انسني الله تعالى بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله
وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم فكيف يقاس غيره برسول الله صلى الله عليه وسلم به
وكان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يخاف احتراق قالبه الى حد كان يخشى في بعض الاوقات الى ان يسري
ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على فخذ عايشه رضي الله عنها احيانا ويقول كلميني يا عايشة ليشغله
بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله تعالى وكان انسه بالخلق عارضا
رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو
قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغتر لان الافهام يقصر عن الوقوف على اسرار افعاله
عليه السلام فشرط المريد العزوبة في الابتدا الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فليكسرها بالجوع
الطويل والصوم الدايم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ
الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فهما لم يحفظ عينه لم يحفظ قلبه ويفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها
وزنا العين من كبار الصغاير وهي تودي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض
بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد
بن جبير انما جاءت فتنة داود من اجل النظرة وقال داود لابنه يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف
المراة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدو الزنا قال النظرة والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي
لا اخطي به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا
من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النسا
وقال عليه الصلوة والسلام اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النسا فان اول فتنة بني اسرايل كانت من النسا وقال تعالى

فان تغلبها الشهوة م

قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا الآية وقال صلى الله عليه وسلم لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان
وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة
والقلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك كله الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا
وميمونة جالستان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا اليس هو باعمى لا يبصرنا
قال وانتما لا تبصرانه افعميا وان انتما وهذا يدل على انه لا يجوز للنسا مجالسة العميان كما جرت العادة به في الماتم
والولايم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنسا ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز
للنسا محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النسا ولم يقدر على حفظها
عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى مراة امكنه الوصول الى استباحتها
بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة
بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فاقول فلست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي
ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضرا ويابسة وما صافي ومكدر وشجرة عليها ازهارها
وانوارها وشجرة تساقط اوراقها فانه يميل الى احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي
ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الما الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها ويدرك
التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة
فمهما وجد ذلك الميل في قلبه فادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف
المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون
وقال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار منه من غلام امرد يجلس اليه وقال سفين
لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجليه يريد الشهوة لكان لوطا وعن بعض السلف قال سيكون
في هذه الامة ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذن آفة النظر
الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس
لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت على شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى
فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت
بردها في فوادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة
فجاني شخص في المنام فقال تحب ان يذهب ما تجد واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد
سيفا من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك واشد منه فرايت
شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله رفع ما لا يحب رفعه تزوج فتزوجت
فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتدا النكاح ودوامه
اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه حسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلناه
جميع ذلك في اداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية
قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة
النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب ماله والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون
المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والخلق والادب
والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق الحسن تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت

المراة وشكت الى ابيها وقال قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلا قط الا
وحمل الما معي او قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري فاشتد حزنهم
لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل ان به رمدا ثم اظهر ان بصره ذهب حتى زفت المراة اليه وزال عن
اهلها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقال له تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا
فقيل له قد سبقت اصحابك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق وكان يصبر عليها فقيل له لم
لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان
قدر على الترك فهو له اولى واذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن الله
وعن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك غلته ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة
وعلمائهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله وكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما
بعد فان الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس يمضي الليالي والايام حتى اتمها
مائة الف وانا اصير ذلك مثلها ومثلها فاجيبيني الى ما سالت فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد
فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها يورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم
لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال وصياك فيقسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما
انا فلو ان الله تعالى خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى
ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز
فالنكاح اولى به فدوا هذه الشهوات ثلثة امور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان
لم تنفع هذه الثلثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى
تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس شيطان من واحد الا اتاه من قبل النسا وقال سعيد وهو ابن اربع
وثمانين سنه وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شي اخوف عندي من النسا وعن ابي وداعة قال
كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قلت توفيت
اهلي فاشتغلت بها قال الا اخبرتنا فشهدناها ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة قلت يرحمك الله
ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثة فقال انا فقلت يرحمك الله وتفعل هذا قال نعم ثم حمد الله وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني بحضره من كان على درهمين او قال ثلثة قال فقمت وقلت وما ادري ما اصنع
من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت اتفكر ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسرجت
وكنت صايما فقدمت عشاي افطر وكان خبزا وزيتا فاذا انا بمن يقرع فقلت من هذا قال سعيد فتفكرت
في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا
سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فاتيتك فقال لا انت احق ان تؤتى
قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي
قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب وقال بارك الله فيكما ولكما برحمته فانصرف
فسقطت المراة من الحيا فاستوثقت الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل
السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن
المسيب بنته اليوم وقد جا بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهل هي في الدار قلت نعم
فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام

قال فاقمت ثلثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واذا هي احفظ الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسوله
عليه الصلوة والسلام واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرًا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان قرب الشهر
اتيت سعيدًا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس اهل المجلس قال ما حال
ذلك الانسان فقلت خير على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك شئ فالعصا فانصرفت الى منزلي
فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمن وكانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن
مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه
جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف في تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في اطفاء نارها بالنكاح

حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك

صح

بلغ المقابله

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوات
اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه
وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمة وليس في شئ من ذلك ثواب فانه
ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوايق فائدة وهي دفع
الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله
تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسير الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة
يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني

ردّه العراقي

اخاف الله تعالى وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله
عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي ان سليمن بن يسار
كان من اجمل الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه
قال سليمن فرايت في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت
سليمن الذي لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعن
سليمن ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابوا فقام رفيقه واخذ
السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيئا وقعد سليمن في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس
فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت
بين يديه واسفرت عن وجهها كانه فلقة قمر فقالت هيئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها
فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه
واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات منه ذلك سدلت البرقع على وجهها ورفعت رجلها حتى رجعت الى خيمتها
فجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكا وانقطع حلقه قال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا ان
لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة
وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمن وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت
مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان حتى انتهى وقت الفريضة فنهضا للصلوة فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف
وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا برجل وسيم جميل طوال شرجب له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمن
من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم فقلت ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا
عجيبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابوا اعجب وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت
صخرة من الجبل فسدت عليهم فم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم
فقال رجل منهم اللهم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا فنأى بي طلب الشجر
يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا وولدا
فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا
غبوقهما اللهم ان كنت تعلم فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون
الخروج منه وقال الاخر اللهم انه كانت لي ابنة عم كانت احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني
حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت
حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله يا عبد الله لا تحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها
فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انك تعلم
اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه
الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اتق الله وهات اجرتي فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر
والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه
شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون
فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا
الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والافات كلها تنشا منه والنظرة
الاولى اذا لم يقصدها لا يواخذ بها والمعاودة يواخذ بها قال عليه الصلوة والسلام الاولى لك والثانية
عليك اي النظرة وقال العلا بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو
الانسان في تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة
وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة
وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ وياثم لانه قصد التلذذ وقد فعل ما المه
ولا يخلو كلتا حالتيه عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير
من الافات وان اخطات عينه وحفظت فرجه مع التمكن وذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق
وروي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم الى قرية اخرى
فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله فقال الرجل فانت
تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل
فساله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله حتى يظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل
صالح فادعوا انت قال فانا ادعوا وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية
فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت انه ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي
امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
ان التائب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة
شاب متعبد ملازم بالمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه

امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد
فقالت يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى فلم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه
وهو يريد منزله فقالت مثل مقالتها الاولة فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة واني اكره ان اكون
للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العباد على
مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس
كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شئ يعيبه وجملة ما اكلمك بان جوارحي كلها مشغول بك
فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب في منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا
فكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في
الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد
الى المعصية ستره الله فاذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منه السموات والارض
والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل
وتكون الجبال كالعهن وتجثوا الامم لصولة الجبار فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح
غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المزمنة ذلك الله
رب العالمين فاقصديه عز وجل على صدق المسئلة وارجعي اليه فاني متشاغل عنك بقوله وانذرهم يوم الازفة
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
فاين المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام ووقفت له على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع
الى منزله لئلا يراها فقالت له يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل وبكت
بكاء كثيرا وقالت اسال الله الذي بيده مفتاح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت
امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك
واذكرك قول الله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا
اشد من بكائها الاول ثم افاقت ومضت ولزمت بيتها فاخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا
فكان الفتى يذكرها بعد موتها ويبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وقد ايستها فيقول اني ذبحت وقطعت
طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله تعالى وانا استحيي من الله عز وجل ان استرد ذخيرة
ادخرتها عنده تم كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج ويتلوه كتاب آفات اللسان والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على خير خلقه محمد واله الطيبين واصحابه اجمعين وسلم تسليما دائما ابدا كثيرا

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه
به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمله ثم اسبل عليه سترا من
رحمته وارسله ثم امده بلسان يترجم عما حواه القلب وشمله ويكشف عنه ستره الذي اسبله فاطلق بالحمد
مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله واي فصله ودين سهله صلى الله
عليه وسلم وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر لله عبد وهلله **اما بعد** فان اللسان من نعم الله العظيمة
ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة

اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق متخيل ومعلوم مظنون
او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان
اما بحق او باطل ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضا فان العين لا تصل
الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضا
واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجر سحب فمن
اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار
الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا ينجي من شر اللسان الا ان
يقيد بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غائلته في عاجله واجله
وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضا
على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته
وغوائله والحذر عن مصايده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله تعالى
وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة منها بحدودها واسبابها وغوائلها
وتعريف طريق الاحتراز منها وايراد ما ورد من الاخبار والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه
بذكر **آفة الكلام** فيما لا يعنيه **ثم آفة** فضول الكلام **ثم آفة** الخوض في الباطل **ثم افة** المراء والمجادلة **ثم
افة** الخصومة **ثم افة** التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت
به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة **ثم افة** الفحش والسب وبذاءة اللسان **ثم افة** اللعن اما لحيوان
او لجماد او لانسان **ثم آفة** الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده
ثم آفة المزاح **ثم آفة** السخرية والاستهزاء **ثم افة** افشاء السر **ثم افة** الوعد الكاذب **ثم آفة** الكذب
في القول واليمين **ثم افة** الغيبة **ثم افة** النميمة **ثم افة** ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين
ويكلم كل واحد بكلام يوافقه **ثم افة** المدح **ثم افة** الغفلة عن دقائق الخطا في تحرير الكلام ولحن القول
وفحواه لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين **ثم افة** السؤال اعني سؤال العوام عن صفات
الله تعالى وما يتعلق بذلك وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وهي تمام الافات وهي عشرون افة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا
بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال عليه الصلوة والسلام من صمت نجا وقال ايضا الصمت
حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفين عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام
بامر لا اسال عنه احدا بعدك فقال قل امنت بالله ثم استقم قال قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال
عقبة ابن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه
اتكفل له بالجنة وقال عليه الصلوة والسلام من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن
والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان
لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال
تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار قال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم
آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد به البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انواخذ بما نقول

فقال عليه السلام ثكلتك امك انك يا بن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الاحصايد السنتهم وقال
عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف
ما تخاف علي قال فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروى ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج النبي
صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ثم وضع عليه
اصبعيه وقال انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى
يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوايقه وقال عليه الصلوة
والسلام من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تكفر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا
وان اعوججت اعوججنا وروى ان عمر رضي الله عنه اطلع على ابي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه فقال ما تصنع
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس
شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان على الصفا يلبي ويقول
يا لسان قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شيء تقوله او شيء سمعته
قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر رضي الله عنهما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر
الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل رضي الله عنه قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه
واعدد نفسك في الموتى وان شئت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان
بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن
الخلق وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل
خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال
سفين قالوا لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا
تنطقوا الا بخير وقال سليمن بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء
قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجايع واسق الظمان
وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال عليه الصلوة والسلام اخزن لسانك
الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى عند لسان كل قايل فليتق الله
امرء علم ما يقول وقال عليه الصلوة والسلام اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال
ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله
تعالى والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال عليه الصلوة والسلام ان لسان المؤمن وراء قلبه
فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بالشيء امضاه بلسانه
ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس
وقال نبينا عليه الصلوة والسلام من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه
كانت النار اولى به الاثار يروى عن الصديق رضي الله عنه انه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام
وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود رضي الله عنه والله الذي لا اله الا هو ما من
شيء احوج الى طول السجن من اللسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود

حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ
لسانه قال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا
باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة
في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ
الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك
على ساير عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية رضي الله عنه والاحنف بن قيس ساكت فقالوا ما لك
لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك
الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني
اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت
عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور
بن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الاخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان
اذا اصبح وضع قرطاسا نقيا وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل
الكثير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطاء والكذب والنميمة والغيبة والرياء
والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة
والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه الافات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان
ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخايض فيه قل ما يقدر على ان يزم اللسان
فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله وفي الخوض خطر وفي الصمت
سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة
من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك
على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة
وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة
والمنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين
الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به
ما فيه اثم من دقايق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان
به مخاطرا ومن عرف دقايق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت
احاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الافات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة
ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الان نعد آفات اللسان ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا
ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة الآفة الاولى الكلام
فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الافات الذي ذكرناها من الغيبة والكذب
والمراء والنفاق وغيرها وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك لا تتكلم بما انت
مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به تضيع زمانك وتحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى
بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكرة

ما يعظم جدواه اولو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر فى الجنة ومن قدر
على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك
ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم به فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى
فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذى قاله النبى صلى الله عليه وسلم
بل كل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا فى الآخرة فقد ضيع راس ماله
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن الاسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس
استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت
هنيئا لك الجنة يا بنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع
ما لا يضره وفى حديث آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى اتاه
فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة فقال من هذه المتالية على الله قال هى امى
يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه ومعناه انه انما يتهنا بالجنة من لا يحاسب
ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا يتهنا له الجنة مع المناقشة فى الحساب
فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب
رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام رضى الله عنه فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق اعمالك فى نفسك ترجوا به ثوابا فقال انى لضعيف وان اوثق ما ارجوا
به سلامة الصدر وترك ما لا يعنينى وقال ابو ذر رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك
بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان قلت بلى يا رسول الله فقال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك
وقال مجاهد سمعت ابن عباس رضى الله عنه يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك
فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم فى امر يعنيه فوضعه
فى غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك وان السفيه يوذيك واذكر اخاك اذا تغيب
عنك ما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان
ماخوذ بالاجترام وقيل للقمن الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنينى وقال
مورق العجلى امر انا فى طلبه منذ عشر سنين لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت
عما لا يعنينى وقال عمر رضى الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا
الامين ولا امين الا من يخشى الله تعالى ولا تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر
فى امرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيه ان يتكلم بما لو سكت عنه لم ياثم به ولم يتضرر به فى حال
او مآل مثاله ان تجلس مع قوم فتحكى معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقايع
وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو سكت عنها
لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت فى الاجتهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس
من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشئ مما خلقه الله تعالى
فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التى ذكرناها ومن جملته ان تسال غيرك عما لا يعنيك
فانت بالسوال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشئ مما لا يتطرق
الى السؤال عنه آفة واكثر الاسولة فيها آفات فانك تسال غيرك مثلا عن عبادته فتقول هل انت صايم

فان قال نعم كان مظهرا عبادته فيدخل عليه الريآء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة
السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به
وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسوال اما للريا او للكذب او للاستحقار
او للتعب فى حيلة الدفع وكذلك سوالك عن ساير عباداته وكذلك سوالك عن المعاصى وعن كل ما يخفيه
ويستحيى منه وسوالك عما يحدثه به غيره فتقول ماذا تقول او فيم انتم وكذلك ترى انسانا فى الطريق
فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى واستحيى وان لم يصدق وقع فى الكذب وكنت
انت السبب فيه وكذلك تسال عن مسالة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادرى
فيجيب عن غير بصيرة ولست اعنى بالتكلم بما لا يعنى هذه الاجناس فان هذا ربما يتطرق اليه اثم او ضرر وانما
مثال ما لا يعنى ما روى ان لقمن دخل على داود عليهما السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك فجعل
يتعجب مما راى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته عن ذلك فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود
عليه السلام ولبسها ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله اى حصل العلم به من غير سوال
واستغنى عن السوال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يساله فهذا وامثاله من الاسولة
اذا لم يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط فى ريآء او كذب فهو مما لا يعنى وتركه من حسن الاسلام فهذا حده
واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية
الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان
انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص به الحور العين فاهماله وتضييعه خسران مبين هذا
علاجه من حيث العلم واما علاجه من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حجرة فى فيه او ان يلزم نفسه السكوت عن
بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان فى هذا على غير المعتزل شديد جدا **الآفة**
الثانية الفضول فى الكلام وهو ايضا مذموم هذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على
قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده
بكلمة واحدة فذكره كلمتين فالثانية فضول اى فضل عن الحاجة [illegible] وهو ايضا مذموم كما سبق وان
لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطا بن ابى رباح ان من كانوا قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول
الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بمعروف او نهيا عن منكر او نطقا بحاجتك
ومعيشتك التى لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيى احدكم ان لو نشرت صحيفته التى املى صدر نهاره وكان اكثر ما فيها ليس
من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال ان الرجل ليكلمنى بالكلام وجوابه اشهى الى من الماء
البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله تعالى فى قلوبكم ولا تذكروه
عند مثل قولكم او قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام لا تنحصر بل
المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال عز من قايل لا خير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من ماله ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة فانظر
كيف قلب الناس الامر فى ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا
علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغرا وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان

اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثنا ولو في الصدق فيخشى ان يستهوي الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها
وقال ابن مسعود رضي الله عنه انذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب
حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذى وكذى فيكتب له كذبة وقال الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفته
ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاملل ما شئت واكثر واقل وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام
بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق فرفع راسه الى السما
ثم نظر الى الناس وهز راسه فساله سليمن عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على روس الناس ما اسرع ما يكتبون
ومن الذين هم اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابرهيم التيمي المومن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان كلامه
له خيرا تكلم والا امسك والفاجر انما يرسل لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله
كثرت ذنوبه ومن سا خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال
عليه الصلوة والسلام كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني قال اما كان في ذلك ما يرد كلامك
وفي رواية اخري انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال لما اوتي رجل شرا من فضل في لسانه
وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاه وقال بعض الحكما اذا كان المرء
في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليحدث وقال يزيد بن ابي حبيب من
فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه وان في الاستماع سلامة وفي الكلام
تزينا وزيادة ونقصانا وقال ابن عمر رضي الله عنهما ان احق ما طهر الرجل لسانه وراى ابو الدردا رضي الله عنه
امراة سليطة صلفة فقال لو كانت هذه خرساء لكان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في خصلتين فضول
المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام
فيما لا يعني **الافة الثالثة الخوض في الباطل** وهو الكلام في المعاصي كحكاية مخالطة النسا ومجالس
الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنيا وتجبر الملوك ومراسم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك
مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام واما الكلام فيما لا يعني فلا بد من ان يغلب عليه الخوض في الباطل فاكثر الناس
يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدوا كلامهم التفكه باعراض الناس والخوض في الباطل وانواع الباطل
لا يمكن ان يحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا
وفي هذا الجنس يقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو مستحقر لها وقد قال بلال بن الحارث قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن انه يبلغ به ما بلغ فيكتب الله
له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن انه يبلغ به ما بلغت
فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن
الحارث وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساؤه يهوي بها ابعد من الثريا
وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفا
وان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس
خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان رضي الله عنه اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم
كلاما في معصية الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا فان بعض
ما تقولون شر من الحدث اهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سياتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره

سبحن

اواكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من كثرة الكلام فيما لا يعني صح

بل

بل هو الخوض في ذكر محضورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل
فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جري من قتال الصحابة رضي الله عنهم على
وجه يوهم الطعن في بعضهم فكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في باطل **الافة الرابعة المراء والمجادلة**
وذلك منهي عنه فقد قال عليه الصلوة والسلام لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه الصلوة
والسلام ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تومن فتنته وقال عليه الصلوة والسلام من ترك المراء وهو محق بني له
بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان شرب الخمر وملاحاة الرجال وقال
ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال صلى الله عليه وسلم ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان
كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة
في يوم الدجن والصبر على المصايب واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه
لا تجادل الناس بالقران فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل
دينه عرضة للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعات جهل العالم وعندها يبتغي
الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين
بشيء وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغاين وقال لقمن لابنه يا بني لا تجادل العلما فيمقتوك
وقال بلال بن سعيد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال سفين لو خالفت اخي
في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفين صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء
فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال
ابو الدردا كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لفظة من اللحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه
لا تتعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلم لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا
زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت
مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا يفارقك اخ لك عن قلى
فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال كثير وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان
وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك
المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا
بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظ باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة
او من جهة العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون
بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى ان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه لكذى
وكذي واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض
وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت
او السوال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكادة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وانما
المجادلة عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه
واية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يجب ان يكون هو المظهر له خطاه
ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا ياثم به لو سكت واما الباعث

وحرموا العمل صح

على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان
اما اظهار الفضل من قبل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات
الربوبية واما تنقيص الاخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه
وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات
المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج
الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور
فيثور التشاجر بين المتمارين كما يثور التهارش والتكالب بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه
بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه وانجانه واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية
الباعثة له على تنقيص غيره كما سياتي ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب
المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه يجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس بترك الجدال ويعسر الصبر عنه روي
ان ابا حنيفة رحمه الله قال لداود الطائي رحمهما الله لم آثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال
احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان
من يسمع من غيره خطاء وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال عليه الصلوة والسلام من
ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقايد
فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطاء محض بل ينبغي
للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة
يخيل اليه انه حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا
فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتاكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله
هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا تقوت فيه
هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز
بالفضل وآحاد هذه الصفات تشق مجاهدتها فكيف مجموعها **الآفة الخامسة الخصومة** وهي ايضا مذمومة
وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار الخلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير
واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام
ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا بالاعتراض
على كلام سبق فقد قالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله تعالى
الالد الخصم وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل
في سخط الله تعالى حتى ينزع وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط ورع في الدين
وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك
عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للفتوة
ولا اجلب للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك فقلت لا اخاصمك ابدا قال عرفت انه
حقي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منه شيئا هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد
له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول

سلطان

الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بالحق بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب
هو يتوكل في الخصومة من اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر
الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يطلب حقه يمزج بالخصومة
كلمات موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر
الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر
عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بير ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم
جدا واما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد
عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد
الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد
بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن لمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومة
فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشوش خاطره حتى انه في صلوته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر
على حد الواجب والخصومة مبتدا كل شر وكذا الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة
ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك يتعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته
فيسلم عن الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا
للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ
اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله
اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد
قال عليه الصلوة والسلام يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا
وقال ابن عباس رضي الله عنه من سلم عليك من خلق الله تعالى فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى
يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها اعدها
الله لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل له يا روح الله
يقول هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة
وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طلق ولسان
لين وقال بعض الحكما كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله عز وجل
يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكما الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح فهذا كله
في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء واللجاج والجدال فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي
للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر **الآفة السادسة التقعر في الكلام** بالتشدق وتكلف
السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة
فكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا واتقياء
امتي برآء من التكلف وقال عليه الصلوة والسلام ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون
المتشدقون وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون بالكلام وقال عليه الصلوة والسلام الا هلك المتنطعون

والخصومة

التقعر

ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان
وجاء عمر بن سعد الى ابيه يساله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك
اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل
البقر الكلاء بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيه والتشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة
وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادات وكذلك تكلف
السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من
لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال عليه الصلوة والسلام اسجعا كسجع الاعراب
وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام
التفهيم للغرض فما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا الجنس تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير
افراط واغراب لان المقصود منهما تحريك القلوب وتشويقها وقبضها او بسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه
فهو لايق به فاما المحاورات التي تجرى في قضاء الحاجات فلا يليق بها التسجيع والتشدق والاشتغال به
من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع
ويزجر عنه **الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان** وهو منهي عنه مذموم ومصدره الخبث
واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى صلى الله عليه
وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هولاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء
الا ان البذاء لؤم وقال عليه الصلوة والسلام ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال
عليه الصلوة والسلام الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على
ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم ويدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد
قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث
وقال عليه الصلوة والسلام يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال عليه الصلوة والسلام الحياء والعي
شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا
يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين
وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان
فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم يضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان
يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال عليه الصلوة والسلام ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام
في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابرهيم بن ميسرة يجاء بالفاحش المتفحش يوم القيمة في
صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوا الداء هو اللسان البذي والخلق الدني
فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك
في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون
عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها وقال ابن عباس رضي الله عنه
ان الله حيي كريم يعف ويكني كنى باللمس عن الجماع فاللمس والمسيس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست

بفاحشة وعنها عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة
في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وعبارتها واوايلها مكروهة واواخرها محظورة
وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغايط اولى من لفظ
التغوط والخراة وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى فكل ما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان تذكر الفاظه الصريحة
فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذى بل يقال قيل في الحجرة
او قيل من وراء الستر وقالت ام الاولاد كذى والتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش
وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح اللفظ كالبرص والقرع والبواسير بل يقال
العارض الذي تشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال
العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج جرح في ابطه فقلنا نساله ماذا يقول فقلنا
من اين خرجت فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة
الفساق واهل الخبث واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال
عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك
ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو
دوني هل علي باس ان انتصر منه قال المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان وقال صلى الله عليه وسلم
المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقال سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه
وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكباير ان يسب الرجل والديه فقالوا يا رسول الله وكيف يسب
والديه قال يسب الرجل فيسب اباه فيسب الآخر اباه **الآفة الثامنة اللعن اما لحيوان او جماد او الانسان**
وذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما
تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه الصلوة والسلام خذوا ما عليها واعروها
فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدردا رضي الله عنه
ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عايشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة
اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاث فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال عليه الصلوة والسلام ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة
وقال انس كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله
لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد عن الله تعالى وذلك
غير جايز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين
وعلى الكافرين فينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله تعالى بانه ابعد الملعون
وذلك غيب لا يطلع عليه الا الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله تعالى عليه والصفات المقتضية
للعن ثلث الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحد على ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك
لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثاني اللعن بالاوصاف وهو باوصاف اخص منه كقولك
لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والفسقة والظلمة

ولا يستعمل اكثرها

المومن ليس بلعان وقال عليه السلام

واكلي الربا وكل ذلك جايز ولكن في لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض ومالم يرد فيه
لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا
والثالث اللعن على الشخص المعين وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع
والتفصيل فيه ان كل شخص ثبت لعنته شرعا فيجوز لعنته في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا
فهذا فيه خطر اذ ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه
كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا
رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر
على ما هو سبب اللعنة فان هذا سوال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجايز ان يقال لعنه الله ان مات
على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق مردد بين الجهتين
ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع
اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن وكان يقول في دعائه على قريش اللهم عليك
بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه
فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بير معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك
من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم يعني انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك
من بان لنا موته على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا
على الله تعالى وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر
رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال
صلى الله عليه وسلم لعمرو اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم
اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك وقال عليه الصلوة والسلام لا تسبوا الاموات
فتوذوا الاحيا وشرب نعيمان الخمر وحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله
ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله
ورسوله ونهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جايز وعلى الجملة ففي لعنة الاشخاص خطر
فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل فهل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل الحسين بن علي
رضي الله عنهما او آمرا به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة
لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لولوة
عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم
لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم
ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره
اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال
معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد
قال مسروق دخلت على عايشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف

كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه صح

هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا
الاموات فتوذوا به الاحيا وقال ايضا ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم
ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين رضي الله عنه
لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه
يحتمل ان يموت بعد التوبة كالوحشي قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن
الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق
كان فيه خطر وليس في السكوت خطر وهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق القول
واللسان بها والمومن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس
الموصوفين المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله تعالى اولى فان لم يكن
ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابرهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي برده فجعلوا يلعنونه ويقعون
فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان يخرجان
من صحيفتي يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا ولان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من
ان يخرج لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا
وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله تعالى كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المومن يعدل قتله وقال
حماد بن زيد بعد ان روى هذا الحديث ولو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مومنا
فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعا
على الانسان بالشر حتى الدعا على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه
وكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعوا على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضلة
يوم القيمة **الافة التاسعة الغنا والشعر** وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل
فلا نعيده اما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر
فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شي من الشعر فقال اجعل
مكان لفظ هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره
وقال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيه وقد يدخلهما الكذب
وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق
في التحريم بالكذب كقول الشاعر كما قيل ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سايله * فان هذه
عبارة عن الوصف بنهاية السخا فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر
ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار منها لو تتبعت
لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عايشه رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله
وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت
فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك
يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عايشة ابو كبير الهذلي فقلت شعر
ومبرء من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل * واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل *

وفعل صح

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا
يا عائشة ما سررت مني كسروري منك ولما قسم الغنائم امر للعباس ابن مرداس باربع قلايص فانبعث يشكوا
في شعر له وفي آخره شعر. فقد كنت في الحرب ذا تدرة فلم اعط شيئا ولم امنع. وما كان بدر ولا حابس يسودان
مرداس في المجمع. وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع. فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه
فذهب به ابو بكر رضي الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتقول الشعر في فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني
كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع
الابل الحنين

الآفة العاشرة المزاح

واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا
اما المزاح فطايبة ففيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهى عنه الافراط فيه او المداومة
عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط
فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة
والوقار فما يخلوا عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول
الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه
قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل
حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة قال عليه الصلوة
والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار
قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها فقال لا قال ففيم الضحك قال فما روي ضاحكا حتى مات وقال يوسف
ابن اسباط اقام الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن
الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هولاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا
فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصاد وقال ابن عباس
رضي الله عنه من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست
تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه
ان يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي تنكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال القسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما
دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليساله نفر به وجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون به ففعل ذلك
ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملاء
من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي
لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح
الدني فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح
تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ويقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال

المزاح

المزاح مسلبة للبهي ومقطعة للاصدقا فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه
رضي الله عنهم فكيف ينهى عنه فنقول لو قدرت على ما قدر عليه الرسول عليه الصلوة والسلام وهو ان تمزح
ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من
الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفته ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن
لعائشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار عليه ومن المباحات
ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روي ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا
فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطا ان رجلا سال ابن عباس وقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام
كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروي
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من افكه الناس وروي انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى
انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروي زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت لا والله ما بعينه بياض فقال
بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم بلى ما من احد الا وبعينه بياض اراد به البياض
المحيط بالحدقة وجاءته امراة اخرى فقالت يا رسول احملني على بعير فقال عليه الصلوة والسلام نحملك
على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال عليه الصلوة والسلام وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح
وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ابا عمير ما فعل النغير
لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة بدر فقال عليه الصلوة والسلام تعالى حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا
فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية فقد بعثني
ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني وقالت عائشة كان عندي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلين او لالطخن وجهك
فقالت ما انا بذائقته فاخذت من الصحفة شيئا فلطخت وجهها به ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها
فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يضحك وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال له عندي امراتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احديهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان
يضرب الحجاب فقالت هي احسن ام انت قال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسالة
عائشة اياه لانه كان دميما وروي علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن والحسين
رضي الله عنهما فيرى الصبي لسانه فيهش له وقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن رجلا قد خرج
وجهه وما قبلته قط فقال عليه الصلوة والسلام ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء
والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال عليه الصلوة
والسلام لصهيب رضي الله عنه وبه رمد وقد رآه ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انا اكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله

واحمدي الله صح

عائشة رضي الله عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت صح

صلى الله عليه وسلم

قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجده وروي ان خوات بن جبير رضي الله عنه كان جالسا الى نسوة من بني كعب
بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود
قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال
فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك تفررمنه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة حتى طلع علي يوما
وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت الصلوة فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك
ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت اتفرر منه حتى لقيني يوما وهو على حمار وقد جعل
رجليه من شق واحد فقال ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق نبيا
ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله تعالى وكان
نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيوتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويامر اصحابه
فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال عليه الصلوة والسلام لا تفعل
فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة عسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله
عليه وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله
انه لم يكن والله عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه
مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم الاية ومعناه السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقايص
على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان
بحضرة المستهزء به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عايشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى يا ويلتنا
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة
بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرايم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل مثله وقال صلى الله عليه
وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه
ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له
الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير
اخاه ذنبا قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا
له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا ولعله خير منك وهذا انما يحرم في
حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة فربما فرح بان يسخر به ويطل فرحا بذلك كانت السخرية به من
جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يحمد وانما المحرم استصغار يتاذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون
وذلك تارة يجري بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا
بعيب من العيوب والضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها **الآفة الثانية عشر افشاء السر**
وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث

يذب
صناعة ولعبا صح
او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته صح

الرجل بحديث فهي امانة وقال عليه السلام مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث
بسر اخيك ويروى ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابة ان امير المؤمنين اسر الى حديثا
وما اراه يطوى عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه
قال قلت يا ابة وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابيه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث
السر قال فاتيت معوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطايا فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا
كان فيه اضرار ولوم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده

الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير
الوعد خلفا فذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال عليه
الصلوة والسلام العدة دين وقال عليه الصلوة والسلام العدة عطية وقال عليه الصلوة والسلام الواي
مثل الدين او افضل والواي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام بوفائه بالوعد فقال
انه صادق الوعد فيقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت
عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله
بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي فلانة وعن عبد الله بن ابي الخمسي قال بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم فواعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيته يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه
قال يا فتى قد شققت على انا ههنا اتردد منذ ثلث انتظر وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي
قال ينتظر ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا
قال عسى فكان ابن مسعود رضي الله عنه لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله تعالى وهو الاولى ثم اذا فهم
مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفا الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو
النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم
انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كان فيه خلة واحدة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى
يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على
عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفا ثم عن له عذر يمنعه من الوفاء لم يكن منافقا
وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته
ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاضرة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاوتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلبه منه وهي تقول الا ترى اثر الرحا بيدي فذكر موعده
لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فاثره بها على فاطمة رضي الله عنها لما سبق من موعده له
مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنايم
هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم
ما شئت فقال احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال عليه الصلوة والسلام هي لك ولقد احتكمت يسيرا
ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف عليه السلام كانت احزم منك واجزل حكما
منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قال فكان الناس يضعفون

ثم التتبع
باقشاء
بلغ المقابلة

ما احكم به حتى جعل مثلا يقولون افسح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال عليه الصلوة والسلام ليس الخلف
ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم
عليه **الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين** وهو من قبايح الذنوب وفواحش العيوب
وقال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما
في النار وقال ابو امامة الباهلي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق
وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج فان الاصل
الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه الصلوة والسلام كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به
مصدق وانت له فيه كاذب وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان
يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد
اشتراها احدهما فقال اوجب لاحدهما بالاثم والكفارة وقال عليه الصلوة والسلام الكذب ينقص الرزق
وقال عليه الصلوة والسلام ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون
فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال عليه الصلوة والسلام ثلثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم
المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله
فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم الله تعالى رجل كان في فئة فنصب نحره فيصبر حتى يقتل او يفتح الله عليه
وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهم موت او ظعن ورجل كان مع قوم
في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل
وثلثة يشنؤهم الله تعالى التاجر والبياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم
ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رايت كان رجلا جاءني
فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قايم والآخر جالس بيد القايم كلوب من حديد يلقمه في شدق
الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت
للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك فقال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا
ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون الآية وقال
ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الزنى
ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعايل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو
افاء الله علي نعما عدد هذه الحصا لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عليه الصلوة والسلام
وكان متكيا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال

ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل
من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هن قال اذا
حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ايتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم
وقال عليه الصلوة والسلام ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب
واما الكحل فالنوم وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينا كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين
ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من حدث عني حديثا وهو يرى انه كذب فهو احد
الكاذبين وقال عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله
يوم يلقاه وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال عليه الصلوة
والسلام على كل خصلة يطبع او يطوي عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عايشة رضي الله عنها ما كان
من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله تعالى منها توبة وقال موسى
عليه السلام يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن لابنه
يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم في مدح الصدق
اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني اوصيكم بتقوى وصدق الحديث ووفاء بالعهد واداء الامانة وبذل السلام وخفض الجناح **اما**
الآثار قال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال
عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم
احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة
وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت
فعزمت على تركه فنادى مناد من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني او جر على ترك الكذب
لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم وقال مالك بن دينار
قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا وعرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا
قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال ايضا الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى
يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ عرفت ان
الكذب يشين صاحبه **بيان ما رخص فيه من الكذب** اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر
على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق
به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما
كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى واخر وراءه بالسيف
فدخل دارا فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق هذا الكذب واجب

فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد وكل مقصود محمود يمكن الوصول اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب
فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح وان كان تحصيل ذلك المقصود
مباحا وواجب ان كان تحصيل المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك
دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين
او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح على
نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر فيه على حد الضرورة فكان
الكذب حرام في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل
يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسما بنت يزيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي
كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت
ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثنا ولقيت الاخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت
نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بعني
الكذب وقال عطا بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول
لها قال عليه السلام لا جناح عليك وروي ان ابن ابي عذرة الدولي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه يخلع
النسا اللاتي يتزوجهن فطار له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن الارقم
حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله عز وجل هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك الله
تعالى قالت نعم فقال لابن ارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم تحدثون اني اظلم النسا واخلعهن ظلما فسل
ابن ارقم فساله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجاءت وعمها فقال انت التي تحدثين زوجك انك
تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع الى الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المومنين
قال نعم فاكذبي وان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب
ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا
ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحنا فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها
فقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه شر وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السما احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة
فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثنا وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض او مقصود صحيح له او
لغيره اما ما له فمثل ان ياخذه ظالم ويسئله عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان فيساله عن فاحشة
بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر فيقول ما زنيت وما شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكب
شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى وللرجل ان
يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه
فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه

الرجلين

الا الارض

اوكانت امراته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان
وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق
في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور
الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود
الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامر بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب
مباح لضرورة او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض
ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه ولذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب
له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به
واكثر كذب الناس انما هو بحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى
ان المراة لتحكي عن زوجها فيما تفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسما سمعت امراة
تسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل علي
فيه شيء فقال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال عليه السلام من تطعم بما لم يطعم
وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا
يتحققه وروايته الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من
ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنسا الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا
بوعد او وعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم قد روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح
ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح لقصد الاصلاح ويتطرق
اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا
يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من
الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو يؤدي الى سفك
دم وارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضايل الاعمال وفي التشديد في المعاصي
وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطا محض اذ قال عليه الصلوة والسلام من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
من النار وهذا لا يترك الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الايات
والاخبار كفاية عن غيرها وقول القايل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم
فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ويؤدي فتح
بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا بشره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير
التي لا يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض لمندوحة
عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكف الرجل عن الكذب وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وغيرهم وانما ارادوا ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض
ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي عن مطرف انه دخل على زياد فاستبطاه
فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله به وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل
عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند المستمع
وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضي الله عنهما فلما رجع قالت امراته ما جئت به مما ياتي به العمال

من عراضة اهليهم وما كان قد جاء به فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر رضي الله عنه فبعث معك عمر رضي الله عنه ضاغطا فقامت بذلك في حالها واشتكت عمر فلما سمع عمر دعا
معاذا فقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا فقال
ارضها به وقوله ضاغطا يريد به ربه تعالى وحفظه عليه وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول
ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية
قولي له اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس ههنا كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو
يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في
غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن ابي عبد الله
بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليهم فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا
كساك امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك والكذب
وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فائدة
فيه نعم يباح المعاريض بغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة العجوز
وقال للاخرى في عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير وما اشبه ذلك فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان
الانصاري مع عثمان في قصة الضرير ان قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم اياه
بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر ويؤدي ذلك الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا مطايبة
فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المؤمن
ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله عليه الصلوة والسلام ان الرجل
ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض
المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقولك قلت لك كذا مائة مرة
فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلبه
مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة
فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه
وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسما بنت عميس كنت صاحبة عايشة التي هيأتها وادخلتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله
عايشة قالت فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت
فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت
يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال ان الكذب ليكتب كذبا
حتى يكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد
كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول
فاين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه
عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عايدة الى ابني لي فانكبت عليه
فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن
العادة ان تقول يعلم الله فيما لا يعلم قال عيسى عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله

وطلبتك مائة مرة صح

بعلم

يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الفرى
ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري عينه في المنام ما لم ير او يقول علي ما لم اقل وقال عليه الصلوة والسلام من
كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيها طويل فنذكر اولا
مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة
فقال ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم
حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع بينه وبين الدم والمال وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا
وعن جابر وابي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنى ان الرجل
قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال
هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى
اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق
في بيوتها فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع
عورة اخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسى
جعل الرجل يجي فيقول يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل
فقال يا رسول الله فتاتان من اهل بيتي ظلتا صائمتين وانهما تستحيان ان ياتياك فاذن لهما ان يفطرا فاعرض
عنه ثم عاوده فاعرض عنه وعاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحم الناس اذهب
فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض
عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا او تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحدهما قيئي فقاءت من قيح ودم صديد حتى ملات القدح
وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست
احديهما على الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم
شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل واربا
الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين فقال انهما يعذب
صاحبهما فقال اما انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الاخر فكان يمشي
بالنميمة او قال لا يتنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبرهما
فقال عليه الصلوة والسلام اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معهما في
طريقه بجيفة فقال انهشا منها فقالوا يا رسول الله ننهش من جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه

ولبس بعا قد بينها صح

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون
خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فقيل له كله ميتا كما
اكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح وروي ذلك مرفوعا وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد
فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذاك فقالا لقد بقي فيه شيء منه فاقيمت الصلوة فدخلا وصليا مع الناس
فحاك في انفسهما مما قالا فاتيا عطاء فسألاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة فان كانا صائمين لامرهما
ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل
لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة
وقال الحسن والله للغيبة اسرع فسادا في دين المؤمن من الاكلة في جسده وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة
في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا اردت ان تذكر عيوب
صاحبك فاذكر عيوب نفسك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه
وكان الحسن يقول يا ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح
ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله تعالى من
كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى بن مريم والحواريون عليهم السلام على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن
ريح هذا فقال عيسى عليه السلام ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر شيء من
خلق الله تعالى الا احسنه وسمع علي بن الحسين رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس
وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء **بيان معنى الغيبة وحدها**
اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في
فعله او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فذكرك العمى والحول والعمش والقرع
والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فان يقول ابوه
نبطي وهندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شيء مما يكرهه كيف كان واما الخلق فان يقول انه
سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله
المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب وشارب وخائن وظالم ومتهاون بالصلوة والزكوة ولا يحسن الركوع
والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة موضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس
صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب
يتهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نوم وينام
الى غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب كبير العمامة وقال قوم لا غيبة
في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امراة وكثرة صلاتها وصومها لكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة
فقال فما خيرها اذا وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحوال والاحكام بالسؤال
ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة
ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة فكل ذلك
وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قال ارايت ان كان في اخي ما اقول

قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ذكر رجل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال عليه الصلوة والسلام اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله
قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة
فقال عليه الصلوة والسلام اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك والكل في كتاب الله
تعالى الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا
فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابرهيم النخعي ولم يقل
الاعور النخعي وذكر لابن سيرين ابرهيم فقال النخعي ولم يقل الاعور وقالت عائشة رضي الله عنها لا يغتابن
منكم احد احدا فاني قلت مرة لامراة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال عليه الصلوة والسلام
الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم **بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان** اعلم ان الذكر باللسان
انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول
والاشارة والايماء والغمز والهمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام
ومن ذلك قالت عائشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومأت بيدي اي قصيرة فقال عليه الصلوة والسلام
قد اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان تمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير
والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حكت واومت فقال ما يسرني اني حاكيت انسانا ولي كذا
وكذى وكذلك الغيبة في الكتاب فان القلم احدى اللسانين وذكر المصنف في الكتاب شخصا معينا وتهجين
كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي بيانه واما قوله قال قوم كذى
فليس ذلك بغيبة انما الغيبة هي التعرض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا
اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم
فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذى
وكذى وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة يفهم عين
الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح
فيظهرون من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين
الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل
في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير
فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما كان احسن احوال فلان وما كان
يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده
ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه ويجمع
بين ثلث فواحش فهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل
الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكايده اعمالهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك
ان يذكر عيب انسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب
ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمن على الله تعالى بذكره جهلا منه وغرورا
وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسأل الله تعالى ان يروح سره ويكون كاذبا
في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم به لكان يغتم

ايضا باطنا بما يكرهه وكذلك يقول ذاك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيه فكانه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع الى الغيبة احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا مع الخبز فقال عليه الصلوة والسلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والاخر المستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه اثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشتهي لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله تعالى يوم القيمة على رؤس الخلائق وقال ابو الدردا رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن له دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي فيهلك معهم الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده ليروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذى وكذى من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرا منه فيذكر الذي فعله الذي فعله وان كان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه اعلم منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا

وقال ابو الدردا رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يذب عن عرضه يوم القيمة صح

عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشأوه التكبر واستصغار المستهزأ به واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر الاول ان ينبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطاء في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يميل الى فلان وهو سيئ الخلق وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذى تعجبه ولكن ساقه الى الشر من حيث لا يدري والترحم والتغمم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهر على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا من العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي وروى عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله تعالى فقال اهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فادركه فاخبره بما قال قال فادركه رسولهم واخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قاله وساله ان يدعوه فدعاه فسأله فقال قد قلت ذاك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه قال انا جاره وانا به خابر والله ما رايته يصلي قط الا هذه المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل راني قط اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها والركوع والسجود فيها فسأله فقال لا ثم قال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل راني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فسأله فقال لا فقال والله ما رايته يعطي سائلا ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل راني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي يسالها فسأله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والاخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانه تنقل حسناته في القيمة الى من اغتابه بدلا عما استباح اليه من عرضه فان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان تترجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب

الشيطان صح

والنهي عن المنكر صح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال
للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما امن العبد بما وردت به
الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل
بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان
يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه
ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم الصنعة
فقد ذم الصانع وقال رجل لبعض الحكما يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا
في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب
بل لو انصفت لعلم ان ظنه بنفسه انه بري من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان
تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا
يرضاه لنفسه فهذه معالجات جمليه اما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج
العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول
ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرات على نهيه واستخففت
بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفا غيظه بمعصية الله تعالى وقال عليه الصلوة
والسلام من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال عليه الصلوة والسلام من كظم غيظا وهو يقدر على
ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شا وفي بعض كتب الله تعالى
المنزلة يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان تعلم
ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر
مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي
ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهو الغيبة واما
تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث تستغني عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت
الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقينا ولا تدري انك تتخلص
من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل لك
ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسية وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك اني ان اكلت
الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتدا بمن لا يجوز
الاقتدا به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها
لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت
مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى العنز تردي نفسها من الجبل فهي ايضا
تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك افعل
لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية
النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من
اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما ينقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند
الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا

واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت
بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الاخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الاخرة لتجمع
بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسنتك فاذا انت صديقه وعدو
نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسنتك او تنقل اليك سيئته ولا ينفعك فقد
جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك **شعر**
واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند
الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك
وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزات به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت
حالك لكنت اولى ان يضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في
القيامة على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزيا بك وفرحا بخزيك ومسرورا
بنصرة الله اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك
بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت
مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقص من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة
وانما حبب الشيطان اليك الغيبة ليحبط عملك واجر غضبك وتصير متعرضا لغضب الله تعالى بالغيبة
واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه اذ
اخرجك الى الغيبة وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب
ستر اخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه
بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة **بيان تحريم الغيبة بالقلب** اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول
وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن
باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه
بل الشك معفو عنه ايضا ولكن المنهي عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب
قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا الله
الذي هو عالم الغيب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند
ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك
فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق
به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استكنهته فوجدت منه
رايحة الخمر فلا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فكل
ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم به فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى قد حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال
وهو بيقين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر
عليها ان حاله عندك مستور كما كان وكما ان حالك عنده وعند غيره مستور ولا يجب ان يساء بك ظن فكذا يجب عليك
ان تكون عنك بغيرك ولا تسيء به ظنا كما كان فان ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف

عقد الظن والشكوك تختلج والنفوس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان
فتنفر عنه نفورا وتستثقله وتفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن
وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث فى المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اى لا يحقق
فى نفسه بعقد ولا فعل لا فى القلب ولا فى الجوارح اما فى القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفى الجوارح بالعمل
بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الظن بالناس ويلقى اليه ان هذا من فطنتك
وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا
اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل
اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغى ان تحسن الظن بواحد وتسيئه بالاخر نعم ينبغى
ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فيتطرق التهمة اليه بسببه وقد رد الشرع شهادة الاب العدل
لابنه للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن
تقول المذكور حاله كان فى ستر الله عندى وكان امره محجوبا وقد بقى كما كان لم ينكشف لى شىء من امره وقد يكون
الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم
فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان
الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء
على مسلم فينبغى ان تزيد فى مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى اليك
الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه فى السر ولا يخدعنك
الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك
بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترفع عنه بدلالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم
وانت حزين على نفسه كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغى ان يكون تركه ذلك من غير نصيحتك
احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته
واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل
بالتجسس وهو ايضا منهى عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهى عنه فى اية واحدة
ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر والتجسس عن احوالهم
حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا فى كتاب الامر بالمعروف
حكم التجسس وحقيقته **بيان الاعذار المرخصة فى الغيبة** اعلم ان المرخص فى ذكر مساءة الغير هو
غرض صحيح فى الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهو ستة الاول التظلم فان
من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضى فله ان يتظلم
الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به فقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقال
لصاحب الحق يد ولسان وقال صلى الله عليه وسلم مطل الغنى ظلم وقال لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته
الثانى الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى الى منهج الصلاح كما روى ان عمر مر على عثمان وقيل على طلحة رضى الله
عنهم اجمعين فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابى بكر رضى الله عنه وذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن
ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر رضى الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب

ذى الطول الاية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر رضى الله عنه فينفعه
نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباح هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما
الثالث الاستفتاء كما تقول للمفتى قد ظلمنى ابى او زوجتى او اخى فكيف طريقى فى الخلاص والاسلم
التعريض بان تقول ما قولك فى رجل ظلمه ابوه او اخوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روى
عن هند انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان ابا سفين رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى انا وولدى افآخذ
من غير علمه فقال خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى
مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدى اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك
الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الباعث عليه هو الحسد ويلبس
الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق
او بعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان فى سكوتك ضرر المشترى وفى ذكرك ضرر البايع والعبد والمشترى
اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكى اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار فى التزويج وايداع الامانة
له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك
فهو الواجب وفيه كفاية فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اترعوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وقال اذكروا الفاسق بما فيه
وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجاير والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس ان يكون الانسان معروفا
بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول ذلك روى ابو الزناد عن الاعرج وسلمن عن
الاعمش وما يجرى مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه
لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف ~~ولانه صار ذلك~~ بعبارة اخرى فهو اولى
ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب
الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس او كان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر به
ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن
وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر
اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر الماجن المعلن بفجوره
ذكرى له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب هوى والفاسق المعلن بفسقه
والامام الجاير وهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون
اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال له ابن سيرين
ان الله تعالى حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر
ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج **بيان ذكر كفارة الغيبة** اعلم ان الواجب على المغتاب
ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله ويخرج عن مظلمته
وينبغى ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على ما فعله اذ المرائى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفى الباطن
لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج
فى ذلك بما روى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له

وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعوا له بخير وسال عطا بن ابي رباح عن التوبة من الفرية
فقال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان شئت اخذت بحقك وان شئت
عفوت وهذا هو الاصح وقول القايل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف
اذ وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحللها منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم
توخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فزيدت على سياته وقالت عايشة رضي الله
عنها لامراة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتها فاستحليها فاذا لابد من الاستحلال ان قدر عليه
فان كان غايبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعا ويكثر الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب
فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المتعذر المغتاب ان يبالغ في الثنا
عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة
له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل الظالم قال سعيد بن المسيب لا احلل من
ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرمه الله سبحانه
ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله تعالى صح
غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل
قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايعجز
احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض
ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب
مظلمة يوم القيمة منه ولا اخاصم والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب
الا انه وعد وله العزم على الوفا بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس ساير الحقوق ان له ذلك بل صرح
الفقها بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة
فالعفو فضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم
الا من عفا في الدنيا وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل
ما هذا العفو قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي
عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت
الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر على ان اكافيك على التمام **الافة السادس**
عشر النميمة وقد قال تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله
بن المبارك ولد الزنى لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنى
استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة قيل الهمزة النمام وقال
حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة
لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر انه مجنون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام
وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احبكم الى الله احاسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاون
بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا
بلى قال المشاوون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال ابو الدردا رضي الله عنه

من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيمة وقال ابو هريرة ع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا
على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال ابو ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوا مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة
وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت
سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك
مدمن خمر ولا مصر على الزنى ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم
ولا الذي يقول علي عهد الله ان افعل كذى وكذى ثم لم يف به وروي كعب انه اصاب بني اسرايل قحط
فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام
قد اصر على النميمة فقال موسى من هو يا رب حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما
فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبع ماية فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جيتك
للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه
وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال
البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارضين والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد
احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم ينجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره
اذل من اليتيم **بيان حد النميمة وما يجب في ردها** اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من
ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقول فلان كان يتكلم فيك بكذى وكذى وليست النميمة مخصوصة به بل حدها
كشف ما يكره كشفه سوآء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسوآء كان الكشف بالقول او
بالكتبة او بالرمز او بالايمآء وسوآء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسوآء كان ذلك عيبا او نقصانا
على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشا السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان
من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فايدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول
مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة الحق المشهود له عليه فاما اذا راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشا
للسر فان كان ما ينم به نقصانا فاحشا او عيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على
النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من
حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذى وكذى او فعل في حقك كذى او هو يدبر في افساد امرك
او في ممالاة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام
فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الثاني ان
ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر الثالث ان يبغضه في الله
تعالى فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله تعالى الرابع ان لا تظن باخيك الغايب السوء لقوله
تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق لقوله تعالى
ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذى وكذى
فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت بما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه انه دخل
اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية
ان جاءكم فاسق بنبا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو

يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدًا وذكر ان حكيمًا من الحكما زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له
الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيتني بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك
الامينة وروي ان الخليفة سليمن بن عبد الملك كان جالسًا عنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمن
بلغني انك قد وقعت في وقلت كذى وكذى فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمن ان الذي اخبرني
كان صادقًا فقال الزهري لا يكون النمام صادقًا فقال سليمن صدقت اذهب بسلامة وقال الحسن من نم
اليك نم عليك وهذه اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق به وبصداقته وكيف لا يبغض وهو
لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة
وهو ممن سعى في قطع ما امر الله تعالى به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم
وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه
يسعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقًا مقتناك وان كنت كاذبًا عاقبناك
وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن
اوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرًا بلغني
ان فلانًا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك
قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال وذكرت
السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال مصعب
بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرًا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على
شيء واخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقًا لكان في صدقه اثمًا لئيمًا حيث
لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشده يعني ليس ولد الحلال ودخل رجل
على سليمن بن عبد الملك فاستاذن في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته
فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك
بسخط ربهم خافوك في الله ولا يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك
الله اياه فانهم لن يالوا الامة خسفًا والامانة تضييعًا والاعراض قطعًا وان اعلى قربهم البغي والنميمة
واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤل عما اجترحوا وليسوا بمسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم
بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنًا بايع اخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمن بن عبد الملك
فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد الرجل يقول له **شعر** انت امرؤ اما ائتمنتك خاليًا فخنت واما قلت قولا بلا علم
فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال
يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو بن عبيد ما راعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت
حقي حين ابلغتني عن اخي ولكن اعلمك ان الموت يعمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين
ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها
السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمن

طائفة

نفخ

والقربجنا

الحكيم لابنه يا بني اني موصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدًا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك
جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك
ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية
على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم
عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال
حماد بن سلمة باع رجل عبدًا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال
الغلام لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعرات
عند نومه حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها
حتى تعرف فتناوم الرجل فجاءت المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل المراة وقتلوا الزوج
فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر **الافة السابعة عشر كلام ذي اللسانين** الذي يتردد
بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق
قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي
ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي لفظ اخر الذي ياتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء
وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله تعالى وقال مالك ابن دينار رحمة الله عليه
قرات في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيمة كل
ذي شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله تعالى اليه يوم القيمة الكذابون
والمستكبرون والذين يكنزون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله
ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعًا وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يكونن
احدكم امعة قالوا وما الامعة قال يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة اثنين بوجهين نفاق وللنفاق
علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل
عليه حذيفة فقال عمر رضي الله عنه يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال
يا امير المؤمنين انه منهم فقال عمر فنشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا او من منها احدا بعدك فان
قلت فبماذا يصير ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان
صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي
الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعدا كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم
لو نقل كلام كل واحد الى الاخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نمامًا بان ينقل من احد الجانبين
فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلامًا ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من
المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره وكذلك اذا اثنى على
كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل
ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعادين او يثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل
لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيًا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه

فلوا ستغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه هو الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني
عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلوا ستغنى عن الدخول ولكن لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل الضرورة
الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب
كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامرا ومراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو
معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه اقوام وقلوبنا لتبغضهم وفي
رواية انا لنكشر في وجوه اقوام ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم او لتلعنهم وقالت عايشة رضي الله عنها
استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل اخو العشيرة هو فلما دخل اليه
اقبل عليه فراجعته لما خرج فقال صلى الله عليه وسلم يا عايشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره وفي رواية
ان من شرار الناس من اكرمه الناس اتقاء لسانه ولكن هذا ورد في الاقبال عليه وفي الكشر والتبسم فاما الثناء
فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا
التصديق ولا تحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم
يقدر فليسكت بلسانه وينكر بقلبه **الافة الثامنة عشر المدح** وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم
فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح فاما المادح
فهو انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد
بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الريا فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا
لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا
مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح
ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه
كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متقي وورع وزاهد
وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه
عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على
رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فانت جاره صباحه ومساه
قال لا قال والله الذي لا اله الا هو لا تعرفه الرابعة انه قد يمدح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا للظالم بالبقا فقد
احب ان يعصى الله تعالى في الارض فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح فيفرح واما الممدوح فيضره
من وجهين احدهما ان يحدث فيه كبرا او اعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة
والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه
بالدرة فقال له ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما لقد سمعتها فقال اما لقد سمعتها فخشيت (في نسخة: فقال لا في راسي وقلبي)
قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطي منك الثاني هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به
وفتر ورضي عن نفسه ذلك ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا اطلقت
الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك الغرض ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك المادح قطعت
عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه
موسى ومبضا وقال صلى الله عليه وسلم ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء

برا او فاجرا صح

او مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن اسلم ليس احد سمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان
ولكن المؤمن يتواضع قال ابن المبارك قد صدق كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكر مطرف
فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني
عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح
يوجب الفتور ولان المدح يورث العجب والكبر وهو مهلك كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن
هذه الافات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الصحابة رضي الله عنهم حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر رضي الله عنه
لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وحقيقة وكانوا رضي الله عنهم
اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا او فتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم
وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما
انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الافات يقدر على الجمع
بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان
لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء
قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله تعالى اذ ستر عورتك فهذه آفات
المدح **بيان ما على الممدوح** اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة
الفتور ولا ينجو عنه الا بان يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقايق الريا وآفات الاعمال وانه يعرف
من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه
ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه
المداحين وقال سفين بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم
ان هؤلاء لا يعرفونني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا
اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون
واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على
علي رضي الله عنه في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال علي انا دون ما تقول بلسانك وفوق ما في
نفسك **الآفة التاسعة عشر الغفلة** عن دقايق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق
بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر
في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله ومثاله ما قال حذيفة رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله تعالى ثم شئت وذلك
لان في العطف المطلق تسوية وتشريكا وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام اجعلتني
لله عديلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ
بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم

بكونه مقدما على ولد آدم

بسلخ المقابله

وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال مثل ذلك صح

فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى صح

ان يقول اعتقنا من النار وقال العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل
اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون
شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابرهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير يقال له يوم القيمة احمارا رايتني
خلقته او خنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه
لسرقنا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم قال عمر والله
ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال عليه الصلوة والسلام لا تسموا العنب الكرم انما
الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي امتي فكلكم عبيد الله
وكل نسائكم اماء الله تعالى ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن
سيدي وسيدتي كلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه
ان يكون سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا
فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن
تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك تعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم
من صمت نجا لان هذه الآفات كلها معاطب ومهالك وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم
خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة وتقليل في الكلام فعساه
يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن
سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين **الآفة العشرون** سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن
كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على
النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء
واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له
من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان
بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم
يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك
وهو موجب للعقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه
عامي ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس سال الناس رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام
اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من
ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار
فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فقال اجلس يرحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال عليه الصلوة والسلام يوشك الناس
يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله تعالى علوا كبيرا فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد
حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان وقال علي رضي الله عنه سلوني تفقها

حيث قال

ولا تسئلوني تعنتا وقال جابر رضي الله عنه ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر
عليهم السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث
لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت الاية فلما لم يصبر حتى سال عنه
ثلثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن
فيجب زمهم وزجرهم ومنعهم عن ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا
يرسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فاستحق بذلك
العقوبة لا محالة فكذى تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه انها قديمة او حادثة وكذلك ساير
صفات الله تعالى هذا اخر كتاب آفات اللسان ويتلوه كتاب آفة الغضب والحقد والحسد والحمد لله رب العالمين
والصلوة على رسوله محمد واله وصحبه اجمعين وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

كتاب آفة الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الا الراجون ولا يحذر
سوى غضبه وسطوته الا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم
بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم
لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون
وحذرهم بان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا
يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمرسلون
وعلى آله واصحابه الذين هم الائمة المهديون والسادة المرضيون صلوة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله
وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والآخرون **اما بعد** فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة
الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر
الدفين في قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان
ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشياطين حيث قال
خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاستعار والحركة
والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومغيضهما مضغة اذا
هي صلحت صلح لها ساير الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما
احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان
رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به
يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها **بيان ذم الغضب**
ثم بيان حقيقة الغضب واسبابه ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب
المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان
القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق
ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد
بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به
يشفى وينفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب **بيان ذم الغضب** قال الله تعالى

والمتقون

اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية الاية فذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن
الغضب بالباطل ومدح المومنين بما انعم عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني
بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي
قولا واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى ان لا تغضب وعن عبد الله بن عمر انه
سال النبي صلى الله عليه وسلم ما ذا يبعدني من غضب الله تعالى قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذاك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب
وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته قال سليمن بن داود يا بني اياك وكثرة
الغضب يستخف فواد الرجل الحليم وعن عكرمة فى قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب
قال ابو الدردا قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب
قال لا استطيع الا اغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى ان شاء الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال
لرجل اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب الاثار قال الحسن يا ابن ادم
كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع فى النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال
علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب
بالكظم وسكنه بالتؤده واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد
ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان فى صومعة فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه
حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح فقال الراهب
وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيمة فلو جئتنا اليوم بغير
ذلك لم نقبله منك فقال انه هو الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسئلني عما شئت فاخبرك
قال ما اريد ان اسالك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني ادم
اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة يقول
الشيطان كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون فى قلبه واذا غضب طرت حتى اكون فى راسه وقال
جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل
استغنى عن الحلم الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد
قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني فى ثلث اذا اسكر احدهم اخذناه بخزامه فقدناه حيث شئنا
وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما عليه يندم ونبخله بما فى يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل
لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك
والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه
اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى عامله ان لا تعاقب عند
غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به
خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان
يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا لا والله لا كان ذلك القول ابدا

رسول الله

وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي
يملك نفسه عند الغضب صح

اذهب

اذهب فقد عفوت عنك وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي فى التنانير
المسجورة والغضب غول العقل اي مهلكه وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال فى خطبته افلح منكم من
حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامة
المسلم قوة فى دين وحزم فى لين وايمان فى يقين وعلم فى حلم وكيس فى رفق واعطاء فى حق وقصد فى غنى
وتجمل فى فاقة واحسان فى قدرة وصبر فى شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه
بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا
يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه فى عناء والناس منه فى رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك
اجمل لنا حسن الخلق فى كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبيا لمن معه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون
معي فى درجتي فى الجنة ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليهم فقال الشاب انا ووفى
فلما مات كان فى منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر
اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع **بيان حقيقة الغضب واسبابه** اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان
معرضا للفساد والموتان باسباب فى داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه
الهلاك الى اجل معلوم سماه فى كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة
والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تنفش اجزاوها بخارا يتصاعد
منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذا يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذاء
الموافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذا كالموكل به فى جبر ما انكسر وسد ما
انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان
للهلاك فكالسيف والسنان وساير المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع
المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه فى الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد فى غرض من اغراضه
ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي بها دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع الى
اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي على النار فى القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه
والعين والبشرة بصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم
اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد
منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فى الانتقام
منه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب
ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات قبل
وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به
ثم الناس فى هذه القوة على درجات ثلث فى اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط
فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رضي الله
عنه من استغضب ولم يغضب فهو حمار ومن استرضي ولم يرض فهو شيطان فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا
فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة رضي الله عنهم بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال
للنبي صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية
وهي الغضب واما الافراط فهو ان يغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى

فاقل الناس غضبا اعقلهم
فان كان للدنيا كان دهاء
ومكرا وان كان للاخرة كان
علما وحلما وقد قيل الغضب
عدو العقل صح

وصار حينا صح

للمرء معه بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية
ورب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك
حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته واما
الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية
فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض
الفخر لجهله فمن سمعه فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتد
نار الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا
وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ
ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما
يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه ويسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف
اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا من الدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفا
او انمحى اثره ونوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا
من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالعقل والقلب والدماغ
وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حيوة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشق
وينهد اعاليه على اسفله وينهدم وذلك لابطال النار ما في جوانبها من القوة الممسكة الجامعة لاجزائها فهكذي
حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا
وارجى سلامة من النفس المضطرمة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما
القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذا عماه الغضب واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر
تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى
يظهر الزبد على الاشداق ويحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان نفسه في حال
الغضب قبح صورته لسكن غضبه حيا من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اقبح واعظم من قبح ظاهره
فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير
الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبايح الكلام
الذي يستحيي منه ذو العقول ويستحيي قايله منه عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ
واما اثره على الاعضا فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه
المغضوب عليه اوفاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد
يضرب بيده وراسه على الارض او يعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق
العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة
مثلا على الارض وقد يكسر المايدة اذا غضب عليها ويتعاطى فعال المجانين فيشتم البهيمة والحمار والبغل ويخاطبه
ويقول بالشتم الى متى منك هذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى كانه ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها
بذلك واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمسيئات والحزن بالمسرات
والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة
الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يانف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر

والامة

النفس

ٮ٢٢٤

النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس
بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن
ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خيار امتي احداؤها
يعني في الدين وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم
الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب
مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حين تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم
وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة
وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه
الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف
على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب
القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها
كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض
الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاتها **بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة**
ام لا اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب ومحوه بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد
وظن اخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا
الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب
وما دام يوافقه شيء ويخالفه اخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه
مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محاله واذا قصد بمكروه غضب لا محاله الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى
ثلثة اقسام الاول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه
بالضرب والجرح فلا بد ان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره
التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ
على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب
فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما
فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في الوقت والقوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك
الانسان عن اصل الغيظ عليه فاما اذا كانت له دار زايدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز
ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب
وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على غير ما هو ضروري كالجاه والصيت والتصدر في
المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل
ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الردية
هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان
صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد

في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديه
ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب
الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من مثل هذه الرذايل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري
لان حبه ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا
للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي
لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فانما هو وسيلة الى الضروري والوسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا
ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا
بحقايق الامور وسلم له هذه الثلث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة
في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع
الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف
التحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا له راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس
بمقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه
الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا
في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن
حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل فيه بالرياضة الى الانكفاف والانفكاك
عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الاخرة
وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد
في الدنيا ويمحي حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب يتبع الحب فالرياضة
في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد ينتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه
وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا
وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهية غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامة
ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب التوحيد عليه حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من
خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم
فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع
الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله تعالى وهو ان يرى ان الكل من الله تعالى وان الله
لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد
لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق
الخاطف تغلب في احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع
عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى يحمر وجنتاه
حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او ضربته او لعنته
فاجعلها مني صلوة عليه وزكوة وقربة يقربه اليك يوم القيمة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله
اكتب منك كلما قلت في الغضب والرضا فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه

وليس من ضرورته كل كراهة صح

الا الحق واشار به الى لسانه فلم يقل صلى الله عليه وسلم اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق
اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عايشة رضي الله عنها مرة فقال صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك
فقالت وما لك يا رسول الله شيطان قال بلى ولكني دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير ولم يقل
لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان
كان غضبه لله فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد
له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكنه الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا
كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق
القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا
شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم
وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة كؤودا ان قطعتها لم يضرني
ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه
كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه
الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي
فقال لها عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه افة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه
فلم يغضب لما نسب اليه وشتم رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه
الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا بما كان لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر
ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فان اشتغال القلب ببعض
المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال
القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي بشدة حبه
لله تعالى غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة فقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب هو محو حب الدنيا
عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوايلها كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المزايا عن القلب
~~وذلك بمعرفة آفات الد~~ تخلص من اكثر اسباب الغضب والبغض وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف
الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان اسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها
وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله
تعالى قال فما يقرب من غضب الله تعالى قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينشئه وما ينبته قال عيسى الكبر
والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والتعيير والمماراة والغدر والمضادة
وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء
هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب
بالمعرفة بنفسك كما سياتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك

شعر

اذا الناس يجمعهم في الانتساب اب • وانما اختلفوا في الفضل اشتاتا • فبنوا آدم عليه السلام جنس واحد وانما
الفخر بالفضايل والفخر والعجب اكبر الرذايل وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك
فلم تفتخر انت من جنس عبدك من حيث البنية والنسبة والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزح فتزيله

بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفتها واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضايل
والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الاخرة واما الهزؤ فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس
وبصيانة النفس عن ان يستهزا بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب
واما شدة الحرص على مزايا العيش وفضول الدنيا فيزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغنا وترفعا
عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة
وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوايلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة
اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت
وطهرت عن هذه الرذايل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب
عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالقاب محمودة غباوة
وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الاكابر في معرض المدح
بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسميته هذه عزة نفس
وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها واية انه لضعف النفس
ان المريض اضعف قلبا واسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الرجل
والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيئ والرذايل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضايل
فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه
بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو
وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والعلما والحكما واكابر الملوك والفضلا
وضد ذلك منقول عن الاتراك والجهلة والاكراد والاغبياء الذين لا فضل لهم ولا عقل **بيان علاج**
الغضب بعد هيجانه اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى
سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب
عند هيجانه بمعجون العلم والعمل فهو امور ستة الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم
الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب كظم الغيظ عن التشفي
والانتقام وينطفي غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر رضي الله عنه على رجل وامر بضربه
فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وكان يتامل الاية وكان وقافا عند كتاب الله تعالى مهما تلي عليه كثير التدبر فيه وخلى الرجل
وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه الامر الثاني
ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت
غضبي عليه فمن امن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض
الكتب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطا عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اي القصاص في القيمة
وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا وكان معه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم المسكين
واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقراها حتى يسكن غضبه الامر الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة

والاولياء صح

والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اعراضه والشماتة بمصايبه وهو لا يخلو عن المصايب
فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة
على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على
بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغة العلم والعمل وما يعينه على الاخرة فيكون
مثابا عليه الامر الرابع ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حال الغضب ويتفكر
في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي
التارك للغضب للانبيا والعلما والحكما ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس
وبين ان يتشبه بالانبيا والعلما في عاداتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهولاء ان كان قد بقي فيه مسكة
من عقل الامر الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد
وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير
حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك يا نفس ما اجهلك تانفين من الاحتمال الآن ولا تانفين
من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين
الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين بانتقامك من هذا ومهما كظم الغيظ
فينبغي ان يكظمه لله تعالى وذلك يعظم اجره عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله لو انتقم
الآن افلا يحب ان يكون هو القايم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا عن
حقه فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقررها على قلبه الامر السادس ان يعلم ان غضبه من
تعجبه من جريان الشي على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك
ان يكون غضب الله عليه اشد واعظم من غضبه واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغضب وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عايشة
اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
الفتن فيستحب ان تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب
من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب
الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا
الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا
فلينم فان لم يزل بذلك فليتوضا بالماء البارد فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان
وان الشيطان خلق من النار فانما تطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب
وهو قايم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه
وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق
خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضا من اذل الاشيا والمواضع وهو التراب لتستشعر
النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بماء
فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي
ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم اعظم خالقهما وروي

او يغتسل فان النار لا يطفيها الا الما وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا بالما فانما الغضب صح

ان اباذر رضي الله عنه قال لرجل يا ابن الحمرآ في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا اباذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال نعم فانطلق ابوذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا اباذر ارفع راسك الى السمآء فانظر ثم اعلم
انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان
كنت قاعدا فاتكى وان كنت متكيا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد
غضبه فكتب له ثلث صحايف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني
اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي
الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله وانما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا
فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السمآء فاعطى الثالثة فاذا فيها
خذ الناس بحق الله تعالى فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب
لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله **بيان فضيلة كظم الغيظ** قال الله تعالى
والكاظمين الغيظ وذكر عز وجل ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله
عنه عذابه يوم القيمة ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال عليه الصلوة
والسلام اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال
ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء
وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من
شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال عليه الصلوة والسلام ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها
عبد وما كظمها عبد الا ملا الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه
الله يوم القيمة على رؤس الخلايق فيخيره في اي الحور شاء، واما الاثار قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف
غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء
وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع
شرا كثيرا واجتمع سفين الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على
ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر بن الخطاب والله لا تقضي بالعدل ولا
تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين الم تسمع ان الله تعالى قال خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد
بن كعب ثلث من كن فيه فقد استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه
من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان رضي الله عنه فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب
قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك **بيان فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ
لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه وغضبه ويحتاج فيه الى مجاهدة
شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو
الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء التحلم
وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن

قال فاطلع فارض صاحبك ح

يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون
ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلما فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التجبر والكبر هو الذي
يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم
واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا
وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس
من سنن المرسلين الحيآء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة
ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعونني واحسن اليهم ويسيؤن الي ويجهلون علي واحلم عنهم
قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك والمل يعني به الرماد
وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة
فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي
ضمضم قالوا وما ابو ضمضم يا رسول الله قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني اتصدق اليوم
بعرضي على من ظلمني وقيل في تفسير قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما وقال ابن
ابي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا
صفحوا وروي ان ابن مسعود رضي الله عنه مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود او
امسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم
والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاشج
فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان
فيك خلقين يحبهما الله تعالى ورسوله قال ما هما بابي انت وامي يا رسول الله قال الحلم والاناة فقال خلقان
تخلقتهما او خلقان جبلتهما قال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله
ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السايل الملحف
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله
وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلايق يوم القيمة نادى مناد
اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى
الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا
واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين الاثار قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا
للعلم السكينة والحلم والوقار وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك
ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وقال الحسن

اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدردا رضي الله
عنه ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك
قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس
كلهم اعوانه على الجاهل وقال معوية رضي الله عنه لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يبلغ حلمه جهله وصبره شهوته
ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال
اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا
فغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب رجل
ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيا وقال
رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وروي عن علي بن الحسين
بن علي رضي الله عنهم انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس
خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله تعالى وحمله على التوبة والندم ورجوعه الى المدح
بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء يسير من الدنيا وقال معوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا
امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو
افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد
ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اسا
فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اسائته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال
وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطى ومن يحرص على الشر لا يسلم
ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشتم ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله
يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يتكل على الله يخذل ومن يستعن بالله ولا يستعن بغيره
يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال اذا انت اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك
اهديت اليك حسناتي وقال بعض العلما الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى يسمى به وقال رجل لبعض الحكما والله
لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي ومر المسيح عيسى ابن مريم بقوم من اليهود فقالوا له
شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال عليه الصلوة والسلام كل واحد ينفق مما
عنده وقال لقمن ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب
ولا اخوك الا عند حاجتك اليه ودخل على بعض الحكما صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة الحكيم
وكانت سيئة الخلق فرفعت المايده واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر
يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم فقال
احسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل فانصرف وقال صدق الحكيم شفاء من كل الم وضرب رجل
قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به وريحت الغضب
شعر
سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ° وان كثرت منه على الجرايم ° وما الناس الا واحد من ثلثة ° شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ° واتبع فيه الحق والحق لازم ° واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام
لايم ° واما الذي مثلي فان زل او هفا ° تفضلت ان الفضل بالخير حاكم
بيان القدر الذي يجوز الانتصار

والتشفي به من الكلام اعلم ان كل ظلم صدر عن شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة
بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذلك ساير المعاصي وانما القصاص
والغرامة على ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله لقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت
فلما ابتدر ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك كنت ساكتا لما شتمني فلما
تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس
فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه
والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد
لابن مسعود رضي الله عنه وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله
يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال
ابن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل حتى يرى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل
اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب للاعراض
وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت وخزاك الله وانتقم
منك واما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد
بن ابي وقاص كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان ياثم بعضنا في
بعض فلم يسمع السوء فيه فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام ولا هو مثل حرام كالنسبة
الى الزنى والسب والفحش ما روت عن عايشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة
فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلتني ازواجك يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم
نايم فقال يا بنتي اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرتهن بذلك فقلن ما
اغنيت عنا شيا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر
وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن
لي فسببتها حتى جف لساني فقال صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام
وقولها سببتها ليس مرادها الفحش من الكلام بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق انا بنت ابي بكر
وما لها وانت بنت جحش وما ذا تريدين وغير ذلك مما يشبه هذا الكلام وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا
فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء
وهو رخصة في الابتداء جزاء على ابتدائه السابق باللسان ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه
فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب
والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم
من يكف في الابتدا ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود
وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية
والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الحديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك
وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال
ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب

العلم

ومن لا يكن من حزب الله يخذل م

لابنه

وافسدت قلوبنا م

سريع الفئ ومنهم سريع الغضب سريع الفئ فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطئ الفئ الا وان خيرهم البطئ
الغضب السريع الفئ وشرهم السريع الغضب البطئ الفئ ولما كان الغضب في الحال يهيج ويوثر في كل انسان وجب
على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا
نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه راي عمر رضي الله عنه
سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركته فقال لانه
اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز
رحمه الله لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك **القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو
والرفق** اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا
ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم
المومن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان
تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد
وسيأتي ذمه الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه
وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا
يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع
ايذاؤه بالضرب وما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم وقضاء دين ورد مظلمة وكل ذلك حرام
واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله تعالى
به ولكنه تستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق
والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعاء له او
الثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل
عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه على ان لا ينفق على مسطح
وكان قريبا له ولكنه تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون
ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر بلى نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه
ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهي من فضايل اعمال
المقربين فللحقود ثلث احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان
وهو العدل والثانية ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالثة ان يظلمه بما لا يستحقه
وذلك هو الجور وهو اختيار الارذال والثانية هو اختيار الصديقين والاولى هو منتهى درجة الصالحين
ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان **فضيلة العفو والاحسان** اعلم ان معنى العفو ان تستحق حقا
فتسقطه وتبرا عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال تعالى خذ العفو
الاية وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال عليه الصلوة والسلام ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن
ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفى رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله بها عزا يوم القيمة
ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال عليه الصلوة والسلام التواضع لا يزيد العبد الا رفعة
فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا
يرحمكم الله وقالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم

بنهك من محارم الله تعالى شئ فاذا انتهك من محارم الله شئ كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين
الا اختار ايسرهما ما لم يكن ماثما وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة
تصل من قطعك وتعفوا عمن ظلمك وتعطي من حرمك وقال عليه الصلوة والسلام قال موسى يا رب اي
عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدردا رضي الله عنه من اعز الناس فقال الذي
يعفوا اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكوا مظلمة فامره النبي صلى الله
عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال عليه الصلوة والسلام ان المظلومين هم المفلحون يوم
القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيمة
نادى مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله تعالى قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن
بعض وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وسعى وصلى
ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب والملا من قريش اسفل منه فقال لهم ما تقولون وما تظنون قالوا
نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم
قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال فقلت يا رسول الله نقول خيرا
ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال عليه الصلوة والسلام اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم الاية وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله
فليدخل الجنة قيل من الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذى وكذى الفا فدخلوا بغير حساب
وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله
عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من جاء بهن مع
ايمان دخل الجنة من اي باب شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرا دبر كل صلوة قل هو الله
احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احدهن يا رسول الله قال او احدهن الا ثار قال ابرهيم التيمي
ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم فانه
يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل
على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكوا اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلق الله ومظلمتك كما هي خير لك
من ان تلقاه وقد انتقصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعوا على من ظلمك فان الله يقول ان آخر يدعوا
عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واوجبنا عليك وان شئتما اخرتكما الى يوم القيمة فيسعكما عفوي
وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل
وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر رضي الله عنهما قال بلغنا ان الله تعالى يامر مناديا يوم القيمة فينادي
من كان له عند الله شئ فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد
اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب صغيرا فعاقبه وقال تعفوا الملوك
عن العظيم من الذنوب لفضلها ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها

وعن المبارك بن فضالة قال وفدني سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل
فامر بقتله فقلت في نفسي يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المومنين الا احدثك حديثا سمعته
من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم
الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله تعالى يد فليقم فلا يقوم الا من عفى فقال والله لسمعته
من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خلوا عنه وقال معوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة
فاذا امكنتكم فعليكم بالافضال والصفح وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا
القرنين اكان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا حدث
صدق وكان لا يجمع من اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم
قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتى هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين
يديه جعل يتكلم بحجة فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المومنين قال الله تعالى يوم تاتي كل نفس
تجادل عن نفسها افنجادل الله تعالى جدالا ولا نكلمك انت كلاما فقال هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان
سارقا دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر
علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته
فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال
عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله عليه جراءة على الذنب فاجعله اخر
ذنوبه وقال الفضيل ما رايت احدا ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت
دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلنا اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني انا واياه بين يدي الله تعالى فاشرف
عقلي على ادحاض حجته فبكاي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة ليلا
وجاء الحسن وهو خايف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع
به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم
قال ايها الامير ماذا صنع الله به اذاله منهم ورفع ذكره واعلى كعبه وجعله على خزاين الارض فماذا صنع حين اكمل له
امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه فقال الحكم وانا اقول لا تثريب
عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يساله العفو عن بعض اخوانه فلان
هارب من زلته الى عفوك لايذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتى
عبد الملك بن مروان باساري ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب
من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ
اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المومنين تخلي سبيلي
قال نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم وموسى ثم تلى ام لم ينبا بما في صحف
موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب
في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق** اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة
والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجتا حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب
وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا
يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل

هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عايشه انه من اعطي حظه من الرفق فقد
اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال عليه
الصلوة والسلام اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال عليه الصلوة والسلام ان الله ليعطي على الرفق
ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا الخير
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال عليه الصلوة والسلام
يا عايشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال عليه الصلوة والسلام من يحرم
الرفق يحرم الخير كله وقال عليه الصلوة والسلام ايما وال ولي فلان ورفق رفق به يوم القيمة وقال عليه الصلوة
والسلام الرفق يمن والخرق شوم وقال عليه الصلوة والسلام التاني من الله والعجلة من الشيطان وروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله تعالى قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير
فقال الحمد لله الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص مرتين او ثلثا قال
نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن عايشة رضي الله
عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال عليه
الصلوة والسلام يا عايشه عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه الاثار
بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة اشتكوا من عماله فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه
ثم قال ايها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايها الرعاة ان للرعية عليكم
حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام
وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية فيمن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق
ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين
اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل
يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله رضي الله عنهما ما الرفق
قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضرك وقال سفين
لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه
والسيف في موضعه والسوط في موضعه كما قيل شعر ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع
الندى وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق فالمحمود وسط بين العنف واللين كما سياتي
في ساير الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق
اكثر ولذلك كثر ثنا الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن
فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى فرب حق وافق الهوى وهو الذي من الزبد بالشهد قال عمر بن
عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا
معا وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معوية رضي الله عنه يعاتبه في التاني فكتب اليه معوية اما بعد فان التفهم
في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخايب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد
ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا فان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب
لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري
مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انه لا يعطونك

تدرون من يحرم على النار
كل هين لين سهل قريب
وقال صلى الله عليه وسلم صح

الذى

بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متانى وليس كحاطب ليل فهذا
ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد فى اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع
ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة
او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه فى الاكثر **القول فى ذم الحسد** وفى حقيقته
واسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته **بيان ذم الحسد** اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد
من نتايج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى
وقد ورد فى ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب وقال عليه الصلوة والسلام فى النهى عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا
ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته ماء من وضوء قد علق
نعليه فى يده الشمال فسلم فلما كان من الغد قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقال
صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثالث كذلك فطلع ذلك الرجل فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو
بن العاص رضى الله عنه فقال انى لاحيت ابى فاقسمت الا ادخل عليه ثلثا فان رايت ان تؤوينى اليك حتى تمضى
ذلك فعلت فقال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى
ولا يقوم حتى يقوم لصلوة الفجر قال عبد الله بن عمرو غير انى لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الثلث وكدت
ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجرة ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كذى وكذى فاردت ان اعرف عملك فلم ارك ان تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذاك قال ما هو الا
ما رايت فلما وليت دعانى فقال ما هو الا ما رايت غير انى لا اجد على احد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا
على خير اعطاه الله تعالى اياه قال عبد الله هى التى بلغت بك وهى التى لا نطيق وقال عليه الصلوة والسلام
ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض واذا حسدت فلا تبغ وفى رواية ثلث لا ينجوا منهن احد وقل من ينجوا منهن فاثبت فى هذه الرواية
امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هى الحالقة
لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذى نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى
تحابوا الا انبئكم بما يثبت لكم ذلك افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد
الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتى داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر
والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغى ثم يكون الهرج وقال صلى الله عليه
وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروى ان موسى لما تعجل الى ربه راى فى ظل العرش
رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من
عمله بثلث كان لا يحسد الناس على ما اتيهم الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشى بالنميمة وقال
زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضاى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى
وقال عليه الصلوة والسلام اخوف ما اخاف على امتى ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال عليه الصلوة
والسلام ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله وقال عليه الصلوة
والسلام استعينوا على قضاء الحوايج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار

قبل

قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار
بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد الاثار قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هى الحسد
حسد ابليس آدم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكى ان عون بن عبد الله دخل على المفضل بن المهلب
وكان يومئذ على واسط فقال انى اريد ان اعظك بشئ فقال وما ذاك قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به
ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الآية واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة اسكنه الله فى جنة عرضها
السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها من حرصه فاخرجه الله تعالى ثم قرا اهبطا
منها الآية واياك والحسد فانه قتل ابن ادم اخاه حين حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابنى آدم بالحق الآية واذا ذكر
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال
بكر بن عبد الله المدنى كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه فان
المسئ ستكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك
ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعوه اليك اذا اخذ مقامه
فانه اذا دنا منك يضع يده على انفه كيلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف انت حتى انظر فخرج من عند الملك
فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن
باحسانه فان المسئ سيكفيكه مساويه فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك
منه رائحة الثوم فقال الملك فى نفسه ما ارى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب كتابا بخطه
الا لجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش
جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب فخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك
لى بصلة فقال هبه لى فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل فى كتابك ان اذبحك واسلخك
قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى امرى حتى اراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا
جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب
قال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له قال انه ذكر لى انك تزعم انى ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت
يدك على انفك قال كان اطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك
المسئ مساويه وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شئ من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده
على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل
للحسن هل يحسد المؤمن قال فما انساك خبر بنى يعقوب نعم ولكن غمه فى صدرك وانه لا يضرك ما لم تعد به يدا
ولا لسانا وقال ابو الدرداء رضى الله عنه ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معوية كل الناس
اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك **شعر** كل العداوة قد ترجى اماتتها الا
عداوة من عاداك عن حسد وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرا وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابى ما رايت
ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان كان
الذى اعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله تعالى وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال
بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق
الا جزعا وغما وعند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان حقيقة الحسد
وحكمه واقسامه** ومراتبه واعلم انه لا حسد الا على نعمة الله فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان

بلغ المقابلة

احدهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها
عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهى لنفسك مثلها وهذه
تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة وقد يوضع احد اللفظين بدل
بدل الاخر ولا حجر فى الاسامى بعد معرفة المعانى وفهمها وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق
يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد
ذات البين وايذاء الخلق فلا تضرك كراهيتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة
بل من حيث هى آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التى نقلناها وان هذه
الكراهية تسخط لقضاء الله تعالى فى تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واى معصية
تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القران بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة
تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان وقال الله تعالى لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال تعالى ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء ثم ذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما فى قلوبهم بقوله اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا ونحن عصبة الى قوله يخل لكم وجه ابيكم الاية فلما كرهوا حب ابيه له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه
فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا اى لا تضيق له صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم
بعدم الحسد وقال تعالى فى معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة
واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل فى التفسير حسدا وقال تعالى وما
تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتالفوا
بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال
ابن عباس رضى الله عنهما كانت اليهود قبل ان يبعث النبى صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك
بالنبى الذى وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذى تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبى صلى الله
عليه وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اى حسدا وقالت صفية بنت حيى للنبى صلى الله عليه وسلم جاء ابى وعمى
من عندك يوما فقال ابى لعمى ما تقول فيه قال اقول انه النبى الذى بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته
ايام الحيوة فهذا حكم الحسد فى التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هى اما واجبة واما مندوبة او مباحة
وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم ابن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا
النبى صلى الله عليه وسلم فيسالاه ان يؤمرهما على الصدقة لعلى حين قال لهما على لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما
عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اى هذا منك حسد
وما حسدناك على تزويجك فاطمة فالمنافسة مشتقة فى اللغة من النفاسة والذى يدل على اباحة المنافسة
قوله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت
وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا
يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا فى اثنتين رجل اتاه الله مالا
فسلطه على هلكته فى الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك فى حديث ابى كبشة الانمارى
فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول

رب العلم لو ان لى مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما فى الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان
له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق فى معاصى الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول
لو ان لى مال فلان كنت اعمل بمثل عمله فهما فى الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية
لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من يغبط غيره فى نعمة ويشتهى لنفسه مثلها مهما لم يحب
زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكاة فهذه المنافسة
واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة
من الفضايل كانفاق المال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت النعمة يتنعم فيها
على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادته مساواته واللحوق به فى النعمة وليس فيها كراهة
النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره
احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها فى المباحات
نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب
العصيان وها هنا دقيقة غامضة وهى انه اذا ايس عن ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه
فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد
احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الاخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى
عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا لا يكاد ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القى
الامر اليه ورد الى اختياره لسعى فى ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تزعه التقوى عن
ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجد فى طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله
ودينه ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينفك المؤمن عنها الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن
مخرج اذا حسدت فلا تبغ اى ان وجدت فى قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا اللحاق
باخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد
من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغى ان يحتاط له فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه
من معارفه واقاربه واقرانه من يحب ان يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوى الايمان
رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل
الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقى الى مساواته بادراك النعمة
وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان فى مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى ذلك عنه
ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما
مراتبه فهى اربعة الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث الثانية
ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته فى تلك النعمة مثل رغبته فى دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة واسعة
نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها والثالثة
ان لا يشتهى عينها بل يشتهى لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كى لا يظهر التفاوت بينهما والرابعة
ان يشتهى لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان فى الدنيا والمندوب
اليه ان كان فى الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية
الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

فتمنيه لذلك غير مذموم اما تمنيه عين ذلك فهو مذموم **بيان اسباب الحسد والمنافسه** اما
المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسه فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله وحب طاعته وان كان
دنياويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظر الان في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن
يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة
وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال
بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما
ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز
واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة
كثيرة عظيمة والمنصب كثيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده
بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص
بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون لسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى
ولا بد من شرح هذه الاسباب **السبب الاول العداوة والبغضاء** وهذا اشد اسباب الحسد فان
من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه
الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه بتغير
الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصاب عدوه بلية فرح وظنها مكافاة من جهة الله
تعالى له على بغضه وانه لاجله اصابته ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يظهر له انه لا منزلة
له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما
وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته
فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وكذلك
قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضي
الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل وبالسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه **السبب
الثاني التعزز** وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف
ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل من غرضه
ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بترفعه عليه **السبب الثالث التكبر** وهو ان يكون
في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة له في اغراضه فاذا نال نعمة
خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد
ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم
علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل
علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار
لهم والانفة منهم **السبب الرابع التعجب** كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا
انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله
تعالى بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النعمة منهم حسدا وجزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد

تكبر

تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا
لولا انزل علينا الملائكة الاية فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الاية **السبب الخامس الخوف**
من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له
في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم
على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد
في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال
وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال من القبول عندهم وكذلك
تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ اطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم
الى اغراض له **السبب السادس حب الرياسة** وطلب الجاه نفسه من غير توسل به الى مقصود وذلك كالرجل
الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد
الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال
النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما ينفرد به
ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى
محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في الدنيا وفي قلوب الناس للتوصل
الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة
من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم **السبب السابع خبث النفس** وشحها بالخير لعباد الله تعالى
فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم به
عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوت مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به
فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله تعالى على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل
من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينه وبينهم لا رابطة
ولا عداوة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع وعليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة
لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن
سبب عارض فتعسر ازالته او يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب
او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد فيه لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك
حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد
سبب واحد منها **بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم** وتاكدها
وقلتها في غيرهم وضعفها اعلم ان الحسد انما يكثر من قوم بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع
جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه
عدو لغيره الى غير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس
المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد
فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه
ويترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متقابلتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في
محلتين نعم اذا تجاورا في موضع او مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم

يثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون
العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز
الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد
ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون
على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز
لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا
جرم يكون حسده للمجاور اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة
ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع
ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود اخص فاصل هذه
المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع بين متباعدين
بل لا يجمع الا متناسبين ولذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف
العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك
حب الدنيا هي الذي تضيق عن المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من
يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملئكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه فلا يحسد غيره اذا عرف ذلك
ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا
ينقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك
لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله
تعالى ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق
بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال
هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب
شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب
بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلي قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد
ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في القلب من العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه
وان المال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك انسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال ليملكه غيره والعلم
لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار
ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لانه غيره ايضا
لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بموانسته فيكون لذة هؤلاء في مطالعة عجايب الملكوت على
الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته
التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة
ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة وان
فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا تظن بهم عند انكشاف الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى
فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة

ولا مزاحم

ولا مزاحمة فيها ولا تنال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء من الحسد
في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق السجين ولذلك وصف به اللعين
ابليس وذكر من صفاته انه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد
عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر
الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة
الى السماء ولكن السماء متسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان
كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولا آخر له ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك
في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وعجايب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك
في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها ففتر فيها رايك وضعفت
فيها رغبتك فانت في ذلك معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك
فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها
الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فلا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق
ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي
من المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض
القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين
وانه لا ضرر على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن
عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت
قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك
واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف
اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله تعالى وانبيائه في حبهم الخير لعباد الله
وشاركت ابليس وساير الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات
القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو انك تتألم
بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب
بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما مكروبا متشعب القلب ضيق النفس كما
تشتهيه انت لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك
نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا
ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد
في الاخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك
دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دنياه ودينه فواضح لان النعمة لا تزول
عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله تعالى فلا حيلة في دفعه فان
كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق بالاذى
فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى

تنقضي المدة التي سبق القضا بدوام اقبالها فيها ومهما لا تزول النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا
ولا عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه
بلآء او لا تشتهيه لنفسك فانك لا تخلوا ايضا عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم تبق نعمة الله عليك
ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت طايفة
من اهل الكتاب الاية اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر
فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذى ساير
النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل
والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست اولى من غيرك فنعمة الله
تعالى عليك في ان لم يزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود
ينتفع به في الدنيا والدين فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى
القول والفعل بالغيبة والقدح فيه والهتك لستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديه اليه يعني انك بذلك
تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة ان انت تؤمن بالبعث مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا
عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه منة ونعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها فاضفت
له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعدا
وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدايك ان
يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك
بل يشتهي ان تطول حياتك وان تكون في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه وينقطع قلبك حسدا وحسرة
ولذلك قيل شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا ۞ حتى يروا منك الذي يكمدوا ۞ لا زلت محسودا على نعمة ۞ فانما الكامل
من يحسد ۞ ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك
اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيما يلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا اذا تاملت هذا
عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا
والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمال ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم
تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدي عدو من اعدائه
لانه لما راك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك
له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة
الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه
ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله
عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال لما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام
الا اني احب الله ورسوله فقال عليه الصلوة والسلام المرء مع من احب قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم
كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر ثقتهم كان بحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال انس فنحن نحب الله
ورسوله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجوا ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب
المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال عليه الصلوة والسلام هو مع من احب

حاسدك

وقال

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع
ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم قال سبحان الله لقد
جعل الله لكل شيء مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى
بغضه اليك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ
في دين الله وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم
واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة
وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد
والبغض والكراهية فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدور بها البتة فقد نفذ عليك
حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة ام منام لرايت نفسك
في صورة من يرمي حجرة الى عدوه ليصيب بها مقتلة فلا تصيبه بل ترجع على حدقته اليمنى فتقلعها فيزيد
غضبه ثانيا فيعود يرميها ثانية اشد من الاولة فترجع الحجرة على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيضه فيعود
ثالثة فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه
يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر
العايد لم يفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت
ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار فلئن تذهب عينه في الدنيا خير من ان يبقى له عين يدخل
بها النار فيقلعها ويذهبها لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذا اراد زوال النعمة عن المحسود
فلم يزلها الله عنه ثم ازالها من الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه
تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت
شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عايشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى
لو تمنيت له القتل لقتلت هذا اثم الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق
اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعدا وهو الدآء الذي فيه هلاك الامم السالفة فهذه هي الادوية
العلمية فمهما تفكر فيها الانسان بذهن صاف وفكر واف وقلب حاضر انطفأ من قلبه نار الحسد وعلم انه
مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما
يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له
والثنآء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه
الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد
الحاسد واحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثنا والمدح واظهار السرور
بالنعم يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان
يعود الى الاول فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت
له واثنيت عليه حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان
ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل من غربها وتعود القلوب الى
التوالف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا
الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدوآء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفا وانما تهون مرارة

ايها الحاسد صح

يحكم صح

هذا الدوا اعني التواضع للاعدا والتقرب اليهم بالمدح والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة
في ثواب الرضا بقضا الله تعالى واحباب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف
مرادها وعند ذلك يريد ما يكون اذ لا تطمع في ان يكون ما تريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى
الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين الا بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل
للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل
عاقل هذا هو الدوا الكلي واما الدوا المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة
الحرص على ما لا يعني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع
المرض الا بقمع المادة وما لم يقمع المادة لم يحصل مما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى
ويطول الجهد في تسكينه مع بقا مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة
في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما
الخلو عنه راسا فلا يمكنه **بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب** اعلم ان المؤذي ممقوت
بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي
عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك
في الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من
ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك
تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة
الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا الاية وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا وقال
ان تمسسكم حسنة تسؤهم واما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل
الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس هو مظلمة يجب الاستحلال منها بل هي معصية بينك وبين الله
تعالى وانما يجب الاستحلال من الاشيا الظاهرة على الجوارح فاذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك
قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون
تلك الكراهة من جهة العقل في القلب في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا
يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون
فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة او ينصب عليهما من بلية سوا فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام
ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان
لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد والقلب بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل
عباد الله وافعالهم افعال الله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب
بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية
الزمها قلبه فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن
الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ثلث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما
ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك
الكراهة تمنعه من البغي ومن الايذا فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد ظاهر على ان كل حاسد آثم والحسد

دآء

الناس

عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من احب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب
من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ
يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليها من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان
لك في اعدائك ثلث احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك
وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنك قطعا لانه
لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك
فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على
حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف
والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه آخر كتاب ذم الغضب والحقد والحسد ويتلوه
كتاب ذم الدنيا بحمد الله وحسن توفيقه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم
عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها
على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل
قلوب الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها
فاذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها وان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر
اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري
احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل متعزز بها الى الذل مصيره وكل متكثر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب
من طالبها والطلب لهاربها من قصدها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات
ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة
والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم
عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم
بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم كرت عليهم
بدواهيها وطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس
جعلته حصيدا كان لم تغن بالامس تمنى اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا
فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده
ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من آله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا
اما بعد فان الدنيا عدوة لله تعالى وعدوة لاولياء الله تعالى وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله تعالى
فانها قطعت الطريق على عباد الله سبحانه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله تعالى
فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها
لاعداء الله تعالى فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها
فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على فراقها
يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا

وسلم كثيرا

بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوايل الدنيا وشرورها فلا بدّ اولا من معرفة
حقيقة الدنيا وماهي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر
لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال
المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله سبحانه بسبب التشاغل بفضولها ان شاء
الله تعالى **بيان** ذم الدنيا **بيان** المواعظ في ذم الدنيا وصفتها **بيان** صفة الدنيا بالامثلة **بيان**
حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد **بيان** ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق
حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم

بيان ذم الدنيا

الايات الواردة في ذم الدنيا كثيرة
واكثر القرآن يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم السلام
ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بايات القران لظهورها فانما نورد بعض الاخبار الواردة
فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها
قالوا نعم يا رسول الله من هوانها القوها قال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل
من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال عليه الصلوة
والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال عليه الصلوة والسلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا
ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته
اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال عليه الصلوة والسلام حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد بن
ارقم كنا مع ابي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا
وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسئلته ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما
ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله
ما الذي تدفع عن نفسك فقال عليه الصلوة والسلام هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت
فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك ثم ردد ذلك ولم يشربه رضي الله عنه وقال عليه الصلوة والسلام
يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي انه صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة
فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة
الى ان زينتها ستخلق مثل ذلك الخرق وان الاجسام التي تربى بها ستصير عظاما بالية وقال عليه الصلوة والسلام
ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت
لهم تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا
عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الافة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه
الافة وقال ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا
ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الاخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان
اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها
فلا ينازعنكم فيها الا الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم في الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم
واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة يطلبه الدنيا حتى
يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الاخرة حتى يجيء الموت فياخذ بعنقه وروي موسى بن يسار قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها

وروي ان سليمن بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله فمر بعابد
من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان عليه السلام كلامه
فقال لتسبيحة في صحيفة مومن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت
فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال عليه الصلوة والسلام الدنيا دار من لا دار له ومال من لا
مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال
عليه الصلوة والسلام من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله تعالى في شيء والزم الله تعالى قلبه اربع خصال
هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال
ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ
بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها جماجم رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال عليه الصلوة
والسلام يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتامل املكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صايرة رمادا
وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها
وهذه الخرق البالية رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون
عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروي في بعض الكتب
ان الله تعالى لما اهبط ادم عليه السلام قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف
ابرهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك
والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك وكل شانك صغير حقير والى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم
خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني
من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم
والنور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال عليه الصلوة والسلام الدنيا
موقوفة بين السماء والارض خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليائك
نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار ادم عليه السلام
انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك
نهيا عن اكلها فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي شيء تريد قال ادم عليه السلام اريد
ان اضع ما في بطني من الاذى فقال للملك قل له اي مكان تضعه على الفرش ام على السرر ام على الانهار او تحت
ظلال الاشجار هل ترى هٰهنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن
اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلون فقال عليه الصلوة والسلام
نعم كانوا يصلون ويصومون وياخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال عليه الصلوة والسلام
في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله
قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت
لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال
عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الاخرة وحب الدنيا في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ويروى
ان جبرئيل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت

من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا بنيان من كان قبلنا وقال نبينا
صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم على اصحابه ثم قال هل فيكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا
وطال امله اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله سبحانه علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل
ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنا وصبر للبغضا
وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه سبحانه
وتعالى ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل
يطلب بيتا يلجأ اليه فرفعت له خيمة من بعد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه
فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شيء ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله تعالى اليه ماواك
في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حورا خلقتها بيدي ولاطعمنك في عرسك اربعة الف عام
يوما منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا انظروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى ابن مريم
عليه السلام وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله
ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن اصبحت الدنيا همه والخطايا
عمله كيف يفتضح غدا عند الله بذنبه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى ابن عمران عليه السلام يا موسى ما لك
ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا العامل يعمل
فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاءه بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدومه فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم صلى الله عليه وسلم حين راهم ثم قال
اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال عليه الصلوة والسلام ابشروا واملوا ما يسركم
فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى ان يبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها
فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله
تعالى لكم من بركات الارض فقيل له يا رسول الله ما بركات الارض فقال عليه الصلوة والسلام زهرة الدنيا وقال
عليه الصلوة والسلام لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد
مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا
عن سخط ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه عز وجل فاوحى الله اليه
اذا كان الليل فنادهم يجيبوك قال فلما كان الليل اشرف على نشز من الارض ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب
لبيك يا روح الله وكلمته فقال ما حالكم وقصتكم فقالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك
قالوا لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال فكيف كان حبكم للدنيا قال لحب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا
واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ
شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم
فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها قال المسيح عليه السلام للحواريين لاكل خبز الشعير
بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله

صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلوة والسلام
انه حق على الله تعالى ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر
دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله تعالى عليه قال ابغضوا
الدنيا يحبكم الله تعالى وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا
ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم الاخرة وقال ابو الدردا رضي الله عنه من قبل نفسه لو تعلمون
ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم
منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون
فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها لمخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان
على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم لا تناصحون في امر الدين
ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر اخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون
بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة لانها املك باموركم فان قلتم حب العاجلة غالب
فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه
فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاءكم به محمد عليه الصلوة
والسلام فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن به قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تتبينون
صواب الراي في دنياكم وتاخذون الحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير
منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم
قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حال بكم اني ارى الله قد تبرا منكم يلقى بعضكم بعضا
بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم
على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان
حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم
وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين
مع سلامة الدنيا وينشد في معناه **شعر** ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ❊ ولا اراهم رضوا في العيش بالدون ❊
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ❊ وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا
لتبر تركك للدنيا ابر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب
واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي عليك اشد منها
ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران
انه لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا الا انشاد وقال علي كرم الله وجهه
من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله تعالى فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه
وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله رحم الله
اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ابصار من نافسك في دينك
فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمن عليه السلام لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق
فيها ناس كثير ولكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان به عز وجل وشراعها التوكل عليه تعالى لعلك
تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل رحمه الله طالت فكرتي في هذه الآية قوله ❊ انا جعلنا ما على الارض زينة

تتناصحون في امر الدنيا
صح

لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا الجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكما انك لن تصبح في شي من الدنيا
الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشا ليلة او غدا يوم فلا تهلك في اكله وصم
عن الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لزاهد كيف ترى الدهر قال يخلق
الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب
وينشد ومن يحمد الدنيا بعيش يسره • فسوف لعمري عن قليل يلومها • اذا ادبرت كانت على المرء حسرة • وان اقبلت
كانت كثيرا همومها • وقال بعض الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها
فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال
بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما تستحق لكنها اما تزيد او تنقص وقال سفين اما ترى النعم
كانها مغضوب عليها وقد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمن الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط
منها شيئا الا اراد اكثر ومن طلب الاخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا
لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكوا اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما اتاك الله عز وجل
منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه
بذلك لا تعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق
من حانوته شيئا فيجي في طلبه فياخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب تفنى والاخرة من خزف يبقى
لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى وكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى قال ابو حازم
اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم ما حقره الله
تعالى وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل
والعارية مردودة وقد قيل • وما المال والاهلون الا ودیعة • ولا بد يوما ان ترد الودائع • وزار رابعة
العدوية اصحابها فذكروا الدنيا واقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذمها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم
من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابرهيم بن ادهم كيف انت فقال • نرقع دنيانا بتمزيق ديننا •
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع • فطوبى لعبد اثر الله ربه • وجاد بدنياه لما يتوقع وقيل ارى طالب الدنيا وان طال عمره
ونال من الدنيا سرورا وانعما كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما وقيل هب الدنيا تساق
اليك عفوا • اليس مصير ذاك الى انتقال • وما دنياك الا مثل فيء • اظلك ثم اذن بالزوال • وقال لقمن يا بني
بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر
الى خفض عيش الملوك ولين لباسهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وشر منقلبهم وقال ابن عباس ان الله عز وجل
جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع
وقيل الدنيا جيفة فمن اراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب ومهارشتهم وقيل في معناه شعر يا خاطب الدنيا
الى نفسها • تنح عن خطبتها تسلم • ان التي تخطب غدارة • قريبة العرس من الماتم • وقال ابو الدردا من هوان الدنيا
على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقد قيل وما الناس الا هالك وابن هالك • وذو نسب
في الهالكين عريق • اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت • له عن عدو في ثياب صديق وقيل يا راقد الليل مسرورا باوله
ان الحوادث قد يطرقن اسحارا • افنى القرون التي كانت منعمة • كر الليالي اقبالا وادبارا • يا من يعانق دنيا لا بقاء لها
يمسي ويصبح في دنياه سفارا • هلا تركت من الدنيا معانقة • حتى تعانق في الفردوس ابكارا • ان كنت تبغي جنان
الخلد تسكنها • فينبغي لك ان لا تامن النارا • قال ابو امامة الباهلي لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اتى ابليس

تزود من الدنيا فانك راحل
وسارع الى الخيرات فيما تسارع
صح

وسوء

نبخ

جنوده فقالوا قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال ان كانوا يحبونها
ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدوا عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه
وامساكه عن حقه والشر كله تبع لهذا وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا امير المومنين صف لنا الدنيا فقال
وما اصف لكم من دار من صح فيها ما امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها
الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له مرة اخرى فقال كرم الله وجهه اطول ام اقصر فقيل قصر فقال حلالها
حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلما يعني الدنيا وقال ابو سليمن
الداراني اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الاخرة لان
الاخرة كريمة والدنيا لئيمة واللئيم يزاحم الكريم وهذا تشديد صعب عظيم ونرجوا ان يكون ما ذكره سنان بن الحكم
اصح اذ قال الدنيا والاخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الاخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن
للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله امير المومنين
علي كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما ترضي احديهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد
ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون اشرقت عنهم الدنيا ام غربت
اذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
ويحسن فيه اله ان يعيش فيه يعني التنعم فقال لو كانت الدنيا كلها له ما كان له منها الا الكفاف ويقدم
ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب عليها في الاخرة لكنت اقذرها
كما يقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله ابو عبيدة بن الجراح
على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وساله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال عمر لو اتخذت متاعا
فقال يا امير المومنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفين خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الاخرة لقلبك وقال
الحسن والله لقد عبدت بنوا اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض
الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال
لقمن عليه السلام لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب
منها اقرب من دار تتباعد منها وقال سعد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص اخرته وهو به راض
فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص وهو على المنبر والله ما رايت قوما قط
ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الا
والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال هذا قاله من خلقها
من هو اعلم بحالها منكم واعلمكم اياها وحالها وحذركم منها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال
لا يفتح رجل على نفسه باب شغل منها الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن
ادم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرامه عذب به
ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع في مصيبته في دنياه
وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه
عمر السلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين لكن
التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف ان النار حق كيف
يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب

وقدم على معوية رجل من نجران عمره مايتا سنه فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سُنَيّات بلآء وسنيات
رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا
بمن فيها فقال له سل ما شئت قال له عمر مضى فترده واجل حضر فتدفعه قال لا املك شيئا من ذلك قال
فلا حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا بن آدم فرحت ببلوغ املك فانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت
بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله تعالى الدنيا فانما يساله طول الوقوف بين يديه وقال
ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق اليه شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا
بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت
الغنى فقال انما نال الغنى من اعتق من رق الدنيا وقال ابو سليمن لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه
ما يشغله بالاخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا
ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل علينا وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الاخرة
وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه الله
من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يدعوا
يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر
فلا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله وعظم الدنيا في عينه فتوقى
به يوم القيمة فيقال ان هذا عظمت في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس
هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا قال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والاخرة فاما
مؤونة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤونة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت
واحدا قد اسبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها
الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء وقال ابن المبارك حب
الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا
فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدمه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عقله هواه فهو الغالب وقيل
لبشر مات فلان فقال قد جمع الدنيا وذهب الى الاخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر
فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا
وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل والاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب
منها قلب من يعمرها والاخرة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد رحمه الله كان الشافعي رضي الله عنه
من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله وخوفه بالله تعالى فقال يا اخي ان الدنيا دحض
مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صاير وساكنها الى القبور زاير شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر
مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله تعالى وارض برزق الله عز وجل ولا تستلف
من دار بقائك الى دار فنائك فان عيشك فيء زايل وجدار مايل اكثر من عملك وقصر من املك وقال ابن ادهم لرجل
ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال لي دينار في اليقظة فقال كذبت ان الذي تحبه في الدنيا
كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الاخرة كانك لا تحبه في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا
يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب
لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى

عظم

قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا يبلغ من شومها ان تمنيك لها تلهيك عن
طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن
وقال بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا
احرقته بنيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به
ومن اقبل على الله عز وجل احرقته بنيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال امير المومنين علي انما الدنيا
ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب
واشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات
الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شيء منها ويراد
اقبح شيء منها واطيب المشموم المسك وهو دم الغزال

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم
يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها
غدارة خداعة وقد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المتجلية العيون
اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا
اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوايقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها
يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف
ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى طبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى
وماله احصى ثم يقال وقد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت
يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكا اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان واخوك
فلان قد منعت الكلام فما تنطق وختم على لسانك فما تنطق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج
بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك
وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها
من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي على سلطانه
فتهدمه من القواعد او تدب على جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الاخذة
ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي يضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي
تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء
عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن وليست بدار اقامة وانما انزل اليها آدم عليه السلام عقوبة
فاحذرها يا امير المومنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر
من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا
ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة المحتالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها
وفتنت بغرورها وختلت باماليها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب
عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر بالاول مزدجر
ولا العارف بالله حين اخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجة فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه
حتى زالت عنها قدمه فعظمت بليته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته

ودفنوك

فكم عاشق

وكم من راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد
فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان اليها الى سرور
اشخصته الى مكروه السار منها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا منها بالبلا وجعل البقا
فيها الى فنا فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدري ما هو ات فينتظر امانيها كاذبة
وامالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن ادم فيها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعما على خطر ومن
البلا على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النايم ونبهت
الغافل فكيف وقد جا من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل وعلا قدر وما نظر اليها مذ
خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزاينها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة
فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن
الصالحين اختيارا وبسطها لاعدايه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله
تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد على بطنه الحجر ولقد جات الرواية عنه عن ربه جلت قدرته ان الله تعالى
قال لموسى عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين وان شئت فاقتد بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليهما السلام اذ كان يقول ادامي الجوع
وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاي في الشتا مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي
وفاكهتي ما انبتت الارض امسي وليس لي شي واصبح وليس لي شي وليس على الارض احد اغنى مني وقال
وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون فقال لا يروعنكما لباسه الذي
لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ما متع به منها فانما
هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة ما يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته
تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليايي اني لاذودهم
عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله
عن مبارك الغرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليايي
بالذل والخشوع والخوف والتقوى يثبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي
يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاهم الذي اياه ياملون ومجدهم الذي به
يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون ~~ورجاهم الذي اياه يأملون~~ فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم
قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثاير له يوم القيمة وخطب علي كرم الله
وجهه ايها الناس انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا فانها بالبلا محفوفة وبالفنا معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها
دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخا وسرور اذا هم منها في بلا وغرور
واحوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخا فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة
ترميهم بسهامها وتقصمهم بحطامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه
من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد اثارا فاصبحت
اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية استبدلوا بالقصور
المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب

فى الدنيا صح

بحطامها صح

وانقصهم صح

وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون
تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم التواصل وقد طحنهم
بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب
وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون
فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع
فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل
فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار
هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله تعالى يقول ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين
لاوليايه واحبايه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد رحيم ودود قال بعض الحكما الايام سهام
والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزايك
فكم بقا سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك ولو كشف لك عما احدثت الايام فيك
من النقص لاستوحشت من كل يوم ياتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله تعالى فوق
الاعتبار وبالسلو عن غوايل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصفين
لعيوبها بظاهر افعالها وما تاتي به من العجايب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله تعالى رشدا الى الصواب
وقال حكيم وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد
فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعة واحداثه تتوالى على
الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر
قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم لا
تصدقون به وتفعلون ما يظهر من افعالكم فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به فانتم هلكى كانما خلقتم للابد ولكنكم
ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة
تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم اليه صايرون وفيه خالدون ثم غلبه البكا ونزل
وقال علي كرم الله وجهه في خطبة له اوصيكم بتقوى الله تعالى والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون
تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه
او افضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجرى حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا
وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبوسها وضرائها فانه الى انقطاع فلا تفرحوا بنعمائها فانها الى
زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين الحسني لما علم اهل العقل
والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليايه وانها عنده حقيرة قليلة وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها
ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا الى الدنيا
بعين انها فانية والى الاخرة بعين انها باقية فتزودوا منها كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة
نظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرحلون
اليها بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم

بلغ المقابلة

بيان صفة الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد المنى بالبقاء ثم تخلف
في الوفا تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سيارة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها
قد لا يحس بحركتها فتطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر
لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة وانشد الحسن رحمه الله لما ذكرت عنده الدنيا فقال
احلام نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل ويقول يا اهل لذات
دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زايل حمق وكان يرى انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما
فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة ورحلوا فاصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول
الا انما الدنيا كظل اثبته ولا بد يوما ان ظلك زايل **مثال آخر** للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس
منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث احلام وينشد وان امرء دنياه اكبر همه لمستمسك منها
بحبل غرور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد
ما شبهت في الدنيا نفسي الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك اذا انتبه وكذلك الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكما اي شيء اشبه بالدنيا
قال احلام النايم **مثال آخر** للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في
الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روي
عن عيسى عليه السلام انه كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز شمطا هتما عليها من كل زينة فقال لها كم
تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام
بوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون
منك على حذر **مثال آخر** للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر
وهي تشبه عجوزا مزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم
قبايحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وقال العلا بن زياد رايت
في النوم عجوزا كبيرة منقضبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها يتعجبون منها وينظرون
اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت او ما تعرفني قلت
ما ادري من انت قالت انی انا الدنيا قلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم
وقال ابو بكر بن عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطا تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها
يصفقون ويرقصون فلما قابلتني قالت لي لو ظفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهولاء ثم بكا ابو بكر وقال
رايت هذا قبل ان ادخل بغداد وقال الفضل قال ابن عباس يوتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطا
زرقا انيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلايق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة
هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام بينكم وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم
ثم يقذف في جهنم فينادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها
وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب
واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء راها الناس فاذا اقبلت كانت اقبح شيء
راها الناس عجوز شمطا شوها زرقا عمشا فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى
تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا **مثال آخر** للدنيا وعبور الناس بها اعلم ان الاحوال
ثلثة حالة لم يكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا يكون فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك
الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى
طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل لا غاية ولا نهاية لطوله ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صايف فرفعت له شجرة فقال
في ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف تقضت ايامه في
ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة يبني
بيتا من جص فقال عليه الصلوة والسلام ارى الامر اعجل من هذا فانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام
حيث قال ان الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد
هو الميل الاول وهو على راس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة قريبة محدودة فمن الناس من قطع
نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها
وكيف ما كان فلا بد له من العبور والبنا على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل
والخذلان **مثال آخر** للدنيا في لين ماخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوايل امور الدنيا تبدو هينة لينة
يظن الخايض فيها ان حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض فيها سهل والخروج منها مع السلامة
شديد وقد كتب علي كرم الله وجهه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين
مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن
اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصه عنه مكروه **مثال آخر** للدنيا
في تعذر الخلاص منها ومن تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل
الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء لا يبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون
في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان
بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق
بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام
بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ باكله من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة
ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها
كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسوا وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق
او يقحل يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسها النعيم
فسوف يكون اوعية للحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل
الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله **مثال آخر** لما بقي من الدنيا وقلتها بالاضافة
الى ما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي
معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع **مثال آخر** لتادية علايق الدنيا بعضها الى بعض
حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى
يقتله **مثال آخر** لمخالفة اول الدنيا اخرها واخرها اولها ولنضارة اوايلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات
الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من النتن
والكراهة والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر

وظلمة في القلب بل علاقة

دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى
فتنتها وكراهيتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ ولده
وماله فيكون تفجعه ومصيبته والمه في كل ما فقده بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه وكلما كان عند الوجود
اشهى عنده والذ فهو عند الموت او الفقد ادهى وامر وما الموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست يؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن
والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال عليه الصلوة والسلام فان الله عز وجل ضرب
مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن ادم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت
مثلا لابن ادم فانظر ما يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال عليه الصلوة والسلام ان الله
تعالى ضرب الدنيا لمطعم ابن ادم مثلا وضرب بمطعم ابن ادم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه قال الحسن قد
رايتهم يطيبونها بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رايتم قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسالك واستحيي فقال لا تستحيي وسل فقال اذا
قضى احدنا حاجته وقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ما ذا
صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثماركم ودجاجكم
وعسلكم وسمنكم مثال آخر في نسبة الدنيا الى الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة
الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر ما ذا يرجع اليه مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيمها و
غفلتهم عن الاخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت
بهم الى جزيرة امرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام بها وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا
في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة ثم انصرف وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع
الاماكن والينها واوفقها بمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ونسي السفينة وعجلتها وجعل ينظر الى ازهارها و
انوارها العجيبة وغياضها الملتفة وطيورها ذات النغمات الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلتقط
من احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة
اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجايب صورها ثم تنبه بخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف
الامكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على بعض تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح
نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة من الحجارة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة
ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد في السفينة مكانا لوضعه فحمله على
عاتقه وهو متاسف على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وسيره عاجلا
وبعد في متفرجه ومنتزهه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل الثمار واشتمام تلك الانوار والتفرج
بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك
عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وبرد او سوط حايل يعزع منه وعوسج يخرق
ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء الملاح انصرف بعضهم مثقلا بما معه
ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وعطشا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم
من افترسه السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات
وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار وشغلته من الحجارة المزبرجة فقد

اسنى

استرقته واشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك
الازهار وكمدت الوان تلك الاحجار فظهر نتن ريحها فصار مع كونه مضيقا عليه مؤذيا له بنتنه ووحشته
فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه
من الاسقام بتلك الروايح والاطعمة فبلغ سقيما مدنفا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق
المكان مدة قريبة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن
سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم
عن عاقبة امرهم وما اقبح بمن يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت
وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن
والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى مثال اخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم
يقول الله عز وجل في تحذيره اياهم غوائل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا فيها اكثر
او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني مفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما
هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف الماء وما جاءكم هذا الا
من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما انتم عليه قالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم
الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم
ومواثيقهم بالله تعالى لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله عز وجل
ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم فقال
اكثرهم يا هذا والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة
هم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه
فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل
مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا
دارا وزينها وهو يدعوا الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق
ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليملكه ويأخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك
منه وتعلق في قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده
بطيبة قلبه وانشراح صدره وكذلك من عرف سنة الله تعالى في الدنيا علم انها دار ضيافة قد سبلت على
المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها
كل قلوبهم حتى كيلا تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها **بيان حقيقة الدنيا
وماهيتها في حق العبد** اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة المامور باجتنابها
ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها
لكونها عدوة قاطعة لطريق الله تعالى ما هي فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك
فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت
وكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان
جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثة اقسام القسم الاول ما يصحبك الى الاخرة

واد بروا

ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه صلى الله عليه وسلم واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشيا عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع منها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وقال آخر اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم المشاهدة والشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فكذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزايدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهيت والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفع الثياب ولذايذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدردا على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين آذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات رحمه الله فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل فيه القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي هي بها يتوصل الى العلم والعمل فهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد من الدنيا على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن فيه متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة به على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله جل اسمه وصفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا يحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ يكون جنة بين العبد وبين عذاب الله تعالى كما ورد في الاخبار ان اعمال العباد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه فاذا جاء العذاب الحديث كله واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقا والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل وان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد

وكانت العوايق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوايق فافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم اليه مسرورا سليما من الموانع امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا في الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت اليه طرق الحيلة في الرجوع اليه

شعر

ما حال من كان له واحد • غيب عنه ذلك الواحد •

وليس الموت عدما انما هو الفراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا ينال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه العذاب في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل الحساب والمحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد عذب اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب وقال ايضا حلالها عذاب يعني الحساب فان الحساب عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليه حسرة مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصات بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طاير او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الاخرة امثاله واضعافه وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر هذا من النعيم الذي تسال عنه اشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السوال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعون الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع راسه على حجر لما نام ثم رماها اذ تمثل له ابليس وقال يا ابن مريم رغبت في الدنيا وحكي ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر على لذايذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله تعالى البلاء على الانبيا والاوليا ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله عز وجل فهو للدنيا وما هو لله تعالى فليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله سبحانه وتعالى فاقول الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله تعالى ويمكن ان يجعل لغير الله تعالى وهي

ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله تعالى
واليوم الاخر فهي لله تعالى وليست من الدنيا فان كان الغرض من الفكر طلب العلم ليتشرف به وطلب القبول
من الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد
فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن
ان يجعل معناه لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاوه وبقاء ولده فان كان القصد
حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله تعالى بمعناه وان كان صورته
صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان
ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف
اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى
واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي
ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
والاعيان التي منها تحصل هذه الخمسة سبعة يجمعه قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا
فقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس
فهو لله سبحانه ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة
درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار
على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه فينبغي ان يحذر وبينهما وسايط وبينهما
مشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقريب والتقوى من حد الضرورة
ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويس القرني كان
يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم وكان ياتي عليهم السنة والسنتان
والثلث لا يرون له وجها نهارا لانه كان يخرج الى المسجد اول الاذان ويعود العشاء الاخرة وكان طعامه
ان يلتقط النوى وكلما اصاب الحشف خباها لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى
وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه ما يجد على المزابل يلتقط من
قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان ذلك لباسه وكان ربما مر
بالصبيان فيرجمونه بالحجارة يظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار
صغار فاني اخاف ان تدموني فيحضر وقت الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت احواله وسيرته
ولهذا اعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه ولما
ولي عمر رضي الله عنه قال يا ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا جماعة فقال اجلسوا الا
من كان من اهل الكوفة فجلسوا وقام جماعة فقال اجلسوا الا من كان من مراد فقام جماعة فقال اجلسوا الا
من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني
فوصفه له فقال نعم وما تسال عن ذلك يا امير المومنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا احوج منه ولا
ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال لما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته
مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب

اويسا القرني واسال عنه حتى وجدته على شاطي الفرات نصف النهار يتوضا ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت
الذي نعت لي به فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر
فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني
فقلت يا اويس رحمك الله كيف انت غفر الله لك ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله
ما رايت حتى بكيت وبكا قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قلت الله تعالى
فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك
اليوم ولا راني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نباني العليم الخبير وعرفت
روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المومنين ليعرف بعضهم
بعضا ويتحابون بروح الله تعالى وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نات بهم الدار وتفرقت بهم المنازل
قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه
نحو ما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل
عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي اية من كتاب الله تعالى اسمعها منك وادع لي بدعوات
واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله فقام واخذ بيدي على شاطي الفرات ثم قال اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكا وقال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق
الكلام كلامه ثم قرا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق حتى انتهى الى
قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك
ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك حوا ومات نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن
ومات موسى نجي الله يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين
ومات ابو بكر صاحب رسول الله ومات عمر بن الخطاب اخي وصفي ثم قال يا عمراه يا عمراه فقلت رحمك الله
ان عمر لم يمت قال قد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم بن حيان كتاب الله ويقين الصالحين
المومنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الله والموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك
اذا رجعت اليهم وانصح الامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل
النار يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة
وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا
باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزا
ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني
اكره الشهرة والوحدة اعجب الي لاني كثير الهم شديد الغم مع هولاء الناس حيا فلا تسال عني ولا تطلبني
واعلم بانك مني على بال وان لم ارك ولا تراني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق
انت هاهنا وانطلق انا هاهنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقني وبكا وابكاني فجعلت انظر
وراه حتى دخل بعض السكك ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشي رحمه الله فهكذا كانت
سيرة ابناء الاخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت بما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا

كلما اظلته الخضرا واقلته الغبرا الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الاخرة وهو كل ما اريد به الله
عز وجل فما يوخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله عز وجل فذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا
بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف
الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحاج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب
للنفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الاخرة لا
من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشي من هذه الاسباب كان منحرفا عن الاخرة ويخشى على قلبه القسوة
قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة مناديا
وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة
الدنيا في حقك **بيان ماهية الدنيا** في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم
وخالقهم ومصدرهم ومورده‍م اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها
شغل فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي
الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا فالارض فراش الادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع
ما على الارض ثلثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبها الادمي للاقتيات والتداوي
واما المعادن يطلبها الادمي للالات والاواني كالنحاس والرصاص او النقد كالذهب والفضة ولغير
ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهايم اما البهايم فيطلب لحومها للاكل وظهورها
للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان
او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي
يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الادميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها
الله تعالى في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النسا والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي واليواقيت والخيل المسومة
والانعام هي البهايم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد
علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب
المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والريا
والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثنا وحب التفاخر والتكاثر وهذه هي الدنيا الباطنة واما
الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان
لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم
ومابهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه
وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي
يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق
الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق
ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها
الما بالثلج حتى يفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو

وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا بالقدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج
وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة وكذلك البصير في سفره للآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة
كما لا يدخل بيت الما الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد
منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما يشغل الناس عن الله تعالى
هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا
عليها لم يستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا
وتتابعت اشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها بالبعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا بكثرة الاشغال
فنسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في
مقاصدها حتى تتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول
الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال
هو ان الانسان مضطر الى ثلث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذا والبقا والملبس لدفع الحر والبرد
والمسكن لدفع الحر والبرد والمطر ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله تعالى القوت
والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهايم فان النبات يغذي
الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يوثر في بدنه فيستغني عن البنا ويقنع بالصحرا ولباسها شعورها وجلودها
فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات
واوايل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبنا اما البنا فللمسكن والحياكة
وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهو ايضا للمطعم والمركب
والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله تعالى من صيد ومعدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات
والراعي يحفظ الاموال ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك ياخذ
من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة ادمي وهذا الذي نعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات
واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات والات كالحياكة والفلاحة والبنا والاقتناص والالات
انما توخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت
الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهولاء هم عمال الالات ونعني بالنجارة
كل عامل على الخشب كيف ما كان وبالحدادة كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما
وغرضنا ذكر الاجناس فاما احاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها
فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه
وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى
وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي بها
الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل
والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص
الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها ويحتاج الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام
الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراثة القطن والات الحياكة والخياطة
واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحرا مكشوفة

لتاذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الالات
والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع اذى الجيران عن اللصوصية ولكن جمع المنازل قد يقصدها
جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط
جميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت
بينهم الخصومات اذ تحدث ولاية ورياسة فولاية الزوج على الزوجة وولاية الابوين على الولد لانه ضعيف
يحتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهايم اذ ليس
لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما
اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة
وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم
قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة لو ترك ضايعا هلك
ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة
من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض
ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية بحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة
الحكم والتوصل الى فصل الخصومة والتوسط بينهم ومنها الحاجة الى الفقه ~~ودفع اللصوص عنهم~~ وهو معرفة
القانون الذي ينبغي ان يضبط الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله
تعالى في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة
من التميز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل
البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعدا مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب
والسلاح بالصناعات لطلب القوت لتعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس لذلك فمست الحاجة الى
ان تصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضايعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنايم ان كانت
الغزوات مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس
الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج فيتولد بسبب الحاجة
الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم
العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم
الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهم العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط
لانخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم والى امير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد
ما يليق به ويراعي النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب
ونصب الامير والقايد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند
الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الخزان والحساب والجباة والكتاب
والعمال ثم هولاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال
الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوايف الفلاحون والرعاة والمحترفون
والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطا وهم العمال والجباة
وامثالهم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا

لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات
الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها
الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق
والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب الة
للاصطياد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية
ليس بها الة الفلاح والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما
ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة
الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذا بالته وربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه
والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فيتعوق
الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع الة كل صناعة يترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليه
ما يحمله الفلاحون من الطعام فيشتريه منهم صاحب الانبار ويترصد بها ارباب الحاجات فيظهر لذلك
الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها
في انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد
والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات فينقلونها ويتعيشون بها
لينتظم امور الناس في البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لم يوجد فيه كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج
الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع الاموال فيتعبون
طول النهار والليل في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع
طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا
انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت
المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها
فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فيحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة يسمى
الاجارة ويصير الكرا نوعا اخر من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان
من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة
يجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل
يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول
بقاوه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست
الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال
والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهى الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن
مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبى فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع
فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان
اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون
عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون
في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويكابرون ويقطعون الطرق كالاعراب واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل

يتنهي الى حد غير محصور كانها هاوية لا نهاية لها ولعمقها ومن وقع في مهوات منها سقط منها الى اخرى وهكذا صح

بطلت

والاكراد

اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص
الحادثة بحسب ما انتجته الافكار المصروفة الى استنباطها فاما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل
له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا تعطى فافتقروا الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر
لانفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا
بالعمى فيعطون واما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان
تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس
منها حتى ينشط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب به ثم قد يندم
بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد
يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا فى النفس
لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذى يحرك داعية
العشق من اهل المجانة كصنعة الطالبين فى الاسواق او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات
والحشيش الذى يخيل بايعه انها ادوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين
ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ المكديون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمى فكان غرضهم استمالة
قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر
لاجل المعيشة فهذه هى اشغال الخلق واعمالهم التى اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت
والكسوة ولكن نسوا فى اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم
الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم على عدة
اوجه فطائفة غلبتهم الغفلة والجهل فلم ينفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما
فى الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبون
ويكتسبون لياكلون وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه
يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى فانه سير لا ينقطع الا بالموت وطائفة
اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا بل السعادة
فى ان يقضى وطره من شهوة الدنيا وهو شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع
النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات
فشغلهم ذلك عن الله تعالى واليوم الاخر وطائفة ظنوا ان السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز
فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الاسفار طول الليل والنهار ويترددون فى الاعمال
الشاقة ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك دابهم
وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر بها من ياكلها فى الشهوات واللذات فيكون للجامع
تعبه ووباله وللاكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال من غيرهم ولا يعتبرون وطائفة اخرى ظنوا
فى ان السعادة فى حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون فى كسب المعايش
ويضيقون على انفسهم فى المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة و
يزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غنى وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو
السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس

ويكتسبون صح

فهمتهم فى ليلهم ونهارهم فى تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة صح

الى

الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بذلك على طائفة من الناس ويرون
انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادات عظيمة وان ذلك غاية المطلوب
وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله
عز وجل وعن عبادته وعن التفكر فى آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوايف يطول حصرها تزيد على نيف
وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس
والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الامور الثلثة والقدر الذى يكفى منها وانجرت لهم اوائل اسبابها الى اواخرها
وتداعى بهم ذلك الى مهاوى لا يمكنهم الترقى منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف
غاية المقصود منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان
غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت
الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر
الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتشعبت به الهموم فى اودية
الدنيا فلا يبالى الله فى اى واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين فى اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة
فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم فى الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوايف فظنت طائفة
ان الدنيا دار بلاء ومحنة والاخرة دار سعادة فكل من وصل اليها فقد فاز سواء تعبد فى الدنيا او لم يتعبد
فراوا ان الصواب فى ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب غفلاء من طوايف الهند فهم يتهجمون
على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وبلائها ووصول الى سعادة
الاخرة واخطوا الطريق وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية
وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة فى قطع الشهوة والغضب وغيرها من الصفات البشرية ثم اقبلوا على
المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد
عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية وظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل
له فوقع فى الزندقة والالحاد والكفر بهذا وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله انما هو لله تعالى وحده وان الله
مستغن عن عبادة العباد اى لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا
مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم ومعرفتهم بالله تعالى
واحسانه فاسقطوا عن انفسهم بجهلهم التكليف والعبادات حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة
العباد وظن طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى
فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة والتكلف فتركوا السعى والعبادة
وزعموا انهم ارتفع محلهم فى معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا بالتكليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء
مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصارها الى ان تبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجى منها فرقة
واحدة وهى السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية
ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة
الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يطلب كل شىء من الدنيا ولا يترك
كل شىء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق الله من الدنيا ويحفظ على حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى
به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك ما يمنع من الحر والبرد

ومن تشعبت به الهموم صح

حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همته فاشتغل بالعبادة والذكر والفكر طول
العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل
ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه لما قال عليه الصلوة والسلام الناجي منها
واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم فقال عليه الصلوة والسلام اهل السنة والجماعة فقيل ومن اهل السنة
والجماعة قال صلى الله عليه وسلم ما انا عليه واصحابي فقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه
من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما
كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين
وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع آخر تم كتاب ذم الدنيا ويتلوه كتاب ذم المال والحمد لله رب العالمين

كتاب ذم المال والبخل وحب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط
الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم
فيها بين اليسر والعسر والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص
والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق
والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة عدولا
وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا
وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبل ربهم ذللا وسلم كثيرا **اما بعد** فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف
واسعة الارجاء والاكناف لكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا
وجدت فلا سلامة لاحد منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذي كاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه
الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوايد والآفات وفوايده من المنجيات
وآفاته من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المسايل المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصاير
في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب
ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا
والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب
العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل فهو من الدنيا ونظرنا الآن في هذا الكتاب
في المال وحده اذ فيه آفات وغوايل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان
يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة
وللحريص حالتان طمع في ما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين
وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان تبذير و
اقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرحه في اربعة
عشر فصلا وهو **بيان** ذم المال **ثم** مدحه **ثم** تفصيل فوايد المال وآفاته **ثم** ذم الحرص والطمع **ثم** علاج الحرص
والطمع **ثم** فضيلة السخاء **ثم** حكايات الاسخياء **ثم** ذم البخل **ثم** حكايات البخلاء **ثم** الايثار وفضله **ثم**
حد السخاء والبخل **ثم** علاج البخل **ثم** مجموع الوظايف في المال **ثم** ذم الغنى ومدح الفقر **بيان ذم المال وكراهة حبه**
ومدحه قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك

هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية
وقال الهيكم التكاثر وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال
والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه الصلوة والسلام ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة
غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال عليه الصلوة والسلام هلك الاكثرون
الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنيا وقال
عليه الصلوة والسلام سياتي بعدكم قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النسا والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها
ويركبون فرة الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا يشبع وانفس بالكثير لا يقنع عاكفين على الدنيا يغدون
ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة
من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم
ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال عليه الصلوة والسلام
دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال عليه الصلوة والسلام
يقول ابن آدم مالي ومالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم من مالك
فان قلب المومن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال عليه الصلوة والسلام
اخلاء ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض
روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام
ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي
والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدردا رضي الله عنهما اياك يا اخي ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كل
ما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعوا بالثبور والويل
وكل ما ذكرناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنا ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره
وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن
ما ورد في المال خاصة وقال عليه الصلوة والسلام اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس
ما خلف وقال عليه الصلوة والسلام لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا **الآثار** وروي ان رجلا نال من ابي الدردا
رضي الله عنه واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة
المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما
على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل الى زينب بنت جحش رضي الله
عنها بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها
فقطعته وجعلته صررا وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا تدركني عطاء عمر
بعد عامي هذا وكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاقا به وقال الحسن رحمه الله والله ما اعز
الدرهم احد الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على وجهه ثم قبلهما
وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها
الى النار وقال يحيى بن معاذ رحمه الله الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك بسمه

قيل فما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلا بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله
من شرك قالت فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها
فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل اني وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه
ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى مسلم وقيل ايضا لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه
او جبين لاح فيه اثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر
بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس
لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا
ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله تعالى فالله كافيه
وهو يتولى الصالحين واما عاص لله تعالى فلا ابالي على ما وقع وروى ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا
كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي ويروى
ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من ماله مائة الف
درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما
قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله **بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم** اعلم ان الله تعالى قد سمى
المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل
لكم انهارا وقال عليه الصلوة والسلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين
المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وافاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه
وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين
جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم مرة ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم
وبيانه بالاستمداد بما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه
هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى
هذا داب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت
ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم
وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب
واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير
فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب
سعادتها وانما تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق ليحصل لها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة
الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن
المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتربيتها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب
فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن
الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا
اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له من الغرض مقصودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة

الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى المقاصد الفاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الاخرة
وتسد سبيل العلم فهو اذا محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم
فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فهو آخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع
الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلا لها وآلة فيها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية
فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب
من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم
عليه السلام فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وفي بعض التفاسير انه عنى به هذين الحجرين الذهب والفضة
اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في شيء من هذه الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما
والاغترار بهما والركون اليهما وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا
انتعش واذا شيك فلا انتقش بين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عابدا
لغير الله تعالى فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار
وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان تفصيل
افات المال وفوائده** اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف
غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شره ويستدر منه خيره اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية
اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على
طلبها واما الدينية فينحصر جميعها في ثلثة انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في
الاستعانة على العبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال
وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس
والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها ولا يتفرغ
الى الدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين
من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط النوع الثاني
ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة
فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب عز وجل وقد ذكرنا فضائلها فيما تقدم واما المروة فنعني بها صرف
المال الى الاغنياء والاشراف في مثل ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل
الصدقة ما تسلم الى محتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والمروة وهذا
ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات والصدقات واطعام الطعام من غير اشتراط
الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم
ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى
به المرء عرضه كتب له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة والاحتراز عما يثور من كلامه من العداوة
التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج
اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الاخرة بالفكر
والذكر اللذين هما اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من
شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك

والاصدقاء وبه يكتسب صفة
السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء
ولا يوصف بالجود الا من يصنع
المعروف ويسلك سبيل الفتوة
صح

ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور
ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن
يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك
من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين
الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ
العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان
والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية
واما الافات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة الاولى ان يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية
والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية
لم تتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية
المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد
وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثانية انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اقل الدرجات فمتى يقدر
صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر
سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم مالوفا ومحبوبا اليه
لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال
فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءات والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الردية لينتظم له
امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وان
ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم انسان من الافة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم
عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينبني عليه الحقد والحسد والريا والكبر
والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى ساير
الجوارح وكل ذلك من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالثة وهي لا ينفك عنها احد وهو
انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام
ان في المال ثلث افات ان تاخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه
في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها
ذكر الله عز وجل والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا
في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان
في الخراج وخصومة الاجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب
التجارة ايضا يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه في المال
وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت
الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرفه اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع اطماع
الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه
جمل الافات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والامن والحزن والغم والهم
والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت منه

بلغ المقابلة

وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وافات

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس عما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير
قانعا منقطع الطمع من الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه
ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه
او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوف الى الكثير او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة
بالطمع والذل بالحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات
وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وجره الحرص وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان
لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه
فجئته ذات يوم فقال ان الله تعالى يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن آدم
واديا من الذهب والفضة لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله
على من تاب وقال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله تعالى
يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم
الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم
المال وقال عليه الصلوة والسلام يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت
هذه جبلة للادمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على القناعة فقال
عليه الصلوة والسلام طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال عليه الصلوة والسلام
ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال عليه الصلوة والسلام
ليس الغنى كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى صلى الله عليه وسلم عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب
فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى
ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال يا رب اي عبادك
اغنى قال تعالى اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا
الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد
بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد
الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني
واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس مما في ايدي
الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة
فقال الا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون
رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قايل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك فقال على ان تعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا قال
فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه الاثار قال عمر رضي الله عنه

والمسكن

البدا الثاني ولو كان له الثاني لاحب ان يكون

بلغ المقابلة

ان الطمع فقر وان الياس غنى وان من ياس عما عند الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكما ما الغنى قال
قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل العيش ساعات تمر • وخطوب ايام تكر • فاقنع بعيشك
ترضه • واترك هواك وانت حر • فلرب حتف ساقه • ذهب وياقوت ودر • وكان محمد بن واسع
يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفين خير دنياكم ما لم تبتلوا
بها وخير ما ابتليتم به ما اخرج من ايديكم وقال بن مسعود رضى الله عنه ما من يوم الا وملك ينادي
يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال شميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم
شبر فى شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر والقصد
فى الباطن والياس عما فى ايدى الناس ويروى ان الله تعالى قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك
لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك
محسن وقال بن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يات الرجل فيقول انك وانك
فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بنى امية الى ابى حازم يعزم عليه الا رفع اليه
حوايجه فكتب اليه قد رفعت اليك حوايجى فلم تقدر عليها بل قد رفعت حاجتى الى مولاى فما اعطانى
منها قبلت وما امسك عنى قنعت وقيل لبعض الحكما اى شئ اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن
قال اسرها اليه ما قدم من عمل صالح واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكما
وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القانع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم
عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقيل ارفه بالفتى يمسى على ثقة • ان الذى قسم
الارزاق يرزقه • فالعرض منه مصون ما يدنسه • والوجه منه جديد ليس يخلقه • ان القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق فى دهره شيا يورقه • وقد قيل ايضا حتى متى انا فى حل وترحال • وطول سعى وادبار واقبال • ونازح
الدار لا انفك مغتربا • عن الاحبة لا يدرون ما حالى • بمشرق الارض طورا او بمغربها • لا يخطر الموت
من حرصى على بالى • ولو قنعت اتانى الرزق فى دعة • ان القنوع الغنى لا كثرة المال • وقال عمر رضى الله عنه
الا اخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتاى وقيضى وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى
بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم ووالله ما ادري احل ذلك ام لا كانه شك
فى هذا القدر هل هو زيادة عن الكفاية التى تجب القناعة بها منها وعاتب اعرابى اخاه على الحرث
فقال يا اخى انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكلما غاب عنك
قد كشف لك وما انت ملاقيه فقد نقلت عنه كانك يا اخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقد قيل
اراك يزيدك الاثرا حرصا على الدنيا كانك لا تموت • فهل لك غاية ان صرت يوما • اليها قلت حسبى
قد رضيت • وقال الشعبى حكى ان رجلا صاد قنبرة فقالت له ما تريد ان تصنع بى قال اذبحك واشويك
واكلك قالت والله ما اشفى من قرم ولا اشبع من جوع ولكنى اعلمك ثلث خصال هن خير لك من اكلى اما
واحدة فاعلمك اياها وانا فى يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل
قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت
لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت وصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتنى لاخرجت من حوصلتى
درتين فى كل واحدة عشرين مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد
نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة قال الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون

انه يكون انا ولحمى وبطنى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان فى كل
واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال ضرب لفرط طمع الادمى فانه يعميه عن درك الحق
حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال ابن السماك ان الرجا حبل فى حلقك وقيد فى رجلك فاخرج
الرجا من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى
ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رانى تبسم فقلت فايدة اصلح الله امير المومنين قال نعم وجدت هذين
البيتين فى بعض خزاين بنى امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشدنى اذا سد باب عنك
من دون حاجة • فدعه لاخرى ينفتح لك بابها • فان قراب البطن يكفيك ملاه • ويكفيك سوات الامور
اجتنابها • وقلت انا ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب • ركوب المعاصى يجتنبك عقابها • وقال عبد الله
بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلما بعد ان وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس
وطلب الحوايج فقال رجل للفضيل فسر لى قول كعب قال يطمع الرجل فى الشئ فيطلبه فيذهب عليه دينه
حتى يحصل له والشره شره النفس فى هذا وفى هذا حتى لا يحب ان يفوتها شئ ويكون لك الى هذا حاجة
والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك
للدنيا اذا مررت به سلمت عليه وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعده لله ولو لم يكن لك اليه
حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكما من
عجيب امر الانسان انه لو نودى بدوام البقا فى ايام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما
قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد ابن زيد مررت براهب فقلت له
من اين تاكل من بيدر اللطيف الخبير الذى خلق الرحا هو ياتيها بالطحين واومى بيده الى رحا اضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدوا الذى يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدوا
مركب من ثلثة اركان العلم والعمل والصبر ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد فى
المعيشة والرفق فى الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغى ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه
ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغى
ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باى طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان
كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال فى الطلب
والاقتصاد فى المعيشة هو الاصل فى القناعة ونعنى به الرفق فى الانفاق وترك الخرق فيه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق فى الامر كله وقال عليه الصلوة والسلام ما عال من
اقتصد وقال عليه الصلوة والسلام ثلث منجيات خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الغنا
والفقر والعدل فى الرضا والغضب وروى ان رجلا ابصر ابا الدردا يلتقط حبا من الارض ويقول
ان من فقهك رفقك فى معيشتك وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن
السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفى الخبر التدبير نصف المعيشة وقال
عليه الصلوة والسلام من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال عليه الصلوة
والسلام اذا عرضت امرا فعليك بالتودة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتودة فى الانفاق
من اهم الامور الثانى انه اذا تيسر له فى الحال ما يكفيه فلا ينبغى ان يكون شديد الاضطراب لاجل
الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذى قدر له لا بد وان ياتيه

وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله
تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده بالفقر ويامره بالفحشاء
ويقول له ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السوال فلا يزال
طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله تعالى
لتوهم التعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل
الفقر وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تايسا من الرزق ما تهزهزت
روسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وقال عليه الصلوة والسلام
الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له
من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير ارزاق العباد
وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان تعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر
قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق
منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله قال عليه الصلوة والسلام ابى الله ان يرزق عبده المومن الا
من حيث لا يحتسب وقال سفين اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقدا للضرورة
بل يلقي الله في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك
قال برد الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لولم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت
الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشي منها هو لغيري
فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين
افني عمري فهذا دوآء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر الثالث ان تعرف
ما في القناعة من عز الاستغنا وما في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى
القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات
والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخرة وذلك مما ينضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال
والماثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس
فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يوثر عز النفس على شهوة البطن
فهو ركيك العقل ناقص الايمان وقد قال عليه الصلوة والسلام عز المومن استغناوه عن الناس ففي القناعة
الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من
شئت فانت اميره الرابع ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب
ومن لا دين لهم ولا عقل ثم تنظر الى احوال الانبيا والاوليا والى سمت الخلفا الراشدين وساير الصحابة والتابعين
ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة الاراذل الخلق او على الاقتدا بمن
هو اعز اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير ثم تنظر
انه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس
والخيل ففي اليهود والنصارى من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الانبيا والاوليا
الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع

وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال والحسرات عند الممات مع ما يفوته
من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنيا واخرج عن جريدة
الفقرا ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من هو دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره
في الدنيا الى من فوقه فيقول له لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف
نظره في الدين الى من هو دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا
يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم بالشقا قال ابو ذر اوصاني خليلي
عليه السلام ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال
عليه الصلوة والسلام اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه
ممن فضل عليه فبهذه الامور تقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم
ان غاية صبره في الدنيا ايام قلايل للتمتع دهورا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدوآء
لشدة طمعه في انتظار الشفا

بيان فضيلة السخا

اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون
حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخا واصطناع
المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبيا وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي
صلى الله عليه وسلم حيث قال السخا شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا
قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبرئيل عليه السلام قال الله
تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخآء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي
رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا
له الا على السخا وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة
وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله
فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخا واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد
الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوايج الناس وروي المقداد بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت
يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن
الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخا شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن
منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها
فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت رضاي فيهم ورحمتي
ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى اخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير فان الله تعالى ليباهي بمطعم
الطعام الملائكة وقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق
ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسال على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فساله
فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاه الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا
يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد

فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى قال اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم باسرى من بنى العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه يا رسول الله
الرب واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه الصلوة والسلام نزل على جبرئيل فقال اقتل
هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخا فيه وقال عليه الصلوة والسلام لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف
تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام
البخيل داء وقال عليه الصلوة والسلام من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس اليه فمن لم يحتمل تلك
المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال
المعروف وقالت عايشة رضى الله عنها قال صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال ابو هريرة قال صلى الله
عليه وسلم ان السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من
الجنة بعيد من الناس قريب من النار وجاهل سخى احب الى الله من عابد بخيل وادواء الداء البخل وقال عليه
الصلوة والسلام اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان
لم تصب اهله فانت من اهله وقال عليه الصلوة والسلام ان بدلاء امتى لا يدخلون الجنة بصلاة ولا بصيام
ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم افعاله
ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيى بها
اهلها وقال عليه الصلوة والسلام كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة
وما وقى الرجل به عرضه كتب له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال عليه الصلوة والسلام
كل معروف صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامرى فانه سخى وقال جابر
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه الصلوة والسلام ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الاشعار** قال على
كرم الله وجهه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد
لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة • فليس ينقصها التبذير والسرف • وان تولت فاحرى ان تجود بها • فالحمد منها اذا ما
ادبرت خلف • وسال معوية الحسن بن على عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه
نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام فى الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن
واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام فى المحل والرافة بالسايل مع بذل النايل ودفع رجل الى
الحسين بن على رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت فى رقعته
ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالنى الله تعالى عن ذل مقامه بين يدى حتى اقرا رقعته وقال
ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم
فقال من احتمل شتمنا واعطى سايلنا واغضى عن جاهلنا وقال زين العابدين رضى الله عنه من وصف ببذل ماله
لطلابه لم يكن سخيا وانما السخى من يبتدى بحقوق الله تعالى فى اهل طاعته ولا ينازعه نفسه الى حب الشكر له
اذا كان يقينه بثواب الله تعالى تاما وقيل للحسن البصرى رحمه الله ما السخاء قال ان تجود بمالك فى الله تعالى
قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق
رضى الله عنه لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله تعالى

والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة الملهوف وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غنى او فقير صدقة صح

وحرزه صح

يقول انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر فى النار والجود والكرم من الايمان
واهل الايمان فى الجنة وقال حذيفة رب فاجر فى دينه اخرق فى معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى
الاحنف بن قيس رجلا فى يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لى قال اما انه ليس لك حتى يخرج من
يدك وفى معناه قيل انت للمال اذا امسكته • فاذا انفقته فالمال لك • وسمى واصل بن عطا الغزالى لانه
كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امراة ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعى كتب الحسن بن على الى الحسين
بن على رضى الله عنهم يعتب عليه فى اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفين بن
عيينة ما السخاء فقال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابن بعضهم خمسين الف الف درهم فبعث
بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسال الله تعالى لاخوانى الجنة فى صلاتى افابخل عليهم بالدنيا وقال
الحسن بذل المجهود فى بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت
اياديه عندى قيل فان لم يكن قال فمن كثرت ايادى عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل مكننى
من نفسه حتى اضع معروفى عنده فيده عندى مثل يدى عنده وقال المهدى لشبيب بن شيبة كيف رايت
الناس فى دارى فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند
عبد الله بن جعفر بهذين البيتين فقال ان الصنيعة لا تكون صنيعة • حتى يصاب بها طريق المصنع •
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها • لله او لذوى القرابة اودع • فقال عبد الله بن جعفر ان هذا البيتين
ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا لها اهلا وان اصاب اللئام
كنت له اهلا **فى حكايات الاسخيا** عن محمد بن المنكدر عن ام دره وكانت تخدم عايشة رضى الله عنها
قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال فى غرارتين قيل انه كان ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق
فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمى فطورى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها
ام دره ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتنى لفعلت
وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله
تغدوا عندى اليوم فاتوه حتى ملاؤا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر بالخبر فامر عبد الله بشراء فاكهة
وامر قوما فطحنوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموايد فاكلوا حتى صدروا
وقال عبد الله لوكلائه اموجود كلما اردت مثل هذا قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء فى كل يوم وقال
مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن على لاخيه الحسن لا تلقاه ولا تسلم
عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد من اتيانه فركب فى اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه
فمروا عليه ببختى عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا
فذكر له حاله فقال اصرفوه بما عليه الى ابى محمد يسوقه الى المدينة وهى قريبة وعن واقد بن محمد الواقدى
قال حدثنا ابى انه دفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر
رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء فاما السخاء فهو الذى اطلق ما فى يديك واما
الحياء فهو الذى منعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت
فازدد فى بسط يدك وان كنت لم اصب فجنايتك على نفسك وانت حدثتنى وكنت على قضاء الرشيد
عن محمد بن اسحق عن الزهرى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للزبير ابن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح
ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله تعالى الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم

عبد الرحمن الحارث

قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي بالحديث احب الي من الجايزة وهي مايه الف اخرى وسال رجل
الحسن بن علي رضي الله عنهم حاجة فقال له يا هذا حق سوالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي
ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفا لشكرك فان قبلت الميسور
ورفعت عني مؤونة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر
العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل
من الثلثماية الف فاحضر خمسين الفا فقال ما فعل الخمس مائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها
فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداه لكراء الحمالين
فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجوا ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن
عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج له بنته من ابن اخيه
وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فاخذ بايديهم وادخلهم داره
وفتح صندوقا فاخرج منها ستة بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن
قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل به مؤمنا عن عبادة ربه
وما بنا من التكبر ما لا نخدم اوليا الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد
اميرهم عنده طعام فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل
عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسماية الف الف درهم فلما تعذر
عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته ليقتسموها وكان ابو طالب
بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا فقال فقد فعلت وحقه
لاعطينك ما يليها ايضا وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرما فمدحه بعض الشعرا
فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة الف درهم حتى اقر لك
بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الف درهم واخرج ابو مرثد
من الحبس وكان معن بن زايدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن
فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا
على خشبة والقاها في الما الذي يدخل البستان وكان معن على راس الما فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها
فاذا عليها مكتوب شعر ايا جود معن ناج معنا بحاجتي ۝ فما لي الى معن سواك شفيع ۝ قال فقال من صاحب
هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه
فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرا ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه مايه الف درهم فلما اخذها
الرجل تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه فخرج فلما كان اليوم الثالث قرا ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم
يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى معي في بيت مالي دينار ولا درهم وقال ابو الحسن المدايني
خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز
في خبا لها منفردة فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت
احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم
حتى اهيي لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا
فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا

ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الزوج وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم
لا تعرفينهم ثم يقولون نحن نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها
وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي رضي الله
عنهما جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا امة الله
اتعرفينني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا قالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن
فاشتروا لها من شاء الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها
بكم وصلك الحسن اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع
غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها
عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت الى زوجها باربعة الف شاة واربعة
الف دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى
الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت
اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف
دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاوا الى
قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وقد جاوا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراوا رجلا منهم
في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وقد كان خلف السخي الميت نجيبا
معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهم العقد
اعمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه ينبع الدم من نحر بعيره فقام الرجل من النوم
فنحره وقسم لحمه فطبخوه واشتووا منه واكلوا وقضوا حاجتهم ثم رحلوا عنه صباحا وساروا فلما كان
في اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال
انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال
خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه
وقال قدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض
فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي
اربعة الف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكا فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما
اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن
عقبة ابن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكا اهل خالد فقال لاهله
ما لهولاء يبكون قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ايتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون
الرشيد الى مالك بن انس رضي الله عنه خمسماية دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب
هرون فقال له اعطيه خمسماية دينار وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين ان لي في كل يوم
من غلتي الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم تجب عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم
الف دينار وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق فقيل له انها تقنع باقل منها
فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق
على ثلثماية وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة كانت عندي وكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها

بالغداة والعشي وليبا لي هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان نحني لبدا احلس
عليه فاذا اخرج قال خذ ما تجد تحت اللبد حتى وصل لي في علة الشاة اكثر من ثلثمايه دينار من بره وانا استغفر والله
حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقال عبد الملك بن مروان لاسما ابن خارجه بلغني عنك خصال فحدثني بها
فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المومنين ما مددت رجلي
بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي
رجل وجهه قط ليسالني شيا فاستكثرت شيا اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمن بن عبد الملك
وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيا كتب لمن ساله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه
سليمان تمثل بهذا البيت شعر اني سمعت مع الصباح مناديا ٭ يا من يعين على الفتى المعوان ٭ ثم قال ما حاجتك
قال ديني قال وكم هو قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا
اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا
فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده وعن ابي اسحق قال
صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت
لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر بكل من صلى في المسجد بحلة
ونعلين وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور
بمكة قال كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقرا شيا فولد لبعض الناس ولد قال فجيت اليه فقلت ولد لي مولود
وليس معي شي فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح له بشي فجا الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت
تفعل وتصنع واني درت اليوم على جماعة وكلفتهم دفع شي للمولود فلم ينفق لي شي قال ثم قام واخرج دينارا
وكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح الله لك بشي قال فاخذته وانصرفت واصلحت
ما انفق لي به قال فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص صاحب القبر في المنام فقال سمعت جميع ما قلت
وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسماية
دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الرجل الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس
وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لروياي حكم فقالوا
هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احيا فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ
منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدق به
على الفقرا فقال ابو سعيد فلا ادري اي هولا اسخى وروى ان الشافعي رضي الله عنه لما مرض مرض موته بمصر
فقال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا
على الشافعي سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال
ابو سعيد الواعظ الخركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده
وزرتهم فرايت فيهم سيما الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته عليهم مستدلا بقوله
تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي لا ازال احب حماد بن ابي سليمن لشي بلغني عنه انه كان ذات يوم
راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط واراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام
الخياط اليه سوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير سلمها الى الخياط واعتذر اليه في قلتها وانشد
الشافعي رحمه الله لنفسه هذا الشعر ٭ يا لهف نفسي على مال اجود به ٭ على المقلين من اهل المروات ٭ ان اعتذاري

الى من جا يسالني ٭ ما ليس عندي لمن احدى المصيبات ٭ وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل ركاب الشافعي
رضي الله عنه فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول
قدم الشافعي من صنعا الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباه في موضع خارج من مكة فنثرها على ثوب
ثم اقبل على كل من دخل عليه فقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شي وعن
ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيا من سماحته فقلت له ينبغي ان
تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال
فما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا
يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي رحمه الله شعر اري نفسي تتوق الى امور ٭ يقصر دون مبلغهن
مالي ٭ فنفسي لا تطاوعني لبخل ٭ ومالي لا يبلغني فعالي ٭ قال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون
فوصله بماية الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون
في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود سو الظن بالمعبود فوصله بماية الف اخرى وقام رجل الى
سعيد بن العاص فسئله فامر له بماية الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك قال ابكي على الارض كيف
تاكل مثلك فامر له بماية الف اخرى ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكله بابيات امتدحه بها فوجده عليلا
فقبل منه المدح وامر حاجبه بنيله بما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه
طول المقام فكتب اليه ان حراما قبول مدحتنا ٭ وترك ما نرتجي من الصفد ٭ كما الدنانير بالدراهم في البيع
حراما الا يدا بيد ٭ فلما وصل الى ابرهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه
ثلثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه اعجلتنا فاتاك عاجل برنا ٭ قلا ولو امهلتنا لم نقلل ٭ فخذ القليل
وكن كانك لم تقل ٭ فنكون نحن كاننا لم نفعل ٭ ويروى انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم
فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك
وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت له ما لك فقال اجتمع عندي مال
وقد غمني فقالت وما يغمك ادع قومك وفرقه فيهم فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم
كم كان قال اربعماية الف وجا اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه لرحم ما سالني بها
احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمن ثلثماية الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمن
ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع الثمن اليه وقيل بكا علي كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك
فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب
فقال لم جيتني فقال لاربعماية درهم دين علي قال فوزن اربعماية واخرجها اليه وعاد وهو يبكي فقالت له
امراته لم اعطيته ان شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به بيان ذم البخل
قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله
من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل ويكتمون ما اتيهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على
ان يسفكوا دماهم ويستحلوا محارمهم وقال عليه الصلوة والسلام اياك والشح فانه دعا من قبلكم فاستحلوا
محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال عليه الصلوة والسلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خاين ولا
سيئ الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال عليه الصلوة والسلام ثلث مهلكات شح مطاع

وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال عليه الصلوة والسلام ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل
المنان والمعيل المختال وقال عليه الصلوة والسلام مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد
من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا اتسعت ووفرت على جلده حتى تخفي بنانه
واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها
ولا تتسع وقال عليه الصلوة والسلام خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال عليه الصلوة
والسلام اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال
عليه الصلوة والسلام اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش
ولا المتفحش واياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا
وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال عليه الصلوة والسلام شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل رجل
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي عليه الصلوة والسلام
وما يدريك انه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه قال جبير بن مطعم بينا
نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم
الاعراب يسئلونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف عليه الصلوة والسلام فقال اعطوني
ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا
ولا جبانا وقال عمر رضي الله عنه قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هولاء كانوا احق به منهم فقال
انهم يخيروني بين ان يسألوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما رسول عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسألني
فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار فقال يابون الا ان يسألوني ويابى الله لي
البخل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الجود من جود الله تعالى
فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة شجرة وجعل راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد
اغصانه باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة
الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم
وجعل اسه في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار والبخل
شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل واي داء ادوا من البخل ولكن سيدكم عمرو
بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك
لنزنه بالبخل فقال عليه الصلوة والسلام واي داء ادوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله
قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليبغض البخيل
في حياته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد
البخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال عليه الصلوة والسلام يقول قائلكم الشحيح اعذر

من الظالم واي ظلم اظلم عند الله تعالى من الشح وحلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا
بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول
بحرمة هذا البيت الا غفرت لي وغفرت ذنبي قال عليه الصلوة والسلام وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم
من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم
ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال
فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله
قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل
ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسألني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال عليه الصلوة والسلام
اليك عني لا تحرقني الله تبارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين يدي الركن والمقام ثم صليت
الفي الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله
في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله تبارك وتعالى يقول
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الاثار قال ابن عباس رضي الله
عنهما لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل
وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك
وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت طوبى لمن
دخلني فقال الله تبارك وتعالى وعزتي لا اسكنتك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو كان
البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما يجد البخلا
ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي
بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المومن على ما في يديه
ولم يومر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الشح اشد من البخل
لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما
في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند
وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من يلقى سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا
وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره
لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال
الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان قال البخل امسك الله تعالى ايديهم
عن النفقة في سبيل الله تعالى فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان
اللهم عجل للممسك تلفا وللمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا قد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان
في عيني لعظم الدنيا في عينه فكانما يرى بالسائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا ارى
ان اعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصا فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون
مامون الامانة وقال علي عليه السلام ما استقصى والله كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض
قال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث ذم البخلا واكل القديد وحك الجرب قال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة
له قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل بخيل اذا انك لبخيل ومدحت امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة

الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي وقال صلى الله عليه وسلم

ايضا خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم

من الظالم

قوامة الا ان فيها بخلا قال فما جزها اذن وقال البشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلا كرب
على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلا الا بغضا
ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس
في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن
البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان
يطلع الله تعالى عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك **في حكايات البخلا**
قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب
الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك
تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت ولا اتقيا طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا
وهو جالس وبين يديه طبق تين فغطى التين بكسائه لما راه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القران
شيئا قال نعم وقرا والزيتون وطور سينين فقال واين التين فقال هو تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له
ولم يطعمه شيئا الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي
اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلي ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل
فسئل نسيب له كان يعرفه وقال له قايل صف مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش
قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوءة له انت خاص به وثوبك
مخرق فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداذ الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبريل
وميكائيل ومعهما يعقوب النبي يضمنون عنه ابرة ويسئلونه اعرنا اياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد
من دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه
فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤس في الصيف والشتا فلم تختار ذلك فقال نعم الراس
اعرف سعره فامن خيانة الغلام فيه ولا يستطيع الغلام ان يغبنني فيه وليس هو بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه
واما الراس فانه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك منه واكل منه الوانا اكل منه عينيه لونا واذنيه
لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا ولسانه لونا واكفي مونة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد
الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجايزة قال ان اعطيت ماية الف درهم اعطيتك
درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربع دوانيق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب
بنقصان دانق وقال اكره الاسراف فان الاسراف مكروه وكان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه
المنزل ويقول لو دخلت فاكلت كسرة عندنا وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع
الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فبينما هو ياكل اذ سال سايل بالباب فقال له رب
المنزل بورك فيك فاعاد عليه السايل المسئلة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا
والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق
مواعيد منه هو منذ مدة يعدني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما **بيان فضيلة الايثار وفضيلة**
ثوابه اعلم ان السخا والبخل كل واحد منهما ينقسم الى درجات السخاء الايثار وهو ان الجود بالمال مع الحاجة
اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخا
قد ينتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من

الكوفة

فارفع درجات
صح

بخيل

٢٦٨

بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا
لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يوثر على نفسه غيره مع الحاجة به الى ذلك فانظر ما بين الرجلين
فان الاخلاق عطايا يضعها الله تعالى حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى
على الصحابة به فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عليه الصلوة والسلام ايما امرء اشتهى
شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عايشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام متتابعا
حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نوثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد
عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء
السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله تعالى من صنيعكم الى ضيفكم ونزلت قول الله تعالى ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة فالسخا خلق من اخلاق الله والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من داب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلم
يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك
منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى
منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى قال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال
بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت
من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم وفيها
غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم
رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت
به هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم
فقال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء وان هذا لاسخى مني فاشترى الحايط والغلام
وما فيه من الالات فاعتق الغلام ووهبها منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا كان احوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل يبعث به كل واحد الى اخر
حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما
يوثر على صاحبه بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت
بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه
فكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله
بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وعن ابي الحسن الانطاكي انه
اجتمع عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان
واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام فاذا الطعام بحاله ولم ياكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه
على نفسه وروي ان شعبة جاءه سايل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه اياها ثم اعتذر
اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق
سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك ماء فاشار الي نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي انطلق به

اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به اخر فقال آه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته
فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عياش
بن دهقان ماخرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع
قميصه فاعطاه اياه فاستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا
الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال فقعدنا
فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد
ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي
ذلك العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل مما بقي على العظم
قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما
حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر
فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان
الا ويجد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك
احد عن البخل فاذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي
يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل
منع الواجب فمن ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز
لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي
ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه
ياكل معه فاخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية القليلة وهذا ايضا قاصر
فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب
ما فوقه وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع
ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير
روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقيل الجود
عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى
البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضراء واثر غيره بالبلغة
فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل
بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه
ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ
ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما
وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل
له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
فالجود وسط بين الاقتار والسرف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان
تفعل ذلك الجوارح ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه ينازعه وهو يصابرها

فهو متسخي وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما
يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان
واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع
واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله واهله النفقة او
يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف والذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب نفسه
ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في
المحقرات فان ذلك مستقبح فيه واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا
يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح اقل منه
في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب
اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في شرى الكفن مثلا او شرى الاضحية او شري خبز الصدقة ما لا يستقبح
في غيره من المضايقة وكذلك يختلف لمن معه المضايقة من صديق واخ قريب وزوجة وولد واجنبي وبمن معه
المضايقة من صبي او امراة او شيخ او شاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا
يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال
عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة
بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر
المروة لحب المال فهو بخيل ويبقى درجة اخرى وهي ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة
ولكن معه مال كثير قد جمعه فليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون
له عدة على نوايب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض
بخل عند الاكياس ~~وليس بخل عند الاكياس~~ وليس بخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام كالمقصور
على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوايب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه
ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك
باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع
وواجب المروة اللايقة به فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك
لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه
الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما يتسع له نفسه من قليل وكثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس
اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما يوجبه العادة والمروة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة
نفس ولا عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد
وانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض ولا غرض هذا
هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض
ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى
جوادا وان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا ومن ملازمة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه
فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اغراض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي
عن بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اساله عن مسئلة

مع الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح صح

فقالوا لها سلي عما شئت واشاروا الى حيان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت
هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله سبحانه وتعالى سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون
على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعد بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة
واخذتم عشرة فباي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا
الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين ولا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء
الا تستحيون من الله تعالى ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا قبيح وقالت
بعض المتعبدات لبعض اتحسب ان السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في بذل المهج
وقال المحاسبي ان السخاء في الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله تعالى وتسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق
دمك لله تعالى سماحة عن غير اكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب
ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا
تحسن اختياره لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما
حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان
لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان
له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام الولد مبخلة مجبنة محزنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي
البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت
به عادته بنفقته ويفضل الاف وهو شيخ لا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة
نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يتلذذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض
وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع ذلك فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق منها بحبة وهذا مرض
للقلب عظيم عسر العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق
شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات فصارت
محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كانه محبوب في نفسه وهو
غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته
والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة
باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه
بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله
احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان
تقيا صالحا فيكفيه الله تعالى وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته اليه ويعالج ايضا
قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله تعالى به على البخل من العقاب
العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم فانه ما من بخيل
الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر
البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته
والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل

خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي
ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه يحكى ان ابا الحسن البوشنجي
كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى
تخرج قال خطر لي بذله ولم امن على نفسي ان يتغير ولا يزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق
الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك
الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه
اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد
الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث
الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها
عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينقل
عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض
كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا
مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الرياء والجاه فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا
عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع علة ويزيد في الاخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل
لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه وان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان
ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض مثال ما يقال ان الميت
يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان بعضا حتى يقل عددهم ويكبرون ثم ياكل بعضهم بعضا حتى
يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الاخرى فياكلها ويسمن بها
ثم لا يزال يبقى وحدها جائعة الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض
حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة
وهو منع القوت منها ومنع القوت من الصفات المذمومة ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا
فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال
مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل
بعلم وعمل العلم يرجع الى معرفة افة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى
البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقيق المعرفة بافته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فيبقى
العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة له الا الصبر الى الموت وكان
من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان اذا
توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيه نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه
يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه
فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا الطريق انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان
له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد من ذلك امتحن به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة
دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقر والهلاك ويحكى انه حمل الى
بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده

كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر كانت مصيبة لاجبر لها وان سرق صرت فقيرا
اليها ولم تجد مثلها القدح وقد كنت قبل ان حمل اليك فى امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان القدح انكسر يوما
وعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا
عدوة لاولياء الله تعالى اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لاعداء الله تعالى اذ تسوقهم الى النار وعدوة لله تعالى
اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزاين والحراس والخزاين
والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى
ومن عرف آفة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه
لحاجته فليس يبخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب لنفسه لحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل بها
احد لقناعة الناس بمقدار الحاجة **بيان الوظايف التى على العبد فى ماله** اعلم ان المال كما وصفناه
خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثل حية ياخذها الراقى ويستخرج منها الترياق وياخذها الغافل فيقتله
سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظايف الاولى ان يعرف مقصود
المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه
الثانية يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ونحوه ويجتنب
الجهات المكروهة القادحة فى المروة كالهدايا التى فيها شوايب الرشوة وكالسوال الذى فيه الذل وهتك
المروة وما يجري مجراه الثالثة فى المقدار الذى يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب
ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مايلا
الى جانب القلة ومقربا من حد الضرورة كان محقا ويجى فى جملة المخففين وان جاوز ذلك وقع فى هاوية
لا اخر لها لعمقها وسنذكر تفصيل هذه الدرجات فى كتاب الزهد الرابعة يراعى جهة الخرج ويقتصد فى
الانفاق من غير تقتير ولا تبذير كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير حقه فان الاثم فى الاخذ
من غير حقه والوضع فى غير حقه سواء الخامسة ان يصلح نيته فى الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ
ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود
المال ولذلك قال على كرم الله وجهه لو ان رجلا اخذ جميع ما فى الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو
انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فهو ليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله تعالى مقصورة على
عبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة
فاذا كان ذلك قصدك بهما صارتا عبادة وكذلك ينبغى ان يكون نيتك فى كل ما تحفظ من قميص وازار وفراش
وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه فى الدين وما فضل عن الحاجة ينبغى ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله
تعالى فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذى اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها
فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ فى الدين قدمه وعظم فيه علمه وللعامى اذا تشبه بالعالم
فى الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة شابه الصبى الذى يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف
فيها ليخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها
اقتداء به فيقتله فى الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية
وقيل **شعر** هى دنيا كحية تنفث السم ٭ وان كانت المجسة لانت ٭ وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير فى تخطى
قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال **بيان ذم الغنى**
ومدح الفقر اعلم ان الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك
فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا فى هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى
من الغناء على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبى
فى بعض كتبه فى الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف
رضى الله عنه وشبه نفسه بهم والمحاسبى من خير الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين
عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد
كلام له فى الرد على العلماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون
ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون به فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون
بالهوى وما يغنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب
ويبقى فيه النخالة فكذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك
الاخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكى من اعمالكم جعلتم الدنيا
تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة
فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محل المتحيرين كانكم تدعون
اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه
وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم فى افواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة مظلمة يا عبيد
الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم
على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى
فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحرث اخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على
الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الاخرة
هم الخاسرون او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فانى رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه
انواع الهموم وفنون المعاصى والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجاء فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه
خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما افظعها ومن رزية ما اجلها الا فراقبوا الله تعالى
اخوانى ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانس بالحجج الداحضة عند الله تعالى فانهم يتكالبون على الدنيا ثم
يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغترون
بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك
بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة
ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال
اعلى وافضل من تركه فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد فى هذا الخير
الذى رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان
جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال
وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا ومتى زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله تعالى
لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل فى الجمع

ولذلك نهاهم عنه وانت عليهم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع
الفضل والخير من ربك تعالى عز وجل عن جهلك ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج
بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وود بن عوف في القيمة انه لم يوت من الدنيا
الا قوتا ولقد بلغنا انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انا نخاف
على عبد الرحمن بن عوف فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا
وترك طيبا فبلغ ذلك اباذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحى عظم بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا
فقيل لكعب ان اباذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنهم يستغيث به واخبره الخبر فاقبل
ابوذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر
فقال له ابوذر هيه يا ابن اليهودية تزعم انه لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال يا اباذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون
يوم القيمة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا اباذر قلت نعم يا
رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مال مثل احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك
منه قيراطين قلت او قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطين ثم قال يا اباذر فانت تريد الاكثر وانا اريد الاقل
فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت
وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج خوفا منه وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير اليمن فضجت
المدينة ضجة واحدة فقالت عايشة ما هذا فقيل لها عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف قالت صدق الله
ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت
فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنيا يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته
يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاها احرار لعلي ادخلها معهم
سعيا وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي
وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه
وصنايعه المعروفة وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة يوقف في
عرصة القيمة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف والصنايع المعروفة وانفق منه قصدا واعطى في
سبيل الله سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبوا في آثارهم حبوا فما ظنك بامثالنا
الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لمفتون تمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب على وساخ الناس
وهو يتقلب في الشهوات والزينة والمباهات ويتقلب في فتن الدنيا ثم يحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك
ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه
لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضايحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض
الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا
ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على انفسهم
كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين
ومن خوف الفقر آمنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء
شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا

نقل

من الدنيا

من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا
في نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب
عجلت عقوبته من الله تعالى واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم
كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس
اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كانت عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند
عيالي شيء فرحت اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة واذا اصبحت وكان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم
يكن لي بآل محمد صلى الله عليه وسلم اسوة ~~واذا اصبحت وكان عند عيالي شيء~~ وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم
سبيل الرخا حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل
البلا فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما
وصفنا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك ايها المفتون فهي ضد
لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخا وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط
عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين
وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه
وكفى به اثما مبينا وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن
يوم القيمة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة
قد ذاقت في ذلك فقد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال
للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا للتكاثر والتفاخر لقي الله تعالى
وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك من غضب الله تعالى حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك
ان المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى ذكره وانت تكره لقاء الله والله للقائك اكره وانت
في غفلة وعساك متاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف
على دنيا فارقته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله تعالى
نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك مسرورا بها
وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا
ان بعض اهل العلم قال انك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا ومحاسب بفرحك في الدنيا اذا
قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما
تعنى بامور اخرتك وعساك ترى ان مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم
وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو
والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بمساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك
يوم القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك عسى تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك
فيها وكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند الناس وكان العبيد اعلى قدرا من الله تعالى
عز وجل تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك متلوث
في الاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم

يوم لا

خوف

عندكم

ازهد منكم فيما حرم عليكم وان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم فكانوا للزلة الصغيرة عليكم اشد
استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك
كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل وليت صومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل
فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني ان بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين
ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم على ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة فسبحان الله
كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة رضوان الله عليهم في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة
او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فانك ان زعمت انك متاسي بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله
تعالى فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب
الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب
من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين
ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان بك ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت
والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها
المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله تعالى من اكتساب
الشبهات وبذلها في سبيل الله تعالى وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان ندع درهما واحدا
مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك
اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت
بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسائلة وبلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني
ان اكسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله تعالى ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا
ولم ذلك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهولاء
المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم وتركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال
بشره وانت بغاية الامة والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال
ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد
بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب
الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة
بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش في الحساب عذب وقال عليه الصلوة والسلام يؤتى بالرجل
يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع
مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى بالرجل يوم القيمة قد جمع مالا من حرام وانفقه
في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى بالرجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت
في طلب هذا بشيء مما فرض الله عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوها فيقول
لا يا رب كسبت من حلال وانفقته في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي فيقال لعلك اختلت في هذا المال
في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا ولم اختل
ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

فيقول

فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد
امرتني ان اعطيه قال فيجي اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته فاغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته
ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرايض ولم يختل في شيء فيقال قف الان هات
شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسال ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه
المسائلة التي كانت لهذا الرجل الذي يتقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرايض بحدودها حوسب
هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها
ويحك لاجل هذه المسائلة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من
كسب المال الحلال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى
ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم ينفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير
بسبب المال قلبك عما يحب الله تعالى ولم تسخط الله في شيء من سرايرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك
ولست كذلك فينبغي ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول
في زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسائلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء
المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيتمتعون وياكلون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام الناس
وملوكهم فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما يسرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل
الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخففين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين
من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون لقد بلغني ان بعض الصحابة عطش فاستسقى
فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد
في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له هذا كله من اجل هذه الشربة فقال نعم بينا انا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم وما
معه احد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه شيئا ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك
احدا فمن تخاطب فقال صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها وراسها وقالت لي يا محمد خذني فقلت
اليك عني فقالت ان تنج مني فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف ان يكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم شربة من حلال وانت ويحك في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت لا تخشى الانقطاع
اف لك ما اعظم جهلك ويحك فانك ان تخلفت في القيمة عن محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه لترين اهوالا
جزعت منها الملائكة والانبيا ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثرة فلتصيرن
الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المتخلفين
لينقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال المتقين
لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت انك في خيار السلف تقنع
بالقليل زاهدا في الحلال بذولا لمالك مؤثرا على نفسك لا تخش الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى
راض بالفقر والبلا فرح بالقلة والمسكنة مسرورا بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير
عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله تعالى ولن توقف
للمسائلة ولا يحاسب مثلك من المتقين فانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور تدبر الامر
واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر لله تعالى والفكر والاعتبار اسلم للدين

صلى الله عليه وسلم يا قوم
فهولاء الاخيار بكوا وجلا
ان ينقطعوا عن رسول الله
صح

وابسر للحساب واخف للمسائلة وامن من روعات القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله تعالى اضعافا
وبلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلين احدهما في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر
افضل وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر به وبلغنا ان بعض خيار التابعين
سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الآخر فانه جانبها ولم يطلبها
ولم يتناولها فايهما افضل فقال والله بعيد ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها
ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك
اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشتك وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت
بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع
لك راحة العاجل مع السلامة والافضل في الآجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في
مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك عليه الصلوة والسلام اذ هداك به وترضى بما اختار لنفسه في مجانبة
الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا
الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء
واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولا يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح
راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا الا يا اخي فمتى جمعت المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل
تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم
والتكريم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمعه ويحك راقب الله تعالى واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك
ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم
وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وكن مشفقا على نفسك عند جمعه وجلا من الحساب فذلك
انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال موجودا فيه وكانوا
مع ذلك من اورع الناس فيه وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود فكيف لنا من الحلال
بمبلغ القوت والمسكن وستر العورة فاما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله واياكم من ذلك وبعد فاين لنا بمثل تقوى
الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم ذهبنا ورب السماء بادواء
النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا لسعادة المخفين يوم النشور ويا لحزن الطويل لاهل التكاثر
والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا آخر كلامه
وفيه كفاية لاظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب
ذم الدنيا في كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة ابن حاطب قال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان
يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله تعالى اما والذي نفسي بيده لو شئت
ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين
كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما
فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر

في الجماعة

في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة ثم نمت وكثرت الا الجمعة
وهي تنمو كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم عن الاخبار بالمدينة وسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فاخبر بامره كله
فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى فيه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم
ان صلوتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا
من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال
مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذه انطلقا حتى تفرغا
ثم تعودا الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها
قالوا لا يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ منك هذا قال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي احب الي لنا خذوها
فلما فرغا من صدقاتهما رجعا الى ثعلبة فسالاه الصدقة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزية
انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا
للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما
انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب
على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع
الى منزله فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء
بها الى عمر رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عمر فهذا طغيان المال وشومه وقد عرفته
من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى
روي عن عمران ابن الحصين انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة
وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله قلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى وقف بباب
منزل فاطمة عليها السلام والرحمة فقرع الباب وقال السلام عليكم اادخل فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله
قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي
بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت معه
وكانت عليه وهي خلقة قال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف اصبحت
فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك
ولو سالت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله
انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت يا رسول الله فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة
نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانك سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من
قصب لا اذى فيها ولا وصب ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا
في الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة عليها السلام والرحمة وهي بضعة من رسول الله كيف آثرت الفقر وترك

فتنحى صح
يا ويح ثعلبة
ما هذه الا جزية صح
قال عمران قالت فاطمة صح
صلى الله عليه وسلم صح

المال ومن راقب احوال الانبيا والاوليا واقوالهم وما درس من اخبارهم واثارهم لم يشك فى ان فقد المال افضل
من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف الى الخيرات
اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله تعالى اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روى
عن جرير عن الليث قال صحب رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى
شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى الى النهر فشرب ثم
رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف قال لا ادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية
معها خشفان لها قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله
فقام فذهب فقال للرجل اسالك بالذى اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال ما ادرى ثم انتهيا الى وادى
ماء فاخذ عيسى بيد الرجل فمشى على الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذى اراك هذه الاية من اخذ الرغيف
قال لا ادرى قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام فجمع ترابا او كثيبا ثم قال له كن ذهبا باذن
الله تعالى فصار ذهبا باذن الله تعالى فقسمه ثلثة اقسام فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف
قال فانا اخذت الرغيف فقال عيسى عليه السلام فكله اذا لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان
فى المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاث قال فابعثوا احدكم الى القرية
حتى يشترى طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذى بعث لاى شئ اقاسم هولاء هذا المال لكنى اصنع فى
هذا الطعام سما فاقتلهما واخذ جميعه ففعل ذلك ورجع ومعه الطعام المسموم وقال الرجلان لاى شئ
نجعل لهذا ثلث المال لكنا اذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام وماتا
وبقى ذلك المال فى المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لاصحابه
هذه الدنيا فاحذروها وحكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس فى ايديهم شئ مما يستمتع به الناس من
دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها فصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعوا
البهائم ولقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك
ذا القرنين فقال ما لى اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتينى فابيت فها انا ذا
قد جئت فقال له لو كانت لى اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لى اراكم على هذه الحال التى لم ار
احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ افلا اتخذتم الذهب والفضة واستمتعتم بهما
قالوا انما كرهناها لان احدا لم يعط منهما شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم
قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا
الدنيا منعتنا قبورنا وذكرها ورؤيتها من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم
البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها
ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم
يجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال
يا ذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض
فظلم وغشم وعتا فلما راى تعالى ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه
به فى آخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين وهل تدرى من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك
ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله تعالى عز وجل

وامر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم اهوى الى جمجمة
ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد صار هكذا فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين
هل لك فى صحبتى فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتانى الله تعالى من هذا المال قال ما اصلح انا وانت
فى مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال
ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى
من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات
الغنى مع ما قدمناه من قبل ان شاء الله تعالى ثم كتاب ذم المال ويتلوه كتاب ذم الجاه والريا والحمد لله رب العالمين وصلوته على نبيه وآله

كتاب ذم الجاه والريا وهو كتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن
كبائر الذنوب العالم بما تخفيه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذى
لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الريا والشرك وصفى فانه المنفرد بالملكوت والملك فهو
اغنى الاغنيا عن الشرك والصلوة على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا
اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتى الريا والشهوة الخفية والريا
من الشهوة الخفية التى هى اخفى من دبيب النملة السودا على الصخرة الصما فى الليلة الظلما ولذلك عجز عن الوقوف
على غوائلها سماسرة العلما فضلا عن عامة العباد الا تقيا وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها
وانما يبتلى بها العلما والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها
وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن
الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم
فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت
الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده
وعلمت انهم اذا عرفوا تركه للشهوات وتوقيها الشبهات وتحملها مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء
وبالغوا فى التقريظ والاطرا ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا فى بركة
دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه فى المحافل غاية الاكرام وسامحوه فى البيع والمعاملات
وقدموه فى المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له فى اغراضه موقرين فاصابت
النفس فى ذلك لذة هى اعظم اللذات وشهوة هى اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصى والهفوات
واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها فى الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان
حيوته بالله وبعباداته المرضية وانما حيوته بهذه الشهوة الخفية التى يعمى عن دركها الا العقول النافذة القوية
ويرى انه مخلص فى عبادة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوات تزيينا للعباد وتصنعا
للخلق وفرحت بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمها
فى جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة النفس لا يسلم عنها الا الصديقون ومهواة لا
يرقى عنها الا المقربون فلذلك قيل آخر ما يخرج عن رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء
الدفين الذى هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول فى سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته
والحذر منه ويتضح الغرض منه فى ترتيب الكتاب على شطرين **الشطر الاول** فى حب الجاه والشهرة وفيه بيان

ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا حبا
اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من الجاه وما يذم وبيان السبب في
حب المدح والثنا وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم
وبيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح وهي اثنا عشر فصلا منها تنشا معاني الريا فلا بد من تقديمها **بيان
ذم الشهرة وانتشار الصيت** اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول
الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب شهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ
من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحسب المؤمن من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى
صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم وقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له
يا با سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق
في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ
الفجار وقال ابرهيم ابن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر
بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه
اكثر من ثلثة قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة
بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ راه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذا
ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج بن مسعود يوما من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال
على ما تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال
قل ما تثبت معه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقي هذا
من قلب المؤمن وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال له اوصني قال ان استطعت ان تعرف
ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني
اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله تعالى وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال
ان الشهرة فيما مضى كانت من طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه
اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب
الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك
وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا يحب ان يعرف الا
ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الايمان رجل يحب ان يعرفه الناس **بيان فضل الخمول**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك
وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك
الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف متضعف
لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل
اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامرا لم يوذن لهم واذا خطبوا النسا لم ينكحوا واذا قالوا
واذا قالوا لم ينصت لهم حوايج احدهم يتلجلج في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال صلى الله
عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه

من الشر

بل كرامة لديه

اياه ولو سال الله الجنة اعطاه اياها ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يوبه
له لو اقسم على الله لابره وروي ان عمر رضي الله عنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الريا شرك وان الله
يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل
غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم
فبينا هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه وقال يا رب
اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا
حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل
صاحب المطر يعني الرجل الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة قال ما هي
قال ان تخصني بدعوة فقال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت
قال اطعت الله تعالى فيما امرني ونهاني فسالت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح
الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السموات وتخفون في
اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان اغبط اوليائي عبد مؤمن
خفيف الحاذ ذو حظ من الصلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع
ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما احب عباد الله الى الله الغربا قيل ومن الغربا قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم
القيمة الى عيسى ابن مريم عليهما السلام وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده الم
انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك
واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح
بمكة والمدينة مع قوم غربا اصحاب قوت وعبا وقال ابرهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مرة
بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل
ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك الا تعرف وما عليك الا يثنى عليك وما عليك ان تكون
مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله فهذه الاخبار والاثار تدلك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول
وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد فان
قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبيا والخلفا الراشدين وائمة العلما فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم
ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه وتعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه
فتنة على الضعفا دون الاقويا وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد
فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم فيثاب
عليهم **بيان ذم الجاه** قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
الاية جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا بعمومه متناول لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات
الحيوة واكثر زينة من زينتها وقال النبي صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت

المال والبخل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه انما هلاك الناس اتباع الهوى وحب الثنا وحب الدنيا

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوبة تعظيمها وطاعتها وكما ان الغنى هو الذى يملك الدنانير والدراهم اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها فى اغراضه ومآربه [ومقاصده] وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى ان يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وبحسب درجة ذلك يكون الوصف كمالا وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغى ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرقبة بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب يكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان العبد المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرا له مثل العبيد فى اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه استمالة القلوب على اعتقادات صفات الكمال فى الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال فى صورة او قوة فى بدن او شئ مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محلها فى القلب فيكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب الجاه وكونه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشدة المجاهدة

اعلم ان السبب الذى يقتضى كون الذهب والفضة وسائر انواع المال محبوبا هو بعينه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى ان يكون احب من المال كما يقتضى ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا فى المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض فى اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم وملبس ومنكح وانما هى والحصا بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه [لان معنى الجاه] ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك القلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك فى السبب اقتضى الاشتراك فى المحبة وترجيح الجاه على المال يقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذى لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوسل به الى الجاه بالمال لم يتيسر له فاذا الجاه آلة [ووسيلة] الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب الثانى هو ان المال معرض للتوى والتلف بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراسة والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لتلك الآفات وهى على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدى الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهى محفوظة محروسة بانفسها وذو الجاه فى امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتضريب وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث ان ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار فى الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة فالجاه ابدا فى النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال فى مقابلتها فهذا مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم فى المال والجاه جميعا فلم ينبغى ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذى يتوصل به الى جذب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمطعم والمسكن او كالمبتلى بمرض او عقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفى الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الخزائن والذخائر والاستكثار منها وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصى البلاد التى يعلم بها قطعا انه لا يطأها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمالهم او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك كله فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت فى الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلى تدركه الكافة والآخر خفى وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى فى النفس وطبيعة مستكنة فى الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا فى الحال فانه طويل الامل يخطر بباله ان المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى

ان يملك جميع ما فى الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال
فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع الدنيا ومثل هذا لعلة يطرد فى حبه قيام المنزلة والجاه فى قلوب الا باعد
عن وطنه وبلده فانه لا يخلوا عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى
الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرحا ولذة
بقيام الجاه فى قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا الخوف واما السبب الثانى فهو الاقوى ان الروح امر ربانى
به وصفه الله تعالى اذ قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى ومعنى كونه امرا ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة
ولا رخصة فى اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا
الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر
والخديعة والاغوا والى صفات ربوبية كالعز والكبر والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول
مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الربانى يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال
والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال
فى التفرد بالوجود على سبيل الاستقلال اذ فى المشاركة فى الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس فى انها موجودة وحدها
فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصا فى حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله
تعالى اذ ليس معه موجود سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه فان المعية
توجب المساواة فى الرتبة والمساواة فى الرتبة نقصان فى الكمال بل الكامل من لا نظير له فى رتبته فكما ان اشراق نور الشمس فى اقطار
الآفاق ليس نقصانا فى الشمس بل هو جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها فى الرتبة
مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل شئ فى العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون معا
فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المتفرد بالكمال
ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفى باطنه ما صرح به فرعون اللعين من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه
ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية
التى اومى اليه قوله تعالى قل الروح من امر ربى ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى درجة الكمال لم يسقط شهوتها
للكمال فهو محب للكمال ومشتهى له ويلتذ به لذاته لا بمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال
ذاته ومبغض للهلاك الذى هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال ان لم يسلم التفرد بالوجود
فى الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا
عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته
ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشئ بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده
كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى
ما لا يقبل التغير فى نفسه كذات الله وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولى عليها قدرة الخلق كالافلاك
والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل
التغير بقدرة العبد كالارض واجزائها ما عليها من المعادن والنبات والحيوانات ومن جملتها قلوب الناس فانها
قابلة للتاثر والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف
فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله تعالى والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولى على السموات
بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة

والعالم

والعالم كالمستولى عليه فلذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجايب السموات
وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهى اشتياق من عجز
عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهى ان يعرف اللعب به
وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة فى الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر فى نفسه
نقص العجز والقصور عنه لكنه قد يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه واما
القسم الثانى وهو الارضيات التى يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف
فيما يريد وهى قسمان اجساد وارواح فالاجساد هى الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل
فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية
والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها فى ملبسه ومطعمه وفى شهوات
نفسه وكذلك استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف فى اجسادهم
واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانه ربما لم يعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم منزلته فيها من
القدرة القسم الثالث نفوس الآدميين وقلوبهم وهى انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلا
وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات
الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات
الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الربانى من جملة معانى الانسان وهو الذى لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط
عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله والساعى اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب
ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية
فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات
ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول فلذلك قال عليه الصلوة
والسلام منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور
فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب فى كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه
محبوبا لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد يبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان
من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم فى جميع العجايب والمشكلات لان فى العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذى هو من صفات الربوبية فكان
هو محبوبا بالطبع الا ان فى حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا فى العلم والقدرة ولكن الكمال
الحقيقى فيه ملتبس بالكمال الوهمى وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات
وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كان علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثانى من
حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم
انواع الكشف على ما هى عليها فكذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات
المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله باق
لا يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد يتعلق بمعلومات بحيث لا تقبل التغير والانقلاب كان اقرب
الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد فى الدار فانه علم له
معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا

لا كمالا وكل ما اعتقدته اعتقادا موافقا له وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب
كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة
ارض وبعد البلاد وتباعد ما بينهما من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات
التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلومها مثل الزيبق يتغير من حال
الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهي جواز الجايزات
ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط
جايزا ولا الجايز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في
صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله وبصفاته وافعاله في ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والاخرة
وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون
هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي تكون
هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك
سببا لزيادة انوار بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه
اصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله
في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فايدة لها اصلا
كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه
والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القران ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القران من
كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس
لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فيكون جملة هذه المعارف كالوسايل الى تحقيق معرفة الله وانما الكمال في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته
وافعاله وتنطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي
فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم
ذكرناه وان لم يليق باحكام الجاه والريا ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال
حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء
عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وفي كتاب التوكل
وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله فاما كمال القدرة فلا نعم له
كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى الكمال العلمي كسلامة اطرافه وقوة يده بالبطش ورجله للمشي
وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى
الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول
به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث لذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا جهل والخلق
كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة
الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوا شغلوا به و
تهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما

ذكرنا

وحكمته

ذكرناه من معرفة الله واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها
بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوات ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس
من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير
والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى
كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته يرجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان
اذ هو عبارة عن عدم صفة كاينة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذا الكمالات
ثلثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا وفي صفات الكمال للذات كمال العلم وكمال الحرية
واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية والقدرة الباقية بعد هويته اذ قدرته على اعيان
الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان منقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة
الى القرب من الله فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة
بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا
لا انقطاع له وهولاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين
لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا
فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو
وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية فاختلط به نبات الارض الاية
وقال تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح فكل ما ينقطع بالموت فهو زهرة
الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات وقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه
كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمها حكم ملك
الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة وكل ما خلق الله في الدنيا
فيمكن ان يتزود منه للاخرة فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس
فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني من طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام
او المال الذي يباع به الطعام فكذلك لا يخلو الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع
عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له
في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاده من المحل
ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطان ما يحثه
ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا
يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء
لانه يضطر اليه لقضاء حاجة ويود لو استغنى عن قضاء حاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق
ليس بمحب لبيت الماء فكل ما يراد به التوسل الى المحبوب فالمحبوب هو المقصود والمتوسل اليه وتدرك التفرقة
بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام
ولو كفي مونة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب
زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول فكذلك الجاه

وكمال القدرة وللعبد طريق لاكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال صح

ما تذروه رياح وكل صح

والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما
لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله
الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل به الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محذور وما لم يتوصل الى اكتسابه
بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحذور
كما سياتي فان قلت طلبه الجاه والمال والمنزلة في قلب خادمه واستاذه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره
مباح على الاطلاق كيف ما كان او مباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه
وجهان منها مباح ووجه منها محذور اما الوجه المحذور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم صفة
هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام
لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالمعاملة واما بالمباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها

بالفعل

كقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه لكونه حفيظا
عليما وكان محتاجا اليها وكان صادقا فيه واما الثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من
معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته به هذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبايح جايز ولا يجوز هتك
الستر واظهار القبايح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي يخفي عن
السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب
اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات ان يحسن الصلوة بين الناس ليحسن فيه اعتقاده
فان ذلك رياء وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراي بما يفعله فكيف يكون مخلصا
وطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز
له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب
اعظم من ملك الاموال **بيان السبب الذي في حب المدح والثنا وارتياح النفس به وميل الطباع اليه
وبغضها للذم ونفرتها منه** اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور
النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت
وتلذذت به والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا
ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه
عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فيخلو عن لذته فاذا اشعر به
لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم
كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه
وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير متيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ
تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم
اللذة بهذه العلة مهما صدر الثنا من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف بالقول الا عن تحقيق
وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر
ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا
ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك
يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح

مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ
وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثنا ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر فتضعف
مهما كان المثني ممن لا يوبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح
الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب فاذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم
لان الفايت به اكثر السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما
اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كل ما كان الجمع اكثر
والمثني اجدر ان يلتفت اليه والى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس السبب الرابع ان المدح يدل
على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا
لذيذة بما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن
كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثناء
القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها
الالتذاذ وقد يفترق فتنقص اللذة به اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح انه غير
صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك
فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان
يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفات بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه
على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف
بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف
الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرناه ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب
المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن علاجه اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض **بيان علاج
حب الجاه** اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة
لاجلهم ولا يزال في افعاله واقواله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم فذلك بذر النفاق واصل الفساد
ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب
ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه
ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة
في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب
الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه
مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس
وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفى وسلم فاخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو كان يسجد لك
كل من على بسيط الارض من الشرق الى الغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال
من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الدينية
الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه وقلبه الا ان ذلك
انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون
حاله كحال الحسن البصري حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت وقد مات

فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد
فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى
اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا المال والجاه في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة
لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى
وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات
العاجلة فهو ان يتفكر في الاخطار الذي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا وان كل ذي جاه محسود ومقصود
بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر
في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكلما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر
فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم
عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي
ان يعالج ذو البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث
العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من عين الخلق
ويفارقه لذة القبول ويانس بالخمول فيرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو منهج الملامتية اذ اقتحموا الفواحش
في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفات الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين
في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات
ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا
واخذ ياكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك
عني ومنهم من يشرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظنوا انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا
في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا صلاح
قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل بعضهم وكان قد عرف بالزهد واقبل الناس عليه
فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوا الثوب واخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب
وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته
في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته وربما يظن انه ليس محبا لذلك
الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوه فيه
وذموه ونسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصل الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك
الغبار عن قلوبهم بالاعتذار وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد
محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه
ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع
طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالي اكانت له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي
ذلك بما في قلوب الذين هم في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس بالقناعة فمن
قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم
ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول
والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم

والمنزلة في الملامتية

٢٨١

بلغ المقابلة

وهذه ثلاثة اسباب

في الآخرة **بيان وجه العلاج لحب الجاه وكراهة الذم** اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس
وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات
فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار
الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها
انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق
كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح
وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول لا شد الغم عندي في سرور يتقن عنه صاحبه انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان
بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بذكر مدح المادح لها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها فلا
يجب ان يفرح به بل سبب وجودها هو الله تعالى فهو المستحق بالمدح والحمد وان كانت الصفة مما يستحق الفرح
بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله
زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار
فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى
لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي ان
تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية
الجنون ومثالك مثال من يهزا به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح
التي تخرج منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم تفرح به كذلك اذا اثنوا
عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله يطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك
من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان
يغمك ذلك ولا تفرح به واما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخر قلب المادح وكونه سببا لتسخر قلب آخر
فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند
الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله تعالى فكيف تفرح به
واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها
ولا تستحق الفرح بها بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب عليه كما نقل ذلك من السلف فان آفة المدح
من الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان
يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله
بئس الرجل وروي في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت فمات على ذلك فدخل النار وقال صلى الله
عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال الا لا تمادحوا واذا رايتم
المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضي الله عنهم على وجل عظيم من المدح وفتنته وما
يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء فقال انت يا امير المؤمنين خير مني
واعلم فغضب وقال اني لم آمرك ان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب
وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فاني اشهدك على مقته وانما
كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تبغض

عن الناس

على الحقيقة

اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الاجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم ويسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه

بيان علاج كراهية الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان يذمه ويغضب عليه ويحقد عليه بسببه بل ينبغي ان يتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك لك حتى تتقيها فينبغي ان تفرح وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذا ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته فكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري فلو دخلت عليه كذلك لخفت ان يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قايل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الاخرة فالانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه فاما قصد العدو بالتعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك اراد ها الله لك والا فهم تنبهك آانت ممن يوحى اليه فهذه رتبة لك عند الله تعالى فلم تغضب عليه بفعل انتفعت انت به وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بري منه عند الله فينبغي ان لا يكره ذلك ولا يشتغل بذمه بل تتفكر في ثلثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلوا عن امثاله واخواته واشباهه وما ستر الله عليك من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بري منه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بري منه وطهرك من عيوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فيشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان يقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعى ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنها مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قايما كان حب المدح والجاه في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

بيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الحالة الثانية ان يتبغض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح بالمدح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي ذامه ومادحه عنده فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حوائج الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف يسوى بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك من الله تعالى بعدا ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وافات النفوس فاكثر عباداته تعب ضايع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الاخرة وفيهم قال الله قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويكره المادح اذ يعلم ان فيه فتنة عليه ووبالا وقاصمة الظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهدي اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وسلم رأس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصايم وويل للقايم وويل لصاحب الصوف الا فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهية على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهو التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية فانها لا تفي بها لانها لا بد وان يتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا يقدر على ان يسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا يقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المراتب فكل واحد من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي في العبادات ولا يبالي بمقارفة

المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك
ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فإن حدود
الكلام الذي يستمال به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل
الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى
قلبه فإن لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة
التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو
في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة يكون عليه ومنهم من إذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم ولكن لم يؤثر
فيه وهذا على خير وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره المدح إذا سمعه ولكن لا ينتهي به
إلى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب عليه ويظهر الغضب وهو صادق
فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه محب له فإن ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص
والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الأحوال في حق الذام وأول درجاته إظهار الغضب
وآخره إظهار الفرح ولا يكون الفرح وإظهاره إلا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة
عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والإنسان يفرح بمن يذم عدوه
وهذا شخص عدو نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها
فيكون ذلك كالمتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى
بفتنة الجاه وإذا سيقت إليه حسنات لم ينتصب فيها فعساه أن يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز عن إماطتها
ولو جاهد المرء نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل
شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبين السعادة وبينه عقبات كثيرة وهذه إحدى تلك العقبات ولا يقطع
شيء منها إلا بالمجاهدة الشديدة في طول العمر **الشطر الثاني** من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات
وهو الرياء وفي بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرى به وبيان درجات الرياء وبيان رياء الخفي
وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات
وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من
العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعات وبعدها على
عشر فصول **بيان ذم الرياء** اعلم أن الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والأخبار
والآثار فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون وقوله تعالى والذين يمكرون
السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور قال مجاهد هم أهل الرياء وقال تعالى إنما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل إرادة سوى وجه الله تعالى والرياء هو ضده وقال
تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزلت فيمن يطلب الأجر والحمد
بعباداته وأعماله وأما الأخبار فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة
فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى أبو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله
والمتصدق بماله والقارئ لكتابه كما أوردنا في كتاب الإخلاص وأن الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت
بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارئ
فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي

على نفسه

صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي آخر حديث طويل إن الله تعالى يقول لملائكته إن
هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا
وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا
إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله تعالى من جب
الحزن قيل وما جب الحزن يا رسول الله قيل واد في جهنم أعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى من عمل لي عملا أشرك فيه غيري معي فهو له كله وأنا بريء منه وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك وقال
عيسى عليه السلام إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم
وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك
قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أدنى الرياء شرك وقال صلى الله
عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي أيضا ترجع إلى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله
عليه وسلم إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بيمينه فكاد أن يخفيها عن شماله ولذلك ورد أن
فضل عمل السر على الجهر سبعين ضعفا وقال عليه الصلاة والسلام إن المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر
يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن أوس رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك فقال إني تخوفت على أمتي الشرك الأصغر أما إنهم لا يعبدون صنما
ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤون بأعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الأرض مادت
بأهلها فخلق الله الجبال فصيرها أوتادا للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله
الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت
الملائكة فقالت نسأل الله تعالى فقالت يا رب ما أشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق شيئا هو أشد
من ابن آدم حين يتصدق بيمينه بصدقة فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك
بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ
حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقد قال لي يا معاذ قلت له
لبيك بأبي أنت وأمي قال إني محدثك حديثا إن أنت حفظته نفعك الله به وإن أنت ضيعته ولم تحفظه
انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض
ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من
حين أصبح إلى أن أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك
للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني
إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر وتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول
لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني
ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد
يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل
بالسماء الثالثة قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى
غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري

تكدرت

لله دوي من تسبيح وتقديس وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع اعمالا
لا يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا
به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه واضربوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا
من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من
صلوة وزكوة وحج وعمرة وصيام يجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك
الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم
وصلوة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة الاف ملك فيجاوزون
به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا
على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه الله انه اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند
العلماء وصيتا في المداين امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء
ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحسن الخلق وحج وعمرة
وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه
ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه
انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات
كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله
وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القران
واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا
في الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي تحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم
على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار قال والناشطات
نشطا اتدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت
وامي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت اكثر تلاوة
للقران من معاذ للحذر مما في هذا الحديث واما الاثار يروى ان عمر رضي الله عنه راى رجلا يطاطا رقبته في الصلاة
فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب وراى ابو امامة رجلا في
المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي عليه السلام للمرائي ثلث علامات يكسل
اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن
الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلث مرات كل ذلك
يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسال رجل
سعيد بن المسيب فقال احدنا يصطنع المعروف ويحب ان يحمد به ويوجر عليه فقال له اتحب ان تمقت قال
لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا تقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل
هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها

وقلبك

لله ولك فقال عمر اما ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده
قال فنعم اذا وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت
اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه
الا مخافة الشهرة ويقول ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب
فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن
بما لا يعملون ويكذبون وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء
فيها وقال الحسن ان المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف
يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله
تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي قال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن
وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك
الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار ولان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل
لرب العالمين وقال ابو سليمن التوقي على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت
وهو بخراسان قيل كيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الريا وما يراءى به اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع وانما الريا اصله طلب
المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات
وتطلب بالعبادات واسم الريا مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها
فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هم الناس المطلوب رويتهم لطلب المنزلة
في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد اظهار ذلك والمراءى به كثيرة
وتجمعه خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع
والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الريا باعمال
ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات **القسم الاول** الريا في الدين من جهة البدن وذلك
باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل
بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن في الدين وكذلك يراءى بتشعث
الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس
بها على هذه الامور وارتاحت النفوس لمعرفتهم فلذلك تدعوا النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب
من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصيام وان وقار
الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام اذا صام
احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ
الشيطان بالريا ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراياة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا
فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن والثوب وقوة الاعضاء وتناسبها
القسم الثاني الرياء بالزي والهيئات اما الهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدوء
في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وقصر الاكمام
وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يراءى به ليظهر من نفسه انه متبع السنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين

ومنه لبس المرقعة والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقايق
التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق
ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم
ليوهم انه من اهل العلم والمراؤن بالزي على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند اهل العلم والصلاح باظهار الزهد
فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بقصرها وغلظها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان
يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس
قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح
وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردتهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة النازلة
ازدرتهم اعين الملوك والاغنيا فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا ولذلك يطلبون الاصواف
الدقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثيابهم قيمة ثياب الاغنيا
ولونها وهيأتها لون ثياب الصلحا فيلتمسون القبول عند الفريقين وهولاء لو كلفوا لبس ثوب خشن
او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنيا ولو كلفوا لبس الدبيقي والكتان
الرفيق الابيض والقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم ذلك خوفا من ان يقول
اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم راى منزلتهم في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال
الى ما دونه او ما فوقه ان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب
الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وبالثياب الحسنة المصبغة
والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا
للناس على تلك الثياب ما لم يبالغوا في الزينة القسم الثالث الريا بالقول وريا اهل الدين بالوعظ والتذكير
والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة
العناية باحوال السلف الصالحين في تحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت
بالكلام وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل ذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ
والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح
او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والريا بالقول
كثير وابوابه لا ينحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات
وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب القسم الرابع الريا
بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل الركوع والسجود واطراق الراس وترك الالتفات واظهار
الهدو والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة واطعام الطعام و
بالاخبات في المشي عند اللقا كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي
الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين يرجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار
فان غاب الرجل عاد الى العجلة فاذا راه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع
انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحا ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من ان تخالف مشيته
في الخلوة مشيته بمراى من الناس فيتكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راه الناس لم يفتقر الى التغيير

ويظن انه يتخلص به عن الريا وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في
الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك
اليدين وتقريب الخطى والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة القسم الخامس
المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا
او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال
السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة
واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ
فانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذا ما يرائي به المراؤن وكلهم
يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره
سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبيئته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق
ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك
غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه وانه لذيذ
كما ذكرناه من اسبابه فانه نوع قدرة واستيلاء وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن
اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثنا والحمد ومنهم
من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل شفاعته
وتنجز الحوايج على يديه فيقوم به جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال
ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهولاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب
التي ذكرناها فهذه حقيقة الريا وما به يقع الريا فان قلت فالريا حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول
فيه تفصيل فان الريا هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات
فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب
محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو
ما يسلم به من الافات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم
ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله تعالى والدار الاخرة فكذلك
كثير الجاه بل اشد فتنة المال اهون من فتنة الجاه وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول تملك القلوب
الكثيرة حرام الا اذا حمله كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدا
الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها
واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام منه بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع
من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى
طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند
الخروج الى الناس مراياة وهو ليس بحرام لانه ليس ريا بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين
لهم من قول وفعل والدليل ما روي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج على اصحابه
فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من
العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مامورا

بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا فى اتباعه فكان يجب عليه
ان يظهر عليهم محاسن احواله لكى لا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان
ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه فى اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم
واستروحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة
الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا
وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله
على جماعة من الاغنياء لا فى معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذه مراياة ليس بحرام وكذلك
امثاله اما العبادات كالصدقة والصلوة والغزو والحج فللمرائى فيه حالتان احديهما ان لا يكون له قصد
الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم
لا يقتصر على احباط عمله حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم لما دلت عليه الاخبار والايات
والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعبادة وهو التلبيس والمكر لانه قد خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه
من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس فى امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع
عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثانى يتعلق بالله وهو انه
مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا
الى عبدى كيف يستهزئ بى مثاله ان يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة
وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم
يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصدت به عبدا من عبيده فاى استحقار يزيد على ان يقصد العبد
بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل
اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود ارادته واى استهزاء
يزيد على رفع العبد على المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر
نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتى درجات الرياء ولا يخلو شئ منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب
ما به المراياة ولو لم يكن فى الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله
فقد قصد غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت
تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود والركوع من وجه وفى بعض الكتب يا عبدى اختفيت
بالمعاصى فى خلقى وجعلتنى اهون الناظرين اليك ومعناه فى الطاعة اذا كانت لغير وجه الله ومهما زال قصد
تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم
عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل فلا يقدم
عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر
مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم واقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم
فى الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
الاية بل يقول الانبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه
بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس فلا ينبغى ان تشك فى ان المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل

والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا فى صدقته وصلوته فهو الشرك
الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه فى كتاب الاخلاص ويدل ما نقلناه من الاثار من قول سعيد بن المسيب
وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من
بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثة المراياة به والمرايا لاجله ونفس قصد
الرياء الركن الاول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله والثواب واما ان يكون
مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساويا
لارادة العباد فتكون الدرجات اربعة الدرجة الاولى وهى اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذى
يصلى بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل ربما يصلى بغير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء
فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلى بنفسه
لما اداها فهذه الدرجة العليا من الرياء الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث
لو كان فى الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على
العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفى عنه المقت والاثم الثالثة
ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا
انبعثت الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجوا ان يسلم راسا
برأس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه
فى كتاب الاخلاص الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة
ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذى نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه
او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن
الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح الركن الثانى المراياة به وهو الطاعات
وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول
وهى على ثلثة درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد فى النار
وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله
تعالى فى كتابه فى مواضع شتى كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى فى دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك
قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها الاية
وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون
الله الا قليلا والايات فيهم كثيرة وكان فى الابتداء النفاق بكثير ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ابتداء لغرض
وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة
ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة
وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء
لعنهم الله اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الثانية الرياء
باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهو ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله
ان يكون مال الرجل فى يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا من ذمته والله يعلم انه لو كان فى يده لما اخرجها

نعوذ بالله من الكفر والخذلان صح

او بدعة صح

او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا من رغبة ولكن خوفا من الناس او يغزو ويحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرايض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الريا على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة وعاشورا ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جميع ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى من قلبه انه لو خلي بنفسه لما زاد على اداء الفرايض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد يفعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا بترك النافلة لو تركها فكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الريا باصول العبادات القسم الثاني الريا باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع ادمي عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا كمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الريا المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق ولكنه دون الريا باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا خفة الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة من الشيطان عندك وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك لغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك يكون مراقبته للملك اعظم واكثر نعم للمرائي فيه حالتان احدهما ان يطلب لذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وتاذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيات دفع مذمتهم ولا ارجوا عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب ان يحسن الصلوة

ويخلص

ويخلص وان لم تحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيات في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضور الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلي بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الريا بالاضافة الى ما يرى به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث المراءاة لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها وهي ان يكون مقصوده التمكن من معصية كما يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضا والاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوة او الصدقات ليستاثر بما يقدم بها الى استتباع الحجيج ويتوصل عليها منها او يودع الودايع فياخذها ويجحدها او تسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيات الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والذكر وانما قصده التحبب الى غير الله اما امراة او غلام لاجل الفجور او لاجل التزويج بالمراة وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة في سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج احدهم الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة او غلام وهولاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هولاء وان كان دونهم من هو يقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن الفجور بالخشوع واظهار التقوى الدرجة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكا ويشتغل بالوعظ والتذكير ليبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النسا فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة او كالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا ريا محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه الدرجة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كي لا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك من يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار جهارا وتنفس الصعدا واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان لا ينظر اليه بعين الوقار وكالذي راى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلي بنفسه

التجارة لا غيرها و
صح

لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش في يوم عاشورا او عرفة او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم
الناس انه غير صايم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صايم وقد
لا يصرح بانه صايم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه صايم ثم يرى انه مخلص ليس بمراءي
وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب
الماء لم يصبر عن ان يذكر لنفسه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم
او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن انه يعتذر ريا ولكنه يصبر ثم
يعتذر في معرض حكاية عرضت مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الطعام اخوانه
من ماله وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن
اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه علامات الريا فلا يسبق الى اللسان
الا لرسوخ عرق الريا في الباطن واما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم تكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك
منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيه فيكون ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم قنع بعلم الله ولم
يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي
شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الريا ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهي
اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوايب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا
عن العباد الجهلة بافات النفوس وغوايل القلوب **بيان الريا الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل**
اعلم ان الريا جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه لو لا قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه
قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد
كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان نشط له وخف عليه وعلم انه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي
بمجرد ريا الضيفان واخفى من ذلك ما لا يوثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن
في القلب ومهما لم يوثر في الدعا الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس
على طاعته فرب عبد مخلص في عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع
عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادات وهذا السرور يدل على ريا خفي
منه يترشح السرور منه ولو لا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس عليه فلقد كان
الريا مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر
لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الريا حتى يتحرك
على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا
وان كان ذلك لا يدعوا الى التصريح وقد يخفى فلا يدعوا الى الاظهار بالنطق لا تعريضا ولا تصريحا ولكن
بالشمايل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت وذبول الشفتين وجفاف الريق واثار الدموع وغلبة
النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته
ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبداوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا
عليه وان ينشطوا في قضاء حوايجه وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسعوا له المكان فان قصر فيه
مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة
التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس

في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا من غير
شوب خفي من الريا اخفى من دبيب النملة وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد
روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبدون
بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوايج وفي حديث اخر لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن
وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف
ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي
احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان
يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس
فقال السايح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب
الشجر فجعل يحشوا شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت فقال
كالناس وفي حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السايح الحمد لله الذي
صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خايفين من الريا الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الشيطان
ومخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة ويحرصون على اخفايها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك
رجاء ان تخلص اعمالهم فيجازيهم الله في القيمة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيمة
الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن
ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله
اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي والفضة الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي
لا يروج عليهم الزايف والبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي
الا الخالص من النقد فهكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه من التقوى
فاذا شوايب الريا الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او
بهيمة ففيه شعبة من الريا فانه لما قطع طمعه عن البهايم لم يبال به لو حضرت البهايم والصبيان الرضع او
لم يحضروا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لا استحقر عقلا العباد كما استحقر
صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلا لا يقدرون له على رزق واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا
يقدر عليه البهايم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا
للاجر ومفسدا للعمل وفيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور
مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى
مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه
الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له والطافه به فانه
يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار
الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار
الله الجميل وستر القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الاخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ستر الله على عبد في الدنيا ذنبا الا ستره عليه في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة

المستقبل وهذا التفات الى المستقبل والثالث ان يظن ان رغبة المطلعين على الاقتدآء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شئ وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به او ينسبه الى الريآء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته عند الناس حتى يمدحونه ويعظمونه ويقومون بقضاء حوائجه ويقابلونه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبطه

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الريآء فلا يخلو اما ان يكون ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ او ورد مقارنا له فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الريآء فما يطرئ عليه بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله تعالى ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد ريآء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الاثار والاخبار ما يدل على انه يحبط العمل يعني ليس حظه الا ما احب من الحمد فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرات البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قالوا له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الريآء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرئ من العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مرآئاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الريآ قبل الفراغ من الصلوة فان ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل اما اذا ورد وارد الريا قبل الفراغ من الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الريا فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون ريآء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العمل به حبط عمله ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او تذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعآء اذا طاب اخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي ان من رآئى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراة فان كل حرف ينفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة واما اذا كان وارد الريآء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثنآء صلوته ففرح بحضورهم واعتقد الريآء وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا ريآء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب عليه حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان تفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية

جزو

السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقآء اصل قصد الثواب وان ضعفت بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط في امر هو اهون منه وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه يحبط لانه نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه قد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالريا ثم قال فان قيل قال الحسن رحمة الله عليه انما هو سوربان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الريآء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ اذ ليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به لاقتدآء الناس به او لسرور آخر محمود كما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث انه قال اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه الى ابي صالح السمان ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الريآء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل الاظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في الريآ فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الريآء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وساير الاعمال ولا ينبغي ان تفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلوة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فلنرجع اليه فهذا حكم الريآء الطاري بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ القسم الثالث الذي يقارن حال العقد بان يبتدى الصلوة على قصد الريآء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثنآء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قال فرقة لم ينعقد صلوته مع قصد الريا فليستانف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمه الصلوة لان التحريم عقد والريا خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداه بالاخلاص وختم بالريا لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اعترض به عارض الريآء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال تلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلوة فيبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الاخر فهو

ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم
على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر
لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلى بنفسه لم يصل ولما راى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث
لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين
وها هنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة
ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة او قراءة وما ليس فيه تحريم وتحليل او في عقد صلوة او حج
فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط
احدهما الاخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا
فان كان نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال
صلوته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من يصلي التراويح ويتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن
القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه ولو خلى في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد
جدا بل نظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلوته ويصح الاقتداء به
وان اقترن به قصد اخر هو به عاصي فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد منهما لا يستقل
وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده
واستقلاله وان كان باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشا
صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة
لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد
فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة
في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث
في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر الى الصلوة في اول الوقت
لحضور جماعة ولو خلى لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع
بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين
نفس الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد
السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقا
بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا
لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء من صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب
وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله تعالى

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت
عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمر عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل
المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي
يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب
عليه حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء

في قلبه ويترسخ فيه ولا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن
الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله
التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الاول في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله
حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهي حب لذة الحمد والفرار من الم الذمة والطمع لما في
ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روي ابو موسى ان اعرابيا سال النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور ومغلوب
وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو
طلب الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود
اذا التقى الفيتان نزلت الملائكة وكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك
هو اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر يقولون ان فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي راحلته ورقا وقال
صلى الله عليه وسلم من غزى لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه
ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو لا
يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم
غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلون ويصلي ركعات
معدودة لئلا يذم في الكسل ولا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على
الم الذم ولذلك قد يترك السوال عن علم ما هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي
العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه
ما ذكرنا في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد
الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المال فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار
في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه وكذلك طريق
قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه
في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر
حيث ينادي على رؤس العباد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت
قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالتشين عند الله وتقربت
اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله تعالى اما كان احد اهون
عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة
وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فيه فاذا افسد
بالرياء حول الى كفة السيئات فيرجح به فيهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك
كافيا في معرفة ضرره فان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرفعة والرتبة
عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء
هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضاء الناس غاية لا تدرك فكل
ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضاء بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليهم
واسخطهم عليه ايضا ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه

يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع لما فى ايديهم فبان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطا
وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع فى الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد
ولم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطى واذا اصاب
فلا تفى لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يخاف ويحذر منه ولا يزيد ذمهم شيئا مما لم يكتبه الله عليه ولا
يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله
ولا يزيد مقتا ان كان ممقوتا عند الله والعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون
موتا ولا حيوة ولا نشورا واذا قرر فى قلبه افة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان
العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما فى باطنه من قصد الريا واظهار الاخلاص
لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مرائى ضعيف عند الله ولو اخلص لله لكشف الله
لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا جمال فى مدحهم ولا نقصان
فى ذمهم كما قال الشاعر من بنى تميم ان كان مدحى زين فان ذمى شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذلك
الله عز وجل الذى لا اله الا هو اذ لا زين الا فى حمد الله ولا شين الا فى ذمه فاى خير لك فى مدح الناس وانت
عند الله مذموم ومن اهل النار واى شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود فى زمرة المقربين فمن احضر فى
قلبه الاخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات
والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الريا ومقاسات قلوب الخلق وانعطف
من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها قلبه وصدره وينفتح له من لطايف المكاشفات ما يزيد له انسه بالله
ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للاخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه عقد داعية
الريا وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه فى الشطر الاول هى الادوية العلمية القالعة مغارس الريا
واما الدواء العملى فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون
الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روى
ان بعض اصحاب ابى حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له ابو حفص اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه
فلا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص فى اظهار هذا القدر لان فى ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للريا
مثل الاخفاء وذلك يشق فى بداية المجاهدة فاذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك
بتواصل الطاف الله عز وجل وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر
المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما المقام الثانى فى دفع العارض منه فى اثناء العبادة
وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الريا من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه
عن اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه فى اثناء العبادة بل يعارضه
بخطرات الريا ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحى بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض
من خاطر الريا وخواطر الريا ثلثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول
العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس له فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم
يتلوه قبول النفس له او الركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثانى حالة تسمى الشهوة والرغبة
والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة فى دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثانى

فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم
بحالك فاى فايدة فى علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد يذكر ما رسخ فى قلبه من قبل فى افة الريا و
تعرضه للمقت عند الله فى القيمة وخيبته فى احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس يثير رغبته
وشهوة فى الريا فمعرفة افة الريا يثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر فى تعرضه لمقت الله وعقابه
الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذا
لا بد من رد الريا من ثلثة امور المعرفة والكراهية والاباء وقد يشرع العبد فى العبادة على عزم الاخلاص
ثم يرد خاطر الريا فيقبله ولا يحضره المعرفة ولا الكراهة الذى كان الضمير منطويا عليهما وانما سبب ذلك
امتلاء القلب لخوف الذم وحب المحمدة واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى فى القلب متسع لغيره فتعزب
عن القلب المعرفة السابقة بافات الريا وشوم عاقبته اذ لم يبق فى القلب موضع خال عن شهوة الحمد او خوف
الذم وهو كالذى يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجرى
من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلى قلبه غيظا يمنع من تذكر افة الغضب ويشغل عنه فكذلك
حلاوة الشهوة يملا القلب ويدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولا نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودى يا اصحاب الشجرة
فرجعوا وذلك لان القلوب امتلات بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التى تهجم
فجاءة هكذا يكون اذ ينسى معرفة مضرته الداخلة فى عقد الايمان ومهما نسى المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة
ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذى خطر له هو خاطر الريا الذى يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر على ذلك لشدة
شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر فى ذلك لشدة
الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا ريا الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه
اوكد اذ قبل دواعى الريا مع علمه بغايلته وكونه مذموما عند الله ولا ينفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة
وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعى الريا ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة
الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهة فاذا الغرض من الكراهة ان تصرف عن الفعل فاذا لا فايدة الا فى اجتماع
الثلثة الامور وهو المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان
ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل
فى افات الحيوة الدنيا وعظيم نعيم الاخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات
فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هو الذى يغصب القلب ويسلبه
ويحول بينه وبين التفكر فى العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن صادف
من نفسه كراهة الريا وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خالى عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته
اياه الا انه كان لحبه وميله غير مجيب اليه فهل يكون فى زمرة المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العباد الا ما يطيق
وليس فى طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما
غايته ان يقابل شهوتها بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الاخر
فاذا فعل ذلك فهو الغاية فى اداء ما كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم شكوا اليه وقالوا يعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوى بنا الريح فى مكان
سحيق احب الينا ان نتكلم به قال عليه السلام اوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس

بلغ المقابلة

والكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوية للوسوسة
والرياء فان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يدفع
ضرر الاصغر اولى ولذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد
كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك كاما
هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك ولا يضرك ما هو من عدوك فعاتبها عليه فاذا وسوسة
الشيطان ومنازعة النفس لا يضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات
والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من
الايمان ومن آثار العقل الا ان للشيطان هاهنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان
صلاح قلبه الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب الاخلاص وحضور القلب
لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته
عند الله والمخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب الاولى ان يرد على الشيطان مكيدته ولا
يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه
اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع
الطريق نقصان في السلوك الرتبة الثانية ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على
تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل
يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير
مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب الرياء
فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة
غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل
بن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك فقال والله لاغيظن من امرني قيل من امرك قال الشيطان اللهم اغفر له اي لاغيظنه
بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد في حسناته وقال ابرهيم التيمي
ان الشيطان ليدعوا العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا راه كذلك تركه
وقال ايضا اذا راك الشيطان مترددا طمع فيك واذا راك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي
رحمه الله لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالكم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به
فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد منهم لمنعه
وصرفه عنه ودعوته الى مجلس ضال فابى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن
ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه فاستوقفه فوقف فدفع
في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت
ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر به الرابع ولم يتوقف واراد ان يغيظه
فزاد في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير
فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فالشيطان اذا كان لا يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد
له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له ام يجب الاستغراق بالعبادة
والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن

الحذر من الشيطان لانهم قد انقطعوا الى الله فاشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس
من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصار ملاذ الدنيا عندهم وان كان مباحا كالخمر والخنزير عندهم واذ خلوا
منها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهب فرقة من اهل الشام الى ان الترصد
للحذر منه انما يحتاج اليه من قلة يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك له في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم
ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه
ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان
وما ذكره البصريون من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم من حب الدنيا بالكلية وهي وسيلة
الشيطان وكاد يكون غرورا اذ الانبياء لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل
وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره
ولا ينجوا احد من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع ان
شيطانه قد اسلم ولا يأمر الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وساير الانبياء فهو مغرور ولم يأمنهم ذلك من كيد الشيطان فلذلك لم يسلم منه آدم وحوا عليهما السلام في الجنة
التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى مع انه لم ينه الا عن شجرة واحدة واطلق له
وراء ذلك ما اراده واذا لم يأمن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف
يجوز لغيره ان يأمن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال
موسى عليه السلام فيما اخبر الله عنه هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بني آدم
لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقران من اوله
الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ الحذر حيث امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال
بحب الله فان من الحب له امتثال اوامره وقد امرنا بالحذر من العدو وكما امر بالحذر من الكفار وقال تعالى وليأخذوا
اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بامر الله تعالى الحذر من العدو
والكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك وانت لا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد
تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان كيف
وليس في الغفلة من عداوة الكفار الا القتل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب
الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك قادح
في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكيف يقدح في توكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين
غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل لا ينافض امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله فكذلك
يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل
وهذا مما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين
لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام

وهو بعيد ثم اختلف هذه الفرقة على ثلثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله العدو فلا ينبغي
ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر عنه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا
وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله تعالى واشتغال الهم كله بالشيطان عداوته وذلك مراد الشيطان
منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فيجمع بين الامرين
فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا للذكر كنا قد اهملنا ذكر الله فالجمع اولى وقال العلماء
المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه فانا امرنا بالحذر
من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشيا على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي
ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال
به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية
فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان
ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من
الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل
الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند
التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف
على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل
مرات قبل اوانه بما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل
هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله فقد امات منه الهوى واحيى
فيه نور العقل والعلم واماطة ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده
والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى ابصروا
خواطر العدو فمثال القلب مثال بير اريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر الماء الصافي منه والمشتغل بذكر الشيطان
قد ترك فيها الماء القذر فالذي جمع بين ذكر الله وذكر الشيطان فقد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه
جاريا اليه من جانب آخر فيطول تعبه ولا يجف البير عن الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر
سدا وملاه بالصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر وانسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب **بيان الرخصة**
في قصد اظهار الطاعات اعلم ان في الاسرار للطاعات فائدة الاخلاص والنجاة من الريا وفي اظهار الطاعات
فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الريا قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين
ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال تعالى ان تبدوا الصدقات
فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث
بما عمل القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي
جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان
له اجرها واجر من اتبعه وتجري ساير الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء على الطباع
في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل
له لان الغزو في الاصل من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك
الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه به جيرانه واهله ليقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد

والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الريا واما ما يمكن
اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر
افضل لان الايذاء حرام وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية
وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل
من السر ويدل على ذلك ان الله تعالى امر انبياءه باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان
يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام له اجرها واجر من عمل بها وقد روي
في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله
على عمل السر سبعين ضعفا وهذا الاوجه له للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الريا وتم الاخلاص
على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من الظهور ظهور الريا ومهما حصل شائبة الريا
لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به ولا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احدهما
ان يظهره حيث يعلم انه يقتدي به الناس او يظن ان ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به جيرانه دون اهل السوق
ورب رجل يقتدي به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به
الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الريا والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له
الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء
به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الريا الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما
شهوته التجمل بالعمل بكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقويا المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي
ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة
ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا المه
ساعة وليت كان الهلاك بالريا مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة قدم العباد والعلماء فانهم
يتشبهون بالاقويا في الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم بالريا والتفطن لذلك غامض
ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك
في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الريا دون
طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع
اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراياتهم فليحذر العبد خدع النفس فان
النفس خدوعة والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقل ما تسلم الاعمال الظاهرة عن الافات
فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفا وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها امثالنا
فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفا القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل
نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس
لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الريا لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منه فهو
من هذا الوجه اهون فالحكم فيه ان من قوي قلبه عليه وتم اخلاصه صغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم
وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتدا والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت
عن جميع الافات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقويا
قال سعد بن معاذ ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي

قابلة وما هو منقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر ما ابالي اصبحت
على يسر او على عسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها
وقال عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن
اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث
بها حتى ندرك الغدا وقال ابو سفين لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت
وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله لي بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع
قدر الله فهذا كله اظهار احوال شريفة وفيها غاية المراياة اذا صدرت ممن يرى بها وفيها غاية الترغيب اذا
صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتدا جائز للاقويا بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب
اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه
خير كثير للناس لكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراي عند الله تعالى وقد روي
انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران من البيوت فصنف بعضهم
كتابا في دقايق الريا فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار
المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياءه وان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا اخلاق لهم كما ورد
في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم **بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس**
عليها وكراهة ذمهم لها اعلم ان الاصل في الاخلاص استوآء السريرة والعلانية كما قال عمر لرجل عليك
بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك غيرك لم تستحي منه وقال ابو مسلم
الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة
لا ينالها كل احد ولا يخلوا الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما
ما يختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه ربما يظن انه رياء
محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا
هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده ويصح اغتمامه باطلاع الناس
عليه من ثمانية اوجه الاول هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله عليه ستره وخاف ان
يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر ان من يستر عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة هذا غم ينشا من قوة
الايمان والثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب
شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا
ينشاء من قوة الايمان لكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا
ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع
يتاذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى
ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة
من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث تاذى طبعه فان الذم مولم للقلب
كما ان الضرب مولم للبدن وتالم القلب بالذم ليس بحرام والانسان به عاصي وانما يعصي اذا اجزعت نفسه
من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به
نعم كمال الصدق في ان يزول عن رويته الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله

واخطمها بخطام المنع الا

وان العباد

وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع يتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب
تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهدآء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى
نقصانه في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع
ولا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب المدح بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في
نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم
فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه
الناس حمدا او ذما فكم من صابر عن لذة الحمد ولا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب للذة وعدم اللذة لا يولم
واما الذم فانه مولم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب عمل الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا
محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية
النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر الخامس قد يكره الذم من حيث ان الذام
قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين
غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع السادس ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء
الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته فان كان ممن يومن شره وقد يخاف شر من يطلع
على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه السابع مجرد الحيا فانه نوع الم ورآء الم الذم والقصد
بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبي مهما اشرق عليه نور العقل ويستحي من القبايح اذا شوهدت منه
وهو وصف محمود قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا ياتي الا بالخير
وقال ان الله يحب الحيي الكريم الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس قد جمع الى الفسق التهتك
والوقاحة فقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحيا ممزوج بالريا ومشتبه به اشتباها عظيما
قل من يفطن له ويدعي كل مرائي انه مستحيي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب
بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه داعية الريا وداعية الاخلاص فيتصور ان يخلص معه
ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخوا باقراضه الا انه يستحيي
من رده وعلم انه لو ساله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا يطلب ثواب فله عند ذلك احوال
احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل
او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلثة احوال احدها ان يمزج الريا بالحيا بان يهيج الحيا فيقبح عنده الرد فيهيج
خاطر الريا ويقول ينبغي ان يعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخا او ينبغي ان يعطي حتى لا يذمك ولا
ينسبك الى البخل واذا اعطى فقد اعطى بالريا وكان المحرك بالريا هو هيجان الحياء الثاني ان يتعذر عليه
الرد بالحيا فيبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطا فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة الواحدة
والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فتسخوا النفس بالاعطا
لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه الثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب
لمدحته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحيا وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحيا
لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فهذا مجرد الحياء
ولا يكون هذا الا في القبايح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في
المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحيا

علي هذه القسم

ضعيف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس في الصلوة وهو في الصبيان
والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد يشاهد معصية من شيخ فيستحيي من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله
اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان يستحيي من الله فلا يضيع الامر بالمعروف فالقوي
يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح
والذنوب الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط
هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة ثم بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان
ان يخفي العاصي معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر هذه الذنب الاعذار الثمانية وليس
في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان
مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم
اياه بسببه وقد قال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا
يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا
وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده
والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم ومدحهم على حجك وغزوك وصلوتك وعلى طاعة لعينها فان ذلك طلب
عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات
المحمودة المعينة فحبك ذلك كحب المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال ولا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الافات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان
يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة الشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الافات على ما
نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات
وانما يصير لذيذة من حيث انها يوصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو
لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلوة
والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة
القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا يتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات
الرياء فيها ثلثة احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا
ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيها فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع
عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيي من مولاك لا تسخوا بالعمل لاجله وتسخو بالعمل لاجل عباده حتى
اندفع باعث الرياء وسخت النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة عليه فليشتغل بالعمل الثانية
ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا
فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء ويحصل الاخلاص بالمجاهدة والمعالجة التي ذكرناها من الزام
النفس كراهة الرياء والاباء على القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في
الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص فيرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك
اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعته بقي يقول لك هذا العمل
ليس بخالص وانت مرائي وتعبك ضايع فاي فايدة في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا
تركته فقد حصل غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة وفيها تراب

المحدودة

فليعمل لله

بالمعالجة

وقال

وقال خلصها من التراب ونقها منه تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم يخلص
خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل
ان يترك العمل من اصله خوفا على الناس ان يقولوا انه مرائي فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه
اولا يسيء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بالناس ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة
وترك العمل خوفا من قولهم انه مرائي هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مرائي
او انه مخلص فاي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مرائي وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال
انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع
في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل
ليقال انك مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فاذا هربت ودخلت سربا تحت الارض
في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص بل لا نجاة
منه الا ان تلزم نفسك وقلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الاخرة ولا نفع فيه في الدنيا ليلزم الكراهة
والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان الطبع قال ذلك لا ينقطع
وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل
وجاهد خاطر الرياء فالزم قلبك الحياء من الله تعالى اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو
مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء
من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال الشيطان لك انت مرائي فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة
الرياء وابائه وخوفك منه وحياؤك من الله تعالى وان لم تجد في قلبك منه خوفا وله كراهية ولم يبق باعث ديني
بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله فانه لا بد وان يبقى معه اصل قصد
الصواب فان قلت قد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابرهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف
وترك القراءة فقال لا يرى هذا انا نقرا كل ساعة وقال ابرهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك
السكوت فتكلم وقال الحسن كان احدهم ليمر بالاذى لا يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء
فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد في ذلك اثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات
مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى
عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون
الضعفاء فالافضل ان يستمر العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف
الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء فاما اطباق ابرهيم النخعي المصحف يمكن ان يكون
لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستينافها بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فراى ان لا يراه في القراءة
ليكون ابعد من الرياء فهو عازم على الترك للاشتغال بها حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك رفع الاذى من الطريق
فذلك مما يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه من عبادات هي اكثر من رفع خشبة من الطريق
فيكون تركه ذلك للمحافظة على عبادات هي اكثر منها لا بمجرد خوف الرياء واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت
يجوز ان يكون قد اراد به مباحاة الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب
بالسكوت المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم يبض عليه
على ان للآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع من القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق

بالناس ولا تعظم فيه الافات ثم كلام الحسن فى تركهم البكا واماطة الاذى بخوف الشهرة ربما كان حكاية
عن احوال الضعفا الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقايق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة
الشهرة وزجرا عن طلبها القسم الثانى ما يتعلق بالخلق ويعظم فيه الافات والاخطار واعظمها الخلافة ثم
القضا ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهى من افضل العبادات اذا
كانت مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين
عاما وقال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة ثلث الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم
ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس منى مجلسا يوم القيمة امام عادل
رواه ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يحترزون منها ويتركونها و
يهربون من تقلدها وذلك لما فيهما من عظم الخطر اذ يتحرك به الصفات الباطنة ويغلب على الناس حب الجاه
ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا فى نفسه
ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح فى جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد فى مكانته
وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جاير شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الذى ذكرناه
ولهذا الخطر العظيم كان يقول عمر رضى الله عنه من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم
ما من والى عشرة الا جاء يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه ولا يفكها الا عدله وفى رواية اخرى اطلقه عدله او اوبقه
جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا امير المومنين اشير علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان
رجلا ولاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم خر لي فقال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن
بن سمرة اذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسئل الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت
عليها وان اوتيتها بمسئلة وكلت اليها وقال ابو بكر رضى الله عنه لرافع بن عمر لا تامر على اثنين ثم ولى هو الخلافة فقام
بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامر على اثنين وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وانا اقول
لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعنى لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما قد ورد فى فضل الامارة
مع ما ورد من النهى عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقويا فى الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد
الولايات وان الضعفا لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعنى بالقوى الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع
ولا تاخذه فى الله لومة لايم وهم الذين سقط الخلق من اعينهم وزهدوا فى الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق
وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان وايس منهم فهولاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت
فيها ارواحهم فهم اهل نيل الفضل فى الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض فى الولايات
ومن جرب نفسه يراها صابرة على الحق كافة عن الشهوات فى غير الولاية ولكن خاف عليها ان يتغير اذا ذاقت
لذة الولاية وان يستحلي الجاه ويستلذ نفاذ الامر فيكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف الفقها
فى انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية ام لا فقال قايلون لا يجب لان هذا خوف امر فى المستقبل وهو فى الحال
لم يعهد نفسه الا قويا فى ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة
مدعية للحق واعدة بالخير ولو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليه ان تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت
التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مولم وهو كما قيل طلاق الرجال المولهة فاذا
شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوى به فى قعر جهنم ولا يستطيع النزوع
منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل من يحب الولاية ومهما مالت النفس الى طلب

الولاية

فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين عاما صح

الولاية وحملته على السوال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا نولى امرنا من سالناه
فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف عرفت ان نهى ابى بكر رضى الله عنه رافع بن عمر عن الولاية ثم تقلده
لها ليس بمتناقض واما القضا فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو فى معناها فان كل ذي ولاية
امير لان له امرا نافذا والامارة محبوبة بالطبع فالثواب فى القضا عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه عظيم
ايضا مع العدول عن الحق وقال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلثة واحد فى الجنة واثنان فى النار وقال
من استقضى فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الخلافة ينبغي ان يتركها الضعفا وكل من للدنيا ولذاتها وزن فى
عينه وليتقلده الاقويا الذين لا تاخذهم فى الله لومة لايم ومهما كانت السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضى
على القضا الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق
لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضا وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل
عذرا مرخصا له فى الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضى لله تعالى
لا تسمح به نفسه فهو اذا يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة فى الدرك
الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجميع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه
الجاه ويعظم به القدر فافته ايضا عظيمة مثل افة الولايات بل اشد وقد كان الخايفون من السلف يتدافعون
الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي
ودفن بشر كذا كذا قمطرة من الحديث وقال انى اشتهى ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد
فى وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على
قلبه مال الطبع الى كل كلام مزخرف مروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام حق يستثقله العوام وان
كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته فى قلوبهم فلا يسمع حديثا
وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه
عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه
الحكمة فاقصها ليشاركني فى نفعها اخوانى المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولاية
فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يترك ويخالف الهوى فيه
الى ان يرتاض نفسه ويقوى فى الدين قلبه ويامن على نفسه الفتنة فبعد ذلك يعود عليه فان قلت مهما حكم بذلك
على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب
الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذ بحقها وقال
نعمة المرضعة وبئست الفاطمة واراد بها الامارة لو تعطلت ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين
والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وبطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك ولم ضرب
عمر ابى بن كعب حين راى قوما يتبعونه وهو فى ذلك يقول ابى سيد المسلمين وكان يقرا عليه القران ويقول انزل على
وامرت ان اقرا عليك فمنع من ان يتبعوه وكان ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر رضى الله عنه كان
بنفسه يخطب ويعظ الناس ولا يمتنع منه واستاذن عمر رجل ان يعظ الناس اذا فرغ من صلوة الصبح فمنعه
فقال اتمنعني من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه مخايل الرغبة فى جاه الوعظ وقبول
الخلق والقضا والخلافة مما يحتاج الناس اليه فى امر دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفى كل واحد فتنة
ولذة فلا فرق بينهما فاما قول القايل نهيك عن ذلك يودى الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان كان من

كان

صلى الله عليه وسلم

عن القضا ولم يؤد الى تعطل القضا بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك
العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها الفتوى والرياسة
لافلتوا منها وكسروا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا
خلاق لهم فلا يشتغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان
في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عند الخوف الا امتناع بعضهم والا فنعلم ان كلهم لا يمتنعون
ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته
في الظاهر ويتخيل الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول اشتغل
وجاهد نفسك فان قال لست املك نفسي فنقول اشتغل وجاهد فانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس
كلهم اذ لا قايم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه
وحده فنجعله فدا للقوم ونقول لعل هذا الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام
لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ
في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف
للمسلمين بل فيه الترجيه والتجرية على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال
وخلفاء الشيطان انما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد
غيره ومما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوايله
ولقد قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تامرون وتدرسون
ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم
وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلكم انتم تخرجون الحكم من
افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع
منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم
آخرتكم بصلاح الدنيا فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى
متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا
ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون
نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقيا ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا
ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم العلم من خلفكم
ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم فقد روى الحارث المحاسبي
هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هولاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا
ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت
فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغايب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله
عنه لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى الهدى
واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضايل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك
مراياة الخلق كما يقال لمن خالجه الريا في الصلوة لا تترك العمل ولكن اتم العمل وجاهد واعلم ان فضل العلم كثير
وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما الآفة

في اظهاره بالتصدي للوعظ والدرس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا
دينيا ممزوجا بباعث الريا فاما اذا لم يحركه الا الريا فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا
تجرد فيها باعث الريا وجب تركها اما اذا خطر له وسواس الريا في اثناء الصلوة وهو له كاره فلا يترك الصلوة
لان آفة الريا في العبادات ضعيفة وانما يعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة
فالمراتب ثلثة الاولى الولايات والآفة فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية الصلوة
والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقويا السلف وضعفاؤهم ولم يوثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف
الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع قيام العمل لله تعالى بادنى قوة الرتبة الثالثة وهي متوسطة
بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات
واكثر مما في الصلوات فالصلوة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الريا والولايات
ينبغي ان يتركها الضعفا راسا دون الاقويا ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها
بالولايات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه
للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخا استجلاب الثنا وفي ادخال السرور على قلوب الناس
لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك واخر طلب
فوق قوته ثم تصدق بالفاضل فقال القاعد افضل لما تعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد
تركها قربة الى الله وقال ابو الدردا ما سرني ان اقعد على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا
اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرى ولكن اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وقد اختلف العلما فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منه وتصدق فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات
والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطا يشغل عن الله وقال عيسى عليه السلام
يا طالب الدنيا لتبر تركك لها ابر وقال اقل ما فيه انه يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا
فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفة الريا فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف انه افضل وبالجملة ما
يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات فالاحب ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر فليجتهد
وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة
ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقل ما تستلذ الخير وتميل اليه وان
كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول
الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال
ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل
من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق والتجرد للذكر وذلك
لما في الكسب من الآفات فاما المال الحلال الحاصل فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت فباي علامة
يعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد ريا الناس فاعلم ان لذلك علامات احديها انه لو
ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس اشد له قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو
ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فنظر الى الخلق
بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة
يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض

ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت فى المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة
الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما راه الحسن متوجها اليه تجافى له
عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسى حتى صار بينى وبين الحسن فرجة مجلس للحجاج
فجاء الحجاج حتى جلس بينى وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به فى كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت
فى نفسى لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد فى كلامه ويتقرب اليه او يحمل الحسن
هيبة الحجاج اليه ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به فى كل يوم حتى انتهى الى اخر كلامه
فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به وسكت رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ
وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها واتخذوها خلقا وعادة فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها ثم قال
افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن
حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبوا انى رجل شيخ كبير وانى اغزى فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا
وان لى ثلثمائة درهم من العطا وعلى سبع بنات من العيال فشكى من حاله حتى رق له الحسن واصحابه ومن حضر والحسن
مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا
الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا فى الفسطاط والهيابة وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه
طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى جنب الحسن فسعى
به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحجاج حتى ارسل الى الحسن فاتوه فقالوا اجب الامير فقام الحسن فاشفقنا
عليه من شدة كلامه الذى تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم واقل ما رايته فاغرا فاه يضحك
انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد فى مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانهم يظنون ان الخيانة ليست
الا فى الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى ناحيته ثم ينطلق فيسعى بنا الى شررة
من نار انى اتيت هذا الرجل فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزى عدو الله غزا كذا واذا اغزى اخاه
اغزاه كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس انا على ذلك لانتهم لنصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله
عنى فركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذا التفت فراى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة
او تسالون عن شىء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وامثالها يتبين سريرة الباطن
ومهما رايت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فهم الخاسرون

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب روية الخلق وما لا يصح

اعلم ان الرجل قد
يبيت مع القوم فى موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم فى بيته
ساعة قريبة فاذا راهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلى مع انه كان لا يعتادها الصلوة
بالليل اصلا وكذلك قد يقع فى موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط فى الصوم ولولاهم لما انبعث
هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان
كل مومن راغب فى عبادة الله وفى قيام الليل وصيام النهار ولكن قد يعوقه عوايق وتمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن
من الشهوات او يستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او يندفع العوايق والاشتغال
فى بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل فى منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم
على فراش وثير وتمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اقاربه واهله والاشتغال باولاده او مطالعة حساب

له مع معامليه فاذا وقع فى منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التى تفتر رغبته الخير وحصل اسباب باعثة
على الخير بمشاهدتهم اياه وقد اقبلوا على الله تعالى واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم فيشق عليه
ان يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او بسبب
اخر فيغتنم زوال النوم وفى منزله ربما يغلبه النوم ويضاف اليه انه فى منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد
دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع ساير العوايق وقد يعسر عليه
الصوم فى منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه ساير
العوايق فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوايق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم
عنها قوى الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه
معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل فى البيت
ولا تزيد على صلوتك المعتادة وقد يكون رغبته فى الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل
لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته
ويقول عند ذلك الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلى لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلى كل ليلة لكثرة
العوايق وانما داعيتك لزوال العوايق لا لاطلاعهم وعند ذلك قد يقول الشيطان هذه الكلمات وهذا
امر يشتبه الا على ذوى البصاير فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغى ان يزيد على ما كان يعتاده ركعة
واحدة لانه يعصى الله تعالى بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوايق وتحرك
الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو راى هولاء يصلون
من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو فى ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه
فان سمحت نفسه به فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان
باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة فى الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان
يكون لحب حمدهم ويمكن ان يكون سبب تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى
وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع فى النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين
فلا ينبغى ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغى ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة
وكذلك قد يبكى جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى
ولكن بكاء الناس يؤثر فى ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على
نفسه قساوة القلب حين يراهم يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان
يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد
ذلك عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسى القلب فينبغى ان يترك التباكى فقد
قال لقمن لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين
عند القران او الذكر او بعض مجارى الاحوال تارة يكون من الصدق والخوف والحزن والندم والتاسف وتارة
يكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة نفسه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن به
الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهى الرياء وان اقترنت بداعية
الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه
وتعرض لسخط الله به وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد فى رفع الصوت فتلك الزيادة رياء

وهو محظور لانها في حكم الابتداء بمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق
خاطر الرياء فيقبله ويدعوا الى زيادة تحزين للصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر بعد ان
استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف عن الخوف
قواه فيسقط ثم يستحي ان يقال له انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا
ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق
سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليري
دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعفة ولكن تزول ضعفته سريعا فيجزع ان يقال لم يكن غشية صحيحة ولو كانت
لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكي على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى
ليظهر انه ضعف عن سرعة المشي فهذه كلها مكيدة الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر
ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما
روي عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ اتق الذي يراك حين تقوم
فجلس الشيخ فكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق
ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد
يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراياة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متشابهة
وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه
واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عنك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة
ام لا لخوفك على الاخلاص فيه واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك
مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله تعالى عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلثة نفر الذين
حاجوا ايوب اذ قالوا يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته
وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما
اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي ويقبح لك فيما اخلوا سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي
ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوا عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا
منهم اليك بسيأتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك فاعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلثة نفر
لايوب عليه السلام يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن
تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر ان الرياء سبعون بابا وقد عرفت
ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو اخفى
من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد
للقلب وامتحان وتفتيش للنفس عن خدعها **بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه** اعلم ان
اولى ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته فلا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف
الا الله ولا يرجوا الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة
فليلزم نفسه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات
العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل
العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى

باخفائه

باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون من الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه
ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الاباد وعظم غضب الله ومقته على من
طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره تحبب اليهم وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول
وكيف ابيع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان
ان يأيس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص
لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرايضه كاملة تامة والمخلط لا يخلوا
فرايضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرايض وهلك به فالمخلط
الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص
فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار
فياتي المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ديون كثيرة فاجتهاده في جبر الفرايض وتكفير السيات ولا يمكن
ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح
عن السيات فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه بعد ذلك
الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله
من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده ويجوز ان يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية
ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء الفعل بل ينبغي ان
يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع في العمل ومضت لحظة يمكن
فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شايبة خفية احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه
اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل باخلاص وشك في انه هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك
تعظم لذته في المناجات والطاعات والاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر
خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله تعالى بالسعي في حوايج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم
نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضا حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون
شكر ومكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع المعلم من المتعلم مساعدة في
شغل وخدمة او موافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب
له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن ان خدمه التلميذ بنفسه
فقبل خدمته فنرجوا ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظر ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا
قد كان العلماء يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بير فجاء قوم وادلوا الحبل ليأخذوه فحلف عليهم ان لا
يقف معهم من قرأ عليه اية من القران او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفين
الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن
اخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفين ببدرة او
بدرتين وكان ابوه صديقا لسفين وكان سفين ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شيء
فقال رحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه فقال يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار الى هذا المال فاحب ان
تاخذ هذا تستعين به على عيالك قال فقبل سفين ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع
فقال لاحب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه في الله تعالى فكره ان ياخذ ذلك

قال ولدي فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت له ويلك اي شيء قلبك هذا حجارة عندانه ليس لك عيال
اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فاكثرت عليه قال تالله يا مبارك ناكل هنيئا مريئا واسئل عنها انا
فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه
طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة عند الله لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي المعلم
بطاعته لينال عنده رتبة فيتعلم منه وهو خطاء لان ارادة غير الله بطاعته خسران في الحال والعلم ربما يفيد
وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله تعالى ويتعبد لله
تعالى ويخدم المعلم لله تعالى لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا
ان لا يعبدوا الا الله مخلصين له الدين ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدم
لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضاء الله تعالى في رضاء الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال
بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله تعالى عن ريائه ويسقط منزلته من قلوب الوالدين
ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده
واستعظامهم لمحله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر العبادات عليه في خلوته به وانما سلوته معرفة الناس
باعتزاله واستعظامهم لمحله ولا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابرهيم ابن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال
له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما
طعامك قال يا حنيفي ما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قال فما الذي يهيج
من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال اترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم ياتون في كل سنة يوما واحدا
فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة
فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك
قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما
ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت علي النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قال
من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ
فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومت عشرين
الف دينار لاعطوك هذا عز من لا يعبده فانظر كيف يكون عز من يعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب
والمجي فالمقصود استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم
نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم
لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان
في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك الا خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور
يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون
اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينبسطوا اليه
فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض
فليطالبها في دعوتها قصد الانقباض بموثق من الله عز اسمه وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان
يعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون
مرادها بالمنزلة عندهم ولا ينجي عن ذلك الا ان يتقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل

من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا بخطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها
فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر
فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع
فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مرائي او طماع
والا فالنظر الى الفقراء يزيد في رغبة الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه
فكيف يستروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يروا في مجلس اذل منهم في مجلس
الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة
اكرام الغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينهم صداقة سابقة وحق ولكن يكون بحيث لو وجدت
تلك العلامة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني
فايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر
الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك لرياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية
له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند
عند الغني بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس
وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة
على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون
في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف
الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسعت الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما
عرف ذلك جالس الاطباء وحاذق الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة فصبر على بشاعتها وهجر
جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا
لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع عليه واداء ذلك الى الموت
المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه
من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه
مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له
في اخرته وهي لذات الدنيا وزهراتها فاجتزا منها بالقليل واختار الذبول والنحول والوحشة والحزن
والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله تعالى فيهلك ورجاء ان ينجو من عذابه
فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الاباد
ثم علم ان الله تعالى كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم
عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل العبد التعب في بدايته
اقبل الله عليه بالمعونة والمعرفة والتيسير وحط عنهم اعباءه وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه من
لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن ساير اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده
بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول عز وجل من تقرب الي شبرا تقربت
اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده
وصدقه واخلاصه ولا يعوزه مراقبة من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمته فانه الجواد الكريم

كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي
لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين خاشع فهو
القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق
جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع
عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة
عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت
فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلوة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره
اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا **اما بعد**
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمتعجب
سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين
الذي شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح الموذيات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب
في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب **الشطر الاول** من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم
الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به
الكبر وبيان البواعث على الكبر واسبابه المهيجة له وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التواضع والتكبر
وبيان علاج التكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم فيه **بيان
ذم الكبر** قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه العزيز وذم كل جبار عنيد متكبر فقال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا
عتوا كبيرا وقال الذين يستكبرون عن عبادتي الاية وقال تعالى ومن يستنكف عن عبادتي ويستكبر وقال تعالى اليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون وقال تعالى فبئس مثوى
المتكبرين وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من
خردل من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن
نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على المروة
فتوافقا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو يزعم
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب ويجئ بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب
وقال سليمن بن داود عليه السلم يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي
الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا يقول
لو كان في قلب صاحبك مثقال ذرة من كبر لخسف به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق
له اذنان يسمعان وعينان يبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من ادعى مع الله
الها آخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الخلق ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم

متواضع خاشع

المرديات

تحاجت

تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء
الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما
انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحد منكما ملؤها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد
عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى وتكبر بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد
سهى ولهى ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل
يا رسول الله ما اعظم كبر فلان قال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعى ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما
عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما بينهن لو وضعت في كفة الميزان ووضع
لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت
لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال عيسى
عليه السلام طوبى لمن علمه الله تعالى كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اهل النار كل جعظري
جواظ متكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المغلوبون وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الينا واقربكم في الآخرة
منا احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم علينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون قيل يا رسول الله
قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة
ذرا في صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار
يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون
يوم القيمة في صور الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي برده فقلت
له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حقا
على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل
فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفحة الكبرياء وقال عليه الصلوة
والسلام من فارق روحه جسده وهو برئ من ثلثة دخل الجنة الكبر والخيانة والدين الآثار قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة
عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب ابن الزبير على سريره
فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وجلس الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك في وجهه فقال
عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين
ثم يتكبر يعارض جبار السموات والارض وقد قيل في معنى قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط
والبول وعن محمد بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل
من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة قال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان
للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر بما اعطاه الله والكبر على عباد
الله واتباع الهوى في غير ذات الله **بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في
بردته اذ اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من جر
ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه الى يوم القيمة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد يجره

بحج

المتفيهقون

والغلول

فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره
خيلاء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم
اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد
جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان صدقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مشت
امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال
صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان الآثار عن ابي بكر الهذلي
قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض
على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه
مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير الماخوذ بامر الله
فيها ولا المؤدى حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من اعضائه لله
نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما
سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب
وعليه بردة حسنة فدعاه وقال ابن آدم معجب بشبابه معجب بجماله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت
عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف
فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في جوفه خرء فقال عمر
كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه
فقال اتدري من انت اما امك فقد اشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن
عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلثه ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير
رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني
فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة فمضى المهلب وترك
مشيته تلك وفي ذلك قال محمود الوراق عجبت من معجب بصورته وكان بالامس نطفة مذرة وفي غد بعد حسن
هيئته يصير في قبره جيفة قذرة وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذرة وقال مجاهد ذهب الى اهله
يتمطى اي يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان
وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير
معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا
فيه شيئا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد فيه حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا
من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه
الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من اصحابه
في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فخذه فقال اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به

زمانة

زمانة مثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر
ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت اليه راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع
النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات لاجلي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع
واليقين الغنى وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى
للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين
ينظرون الى الله يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام
وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال النبي صلى الله
عليه وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد
في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله تعالى الى السماء السابعة
وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يطعم فجاءه رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي
صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهناه لاهله يدفع به
الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال
التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم
فان ذلك لهم مذلة وصغار الآثار قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال
انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره وضعه الله الى الارض وقال اخسأ اخساك الله فهو في نفسه كبير
وفي اعين الناس صغير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها
رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي
فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير
اتدري ما ظلمة النار يوم القيمة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت
عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع
من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع فقال هو ان تخضع
للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته منه وقال ابن المبارك راس التواضع
ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن
هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا
او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك بنعمة
فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها
لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها
لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل
لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن
قدرة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك
فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرا آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده

فعف فى حماله وواسى فى ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص عباد الله فدعى هرون بدواة
وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمن ابن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنيا والاشراف
حتى يجى الى المساكين ويقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنيا فى الثياب
الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقرا فى الثياب المرتفعة ويروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتدارسون
التواضع فقال لهما الحسن اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له
عليك حقا وفضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودى
فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمن ان الله اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا
اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات
لم اشك فى الرحمة لولا انى كنت معهم انى اخشى انهم حرموا بسببى ويقال ارفع ما يكون المومن عند الله اوضع ما يكون
عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميرى الزاهد بغير تواضع كالشجرة
التى لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادى بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقنى
احدا الى الباب الا رجل بفضل قوة اوسعى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال
الفضيل ابن عياض من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت
الى محمد بن مقاتل فقلت يا با عبد الله انت امامنا فادع الله تعالى لنا فبكى ثم قال يا ليتنى لم اكن سبب هلاككم
قال فرايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى ان الله تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلى
فقال له ما انت وكان اراد بهذا دابه وعادته فقال انا النقطة التى تحت الباء فقال له الشبلى اباد الله تعالى
شاهدك او تجعل لنفسك مكانا وقال الشبلى فى بعض كلامه ذلى عطل ذل اليهود ويقال من راى قيمة لنفسه
فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت يا
امير المومنين عظنى فقال ما احسن التواضع بالاغنيا فى مجالس الفقرا رغبة منهم فى ثواب الله تعالى
واحسن من ذلك تيه الفقرا على الاغنيا ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمن لا يتواضع العبد حتى يعرف
نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون العبد متواضعا
فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ويتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه تعالى ومعرفته بنفسه وقال
ابو سليمن لو اجتمع الخلق على ان يضعونى كاتضاعى عند نفسى ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد
مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكى الشريف اذا تنسك تواضع
والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع
فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنيا احسن والتكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقرا اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله
ولا رفعة الا لمن تواضع لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو على
الجرجانى النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة
واذا اراد الله تعالى به خيرا لطف به فاذا هاجت فى نفسه نار الكبر ادركها بالتواضع مع نصرة الله تعالى واذا
هاجت نار الحسد فى نفسه ادركها بالنصيحة مع توفيق الله تعالى واذا هاجت فى نفسه نار الحرص ادركتها القناعة
مع عون الله تعالى وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة فى مجلسه لولا انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
يكون فى اخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده
ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيا حتى يرفعها او يضعها وعن عمر بن

الجرجانى

شبيه

شبيه قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس
يمينا وشمالا ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت يوما على الجسر فاذا انا
برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال لى ما لك تنظر الى فقلت له شبهتك برجل
رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال انى ترفعت فى موضع
يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع به الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابرهيم النخعى هيبة الامير
وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان السوء وكان عطاء السلمى اذا سمع صوت الرعد
قام وقعد واخذته بطنه كانه امراة ماخض وقال هذا من اجلى يصيبهم لو مات عطا لاستراح وكان بشر
الحافى يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعى رجل لعبد الله بن مبارك فقال اعطاك الله
ما ترجوه فقال ان الرجا يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان رضى الله عنه يوما
فقال سلمان لكنى خلقت من نطفة قذرة مذرة ثم اصير جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم فان خف
فانا لئيم فقال ابو بكر رضى الله عنه وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع **بيان حقيقة
الكبر وآفته** اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن والى ظاهر فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو اعمال تصدر من
الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال
ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذى فى النفس
وهو الاسترواح والركون الى روية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وبه
ينفصل الكبر عن العجب كما سياتى فان العجب لا يستدعى غير المتعجب بل لو لم يخلق الانسان الا واحدا تصور ان
يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال
فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفى ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره
اعظم من نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفى ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره
مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغى ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند
هذه الاعتقادات الثلث يحصل فيه خلق الكبر الا ان هذه الروية هو الكبر بل هذه الروية وهذه العقيدة
تنفخ فيه فيحصل فى قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز فى نفسه بسبب ذلك فتلك العزة
والهزة والركون فى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك
قال عمر رضى الله عنه اخشى ان تنفخ حتى تبلغ الثريا للذى استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح فكان الانسان مهما راى نفسه
بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة فى النفس من هذه الاعتقادات
وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس فى قوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم
يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضى اعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمراته وتسمى ذلك
تكبرا فانه مهما عظم عنده قدر نفسه بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده
وترفع عن مجالسته ومكالمته وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك
استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيانف عن مساواته
ويتقدم عليه فى مضايق الطرق ويرتفع عليه فى المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان يقصر فى قضاء
حوايجه وتعجب منه وان حاج اوناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف فى النصح
وان رد عليه شى من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر

او مثل نفسه

الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر
من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص
من الخلق وقل ما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول
بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس تغلق تلك
الابواب كلها لانه لا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يسلم عن
الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر
اليه ليحفظ عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه
مثقال حبة من كبر والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داعي الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر
ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الايات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين
قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون الى قوله وكنتم عن اياته تستكبرون
ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا
على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون وقال تعالى قال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير
سارفع فهم القران عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت قال ابن جريج ساصرفهم عن
ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا
كذلك الحكمة تعمر في قلوب المتواضعين ولا تعمر في قلوب المتكبرين الا ترون انه من شمخ براسه الى السقف
شجه ومن تطاطا اظله واكنه فهذا مثل ضرب للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال المتكبر من سفه الخلق وغمص الناس

بيان درجات المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او ساير
الخلق وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلثة
اقسام القسم الاول التكبر على الله وهو افحش انواع الكبر لا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان
من نمرود لعنه الله فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء تعالى الله وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى
عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذا استنكف ان يكون عبد الله وما
استنكف احد من الانبياء والملائكة المقربون ان يكون عبد الله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه
جميعا ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي الاية وقال واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما
الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا القسم الثاني التكبر على الرسل وذلك من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد
وهو ظان لبس مثل ساير الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره
فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع
للرسول كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقوله ان انتم الا بشر مثلنا وقوله ولئن
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين قال الله
تعالى فاستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام

يا فرعون امن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا
تعبد فاستنكف من عبودية الله ومن اتباع موسى وقالت قريش لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم قال قتادة هو الوليد بن المغيرة وابن مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه
وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض ليتخذ بعضهم سخريا وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس
اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله ولا
تطرد الذين يدعون ربهم الاية وقال تعالى ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا اخبر الله تعالى
عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين استرذلوهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
اتخذناهم سخريا قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر
عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله
تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الاية وقال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا
الكبر قريبا من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله القسم الثالث
التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم ويدعوهم الى الترفع
عليهم فتزدريهم وتستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم
من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد والمملوك
الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا يليق
الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه
للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى
الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق
الابي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي فاذا كان التكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى
عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما هو حق الملك ان يستاثر به
منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق
كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين
هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده و
استخدامهم وبين منازعته في اصل الملك الوجه الثاني الذي يعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى
في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين
في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق
على لسان واحد منهم انف الاخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق
الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم
تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل
ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وقد روي عن عمر رضي الله
عنه انه من قراها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف فقتل فقام اخر وقال تقتلون الذين يامرون

بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله
قال عليك بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت
فما منعه الا كبره فقال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله
وانما ضرب ابليس لهذا مثلا وما حكى من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال
خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله به فكان مبداه الكبر على آدم
والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله وكان ذلك سبب هلاكه ابد الاباد فهذه آفة من آفات الكبر
على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ ساله ثابت بن قيس
بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم
لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم
وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق وهو رده وهي الآفة الثانية وكل من
راى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر
فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين
الله تعالى والرسل **بيان ما به التكبر** اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد
لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك ترجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب
والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم
وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدؤوه بالسلام
فان بدأ احدهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة راى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه
شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا
على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالط
منهم في حوائجه فان قصر فيه استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف
اليه واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى
وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا
اولى من يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء
وعظم خطر العلم فيه كما سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا [تواضعا]
وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون اشتغاله
بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب
منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما
وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد
الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا ونفاقا وهذه [العلوم] بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلوم
هي المعرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان يخوض العبد
في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية نفسه
بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فيبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم

ويستخدمهم صح

ويستسخره صح

وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وخشوعا وتقتضي ان يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم صح

وتزكية قلبه صح

من قلبه

من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل
من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك
العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لانه
من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد تكبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله
فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تاكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به
واعظم ما يتواضع به ولاجل ذلك قال الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون
قد قرانا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود
النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استاذن تميم الداري عمر رضي الله
عنه في القصص فابى ان ياذن له وقال له انه الذبح واستاذنه رجل كان امام قومه انه اذا سلم من صلوته ذكرهم
فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا
اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متاخري هذه
الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك
فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله
ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وسيرته وسجيته وهيهات
فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز
في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا
بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا
بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر
ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسال الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا
كما يقتضيه كرمه وفضله الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد
والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة
غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم
على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء فكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين
فانه يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما راى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم
الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر لخلق الله مغتر بالله آمن
من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء
شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله تعالى ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه
لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنفر والتباعد
منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم
بعينه ان ينقله الله الى درجتهم في حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده
مر برجل يقال له عابد بني اسرائيل فكان على راس العابد غمامة تظله فلما مر عليه الخليع به فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل

في آخر الزمان صح

وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله ان يرحمني فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل
وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا
العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان
الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه فقد اطاع
بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا من بني اسرائيل اتى عابدا من بني
اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت
لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي صاحب
الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة ايضا قلما
ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف او اذاه موذي استبعد ان يغفر الله له ولا يشك
في انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده
وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله ولو اذى مسلما آخر وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم
الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما اراد به
الا شفاء غليله والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبيا
عليهم السلام فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم
بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا والآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له
بما لم ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين
واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقول عطا السلمي حين كان تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيب
الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطا لتخلصوا وما قاله الآخر لما انصرف من عرفات كنت ارجو الرحمة
لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدري
لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الريا والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان ثم انه يمتن على الله بعمله ومن
اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد
العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك
فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اسالك بالله احدثتك نفسك ان ليس في القوم افضل منك فقال اللهم نعم فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه الآفة لا تنفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله ولكن
العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا
من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر
مستقرا في قلبه ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم
على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض
عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم وغضبان عليهم وليس يعلم
المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى يقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة
حتى يطاطي ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما و
انبساطا ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل
طليق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله
ولو كان الله تعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك الاية وهولاء الذين يظهر
اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه
الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم
والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو فلان وما عمله ومن اين زهده فيطول
اللسان فيهم بالتنقيص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القران في كل يوم ثلث
وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان فهلك ولده
واخذ ماله او مرض او ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل
قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته
وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا ان يقال غيره اعبد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر
ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن
لقيته وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة
ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة
وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها
واسانيدها حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد منهم ليرد عليه ويسوءه
اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره الذي يثمرها التعزز بالعلم
والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه
ويتكبر على غيره ويقول رسول الله هو من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم ولا
تكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر
لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا
فهذا هو الكبر بالعلم والعمل الثالث التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب
وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موالي وعبيد ويانف من مخالطتهم ومجالستهم
وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان
واني لمثلك ان تكلمني او تنظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه
النسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفى
ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له
يا ابن السودا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا باذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن بيضا على ابن سودا فضل
قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى لنفسه
فضلا بكونه ابن بيضا وان ذلك خطا وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من
تكبر عليه ان عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم

فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بابائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدوف بانافها القذر والرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعوا ذلك الى التنقيص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عايشة انها قالت دخلت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها وهذا منشاؤه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا صغيرة قصيرة لما ذكرتها بالصغر فكانها اعجبت بقامتها واستصغرت المراه في جنب نفسها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في الخزاين وبين التجار في البضايع وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول انت مكد ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع ما معك وانا في اليوم انفق ما لا تاكله في السنة فكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بافة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه بقوله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا فكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى مخبرا عنه فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون السادس التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به اهل الضعف السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلاميذ والغلمان وبالعشيرة والقبايل والاقارب والمعين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة في الجنود وبين العلما في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمال امكن ان يتكبر به حتى المخنث يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صناعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطيا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده فربما كان مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه

بيان البواعث على الكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن فاما ما يظهر من الاخلاق الذميمة والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فالعجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الريا فيصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة وهي العجب والحقد والحسد والريا اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يورث التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ

في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رجل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاءه من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يساله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد يدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمتنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا او بغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق الكبر وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الريا فهو يدعو ايضا الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الريا المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الريا على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر والله اعلم

بيان احوال المتواضعين ومجامع ما يظهر من اثر التواضع والتكبر

اعلم ان التكبر يظهر في شمايل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكيا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي ساير تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدردا لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة من لباس ومشي وغيره بل ربما يعرف بلونه ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا في قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلوة وابدله بالخلق لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع وروي ان سفين الثوري قدم الرملة فبعث ابرهيم بن ادهم اليه ان تعال فحدثنا فجاء فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع بخلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز ابن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ

ثيابي فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شر امتي قال انس
كانت الوليدة من ولايد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تدع يده منها حتى تذهب به حيث
شاءت ومنها ان لا يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين وهو يتحاشا عنه وهو كبر دخل رجل وعليه جدري
قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام عن جنبه فاجلسه
النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم
على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه
ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج ينطفي فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم
المرء ان يستعمل ضيفه قال فانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقال واخذ البطة وملأ المصباح زيتا
فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين قال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس عند الله
من كان متواضعا ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان
ابو عبيدة ابن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت ابن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل
من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسعوا الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن
الاصبغ ابن ابي نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق
حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك
يا امير المؤمنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هرون سالت عن معنى البذاذة فقال هو الدون من اللباس
وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر
رقعة بعضها من ادم وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع فقال يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب وقال
عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما
نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف يشترى له حلة بالف دينار فيقول ما اجودها
لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين
لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة
التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات طاقت الى ما عند الله تعالى وقال سعيد ابن سويد
صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين
ان الله تعالى قد اعطاك فلو لبست فنكس راسه مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة
وان افضل العفو عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة
تواضعا لله وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخره عبقري الجنة فان قلت فقال عيسى صلى الله عليه وسلم
جودة الثياب خيلاء القلب وسئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال صلى الله
عليه وسلم لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجديد ليس من ضرورته
ان يكون من التكبر في حق كل واحد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه صلى الله
عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال له اني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة
الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب

الدون قد لا يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه الناس ولم يبال اذا انفرد بنفسه
كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته حتى ~~اذا راه الناس~~ في ستور في داره فذلك
ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب
يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز
ان يكون لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر فبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من
اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا
في غير سرف ولا مخيلة ان الله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب
الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب هذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال
عيسى عليه السلام ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك
والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه وذلك هو الاصل وقد اوردنا
ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ينبغي ان يقتدى وبه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري
ما ترى فيما احدث الناس من اللبس والشرب والمركب والمطعم قال يا ابن اخي كل لله والبس لله واشرب لله
وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف
النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه
بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله ويصافح الفقير والغني والصغير والكبير ويسلم مبتدئا على كل من
استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان
يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء
لغداء هين المؤونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس
شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق
لم يتبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال ابو سلمة فدخلت على عائشة ام المؤمنين فحدثتها كلها عن ابي سعيد
فقالت ما اخطا منه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث
الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما
يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها
ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا
بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فقال يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق
باخواني واخلائي قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى فما نقل من احواله صلى الله
عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه فوق محمد صلى الله عليه وسلم
ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة
الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله تعالى بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب

فى بذاذه هيايته عند دخوله الشام وقال ابوا الدردا اعلم ان لله عبادًا يقال لهم الابدال خلف من الانبيا هم اوتاد
الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله قومًا من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلوة
ولا بحسن الحليه لكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغاء مرضات الله
بصبر تحنن وتواضع فى غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون
رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم عليه السلم خليل الرحمن لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه
واعلم يا اخى انهم لا يلعنون شيا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون
على الدنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخا وسجيتهم البشاشه وصفتهم السلامة
ليسوا اليوم فى خشية وغدا فى غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح
العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحًا الى الله واشتياقا اليه وقدمًا فى استباق الخيرات فاولئك
حزب الله وحزب الله هم المفلحون قال الراوى فقلت يا ابا الدردا ما سمعت بصفة اشد على من هذه الصفة
فكيف ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان تكون فى اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا بغضت الدنيا اقبلت
على حب الاخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد فى الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد
حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخى ان ذلك فى كتاب الله المنزل ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابى كثير فنظرنا فى ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب
مرضاته

بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلوا احد
من الخلق عن شئ منه وازالته فرض عين ولا يدرك بمجرد التمنى بل بالمعالجة والاستعمال للادوية القامعة
له وفى معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها فى القلب والثانى دفع العارض
منه بالاسباب الخاصة التى بها يتكبر الانسان على غيره المقام الاول فى استيصال اصله وعلاجه علمى وعملى
ولا يتم الشفا الا بمجموعهما اما العلمى فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك فى ازالة الكبر فانه مهما عرف
نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف
ربه علم انه لا تليق العظمة والكبريا الا بالله اما معرفة ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم
الصديقين واما معرفة نفسه ايضا فهى ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع فى اثارة التواضع والمذلة ويكفيه
ان يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله عز وجل فان القران فيه علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد
قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره
ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم
معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان فى كتم العدم دهورًا بل لم يكن لعدمه اول
واى شئ اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك فى العدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسى العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث
صار شيئا مذكورًا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق من ابتدائه كاملا بل خلقه
جمادًا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حيوته
وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه
وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى
على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورًا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا

ثم

ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما تيسر له فى مدة حيوته الى الموت ولذلك قال تعالى
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورًا ومعناه انه احياه بعد
ان كان جمادًا ميتا ترابًا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ان كان فاقد البصر وقواه
بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضا بما فيها من العجايب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد
الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل
يسره والى الطغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظروا الى نعمة الله عليه
كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودًا بعد العدم
وحيًا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديًا
بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيًا بعد الفقر فكان من ذاته لا شئ واى شئ اخس من لا شئ واى قلة اقل
من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه
خسة ذاته فيعرف بها نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبريا به
ولذلك امتن عليه فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرفه خسته اولا فقال
الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتدا بالاختراع فمن كان هذا بدوه وهذا احواله فمن اين له البطر
والكبريا والفخر والخيلا وهو على التحقيق اخس الاخسا واضعف الضعفا نعم ولو اكمله وفوض اليه امره
وادام له الوجود باختياره لجاز له ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه فى دوام وجوده الامراض
الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض
من اجزائه البعض شا ام ابى رضى ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرهًا لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم شيئا فيجهله ويريد ان يذكر الشئ فينساه ويريد ان ينسى
الشئ ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول فى اودية الوساوس والافكار بالاضطرار
فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهى الشئ وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشئ ويكون حيوته فيه يستلذ الاطعمة
وهى تهلكه وتوذيه ويستبشع الادوية وهى تنفعه وتنجيه لا يامن فى لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره ويفلج
اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف
فنى عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه وغيره فاى شئ اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله
فهذا اوسط احواله فليتامله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء
انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادًا كما كان
اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قذرة
كما كان فى الاول نطفة قذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميمًا ورفاتا ويأكل الدود
اجزاءه فيبتدى بحدقتيه فيقلعها وبخديه فيقطعها وبساير اجزائه فيصير روثا فى اجواف الديدان ويكون جيفة
يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير
ترابا يعمل منه الكيزان او يعمر به البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم تغن بالامس حصيدًا
كما كان فى اول امره امدا مديدًا وليته بقى كذلك فما احسنه لو ترك ترابًا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شديد

البلا، فيخرج بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة
وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر
وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا فيقول
وما هو فيقال كان قد وكل بك في حيوتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان
يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت ذلك
واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى ذلة العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول
هذا الخطاب من قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهدها قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله تعالى اذا شاء انشره فما لمن هذه حاله
والتكبر بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر له آخره والعياذ بالله
ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان
عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن
الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة
خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنها ولو وقعت قطرة من شرابها الذي يسقونه في بحار الدنيا
لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى
نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت
من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض وتقام عليه
العقوبة على ملا من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في
السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه
ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القالع لاصل الكبر واما العلاج العملي
فهو التواضع بالفعل لله ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين
ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمن
عليه السلام لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما اشار به الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع
بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين يتكبرون على رسوله بالايمان والصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد
الدين وفي الصلوة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد
كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوط فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله
فلا ينكس راسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر ساجدا الا قائما
فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة
امروا به لينكسر بذلك خيلاهم ويزول عنهم كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر ساير الخلق فان الركوع والسجود
والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فلذلك قل من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال
فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا
وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك والملكوت والقلب من عالم الملكوت
المقام الثاني فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرناه في كتاب ذم الجاه وان الكمال الحقيقي
هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج

اهل الدنيا

لبس

من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فمن يعتريه الكبر
من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل شعر
لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات
ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما
انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي من بول الانسان اشرف من الدود الذي من بول فرس هيهات
فهما متساويان والشرف للانسان لا للدودة الثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان
اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه
وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس
بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه نسبه اذ يقال يا اذل من التراب
ويا انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب
دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه
فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده واذا اصله من التراب
وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطى بالاقدام والفصل تغتسل
منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة
وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله لرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل
فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا
له عن وجه التلبيس عليه ولم يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه
احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله
وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او
غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب
والدم والاشياء القذرة التي يتنزه منها هو في نفسه السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه
نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله
فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه
والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه يغسل الغائط بيده كل يوم مرة او
مرتين يتردد الى الخلا كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه
او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال توسطه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور
من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى دم الاقذار اذ اخرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم
مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس قال ابو بكر الصديق رضي الله عنهما يخطبنا فيقذر الينا
انفسنا ويقول احدكم خرج من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في
بطنه خرء اذ راه يتبختر وذلك قبل خلافته هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حيوته يوما لم يتعهدها بالتنظف
والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لم تتعهد انفسها قط
فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من ساير الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو
كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح ولو كان جماله باقيا

فخر

وعن هذه القبايح خاليًا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال
الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حاله يتصور ان يزول بمرض او جدري او قرحة وسبب
من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد مسخت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال
لمن اكثر تاملها السبب الثالث التكبر بالقوة والايد ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض
وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيا لم يستنقذه
منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى
يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر ان يدفع عن نفسه ذبابة
فلا ينبغي له ان يفتخر بقوته ثم اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار او بقر او فيل او جمل واي افتخار في صفة تسبقك
البهايم فيها السبب الرابع الغنى بكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاة السلاطين والتمكن
من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعمل فهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر
بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والتكبر بتمكين السلطان وولايته
لا بصفة في نفسه بنا امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر
خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة
والتجمل فاف لشرف سبقك بها اليهودية واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا
مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال ونكال
فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه
ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا يقدر على شيء فمن عرف ذلك فلا بد وان يزول
كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه
ان شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابواه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم
به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يديه وهو يخشى مع ذلك ان يعاقبه وينكل به لافراطه في امواله وتقصيره
في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه محبوسًا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب
والهوام وهو في كل حالة على وجل من كل واحدة منهما وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص
البتة افترى ان من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل
عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات
وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم
انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج الكبر بالاسباب الخارجة وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما
كمالا في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن بالتكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره السبب الخامس
الكبر بالعلم وهذه اعظم الافات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك
لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا
اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر اذا زل العالم زل بزلته
عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق به الشرع بفضايل العلم ولن يقدر
العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل
عشره من العالم وانه من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال

النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت امر بالخير ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله تعالى
من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار اراد به علما
اليهود وقال في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبا الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان وكان من الغاوين
حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض اي سكن اليها فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم
لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو
بصدده واعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذلك وهو الملك المخاطر بروحه في ملكه
لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون فقيرا فكم من عالم يشتهي في الاخرة سلامة الجهال والعياذ
بالله منه فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان
يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي وياخذ اخر تبنة من الارض
ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الاخر يا ليتني كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون
انفسهم اسوا حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره وراى
نفسه كانه شر الخلق ومثاله مثال عبد امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها
وشك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه مرسل اليه رسولا يخرجه من كل
ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق الامر عليه وبلغ به المجهود
امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دايم لا يروح عنه ساعة
وقد علم ان سيده قد فعل بطوايف من عبيده مثل ذلك وعفى عن بعضهم وهو لا يدري انه من اي الفريقين
يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق
بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيع من اوامر ربه
بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من
الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله تعالى وحده وانه اذا
تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك
قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندنا فلا بد وان يكلف نفسه ما يحب مولاه وهذا يزيل التكبر
عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا ان لو تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من
نازع الله تعالى في رداء الكبر قصمه وقد امرهم الله بان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا
مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت كيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق والمبتدع وكيف يرى نفسه
دونه وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله بخطر العلم وهو
يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكبر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه
ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو
كبير عند الله تعالى في الاخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك
فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله تعالى الاسلام وفاق
جميع المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضايل في الدنيا

بلغ المقابلة
وقبل اخلاده الى شهوات الارض صح
عليه

انما تراد للعاقبة فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانى عصيت الله
بعلم فهو اعذر منى وان نظر الى عالم فيقول انه قد علم ما لا اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى من هو اكبر منه
سنا قال انه اطاع الله قبلى فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال انى عصيت الله قبله فكيف اكون مثله
وان نظر الى مبتدع او كافر قال لا ادرى لعل الله يختم له بالاسلام ويختم لى والعياذ بالله بما هو عليه فليس
دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفى الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم
بان الكمال فى سعادة الاخرة والقرب من الله لا فيما يظهر فى الدنيا مما لا بقاء له ولعمرى ان هذا الخطر
مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب
بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء ظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا
حبس جماعة فى جناية وتوعدوا بان يضرب رقابهم لم يتفرغوا لمتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل
كل واحد منهم هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد منهم هو وحده فى مصيبته وخطره فان قلت
فكيف ابغض المبتدع فى الله وابغض الفاسق لله وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما
متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله فى انكار البدعة والفسق بكبر
النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه
منه بكبر باطن فى نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع
ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا
يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا
الموفقون والذى يخلصك عن هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او عند
امرهما بالمعروف او نهيهما عن المنكر ثلثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند
ذلك قدرك فى عينك والثانى ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح
من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك فاذا لم تعجب
لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته بانه ربما يختم له بالحسنى ولك والعياذ بالله بالسوء حتى
يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك
اذا امرك بان تغضب له لا لنفسك وانت فى غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك
على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لنعلم
انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك
غلام وولد وهو فى رعايته وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق
به ويغضب عليه فان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وانما
يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره ولانه جرى من ولده ما يكره فيضرب ولده ويغضب
من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام
فاذا ليس من ضرورة الغضب الكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه
ربما كان قدرهما عند الله فى الاخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى فى الازل ولما سبق لك من سوء القضاء فى الازل
وانت غافل عنه ومع ذلك تغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده
اقرب منك فى الاخرة فهكذا يكون غضب بعض العلماء الاكياس فيضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور

وقدره عنده

فانه

فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالاخرة والعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع
لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر السبب السابع التكبر بالورع والعبادة
وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله فى ان يلزم نفسه التواضع لساير العباد وهو ان يعلم ان من تقدم
عليه بالعلم لا ينبغى ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى
الى غير ذلك مما ورد فى فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت
ان الحسنات يذهبن السيات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه
وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غايبا عنه لم يجز له ان يحتقر
عالما بل وجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغى ان يكون العالم يرى نفسه فوق العابد لقوله
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم
عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيه فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق
لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا
فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغى ان يكون الغالب عليه
فى حق نفسه الخوف وفى حق غيره الرجا وذلك يمنعه من التكبر فى كل حال فهذه حال العابد مع العالم واما
مع غير العالم فهم منقسمون فى حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغى ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل ذنبا
منه واكثر منه عبادة واشد منه خوفا وحبا لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد
عليه ذنوبك فى طول عمرك فلا ينبغى ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو اكثر منى ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب
غيرك فى طول العمر لا تقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن بان يعلم ان ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل
والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغى ان تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والريا والغل واعتقاد
الباطل والوسوسة فى صفات الله وتخيل الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك من خفايا
الذنوب فى باطنك ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب
من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خالى عنه وقد كفر ذلك سياته فينكشف الغطاء يوم القيمة
فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغى ان يكون قريبا عندك ان
كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك فانه لا تزر وازرة وزر
اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن
التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال
فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم
خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هى افضل منه وارفع وفرقة هى شر منه وادنى فهو يتواضع للفريقين
جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه كبره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجوا
واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادرى لعل فيه
خلقا كريما بينه وبين الله تعالى فيرحمه به ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبرى ظاهر وذلك شر لى
ولا امن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الافات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه
وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلى بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال

قلبه

فهذا الكلام

نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا اوى الى جبل فقيل له في النوم
ائت فلان الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب ويتصدق
ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتى في النوم ثانيا
وقيل له ائت الاسكاف وقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فساله فقال له ما رايت احدا من الناس الا و
وقع لي انه سينجوا واهلك انا فقال العابد بهذه الخصلة والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة اي ياتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
وقالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة
على الدوام بالاشفاق فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون فمتى
زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك
يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما
يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه
معارف بها ينال دواء الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب بعد هذه المعرفة قد يضمر التواضع ويدعي النزاهة
من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت النفس الى طبعها ونسيت وعدها فمن هذا لا ينبغي ان يكتفى
في المداومة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب نفسه بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر
من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات
كثيرة الامتحان الاول ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه
قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دقيقا
فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق
الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالثناء والحمد
ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك
الله خيرا عما نبهتني له الحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك
مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه
على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فاذا كان لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج
الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان منفعته في كماله في ذاته عند الله لا عند الخلق
الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص
عن احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الدائين فانهما جميعا مهلكان الامتحان الثاني ان يجتمع
مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل عليه
ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان
مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع
وهو عين التكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انفسهم انهم تركوا مكانهم للاستحقاق والتفضل
فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال
فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في
حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها

وقال تعالى ع

النفس

جزيل فنفور النفوس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من
المعارف الذي تزيل الكبر وداء الكبر الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق
الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو من الكبر او من الرياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطرق فهو كبر وان كان
لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم يتدارك وقد
اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب
لا يدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه
حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب
نفسي هل ينكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام هي كاذبة وروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قد حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المؤمنين ما حملك على هذا قال ان نفسي
قد اعجبتني فاردت ان اذلها وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر الامتحان الخامس ان يلبس
ثياب البذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا فهو رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز مسح له بليسه
بالليل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وسلم
انما انا عبد اكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن
سنتي فليس مني وروي عن ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة
وصلى بالناس وهذه مواضع يجتمع فيه الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر
فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم ان هذا خلق كساير الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى كبرا وطرفه الذي
يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة وفي غير
تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر
ومن تاخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي كان يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكافي فتنحى
وخلى له مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل فهذا ايضا
غير محمود بل المحمود عند الله تعالى العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله
ولمن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقي في القيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته
والسعي في حاجته وامثال ذلك ان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره
ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره فاذا سبيله في الاكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم
حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له
خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بالسهولة
من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس
فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الا ان يعود الى الوسط الذي هو
الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي ساير الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان
وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال اجمل عند الناس
من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر
ونهاية التخسس والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها

وكان اذ ذاك اميرا بالكوفة م

كما يجب على ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من القدر من اخلاق الكبر والتواضع الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفته بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما بيان علاج العجب على الجملة بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الآية وذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فلهذا جمع بينهما وقد قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم باحد بنفسه حتى جرح فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بنفسه حتى جرح فتفرس فيه عمر رضي الله عنه فقال ما زال يعرف في طلحة ذلك نأو منذ اصيب اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنأو هو العجب في اللغة الا انه لم ينقل عنه انه اظهر ذلك او احتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس رضي الله عنهما لعمر اين انت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤوا ذكر الله والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلوة يوما ورجل خلفه ينظر اليه ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة قال لا يعجبنك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضي الله تعالى عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر من هذا ان العجب مذموم جدا

بيان آفة العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغني عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها ولا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قل ما ينفع وانما يتفقد من غلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرايه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه وبرايه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب

بالراى الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاحتقار والاستجهال ويصر على خطاياه فان كان رايه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يوصف بما هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله مشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله ولكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله ونعمة فيكون فرحه من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري اليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه به فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه عن قضاء حوائجه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب لا يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابها

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا اجهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي تم بها عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله تعالى اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا وسيلة ولا جمال ولا خدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره له من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان

(او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فكان يعجبه من حيث انه فيه وهو محله ومجراه صح)

تعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن في امر الصفات
المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة لما اثرني بها فيقال له وتلك الصفة ايضا هي من خلعة الملك وعطيته
التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها
بل كان كما لو اعطاك فرسا ولم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس
واما غيري فلا فرس له فيقال لك وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا
او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك
الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملك ولا يتصور في حق الجبار القاهر
ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت
وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب واسكنه في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان
من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذا
انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته
وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك بفضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله
وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها واني انتظر عليها ثوابا
ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب عليها فان كانت الاعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن اين لي
الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق
والاخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله و
اختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا
هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة هي اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق
القدرة فيها والقوة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادات ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا
عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه
في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة
ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء
هو الذي خيل اليك انك انت اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق
الله تعالى سياتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب الثاني
الذي فيه المسامحة وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك
وبوجود عملك وارادتك وقدرتك وساير اسباب عملك وكل ذلك من فضل الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة
والقدرة مفتاحها وهذا المفتاح بيد الله وما لم يعطك الله المفتاح فلا تملك العمل والعبادات خزاين بها يتوصل
الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة ارايت لو رايت خزاين الدنيا مجموعة
في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار
مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قرب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح
وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد فاخذتها لكان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد
اليد اليه واخذه فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريب
وانما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي

والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين
عليك وتحريك البواعث وصرف العوايق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى فليس شيء منها اليك فمن
العجايب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على
الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخوان السوء ودعاة الشر
عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه
وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة
سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما
اعجب اعجابك بنفسك اذ عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية
لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك
وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله
ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف
يمنعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما
ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل
الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني اياهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا
اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل
الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك
لامتنع منه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكبر فلم يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر
على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة وتخصص مثل هذا القبيح ولا تدري
المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لاثرت الجمال فاذا نعمة الله
عليها اكبر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيته الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا
فيقول يا ملك ما لك لم تعطني الغلام وانا صاحب فرس فيقول له كنت لا تعجب من هذا لو لم اعطك الفرس
فهب اني ما اعطيتك فرسا اصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو
الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله
نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة
ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله ولذلك لما قال داود عليه السلام يا رب
ما تاتي ليلة الا وانسان من ال داود قايم ولا ياتي يوم الا وانسان من ال داود صايم وفي رواية ما تمر ساعة
من ليل ولا نهار الا وعابد من ال داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود
من اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب
داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضاف الى ال داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه
الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسالونك بابرهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا
فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال تعالى اما اني لم اخبرهم باي شيء ابتليتهم ولا في
اي شهر ولا في اي يوم وانا اخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليتك غدا بامراة فاحذر نفسك
فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على كثرتهم وقوتهم ونسوا

تسلسل

مع الفقر

فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام
قال الهى انك ابتليتنى بهذا البلاء وما ورد على امر الا اثرت هواك على هواى فنودى من غمامة بعشرة الف
صوت يا ايوب انى لك ذلك اى من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب
فرجع عن نسيانه اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهو خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته ولقد كان من الصحابة من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وطيرا مع
صفاء اعمالهم وقلوبهم واكلهم الحلال فكيف يكون لذى بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه
فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعم
عن الاعجاب به لا بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه
من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالى ان يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالى ان يعود
ويسترجع ما وهب فكم من مومن والعياذ بالله قد ارتد ومطيع قد فسق وختم بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه اعلم ان العجب بالاسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا
يتكبر به كعجبه بالراى الخطاء الذى يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام القسم الاول ان يعجب ببدنه فى
جماله وهيئاته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صحته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت
الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرض للزوال فى كل حال وعلاجه ما ذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر
فى اقذار باطنه وفى اول امره واخره وفى الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت فى التراب وانتنت
فى القبور بحيث استقذرتها الطباع القسم الثانى القوة والبطش كما حكى عن قوم عاد حين قالوا من اشد
منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقبه الله تلك
القطعة من الجبل حتى صار فى عنقه كالخرزة فحرم ما اراد من الولد فكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتنى صبرت
اعجاب بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم فى الحروب والقاء النفس الى التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل
لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبه الله
تعالى بادنى افة يسلطها الله عليه القسم الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور
من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه
ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالراى والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه
ان يشكر الله على ما رزق من العلم والعقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك
منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستبصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتى من العلم الا
قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما علمه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرف الناس من علم الله تعالى وان
يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدرى
فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغى ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه
لا من اصدقائه فان من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه
فيزداد عجبا القسم الرابع بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة
اباءه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موالى وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف اباءه

فى افعالهم وظن انه يلحق بهم فقد جهل وان اقتدى باباءهم فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء
على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب
فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم فى النسب وشاركهم فى القبائل والشعوب من لم يؤمن بالله واليوم الاخر فكانوا عند الله
شرا من الكلاب واخس من الخنازير وكذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية اى
لا تفاوت فى انسابكم لاجتماعكم الى اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمى الى نسبى ولكن قال
اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت الاية حيث اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال
الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اى كبرها كلكم بنو آدم وآدم
من تراب وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا ياتى الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها
على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اى اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب
قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد
يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما فانى لا اغنى عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور
علم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة اباءه التواضع اقتدى بهم فى التقوى والتواضع والا كان طاعنا
فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت
فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية انى لا اغنى عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها
ببلالها وقال عليه الصلوة والسلام اترجوا سليم شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه
سيخص بشفاعة القرابة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب ايضا
جدير بان يرجوه ولكن بشرط ان يتقى الله ويخاف ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد فى شفاعته فان الذنوب منقسمة
الى ما يوجب المقت والبعد فلا يؤذن فى الشفاعة والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا
فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا ينجى منه
الشفاعة وعند العبادة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
وبقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا واذا انقسمت الذنوب الى ما لا يشفع فيها
والى ما يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما
نهى فاطمة عن المعصية ولكان ياذن لها فى اتباع الشهوات لتكمل لذتها فى الدنيا فيشفع لها فى الاخرة لتكمل لذتها
فى الاخرة فالانهماك فى الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهى انهماك المريض على شهواته
اعتمادا على طبيب حاذق وقريب مشفق من اب واخ وغيره وذلك جهل لان سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع
فى ازالة بعض الامراض لا فى كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطبيب بل للطب اثر على الجملة
ولكن فى الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغى ان يفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب
والاجانب فانه كذلك وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوا
من وعد الله اياهم باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وساير المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا
عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنسبه بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم

القسم الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه
ان يتفكر فى مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد فى دين الله وانهم ممقوتون عند الله تعالى فلو
نظر الى صورهم فى النار وابدانهم واقذارهم لاستنكف منهم وليتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه
اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم فى القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم
يجرونهم على وجوههم الى جهنم فى مظالم العباد لتبرأ الى الله تعالى منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير
احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا
لابائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض القسم السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم
والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال
المؤمنون يوم حنين اليوم لا نغلب من قلة وعلاجه ما ذكرناه فى الكبر وهو ان يتفكر فى ضعفه وضعفهم وان كلهم
عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم
وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن فى قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد واهل وحميم وعشيرة فيسلمونه
الى البلى والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو فى احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون
منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفصيلته تؤويه فاى خير فيمن يفارقك
فى اشد احوالك ويهرب منك عند حاجتك اليه وكيف تعجب به ولا ينفعك فى القبر والقيامة وعلى الصراط
الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحياتك
القسم السابع العجب بالمال كما قال الله تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا
وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه الغنى وجمع ثيابه فقال عليه الصلاة
والسلام اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر فى آفات المال وكثرة حقوقه
وعظيم غوائله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة فى القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان فى اليهود
من يزيد عليه فى المال والى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر فى حلة له فى مشيته قد اعجبته نفسه اذ
تعالى الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه قال ابو ذر كنت مع النبى
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسى فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال
ارفع راسك فرفعت فاذا رجل عليه ثياب خلق فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما
ذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء
عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره فى القيام بحقوق
المال واخذه من حله ووضعه فى حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزى والبوار فكيف يعجب بماله القسم الثامن
العجب بالراى الخطا قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة ولذلك هلكت الامم السالفة
اذ افترقت فرقا فكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها
لعجبهم بارائهم والعجب بالبدعة هى استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا
العجب اشد من غيره لان صاحب الراى الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذى لا يعرف
والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا
كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغى الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف

يمكن

يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته فى اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما
لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلى صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف
الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمر فى
الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه
الغلط فى بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم ان لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى
اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شىء وهو السميع العليم وان رسوله عليه السلام
صادق فيما اخبر ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن
تفصيل بل يقول آمنا بالله وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى واداء الطاعات والشفقة على المسلمين
وساير الاعمال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقايد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من
عزم على ان يشتغل فى عمره بشىء غير العلم فاما الذى عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه
وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة فى اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء
المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسال الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات
الجهال وبالله التوفيق آخر كتاب ذم العجب والكبر والحمد لله رب العالمين ويتلوه كتاب ذم الغرور انشاء الله وحده وله الحمد

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور
ومخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلايق من الديجور
وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور وصلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات
والشهور اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على
عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية
ولا داعى اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصاير قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح
فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها
يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور الآية والمغترون قلوبهم كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من
فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والاكياس
هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل
صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء والمغرور هو الذى لم ينفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا
وبقى فى العمى فاتخذ الهوى قايدا والشيطان دليلا ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا واذا
عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور
فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ حذره
وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجارى الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلماء والصلحاء
الذين اغتروا بمبادى الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرايرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان
ذلك وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغنى عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن
يجمعهم اربع اصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثانى من العباد الثالث من المتصوفة الرابع من ارباب
الاموال والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد

ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول
والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب
ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا
بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ بذكر غرور العلما ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده **بيان**
ذم الغرور حقيقته وامثلته اعلم ان قوله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى
ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني كاف في ذم الغرور وقد قال صلى الله عليه وسلم حبذا
نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملاء
الارض من المغترين وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض
انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور
بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى
وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا سمي الجهل الحاصل به
غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان
فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل واما في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم
الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتها
حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة
والفساق فنورد لها امثلة لحقيقة الغرور المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم
من غرهم بالله الغرور ~~اما بتصديق الايمان~~ اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير
من النسية والدنيا نقد والاخرة نسية فاذا هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات
الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس
لعنه الله حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك
الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما
بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم
ينفد وما عند الله باق وفي قوله وما عند الله خير وابقى وقوله وللاخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوايف
من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطلبوه بالبرهان ومنهم من قال انشدك الله ابعثك الله رسولا
فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده
في ان حضوره المكتب خير له من حضوره الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان
فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك
السبب هو دليل فكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به
ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلما فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما قوله ان الدنيا نقد
والاخرة نسية وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسية وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك
بل المقصود ان كان النقد مثل النسية في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسية خير

فيما اخبر الله تعالى عنه م

فان كان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما لياخذ عشرة نسية ولا يقول النقد خير من النسية
فلا تركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد
ترك النقد ورضي بالنسية والتجار كلهم يركبون البحر ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح
نسية فان كان عشرة في ثاني الحال خير من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة
فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من الف الف من الاخرة فكانه ترك واحدا
لياخذ الف الف بل ياخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة
بالمنغصات ولذات الاخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسية وهذا غرور منشاؤه
قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسية اراد
به خير من نسية هي مثله وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك
والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله
والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي راحته على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراك رتبة العلم
على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء
بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول اني ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت
كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفا على شك ومن مرارة الدواء
على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الاخرة
فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قلايل وهي منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال عن امر الاخرة فان
كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم اياما قلايل وقد كنت في العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني
بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا وهو كذلك صدق وحق فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك
قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا
وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحدين على قدر عقولهم فبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو
مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الاخرة شك فهما ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه
مدركان احدهما الايمان والتصديق بتقليد الانبيا والعلما وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر
الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطبا واهل الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه
النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق
بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقراين الاحوال انهم اكثر منه عددا
واغزر منه علما وفضلا واعلم بالطب منه لا بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر
في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك الاطبا كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المغترين بالاخرة والمخبرين
عنها والقايلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله رتبة في البصيرة والمعرفة
والعقل وهم الانبيا والاوليا والحكما والعلما واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت
عليهم الشقوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار
فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبيا فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطبا
فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبيا والعلما وهذا القدر من الايمان
كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة

الانبيا صح

الظنية

الشهوة ح

هو الوحي والالهام فالوحي للانبيا والالهام للاوليا ولا تظنن ان معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لامر الآخرة
ولامور الدين تقليدا لجبرئيل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك كمعرفته
وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبيا عارفون ومعنى معرفتهم
انه كشفت لهم حقايق الاشيا كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر
فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله وليس المراد
بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى
يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق
ولله الخلق والامر والاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان
وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك يستدعي كشف سر الروح ولا رخصة
في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه
واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في عالم الجسماني
غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب
ورد الى آدم ابينا صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى في ذاته
فانها في جوار الرب تعالى وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى
طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا
تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم
يقال فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق
روايحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رايحة الورد بالجعل
وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت
يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء
اول مقامات الانبيا ولنرجع الى الغرض والمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يدفع اما بيقين
تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقايدهم اذا ضيعوا اوامر الله وهجروا
الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون الكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة الدنيا
على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم
ايضا من المغرورين بانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفي
للفوز قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال عز وجل ان رحمة الله قريب من المحسنين
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله منوط بالايمان
والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهولاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين
بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال
المغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكفار والعصاة فاما غرور
الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا
وفيه اسعد حالا كما اخبر الله عن قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي

لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا
بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا
وبستانا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا
في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول
ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى
قول العاص بن وايل اذ يقول لاوتين مالا وولدا قال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن
عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وايل دين فجئت اتقاضاه فلم يقضني
فقلت اني اخذه في الاخرة فقال لي اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله
تعالى قوله افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الاية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس
فاسد من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون نعمة الاخرة بها وينظرون
مرة الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال تعالى ويقولون لولا يعذبنا الله
بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء غبر شعث فيزدرون بهم ويستحقرونهم
ويقولون اهولاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه
الشيطان في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن
في المستقبل ايضا كما قال الشاعر ٭ لقد احسن الله فيما مضى ٭ كذلك يحسن فيما بقي ٭ وانما يقيس المستقبل على
الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الله الي والتلبيس تحت
ظنه ان كل محسن اليه محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده
بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصاير يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض
احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه
وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب
ولا يدخل المكتب ياكل كل ما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته
ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها
فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب
وهو يحبه هكذا روي في الخبر وكان اصحاب البصاير اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت
عقوبته ويرون ذلك عقوبة وامارة المقت والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور
اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال
فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه
فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور وقال الحسن كذبهم جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا
هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي بالتفعل غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان
او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فبان
يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه التباعد عنها مقربا الى الله تعالى ويدرك
ذلك بالالهام في منازل العارفين والاوليا وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما

معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يومن بكتاب الله وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله
تعالى ايحسبون انما نمدهم من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون وقال فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية وفي تفسير قوله سنستدرجهم الاية
انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون انما نوخرهم الاية الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن امن به
تخلص من هذا الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل بالله تعالى وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا
يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم
دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا الاية فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل
باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يجوز ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره
مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله مع تحذيره واستدراجه اولى فاذا امن من مكر الله فهو مغتر ومنشا هذا
الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال
لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة
وهذا هو حد الغرور المثال الثاني وهو غرور العصاة من المومنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجوا عفوه و
اتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجا مقام محمود في
الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد من بحار رحمته وانا موحدون
ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان فيه وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار
العلوية بنسبهم ومخالفتهم بسيرة ابائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله من ابائهم اذ اباؤهم
مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق امنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس
الشيطان للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله قد احب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة
وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام اراد ان يستصحب ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال انه ليس
من اهلك انه عمل غير صالح وان ابرهيم عليه السلام استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن
في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن له في الزيارة ولم يوذن له في الاستغفار فجلس عليه الصلوة والسلام يبكي
على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله وهذا لان الله يحب المطيع ولو كان الحب يسري
من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى
ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشراب ابيه ويصير عالما بعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه
فالتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيا وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فاذن له في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب
فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار في قولهم ان الله كريم وانا نرجوا رحمته ومغفرته ورحمته فما
هذا الكلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود
الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان
اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله

اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال الله
تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال انما توفون اجوركم يوم القيمة
افترى ان من استوجر على صلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا
يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر وزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء
في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجا وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجوا الله
ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجى شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه
وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا لنرجوا الله فقال له مسلم هيهات
هيهات من رجى شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه وكما ان الذي يرجوا في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح
ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجى رحمة الله وهو لم يومن او امن وهو لم يعمل صالحا او عمل
ولم يترك المعاصي فهو مغرور كما انه اذا نكح ووطي وانزل وبقي مترددا في الولد يخاف ويرجوا فضل الله في خلق
الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات
وبقي مترددا بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدام عليه وان يختم له بالسوء ويرجوا من فضل الله
ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ له دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه
من الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو اذا كيس ومن عدا هولاء فانهم المغرورون بالله وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون فيما اخبر الله عنهم
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اي علمنا انه كما لا يولد ولدا الا بوقاع ونكاح ولا ينبت
زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا
الان صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها
الم ياتكم نذير الم يسمعكم سنة الله في عباده وانه يوفي كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي
غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا
لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق
العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند
هذا ان يقمع القنوط بالرجا ويتذكر ان الله تعالى كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب
قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له امرهم بالانابة وقال واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
الاية فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راجي واذا توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه
وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك
فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجوا ادراك الجمعة فهو راجي وان استمر على التجارة واخذ يرجوا تاخير
الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب الذي لا يعرفه فهو مغرور والثاني
ان يفتر نفسه عن فضايل الاعمال ويقتصر على الفرايض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد الله الصالحين
حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الاية فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء
الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع

اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول
له الشيطان مالك وايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند
هذا الواجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله تعالى وعظيم عقابه ويقول لها انه مع انه
غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط
العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن
هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به والخوف والرجا قائدان وسائقان يبعثان
على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا
واعراضهم عن الله واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب
على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات
ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ويخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى
والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين
غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين انا واثقون بكرم الله وفضله
وراجون لعفوه ومغفرته كلهم يزعمون انهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الانبياء والمرسلون والصحابة والسلف
الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم
وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجا والخوف وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل
بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الناس كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم
كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال سيقبل مني وان اساء قال سيغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع
موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله اخبر الله تعالى عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء و
يأخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال الله تعالى ذلك لمن خاف
مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تخويف وتحذير ولا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم
خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها
وخفضها ونصبها وكأنهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل
في العلم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله تعالى وفقنا الله تعالى للسداد برحمته

بيان الفرق بين الرجا والغرور

ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون
المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد
يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما تناول من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل
ما تصدق به هو من مال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان لكل الف درهم من حرام يقاومه التصدق بعشرة
من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي كفة اخرى الف واراد ان تشيل الكفة
الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه
ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه ويسبح الله في اليوم مائة مرة
ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى
عدد تسبيحه وانه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة

كانهم

العالم

وقد

وقد كتبها الكرام الكاتبون واوعده الله العقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو
ابدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين
والمنافقين بذكر ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون
يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من
مهماته وما نطق به في فتراته كان يعدها ويحسبها ويوازنها بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا
لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته من الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى
ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا فيه الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين
وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من صدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله ان نكون
من اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه والتيقن مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه
الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف من الاصناف

وهم اربعة اصناف الصنف الاول
اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا
تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد
بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم
لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة
وعلم المكاشفة هو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة فمعرفة الحلال والحرام ومعرفة
اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة
الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها
الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطبا فيسعى في طلب الطبيب بعد ان سافر عن وطنه حتى
عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يجلب وعلمه
كيفية دق كل واحد منها وكيفية الخلط والعجن فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى
بيته وهو يكررها ويقرأها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه
شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد
تقديم الاحتما وجميع شروطه فاذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن
ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي
ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه عنها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها
فهو مغرور قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس
وعند ذلك يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله
وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا
وافق ذلك مراده فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني
ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بالعلم كقوله تعالى كمثل الكلب وكقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى

هيهات هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا

وكقوله شر الناس العلماء السوء وقول ابى الدردا ويل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذى يعلم ولا
يعمل سبع مرات اى ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال النبى صلى الله
عليه وسلم ان اشد الناس عذابا فى القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردنا فى كتاب العلم فى باب
علامة علماء الاخرة اكثر من ان يحصى الا انها لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد فى فضل العلم يوافقه فيميل
الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بعين البصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان
فالذى اخبره بفضيلة العلم هو الذى اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال فبعد
ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذى يدعى علم المكاشفة كالعلم بالله
وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله مثال من اراد
خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف
ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما
يغضب به عليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيأة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب
منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهها الملك عاطلا عن جميع ما يحبه توسلا اليه بمعرفته له ولنسبه
واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته فى سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع
ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص
به بل تقصيره فى التقوى واتباعه فى الشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامى دون المعانى
اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد
اوحى الله الى داود عليه السلام خفنى كما تخاف السبع الضارى يعنى من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه
ثم لا يخافه فكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالى ويعلم انه مسخر
فى قدرة من لو اهلك مثله الافا مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الاباد لم يوثر ذلك فيه اثرا ولم تاخذه
عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قيل معناه العلماء بالله تعالى
على الحقيقة وفى فاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما بالله وكفى بالاغترار
بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسئلة فاجاب فقال ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت الفقيه
قط انما الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا وقال مرة يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قبلت
منه حمد الله وان رددت حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما
كرهه وهو العالم بالحقيقة ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين
وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم
ليمحوا عنه الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلا وارادة السوء
للاقران والشركاء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها
غير محترز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله عليه السلم
حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التى اوردناها فى
جميع ربع المهلكات فى الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه
وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب
والقلب هو الاصل اذ لا ينجوا الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها

ان هذا امام

ادنى الرياء شرك الخفى والى قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من الكبر والى قوله صلى الله عليه وسلم صح

نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظهره حتى استنار
ظاهره وكرجل قصد ضيافة الملك الى داره فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولا يخفى ان ذلك
غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش
بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصى هى الاخلاق
الذميمة فى القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة العظيمة
بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلا وشرب الدوا وبقى يتناول ما يزيد فى المادة فالطلا ليزيل
ما على ظاهره والدوا ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلا وترك الدواء فلا يزال يطلى الظاهر والجرب
دايم به ينفجر من المادة فى الباطن وفرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من
جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك
وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم فاما هو فاعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليه
مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف وقال ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف
العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فانى لو لبست الدون من الثوب وجلست فى
الدون من المجلس شمت بى اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلى ذلا على الاسلام ونسى المغرور ان عدوه الذى
حذره مولاه منه الشيطان فانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبى صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا
ارغم الكافرين وينسى ما روى من الصحابة من التواضع والتذلل والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى
عوتب عمر رضى الله عنه فى بذاذة هيأته وزيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام
فلا نبالى من مقالة الناس ولا نطلب العزة فى غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الدقيقة من
القصب والدبيقى والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك
مهما اطلق اللسان بالحسد فى اقرانه او فى من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن يقول
انما هذا غضب للحق ورد على المبطل فى عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن فى غيره من
اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب
مهما طعن فى عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائى
باعماله وبعلومه فاذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضى من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بى ليهتدوا
الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم
به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لم يفرق بين ان
يحصل شفاؤهم على يده او على يد آخر من الاطبا وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك
لانهم اذا اهتدوا بى كان الاجر لى والثواب لى فانما فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله
يطلع من ضميره على انه لو اخبره نبى بان ثوابه فى الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه فى الاظهار وحبس مع ذلك
فى سجن وقيد بالسلاسل لاحتال فى هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذى تظهر رياسته من تدريس
او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثنى عليه ويتواضع له فاذا خطر له ان التواضع
للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات ان ذلك عند الطمع فى اموالهم فاما انت فغرضك ان تشفع
للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول
عند ذلك السلطان فصار يشفعه فى كل مسلم حتى يدفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان

بقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ
من اموالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين
وعالمهم وبك قوام الدين افلا يحل لك ان تاخذ منه قدر حاجتك فيغتر المسكين بهذا التلبيس في ثلثة
امور احدها انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء
قيام واولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس
وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل
واحد عشره فان كان مال كل واحد قد اختلط بالاخر والثاني في قوله انك في مصالح المسلمين وبك قوام الدين
ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن
الاخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام
مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء
عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف الصالح والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا
فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حيوته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء
انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم
في هذه الاعصار المتاخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلم
وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب
من الريا والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها
الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع
النفس ما دق وغمض مدركه ولم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله مثال من يريد تنقية الزرع من الحشيش
فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان
الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو
يظن انه قد طهرها فاذا هو بها في غفلة وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك
العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع
العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر
شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق
وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض
والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس على
كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية
من بين ساير الاقران والاشكال بالجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن
في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل
هذا المسكين المغرور حيوته في الباطن بما انتظم له من امر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت
عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط اوراده ووظائفه
وعساه يحتاج يتعذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة
من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقدت فيه فوق قدره وينبوا قلبه عن من عرف حد فضله وورعه

وان

وان كان ذلك على وفق حاله فعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع
وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناؤه عليه واشد اصغا اليه واحرص على خدمته ولعلهم مستفيدون
منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على
لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يعقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك
الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في الاخفاء والعزلة لذة القبول وعز الرياسة
ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من ابن آدم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه
يصنف ويجتهد ظانا فيه انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدعي
تصنيفه ومحى عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه ان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع
الى المصنف والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه فلعله في تصنيفه لا يخلو عن الثنا على نفسه اما صريحا بالدعاوى
الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل من طعن فيه واعظم منه علما
ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه
لعله لا يعزيه اليه فيظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره بادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه
قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعها وتحسين نظمها كي لا ينسب الى الركاكة
ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض
الحكما وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من
نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد منهم بنفسه السلامة عن عيوب
القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا
او غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة
تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع منه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة
منه فبعد ذلك لا تهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر له من قبل ولا يحرص على الثناء
عليه كما اثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لافة من
الافات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه
ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه
على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا للنفس ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح وان اثني عليه ربما ساءه
وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه بين يديه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له
والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن له الا الاكياس ولا يتنزه عنها الا الاقويا
ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفا الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك
ويكرهه ويحرص على اصلاحه واذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئاته
فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ
بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن
قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم
عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه ومنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوي في الحكومات والخصومات
وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب

صحيفه

ورتما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن
عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا ساير الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والريا والحسد وساير
المهلكات فهولاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا
وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا واستعمله بتكراره وتعلمه لا بل مثالهم مثال من به علة
البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدوا واستعماله فاشتغل بتعلم دوار الاستحاضة
وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما يقع علة الاستحاضة لامراة
وتسالني عنها وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات
والحسد والكبر والريا وساير المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو
عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلام والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات
والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان
في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر
اذ يظن المسكين المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ
من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله فانه وان قصد
وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فروض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل فمن حيث اقتصر
على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وربما طعن على
المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه
عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى
فتراه امنا بالله مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل
الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما يسمع في الشرع من تعظيم
الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفته وصفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف
ويلازم التقوى اذ قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط
المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما
العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب
بين العبد وبين الله فاذا مات العبد ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه
مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر
عليه ليس من الحاج في شيء ولا سبيل وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هولاء من اقتصر من علم الفقه
على الخلافيات من الفقه ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة و
المباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف
لانواع التشنيعات المؤذية وهولاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة
ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله بمحو
الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق
عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهولاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم

واما غرور من حيث العلم صح

في علم الفتاوى ولكن زادوا واشتغلوا بما ليس في فروض الكفايات ايضا بل جميع دقايق الجدل في الفقه بدعة
لم يعرفه السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليه علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيها
واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية انما ابدع لاظهار الغلبة والافحام
واقام سوق الجدل به فغرور هولاء اشد كثيرا وافحش من غرور من قبلهم **وفرقة اخرى** اشتغلوا بعلم الكلام
والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا
بتعلم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بالايمان
ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقايدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله ولا بصفاته منهم وانه
لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة
هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها
عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها
ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فراى احدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما
اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه
الا بتفحص وبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمومن او ليس بكامل الايمان
ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة
ومناقضاتهم واهملوا انفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وهي تظن ان
اشتغالها بالجدل اقرب واولى عند الله وافضل ولكنها لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتما
الى الذب عن دين الله عميت بصيرتها ولم يلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير
الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم عرضا للخصومات والمجادلة
وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل
القبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه
وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل
في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه
الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى
كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم ولهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض
انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل
ثم انهم راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلسه مجادلة لالزام وافحام
وتحقيق حجة ودفع سوال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القران المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك
يشوش القلب ويستخرج منه الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم
بالتقسيمات ودقايق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا
بهذا وقالوا لو نجى اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة
اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فما لنا نضيع
العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى
ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدالنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة

والافحام بلغ المقابله

ما لم يفحص ويبحث

نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة اولى بي من هذا ولو كنت لم انه عن الجدل والخصومة وكيف
وقد نهيت عنه فكيف ادعوا الى السنة بترك السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما
يبغضه الله واتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس
وصفات القلب من الخوف والرجا والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق
ونظايره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين
بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هولا اشد
الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا
على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون
ولولا انه مقرب عند الله لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق
الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخايفين وهو امن من مكر الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من
المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو
من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص
فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الريا ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى
الى دقايق الريا ويذكره ويصف في الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها وهو يظهر
الدعا الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه امن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله وهو منه متباعد
ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق
وهو على الخلق اشدهم حرصا ولو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت
ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى
احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهولا اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع
الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوايلها وفوايدها وهذا قد علم ذلك ولم
ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه
على عباد الله فيخافون وهو ليس بخايف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحموده يمكن ان يدل على
طريق الامتحان والتجربة وهو انه ان كان يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله
وان كان يدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف وان كان يدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه
لوجه الله تعالى ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل ترى قلبه
يمتلي بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلي بالله تعالى فهل رايت محبا انسا يستوحش
من حبيبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا
يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون فاذا كشف الغطاء عنهم
في الاخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق اقتابه فيدورونه كما يدور الحمار على الرحى كما ورد به الخبر لانهم
يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه وانما وقع الغرور لهولاء من حيث انهم يصادفون من قلوبهم
شيئا ضعيفا من اصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل
العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا مع ذلك على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم
فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم عنهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة ايضا

للتعلم فان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة ولم يفارق احاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف
بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف به في قلبه حب الله تعالى
وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفا وغيره من المرضى لا يقدر
على وصف الصحة والشفا واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وانما
يفارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف
والحب والتوكل والزهد وساير هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس عليه وصف الحقايق
بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ
القران والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ
اهل الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات
والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطايفة شغلوا بطيارات النكت
وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار العرب في الوصال والفراق وغرضهم ان
يكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولاء شياطين الانس ضلوا واضلوا وضلوا
عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم فاما هولاء فانهم
يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله تعالى بلفظ الرجا فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي
ورغبة في الدنيا لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب الفاخرة والخيل والمراكب فليشهد من فوقه الى قدمه
بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه
كونه مغرورا وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على
وجهها ويوردونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في
الاسواق مع الجلسا وكل منهم يظنون انهم اذا تميزوا بهذا القدر على السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد
واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله تعالى من غير ان يحفظ ظاهره
وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه بكلام اهل الدين يكفيه وغرور هولاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة
اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة
العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان ولقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد
ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم
قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بما فيها
وقد يفهمون بعضها ايضا فلا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عينهم وهو معرفة معالجة
القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العالية منها ولا حاجة بهم الى شي من ذلك ومنها
السماع وهو الذي اكب عليه الزمان بانهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فايدة
ولكنه منهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع
ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهولاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر
في مجلس الشيخ والحديث يقرا والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر يتصدى لان يسمع منه
والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث او نسخ والشيخ الذي يقرا
عليه لو صحف وغير ما يقرا عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيحفظه كما يسمعه ويرويه كما يحفظه فيكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع وان عجزت عن سماعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك من الراوي كسماع من يسمع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك
منه حرفا واخطأ علمت خطاه ولحفظك طريقان احدهما ان يحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ
ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه
يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه ان امتدت اليه يد غيرك ربما غيرته واذا لم
تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير
والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رايت نسخة
لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرف منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت
هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ
بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط
الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع النوع من الحفظ يشعر بالتغيير لو كان
ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنايم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون
ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون سمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في
البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول
بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرا جاهل يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في
البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث
دون الصوت فليقتصر اذا كان شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث
كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ماهو ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح ومازاد عليه فهو كذب صريح
ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه يسمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع الصبي في المهد وذلك
غاية الجهل ومن اين يوخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول الرسول صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي
فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يودي كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذه من فواحش انواع الغرور وقد بلي به اهل
الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوا في الصبي على هذا الوجه مع الغفلة الا ان
للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف السالكون ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم ويقل
ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك فافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس شرط الا ان يقرع
سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا يعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علماء
الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هولاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين
في اقتصارهم على النقل وفي افناء اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني
الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى ربما يكفيه الحديث الواحد عمرا كما روي عن بعض الشيوخ
انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور **وفرقة اخرى**
اشتغلوا بعلوم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انهم قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام

الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هولاء اعمارهم في دقايق النحويين وفي
صناعة الشعر وفي غرايب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان
العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث
يمكن ان يقرا كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة
الترك والمضيع عمره في لغة العرب بها كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وانما فارقها لاجل ورود الشريعة
فيكفي من اللغة علم الغريبين في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه
الى درجات لا تتناهى فهو فضول يستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا
مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القران واقتصر عليها وهو ايضا غرور اذ المقصود من
الحروف المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفرا فضيع اوقاته
في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب
والقراة والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم
التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة
الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة
الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه
الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوزها
الى ما وراءها حتى وصل الى باب العلم وطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح
الاعمال وتصفيتها عن الشوايب والافات فهذا هو المقصود والمخدوم من جملة علوم الشرع وساير العلوم خدم
له ووسايل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب
او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب
والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الدين فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان
الغرور منها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه
محمودا ولكن المحمود لعينه هو المنتهى والباقي محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا
وعرج عليه فقد اغتر به **وفرقة اخرى** عظم غرورهم في فن الفقه وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس
القضا فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساوا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وهذا
من قبيل الخطا في الفتوى والغرور فيه والخطا في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس
منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المراة مهما ابرات عن الصداق بري الزوج بينه وبين الله تعالى
وذلك خطا بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فيضطر الى طلب الخلاص
فتبري الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فان القلب قد يريد ما لا تطيب به النفس فالانسان يريد
الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت
بين ضررين فاختارت اهونهما فهذه مضارة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب
والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع عليه الخلق ولكن مهما
تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيمة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل مال

الشرع

الانسان ان يوخذ الا بطيبة نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملا من الناس فاستحي من انسان ان لا يعطيه
وكان يود ان يكون سواله فى خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد
نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم تسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة
ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسوال فى مظنة الحيا والريا
ضرب للقلب بالسوط فلا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وانما
حاكم الدنيا هو الذى يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما فى القلب وكذلك من يعطى اتقاء
لشر لسانه او لشر معايبه فهو حرام عليه وكذلك كل مال يوخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما جاء فى قصة
داود حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لى بخصمى فامره بالاستحلال منه وكان ميتا فامر بندائه فى صخرة بيت
المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا نبى الله اخرجتنى من الجنة فماذا تريد فقال انى اسات اليك فى امر
فهبها لى قال قد فعلت ذلك يا نبى الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبرئيل هل ذكرت له ما فعلت
قال لا قال فارجع فبين له فناداه فقال لبيك يا نبى الله فقال انى قد اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك
قال او لا تسالنى ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبى الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة فانقطع الجواب فقال
يا اوريا لا تجيبنى فقال يا نبى الله ما هكذا يفعل الانبيا حتى اقف معك بين يدى الله فاستقبل داود الصياح
والبكا من الراس حتى وعده الله ان يستوهبه منه فى القيامة فهذا ينبيك ان الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد
وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة وكذلك طيبة القلب لا يكون فى الابرا والهبة وغيرهما الا اذا خلى الرجل
واختياره حتى تنبعث الدواعى من ذات نفسه الا ان تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل
مال الزكوة فى آخر الحول من زوجته واتهابها ماله لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد
به ان مطالبة السلطان والساعى قد سقط عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم الى ظاهر الملك وقد زال وان ظن
انه يسلم فى القيمة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه
الدين وسر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات
وثلث منجيات فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله
لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه وان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من
حرصه على المال ان استنبط بالحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله
مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقها المغرورون لا يميزون بين الامانى والفضول والشهوات
وبين الشهوات والحاجات بل كل ما لا يتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت
لحاجة العباد اليها فى العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو
حاجة وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقها فى امثال ذلك لملانا مجلدات والغرض
التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول **الصنف الثانى** ارباب العباده والعمل
والمغرورون منهم فرق كثيرة منهم من غروره فى الصلوة ومنهم فى تلاوة القران ومنهم فى الصوم ومنهم فى الحج
ومنهم فى الغزو ومنهم من غروره فى الزهد فى الدنيا وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا من الغرور
الا الاكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة اهملوا الفرايض واشتغلوا بالفضايل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضايل
حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذى يغلب عليه الوسواس فى الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضى الماء المحكوم
بطهارته فى فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر

فان سر الزكوة

الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان
اشبه بسيرة الصحابة اذ توضا عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع ابوابا
من الحلال خوفا من الوقوع فى الحرام ثم فى هولاء من يخرج الى حد الاسراف فى صب الماء وهو منهى عنه وقد يطول
الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا فهو مغرور ولما فاته من فضيلة اول الوقت
وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه فى صب الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو اعز الاشيا فيما
له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة
فيبعدهم عن الله بمثل ذلك **وفرقة اخرى** غلبت عليها الوسوسة فى نية الصلوة فلا يدعه الشيطان حتى يعتقد
نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوت الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد
فى صحة نيته وقد يوسوس فى التكبير حتى يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه فيفعلون ذلك فى اول
الصلوة ثم يغفلون فى جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغيرون ذلك ويظنون اذا اتعبوا نفوسهم فى تصحيح
النية فى اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم **وفرقة اخرى** يغلب عليه
الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال احدهم يحتاط فى التشديدات والفرق
بين الظا والضاد بتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلواته ولا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى
القران والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق فى تلاوة القران
من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام ومثال هولاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان
وامر ان يوديها على وجهها فاخذ يودى الرساله ويتانق فى مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد اخرى
وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما اجراه بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار
المجانين ويحكم عليه بفقد العقل **وفرقة اخرى** اغتروا بقراءة القران فيهذونه هذا وربما يختمون فى اليوم
والليلة مرة والسنتهم يجرى به وقلوبهم يتردد فى اودية الامانى ولا يتفكر فى معانى القران لينزجر بزواجره
ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ليعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب
تلاوة القران من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة
عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه ملك كتابا واشار اليه فيه بالاوامر والنواهى ولم يصرف عنايته الى فهمه والعمل
به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر فى خلاف ما يامره به مولاه الا انه مكرر للكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة
مرة فهو فى ذلك مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم حفظه وتلاوته انما يراد كيلا
ينسى بل يحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو
يقرا ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه وانما لذته فى صوته
ولو ردد الحانه بشعر او كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف به ان لذته بكلام الله
من حيث حسن نظمه او معانيه او لصوته **وفرقة اخرى** منهم اغتروا بالصوم فربما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة
وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم من الريا وبطونهم من الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان
بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير يهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك
غاية الغرور **وفرقة** اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين
وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون فى الطريق الصلوة والفرايض
ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يوخذ منهم ولا يحذرون فى الطريق من الرفث والخصام

وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء ويعصي الله في كسب الحرام اولا وبانفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت الحرام بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور

وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر احدهم منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس على مسجد ومن تاخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه الريا والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع منه واعلم منه ثقل عليه

وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة فاغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فلوبهم متعلقة ببلادهم ملتفتين الى قولهم ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدي واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم يجاور ويمد عين الطمع الى اوساخ اموال الناس واذا جمع منه شيا شح عليه وامسكها ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الريا والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه الجوار مع التضمخ بهذه الرذايل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها افات فمن لم يعرف مداخل افاتها واعتمد عليها بغير معرفة فهو مغرور لا يعرف شرح ذلك الا من جملة من كتاب احيا علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة والتلاوة وساير القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الاشارة الى مجامع ما يسبق في الكتب

وفرقة اخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك المغرور اذ يتطاول به على الاغنيا ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجوا لنفسه اكثر مما يرجوا لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذه خيفة من ان يقال بطل زهده فلو قيل انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح نفسه به خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلوا عن توقير الاغنياء وتقديمهم الى الفقرا والميل الى المريدين له والمثني عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الريا والكبر والعجب وساير المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك يتوهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مواخذ باحوال القلب وان توهم ذلك فيظن ان العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذوي تقوى وخلق من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلوا هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه من الريا وحب الثنا فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واوليا الله واحبائه فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه

وفرقة اخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرايض تراه يفرح بصلوة الضحى وبصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرايض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فروض كفاية لا قايم بها على ما قام بها غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان تقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من ابر فقال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبدا بالصلة الاقرب فان استويا فالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت بالاشتغال بالوفاء بالوعد فهو حينئذ معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه والنجاسة محذورة فالحذر من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر فمن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يتفطن بصيرورة الطاعة معصية حين ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان المقصود من الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في جوارحه فمعرفة ما يحتاج اليه هو في قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهات وقهر الاقران والتقدم عليهم ~~والمغترون منهم فرق~~ يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه

الصنف الثالث المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئاتهم وفي الفاظهم وفي ادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعدا وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور تشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية مثلهم ولم يتعبوا قط انفسهم في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوايل منازل التصوف ولو فرغوا من جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا حولها قط ولا يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين

النصح

والمتفقين

وابذاء ما هو محذور

تثبت اسماؤهم فى الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيف هيئة تبخترهم فى الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمايلهم فى الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر لتثبت اسمها فى الديوان مع الشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحتها وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنايتها فى الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هى عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك والاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليه خذوها فالقوها الى قدام الفيل ليثخنها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين التصوف فى القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضى الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هؤلاء فى الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم فى بذاذة الثياب والرضا بالدون وارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم وتركوا الخز والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوطة الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثياب وكونه مرقعا ونسى انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوطة الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها واحتياطه فى اختيار خياط يعمل عليه دينارا فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته فى اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان فى الصادقين منهم وكل ذلك عن شوم المتشبهين وشرهم وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات المحمودة والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وانواع العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون ويقول فى العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى منهم وقعت فى الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغنى عن عملى فلم اتعب نفسى وبعضهم يقول قد كلفوا الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن فانما يغتر به من لم يجربه واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما بحكم الشرع والعقل ويقول بعضهم الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم

فيها

فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا يحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووسواس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم الصالح للاقتداء واحصاء اصنافهم يطول وفرقة اخرى جاوزت حد هؤلاء واحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصارت تدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضى والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله وعن ايثار هوى نفسه على امر الله ونهيه وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلى لما تركها حياء من الله وليس يدري ان كل ذلك مناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا من التوكل سوى المخاطرة بالروح وتركوا الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من مقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الافات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكننا اعادته وفرقة اخرى ضيقت على نفسها فى امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق فى غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بساير الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصى فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع الاموال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق فى طريق الحج الى الصوفية ويزعم ان غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثاله من ينفق الحرام فى طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله ويطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها واتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع احوالهم مشغولون بالتفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى افاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوايق الحج وافاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة واشتغلوا فى ابتداء سلوك الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة فكلما شموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم غرايبها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسدادها على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجايب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد

ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته
الوقت الذي يمكنه فيه لقاء الملك **وفرقة اخرى** جازوا هولاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق
والى ما تيسرت لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في المسير حتى قاربوا فوصلوا
الى حد القربة الى الله وظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك
الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم عليه السلام اذ قال اخبارا
عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعنى به هذه الاجسام المضية فانه كان يراها في الصغر
ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكواكب ليس باله فمثل ابرهيم لا تغره
الكواكب الذي لا يغر السوادية والتركية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله وهي على طريق السالك ولا يتصور
الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكواكب
فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم لما راى ملكوت السموات حيث قال تعالى
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات الاية يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم
كان يكشف له ان وراءه امرا فيرقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاول
الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خالي عن الهوى في حضيض النقص
والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول فاول الحجاب بين الله
وبين العبد هي نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق
كله حتى انه ليتسع بجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ
يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة فهو كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف
جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب فيرى من جماله الفايق ما يدهشه فربما
يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان
قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل
الالتباس اذ المتجلي يلتبس فيه بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراى في المراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس
ما في الزجاج بالزجاج كما قيل **شعر** رق الزجاج ورقت الخمر ۝ فتشابها فتشاكل الامر ۝ فكانما خمر ولا قدح ۝
وكانما قدح ولا خمر ۝ وبهذه العين نظرة النصارى الى المسيح عليه السلام فراوا اشراق نور الله قد تلالا فيه
فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مراة او في ماء فيظن ان الكوكب في الماء وفي المراة فيمد اليه اليد ليأخذه فهو بذلك
مغرور وانوار الغرور في طريق السلوك الى الله لا يحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم
المكاشفة وذلك مالا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق
لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه ولا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة
من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فايدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم
مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات
التي اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل **الصنف**
الرابع ارباب الاموال والمغرورون منهم فرق فرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والقناطر والرباطات
وما يظهر للناس كافة ويكتبون اسماءهم بالاجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم

قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم بنوها من اموال كسبوها من الظلم والنهب
والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا بسخطه في انفاقها وكان الواجب
عليهم الامتناع عن كسبها فاذا عصوا الله تعالى بكسبها وكان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله وردها
الى ملاكها اما باعيانها واما رد بدلها عند العجز فان عجزوا عن المالك فكان الواجب ردها الى الورثة
فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم
لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الريا وجلب الثناء
وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد
الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه عليه اشق عليه ولم تسمح
نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلو لا انه يريد وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك **وفرقة**
اخرى ربما اكتسب المال من الحلال وانفقت على المساجد وهو مغرور من وجهين احدهما الريا وطلب الثناء
فانما ربما يكون في جواره او بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم من صرفه الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه
صرفها ليظهر ذلك بين الناس والثاني انه يصرفه الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها
وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة اعينهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد
قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات
ويعتقد به وسيلة له الى الله تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره
وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك
في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله قال
مالك بن دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي يدخل بيت الله وهو لا يريد الصلوة
فكتب على المكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان يعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية
على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر
الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه
بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا فان احب الاشياء الى الله تعالى
القلوب الصالحة بها يعمر الله تعالى الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبرئيل فقال ابنه سبعة اذرع طولا في السماء
لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه **وفرقة اخرى** ينفقون الاموال
في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون بها المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادتهم الشكر والافشاء
للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير بما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون
على انفاق المال في الحج فيحجون مرة اخرى بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جايعين ولذلك قال ابن مسعود
في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى
باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع
بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتامرني بشئ فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم فقال بشر
فاي شئ تبتغي بحجك نزهة او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضات الله قال ابتغاء مرضات الله قال

فان اصبت رضى الله تعالى وانت فى منزلك وتبقى الف درهم وتكون على يقين من مرضات الله تعالى اتفعل
ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مديون يقضى دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يجبى عياله ومربى
يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان واعانة
الضعيف افضل من ماية حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا بانصر
سفرى اقوى فى قلبى فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت
النفس ان تقضى به وطرا واظهرت اعمال الصالحات وقد الى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفرقة
اخرى من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى
لا يحتاج فيها الا نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى
على باطنهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال فقد اشتغلوا بطلب فضائلهم وهم مستغنون عنها ومثال ذلك
من دخلت فى ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفرا ومن قتلته الحية
فمتى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغنى كثير الصوم والصلوة فقال المسكين ترك حاله
ودخل فى حال غيره انما حال هذا الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه
ومن صلوته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقرا وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط
ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردى الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقرا من يخدمهم ويتردد فى حوايجهم
او من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستسخار فى خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض ومن يسلمونه الى من يعينه
من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات
للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور
ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور وفرقة اخرى من عوام الخلق ارباب
الاموال والفقرا اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة
ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وذلك غرورهم مغرورون لان
فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت
عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه
من الواعظ من فضل حضور المجلس للذكر وفضل البكاء وربما يدخله رقة كرقة النسا فيبكى وربما يسمع كلاما
مخوفا فلا يزيد على ان يصفق يديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله
وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض يحضر مجلس الاطبا فيستمع او الجايع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة
الشهية وينصرف عنه وذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيئا وكذلك وصف سماع الطاعات دون العمل
بها لا يغنى من الله شيئا فكل وعظ لم يغير عنك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا
قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت ما ذكرته من
مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من الناس
على الحذر من خفايا هذه الافات فاقول الانسان اذا فترت همته فى شئ اظهر الياس منه واستعظم الامر واستوعر
الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق الى الوصول الى الغرض
حتى ان الانسان لو اراد ان يستنزل الطير المحلق فى جو السما مع بعده منه فاستنزله فاذا اراد ان يستصعد
الحوت من اعماق البحر فاستصعده وان اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال فاستخرجهما وان اراد

وان اراد ان تقتنص الوحوش المنطلقه فى البرارى والصحارى فاقتنصها وان اراد ان يستسخر السباع
والفيلة وعظيم الحيوانات فاستسخرها وان اراد ان ياخذ الافاعى والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج
الترياق من اجوافها واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت فاتخذه وان اراد ان يعرف مقادير
الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل
واعداد الالات فيسخر الفرس والكلب للصيد وسخر البازى لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاقتناص السمك
الى غير ذلك من دقايق حيل الادمى كل ذلك لانه همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همه امر اخرته
فليس عليه فيها الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه ويقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه
فليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شئ
لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج
الى عشر تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت فقد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت فى
ذكر مداخل الغرور فبما ينجو العبد من الغرور به فاعلم انه ينجو منه بثلثة امور لا بد منها اما العقل فاعنى به
الفطرة الغريزية والنور الاصلى الذى به يدرك الانسان حقايق الاشيا فالفطنة والكيس فطرة والحمق
والبلادة فطرة فالبليد لا يقدر على التحفظ من الغرور وصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه فى اصل الفطرة
وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس العبادات كلها
العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الذى قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين
ليستوى عملهما وبرهما وصلوتهما وصومهما ولكنهما متفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا
هو افضل من العقل واليقين وعن ابى الدردا رضى الله عنه انه قال يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار
ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو فى سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنايز ويعين الضعيف ما
يعلم منزلته عند الله يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثنى على رجل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله
نقول له من عبادته وفضله وخلقه قال وكيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب
الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدردا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن رجل شدة عبادة سال
عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ صاحبكم ما تظنون قال وذكر له شدة عبادة
رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشئ قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكا وصحة غريزة العقل نعمة
من الله تعالى فى اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثانى المعرفة واعنى به ان يعرف
اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه
غريبا فى هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هى معرفة الله تعالى والنظر
الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه فى
كتاب المحبة وفى كتاب شرح عجايب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس
والى وصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراء ذلك فان هذا من علوم المكاشفة
ولم نطنب فى هذا الكتاب الا فى علم المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليها بما ذكرناه فى كتاب ذم
الدنيا وفى كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والاخرة
ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا شدة الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله

ويجادل عنه صح

قالت وما حيلة المشتاق للحظ
عين الرقيب فما ينفك من وجل
فقد عيل صبرى بما القى فقلت لها
صح

بالعقل والعلم والمعرفة
صح

السعادات
صح

الى الله وينفعه في الآخرة شدة الرغبة فيها واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان القصد منه الاستعانة على سلوك الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا دخل حب الله على قلب بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث فيحتاج جدا وهو العلم اعني بكيفية سلوك سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه في كتب احياء علوم الدين فتعرف من ربع العبادات شروطها فتراعيها وآفاتها فتنفيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذ بادب الشرع وما هو مستغنى عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وان توضع خلفا من المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب الاخلاق وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات فاستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه وتركها وانقطع طمعه عن الخلق ولم يلتفت اليهم ولا يبقى له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته على العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم فيبين لهم ضلالتهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ولا مؤنة ولزوم غرامة وكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطابت عيشته بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اوجز زمان بقدر فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشقاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتزين للخلق والتصنع في الزي والهيئة فاقبل اليه الناس يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لدائهم بمحض

الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من آبائهم وامهاتهم واقاربهم فآثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا كالخدام والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وراقت له لذة يا لها من لذة فاصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللحظة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب ناداه الشيطان يخيل له ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور والتكبر وربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه للحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والتكبر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله فاتبع بذلك استغفارا وتنفس الصعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر راغبهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركك وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى راس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من راس البئر وشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه ذلك فلم يثقل عليه ارايت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم لما كان ينبغي ان يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره لم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم واستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله ونظر اليهم كما ينظر الى السادات او الى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم ولا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فمن لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والبلاد جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى لكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكذلك لا يزال السنة الوعاظ مطلقة

لحب الرياسة ولا يدعونها بقولهم من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب
عن حديث الناس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم في الاخرة وانما يخشى الطالب ان ينسد طريق
الاتعاظ فاما ان تخرس السنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت
فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان اشتغل بنفسه وترك النصح اونصح وراعى شرط الصدق فما الذي
يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمه وهو ان الشيطان
يقول له قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت
عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن بجميع مداخل غروري
فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه وفي فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك
الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك
قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه وعلم ان ذلك من الله لا منه وان مثله لا يقوى على
دفع الشيطان الا بتوفيق الله تعالى ومعرفته ومن عرف عجز نفسه وضعفه عن اقل القليل فاذا قدر
على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول
يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل
ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله تعالى فقط دون ان يقارنه الخوف
من مكره ومن امن مكر الله فهو خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا لجملة ذلك انه من فضل الله ثم خائفا
على نفسه ان يكون قد شذت عنه صفة من صفات قلبه من حب الدنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز
وهو غافل عنه وان يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص
عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع
وكان قد بقي له نفس فقال افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون
والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا
المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله
ابدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها والسلام على من اتبع الهدى هذا اخر كتاب ربع
المهلكات من كتاب احياء علوم الدين ويتلوه ربع المنجيات افتتاحه كتاب التوبة ان شاء الله تعالى والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد المصطفى وآله الطيبين واصحابه الطاهرين اجمعين وسلم تسليما دائما كثيرا

كالم بوع الخلق المشرب والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي لقول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ان ذلك حرام صح

ويكون خائفا صح

بلغ المقابلة

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله الذي بحمده وبتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر
كل خطاب وبوجهه تتنعم اهل النعيم في دار الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب وضرب
بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب
الارباب ومسبب الاسباب ونرجع رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج رجاءنا بالخوف
مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه الاكرمين صلوة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن
مآب اما بعد فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين
وراس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين
ولابينا آدم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين اجمعين وما اجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد فلا غرو
وان اذنب الآدمي واجترم فهي شنشنة عرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ان كسر
وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلي طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن الندم
وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض
الخير داب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الى الخير بعد الوقوع في
الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر مارد شيطان والمتلافي
للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل
عبد مصحح نسبه اما الى الملك او الى آدم او الى الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبته الى آدم بملازمة
حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير
الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى
النارين نار الندم او نار جهنم فالاحتراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان
واليك الآن اختيار اهون النارين والمبادرة الى اخف الشرين قبل ان يطوى بساط الاختيار ويساق
الى دار الاضطرار اما الى الجنة او الى النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها
في صدر ربع المنجيات لنشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية
الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة
على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة الركن الثاني فيما عنه
التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات
والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان شروط
التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام
التوبة الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقد الاصرار من المذنبين وهو
المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شاء الله تعالى الركن الاول في نفس التوبة بيان حقيقة التوبة وحدها
اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلثة امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث

الحمد لله بتكميل

نسبته

وما يتعلق بالعباد صح

فالاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تالم فان كان فواته بفعله تاسف على الفعل المفوت فيسمى تالمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا له واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت المحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضا ان كان قابلا للجبر والقضا فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تاكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتالم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مترتبة في الحصول يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم التوبة عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا تعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا وقال سهل التستري رحمه الله التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقايق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالايات والاخبار وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قايد يقوده في كل خطوة فالسالك في طريق الدين اما اعمى لا يستغني عن القايد في كل خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يتنبه بادنى اشارة لسلوك طرق معوصة وقطع عقبات متعبة فيشرق في قلبه نور القران ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان وكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء فهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن كان هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم بان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد

والنجاة

والنجاة من هلاك الابد وانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القايل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله تعالى وان كل محجوب عنه فشقي لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه يحترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله تعالى الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله تعالى الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى طالبا للانس به تعالى بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته بسبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم يتندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلثة ضرورية في الوصول الى المحبوب فهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله تعالى وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوايب ماخوذ عن النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التايب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله تعالى قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ فقال من فرحه اذا اراد شكره اللهم انا ربك وانت عبدي ودوي عن الحسن قال لما تاب الله تعالى على ادم عليه الصلوة والسلام هنته الملايكة فهبط عليه جبريل وميكايل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عز وجل عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سوال فاين مقامي فاوحى الله اليه يا ادم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كتلبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التايبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاوهم مستجاب والاخبار والاثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم

بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم
يخلقه العبد ويحدثه فى نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل
من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصاير وما سوى هذا ضلال فان
قلت افليس للعبد اختيار فى الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله تعالى
بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر فى الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحه
وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام فى المعدة وخلق العلم فى القلب بان هذا الطعام مسكن الشهوة
وخلق الخواطر المتعارضة فى ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع
يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة
على التناول فانجزام الارادة الباعثة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد قوة الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد
من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام
لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فيكون الحركة بخلق الله
وا لانجزام الارادة وهما ايضا من خلق الله تعالى وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع
وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتبا جرت به سنة الله فى خلقه ولن
تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة مالم يخلق فيها صفة يسمى قدرة ومالم يخلق
فيها حياة واذا خلق ذلك صارت فيها الارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلا
فى النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما مالم يخلق علما بانه موافق للنفس اما فى الحال واما فى المال
ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر يرجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الارادة
الجازمه والارادة الجازمة والقدرة ابدا يستردف الحركة وهذا الترتيب فى كل فعل والكل من اختراع الله
تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتاخر البعض كما لا يخلق الارادة
الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحيوة ولا يخلق الحيوة الا بعد الجسم ويكون خلق الجسم شرطا لحدوث
الحيوة لا ان الحيوة تتولد من الجسم ويكون خلق الحيوة شرطا لخلق العلم لا ان العلم يتولد من الحيوة ولكن لا يستعد
المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يتولد الارادة ولكن لا يقبل
الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل فى الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغير لان تغيره محال فمهما
وجد شرط الوصف استعد المحل لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية
عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب
فالعبد مجرى هذه الحوادث المرتبه وهي مرتبة فى قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير
وظهورها بالتفصيل مقدرة بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وعن القضا
الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري
القضا والقدر ومن جملة القدر خلق الحركة فى يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة فى يده يسمى القدرة وبعد
خلق ميل قوي جازم فى نفسه يسمى القصد وبعد خلق علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن
الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق لاهل عالم الملك والشهادة
المحجوبين عن عالم الغيب والملكوت انه الفاعل وقالوا يا ايها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء
حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن الله قتلهم

قاتلوهم

قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين فى بحبوحة عالم الشهادة فمن قايل انه جبر
محض ومن قايل انه اختراع صرف ومن متوسط مايل الى انه كسب ولو فتحت لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم
الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه
هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم
الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل فى حيز الارتضا
ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب
انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت فقد قضيت على كل واحد
من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف
يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلد
حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته
باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما دخلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه
ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سالهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي
لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين منها وقال الذي لمس الناب ليس
كما تقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه فليس فى غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل العمود وقال
الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة
وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه من معرفة الفيل
ولم يخرج واحد فى خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا
المثال واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه واذا كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها
وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلثة العلم والندم
والترك وان الندم داخل فى الوجوب لكونها واقعا فى جملة افعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد وارادته
وقدرته المتخللة بينهما وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان ان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب
على الفور والمتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من
علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي
عن عهدته مالم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد
لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به
نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك
لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب للعليل
هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به
بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص
الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القايل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا
اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار

نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهايم المرسلة المتلوثة بارواثها المستكرهه الصور بطول مخالبها
واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد
الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقود العينين فاقد
لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح
الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضا التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو
مقصر في الاعمال قريب من ان ينقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة
قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لا تثبت في النفس اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على
عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة فهذا حال مطلق الايمان
الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك
مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر اني شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت
ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك وتتناثر اوراقك
وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار. سوف ترى اذا انجلى الغبار.
افرس تحتك ام حمار. فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما تقطعت نياط قلوب العارفين خوفا من دواهي الموت
ومقدماته الهايلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته
كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وان الموت غالبا لا يقع
فجاة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم
له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا يزال يجتمع في الباطن مغيرة
مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي ان كان
الخايف من الهلاك الابد اولى في هذه الدنيا المنقضية يجب على ترك السموم وما يضره من الماكولات
في كل حال وعلى الفور فالخايف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان متناول السم اذا ندم
يجب عليه ان يتقيا ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا
لبدنه المشرف على الهلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى
بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا
السم فوات الاخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم
الذي يتصرم اضعاف عمر الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته اخر البته فالبدار البدار الى التوبة قبل
ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطبا ولا ينفع بعده الاحتما فلا ينجع
بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله
تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان الذي
هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي
فروع سينساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون
الاصل ولا فرق بين الفرع والاصل الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود
الاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الاصل والفرع فلا يستغني احدهما عن الاخر

وان كان احدهما في رتبة الاصل والاخر في رتبة التابع فعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها
خير من وجودها فانها ان لم تعمل عملها الذي يراد له ثم قامت مؤكدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب
العالم الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم **بيان ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال**
فلا ينفك عنه احد البتة اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم
الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان
ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وساير الصفات
المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين
واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول
جنود الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر فانهما ضدان فالتطارد
بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت
الشهوات تكمل في الصبى والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع
للقلب به انس والف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ونعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح
العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو
ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان
كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على
سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان
الى طريق الله عز وجل وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة
على غريزته التي هي عدة الملائكة وكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان
نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بادم عليه السلام. يقولون لي هند لها العذر وحدها
سجية نفس كل غانية هند. بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة
الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فان بلغ مسلما
تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه
شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف
بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة
وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل على ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور
ان يستغني عنه احد من البشر كما لم يستغن عنه ادم فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع له خلقة الوالد اصلا **فاما**
بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبيا
كما ورد في القران والاخبار من خطايا الانبيا وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن
معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد
الخواطر المتفرقة والمذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو من غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته
وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد
بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل
فلا بد منه ولهذا قال عليه الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة حتى استغفر الله

الحديث ولذلك اكرمه الله بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف
يكون حال غيره فان قلت لا يخفى ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان
القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما زادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب
النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال
والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ درك الكمال غير واجب في الشرع فالمراد بقولك التوبة واجبة في
كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة
تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من
نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في
وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع
على قلوبهم كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل
بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك
الآثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها
في المستقبل ما لم تشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار وكما ترتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع
اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذن لا يستغني العبد في حال من الاحوال عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة
حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات وهذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة
فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل اصل المرآة
فهذه اشغال طويلة لا ينقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل
وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهذا هو
القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا
المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يودي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ
احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع عمر كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات
ليست واجبة بهذا الاعتبار فالواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به الى القرب المطلوب من رب العالمين
والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في
اي لمن يريدها فانه لا يصل اليها الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلوة التطوع فالطهارة
ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط
لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى الدرجات العلا في الدنيا فاما من قنع باصل
الحيوة ورضي بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة وليس يشترط لمثل هذه الحيوة عين واذن ويد ورجل فاصل
الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحيوة وما وراء اصل النجاة
من السعادات التي بها تتهيأ النجاة تجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحيوة وفيه سعي الانبيا
والاوليا والعلما والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا
بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام الى ان توسد حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان فقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة
فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم في الدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى بالحجر

الهموم

منه دخان وظلمة

صلوة التطوع

ووضع راسه على الارض وكان رميه بالحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه السلام لم يعلم ان وضع الراس
على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا عليه الصلوة والسلام لما شغله الثوب الذي
كان عليه علم في صلوته حتى نزع وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق ما علم ان ذلك
ليس واجبا في شرعه لكافة العباد فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه مؤثرا في قلبه
اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان قد وعد به اوترى ان الصديق بعد ان شرب اللبن وعرف انه
على غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كان يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان
ما اكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك على حسب امكانه
بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره وعرفه ذلك السر ان فتوى العامة حديث آخر وان
خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال هولاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله عز وجل
وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان تغرك الحيوة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان تغرك
بالله الغرور فهذه اسرار من استنشق مبادي روائحها علم ان لزوم التوبة النصوح لازم للعبد السالك في كل
نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولا تراخ ولقد صدق ابو سليمن
الداراني رحمه الله حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان
خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف لمن يشتغل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان
العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة فاذا ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها
سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها
صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهرة انفس من هذا فاذا ضيعتها
في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى المعصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي
على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لان الجهل مصيبة لا يعرف المصاب
بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك
ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد وقع الياس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك
الموت عليه السلام اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد
من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب
فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن
من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول العبد عند
كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت
الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق باب التوبة عليه فيتغرغر بروحه
ويتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب
اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه
على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضا بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب
وذلك سوء الخاتمة فلمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار الآية بل التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون

يستقبل

من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحوا اثرها بحسنة يردفها قبل ان يتراكم الرين
على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمن لابنه
يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين
احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض او
الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من
هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسية الى ان يختطفه الاجل فياتي الله
بقلب غير سليم ولا ينجوا الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله تعالى عند عبده والعمر امانة الله عنده
وكذا ساير اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين
ان لله تعالى على عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي
قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة
وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها
حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب والعذاب والعذاب واليه الاشارة بقوله
تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله والذينهم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرايطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي
مقبولة فالناظرون بنور البصاير المستمدون من انوار القران علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله و
متنعم في الاخرة في جوار الله ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما
في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما يفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها
وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحوا عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام
المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون
فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله عز وجل لان يكون في جواره
وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة توسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال
القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه فكل قلب زكي
طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول وانما عليك التزكية والتطهير فاما القبول فمبذول
قد سبق به القضا الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح المومنون وقوله تعالى قد افلح
من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالابصار ان القلب يتاثر بالمعاصي
والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للاخر لفظ النور كما
يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره
ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل
نفسه فهو لغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف نفسه فمن يتوهم
ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول
الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب
حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك
كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد

الوصف

الوصف المتمكن منه فهذا احال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين
على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصاير في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه
بنقل الايات والاخبار والاثار وكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الايات وقال
صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد المومن الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى
تطلع الشمس من مغربها فبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب
ولا طالب الا هو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم
وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه
تائبا فارا منه حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه واله وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التايب من الذنب
كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فقال يا
رسول الله انه كان يراني وانا اعملها فقال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله تعالى
لما لعن ابليس ساله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن ادم ما دام فيه
الروح وقال صلى الله عليه واله وسلم فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال
صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا مما لا تحصى واما
الاثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل الله قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين انهم ان تابوا قبلت منهم توبتهم وحذر
الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها
العبد ولكن اصبحوا تائبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب
ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله عز وجل اليه وعزتي وجلالي لئن عدت لاعذبنك
فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب
الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس يا ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض
على الرجل ذنوبه يوم القيمة فيمر بالذنب فيقول اما اني قد كنت مشفقا منك فيغفر الله له ويروى ان رجلا
سال ابن مسعود عن ذنب الم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فراى عينيه تذرفان فقال له
ان للجنة ثمانية ابواب كلها تغلق وتفتح الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تياس
وقال عبد الرحمن بن ابي الهيثم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله عز وجل ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله ولقد بلغني ان العبد اذا عمل عملا من اعمال البر دخل الجنة ولقد
بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد
اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم
ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى يغفر الله لك قال اذا تاب علي وقال اخر انا من ان احرم
التوبة اخوف من ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل
شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المراة فراى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك
عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قايلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك

وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري ان لله عبادًا انصبوا
اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندمًا وحزنًا فجنوا من غير جنون وتبلدوا
من غير عي ولا بكم وانهم لهم البلغا الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفا فورثوا الصبر على
طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم
وقروا صحيفة الخطايا واورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع واستعذبوا مرارة الترك
للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا
في رياض النعيم وخاضوا بحر الحيوة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا
من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن
العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة فان قلت افتقول ما قاله المعتزلة
من ان قبول التوبة واجب على الله فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القايل
بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش وانه
اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة
بالايجاب على الله بل اقول خلق الله الطاعة مكفرًا للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلًا للعطش
والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب كونه
لا محالة فان قلت فما من تايب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا شك في زوال عطشه فلم يشك في
فاقول شكه في القبول لشكه في وجود شرايط الصحة فان للتوبة اركانًا وشروطًا دقيقة كما سياتي وليس
يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء يشربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط
الاسهال باعتبار الحال والوقت والسن وكيفية خالص الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا
وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبوله لا محالة على ما سياتي في شروطها ان شاء الله تعالى

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغايرها وكبايرها اعلم ان التوبة ترك للذنب ولا يمكن
ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبًا فمعرفة الذنوب
اذن واجب والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله من ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات
من اولها الى اخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها **بيان اقسام الذنوب
بالاضافة الى صفات العبد** اعلم ان للانسان اخلاقًا واوصافًا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجايب
القلب وعوالمه ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات
بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط
في المعجون منه اثرًا من الاثار كما يقتضي السكر والخل في السكنجبين اثارًا مختلفة فاما ما يقتضيها النزوع الى
الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المال والعز والغنا وحب دوام البقا وطلب الاستعلا
على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كباير الذنوب غفل عنها الخلق
ولم يعدوها ذنوبًا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات
الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه
يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدعة والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب
والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام

قبول توبته

فالدوآء

والزعفران

لاجل

لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والاسر
والقتل واستهلاك الاموال والنفوس ويتفرع منها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة والصفة البهيمية
هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي
الصفة الشيطانية ثم بالاخرة تغلب الصفات الربوبية وهو الفخر والعز والعلو وطلب الكبريا وقصد
الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم ينفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح
فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها
على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان
تفصيل ذلك فانها واضحة **قسمة ثانية** اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق
العباد فما يتعلق بالعبد بينه وبين الله خاصة كترك الصلوة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق
العباد كترك الزكاة وقتل الانفس وغصب الاموال وشتم الاعراض وكل متناول من حق الغير واما نفس
او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغوا والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي
وتهييج اسباب الجراة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجا على جانب الخوف وما يتعلق
بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر
الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر فذنوب العباد بينهم
وبين الله عز وجل واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد
وان يطالب بها حتى تنقضي عنه **قسمة ثالثة** اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغاير وكباير وقد كثر اختلاف الناس
فيه فقال قايلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كباير ما
تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقال تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم وقال عليه الصلوة والسلم
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفرن ما بينهن ان اجتنب الكباير وفي لفظ اخر كفارات لما بينهن الا
الكباير وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكباير الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكباير من اربع الى سبع الى
تسع الى احدى عشر فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هي اربع وقال ابن عمر هي سبع وقال عبد الله بن عمرو هي تسع
وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكباير سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال مرة كل ما نهى الله
تعالى عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما اوعد الله عليه النار فهو من الكباير وقال بعض السلف كل ما اوجب
الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود
لما سئل عنها اقرا من اول سورة النسا الى راس ثلثين اية منها عند قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر
عنكم سياتكم فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى ههنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكباير سبع عشر
جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمعت من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب
وهو الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربعة في اللسان وهي الشهادة
الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم
باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها يغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان
وساير الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلثة في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم
ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنتان في الفرج وهو الزنا واللواط واثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحد

والشتم

والرمضان الى رمضان

النار

في الرجلين وهي الفرار من الزحف الواحد من اثنين وعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين
قال ومن جملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وان يسالاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما
ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل فيه تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان
منه فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهو جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما
فقء العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض لها وضرب
اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا يشك في انه اكبر من اكل مال اليتيم كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة
ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زايد على قذف المحصن وقد قال ابو سعيد الخدري
وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في ان
السرقة كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القايل السرقة حرام ام لا فلا مطمع في معرفته
الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص
في اللغة ولا في الشرع لان الكبيرة والصغيرة من المتضايفات وما من ذنب الا وهو كبيرة بالاضافة الى ما دونها
وصغيرة بالاضافة الى ما فوقها فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا
وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة وبالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق اسم الكبيرة على ما توعد
بالنار على فعله خاصة كبيرة ونعني بوصفها بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد
عليه في الدنيا كبيرة مصيرا الى ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب
النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القران يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرا لا محالة له بالاضافة الى ما دونه
اذ منصوصات القران ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد
بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان تعلم معنى قول الله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن
الا الكبائر فان هذا اثبات حكم للكبائر والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع الى ما يعلم استعظامه
اياها والى ما يعلم انها معدودة في الصغائر والى ما يشك فيه فلا يدري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر وعدد
جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بان يقول اني اردت بالكبائر
عشرا او خمسا ويفصلها فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان
السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلث علم انه لم يقصد به العدد والحصر فكيف نطمع
في عدد ما لم يعدده الشرع وربما يقصد الشرع ابهامه ليكون العباد منها على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد
الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق **واما اعيانها** فنعرفه
بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد
الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرايع كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه وانه لا وصول
لهم الى ذلك الا بمعرفة الله ومعرفة صفاته ورسله وكتبه واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد من ان
يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا في الحيوة الدنيا وهو المعنى
بقوله عليه الصلوة والسلام الدنيا مزرعة الاخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة

العين

المضافات

تبعد

بالتحقيق

اليه

اليه والمتعلق من الدنيا بالاخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر
ويليه ما يسد باب حيوة النفوس ويلي ذلك ما يسد باب المعايش التي بها حيوة النفوس فهذه ثلث مراتب
فحفظ المعرفة على القلوب والحيوة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرايع كلها وهذه
ثلثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان يبعث الله نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم
ثم يامرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يامرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فيحصل من هذا
ان الكبائر على ثلث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب
بين العبد وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله
ويتلوا الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فمن عرف الله
لم يتصور ان يكون آمنا ولا ان يكون ايسا ويتلوا هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله
وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبافعاله
وبشرايعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة
في القران والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط
طمع في غير مطمع **الرتبة الثانية** النفوس اذ ببقائها وحفظها يدوم الحيوة ويحصل المعرفة بالله فقتل النفس
لا محالة من الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ الحيوة
الدنيا لا تراد الا للاخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى ويتلوا هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى
الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو اجتمع الناس على
الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود واما الزنا فانه لا يفوت
اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا ينتظم العيش الا بها
بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن ساير الفحول
ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل
لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تميز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي
الى التقاتل وينبغي ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر
بكثرته **الرتبة الثالثة** الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاؤا حتى بالاستيلاء
والسرقة وغيرهما بل ينبغي ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن استردادها
وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك معه فينبغي ان
يكون ذلك من الكبائر وذلك باربعة طرق احدها بطريق الخفية وهو السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا فكيف
يتدارك والثاني اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية واعني به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له
خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف
الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه والثالث تفويتها بشهادة الزور والرابع اخذ الوديعة
وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرايع في تحريمها اصلا و
بعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان تكون مرادة
بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تاثيرها واما اكل الربا
فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد ان تختلف الشرايع في مثله فاذا لم يجعل

الدين

الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضاء الشرع من الكبائر فاكل الربا اكل برضاء المالك ولكن دون رضاء الشرع وان عظم الشرع الربا للزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالخيانة او الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرايع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر ويدل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظ بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر ولا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف فليس فيه الا تناول للاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالقذف بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرايع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمه بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم تقبل شهادته فتحديده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا ايضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمه بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم عليهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم من اوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك في السبعة عشر كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميتها كبيرة فليلحق بالكبائر فاذن رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا يكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا يكفره قطعا والى ما ينبغي ان تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة واذ لا مطمع فيهما فطلب دفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حده فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باساميها وكالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق بها حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يجترؤن على الصغاير اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغاير بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان

فتحدد

عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر بطبعه وسماع الملاهي والاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع وكل هذا احكام اخروية يجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعدد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة وقد روى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان تبايع رجلا ثم تخرج عليه بالسيف تقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ التي لا تحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب يقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زايدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة اهل الشراب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغاير من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغاير التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لاثرت في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغنا على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغاير والكباير

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنياك والمتاخر آخرتك ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك

الوالد

وكذلك ما سيكون في يقظة الاخرة لا يتبين لك في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير صح

مؤذن تؤذن فى رمضان قبل طلوع الفجر فقال صدقت وجاء آخر فقال رايت كانى اصب الزيت فى الزيتون
فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو يرد الى الاصل
فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت فى صغره وقال آخر رايت كانى اقلد الدر فى اعناق الخنازير فقال انك
تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره مثال يعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعنى بالمثل
اداء المعنى فى صورة ان نظر الى معناه وجد صادقا وان نظر الى صورته وجد كاذبا فالموذن ان نظر الى صورة
الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح
الختم ومعناه وهو المنع يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا

الذي يراد الختم له

الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم فى النوم والنائم لا يكشف له عن شئ الا بمثال فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا
لان المثال صادق فكذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من
المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتعبير الذي يسمى تاويلا
كما يسمى تفسير ما يرى فى الامثلة فى النوم تعبيرا فيثبت لله يدا واصبعا تعالى الله عن قوله علوا كبيرا وكذلك فى
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت
لله مثله تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل فى صفات الالهية حتى فى الكلام وجعلوه صوتا
وحرفا الى غير ذلك من الصفات الالهية والقول فيه يطول وكذلك يرد فى امر الآخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد
لجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت يوم القيمة فى صورة كبش املح
فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب به ويستدل به على كذب الانبيا ويقول يا سبحان الله الموت عرض
والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هولاء الحمقى عن معرفة
اسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت فى منامى كانه جئ بكبش وقيل
هذا هو الوبا الذي فى البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوبا ينقطع
ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس عنه فاذن المعبر صادق فى تصديقه وهو صادق فى رويته ويرجع
حقيقته الى ان الملك الموكل بالرويا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم عرضه على ما فى اللوح المحفوظ بمثال ضربه

عرضه على ما فى اللوح المحفوظ صح

لان النائم انما يحتمل المثال وكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس فى الدنيا
وهو بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعانى الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك
ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يوتى بالموت فى صورة كبش املح ضربه ليوصل الى الافهام حصول
الياس عن الموت وقد جبلت القلوب عن التاثر بالامثلة وثبوت المعانى فيها بواسطته ولذلك عبر القرآن
بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وآله وسلم بقوله قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن
عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى حكمة ذلك فى كتاب شرح عجايب القلب وكتاب قواعد العقايد من ربع
العبادات فلنرجع الآن الى الغرض فالمقصود ان تعرف توزع الدركات والدرجات على الحسنات والسيات
لا يمكن الا بضرب الامثال فلتفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس فى الآخرة ينقسمون
اصنافا وتتفاوت درجاتهم فى السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما يتفاوتون فى سعادة الدنيا
وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا فى هذا المعنى اصلا البته فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له
وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصار آحاد الدرجات فلا نعجز
عن احصار الاجناس فنقول الناس فى الآخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام الهالكون والمعذبون والناجون

والفايزون ومثاله من فى الدنيا ان يستولى ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم
مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلى بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفايزون فان كان الملك عادلا
لم يقسم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له فى اصل الدولة ولا يعذب
الا من قصر فى خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلى الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر
ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عمره فى الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون خلع الفايزين
متفاوتة الدرجات بحسب درجات خدمتهم واهلاك الهالكين اما تخفيفا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب
درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين فى الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها
بحسب درجات تقصيرهم فينقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر وكذلك فافهم ان الناس
فى الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناجي يحل فى دار السلامة ومن فايز والفايزون
ينقسمون الى ان يحلون فى جنات الماوى او جنات عدن او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من
يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد فى الخبر
الهالكون الآيسون عن رحمة الله يتفاوت دركاتهم وهذه الدرجات والدركات بحسب اختلاف الطاعات

درجاتهم

والمعاصى فلنذكر كيفية توزعها عليها **اما الرتبة الاولى وهى الهلاك** ونعنى بالهالكين الآيسين من
رحمة الله اذ الرجل الذي قتله الملك فى المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معانى

معنى

المثال الذي ضربناه وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله
ورسله وبكتبه فان السعادة الاخروية فى القرب من الله والنظر الى وجهه الكريم وذلك لا ينال اصلا الا
بالمعرفة التى يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الآيسون عن رحمة الله
ابد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين وهم عن ربهم يومئذ محجوبون لا محالة وكل
محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا مع نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون
ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين انما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله
بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط واما
الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت على القلب ربما
غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل لها
الا مع الاجساد والم الاجساد يستحقر مع الم الفواد ولذلك قال ابو الطيب وفى فواد المحب نار هوى
احر نار الجحيم ابردها ولا ينبغي ان ينكر هذا فى عالم الآخرة اذ له نظير مشاهد فى عالم الدنيا فقد راى من غلب
عليه الوجد يعدو على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما فى قلبه ويرى
الغضبان يستولى عليه الغضب فى القتال فيصيبه جراحات وهو لا يشعر بها فى الحال لان الغضب نار فى القلب
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغضب قطعة من النار واحتراق الفواد اشد من احتراق الاجساد
والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الملك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين
جزئين يرتبط احدهما بالآخر برابطة التاليف الممكن فى الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه
المرتبط برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهى اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصاير وارباب
القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبى لو
خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة

السلطنة اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو فى الميدان مع الصولجان احب الى من سرير الف سلطان
مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلوا وبين فعل جميل يقهر به الاعدا ويفرح
به الاصدقا لاثر الهريسة والحلوا وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى
الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهايم والسباع ولم تظهر فيه الصفات
الملكية التى لا تناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون
الذوق الا فى اللسان والسمع الا فى الاذن فلا يكون هذه الصفة الا فى القلب فمن لا قلب له ليس له هذا
الحس كمن لا سمع له ولا بصر له ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان
لما صح قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست
اعنى بالقلب هذا اللحم الذي تكتنفه عظام الصدر بل اعنى به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الصنوبري
الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وساير الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن
ذلك السر الذي هو قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربى هو الملك والامير لان بين عالم الامر وبين عالم
الخلق ترتيبا وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التى اذا صلحت صلح لها ساير الجسد ومن عرفها
فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روايح المعنى المطوى
تحت قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق ادم على صورته ونظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه
والى المتعسفين فى طرق تاويله وان كانت رحمته على الجامد على اللفظ اكثر من رحمته للمتعسف فى التاويل
لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا فى مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر فالحقيقة
فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يخص بها من يريد ومن يوتى الحكمة فقد
اوتى خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس فى امر هو اعلى من علوم المعاملة
التى نقصدها فى هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك
من كتاب الله وسنة رسوله لا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده **المرتبة الثانية رتبة المعذبين**
وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر فى الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا
يعبد الا الله ومن اتبع هويه فقد اتخذ الهه هويه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله
الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق
من الشعر واحد من السيف مثل الصراط المستقيم الموصوف فى الاخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة
ولو فى امر يسير ولا يخلوا عن اتباع الهوى ولو فى فعل قليل وذلك قادح فى كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط
المستقيم فذلك لا محالة يقتضى نقصانا فى درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك
الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مايل عن الصراط المستقيم معذبا
مرتين فى وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين
احدهما قوة الايمان وضعفه والثانى كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلوا بشر فى غالب الامر عن واحد من
الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين
فيها جثيا ولذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا فى النجاة
ولما روى الحسن البصري الخبر الوارد فيمن يخرج عن النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال

الحسن يا ليتنى كنت ذلك الرجل واعلم ان فى الاخبار ما يدل على ان اخر من يخرج من النار بعد سبعة الف عام
وان الاختلاف فى المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف
ولا يكون له فيه لبث وبين اللحظة وبين سبعة الف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وساير
المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاها وادناها التعذيب بالمناقشة فى الحساب كما ان الملك
قد يعذب بعض المقصرين فى الاعمال بالمناقشة فى الحساب ثم يعفوا وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع
آخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث فى غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس
من يعذب بمصادرة المال فقط لكن يعذب باخذ المال وبقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب
والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغير ذلك فهذه الاختلافات ثابتة فى عذاب الاخرة
دل عليه قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات
وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكبرها واما كثرتها فبكثرتها واما اختلاف انواعها فباختلاف
انواع السيئات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهي المعنى بقوله تعالى
وما ربك بظلام للعبيد وبقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم وبقوله وان ليس للانسان الا ما سعى
وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة
من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح
اذ قال الله تعالى فيما حكى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبقت رحمتى غضبى وقال تعالى وان تك
حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فاذن هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات
والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار
ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكباير
واحسن جميع الفرايض اعنى الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغاير متفرقة ولم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه
بالمناقشة فى الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته اذ ورد فى الاخبار ان الصلوات الخمس
والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك اجتناب الكباير بحكم نص القرآن مكفر للصغاير واقل
درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغى ان يكون
بعد ظهور الرجحان فى الميزان وبعد الفراغ من الحساب فى عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين
ونزوله فى جنات عدن او فى الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان ايمان تقليدي
كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفى يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف
فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس فى الوجود الا الله وصفاته وافعاله
فهذا الصنف هم المقربون النازلون فى الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملا الاعلى وهم ايضا على
اصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين
بالله فى المعرفة لا ينحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيها
الغواصون بقدر قوتهم وبقدر ما سبق لهم من الله فى الازل فالطريق الى الله تعالى لا نهاية لمنازله فالسالكون
سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المومن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين
وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين
هذا حال من اجتنب كل الكباير وادى كل الفرايض اعنى الاركان الخمسة التى هي النطق بكلمة الشهادة باللسان

والصلاة والزكوة والصوم والحج فامّا من ارتكب كبيرة اوكبائرا واهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحًا
قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التايب من الذنب كمن لاذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ
اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه
فيختم له بسوء الخاتمة لاسيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزمًا فهو قابل للانحلال
بادنى شك وخيال والعارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان
يعذبان الا ان يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة فى الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة
بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف
اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون فى درجات اصحاب اليمين والعارفون
المستبصرون فى اعلى عليين وفى الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف ولا تظنن
ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين اوعشرة بعشرين فان هذا جهل
بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يسوى عشرة
دنانير فاعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل فى الوزن والثقل فما يكون مائة دينار ولو وضعت
فى كفة فى الميزان والابل فى الكفة الاخرى عشر عشره بل هو موازنة معانى الاجسام وارواحها دون اشخاصها
وهياكلها فان الابل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه ماليته وجسمه اللحم والدم
ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية
من الذهب والابل بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا
ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرة لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر ولذلك
يكذب بها الصبى بل القروى والبدوى ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها مثقال ووزن الجمل الف الف مثقال
فقد كذب فى قوله انى اعطيته عشر امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبى ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده
الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل فى قلبه النور الذى بها تدرك ارواح الجواهر وساير الاموال
فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فى هذه الموازنة اذ يقول الجنة فى السموات كما ورد فى الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون
عشرة امثال الدنيا فى الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبى تلك الموازنة وكذلك عن تفهيم البدوى
وكما ان الجوهرى مرحوم اذا بلى بالبدوى والقروى فى تفهيم تلك الموازنة والعارف مرحوم اذا بلى بالبليد الابله
فى تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ارحموا ثلثة عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل
وغنى قوم افتقر والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة فتنة لهم
وامتحان وابتلاء من الله تعالى وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الازلى وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم
البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم بالامثل فالامثل فلا تظنن ان البلاء بلاء ايوب وهو الذى ينزل بالبدن
فان بلاء نوح صلوات الله عليه ايضا من البلاء العظيم اذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك
لما تاذى رسول الله عليه الصلوة والسلام بكلام بعض الناس قال رحم الله اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا
فصبر فاذن كما لا يخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين فلا يخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك
قلما انفك الاولياء عن ضروب من الايذاء وانواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين
والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب

ان يكون المعتاض عن الابل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه
الدقايق فامن بقوله صلى الله عليه وآله وسلم انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا كلها عشر مرات واياك ان
تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس الخمس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك فى الحواس
الخمس وانما انت مفارق للحمار بسر الهى عرض على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها فادراك ما
يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا فى عالم ذلك السر الذى به فارقت الحمار وساير البهايم فمن ذهل عن ذلك
وعطله واهمله وقنع بدرجة البهايم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذى اهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض
عنها قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسى الله
اذ ليس ذات الله مدركا فى هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسى الله انساه الله تعالى لا محالة نفسه ونزل الى
افق البهايم وترك الترقى الى افق الملاء الاعلى وخان فى الامانة التى اودعه الله تعالى وانعم عليه بها كافر النعمة
ومتعرضا لنقمته الا انه اسوء حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة تسترجع لا
محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا العالم
الفانى وغربت فيها وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى باريها وخالقها اما مظلمة
منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية ... والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة
اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة روسها عن جهة اعلى العليين الى جهة اسفل السافلين ولذلك
قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون منحوسون
قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى فيمن حرمه
توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول فى منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار
ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا واكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعنى بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله
الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا فى عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدى
الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحيوة فحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان بل ينفع
الصدق فى التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من
الخلق بما يجرى عليه اذ لا يرى الوسايط وانما يرى مسبب الاسباب كما سياتى تحقيقه فى التوكل وهذا التوحيد
متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردله وذرة فمن فى
قلبه مثقال دينار من ايمان فهو اول من يخرج من النار وفى الخبر يقال اخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار
من ايمان واخر من يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم
يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا من
الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان
الذى لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففى الاثر ان العبد ليوقف بين يدى الله
تعالى وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض
هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فينقص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة يا ربنا قد فنيت
حسناته وبقى طالبون كثير فيقال القوا سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره
بطريق القصاص فكذلك ينجوا المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء
ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه رسولا ليستحله فقال لا افعل ليس فى صحيفتى حسنة افضل منها فكيف امحوها

وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد
في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض
بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب
في اكثر الاحوال ولكن قد تثوب الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى الذي
العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب
التي رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها وكذلك النجاة والفوز
في الآخرة لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو
والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشية الازلية التي لا يطلع الخلق عليها
فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت
طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف
غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا
بسبب باطن خفي يقتضي البعد من الله ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن
جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل
ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم ولما غيروا ما بانفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيها اذ قد
يرى البعيد قريبا والقريب بعيدا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشان في انفتاح
بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى **الرتبة الثالثة رتبة الناجين** واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم
لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبهم ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين
والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة
ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين
المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات
والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على التعيين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن
والاطلاع عليه تحقيقا في عالم الشرع ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء والعلماء والاصفياء والاخبار في حق
الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عائشة لما مات بعض الصبيان طوبى له عصفور من عصافير الجنة فانكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك فاذن الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام **الرتبة
الرابعة رتبة الفائزين** وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له
فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان والقدر
الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي
اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا تتصور ان تخطر على قلب
بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون

ولا من اهل النار

رواه صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى

عليها

عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات
ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار
عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه
بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه
الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصار همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه
متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور
ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان تخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه
الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة يعلم قطعا انه لم يتصور ان تخطر بباله قبل ذلك صورته
فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات والدركات على السيئات

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك
قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان
العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه
وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم تؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الاعمال
ادومها وان قل والاشياء تستبان باضدادها فان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المتصرم قليل
النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تأثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قل
ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقل ما يزني الزاني بغتة من غير مراودة
ومقدمات وقل ما يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة
ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق بعدها عود ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب
الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما
استصغره عظم عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من شدة
تأثيره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره
بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتأثر بما يجري
في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب
مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما يعظم
الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى الصغير كبيرا وقد اوحى الله
تعالى الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء
من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة
لبعض التابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله اتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر
وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف
لان الذنب والمخالفة يكبر بمعرفة قدر المخالف به ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن
من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم

عنها

اثرها فی تسوید قلبه حتی ان من المذنبین من یتمدح بذنبه ویتبجح به لشدة فرحه بمقارفته ایاه کما یقول اما
رایتنی کیف مزقت عرضه ویقول المناظر فی مناظرته اما رایتنی کیف فضحته وکیف ذکرت مساویه حتی اخجلته
وکیف استخففت به وکیف لبست علیه ویقول المعامل فی التجارة اما رایت کیف روجت علیه الزایف وکیف
خدعته وکیف غبنته فی ماله وکیف استحمقته فهذا وامثاله یکبر بها الصغایر فان الذنوب مهلکات فاذا
دفع العبد الیها وظفر الشیطان به فی الحمل علیها فینبغی ان یکون فی مصیبة وتاسف بسبب غلبة العدو علیه
وبسبب بعده من الله فالمریض الذی یفرح بان ینکسر اناؤه الذی فیه دواؤه حتی یتخلص من الم شربه لا یرجی
شفاؤه ومنها ان یتهاون بستر الله علیه وحلمه عنه وامهاله له ولا یدری انه انما یمهل مقتا لیزداد بالامهال
اثما فیظن ان تمکینه من المعاصی عنایة من الله تعالی به فیکون ذلک سببا للامنه من مکر الله وجهله بمکامن
الغرور بالله کما قال تعالی ویقولون فی انفسهم لولا یعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم یصلونها فبئس المصیر
ومنها ان یاتی الذنب ویظهره بان یذکره بعد اتیانه او یاتیه فی مشهد من غیره فان ذلک منه جنایة علی ستر الله
الذی اسدله علیه وتحریک لرغبة الشر عند من اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنایتان انضمتا الی
جنایة فتغلظت به فان انضاف الی ذلک الترغیب للغیر فیه والحمل علیه وتهیئة الاسباب له صارت جنایة
رابعة وتفاحش الامر وفی الخبر کل الناس معافی الا المجاهرین یبیت احدهم علی ذنب قد ستره الله علیه
فیصبح فیکشف ستر الله ویتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه انه یظهر الجمیل ویستر القبیح ولا
یهتک الستر فالاظهار کفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان کان ولا بد فلا ترغب غیرک فیه فتذنب
ذنبین ولذلک قال تعالی المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض یامرون بالمنکر وینهون عن المعروف
وقال بعضهم ما انتهک المرء من اخیه حرمة اعظم من ان یساعده علی معصیة ثم یهونها علیه ومنها
ان یکون المذنب عالما یقتدی به فاذا فعله بحیث یری ذلک منه کبر ذنبه کلبس العالم الابریسم ورکوبه
مراکب الذهب والفضة واخذه مال الشبهة من اموال السلاطین ودخوله علی السلاطین وتودده الیهم
ومساعدته ایاهم بترک الانکار علیهم واطلاقه اللسان فی الاعراض وتعدیه باللسان فی المناظرة وقصده
الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا یقصد منه الا الجاه کعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب یتبع العالم
علیها فیموت العالم ویبقی شره مستطیرا فی العالم آمادا متطاولة فطوبی لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفی
الخبر من سن سنة سیئة فله وزرها ووزر من عمل بها لا ینقص من اوزارهم شیئا وقال تعالی ونکتب ما قدموا
وآثارهم والآثار ما یلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ویل للعالم من الاتباع یزل
زلة فیرجع عنها ویحملها الناس فیذهبون بها فی الافاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انکسار السفینة تغرق
ویغرق اهلها وفی الاسرائیلیات ان عالما کان یضل الناس بالبدعة ثم ادرکته توبة فعمل فی الاصلاح
دهرا فاوحی الله عز وجل الی نبیهم قل له ان ذنبک لو کان بینی وبینک لغفرته لک ولکن کیف بمن اضللت من
عبادی فادخلتهم النار فبهذا یتضح ان امر العلماء مخطر فعلیهم وظیفتان احدهما ترک الذنب والاخری
اخفاؤه وکما تتضاعف اوزارهم علی الذنوب فکذلک یتضاعف ثوابهم علی الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترک التجمل
والمیل الی الدنیا وقنع منها بالیسیر ومن الطعام بالقوت ومن الکسوة بالخلق فیتبع علیه ویقتدی به العلماء والعوام
ویکون له مثل ثوابهم وان مال الی التجمل مالت طباع من دونه الی التشبه به ولا یقدرون علی التجمل الا بخدمة الظلمة
وجمع الحطام من الحرام فیکون هو السبب فی جمیع ذلک فحرکات العلماء فی طرفی الزیادة والنقصان تتضاعف آثارها
اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر کاف فی تفاصیل الذنوب التی التوبة توبة عنها **الرکن الثالث**

فی تمام التوبة وشروطها فی دوامها الی آخر العمر قد ذکرنا ان التوبة عبارة عن ندم یورث عزما
وقصدا وذلک الندم اورثه العلم بکون المعاصی حائلة بینه وبین محبوبه ولکل واحد من العلم والندم والعزم
دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بیانها اما العلم فالنظر فیه نظر فی سبب التوبة وسیاتی
واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسکاب الدمع
وطول البکاء فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طالت علیه مصیبته وبکاؤه وای عزیز اعز علیه من
نفسه وای عقوبة اشد من النار وای سبب ادل علی نزول العقوبة من المعاصی وای مخبر اصدق من الله ورسوله
ولو حدثه انسان واحد یسمی طبیبا ان مرض ولده المریض لا یزول ولا یبرأ وانه سیموت منه طال فی الحال بکاؤه
وحزنه فلیس ولده باعز من نفسه ولا الطبیب باعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار
ولا المرض ادل علی الموت من المعاصی علی سخط الله والتعرض بها للنار فالم الندم کلما کان اشد کان تکفیر
الذنوب به ارجی فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفی الخبر جالسوا التوابین فانهم ارق
افئدة ومن علامته ان تتمکن مرارة تلک الذنوب فی قلبه بدلا من حلاوتها فیستبدل بالمیل کراهة وبالرغبة
نفرة وفی الاسرائیلیات ان الله عز وجل قال لبعض انبیائه وقد ساله النبی قبول توبة عبد بعد ان اجتهد
سنین فی العبادة ولم یر اثر قبول توبته فقال وعزتی وجلالی لو شفع فیه اهل السموات واهل الارض ما قبلت
توبته وحلاوة ذلک الذنب الذی تاب منه فی قلبه فان قلت الذنوب هی اعمال مشتهاة بالطبع فکیف
یجد مرارتها فاقول من تناول عسلا کان فیه سم ولم یدرکه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه والمه
وتناثر شعره وفلج اعضاؤه فاذا قدم الیه عسل فیه مثل ذلک السم وهو فی غلبة الجوع والشهوة للحلاوة
فهل تنفر نفسه عن ذلک العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة بل ربما ینفر عن العسل الذی لیس فیه
سم ایضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب کذلک یکون وذلک لعلمه بان کل ذنب فذوقه ذوق العسل
وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا یصدق الا بمثل هذا الایمان ولما عز مثل هذا الایمان عزت التوبة والتائبون
فلا تری الا معرضا عن الله متهاونا بالذنوب مصرا علیها فهذا شرط تمام الندم وینبغی ان یدوم الی الموت
وینبغی ان یجد مثل هذه المرارة فی جمیع الذنوب وان لم یکن قد ارتکبها من قبل کما یجد متناول السم فی العسل
النفرة من الماء البارد مهما علم ان فیه مثل ذلک السم اذ لم یکن ضرره من العسل بل مما فیه ولم یکن ضرر التائب
من سرقته وزناه من حیث انه سرقة وزنا بل من حیث مخالفته امر الله ولذلک جار فی کل ذنب واما القصد الذی
ینبعث منه وهو ارادة التدارک فله تعلق بالحال وهو موجب ترک کل محظور هو ملابس له واداء کل فرض
هو متوجه علیه فی الحال وله تعلق بالماضی وهو تدارک ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترک
المعصیة الی الموت وشرط صحتها فیما یتعلق بالماضی ان یرد فکره الی اول یوم بلغ فیه بالسن او الاحتلام
ویفتش عما مضی من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ویوما یوما ونفسا نفسا وینظر الی الطاعات ما الذی
قصر فیها والی المعاصی ما الذی قارفها فان کان قد ترک صلاة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنیة
غیر صحیحة لجهله بشرط النیة فیقضیها عن آخرها فان شک فی عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترک
القدر الذی یستیقن انه اداها ویقضی الباقی وله ان یاخذ فیه بغالب الظن ویصل الیه علی سبیل التحری
والاجتهاد واما الصوم فان کان قد ترکه فی سفر او مرض ولم یقضه او افطر عمدا او نسی النیة باللیل ولم یقض فیتعرف
مجموع ذلک بالتحری والاجتهاد ویشتغل بقضائها واما الزکاة فیحسب جمیع ماله وعدد السنین من اول
ملکه لا من زمان البلوغ فان الزکاة واجبة علی الصبی فیؤدی ما علم بغالب الظن انه فی ذمته وان اداه

مذهب الشافعي

لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل على مذهب الشافعي فيقضي
جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف و
يلزمه ان يسال كيفية الخروج عنه من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له خروجه
والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب
ولا مال فعليه ان يسال الناس ليصرف اليه من الزكوات او الصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات
عاصيا قال عليه الصلوة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطاري
بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فينبغي ان يفتش
من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وساير جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته
ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغايرها وكبايرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه
وبين الله من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير
وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم
والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها
فياتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر
القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيها مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف
وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل
شراب حلال هو اطيب واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك طريق المضادة فان
المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة يضادها
والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحوا كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض
يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق
والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا موثرا في المحو فهذا حكم ما
بينه وبين الله ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب
السرور بها والالف لها والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبوا بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة
له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وآله وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها
الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة وفي آخر حديث عايشة اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال
تكفرها ادخل الله تعالى عليه الغموم فيكون كفارة لذنوبه ويقال ان الغم الذي يدخل على القلب والعبد
لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت هم الانسان
غالبا بماله وولده وجاهه وهي خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع
به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبريل دخل على يوسف عليهما السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب
فقال قد حزن عليك حزن ماية ثكلى قال فما له عند الله قال اجر ماية شهيد فاذن الهموم ايضا مكفرات
حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله واما مظالم العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله فان الله
نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان
بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاء الناس بالاحسان اليهم ونكفير غصب اموالهم بالتصدق بملكه

بوقفة الحساب

خطأ

الحلال وتكفير تناول اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير
من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود
لسيده والاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا يعرف ان ما ذكرنا
من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل
ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في النفوس والاموال او الاعراض
او القلوب اعني به الايذاء المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطاء فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى
المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول اليه وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص
فان لم يعرف فيجب عليه ان يعترف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفى عنه وان شاء قتله ولا تسقط
عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه
حد الله فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان
يتستر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب
من التائبين النادمين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد يقع موقعه وتوبته يكون صحيحة مقبولة
عند الله تعالى بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت
نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية
صلى الله عليه وآله وسلم فلما كان في الرابعة امر به فحفر له حفرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فريقين فقايل يقول
لقد هلك ولقد احاطت به خطيئته وقايل يقول ما توبة افضل من توبة ماعز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني وانه
ردها فلما كانت من الغد قالت يا رسول الله اتردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال
اما الآن فاذهبي حتى تلدي فلما ولدت اتته بالصبي في خرقة قالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه
حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي في يده كسرة خبز قالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع
الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها
فنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله عليه الصلوة والسلام سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي
بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد القذف
فلا بد من تحكيم المستحق فيه فان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج
زايف او ستر عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من مدة بلوغه بل من
مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم
يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات
من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة وليناقش نفسه قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه
في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب
اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة
تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد
منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر في الحسنات حتى يفيض منه يوم القيمة
فيوخذ من حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته

والثالثة

رسول الله صلى الله عليه وسلم

حمل من سيئات ارباب المظالم فهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تايب فى ردّ المظالم وهذا يوجب استغراق
العمر فى الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدّة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبًا
فينبغى ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان فى المعاصى فى متسع الاوقات هذا
حكم المظالم الثابتة فى ذمته اما امواله الحاضره فليردّ الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف
له مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدّق بذلك
المقدار كما سبق تفصيله فى كتاب الحلال والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس مما يسوءهم
او بعيبهم فى الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او اذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم
ومن مات او غاب فقد فات امره ولا تدارك الا بتكثير الحسنات لتوخذ عوضا فى القيامة واما من وجده
واحله بطيبة قلب منه فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفى
وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك ذخيرة فى القيامة بان ياخذ
من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان من جملة جنايته عليه ما لو ذكره وعرفه لتاذى بمعرفته كزناه بجاريته
او اهله او نسبه باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال
فليس له الا ان يستحل مبهما ثم تبقى له مظلمة فليجبره بالحسنات كما يجبر بها مظلمة الميت والغايب واما الذكر
والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفها المجنى عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال
بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى فى مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه
ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر قلبه بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده
وتلطفه سمحت نفسه بالاحسان بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته
التى يمكن ان يجبر بها فى القيمة جنايته وليكن قدر سعيه فى فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه
فى ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الاخر اوزاد عليه اخذ ذلك منه عوضا فى القيمة بحكم الله به عليه كمن اتلف
فى الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له ذلك عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شاء
ام ابى فكذلك يحكم فى صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفى المتفق عليه من الصحيح
عن ابى سعيد الخدري ان نبيّ الله صلى الله عليه واله وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا
فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل من توبة فقال لا فقتله
فكمل به ماية ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل ماية نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن
يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع
الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه على الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرًا
قط فاتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم حكمًا فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايهما كان ادنى فهو له
فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية فكان الى القرية الصالحة
اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفى رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال
قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا يعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات
ولو بمثقال ذرة فلا بد للتايب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضى واما العزم المرتبط
بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا موكدا ومعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى

النبى

القصد

امثالها

امثالها كالذي يعلم فى مرضه ان الفاكهة تضر به مثلا فيعزم عزمًا جزمًا انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل
مرضه فان هذا العزم يتاكد فى الحال وان كان يتصور ان يغلبه الشهوة فى ثانى الحال ولكن لا يكون تائبًا
ما لم يتاكد عزمه فى الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتايب فى اول امره الا بالعزلة او الصمت وقلة الاكل
والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر
عليه فان راس المعاصى اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفى بالحلال وترك الشبهات
من لا يقدر على ترك الشهوات فى الماكولات والمشروبات والملبوسات قال بعضهم من صدق فى ترك الشهوة
وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتلا بها وقال اخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه
ابدا ومن مهمات التايب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه فى المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة
وان لم يوثر العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب
والزنا والغصب وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض التابئين ان هذه التوبة لا تصح وقال قايلون
تصح ولفظ الصحة فى هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا
يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها
سبب لقلته ونقول لمن قال لا تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب يوجب قبولا يوصل الى النجاة
او الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم فى خفايا اسرار عفو الله
وان قال من ذهب الى انه لا تصح ان اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونه
معصية لا لكونه سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة
لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف
او بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه ذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع
على البعض دون البعض فالندم حالة توجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انه معصية فلا
يتصور ان يكون على بعض المعاصى دون البعض ولو جاز هذا جاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين
دون الاخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية فى شرب الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك
اعيان المعاصى آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذن معنى عدم الصحة ان الله
وعد للتائبين رتبة تلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك
المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لم يصح اى لا تترتب عليه
الثمرة وهى الملك وتحقيق هذا بان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما
سبق وترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونه معصية وذلك يعم جميع المعاصى
وهذا كلام المفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطا فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا
يخلو اما ان يكون عن الكباير دون الصغاير او عن الصغاير دون الكباير او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة
عن الكباير دون الصغاير فممكن لانه يعلم ان الكباير اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغاير اقرب
الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجنى على اهل الملك وحرمه
ويجنى على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب
واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده فى الشرع فقد كثر التائبون فى الاعصار الخالية ولم يكن
احد منهم معصومًا فلا يستدعى التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر

٤٤٧

دون البعض صح

وتحقيق

بكفرها صح

تحذيرا اخف منه على وجه يشعر معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وان اكلها جميعًا بحكم شهوته ندم على اكل العسل دون السكر الثانى ان يتوب عن بعض الكباير دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكباير اشد واغلظ عند الله كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما فى تفاوت الصغاير والكباير لان الكباير ايضا متفاوتة فى انفسها وفى اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكباير التى لا يتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصى وهو لا يدرى فيحسب برجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا فى المستقبل وندما على الماضى الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغاير وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذى يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندمًا مّا اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذه نفسه فى تلك المعصية اقوى من الم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودًا ولكن لا يكون ظنا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم من شهوة اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك بترك المعصية وقد يشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ويكون له ضراوة مّا بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله وقد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق فى نفسه ان قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى فلم ينبغى ان اخلع العذار وارخى العنان بالكلية بل اجاهده فى بعض المعاصى فعسانى اغلبه فيكون قهرى له فى البعض كفارة لبعض ذنوبى ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلى ويصوم ولقيل له ان كان صلوتك لغير الله فلا تصح وان كان لله فاترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلوتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله على امران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان وانا ملى فى احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه فى الاخر فاقهره فيما قدرت عليه وارجوا بمجاهدتى فيه ان يكفر عنى ما عجزت عنه بفرط شهوتى فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة فى بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال التايب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التايب من الذنوب كلها بهذه المعانى يتبين سقوط قول القايل ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكن لانها متماثلة فى حق الشهوة وفى حق التعريض لسخط الله تعالى نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما فى اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا فى كثرة العقوبة فتساعد الشهوة بالقدر الذى يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله كالمريض الذى حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شىء ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقى عليه اما شدة المعصية واما فى غلبة الشهوة فاذا حصل هذا التفاوت فى اعتقاد التايب تصور اختلاف حاله فى الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله فى الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاق

الشبهة

الثالث

ه

به بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله فى جميع الاوامر والنواهى فان قلت فهل تصح توبة العنين من الزنا الذى قارفه قبل طريان العنه فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكنى اقول لو طرى عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذى قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكان حرقة الندم يقمع تلك الشهوة ويغلبها فانى ارجوا ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف فى انه لو تاب قبل طريان العنه ومات عقيبه كان من التائبين وان لم يطر عليه حالة يهيج فيه الشهوة وتيسر اسباب القضاء للشهوة ولكنه تايب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل ان يبلغ قوة الندم فى حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهى شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار تندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة فى هذا كله ترجع الى ان ظلمة المعصية تنمحى عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والاخر شدة قوة المجاهدة بالترك فى المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا يقبل ما لم يعش التايب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه عن عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تايبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والاخر يبقى فى نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابى الحوارى واصحاب ابى سليمن الدارانى ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر فى توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرضة الفصور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلوا عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذى انقطع نزوع نفسه له حالتان احدهما ان يكون انقطاع نزوعه اليه بفتور فى نفس الشهوة فقط فالمجاهدة افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعنى بقوة الدين قوة الارادة التى تنبعث عن اشارة اليقين فيقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القايل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطا وهو كقول القايل العنين افضل لانه فى امن من خطر الشهوة والصبى افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز فى الاخطار وان العلو شرطه الاقتحام الاغرار بل هو كقول القايل الصياد الذى ليس له فرس وكلب افضل فى صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه امن من ان يجمح فرسه فينكسر اعضاؤه عند السقوط على الارض وامن من ان يعضه الكلب ويعتدى عليه وهذا خطا بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطرق تاديبهما اعلى رتبة واحرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهد السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليه فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسى لهيجان الشهوة وقمعها وقول القايل لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصود العينه بل المقصود قطع ضراوة العدو

حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته
وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثاله كحال من قهر
العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا
مثال من علم كلبه الصيد وراض الفرس فهما نايمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة
الى من هو مشغول بمقاساة التاديب بعد ولقد زل في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هي المقصود الاقصى
ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوايق الطريق وظن آخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود
حتى جرب بعضهم نفسه في ذلك فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل
في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات
فان قلت فما قولك في اثنين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والاخر جعله نصب عينيه ولا
يزال يتفكر ويحترق ندما عليه ايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة
التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخرون حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين
عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام الصوفية ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال
نفسه فقط اذ لا يهمه حال غيره فيختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى
درجة العلم فان معرفة الاشيا على ما هي عليها افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد
حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازله احواله
وقد يكون طريق العبد الى الله العلم والتعليم فالطرق الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله
اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول حضور الذنوب وذكرها والتفجع عليها
كمال في حق المبتدي المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا يقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان
ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة
الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل كل سالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على
غير السلوك فان ظهر مبادي الوصول وانكشف له انوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق
فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق المسافر عن الطريق الى بلد من البلاد نهر
حاجز طال تعب المسافر في عبوره من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطي النهر بعد عبوره يبكي
متاسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا اخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم اذا لم يكن الوقت وقت
الرحيل بان كان ليلا فتعذر السلوك او كان على طريقه انهار وهو يخاف على نفسه ان يخربها فليطل بالليل
بكاه وحزنه على تخريب الجسر ليتاكد بطول الحزن عزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له من الثقة ما وثق
بنفسه ان لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكا عليه وهذا لا يعرفه
الا من عرف الطريق والمقصد والعايق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي
ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في النعيم في الاخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان
شابا فلا ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك عليه
رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالاجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله فقط فذلك لا
نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ايضا قد يستضر به فيكون النسيان
افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته فان قيل فتمسك

تصور

من الطريق هذا التحقيق

على الانبيا قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللايقة باممهم فانهم
ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع امتهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم
فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه
عن المجاهدة وتاديب النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا انسى
ولكني انسى لاشرع ولا تعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبيا كالصبيان في كنف شفقة الاباء
وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق
الصبي كما قال صلى الله عليه وآله وسلم للحسين كخ كخ لما اخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته
تقصر ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته
بل الذي يعلم شاة او طيرا بصوت له رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطير وتلطفا في تعليمه فاياك ان تغفل
عن امثال هذه الدقايق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين

بيان اقسام العباد في دوام التوبة

اعلم ان طبقات التائبين في التوبة على اربع طبقات الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم
على التوبة الى اخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك
البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق
بالخيرات المستبدل بالسيات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة
النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهولاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
سبق المفردون المستهترون بذكر الله عز وجل قيل يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون بذكر الله تعالى
وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيمة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم
واهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تايب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة
ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملي بمجاهدتها
وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك
يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن
ممهل طال اجتهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة تمحو
حسنة حتى قال بعض العلما انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات ان يتمكن منها عشر مرات
مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد ولكن لا ينكر عظم
اثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتمحض الاسباب
حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يامن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية
وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتدا اسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك
في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتدا الطبقة الثانية تايب سلك طريق الاستقامة
في امهات الطاعات وترك كباير الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد
وصمد وتجريد قصد ولكن يبتلى به في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليه ولكنه
كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه
لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال
الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين راي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت ناقصة نازلة

وفي لفظ انما اسهو لاسن

عن الطبقة الاولى وهو اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الادمى قلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الخيرات فاما ان تخلوا بالكلية كفة السيئات فذلك فى غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا عن توطن نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه على رضى الله عنه خياركم كل مفتتن تواب وفى خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفى الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة اى الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا تلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذى يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار كالفقيه الذى يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق فى اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه فى الدين هو الذى لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم خطاؤن وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعة اى واهى بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقد قال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة اصلا الطبقة الثالثة ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة فانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذا امنيته فى حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتنى لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسى فى قهرها لكنه يسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى يوما بعد يوم فهذه النفس هى التى تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطورة من حيث تسويفه وتاخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره فى المشية فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه من القول الاول فى الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له فى الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء فى حقه واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له فى الازل على انه يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذى به يستحق المناصب العلية فى الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صارت طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق فى الازل بتقدير رب الارباب ولذلك قال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكيها

وقد خاب من دسيها فمهما وقع العبد فى ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسية كان هذا من علامات الخذلان وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة واجب وكل نفس فهو خاتمة ما قبله اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع فى المحذور ودامت الحسرات حتى لا ينفع التحسر الطبقة الرابعة ان يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب ويعود من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل فى اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هى النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره فى مشية الله فان ختم له بالسوء شقى شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفى لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس فى البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز فى المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون محرومون الا العاملون والعاملون محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع امواله وترك نفسه وعياله جائعا يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض فى بيته المخربة يعد عند ذوى البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل فى قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مقصر عن الطاعة وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه الحماقة فى صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق عن مثلى ومعصيتى ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاغوار فى طلب الدينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس فى بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا يمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم فى الآخرة وليس بكريم فى الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه فى الآخرة من غير جهد وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد فى غالب الامر فى الدنيا وينسى قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس فى ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اى ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا لنسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعى الجهل والشك والارتياب السابق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

بيان ما ينبغى ان يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق

اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقها فان لم تساعده

النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني
وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا واخر سيئا فالحسنات المكفرة للسيآت
اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره
بالتضرع الى الله تعالى في سوال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الابق ويكون ذله بحيث يظهر لساير
العباد وذلك بنقصان كبره فما للعبد الابق المذنب وجه للتكبر على ساير العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات
للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت
سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما
بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الاثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع
بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله
بعدها سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الاثار
يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة
فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل
وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت
امراة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض في بحكم الله تعالى فقال عليه الصلوة والسلام او ما صليت معنا
صلوة الغداة فقال نعم فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة
النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكباير
فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فان قلت
كيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ
بايات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين
وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار
خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول وقال
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول
كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار
الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان
بحكم العادة وعن راس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتاثر به
قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى و
ابتهاله في سوال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان يدفع الله
بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر
ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات واوايلها
لا تخلو عن الفائدة وان لم ينته الى اواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله
ان يرجع اليه في كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب
قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب
فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب

والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر
فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة
ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهي الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم
غذاؤه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه
مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب حبيب الله فقال انما
يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الاية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل
فيما يكرهه حبيبه والمقصود ان للتوبة ثمرتين احدهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية
نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضها محو لاصل الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له
ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلى عن
حل عقدة الاصرار من اوايل الدرجات وليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها
بل قد عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله عز وجل ومن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت
الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يترجح الميزان باحمال الذرات وذلك بالضرورة محال
بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى ان يثقل فتشيل كفة السيئات فاياك وان تستصغر ذرات
الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمراة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في
كل ساعة الا على خيط واحد واي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب وما تدري المعتوهة ان ثياب
الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار
بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة
خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنها فيظهر فضله بالاضافة
الى السكوت عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي
ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقران وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك
في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق بان تعود الجوارح الخيرات
حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا
سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما
اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم ما سبق اللسان
نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصى في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد
لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني قوله تعالى وان تك حسنة
يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر
العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الافات فتفتر رغبتك في العبادات فان هذه مكيدة روجها
الشيطان بلعنه على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصاير واهل التفطن للخفايا والسراير فاي خير
في ذكر باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق
بالخيرات اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها باطلا فلا جرم اعذبك مرتين

فيما بينهم

وهي العزم على التوبة
القلوب وهي التوبة او العزم
على التوبة وحسن الاقلاع عنه
وخوف العقاب عليه ورجاء
المغفرة له واربعة من اعمال صح

بالكلية

في الرجحان
باحمال الذرات

ونقول هذا الخيط
جمعت

وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذى داوى جرح الشيطان
بنثر الملح عليه واما الظالم لنفسه المغرور فاستشعر فى نفسه خيلا الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص
بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة
والموافقة كما يقال وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشتراك القلب
فى العمل ولا تفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت
والفضول فاستمر عليه وسال الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان فى اعتياد الخير وكان السابق كالحايك الذى
ذمت حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذى ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد كالذى
عجز عن الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحايك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاعجزت عن الكتابة فلا
اترك الحياكة فلذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار فلا تظنن انها تذم حركة اللسان
من حيث انها ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان
سكت عن الاستغفار ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد هكذا ينبغى ان تفهم ذم ما يذم
وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القايل الصادق حسنات الابرار سيات المقربين فان هذه امور
ثبتت بالاضافة فلا ينبغى ان توخذ من غير اضافة بل ينبغى ان لا يستحقر ذرات الطاعات
والمعاصى ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى خبا ثلاثا فى ثلث رضاه فى طاعته فلا تحقروا منها
شيا لعل رضاه فيه وغضبه فى معاصيه فلا تحقروا منها شيا فلعل غضبه فيه وخبا ولايته فى عباده
فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولى الله تعالى وخبا اجابته فى دعائه فلا تتركوا الدعا فربما كانت الاجابة
فيه **الركن الرابع فى دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار** اعلم ان الناس قسمان شاب
لا صبوة له نشا على الخير واجتناب الشر وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربكم
من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر والقسم الثانى هو الذى لا يخلو عن مقارفة الذنوب
ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج فى حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء
فيه واعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدوا ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى
للدواء الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواوه حل ذلك السبب ودفعه وابطاله
ولا يبطل الشى الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا
يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال تعالى اولئك
هم الغافلون لا جرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون فلا دواء للتوبة الا معجون يعجن فيه حلاوة العلم ومرارة
الصبر وكما يجمع فى السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض اخر فى العلاج
بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفرا فهكذا ينبغى ان يفهم علاج القلب عما به من مرض الاصرار فاذا
لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر فلا بد من بيانهما فان قلت اينفع كل علم لحل الاصرار
ام لا بد من علم مخصوص فاعلم ان كل العلوم بجملتها ادوية لامراض القلب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان
علم الطب نافع فى علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علما مخصوصا فكذلك داء الاصرار فلنذكر
خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بامور
الاول ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب
وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يومن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه

بمشاركة

الكاتب لا بالاضافة الى نح

او بتاتا بع

مما نحن فيه الايمان باصل الشرع وهو ان للسعادة فى الاخرة سببا وهو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية
وهذا هو الايمان باصل الشرايع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان
الثانى انه لا بد ان يعتقد المريض فى طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا
يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق
الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث انه لا بد
وان يصغى الى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه
الخوف فى ترك الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثا على الاحتما ووزانه من الدين الاصغاء الى الايات
والاخبار المشتملة على الترغيب فى التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع
ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر الذى هو الركن الاخر
فى العلاج الرابع ان يصغى الى الطبيب فيما يخص مرضه وفى ما يلزمه بنفسه الاحتماء عنه ليعرفه اولا تفصيل
ما يضره من افعاله واحواله وماكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شى ولا ينفعه كل دواء بل
لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل
ذنب بل لكل مومن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته فى الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب
ثم الى العلم بافاتها وقدر ضررها فى الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير
ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الانبيا فالعاصى ان علم عصيانه
فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم فان كان لا يدرى ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه ذلك
وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد فيعلم اهلها دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما
يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغى ان يصبر الى ان يسال عنه بل ينبغى ان يتصدى بدعوة الناس الى نفسه فانهم
ورثة الانبيا والانبيا ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم فى مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم
فى الابتدا ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذى ظهر
على وجهه برص ولا مراة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين
كافة ان يرتبوا فى كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا
فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم فى الاصل والفرع فالدنيا دار مرضى اذ ليس فى بطن الارض الا ميت ولا على
ظهرها الا سقيم ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل
مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذى
لا يحتمى او الذى غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن نفسه وعن
ساير الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان بثلاث علل احداها ان المريض بها لا يدرى
انه مريض والثانى ان عاقبته غير مشاهدة فى هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته فوت مشاهد
تنفر الطباع عنه وما بعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد فى هذا العالم
فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله فى مرض القلب ويجتهد فى علاج
مرض البدن من غير اتكال على دواء والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلما وقد
مرضوا فى هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة فى عموم المرض حتى لا يظهر
نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على

او مسجد

الاطبا فلم يقدروا على يحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم
فبهذا السبب عم الداء وعظم الوبا وانقطع الدوا وهلك الخلق لفقد الاطبا بل اشتغل الاطبا بفنون
الاغوا فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم
يهمهم فى مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجا وتغليب
اسباب الرجا وذكر دلايل الرحمة لان ذلك الذ فى الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن
مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراة على المعاصى ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا
او خائنا اهلك بالدوا حيث يضعه فى غير موضعه فالرجا والخوف دوا آن ولكن لشخصين متضادى العلة
اما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه
بالكلية فانه يكسر سورة اسرافه فى الخوف بذكر اسباب الرجا ليعود الى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب
المشتهى للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط والياس استعظاما لذنوبه التى سبقت يعالج ايضا باسباب الرجا
حتى يطمع فى قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل فى المعاصى بذكر اسباب الرجا تضاهى
معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفا وذلك من داب الجهال والاغبياء فاذن فساد الاطبا هى المعضلة الدهما
والدا الذى ليس يقبل الدوا اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذى ينبغى ان يسلكه الواعظ فى وعظ مع
الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة فى حل عقدة الاصرار وحمل
الناس على ترك الذنوب وهى اربعة انواع النوع الاول ان يذكر ما فى القران من الآيات المخوفة للمذنبين
والعاصين وكذلك ما ورد فى الاخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع الفجر ولا ليلة
غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلايق لم يخلقوا ويقول
الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفى رواية
يا ليتهم تجالسوا فتذاكروا ما علموا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف
اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان
تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصى الا استاذن مكانه من
الارض ان يخسف به واستاذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله عز وجل للارض والسماء
كفا عن عبدى وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الى فاغفر له لعله يستبدل صالحا
فابدل له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الطابع معلق بالعرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت
المحارم ارسل الله الطابع وطبع على القلوب بما فيها وفى حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب
العبد ذنبا انقبضت اصبع حتى ينقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن ان بين
العبد وبين الله حدا فى المعاصى معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها الخير والاخبار والآثار
فى ذم المعاصى ومدح التايبين لا تحصى فينبغى ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه ما خلف دينارا ولا درهما وانما خلف العلم والحكمة وورثه الصالحين كل عالم بقدر ما اصابه **النوع الثانى**
حكايات الانبيا والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصايب بسبب ذنوبهم فذلك شديد
الوقع ظاهر النفع فى قلوب الخلق مثل احوال آدم عليه السلام فى عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روى
انه لما اكل الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه

فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودى من فوق العرش اهبطا من
جوارى فانه لا يجاورنى من عصانى فالتفت آدم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من
جوار الحبيب وروى ان سليمن صلى الله عليه وسلم لما عوقب فى خطيئته لاجل التمثال الذى عبد فى داره اربعين
يوما وقيل ان المراة سالته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على
خصمه لمكانها منه فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسئل بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعمونى
فانى سليمن بن داود شج وضرب وحكى انه استطعم من بيت امراة فطردته وبزقت فى وجهه وفى رواية فاخرجت
عجوز جرة فيها بول فصبت على راسه الى ان اخرج الله له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين
من ايام العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت
حوله واعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم فى عذركم الآن
هذا امر كان من السماء ولا بد منه وروى فى الاسرائيليات ان رجلا تزوج امراة من بلدة اخرى وارسل
عبده يحملها اليه فراودته عن نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنباه الله تعالى ببركة تقواه وكان
نبيا فى بنى اسرائيل وفى قصص موسى انه قال للخضر عليهما السلام بم اطلعك الله على علم الغيب قال بترك
المعاصى لاجل الله تعالى وروى ان سليمن عليه السلام كان الريح يسير به فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه
قميص جديد فكانه اعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت هذا ولم آمرك به قالت انما نطيعك اذا اطعت الله
وروى ان الله تعالى اوحى الى يعقوب اتدرى لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته
اخاف ان ياكله الذيب لم خفت عليه الذيب ولم ترجنى ولم نظرت الى غفلة اخوته عنه ولم تنظر الى حفظى له وتدرى
لم رددته عليك قال لا قال لانك رجوتنى وقلت عسى الله ان ياتينى بهم جميعا وبما قلت اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيئسوا ولذلك لما قال يوسف لصاحب الملك اذكرنى عند ربك قال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه
فلبث فى السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تحصى ولم يرد بها القرآن والاخبار ورود الاسمار بل
الغرض بها الاعتبار والاستبصار ليعلم ان الانبيا عليهم السلام لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغار فكيف
يتجاوز عن غيرهم فى الذنوب الكبار نعم كانت سعادتهم فى ان عوجلوا بالعقوبة ولم يوخروا الى الآخرة والاشقيا
يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الآخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغى ان يكثر جنسه على اسماع المصرين
فانه نافع فى تحريك دواعى التوبة النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنب
وان كل ما يصيب العبد من المصايب فهو بسبب جنايته فرب عبد يتساهل فى امر الآخرة ويخاف من عقوبة الله
فى الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغى ان يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل فى الدنيا شومها فى غالب الامر كما حكى فى قصة
داود وسليمن حتى قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنبه وقد يسقط منزلته عن القلوب ويستولى عليه اعداؤه
قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود انى لاحسب ان العبد لينسى العلم
بالذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا وقال بعض السلف
ليست اللعنة سوادا فى الوجه ونقصا فى المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت فى مثله او شر منه وهو
كما قال لان اللعنة هى الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان من رزق التوفيق
اعظم حرمان فكل ذنب فانه يدعو الى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع فى مجالسة العلما
المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون وحكى عن بعض العارفين انه كان يمشى فى الوحل
جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشى فى وسط الوحل ويبكى ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى

الذنوب ويجا لفها حتى يقع فى ذنب وذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا وهو اشارة الى ان الذنب يتعجل
عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورثتك
ذلك وقال بعضهم انى لاعرف عقوبة ذنبى فى سوء خلق حمارى وقال آخر اعرف العقوبة حتى فى فار بيتى وقال
بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بى ابن الجلاء الدمشقى فاخذ بيدى
فاستحييت منه فقلت يا باعبدالله سبحن الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت
للنار فغمز يدى وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلثين سنة وقال ابو سليمن الدارانى الاحتلام
عقوبة وقال لا يفوت احد صلوة جماعة الا بذنب يذنبه وفى الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم
وفى الخبر يقول الله عز وجل ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتى ان احرمه لذيذ مناجاتى
وحكى عن ابى عمرو بن علوان فى قصة يطول ذكرها قال فيها وكنت قائما اصلى ذات يوم فخامر قلبى هوى طاولته
بفكرى حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت على الارض واسود جلدى كله واستترت فى البيت فلم اخرج
ثلثة ايام وكنت اعالج جسدى بالغسل فى الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشفت بعد ثلث فلقيت
الجنيد وكان قد وجه الى فاشخصنى من الرقة فلما اتيته قال لى اما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه
فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة فاخرجتك من بين يدى الله فلولا انى دعوت الله لك
وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك اللون قال فعجبت منه كيف علم ذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم انه
لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره ليتزجر وان كان شقيا
اخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة فى آفات الذنوب فى الدنيا من الفقر والمرض وغيره
بل من شوم الذنب فى الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صفته فان ابتلى بشئ كان عقوبة له ويحرم جميل
الرزق حتى يتضاعف شقاوته وان اصابه نعمة كان استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على
كفرانه والمطيع فمن بركة طاعته ان تكون كل نعمة فى حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة
لذنوبه وزيادة فى درجاته النوع الرابع فى ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا
والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله كوضع الدواء فى غير
موضعه بل ينبغى ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على
العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقراين الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه
اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد اوصنى يا رسول الله ولا تكثر على فقال لا تغضب
وقال له آخر اوصنى فقال عليك باليأس مما فى ايدى الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه
الفقر الحاضر وصل صلوة مودع واياك ما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصنى فقال اوصيك
ان تكون ملكا فى الدنيا والاخرة فقال وكيف لى بذلك قال الزم الزهد فى الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم
توسم فى السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفى السائل الآخر مخايل الطمع فى الناس وطول الامل وقال له
~~آخر اوصنى فقال لا تكذب~~ وتخيل محمد بن واسع فى السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصنى فقال
كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة وقال رجل لابرهيم بن ادهم اوصنى
قال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس وذهب
الناس وبقى النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا فى ماء الناس وكانه تفرس فيه آفة المخالطة او اخبر عما كان
هو الغالب على حاله فى وقته وكان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون بحسب

وفى الآخر مخايل التخرف الكلام

حال القايل وكتب معاوية الى عائشة رضى الله عنها من الشام ان اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى
فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة
الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التى تكون الولاة بصددها وهى مراعاة الناس
وطلب مرضاتهم وكتبت اليه مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس وان اتقيت
الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاذا على كل ناصح ان تكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات
الخفية وتوسم الاحوال اللايقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير
ممكن والاشتغال بوعظ من هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم فى
جمع او سأله من لا يدرى باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان طريقه فى ذلك ان يعظه بما يشترك
فيه كافة الخلق فى الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان فى علوم الشرع اغذية وادوية فالاغذية
للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روى ان رجلا قال لابى سعيد الخدرى اوصنى فقال عليك
بتقوى الله فانه رأس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك فى
اهل الارض وذكر لك فى اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل
للحسن اوصنى فقال له اعز امر الله يعزك الله وقال لقمن لابنه يا بنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم
فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون
عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلوة
افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين وقال لابنه ايضا لا تضحك من غير عجب
ولا تمش فى غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت
ومال غيرك ما تركت يا بنى ان من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم
ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابى حازم اوصنى فقال كل ما لو جاءك الموت عليه فرايته غنيمة
فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه فرايته مصيبة فاجتنبه قال موسى عليه السلام للخضر اوصنى فقال
كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك
من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام
اوصنى فقال اجتهد فى رضا خالقك بقدر ما تجتهد فى رضاء نفسك وقال رجل لحامد اللفاف
اوصنى فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين
قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فى ما لا بد منه وترك مخالطة الناس
الا فى ما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف مما خوفك الله واحذر مما حذرك
الله وخذ مما فى يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد
العزيز الى الحسن يسأله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات
امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن
غفل عنها خسر ومن نظر فى العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن امن
اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت
فاسئل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا

دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده وكن فيها يا امير المومنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة
الدوآء لما يخاف من عاقبة الدآء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاه اما بعد فان الدنيا عدوة اوليآء الله
وعدوة اعدآء الله اما اوليآؤه فغمتهم واما اعدآؤه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك
المقدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تاتي الى الناس شيئا
الا كان زايلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله تعالى اخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي
ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل هذه الاغذية التي تشترك
الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هذا الواعظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد
وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال
غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم فلم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القايل متصلف
والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طلب الطبيب اولا علاج المرض فطلب العلما اولا
علاج العاصين فهذا احد اركان العلاج واصوله **الاصل الثاني الصبر** ووجه الحاجة اليه ان المريض
انما يطول مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناول ذلك اما لغفلة عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان
فما ذكرناه علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان
المريض اذا اشتدت ضراوته بماكول مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم
يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد
على كل حالة من مرارة الصبر فكذلك نعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر
على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي ورآء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري
المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله وسنة رسوله فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته
ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول اللذايذ الاطعمة
وعلاجه الجوع والصوم الدايم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم
الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن قلب مجرد عن ساير
الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته
الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من ورآء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر
الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسييسره للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبيا الا شرح طرق الهدى
وانما لله الاخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر والصبر
لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم والعلم لا يحصل الا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق
بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مومن فاعلم ان
هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مومن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله
وسبب العقاب في الاخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود عليه غيب غايب ليس بحاضر
والنفس جبلت متاثرة بالحاضر فتاثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات
الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال اخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى بسبب الاعتياد
والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الاجل شديد على النفس ولذلك قال الله تعالى

هو كلام الوعاظ

علاجها

كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول الرسول
صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله عليه الصلوة والسلام ان الله
خلق النار فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد
فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد
الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها
فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذن
كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متاخرا الى المآب سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول
اصل الايمان فليس كل من يشرب مآء الثلج في مرضه لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا بان ذلك
مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر الثالث انه ما من مذنب
مومن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيات بالحسنات وقد وعد بان ذلك يجبره الا ان طول
الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاوه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان
الرابع انه ما من مومن الا وهو معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب
فينتظر العفو اتكالا على فضل الله فهذه اسباب اربعة موجبات للاصرار على الذنب مع بقاء اصل
الايمان نعم قد يقدم المذنب لسبب خامس يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا
هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب
فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول علاجها هو الفكر
في ذلك بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تاخر العقاب ان كل ما هو آت وان غدا لناظره
قريب وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب والمتاخر اذا وقع صار
ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار
لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني طبيب بان المآء البارد
يضره ويسوقه الى الموت وكان المآء البارد الذ الاشيآء عنده تركه مع ان الموت المه لحظة اذا لم يخف ما
بعده ومفارقته للدنيا لا بد منه فكم نسبة مدة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر
الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبيا المويدون
بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون
عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الاخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا
التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي ايام العمر
وهي ايام قلايل فكيف اقدر على ذلك ابد الاباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا
كنت لا اصبر عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم
الاخرة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر
على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري
هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتاكد بالاعتياد فليست الشهوة
التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يوكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون ان الايام متشابهة
في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فراها قوية لا تنقلع

عن الشهوة ح

الفرق بين المتاملين ولا يظنون ح

الا بمشقة شديدة فقال اوخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كل ما بقيت ازداد رسوخها وهو
كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة فى الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ
ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوي الضعيف واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله فعلاجه
ما سبق وهو كمن ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقرا منتظرا من فضل الله ان يرزقه العثور
على كنز فى ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة
فى بلده وذخاير امواله فى صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط
غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري واذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت
ممكن والغفلة ايضا ممكنة وقد حكى فى الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله مثله فمنتظر
هذا منتظر امر ممكن ولكنه فى غاية الحماقة والجهل واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب
التى تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله
الانبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن او يقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد
فى مكانين فى حالة واحدة فان قال اعلم استحالته كذلك فهو اخرق معتوه وكانه لا وجود لمثل ذلك فى
العقلا وان قال انا شاك فيه فيقول لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك فى البيت
لحظة انه قد ولغت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تاكله او تتركه وان كان الذ الاطعمة
فيقول اتركه لا محالة لانى اقول ان كذب فلا يفوتنى الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو
قريب وان صدق فيفوتنى الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام واضاعته شديد
فيقال له يا سبحان الله كيف تاخر صدق الانبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلما
والاوليا والحكما بل جميع اصناف العقلا ولست اعنى بهم جهال العوام بل ذوا الالباب عن صدق
رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس فى العقلا الا من صدق باليوم الآخر واثبت ثوابا
وعقابا وان اختلفوا فى كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب عظيم يبقى ابد الاباد وان كذبوا فلا
يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف وان كان عاقلا مع هذا
التفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الاباد بل لو قدرنا الدنيا مملوة بالذرة وقدرنا طايرا يلقط فى كل
الف الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص من ابد الاباد شى فكيف يفتر راى العاقل فى الصبر
عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الاباد وذلك لا منتهى له ولذلك قال ابو العلا المعري
قال المنجم والطبيب كلاهما ٥ لا تحشر الاموات قلت اليكما ٥ ان صح قولكما فلست بخاسر ٥ او صح قولى فالخسار عليكما
ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت
فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا وهلكت اى العاقل يسلك طريق الامن فى جميع الاحوال فان قلت
هذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وما علاج القلوب
لردها الى الفكر لا سيما من امن باصل الشرع وتفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع
هو الفكر فى عقاب الآخرة واهوالها وشدايدها وحسرات العاصين فى الحرمان من النعيم المقيم وهذا
فكر لداغ مولم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر فى امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثانى
ان التفكر شغل فى الحال مانع من لذايذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله فى كل حال من احواله
ونفس من انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخر الشهوة فهو مشغول

بتدبير حيلته وصارت لذته فى طلب الحيلة فيه او فى مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك واما
علاج هذين المانعين فهو ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك فى الاحتراز من الفكر فى الموت وما بعده
تالما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت
وما بعده ومتالم به واما الثانى وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا هو ان يتحقق ان فوات لذات الآخرة
اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهى مشوبة بالمكدرات فما فيها
لذة صافية عن كدر وفى التوبة عن المعاصى والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته
وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن للطبع جزاء على عمله الا ما يجد من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة
الله لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون فى ابتداء التوبة
ولكن بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها
تتعود والخير عادة والشر لجاجة فاذن هذه الافكار هى المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات
ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل فى الحصر فيصير الفكر
موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويسمى السبب الذى اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذى هو
سبب الخير توفيقا اذ التوفيق هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذى هو طاعة نافعة فى الآخرة
وقد روى فى حديث طويل انه قام عمار بن ياسر وقال يا امير المومنين لعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما اخبرنا
عن الكفر على ما ذا بنى فقال على اربع دعايم على الجفا والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الخلق وجهر
بالباطل ومقت العلما ومن عمى نسى الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الامانى ومن شك غرته الامانى
فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا
القدر كاف فى التوبة واذا كان الصبر ركنا من اركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فلنذكره فى كتاب مفرد
ان شاء الله تعالى وحده ثم كتاب التوبة وهو الاول من ربع المنجيات ويتلوه كتاب الصبر والشكر والحمد لله وصلوته على سيدنا محمد واله وصحبه

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثانى من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله اهل الحمد والثنا المنفرد برداء الكبريا المتوحد بصفات
المجد والعلا المؤيد صفوة الاوليا بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعما والصلوة على سيدنا
محمد سيد الانبيا وعلى آله قادة البررة الاتقيا واصحابه سادة الاصفيا صلاة محروسة بالدوام عن الفنا
ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضا اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
كما وردت به الاخبار وشهدت له الآثار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه
الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلى شطري الايمان ثم هو غفلة
عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب الى الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور
سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد
عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نذكر
كلا الشطرين فى كتاب واحد لارتباط احدهما بالآخر **الشطر الاول فى الصبر** وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان
حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه
بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
فهى سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده **بيان فضيلة الصبر** وقد وصف الله سبحانه وتعالى الصابرين

الحق

وسبعين

باوصاف وذكرا الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها
ثمرة له فقال عز من قايل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما
صبروا وجعلها ثمرة له فقال عز من قايل ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب
الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر وقال تعالى الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه
من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر
فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين
بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات
والرحمة مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الايات في مقام الصبر يطول واما الاخبار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سياتي وجه كونه نصفا وقال عليه الصلوة والسلام من اقل
ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا
على ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف عليكم ان تفتح عليكم الدنيا
بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى
ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم الاية وروى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم
عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر والسماحة

معناه معظم الحج عرفة

وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال صلى الله عليه وسلم ايضا افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله عز وجل
الى داود تخلق باخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطا عن ابن عباس انه لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم

دان من اخلاقي

على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على
الرخا ونصبر على البلا ونرضى بالقضا قال مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره
خير كثير وقال المسيح صلوات الله عليه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا مما لا يحصى واما الاثار
فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران
احدهما افضل من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك
الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر فقد قال علي رضي الله عنه بني الايمان على اربع دعايم
اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له
ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين
الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وكان حبيب ابن ابي حبيب اذا قرأ هذه الاية انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني عليه وقال ابو الدردا
ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان حقيقة الصبر من حيث النقل واما من حيث النظر بعين الاعتبار
فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل الا بعد معرفة
الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه **بيان حقيقة الصبر ومعناه** اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين
ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما ينتظم من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف

هي

هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال
كالاثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة
يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقايد فلذلك الصبر لا يتم
الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة والصبر على التحقيق عبارة عنهما والعمل هو كالثمرة تصدر عنها ولا يعرف
هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك
من البهايم والملائكة اما في البهايم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهايم سلطت عليها الشهوات
وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس لها قوة تصادم الشهوة وتردها
عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة فانهم جردوا للشوق

برفع درجتهم

الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج
الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتداء
الصبي ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيها الا شهوة الغذا الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة
ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند
اخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبتهما ولا يكون في الصبي الا جند الهوى كما في البهايم ولكن الله
بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجته عن درجة البهايم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين

لا بمعرفتها

احدهما يهديه والاخر يقويه فيتميز بمعونة الملكين عن البهايم واختص بصفتين احدهما معرفة الله ومعرفة
رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة
لا هداية لها الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا يطلب الا اللذيذ فاما
الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تعرفه ولا تطلبه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات
لها مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم يكن له قدرة على ترك ما هو مضر
فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها
في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا اخر يسدده ويؤيده
ويقويه بجنود لم تروها وامر هذه الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك
بحسب امداد الله عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه
الصفة التي بها فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات
بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قايم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهم سجال
ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة
من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى
قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة
ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذن ترك الافعال المشتهاة عمل يثمرها حال يسمى الصبر وهو ثبات
باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها
لاسباب السعادات في الدنيا والاخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة
عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه
الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان بقبح مغبة الشهوات

وسو، عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجذبين باذن الله تعالى ونسخيره اياهما وهما الكرام
الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الادميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلا من رتبة الملك المغوي
لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جانبي الانسان ينبغي ان يكون مسلما له فهو اذن
صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة
فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسئ اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه
الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله حسنة وكذا بالاسترسال معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه
فهو به مسئ اليه فيكتب عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له به حسنة وانما تثبت هذه الحسنات
والسيئات باثباتهما ولذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم
كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحايف مطوية في سر القلب
ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبهما وصحايفهما وجملة ما يتعلق بهما من جملة
عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شئ من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر
هذه الصحايف المطوية عنه مرتين مرة في القيمة الصغرى ومرة في القيمة الكبرى واعنى بالقيمة الصغرى
حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات قد قامت قيامته وفي هذه القيمة يكون العبد وحده
وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اما
في القيمة الكبرى الجامعة بكافة الخلق لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملاء من الخلق وفيها يساق
المتقون والمجرمون الى الجنة والنار زمرا لا احادا والهول الاول هو هول القيمة الصغرى ولجميع اهوال القيمة
الكبرى نظير في القيمة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تتزلزل في الموت فانك
تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تتزلزل البلاد المحيطة بها
بل لو تزلزل مسكن الانسان وداره فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض
بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارضي مخلوق
من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فاما بدن غيرك فليس يخصك والارض التي انت جالس
عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزله ان يتزلزل بدنك بسببه والا فالهوى ابدا
متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط
فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك وقلبك شمس ارضك
وسمعك وبصرك وساير حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر ارضك وشعوك نبات ارضك
واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض
زلزالها فاذا انفصل العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام
فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك
وساير حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا
تفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى
وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى
القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك
هذه القيمة ولا يفوتك من القيمة الكبرى شئ مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق

غيرك

غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوى عنده الليل والنهار
وكسوف الشمس وانجلاؤها لانها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وذلك حصته منها فالانجلاء بعد
ذلك حصة غيره ومن انشق راسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له
لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي الصاخة الصغرى والخوف بعد اسفل والهول بعد
مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السماوات والارض ونسفت الجبال
وتمت الاهوال واعلم ان هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشر اوصافها فهي بالنسبة
الى القيمة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتان احدهما الخروج
من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال
منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم
القيمة الكبرى الى خصوص القيمة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم
الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا ايضا كنسبة سعة فضاء الدنيا الى الرحم بل اوسع واعظم
فقس الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما نشاة الثانية الا على قياس النشاة الاولى
بل اعداد النشاة ليست محصورة في الاثنين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر
بالقيمتين مؤمن بعالمي الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيمة الصغرى دون الكبرى
ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم
غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيمة الكبرى
بالجهل والضلال افلا تكفيك دلالة القيمة الصغرى اوما سمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا
اوما سمعت بكربه صلى الله عليه وسلم في وقت الموت حين قال اللهم هون على محمد سكرات الموت اوما
تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاء الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم
يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فياتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون و
ياتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون افيظنون
انهم في الدنيا خالدون اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان الموتى سافروا
من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها
معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض المقصود فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلا
من امور المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه
المقاومة من خاصية الادميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين
اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل
الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال
والاعراض ولعمري يظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وينموا على التدريج الى سن البلوغ كما
يبدوا نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الاخرة بل مضار الدنيا
فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الاخرة ولا يكتب عليه من الصحايف ما
ينشر في الاخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار

ان يكتب على الصبي سيئة وحسنة على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه
بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها
درجة القرب من رب العالمين كما ناله الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين من الصديقين واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة **بيان كون الصبر نصف الايمان** اعلم ان
الايمان تاره يخص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة منها وتارة يطلق
عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين
بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف
الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان
ركنان احدهما اليقين والاخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله عبده الى اصول
الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن
ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل
فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما
اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره والاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على
المعارف وعند ذلك فينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والاخرة او يضره فيهما وله بالاضافة
الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار
كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله عليه الصلوة والسلام ولما كان الصبر صبرا عن بواعث
الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من
المولم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن داعي الشهوة وداعي
الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان يفهم تقديرات الشرع بحدود
الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان يعرف كثرة ابواب الايمان فان اسم الايمان يطلق
على وجوه مختلفة **بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر** اعلم ان الصبر
ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات
او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون
محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع
ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان عن احتمال
مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي كان عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر
على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب
الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان
في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن فان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده السفه
وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر وتضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان
كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص

ثبات باعث الدين
وكان باعث مع

الندم
الدهر

وان

وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر
فلذلك لما سئل عليه الصلوة والسلام عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد
جمع الله اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين
البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذن هذه اقسام الصبر واختلاف متعلقاتها
ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث راى الاسامي مختلفة
والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي
فانها وضعت دلالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع
لا بد من ان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا
على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات **بيان انقسام الصبر
بحسب اختلاف القوة والضعف** اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلثة احوال احدها
ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى لها قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر
والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين
واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الحالة الثانية ان يغلب دواعي
الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان ولا يجاهد لياسه عن المجاهدة
وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله
في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وصاحب هذه الحالة
اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن
قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة له الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل
عقله الا في دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم اسير في يد الكفار
يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار و
يجعله اسيرا عندهم لان تفاحش جنايته سببه انه سخر ما كان من حقه ان يستسخر وسلط من حقه ان يتسلط
عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون
متسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما
سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين
المبعدين عن الله كان كمن ارق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض
اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستحقاقه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله والعقل
اعز موجود خلق في الارض الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة
لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظاهرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا

استنباط

عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلثة احوال باعتبار عدد
ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل
قوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون للمجاهدة
مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل سبيلا اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها
يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل
ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق
على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة
تعب بل يحصل بادنى محاملة على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في
العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
ومثال هذه القدرة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حيلة
وايسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته الاعيا ولا اللغوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى
على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا يكون المصارعة بين باعث الدين وباعث
الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط
باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضا كما سياتي في كتاب الرضا
فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره
خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين
والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة بما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين
وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا اعلى من مقام الصبر وكان
هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصايب والبلايا واعلم ان الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه
الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل فالصبر على الاذى المحظور
محظور كمن يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر
على اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله والصبر على المكروه وهو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة
في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد
به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغنى عنه في حال من الاحوال

اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلوا من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي
لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلوا عن احد هذين
النوعين او كليهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال
والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد
الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها
المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حتى قال بعض العارفين
البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء
ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك
حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم

الشهوات

فهذا الصبر محرم

ابواب

عن ذكرالله

عن ذكر الله الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه
وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله
انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار
الرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده
وعسى ان يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب
وان يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق منه وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك
في ساير ما انعم الله عليه به وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان
الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه
غيرك ايسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجايع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر
منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا اعظمت فتنة السراء النوع الثاني ما لا يوافق
الهوى والطبع وذلك لا يخلوا اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره
كالمصايب والنوايب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام
منه فهي ثلاثة اقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو ساير افعاله التي توصف بكونها طاعة
او معصية وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد محتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة
شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس
الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهره اذ
استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت
قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده
ذلك ليس يصدر الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء والعظمة فاذا العبودية شاقة
على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة
ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدايد يحتاج المطيع الى الصبر
على طاعته في ثلثة احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوايب الرياء
ودواعي الافات وعقد العزم على الاخلاص والوفا وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية
والاخلاص وآفات الريا ومكايد النفس وقد نبه عليه صلى الله عليه وسلم اذ قال انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرى ما نوى بل قال الله عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وبهذا المعنى
قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كي
لا يغفل عن الله تعالى في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر
العمل فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدايد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى
نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ عن العمل اذ يحتاج
الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والريا والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط
اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لا يصبر بعد الصدقة
عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا
وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر فالعدل

هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى هي المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى الصبر الضرب
الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى بواعث الهوى واشد
انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا
انضافت الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم
ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر على معاصي اللسان من الغيبة و
الكذب والمراة والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي
يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فانه في ظاهره غيبة وفي
باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احدهما نفي الغير والآخر اثبات نفسه وبهما يتم له الربوبية التي في
طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسير تحريك اللسان ويصير ذلك معتادا في المحاورات
يعسر الصبر عنها حتى يبطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان
يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد فيطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع
ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر على ذلك فيجب
عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف
شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان
حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس بالعزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب
على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هما واحدا والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور
فتوره القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل وقول وجنى عليه
في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض العارفين
ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقسم صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
فاخبر به رسول الله عليه الصلوة والسلام فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا
فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وقال فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا
جميلا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا على المكافاة
ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك
ورايت في الانجيل قال عيسى لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا
الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن اخذ رداك فاعطه ازارك ومن سخرك
لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر
لانه يتعاون فيه على باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار
اوله وآخره كالمصائب مثل فوت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضا
وبالجملة فسائر انواع البلا فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر وقال ابن عباس الصبر في القرآن على ثلثة اوجه

ما نهى الله عنه

صح وهي من اكبر الموبقات

الصحابة

خذ كالبار

صبر على اداء فرايض الله فله ثلثماية درجة وصبر عن محارم الله وله ستماية درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة
الاولى فله تسعماية درجة وانما فضل هذه الرتبة مع انها من الفضايل على ما قبلها وهي من الفرايض لان كل
مومن فيقدر على الصبر عن المحارم واما الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين فان ذلك
شديد على النفس ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اسالك من اليقين ما تهون به علي مصايب الدنيا
فهذا صبر مستنده حسن اليقين قال ابو سليمن والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك
بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج
بالصبر عبادة وقال عليه السلام ما من عبد مومن اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل قال يا جبرئيل ما جزاء ما سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود
في داري والنظر الى وجهي وقال عليه الصلوة والسلام يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني
الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابراته ابراته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال
داود عليه السلام الهي ما جزاء الحزين الذي يصبر على المصايب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان
ولا انزع عنه ابدا وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر
الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل عن فضيل
الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان
فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك جاؤك زائرين فاخذ يرميهم بالحجر فاخذوا يهربون فقال لو كنتم
احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا وقال ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع
فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لابنه سليمن عليهما السلام يستدل على تقوى
المومن بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه الا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين انه
خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني
وروي عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني
قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صايم فان عشت الى الليل شربته فهكذا صبر سالكي طريق
الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصايب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر
شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهة للمصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما
يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير
العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر
الرضا بقضاء الله ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كانت وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصا
ام سليم انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غايب فقمت فسجيته في ناحية من البيت فقدم زوجي فقمت
فهيات له افطاره فجعل ياكل فقال كيف الصبي قلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه
الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا

كريمتيه

يارب

الرجل

العدو

ام سليم

قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك
كان عارية من الله وان الله تعالى قبضه اليه فحمد الله فاسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي ولقد رايت لهما في المسجد سبعة كلهم قد قرا القرآن فروى جابر
انه عليه الصلوة والسلام قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصا امراة ابي طلحة وقد قيل الصبر الجميل
هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبه غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين
بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابرهيم ولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله
من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضى فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متالم
بسببه لا محالة وقد تفيض عينه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا وكتب ابن ابي نجيح يعزي
بعض الخلفا ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه له واعلم ان
الماضي هو الباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما
يعافون فيه فاذن مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر
كتمان الصبر والفقر وساير المصايب وقد قيل من كنوز البر كتمان الاوجاع والمصايب والصدقة فقد ظهر
لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفى الشهوات كلها واعتزل
وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج
الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخاطر انما يكون في فايت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو
مقدر فهو كيف ما كان تضييع زمان واله العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر
يستفيد به انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة بالله او يستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان
فكره ووساوسه في المباحات مقصورة عليه ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات
اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم به انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور
امارة له منه بل نقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في
كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دايم فللشيطان جندان
جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار
وذلك لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين
طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف
الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق الله من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر
عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذن حيث لم يسجد الملعون لابينا ادم صلوات
الله عليه فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد
اظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه
وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور
ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف
الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن
عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم القيمة الا ان تصبح

الدين

وهمومك هم واحد وتشتغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله
المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري
من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهوا في القدح فانك ان اردت ان تخلوا القدح عن الهوى من غير ان
تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلوا من الماء يدخل فيه الهوى لا محالة فكذلك القلب
المشغول بفكر مهم في الدين يخلوا عن جولان الشياطين والا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة
قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به
على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج فروخها ايضا
وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد ساير الحيوانات لان طبعها من
النار وان وجدت النار الحلفا اليابس كثر توالدها فلا تزال تتولد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري
شيئا شيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابس للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها
قوة وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن له شهوة فاذا اذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك
وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو
قال هو نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذن حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى
بالصبر عنها وهذا صبر دايم لا يقطعه الا الموت **بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه** اعلم ان الذي انزل
الداء انزل الدواء ووعد الشفا فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل
هما الاخلاط التي منها يركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان
اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج
مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر
عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث لا يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه
اذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوة وتصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول
قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان تغلب
احدهما الاخر فلا طريق لنا فيه الا التقوية لما اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الاخر فلزمنا ههنا تقوية
باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفها ثلثة امور احدها ان ينظر الى
مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدايم
مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة
الثاني قطع اسبابه المهيجة في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك
الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنعه
الا تغميض الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم من قوس فاذا انفلت عن صوب الصور
لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما تشتهيه الطبع
ففي المباحات ما يغني عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن
ساير الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع

فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف
عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب
الشعير عن البهيمة حتى لا يتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث تسكينها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها
حتى يبقى معها من القوة ما يصبر به على التاديب فاما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه
في فوايد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضيلة الصبر
وفي حسن عواقبه في الدنيا والاخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط
بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس
فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان وتارة يضعف وتارة يقوى
فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو
المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث
الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد
والممارسة للاعمال الشاقة يؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين
والمقاتلين وبالجملة قوة الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين
وذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع
الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث قال انكم اذا لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي
الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة اسباب ذلك في مبدا الصبي حتى يانس به ويستجري عليه ويقوى
فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين فلا يقوى على الشهوة وان ضعفت
ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه
وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة
واثر العزلة وجلس للمراقبة وللذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج
له البتة الا قطع العلايق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء
والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم يصر الهموم هما
واحدا وهو الله ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت
السموات والارض وعجايب صنع الله وساير ابواب معرفة الله حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله
بذلك محادثة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المرتبة
في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر
بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات الا بعضها
اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من انسان و
طغيان من مخالط اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد الانواع الشاغلة
واما النوع الثاني وهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش
فان تهياه ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه فان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب ممن يتولاه ولكن
بعد قطع العلايق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة او واقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب
ويتيسر بالفكر وينكشف فيه من اسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان

طويل

طويل لو كان مشغول القلب بالعلايق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب
والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد
وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد تطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة
من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك
الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم
بالدنيا فهو منجذب اليه فقطع العلايق الجاذبة هو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام ان لله في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء
رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غايبة عنا فلا ندري متى ييسر الله اسباب
الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض وينقيها
من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق
بفضل الله انه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قل ما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من
النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر قلبه عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذر الارادة والاخلاص وعرضها
لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات
في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم ومساعدة القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان
اجتماع الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمة الله حتى يستدر بها الامطار في
اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطايف المعارف من خزاين الملكوت اشد مناسبة
منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة
معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلايقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا
يحتاج الا الى ان تكسر الشهوة وترفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب واظهار ماء الارض بحفر
القني اسهل واقرب من استنزال الماء اليه من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل
عنه سمى الله جميع معارف الايمان تذكرا فقال ليتذكروا اولوا الالباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر فهذا من علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العلايق
كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد المسير من الدنيا الى الاخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب
الحق شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب
ثم شدة هجران الخلق واشد العلايق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء
والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون اغلى اللذات ومطلوبها صفة من
صفات الله تعالى وهي الربوبية والربوبية محبوبة ومطلوبة لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنه
العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلطه
وقعت له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه
وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الاخرة فليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا
لا خوف فيه وغنا لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك
بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا اخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك
ملكان ملك مشوب بانواع الالام ومخوف بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دايم لا يشوبه كدر

والم ولا يقطعه قاطع ولكنه اجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا فى العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة
العجلة التى فى طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضر وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور فى الاخرة
ومناه مع ملك الدنيا ملك الاخرة كما قال عليه الصلوة والسلام الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
فانخدع المخذول بغروره فاشتغل بطلب عز الدنيا وملكها كل على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره
اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين بقول الله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الاخرة وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار
مكر الشيطان فى كافة الخلق ارسل الله عز وجل الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو
واعوانه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقى عن الملك المجازى الذى لا اصل له ان سلم ولا اصلا دوام له
فنادوا فيهم يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة
الدنيا من الاخرة فما متاع الاخرة فى الدنيا الا قليل فالتورية والانجيل والزبور والفرقان وصحف ابرهيم
وموسى وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدايم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا فى الدنيا
ملوكا فى الاخرة اما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الاخرة فبالقرب من الله تعالى
بدرك بقاء لا فناء له وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت فى هذا العالم لا يعلمها نفس من النفوس والشيطان
يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الاخرة يفوت به اذ الدنيا والاخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا يسلم
له ايضا ولو كانت تسلم لكان يحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلوا من المنازعات والمكدرات وطول الغموم
فى التدبيرات وكذلك ساير اسباب الجاه ثم كما يسلم ويتم الاسباب ينقضى العمر حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن
بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا وقال واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد فى الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده
عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا
ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وساير
اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة اخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم
اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون
الا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الاخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب
منك حاجة وملكى اعظم من ملكك فقال كيف قال من انت عبده فهو عبد لى فقال كيف قال انت عبد شهوتك
وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هولاء كلهم فهم عبيد لى فهذا اذن هو الملك فى الدنيا وهو الذى
يسوق الى الملك فى الاخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والاخرة جميعا والذين وفقوا للاشتداد
على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والاخرة جميعا فاذا عرفت الان معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير
والعبودية ومدخل الغلط فى ذلك وكيف تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض
عنه والصبر عند فواته اذ يصير بتركه ملكا فى الحال ويرجو به ملكا فى الاخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف
الجاه وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف
اليه العمل وعمله فى ثلثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع
الاسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة للشهوة ومن لم يفعل هكذا فقد كفر نعمة الله

وقال تعالى انه كلا بل تحبون العاجلة الاية صح

الحيوة الدنيا فى الاخرة صح

تعالى

٤٦٢

تعالى فى سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثانى ان يكلف نفسه فى اعماله
افعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وذى الحشمة بزى التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل
فى مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وما يقتضى جاهه فينبغى ان يبدلها بنقايضها حتى
يترسخ باعتياده ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا بالمضادة الثالث
ان يراعى فى ذلك التلطف والتدريج دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا
يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض
ابتدا بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيا فشيا الى ان يقمع تلك الصفات
التى رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق
ولا تبغض عبادة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واليه الاشارة بقوله عليه الصلوة
والسلام لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذن ما ذكرناه فى علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة
وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة فى كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذه
دستورك ليعرف به علاج الصبر فى جميع الاقسام التى فصلناها من قبل فان تفصيل الاحاد يطول ومن راعى
التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فينعكس اموره فيصير ما كان
محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق
وله نظير فى العادات فان الصبى يحمل على التعليم فى الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع
العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب
والى هذا يشير ما حكى عن بعض العارفين انه سئل الشبلى عن الصبر اية اشد فقال الصبر فى الله فقال لا فقال الصبر
لله قال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فاى شى قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه تتلف
وقد قيل فى معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل
الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقيل فى معناه والصبر عنك فمذموم
عواقبه والصبر فى ساير الاشياء محمود وقيل ايضا الصبر يجمل فى المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل هذا
اخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره ولله الحمد والمنة **الشطر الثانى من الكتاب فى الشكر** وله ثلثة
اركان **الركن الاول** فى فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه **الركن الثانى** فى حقيقة النعمة واقسامها
الخاصة والعامة **الركن الثالث** فى بيان الافضل من الصبر والشكر **الركن الاول** فى نفس الشكر **بيان فضيلة الشكر**
اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال تعالى فاذكرونى اذكركم واشكروا
لى ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال تعالى وسنجزى الشاكرين وقال تعالى
اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين
فى الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر
ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى فى خمسة اشيا فى الاغنا والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة
فقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب
وقال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال
تعالى ان الله هو الشكور الحليم وجعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال تعالى الحمد لله الذى صدقنا وعده
وقال واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر

فلا ينتقل صح

فابتلى

وقال وان تشكروا يرضه لكم صح

بمنزلة الصايم الصابر وروي عن عطا انه قال دخلت على عايشة فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس
جلدي جلده ثم قال يا ابنت ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك واحب ما يحب فاذنت
له فقام الى قربة ما فتوضا فلم يكثر صب الما ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم
سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جا بلال فاذنه بالصلوة فقلت له يا رسول الله ما يبكيك
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله تعالى
علي ان في خلق السموات والارض الاية وهذا يدل على ان البكا ينبغي ان لا ينقطع ابدا والى هذا السر يشير
ما روي انه مر بعض الانبيا بحجر صغير يخرج منه ما كثير فتعجب فانطقه الله فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها
الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فسال ان يجيره الله من النار فاجاره ثم راه بعد مدة مثل ذلك فقال لم تبكي
الان فقال ذاك بكا الخوف وهذا بكا الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة الا بالبكا
في حال الخوف والشكر جميعا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي مناد يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم
زمرة فينصب لهم لوا فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون على كل حال وفي لفظ اخر الذين يشكرون
الله على السرا والضرا وقال صلى الله عليه وسلم الحمد ردا الرحمن واوحى الله الى ايوب اني رضيت بالشكر مكافاة
من اوليايي في كلام طويل واوحى الله عز وجل ايضا في صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر
وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فاي المال
نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا امر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال
ابن مسعود الشكر نصف الايمان

بيان حد الشكر وحقيقته

اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين
وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل فاما العلم فهو معرفة
النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك
العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل
ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو علم بثلثة امور بعين النعمة ووجه
كونها في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم
ومنعم عليه يصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله فاما في حق الله
تعالى فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسايط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء
التقديس والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس
ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل
ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فيقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها
مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة
وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله وقال ليس شي من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله
ولا تظنن ان هذه الحسنات بازا تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله
كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات
بازا هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة تنفي الشرك في الافعال

فمن انعم عليه ملك من الملوك بشي فان راى لوزيره او لوكيله دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك
به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا
في حق الملك نعم لا تنقص عن توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي
كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من
حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن
ايضا مضطران من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جزم يخاف
عاقبته لما سلم اليه شيا فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك
شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيارات مسخرات في نفس اختيارها فان الله
هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي
ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة من الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة
وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود
عنه في الحال والمال لا يحصل الا به وبعد ان خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذن انما يعطيك
لغرض في نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطا لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك
فهو اذن انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعم اخرى هو يرجوها وانما الذي
انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك
فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة
بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى في مناجاته الهي خلقت ادم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان
ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن لا يشكر الا بان يعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا العلم لم تكن
عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان
فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل الاصل الثاني الحال المستمد من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم
مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر اذا كان جامعا شروطه وشرطه
ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا فنقول الملك
الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلثة اوجه احدها ان يفرح
بالفرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل من غرضه الفرس
فقط ولو وجده في صحرا واحدة لكان فرحه مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث
يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحرا او اعطاه غير الملك
لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب
الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركب فيخرج به في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب
منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعتني بهذا
القدر من العناية بل هو طالب بان لا ينعم الملك بشي من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة
ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار
القرب فهذه ثلث درجات فالاول لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس وفرحه

بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر
من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث يعرف عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل
وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح
الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره
والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعينه
عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعم لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس
الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي
رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعم وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات
القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان
والاصوات وخلى عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره
اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي
الاشياء المرة حتى قيل له ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذن هذا شرط الفرح بنعمة الله فان
لم يكن ابل فعزى فان لم يكن هذه فالدرجة الثانية اما الاولى فخارج عن كل حساب فكم من فرق بين مريد الملك
للفرس وبين مريد الفرس للملك وكم من فرق بين مريد الله لينعم عليه وبين مريد نعم الله ليصل بها اليه الاصل الثالث
العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان والجوارح اما بالقلب
فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح
فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه
لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب تسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار
الرضا من الله وهو مامور به وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السوال فاعاد حتى قال
في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر
عن الله ليكون الشاكر لله مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن
حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى
من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء
وافضى به الضعف الى الشكوى ان يكون شكواه الى الله تعالى فهو المبتلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد
لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبيد مع كونهم اذلاء قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر
الكبر فقال يا امير المومنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد
الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منه عدلك وانما نحن
وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته واما قول من قال ان الشكر هو
الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب وقول من قال ان الشكر
هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود
بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة

والثاني انه داخل في معنى الشكر صح

واعبدوه واشكروا له صح

ان ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك
اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص وهؤلاء اقوالهم تعرب عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم
ولا يتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما
يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا
عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان تظن ان ماذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها ما
كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل اصلا الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان
هل يشمل جميع المعاني ام يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا
الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الاخرة في شيء

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى

لعلك يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك
اما بالثناء ليزيد محلهم في القلب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم
على بعض اغراضهم او بالمثول بين يديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون
شاكرين له الا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله من وجهين احدهما ان الله منزه عن الحظوظ والاغراض
مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول
بين يديه راكعا او ساجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نسجد
او نركع فيها اذ لا حظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ولا حظ لله تعالى في افعالنا كلها والوجه الثاني ان جميع ما نتعاطاه
باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وساير الامور التي هي اسباب
حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله ونعمته فكيف نشكر نعمته بنعمته ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا
اخر له وركبناه او اعطانا مركوبا اخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني يحتاج الى الشكر كما يحتاج الاول
ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله من هذين الوجهين ولسنا نشك
في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك
لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر
وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر
اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السوال وفهمي قاصر عن ادراك معنى ما
اوحي اليهم فاني اعلم استحالة الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا
نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك
شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن فهم درك السر فيه فان امكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم
ان هذا قرع باب من ابواب المعارف وهو اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى ملامح فنقول ههنا نظران
نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر
من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير
هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير فلا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو
القايم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قايم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته
ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القايم بنفسه والقايم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره
بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون

وان وجد

غيرذلك فاذن ليس في الوجود غيرا لقيوم الحي وهوا لواحد الصمد فان نظرت فى هذا المقام علمت ان الكل
منه مصدره والى الله حقه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظرحبيب بن
ابى حبيب حيث قرا قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى
انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهنى
حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم ودعهم يحبونه فبحق يحبهم لانه انما يحب
نفسه اشار به انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا يفهمها الا بمثال على حد عقلك ولا يخفى عليك
ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب
ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما فى الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعته فاذا احبه
فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد ويعبر الصوفية
عن هذه الحالة بفناء النفس ان فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول
كيف فنى وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل فى كل يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعانى
كلامهم وضرورة العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا
من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين واذا راوهم قالوا ان
هولاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين غدا عليهم اعظم اذ قال فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون الاية وكذلك امة نوح كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة
فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام
الفنى عن نفسه وهولاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهولاء هم
العميان المنكوسون وعماهم فى كلتى العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذى هو قايم بنفسه
وقايم على كل نفس بما كسبت وكل قايم فقايم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم
من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا وفرق بين الوجود وبين الموجد وليس
فى الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قايم وقيوم والموجد
هالك وفانى واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك الفريق الثانى ما بهم عمى ولكن بهم عور فانهم
يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصروا بها فناء
غير الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذى قبله جاحدا تحقيقا فان
جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت
والنقص فى الموجود والاخر دخل فى حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد فى انواره فيقل عمشه وبقدر ما
يزيد فى بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله فان بقى فى سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان الى المحو
فينمحى عن رؤيته ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصا فى وجود ما سوى الله
دخل فى اوايل التوحيد وبينهما درجات الموحدين وكتب الله تعالى المنزله على لسان رسله هى الكحل الذى
يحصل بها انوار الابصار والانبيا صلوات الله عليهم هم الكحالون وقد جاوا داعين الى التوحيد المحض
وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد القهار الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم
الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان
قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى اوايل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون

هم الاكثرون ومنهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح له حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف
لا يثبت ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز لكل الى شاو العلى حركات
ولكن عزيز فى الرجال ثبات ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم القرب وقيل له واسجد واقترب قال
فى سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله
وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات
فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك نقصانا فى التوحيد فاقترب ورقى من مقام
مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير دونه فعل
وصفة ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصا واقترب
فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصى ثناء عليك فقوله لا احصى خبر عن فنا نفسه وخروجه عن
مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثنى وهو المثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود
وان كل شىء هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله وافعاله
فيستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ماذا انتهت نهايته اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره وشاهدته
عما سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة
الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصانا فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه واليه الاشارة
بقوله عليه الصلوة والسلام انه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة فكان ذلك
لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض واوايلها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة
الى اواخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عايشة رضى الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فما هذا البكاء فى السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا فلا اكون طالبا
للمزيد فى المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم واذ تغلغلنا فى بحار
المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبيا بعثوا لدعوة الخلق الى كمال
التوحيد الذى وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه درجات ومسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما
الشرع كله تعريف طريق السلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى
ومقام اخر فيظهر فى ذلك المقام وبالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك
الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده
فى الطريق حتى تنقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احداهما ان يكون قصده
من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غناء فى خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ
فى العبد ولا حاجة اليه بل حضوره لا يزيد فى ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغنى به غناء وغيبته لا تنقص
من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والملبوس والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته
لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فنزل العباد من الله فى المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله
والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقدم
بخدمته التى اراده الملك منه واما الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا
ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل فيه ذلك بان يعطله

او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق
فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته
واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في
طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذا اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد
منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم
فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعمة ما يقدرون على استعمالها في نيل
درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى اذ قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين الا الذين آمنوا الاية فاذن نعم الله الات يترقى العبد بها عن اسفل سافلين خلقها الله
تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله غني عنه قرب او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها
في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصيته فيكون فقد كفره لاقتحامه
لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها في طاعته
ولا معصيته فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق الله في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل بها
الى سعادة الاخرة ونيل القرب من الله فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعم الله في الاسباب التي استعملها
في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر جاري في غير محبة
الله فالمعصية والطاعة تشملها المشية ولكن لا تشملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد
مكروه وورآء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو
انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف
نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك
عطاء من الله تعالى ومن حيث انك انت محله فقد اثنى عليك ثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي
اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل
حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى بانك موجد
له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق للعلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له وقد
وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات مشية الله لك وانت شيء اذ جعلك خالق
الاشياء شيئا وانما انت لا شيء اذ كنت انت انت ظانا لنفسك مشيئة من ذاتك فاما باعتبار النظر
الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقا والى
هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذا كانت الاشياء
قد فرغ عنها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدر الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض
افعاله محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو
سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة
وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله
سبب لبعض افعاله اي الاول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق
الحيوة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله وبعضها سبب للبعض اي هي
شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحيوة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حيوة ولا لقبول

الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل
ممهد لشرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله
تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل الى الله عز وجل
فاعلم ان هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف
سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله تعالى مسبب الاسباب
ومرتبها فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن
مثله بان كل ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد سماع كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام
العلما فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا فان لم يترك الركون الى الدنيا
بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة
بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من
مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه والمتقون يساقون
الى الجنة قهرا والمجرمون يساقون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار
واذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين
لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عن ما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف
فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك **بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه** اعلم ان فعل
الشكر وترك الكفر لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله اذ معنى الشكر استعمال نعم الله في محابه ومعنى الكفر نقيض
ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع
ومستنده الايات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو
لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع
احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا
فاما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه الله اذ ما خلق شيئا
في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية
وخفية اما الجلية فكالعلم بان من الحكمة في خلق الشمس ان يحصل بها الليل والنهار فيكون النهار معاشا
والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل
فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض
بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام
الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا الاية واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت مخفية لا يطلع
عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتلتذ العين بالنظر اليها واشار اليه
بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤها وكواكبها ورياحها وبحارها
وجبالها ومعادنها ونباتها وحيواناتها واعضاء حيواناتها لا تخلو ذرة من ذراتها عن حكمة كثيرة من
حكمة واحدة الى عشرة الى الف الى عشرة الاف وكذلك اعضاء الحيوان ينقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين

للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة
والكلية والكبد واحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفات والاشتباك
والانحراف والدقة والغلظ وساير الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الخلق والذين يعرفونها لا يعرفون
منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما في علم الله عز وجل فما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذن كل من استعمل شيئا
في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر
نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع عن نفسه ما يهلكه وياخذ ما ينفعه لا ليهلك به غيره ومن نظر الى وجه
غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه
ودنياه ويتقي به ما يضره فيهما فقد استعملتا في غير ما اريد بهما وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق
الدنيا واسبابهما ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا
والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام
على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالغذاء ولا يتم الغذاء الا بالارض والماء والهواء والغذاء
ولا يتم ذلك الا بخلق السموات والارض وخلق ساير الاعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن
مطية النفس والراجع الى الله هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها
لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكمة الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعرفها وتعلم
طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران
لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه
وساير حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو يحتاج الى
جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد من مقدار
العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل
حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن او الصورة وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار
فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت
هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته و
منزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدراهم
والدنانير حاكمين ومتوسطين بين ساير الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة
وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث انهما مساويان لشيء واحد اذن متساويان وانما امكن
التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق
صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذن خلقهما الله تعالى لتتداولهما
الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهو التوسل بهما الى ساير الاشياء لانهما عزيزان
في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى ساير الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شيء
لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان
غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كانه ليس بشيء وهو في معناه كانه كل الاشياء والشيء انما تستوي
نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة تفيدها بخصوصها كالمراة لا لون لها وتحكي كل لون وكذلك

النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه
الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكام بل يخالف الغرض
المقصود بالحكام فقد كفر نعمة الله فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه
اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض
للآحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقتا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة
للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات
بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبر هؤلاء بكلام سمعوه
من رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت وهو المعنى الذي عجزوا عن ادراكه
فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ
من الدراهم والدنانير انية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة وكان اسوا حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر
حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس والحبس اهون منه وذلك ان الخزف والحديد
والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المايعات عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ
المايعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا كشف له بالترجمة
الالهية وقيل له من شرب في آنية من ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة
الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما
فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغيره ما وضع له ظلم ومن معه
ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشتري به طعاما او دابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب
فهو معذور في بيعه بنقد ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير ولا غرض في
اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع
المراة من الالوان فاما من معه نقد فلو كان جاز له ان يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى
النقد مقيدا عنده فينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا
معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالاخر
ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الاخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل
باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص
به وهو تيسر التوسل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجايز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما
تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه ونحن لا نخاف على العقلاء
بان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدراهم على الارض واخذها بعينها فلا يمنع مما لا تتشوف النفوس اليه الا ان
يكون احدهما اجود من الاخر وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردي
فلا ينتظم العقد وان طلبت زيادة في الردي فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدهما
ورديهما سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي
ان ينظر في مصارفات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة
حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز لانه
لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون

له حمد واجر والمعاوضة لاحمد فيهما ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض
المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها او يتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح
باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي اريدت له فما خلق الطعام الا ليوكل
فالحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يعامل على الاطعمة الا مستغن
عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة وتجارة وان جعله بضاعة وتجارة فليبعه
ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو ايضا مستغن عنه
ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بايع البر
بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبايع صاع من البر بصاع مثله غير معذور ولكنه عابث فلا
يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى
صاحب الجيد واما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي الردي
في اصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم
الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فانه اقوى من جميع ما
اوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو
دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوم المذاهب فيه
اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وان يضبطه بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالمطعوم
فراى الشرع التحديد بجنس المطعوم احوى لكل ما هو ضرورة البقا وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا
يقوى فيها اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في تتبع
جوهر المعنى الباعث على الحكم لكن مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فتعين المعنى بكمال قوته تختلف بالاحوال
والاشخاص فيكون الحد ضرورة فلذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فكان اصول
هذه المعاني لا تختلف فيها الشرايع وانما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى عليه السلام تحريم
الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحدود داخل
في التحريم بحكمة الحسم كما دخل اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين
فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا
الا من عرف الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل
الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يذكر الا اولوا الالباب ولذلك قال صلوات الله وسلامه عليه لولا ان
الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء واذ عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك
ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفران اذ لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض ذلك
يصفه لسان الفقه الذي تناطق به عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر فكل ذلك عند ارباب القلوب
موصوف بالحظر فاقول مثلا لو استنجيت باليمنى فقد كفرت نعمة اليدين اذ خلق الله لك اليدين وجعل احداهما
اقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل اذ تفضيل الناقص عدول عن
العدل والله لا يامر الا بالعدل ثم احوجك من اعطاك اليدين الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها
خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار وازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما
هو خسيس فنقصت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بزقت مثلا في جهة القبلة او استقبلتها

في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعك في
حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك
اليه لتتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك
انقسمت افعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البزاق واذا
رميت بزاقك الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعم الله تعالى عليك بوضع القبلة الى موضعها كمال
عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدات باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل وللرجل
فيه حظ والبداية به في الحظوظ ينبغي ان يكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران
لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم جمع اكرارا من
الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدات بالرجل اليسرى سهوا فاريد
ان اكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور لانه مسكين بلي باصلاح العوام
الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم منغمسون في ظلمات اطم واعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات
بالاضافة اليها فقبيح ان يقال للذي شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب
والآخر الاخذ باليسار ومن باع خبزا في وقت النداء من يوم الجمعة فقبيح ان يقال خالف من وجهين احدهما
بيع الخبز والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبرا للقبلة فقبيح ان يذكر تركه
الادب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة على يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فينمحق
بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بذلك السكين
اعز اولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبياء والاولياء من الآداب
وتسامحنا به في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة
ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعد بنقصان القرب والانحطاط
المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر
غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الاشجار وخلق اليد
اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة وللاعمال المعينة على الطاعة واما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق
له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل
منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح
فله ذلك اذ الشجر والحيوان فداء لاغراض الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان وافناء الاخس في بقاء
الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها
لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان
ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو
اولى به من غيره فترجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات لا بسعي آدمي اختص بمغرسه او بغرسه
فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى اخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر
الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذي له ما في السموات وما
في الارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض

مايدة الله وقد اذن لهم فى الاكل عن مايدة الله بقدر حاجتهم كالملك ينصب مايدة لعبيده فمن اخذ لقمة
بيده واحتوت عليه براجمه فجا عبد آخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا بالاخذ
باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفى بحاجة كل العبيد فالعدل
فى التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص يتفرد به العبد فمنع من لا يدلى
بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغى ان يفهم امر الله فى عباده ولذلك نقول من اخذ اموال الدنيا
اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفى عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق فى طاعته اموال الدنيا اذ بها
تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا فى حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس
فى استشعار الفقر فى الاستقبال مختلفة واواخر العمر غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجرى مجرى تكليف
الصبيان الوقار والتودد والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض
عليهم فى اللعب واللهو واباحتنا اياهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ
المال والاقتصار فى الانفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه فى البخل لا يدل على انه غاية الحق
وقد اشار القران اليه ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذى لا كدورة فيه والعدل الذى لا ظلم فيه
ان لا ياخذ احد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى الحضرة
الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب اخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود
الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقران والرسول والعقل وساير الاسباب التى بها يعرف ان ما سوى
زاد الراكب وبال عليه فمن فهم حكمة الله تعالى فى جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر
واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تفى الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق
فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف
معنى هذه الاية من لم يعرف معنى هذا كله وامورا اخر وراء هذا تنقضى الاعمار دون استقصاء مباديها
فاما تفسير الاية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان
قلت فقد رجع حاصل الكلام الا ان لله حكمة فى كل شئ وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة
وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت
الحكمة الى غايتها فهو شكر وكلما خالف ومنع الاسباب من ان تنساق الى الغاية المراد بها فهو كفران
وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا
من فعل الله فاين العبد فى البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم ان تمام التحقيق فى هذا يستمد
من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات مباديها ونحن الان نعبر بعبارة
وجيزة عن اخرها وغايتها نفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاح فى السير فضلا عن ان
يجول فى جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله سبحانه فى جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع
وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلحقها او تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها
وخصوص حقيقتها فلم يكن فى العالم لها عبارة لعلو شانها وانحطاط رتبة واضعى اللغات عن ان يمتد طرفهم
الى مبادى اشراقها فانخفض بمن دونها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض
فى نور الشمس ولكن لضعف فى ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان

يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادى حقايقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا
لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم الى النطق فقلنا لله صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع
ثم الخلق ينقسم فى الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انقسامها واختصاصها بخصوص صفاتها صفة
اخرى استعير لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشية فهى توهم منها امرا مجملا عند المتناطقين باللغات
التى هى حروف واصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشية عن الدلالة على كنه تلك الصفة حقيقتها
كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذى هو غاية حكمتها
والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى الصفة المشية لرجوعها الى الاختصاصات التى بها تتم القسمة
والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة
وقيل انهما جميعا داخلان فى وصف المشية ولكن لكل واحد خاصية اخرى فى النسبة يوهم لفظ المحبة
والكراهية منهما امرا مجملا عند طالبى الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه واختراعه
الى من سبقت لهم فى المشية الازلية ان يستعملهم لاستيعاب حكمته دون غايته ويكون ذلك قهرا فى حقهم بتسليط
الدواعى والبواعث عليهم والى ما سبقت لهم فى الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايته فى بعض الامور فكان
لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشية خاصة فاستعير لنسبة المستعملين فى اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا
واستعير للذين استوقف بهم اسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه فى الازل
فعل وقفت الحكمة به دون غايته فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعنة والمذمة زيادة فى النكال
وظهر على من ارتضاه فى الازل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايته فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة
الثنا والاطرا زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال
ثم قبح واردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ عن اوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته
قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثنى على الجمال فهو
المثنى عليه بكل حال فكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر
والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازال وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب
ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ
القضا وقيل انه كلمح بالبصر فغاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضا الجزم بما سبق به التقدير واستعير
لترتيب احاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضا بازاء الامر الواحد الكلى ولفظ
القدر بازاء التفصيل المتمادى الى غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر
لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف ينتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل
وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتوا على مجامعه فالجموا عما لم يطيقوا خوض
غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسال عما يفعل وهم يسئلون وامتلأت مشكوة بعضهم نورا
مقتبسا من نور الله فى السموات والارض وكان زيتها اولا صافيا يكاد يضئ ولو لم تمسسه نار فمسته نار
فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كلها كما هى عليها فقيل
لهم تادبوا بادب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان اذانا وحواليكم ضعفاء الابصار
فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق
الله وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم

كما تقتبس الخفاش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليالي فيحيى به حيوة تحمله شخصه وخياله وان كان لا يحيى به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا اكمن قبل فيهم   شربنا شرابا طيبا عند طيب كذاك
شراب الطيبين يطيب   شربنا واهرقنا على الارض فضله   وللارض من كاس الكرام نصيب   فهكذا كان اول
هذا الامر واخره ولا نفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قايد
يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما واذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر
قدر الطير على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراه اعمى واذا رق المجال ولطف كالماء مثلا ولم يكن
العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراه
اخر فهذه امور نسبة السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء والى المشي على الارض
والسباحة يمكن ان يتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين وكذلك قيل للنبي
صلى الله عليه وسلم ان عيسى يقال مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهوا فهذه رموز واشارات
الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منها وقد ضرب الله
مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية
الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب
مطاع مكين ويبغض الاخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل
فقال قل انزله روح القدس من ربك بالحق وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغوا
على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغوا هو استيقاف للعباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه
الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك
في العادة لها مثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف فناء منزله من القاذورات
وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف الا اقبحهما او اخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب
الا الى احسنهما واكملهما واحبهما اليه فلا ينبغي ان يقول هذا فعلي فلم يكن فعله على دون فعلي فانك اخطات
اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل
المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك
ايضا من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وساير اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل
ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة
ليس له سبب في عالم الغيب والملكوت ولذلك اضفته الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا
الى لعب المشعبذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مولفة من خرق
لا تتحرك بانفسها انما يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل وراسها في يد المشعبذ وهو
محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد
واما العقلا فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك بنفسه ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم
بعض تفصيله لا يعلم كما يعلمه المشعبذ الذي الامر اليه والجاذبة بيده وكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق
كلهم صبيان الا العلما ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلما يعلمون
انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلما الراسخون في العلم
فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف

باشخاص اهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا روس تلك الخيوط
في مناطات لها فهي معلقة منها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في ايدي الملايكة المحركين للسموات
وشاهدوا ابصار ملايكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة
الربوبية كيلا يعصوا الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وعبر عن هذه المشاهدات في القران فقيل وفي السما
رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملايكة السموات لما ينزل اليهم من الامر والقدر فقال خلق سبع سموات
طباقا ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
وهذه امور لا يعلم تاويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين
في العلم بعلوم لا يحتملها افهام الخلق حيث قرا قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما اعرفه من معنى
هذه الاية لرجمتموني وفي لفظ اخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة
الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس فيها فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذ رجع حقيقة الشكر الى كون
العبد مستعملا في اتمام حكمة الله فاشكر العباد احبهم الى الله واقربهم الى الله الملايكة ولهم ايضا ترتيب وما
منهم الا له مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام
بررة وقد اصلح الله بهم الانبيا عليهم السلام وهم اشرف مخلوق على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء
فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم ساير الخلق وتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم
اذ اكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلما الذين هم ورثة الانبيا فانهم في انفسهم صالحون وقد
اصلح الله بهم ساير الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل
لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلما دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا كان افضل من
ساير الانبيا فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبيا ثم يلي السلاطين العلما
الصالحون الذين اصلحوا نفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم الا فيهم ومن عدا هولاء فهمج رعاع واعلم ان السلطان
به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص امام غشوم خير من فتنة تدوم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امرا يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان اصلحوا احسنوا فلهم الاجر
وعليكم الشكر وان اساوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان
فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس
السلطان فقال مهلا ان لله تعالى في كل يوم نظرتين نظره الى سلامة اموال المسلمين ونظره الى سلامة السلطان
افكارهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصا
يقصون والسلام **الركن الثاني من اركان الشكر** ما عليه الشكر وهو النعم ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها
ودرجاتها واصنافها ومجاريها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر
الاحاد **بيان حقيقة النعم واقسامها** اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة
ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة
الدنيوية التي لا تعين على الاخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه
على السعادة الاخروية اصدق وكل سبب يوصل الى سعادة الاخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة او
بوسايط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات

المسماه نعمة فلنشرحها بتقسيمات القسمة الاولى ان الامور كلها بالاضافة الينا ينقسم الى ما هو نافع فى الدنيا
والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع فى الحال
ويضر فى المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر فى الحال ويولم ولكن ينفع فى المآل كقمع الشهوات ومخالفة
النفس فالنافع فى الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما
والنافع فى الحال المضر فى المآل بلاء محض عند ذوى الابصار ويظنه الجهال نعمة ومثاله الجايع اذا وجد
عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار فى الحال النافع
فى المآل نعمة عند ذوى الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع فى الحال المر مذاقه الا انه شاف من
الامراض والاسقام وجالب الصحة والسلامة فالصبى الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده
نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه
اليها فان الاب بكمال عقله يلحظ العاقبة والام لقصورها وفرط حبها تلحظ الحال والصبى بجهله يتقلد
منة من امه دون ابيه ويانس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو
باطن فى صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل
شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو
قسمة ثانية اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقل ما يصفو خيرها كالمال
والاهل والولد والاقارب والجاه وساير الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه اكثر من ضره كقدر الكفاية
من المال والجاه وساير الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه فى حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع
والى ما يكافى ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان
كثر فينفقه فى سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهى مع هذا التوفيق نعم فى حقه ورب انسان يستضر
بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالب الزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء فى
حقه قسمة ثالثة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر ينقسم الى ما هو موثرة لذاتها والى ما هو موثرة لغيرها
فالاول ما يوثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله والسعادة بلقائه وبالجملة سعادة الاخرة التى
لا انقضاء لها فانها لا يطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصوده وراها بل تطلب لذاتها الثانى ما
يقصد لغيره ولا غرض اصلا فى ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضى بها لكانت
هى والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال
محبوبة فى نفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون عليها بالربا ويظنون انها مقصوده ومثال ذلك مثال
من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذى يجمع بينه وبينه ثم ينسى فى محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه
طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد
لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله وليتوصل
بهما الى استيفاء لذات الدنيا ويقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن المشى الذى يراد سلامة
الرجل لاجله ويريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا الموثر لذاته فقط هو الخير والنعمة
تحقيقا وما يوثر لذاته ولغيره ايضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يوثر الا لغيره كالنقدين فلا
يوصفان فى انفسهما من حيث انهما جوهران بانهما نعمة فى حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا
بهما فلو كان مقصوده العلم والعبادة ومعه الكفاية التى هى ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر

فكان

فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكون بلاء فى حقه
ولم يكونا نعمة قسمة رابعة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر ينقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذى
يدرك راحته فى الحال والنافع هو الذى يفيد فى المآل والجميل هو الذى يستحسن فى ساير الاحوال والشرور
ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومولم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذى اجتمع فيه
الاوصاف الثلثة اما فى الخير فكالعلم والحكمة فانهما نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما
فى الشر كالجهل فانه ضار وقبيح ومولم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما
ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات
البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تالم بالجهل ودرك النقصان وان
اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات او ترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب دايم لا محالة
والضرب الثانى مقيد وهو الذى جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مولم كقطع الاصبع
الزايدة والسلعة الخارجة عن البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع اذ
يقال استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح فى الحال الى ان يحين وقت هلاكه ورب نافع
من وجه ضار من وجه كالقاء المال فى البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال ونافع للنفس فى نجاتها والنافع
قسمان ضرورى كالايمان وحسن الخلق فى الايصال الى سعادة الآخرة واعنى بهما العلم والعمل اذ لا يقوم
مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينه
بما يقوم مقامه قسمة خامسة اعلم ان النعمة قد يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان
من حيث اختصاصه به او اما مشاركته لغيره ثلثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات
وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذهما السمع والبصر
والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذهما القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات
وجودا وهى اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا العالم والحكمة لا يستلذها الا الحكيم وما اقل اهل
الحكمة والعلم وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا
لا فى الدنيا ولا فى الاخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ عنها فتستثقل والعلم
والحكمة قط لا يتصور ان يمل ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقى ابد الاباد اذا رضى بالخسيس الفانى
فى اقرب الاماد فهو مصاب فى عقله محروم لشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج
الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص
بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا يمتد اليه ايدى السراق بالاخذ ولا ولاية السلاطين
بالعزل فيكون صاحبه فى روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ
وجميل فى كل حال ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال
فى القرآن فى مواضع وان سماه فى مواضع خيرا فاما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم
الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق يتبع الذوق واما لفساد مزاجهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع
الشهوات كالمريض الذى لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما القصور فطرتهم اذ لم يخلق لهم بعد الصفة
التى بها يستلذ العلم كالصبى لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل
على انها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك الحكمة والعلم ثلثة

اما من لم يحي بعد باطنه كالصبي واما من مات بعد الحيوة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع
الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله لتنذر من كان حيا اشارة الى من لم
يحي له حيوة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحيا
ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى الثانية لذة يشارك الانسان
بها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات
والثالثة ما يشارك بها ساير الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذا اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك
اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة
وهي اشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم
والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج
استيلاء الرياسة من القلب واخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واما شره البطن والفرج
فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية
حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال يشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب
لذة معرفة الله في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريها
الفترات فيعود اليه الصفات البشرية فيكون موجوده لكن يكون مقهورة لا يقوى على حمل النفس على
العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا
بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة
والمال وساير الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد
يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه
في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة اما الاول وان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني
فالدنيا طافحة به واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور والبعد ولا يتصور ان يكون الا نادرا
شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما يكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء
فلا يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا
وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الاخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون وكما لا يكون
الغاية في الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الاخرة فان الدنيا مرآة الاخرة فانها
عبارة عن عالم الشهادة والاخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في المرآة
تابع لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هو الثانية في رتبة الوجود فانها اول في
حق رويتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك
ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتاخر متقدما وهذا
نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس صورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك
لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم
الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر
فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسينفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مشحون نارا شانها ان
تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك المها حجابا فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله

ثمت له بالايمان

ولكن ذلك

الفائق

ضرورة

ممثلا

تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم يدرك مرة بادراك
يسمى علم اليقين ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين فعين اليقين لا يكون الا في الاخرة وعلم اليقين
قد يكون في الدنيا ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين
لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الاخرة فاذا قد ظهر ان القلب الصالح لملك الاخرة
لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا

قسمة سادسة حاوية لمجامع النعم

اعلم ان النعمة تنقسم
الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الاخرة ويرجع حاصلها
الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية
ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا عيش الا عيش الاخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس من
الركون الى سرور الدنيا وذلك عند حفر الخندق في وقت شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من
الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسالك تمام النعمة
فقال صلى الله عليه وسلم وهل تدري ما تمام النعمة فقال لا قال دخول الجنة واما الوسايل فتنقسم الى الاقرب
الاخص كفضايل النفس والى ما يليه في القرب كفضايل البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال
والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق
والهداية فهي اذا اربعة انواع النوع الاول وهو اخص الفضايل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب
اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علوم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته
ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة
ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوة والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون
اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذي انزله الله تعالى على لسان النبي عليه الصلوة والسلام اذ قال
لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن اخصى نفسه لترك شهوة الوقاع او
ترك النكاح مع القدرة والامن من الافات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد
اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه و
تقديره عن الطغيان والخسران فيعدل به كفتا الميزان فاذا الفضايل الخاصة بالنفس المقربة الى الله اربعة
علم المكاشفة وعلم المعاملة والعفة والعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني وهي الفضايل
البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الاربعة الا بالنوع الثالث وهي
النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والاهل والجاه وكثرة العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه
الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضايل النفسية
الداخلة وهي اربعة هداية الله ورشده وتسديده وتاييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى
اربعة وقسمنا كل واحد من الاربعة الى اربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية
او نافعة فاما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الاخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول
الى سعادة الاخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الاخرة الا ما تزود من الدنيا
ولذلك حاجة الفضايل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري واما الحاجة
النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك
لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الاخرة الى النعم الخارجة

وهي الثاني والى ما يليه في القرب ويجاوزه الى فضايل البدن صح

الحاصلة

وكرم

النافعة

من المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والالة المسهلة
للمقصود اما المال فالفقير في طلب العلم والكمال ليس معه كفاية كساعي الى الهيجا بغير سلاح وكبازي
متصيد بلا جناح ولذلك قال عليه الصلوة والسلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون
على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب الاقوات وفي تهيئة اللباس
والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الفكر والذكر ولا يندفع الا بسلاح
المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقيل لبعض الحكماء ما النعم
فقال الغنى فاني رايت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رايت الخايف لا عيش له قيل زدنا
قال العافية فاني رايت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رايت الهرم لا عيش له وكان ما
ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الاخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
من اصبح معافى في بدنه امنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد
الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال عليه الصلوة والسلام نعم العون على الدين المراة الصالحة وقال
في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له وقد ذكرنا فوايد الاهل والولد في كتاب
النكاح واما الاقارب فمهما كثروا ولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم الامور
الدنيوية المهمة في دينه مالو تفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك من ضرورات الدنيا فهو معين على الدين
فهو اذا نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الضيم والذل ولا يستغني عنه مسلم فانه لا
ينفك عن عدو يؤذيه او ظالم يشوش عليه عمله وعلمه وفراغه ويشغل قلبه وقلبه راس ماله وانما تندفع هذه
الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توامان وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك
القلوب تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة
تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى ما يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد
كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين
لا على قصد التناول من خزاينهم او الاستبشار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن ان نعمة الله
على رسوله حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه
كان اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة فان قلت فكرم العشيرة وشرف
الاباء والاهل هي من النعم ام لا فاقول نعم ولذلك قال عليه الصلوة والسلام الائمة من قريش ولذلك كان
عليه الصلوة والسلام من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال عليه الصلوة والسلام تخيروا لنطفكم
وقال واياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم
ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله والى ائمة العلماء
والى الصالحين والابرار المتزينين بالعلم والعمل فان قلت فما غناء الفضائل البدنية فاقول لا خفاء
لشدة الحاجة الى الصحة والى القوة والى طول العمر اذ لا يتم علم ولا عمل الا بهما ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
افضل السعادات طول العمر في طاعة الله وانما يستحقر من جملتها امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما
من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا
فلا يخفى نفعه فيها واما في الاخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات

الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكانه من هذا الوجه مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع
قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجز الحاجات التي لا يقدر عليها القبيح فكل معين على قضاء حاجات
الدنيا فمعين على الاخرة بواسطتها والثاني ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس
اذا تم اشراقه تادى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول اصحاب الفراسة في معرفة
مكارم النفس على هيئات البدن وقالوا الوجه والعين مراة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور
والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض
المامون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا
اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال عليه
الصلوة والسلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر اذا بعثتم رسولا فاطلبوا احسن الوجه حسن الاسم
وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا به وزاده
بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة
على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع
عن النظر اليها فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعمة فقد ذم الله تعالى المال
والجاه وكذا رسوله وكذا العلماء فقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة وقال علي في ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه
فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من ياخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات
المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله الى ادراك الامور على ما هي عليها ثم ينزل النقل على
وفق ما ظهر له منها بالتاويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امور الاخرة لا سبيل الى جحدها
الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم
الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمه وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي
الغر فهي عليه بلاء وهلاك فهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان
عالما بالسباحة وطريق الغوص فيه الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهلا بذلك
فقد هلك ولذلك مدح الله المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله
المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله على رسوله بان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو
المعنى بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه
اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذلك لان الناس اكثرهم
جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم ذلك فانهم يهلكون بسم المال
قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في اعينهما مذمومين بالاضافة
الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان ذلك لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليه
الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد
يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها
لاجل ترياقها لاقتدى به ولده واخذ الحية اذا راها ليلعب بها فيهلك ولده وله غرض في الترياق وله
غرض في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر

عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان
يهرب عن الحية اذا راها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجوا
منه احد ولا يحدثه اصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك
الغواص اذا علم انه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر
والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما راى اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد عن الساحل
مع الصبي فلا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبيا كالصبيان الاغبيا ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال عليه السلام انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ
بحجزكم وحظهم العظيم في حفظ اممهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر
القوة فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه هو الترياق و
الامساك فيه السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق
الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعنى به تقبيح امساكها والحرص عليها والاستكثار منها والتوسع في نعيمها
بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس
بمذموم وحظ كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يخص بما يحمله فاما ان
سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقا فلا باس بالاستكثار وقوله عليه الصلوة والسلام
لا تاخذوا من الدنيا الا بقدر زاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن يروي هذا الحديث ويعمل
به ياخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولما ذكر عليه الصلوة والسلام
بان الاغنيا يدخلون الجنة بشدة استاذنه عبد الرحمن بن عوف في ان يخرج عن جميع ما يملكه فاذن له فنزل
جبرئيل عليه السلام وقال مره بان يطعم المسكين ويكسوا العاري ويقوي الضعيف الحديث فاذن النعم
الدنياوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ورجوها بخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته
فله ان يقرب منها منتقيا داءها ومستخرجا دواها ومن لا يثق فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار
فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هولاء وهم الخلق كلهم الا من عصم الله تعالى وهداه الطريق فان قلت فما
معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه
احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشتمل على الشر
والخير وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من
جملة قضاء الله وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن يميل الى الباطل من الحق وكذا الارتداد
ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده فاما الهداية
فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان قد يكون مائلة الى ما فيه صلاح اخرته ولكن
اذا لم يعلم ما فيه صلاح اخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد الارادة ولا فائدة في الارادة
والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من
احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا وللهداية ثلث
منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله به
على كافة الخلق بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى

لكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب

اعطى

على

على الهدى فاسباب الهدى هو الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد
والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات
الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم
مهتدون وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
وقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتدا والهداية الثانية وراء
هذه الهداية وهي التي يمد الله العبد بها حالا على حال بعد وهي ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى الاية والهداية الثالثة وراء
الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدي
اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان المجاهدة فيهتدي تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق
وما عداها حجاب ومقدمات لها وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة وان كانت الكل من جهته
فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسماه حيوة في قوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد
فنعني به العناية الالهية التي تعين للانسان عند توجهه الى مقاصده فيقويه على ما فيه صلاحه
وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين
فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليه فالصبي اذا بلغ خبيرا لحفظ المال وطرق
التجارة والاستنما ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنما لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته
عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد اعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري
انه يضره ولكن ما اعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة
واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في اسرع
وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد
من تيسير الحركات بمساعدة الاعضا والالات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض التعريف
والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضا في صوب السداد
واما التاييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة
الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهو عبارة عن
جود الهي يسبغ في الباطن تقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس
واياه عنى بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن يستتب الا بما
يخوله الله من الفهم الثاقب الصافي والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال
الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفها
وظلم الاعدا ويستدعي كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا وتستدعي تلك الاسباب اسبابا
الى ان تنتهي بالاخرة الى دليل المتحيرين وملجا المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذ كانت
تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلنذكر منها انموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها **بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن
الحصر والاحصاء** اعلم انا جمعنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة

المتاخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصى الاسباب التى بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن
الاكل احد اسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة اسباب الصحة التى بها تتم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل
وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة
ولا بد لها من ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من ماكول ولا بد للماكول من اصل منه
يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادة ثم اسباب القدرة ثم اسباب
الماكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصا **الطرف الاول** فى نعم الله تعالى فى خلق اسباب الادراك
اعلم ان الله تعالى لم خلق النبات الادراك وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وساير
الجواهر التى لا تنمو ولا تغتذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذا الى نفسه من جملة اصله وعروقه
التى فى الارض وهيأ لها آلات فيها بها تجتذب الغذا وهى العروق الدقيقة التى تراها فى كل ورقة ثم تغلظ اصولها
ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط فى اجزا الورق حتى تغيب عن البصر الا ان
النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه غذا يساق اليه ويماس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذا
من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله
تعالى عليك ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة فى طلب الغذا فانظر الى ترتيب حكمة الله فى خلق الحواس
الخمس التى هى آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتى اذا امسك نار محرقة او سيف
جارح تحس به فتهرب منه وهذا اول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا وان يكون له هذا الحس لانه
لو لم يحس اصلا فليس بحيوان وانقص درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما
يبعد عنه احساس اتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التى فى الطين فانها اذا غرز
فيها ابره انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم
يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدود لا يقدر على طلب الغذا من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك
فتحس به فتجتذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم الا انك
تدرك به الرايحة ولا تدرى انها جاءت من اى جهة وناحية فتحتاج الى ان تطوف كثيرا فى الجوانب فربما تعثر
على الغذا الذى شممت ريحه وربما لا تعثر فتكون فى غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك
البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت
ناقصا اذ لا تدرك ما وراء الجدرات فتبصر غذا ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه
واما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك
السمع حتى تدرك الاصوات من وراء الجدرات والحجب عند جريان الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيئا
حاضرا واما الغايب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه
حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن ساير الحيوانات وكل ذلك كان لا يغنيك لو لم يكن لك حس
الذوق اذ يصل الغذا اليك فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتاكله فتهلك كالشجرة يصب من اسفلها
كل مايع ولا ذوق لها فتجتذبه فربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يكن فى مقدمة دماغك
ادراك آخر يسمى حسا مشتركا تتادى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك
فانك اذا اكلت شيئا اصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرف انه مضر ما لم
تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف يمتنع عنه والذوق يدرك المرارة

وهيأ لها آلات

على

ولا

والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة صح

ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة حكم بانه مر فتمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشاركك
فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن الا ذلك لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتوخذ فلا تدرى
كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقى نفسها فى البير ولا تدرى ان ذلك مهلكها ولذلك قد تاكل
البهيمة ما تستلذه فى الحال ويضرها فى ثانى الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك
العواقب فلا فميزك الله تعالى واكرمك بصفة اخرى هى اشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة
ومنفعتها وما يضرك فى المآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك فى الاكل
الذى هو سبب صحتك وهو اخس فوايد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة
افعاله ومعرفة الحكمة فى عالمه وعند ذلك ينقلب فائدة الحواس فى حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس
واصحاب الاخبار الموكلين بنواحى المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بامر تختص به فواحدة منها باخبار
الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الروايح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار
الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من
اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد فى مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص
والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحى العالم فياخذها وهى مختومة اذ ليس له الا
اخذها وحفظها فاما معرفة حقايق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذى هو الامير والملك
سلم الانهاءات اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاوها
فى هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهى الاعضاء مرة فى الطلب ومرة فى الهرب
ومرة فى اتمام التدبيرات التى هى تعن له فهذه سياق نعم الله عليك فى الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها
فان الحواس الظاهرة هى بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت
العين من عشر طبقات بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت و
بعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحدة من هذه
الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختل طبقة واحدة
من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنها الاطبا والكحالون كلهم فهذا
فى حس واحد فقس به حاسة السمع وساير الحواس بل لا يمكن ان تستوفى حكمة الله وانواع نعمه فى جسم
البصر وطبقاته فى مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وساير
اعضايه وعجايبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات **الطرف الثانى** فى اصناف النعم
فى خلق الارادات اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذا من بعد ولم يخلق لك ميل فى الطبع وشوق
اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشيا له
وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا فى حقك فاضطررت الى ان يكون
لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك يسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة
فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضى الذى يضطرك الى التناول
حتى تتناول وتغتذى فتبقى بالغذا وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم
تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة لاسرفت واهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك
الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب فى اسافله حتى يفسد فيحتاج الى آدمى يقدر

مقدار صح

غذاءه عند الحاجة فيبقيه مرة وينقطع عنه المادة اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل فيبقى به
بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجايب صنع الله في خلق
الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من النطفة ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة
اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المراة من الترايب بواسطة العروق وكيفية
انقسام مقعد الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فيتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل
بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها نطفة ومضغة وعلقة ولحما وعظما ودما وكيفية قسمة اجزائها
الى راس ورجل وبطن وظهر ويد وساير الاعضا لقضيت من انواع نعم الله عليك في مبدا خلقك
كل العجب فضلا مما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده كيلا يطول
الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه ياتيك المهلكات من الجوانب
فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كلما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولاخذ
منك كل ما حصلته من الغذا فان كل احد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي
داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في
المآل فلا يكفي فيها هذه الارادة خلق الله لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب
كما خلق الشهوة والغضب مسخرتين تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل
اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا تغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى
العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهايم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب
وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى هذا الطرف الثالث
في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها
الا الميل الى الطلب او الى الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن له آلة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق
الى شيء بعيد عنه غير مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله ولا يمكنه ان يتناوله لفقد يده
او لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة
طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها
فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوايم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة
للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد
غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوايم ومنها ما له رجلان
ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل بها ليقاس عليها غيرها فنقول
رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم الله عليك
بخلق اليدين وهما طويلتان فتمتد الى الاشيا ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات
فتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا فخلق الكف ثم قسم راس الكف
بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية
ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يتم بها غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت له طبقا وان جوفتها ادنى
تجويف كانت لك مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب
واذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لك اظفارا واسند اليها رؤوس الاصابع حتى

الذي به تدفع ما يضادك ولا يوافقك صح

لا تتفتت

لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشيا الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها برؤوس اظفارك ثم
هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون
من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة
سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه
فيحتاج الى طاحونة يطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين فركبت فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا
على السفلى ليطحن به الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن
بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح
للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور
على الفك الاعلى دوران الرحى ولولاه لما تيسر الا ضرب احدهما على الاخرى مثل تصفيق اليدين
مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر
الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحا صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحا
الذي صنعه الله تعالى اذ يدور منه الاسفل على الاعلى سبحانه ما اعظم شانه واعز سلطانه واتم برهانه
واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان
او كيف تستجره الاسنان الى نفسها او كيف يتصرف باليد في داخل الفم انظر كيف انعم الله عليك
بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد
الطعام الى الرحا هذا مع ما فيه من فايدة الذوق وعجايب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب
انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان يتزلق الى الحلق بنوع رطوبة
فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى يتعجن به
الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الى الطعام من بعد فتثور المسكينة للخدمة وتنصب
اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم يحتاج هذا الطعام المطحون المعجون
من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا يقدر على ان يدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب
الطعام فانظر كيف هيا الله المري والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق
وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطة فيهوي الى المعدة في دهليز المري فاذا ورد الطعام الى المعدة
فهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهياة بل لا بد وان يطبخ
طبخا تاما حتى تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه
وتنغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيه حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضا
الباطنة اذ من جانبه الايمن الكبد ومن جانبه الايسر الطحال ومن قدام الترايب ومن خلف لحم الصلب
ومن فوقها القلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضا من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير
مايعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته
وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة
حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة
شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى تستولي
عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يصلح له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي

الصالح لغذا الاعضا الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد
من جميع ما يطبخ احدهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي
الصفرا ولو لم ينفصل عنهما هاتان الفضلتان فسد مزاج الاعضا فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل
لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب
الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها
لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضا. فخلق الله الكليتين واخرج
من كل واحدة عنقا طويلا للكبد ومن عجايب حكمة الله تعالى ان عنقهما ليس داخلا في تجويف الكبد
بل متصلا بالعروق الطالعة من جدبة الكبد حتى تجذب ما بينهما بعد الطلوع من العروق الرقيقة
التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار
الدم صافيا من الفضلات الثلاثة نقيا من كل ما يفسد الغذا. ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا
ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم
ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى ساير الاعضا حتى تصير العروق المنقسمة شعرية
كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذا بالرشح الى ساير الاجزا.
ولو حلت بالمرارة آفة لفسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة فان حل
بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا
وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلا حدث منه الاستسقا وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف
رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاثة الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف
بعنق آخر الى الامعا. ليحصل به في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعا. لذع يحركها للدفع
فتنزلق وتنضغط حتى يندفع الثفل ويتزلق فتكون صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك
الفضلة احالة يحصل منها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيا الى فم المعدة فيحرك الشهوة
بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تغتذي بما في تلك المائية من دم
فترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الاسباب التي عدت للاكل
ولو ذكرت كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضا الرئيسة الى
صاحبه وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى ساير البدن وبواسطتها يصل الغذا ثم كيفية
تركيب الاعضا. وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها
لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الادمي الاف من العضلات والعروق
والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه
حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع الى عشرة وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق
متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك اولا لتقوى بعدها على الشكر
ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل فينام وتتعب فتنام وتشتهي فتجامع
وتستريح فتشمس ويرمح فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله تعالى
وهذا الذي رمزنا اليه قطرة من بحر زاخر من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة
ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه او عرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله

الاعضا صح

الضوارب من القلب الى ساير البدن
التي بواسطتها يصل الروح وكيفية
انشعاب الاعصاب من الاعضا
الى ساير البدن وبواسطتها يصل
الحس وكيفية انشعاب العروق
صح

فانك لا تعرف من نعم الله
الا الاكل وهي اخسها
صح

على الايجاز
صح

اقل

اقل من قطرة من بحر الا من علم شيا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضا وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار
لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب
فلا ينتهي الى جزء من اجزا البدن الا ويحدث عند وصوله ذلك الجزء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك
وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء منه الا ويحصل بسبب وصوله
ضوء على اجزا البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له لحكمة وهذا البخار اللطيف
هو الذي يسميه الاطبا الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود
القوي الذي في باطن القلب كالفتيلة والغذا له كالزيت والحيوة الظاهرة في ساير اعضا البدن
نسبتها اليه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا
ينطفي مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفي
السراج مع كثرة الزيت فلذلك الدم الذي تشتعل به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة
القلب فينطفي مع وجود الغذا فانه لا يقبل الغذا الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت
قبولا يتشبث النار به وكما ان السراج تارة تنطفي بسبب من داخله كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج
كريح عاصفة فكذلك الروح تارة تنطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان
انطفا السراج بفنا الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصفة او باطفا انسان فلا يكون كذلك
انطفا الروح الا باسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفا الروح
وكما ان انطفا السراج وهو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك
انطفا الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله فكذلك الروح اذا انطفت اظلم البدن
كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات والقدرة والارادات وساير ما
يجمعها لفظ الحياة فهذه ايضا رمز وجيز الى عالم اخر من عوالم نعمة الله وعجايب صنعه وحكمته وليعلم انه
لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته فتعسا لمن كفر نعمته وسحقا فان قلت
فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح
من امر ربي فلم يصف لهم على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان
الروح تطلق لمعاني كثيرة ولا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطبا روحا
وقد عرفوا صفتها ووجودها وكيفية سريانها في الاعضا. وكيفية حصول الاحساس في الاعضا بها حتى
اذا خدر بعض الاعضا. علموا ان ذلك لوقوع سدد في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت
الاعصاب ومواقع السدد فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب
وبواسطته يتاذى الاحساس والقوى من القلب الى ساير الاعضا وما يرتقي اليه معرفة الاطبا فامره
سهل نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها ساير البدن فذلك سر من اسرار الله
لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية
لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة
قصور البصر عن ادراك الاصوات ويتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض
المحبوسة في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور اخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور

في تلك الاجزاء صح

والقوى صح

فى عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله الخلق اطوارا فكما يدرك
الصبى المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات
ولا يدرك ما وراها لان ذلك طور لم يبلغه بعد ~~فكذلك~~ وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية
فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه
الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفى مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة
وهى مستقر ذلك الامر الربانى كالكرة التى يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبى
فظن انه ادرك الامر الربانى كان كمن راى الكره التى يحركها صولجان الملك فظن انه راى الملك ولا يشك فى ان
خطاه فاحش وهذا الخطا افحش منه جدا ولما كانت العقول التى بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا
عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن الله لرسوله ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم
ولم يذكر تعالى فى كتابه من حقيقة هذا الامر شيا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففى قوله تعالى
قل الروح من امر ربى واما فعله فقد ذكر فى قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنه ارجعى الى ربك راضية مرضية
فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى فى الاكل فقد ذكرنا
بعض نعم الله فى الآت الاكل **الطرف الرابع فى نعم الله تعالى فى الاصول التى منها يحصل الاطعمة وتصير صالحة**
لان يصلحها الادمى بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله فى خلقها عجايب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية
لا تتناهى وذكر ذلك فى كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل
ولناخذ من جملتها حبة من البر ولندع ساير الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جايعا
فما احوجك الى ان تنمو الحبة فى نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفى بتمام حاجتك فخلق الله فى حبة الحنطة
من القوى ما تغتذى به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك فى الحس والحركة ولا يخالفك فى الاغتذا
لانه يغتذى بالماء وتجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذى انت وتجتذب ولسنا نطنب فى ذكر الآت
النبات فى اجتذاب الغذا الى نفسه ولكن نشير الى غذايه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج
الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذى بكل شى بل تحتاج الى شى مخصوص بدليل انك لو تركته فى البيت
لم يزد لانه ليس يحيط بها الا الهوا ومجرد الهوا لا يصلح لغذايه ولو تركته فى ارض لا ما فيها لم تزد بل لا بد من ارض
فيها ما يمتزج ماوه بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء
صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفى الماء والتراب اذ لو تركت فى ارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد
الهوا فيحتاج الى تركها فى ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهوا اليه ثم الهوا لا يتحرك اليه بنفسه فيحتاج الى ريح
يحرك الهوا ويضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح
وانما الالقاح فى ايقاع الازدواج بين الهوا والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك فلو كان فى برد مفرط او شتا
شاتى فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذايه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج اليه
كل واحد من الاربعة اذ يحتاج الماء ليساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار والسواقى فانظر
كيف خلق الله الغيوم وكيف سلط الرياح عليها ليسوقها باذنه الى اقطار العالم وهى سحب ثقال حوامل بالماء
ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضى فى وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال
حافظة للمياه تنفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشى ونعم الله
فى الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما

فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لمحافظا لعتبة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا فى خزانة الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الربانى صح

كيف خلق الله البحار وفجر العيون واجرى فيها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة من المياه والمياه لا ترتفع اليها فانظر صح

باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض فى وقت دون وقت
ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهو من احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى
ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان فى الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق
القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير
الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار فى ظل يمنع من شروق الشمس والقمر وساير الكواكب عليها لكانت
فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف
راسك فى الليل فتغلب على راسك الرطوبة التى يعبر عنها بالزكام فكما رطب راسك يرطب الفواكه ايضا
ولا نطول فيما لا نطمع فى استقصايه بل نقول كل كوكب فى السماء فقد سخر لنوع فايدة كما سخر الشمس للتسخين
والقمر للترطيب فلا يخلوا واحد منها عن حكم كثيرة لا تفى قوة البشر باحصايها ولو لم تكن كذلك لكان خلقها
عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين وكما انه ليس فى اعضا بدنك عضو الا لفايدة فليس فى اعضاء بدن العالم عضو الا لفايدة والعالم
كله كشخص واحد واحاد اجسامه كالاعضا له وهى متعاونة تعاون اعضا بدنك فى جملة بدنك وشرح ذلك
يطول ولا ينبغى ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله فى امور جعلت اسبابا لها
بحكم الحكمة فيخالف الشرع لما ورد فيه من النهى عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهى عنه فى النجوم امران
احدهما ان يصدق بانها فاعلة لا بانها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها
وهذا كفر والثانى تصديق المنجمين فى تفصيل ما يخبرون عنه من الاثار التى لا تشترك كافة الخلق فى دركها
لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبيا ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق
الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لاثار تحصل بخلق الله تعالى فى
الارض وفى النبات والحيوان ليس قادحا فى الدين بل هو الحق ولكن دعوى العلم بتلك الاثار على التفصيل
مع الجهل قادح فى الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك الغير اخرج الثوب
وابسطه فان الشمس قد طلع وحمى الهوا لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حمى الهوا على
طلوع الشمس واذا سالت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتنى الشمس فى الطريق فاسود وجهى لم يلزمك
تكذيبه وقس بهذا ساير الاثار الا ان الاثار بعضها معلومة وبعضها مجهولة فالمجهولة لا يجوز دعوى
العلم بها والمعلومة بعضها معلومة للناس كافة كحصول الضيا والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس
كحصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال
ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على
ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما يعرفه البهايم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذى مسح
بها سبلته فلله فى ملكوت السموات والارض والافاق والانفس والحيوانات والنبات عجايب يطلب معرفتها
المحبون لله فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجايب علمه حبا له
فكذلك الامر فى عجايب صنع الله فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة
قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذى سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته
وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعبذ ترقص وتتحرك بحركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب

خلق حبلها فهذه

والحكم فيها اكثر من ان تحصى صح

فانها خرق محركة لا متحركة ولا تعجب من حذق المشعبذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذن المقصود ان غذا النبات لا يتم الا بالما والهوا والشمس والقمر والكواكب ولا يتم تلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا يتم الافلاك الا بحركاتها ولا يتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات **الطرف الخامس** في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا يوجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها يوجد في بعض الاماكن دون البعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح مع انهم لا يغنيهم في غالب الامر شيا بل يجمعون فاما ان يغرق به السفن او تنهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فياخذها السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسون الشدايد في طلب الربح ويركبون الاخطار ويغررون بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوايج من اقصى المشرق والمغرب اليك وانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وساير الحوايج وتامل ما يحتاج اليها الحيوانات من اسبابها وادواتها وعلفها وما يحتاج اليه السفن وقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى هذا الى امور خارجة عن حد الحصر نرى تركها طلبا للايجاز **الطرف السادس** في اصلاح الاطعمة اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويوكل وهو كذلك بل لا بد من كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض والقاء البعض الى امور اخر لا يحصى استقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض للبذر ثم الثور الذي يثير به الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقيه ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكرها وعدد الاشخاص القايمين بها وعدد الالات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح الات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدا من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى اخر الاعمال من جهة الملائكة حتى ينتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة الف صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع التي بها يتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الالات حتى ان الابرة التي هي الة صغيرة فايدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا يكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابري خمسة وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي يحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا

والجحد والجلود

دها

وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الاخر فيتناولان الشي معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق ايجاده بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه تفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الالات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الالة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذوي الابصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الان لو خلى بلدك عن الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام الذي هو اخس العمال او عن الحايك او عن واحد من جملة الصنايع ماذا يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصا **الطرف السابع** في اصلاح المصلحين اعلم ان هولاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت اراهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم بالبعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وايتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والحمامات والخانات وساير اصناف البقاع مما يطول احصاوها ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يودي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد يتعاونون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الروسا والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وساير اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبيا حتى صلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه في اصلاح الدين وانظروا كيف اصلح الله الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله فالخباز يصلح العجين بالطبخ والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الات الحراث والنجار يصلح الات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لالات الاطعمة والسلطان يصلح الصناعين والانبيا يصلحون العلما الذين هم ورثة الانبيا والعلما يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبيا الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشا كل ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذ اليسيرة من نعم الله ولولا عزله ايانا عن ان نطمح بعين الطمع الى طلب الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصا ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار **الطرف الثامن**

اللطيفة

الانبيا بالملائكة وكيف اصلح الله ع

يجلون

سلخ المقابلة

في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة في الملائكة باصلاح الانبيا وهدايتهم
وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب
مراتبها تنحصر بالجملة في ثلث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله بك
فيما يرجع الى الاكل والغذا الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء
من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا يغتذي الا بان يوكل سبع من الملائكة هو اقله الى عشرة الى ماية ما ورا ذلك
وبيانه ان معنى الغذا ان يقوم جزء من الغذا مقام جزء قد تلف وذلك الغذا يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما
وعظما فاذا صار لحما وعظما تم اغتذاوك والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها
ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا
مستديرا ثم مطبوخا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعرقا وعصبا الا بصناع والصناع
في الباطن هم الملائكة كما ان في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل
عن نعمة الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذا الى جوار اللحم والعظم فان الغذا لا يتحرك بنفسه ولا بد
من ملك آخر يمسك الغذا في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم
والعظم والعرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذا ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب من صفة
العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق
فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد
قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذا على الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت خلقته
وصورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم
مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربا بعض المواضع وضعف
بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس الصبي وساير بدنه من الغذا
ما ينمو به الا انه لم يسق الا احدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كان في حد الصغر وكبر جميع البدن
فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وله رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه
البتة فمراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه يهندس
شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا
بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذا في باطنك ولا خبر لك فيهم وذلك في كل جزء
من اجزائك الذي لا يتجزى حتى يفتقر بعض الاجزا كالعين والقلب الى اكثر من ماية ملك تركنا تفصيل
ذلك للايجاز فالملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله
ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتاييد والهداية والتسديد القدوس المهيمن
المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام
والاخبار الواردة في الملائكة المقربين الموكلين بالسموات والارضين واجزا النبات والحيوانات
حتى كل قطرة من المطر وحتى كل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به
فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة ايضا يحتاج الى
من يطحن اولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الما عليه ثالثا ثم الى من يعجن
رابعا ثم الى من يقطعها كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا

ولكن

الصناع

في الدم

يبطل

انفه

ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم
ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب
البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فلیس
بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم
السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش
باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب
ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن
العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني
الفعل فلذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن
في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع فيهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا والقايم
منهم قايم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى
من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان
لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك
ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه
من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احيا عالمون بما يفعلون فاذا هذه نعمة الله عليك في الملائكة الارضية
والسماوية وحاجتك اليها في حفظ غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم
نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لم يمكن احصاوها فكيف احاد
ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم
وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك
من اثام القلوب هو شكر النعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم الظاهرة بل اقول كل من
عصى الله ولو بطرفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله عليه في السموات
والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله حتى الملائكة والسموات والنبات بجملته نعم على كل واحد من العباد
قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره ايضا به فان لله في كل نظر نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات
ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل
وعلى كل جفن شعور سود ونعم الله في سوادها انها تجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد
يجمع ونعم الله في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذا
التي تتناثر في الهوا وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوام نصبها وله في اشتباك
الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهوا قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم ينظر فيجمع الاجفان
مقدار ما يتشابك الاهداب فينظر من ورا اشباك الشعر فيكون اشباك الشعر مانعة من وصول القذى
من خارج وغير مانع به من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة
منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة ومرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذا
الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه

نظر

والارض والحيوان

طريقة بالجفن

ببصر

ليصقلهما عن الغبار واذ تركنا الاستقصا لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب
ولعلنا نستانف له كتابا مقصورا عليه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجايب صنع الله فلنرجع
الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله فى الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين
ولا العين الا براس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذا ولا الغذا الا بالما والارض والهوا
والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شى من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملايكة فان الكل
كالشى الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضا البدن بعضها ببعض فاذا كفر كل نعمة لله فى الوجود
من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه بكفران
النعمة ولذلك ورد فى الاخبار ان البقعة التى يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم
وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شى حتى الحوت فى البحر فان الملايكة يلعنون العصاة فى الفاظ كثيرة
لا يمكن احصاوها وكل ذلك اشارة الى ان العاصى بتطرفة واحدة جنى على جميع ما فى الملك والملكوت وقد
اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة بحسنة يمحوها فيبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه
واوحى الله تعالى الى ايوب عليه السلام ما من عبد لى من الادميين الا ومعه ملكان فاذا شكرنى على نعماى قال
الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة عندى
انى اشكر شكرهم وملايكتى يدعون لهم والبقاع تحبهم والاثار تبكى عليهم وكما عرفت ان فى كل طرفة عين نعما
كثيرة فاعلم ان فى كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج
لهلك وبانقباضه يجمع روح الهوا الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهوا وبرودته
عنه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفى كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر
لحظات فعليك فى كل لحظة الاف الاف نعم فى كل جزء من اجزاء بدنك بل وفى كل جزء من اجزاء العالم فانظر
هل يتصور احصار ذلك ام لا ولما انكشف لموسى حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال الهى كيف اشكرك ولك فى كل شعرة من جسدى نعمتان ان لينت اصلها وان طمنت راسها ولذلك
ورد فى الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى الا فى مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع
الى المطعم والمشرب فاعتبر بهما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه فى العالم على غير شى ولا يلم خاطره
بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصا والتفصيل فانه طمع فى غير مطمع بيان

السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يصرف الخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا
بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر
عليها ان يقول احدهم بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة فى اتمام الحكمة
التى اريدت بها وهى طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة
واستيلا الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون
ما يعم الخلق به ويسلم لهم فى جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق
مبذولة لهم فى جميع احوالهم فلا يرى كل واحد فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يعده نعمة ولا
تراهم يشكرون الله تعالى على روح الهوى ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهوى عنهم ماتوا ولو حبسوا فى
بيت حمام فيه هوا حار او فى بير فيها هوا ثقيل برطوبة الما ماتوا غما فان ابتلى واحد منهم بشى من ذلك
ثم نجى ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة

ثم

٤٨٢

ثم ترد عليهم فى بعض الاحوال فالنعم فى جميع الاحوال اولى بان تشكر من النعمة فى بعضها فلا ترى البصير
يشكر صحة بصره الى ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه بصره احس به وشكره وعدها نعمة ولما كانت رحمة الله
واسعة عمت الخلق وبذلها لهم فى جميع الاحوال فلم يعدها الجاهلون نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السو حقه
ان يضرب دايما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك
الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذى يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون
جميع نعم الله عليهم كما شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك
انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك ان تكون اخرس ولك عشرة الاف فقال لا فقال
ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا فقال لا فقال ايسرك ان تكون مجنونا ولك
عشرة الاف قال لا فقال اما تستحى ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكى ان بعض
القرا اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فراى فى المنام كان قايلا يقول له تود ان لو انسيناك سورة
الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة
ماية الف وانت تشكو فاصبح وقد سرى عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفا وفى يده كوز ما يشربه
فقال له عظنى فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه
قال نعم فقال ولو لم تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يسوى شربة
ما فبهذا يتبين ان نعمة الله تعالى على عبده فى شربة ما عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا
كانت الطباع مايلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة
وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر فى احواله راى من الله نعمة او نعما كثيرة لا تحصى
ولا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها احد وذلك يعترف به
كل عبد فى ثلثة امور فى العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله فى عقله
يعتقد انه اعقل الناس وقل ما يسال الله تعالى العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالى عنه كما يفرح
المتصف به فاذا كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكر الله على ذلك لانه ان كان كذلك فالشكر
واجب عليه وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة فى حقه فهو كمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح
به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدرى فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه فى حقه كالباقى
واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يقدر نفسه
بريا منها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغى ان يشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ واما العلم
فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف الغطا حتى اطلع
عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الخلق كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد
من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذى ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى
ذلك عن اعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد
اما مطلقا واما فى بعض الامور فلنتنزل عن هذه الطبقة الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول
ما من عبد الا وقد رزقه الله فى صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او مسكنه او بلده او رفيقه
او اقاربه او عزه او جاهه او فى ساير محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطى ما خصص به غيره لكان لا
يرضى به وذلك مثل ان جعله مومنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا

وسليما لا معيبا فان كل هذه خصايص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدل باضدادها لم يرض
به بل له امور لا يبدلها باحوال الآدميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا
يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذن حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف
شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذن لله تعالى عليه نعم ليست
له على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين
عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر
الى من هو فوقه ليزدري نعم الله على نفسه فلا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله وما باله لا يسوي دنياه بدينه
اليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من
دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن
نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذن كل من اعتبر حال
نفسه وفتش عما خص به وجد لله على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقران
ثم بالفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قيل ° من شاء عيشا رخيا يستفيد به ° في دينه ثم في دنياه اقبالا °
فلينظرن الى من فوقه ورعا ° ولينظرن الى من دونه مالا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله
فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال ان القران هو الغنى الذي لا غنا بعده ولا فقر معه وقال
من آتاه الله القران فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزا بآيات الله وقال ليس منا من لم يتغن بالقران
وقال كفى باليقين غنا وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا اغنيته عن ثلثة لقد اتممت عليه نعمتي
عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال ° اذا ما القوت يأتي لك والصحة والامن
واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن ° بل ارشق العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث
عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما
حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلث
مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى
النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلما
من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وانصار وقيل له
خذ هذا اعوضا عن علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم يفضي به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة بل لو
قيل له لك في الاخرة ما ترجو بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به
لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا ينقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وانها صافية
لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة ولا يفي مرجوها بمخوفها والمها بلذتها
ولا فرحها بغمها هكذا رأي الى الآن وهكذا يكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتجلب بها
العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليها واستعصت كالمراة الجميلة ظاهرها تتزين
للشاب الشبق الغني حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عنا دايم وتعب قايم
وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع العمر فهكذا
وقعت ارباب الدنيا في شبكات الدنيا وحبايلها ولا ينبغي ان تقول المعرض عن الدنيا متالم بالصبر عنها

في الدين خيرا منه ودنياه في الدنيا خير من حال اكثر الخلق صح

بل عن عشر عشير علمك صح

فان

٤٨٤

فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع الخصوم عنها وتالم المعرض عنها يفضي
الى لذة في الاخرة وتالم المستقبل عليها يفضي الى الالم في الاخرة فليقرا المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى
ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فاذا انما
انسد طريق الشكر على الخلق بجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فان قلت فما علاج
هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعمة الله فعساها تشكر فاقول اما القلوب البصيرة فعلاجها التامل
فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله العامة واما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصتها
او استشعرت بالبلا معها فسبيله ان ينظر ابدا من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية اذ كان يحضر كل يوم
دار المرضى والمقابر والمواضع التي يقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد انواع بلاء الله عليه
ثم يتامل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ومشاهدة الجناة الذين يقتلون
وتقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات
ويشكر على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان احب الاشيا الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما
من عصى فليتدارك واما من اطاع فليزيد في طاعته فان يوم القيمة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى
جزاء طاعته فيقول كنت اقدر على اكثر من هذه الطاعات فما اعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في غير
المباحات واما العاصي فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر وعلم ان احب الاشيا اليهم ان يكونوا قد بقي لهم من العمر
ما بقي له فيصرف بقية العمر الى ما يشتهي اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله في بقية العمر
بل في الامهال نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكرها بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود
من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة المستشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع
ابن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تاكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلا
على عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت
ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد ومما ينبغي ان يعالج به القلوب البعيدة عن الشكر ان يعرف
ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت
عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعم الله على عبد
الا كثرت حوايج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعم للزوال وقال سبحانه وتعالى ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم فهذا تمام هذا الركن **الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر** فيما يشترك فيه
الصبر والشكر ويرتبط احدهما بالآخر **بيان** اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم
اشارة الى ان لله في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر اذن وان كان البلاء
موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا من الشكر على النعمة فكيف يتصور
الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي الما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان وما
معنى ما ذكرتموه من ان لله في كل ما اوجده نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة والقول
باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد
سبق ان النعمة ينقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله واما في الدنيا
فالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسد
من وجه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة واما ابدا واما

فكل

وجه

في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي الذي تفضي الى البلاء المطلق واما المقيد فكالفقر والمرض
والخوف وساير انواع البلاء التي لا يكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة اما البلاء المطلق
في الدنيا فقد لا يومر بالصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر
قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتالم بها بسبب غشية او غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه
عاصي فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يومر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء
مع طول العطش حتى عظم المه فلا يومر بالصبر عليه بل يومر بازالة الالم وانما الصبر على الم ليس على العبد
ازالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان
يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنا مثلا يجوز ان يكون نعمة تصير سببا لهلاك الانسان حتى يقصد
بسبب ماله فيقتل ويقتل اولاده والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز ان
تصير بلاء ولكن بالاضافة الى غيرها فلذلك ما من بلاء الا ويجوز ان يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله غيرها
فرب عبد يكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض وقال كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
ليحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه
في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانها تتصور ان تكون بلاء في حق بعض الناس
فتكون اضدادها اذن نعمة في حقهم اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله ولكن
قد يكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ
لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة
عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال المه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام ولذلك جهله بالصفات
المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفه ابغضه واذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والاخرة بل جهله
بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف
وآذى كان اثمه اعظم لا محالة فليس من آذى نبيا او وليا وهو يعرفه كمن آذى وهو لا يعرفه ومنها ابهام الله
امر القيامة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه بعض الكبائر وكل ذلك نعمة لان هذا الجهل
يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله في كل
موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل احد ولا يستثنى عنه بالظن الا الالام التي يخلقها في بعض الناس
وهي ايضا قد تكون نعمة في حق المتالم بها فان لم يكن نعمة في حقك كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يده بنفسه
ووسمه بشرته فانه يتالم به وهو عاص به والم الكفار في النار فهي ايضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا
في حقهم فمصايب قوم عند قوم فوايد ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المنعمون
قدر نعمته ولا كثر فرحهم به ففرح اهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في آلام اهل النار اما ترى
ان اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليه من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد
فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة السماء
لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه من ان الله لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق
شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذا في خلق الله البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى واما على غير
المبتلى فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر

لان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه صح

نعمة صح

اذاه بعد المعرفة

جميعا فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشيء الواحد
قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر
ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة
ومرض فيتصور ان يكون اكبر منها اذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يرده ويحجزه
فليشكر اذ لم يكن اعظم منها في الدنيا الثانية انه كان يمكن ان يكون مصيبة في دينه وقال رجل لسهل دخل
اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك
استعاذ عيسى عليه السلام في دعايه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر ما ابتليت ببلاء الا كان
لله علي فيها اربع نعم اذ لم تكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها واذ لم احرم الرضى فيها واذ ارجو الثواب عليها وكان
لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه يعلمه ويشكو اليه فقال له اشكر الله فضرب فارسل
اليه فقال له اشكر الله فجيء بمجوسي مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي فارسل
اليه فقال اشكر الله فكان يحتاج المجوسي الى ان يقوم مرات وهو محتاج ان يقوم معه ويقف على راسه حتى
يقضي حاجته فكتب اليه ذلك فقال اشكر الله قال الى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال لو وضع الزنار
الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذا ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل
في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى له يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا واجلا ومن استحق عليك
ان يضربك ماية سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يديك وترك احديهما
فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طشت من رماد فسجد لله تعالى
سجدة الشكر فقيل ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل
لبعضهم الا تخرج للاستسقا فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطون المطر وانا استبطي الحجر فان قلت
كيف افرح وارى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر
قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا
اثما واما العاصي فمن اين يعلم ان في العالم من هو اعصى منه ورب خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته
اعظم واطم من شرب الخمر والزنا وساير المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الاخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم
لا تشكر الله عليه وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان توخر الى الاخرة ومصايب
الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون عليك المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل
الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة على المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا
فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا
فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابعة ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من
وصولها اليه وقد وصلت اليه ووقع الفراغ منها واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامسة ان ثوابها
اكثر منها فان مصايب الدنيا طريق الى الاخرة من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون الدوا الكريه نعمة
في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن
العلم والادب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضا حتى العين التي هي اعز
الاشيا قد تكون اسبابا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا

للهلاك فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله فما من شيء من هذه الاسباب
يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله ويقدر فيه الخيرة ويشكر عليه
فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلا كما
يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلا
تاديب من الله وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك وسئل فقال
عجبت لقضاء الله تعالى للمومن ان قضى له بالسرا رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضرا رضي وكان خيرا له الوجه
الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة
النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمانينة القلب الى الدنيا وانسه بها حتى تصير كالجنة
في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها واذا كثرت عليه المصايب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها
ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكان نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله ولم يرد الا الحيوة الدنيا ورضي بها
واطمان اليها والمومن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه
خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق
فاذن في البلاء نعمة من هذه الجهة فيجب الفرح به واما التالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة
الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم
وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المال بل من دخل
دار ملك للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه
لانه يورث له الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه
ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل والناس دخلوها من باب الرحم وهم خارجون
عنها من باب اللحد فكلما تحقق انسهم بالمنزل وكل ما ينزعج قلبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف
هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة
النعمة بالضرورة ومن لا يومن بان ثواب المصيبة اكثر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان
اعرابيا عزى ابن عباس عن ابيه فقال اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس خير من العباس
اجرك بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس والله ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة
في الصبر على المصايب كثيرة قال عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عليه الصلوة والسلام
قال الله تعالى اذا وجهت على عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل
استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام ما من عبد اصيب بمصيبة
فقال كما امر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك
به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وروي
ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا
يسقم جسمه ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال عليه الصلوة والسلام ان الرجل ليكون
له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله
تستنصره لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليوتى بالرجل فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار
فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي رضي الله عنه قال ايما رجل حبسه السلطان
ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال ايضا من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكوا وجعك
ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدردا تلدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى
الا حبذا المكروهات الثلث الفقر والمرض والموت وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد
الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلا صبا وثجه عليه ثجا فان دعاه قالت الملائكة صوت
معروف فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسالني شيئا الا اعطيتك
او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيمة جيء باهل الاعمال
فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلوة والصوم والصدقة والحج يوتى باهل البلا فلا تنصب لهم الميزان ولا ينشر لهم الديوان
يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلا صبا فيود اهل العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم
بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلا من الثواب فلذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب وعن ابن عباس قال شكا نبي من الانبيا الى ربه فقال يا رب العبد المومن يطيعك ويجتنب معاصيك
تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلا ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء
وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المومن عليه من الذنوب
فازوي عنه الدنيا واعرض له البلا فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات
فابسط له في الرزق وازوي عنه البلا فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته وروي انه لما
نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الاية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى اليس تحزن فهذا ما
يجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله
تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخيرات
حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن البصري ان رجلا من الصحابة
راى امراة كان يعرفها في الجاهلية وكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهي تمشي فصدمه حائط فاثر
في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا
وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله قالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير فالمصايب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه في الدنيا فالله اكرم من ان
يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة غضب ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل
لها ولا قطرت قطرتان احب الى الله تعالى من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل
وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من الخطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة
الى صلة الرحم وعن ابي الدردا انه قال توفي ابن سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا
فاتاه ملكان فجلسا بين يديه بزي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال

للاخر ما تقول فقال اخلات الجاده فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمن عليه
السلام ولما بذرت على الطريق اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان
الموت سبيل الآخرة فتاب سليمن الى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له
مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابت لان يكون ما تحب احب الي
من ان يكون ما احب وعن ابن عباس انه نعي اليه ابنة له فاسترجع فقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله
واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا بالصبر
والصلوة الاية وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم
ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام قال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلما ان الله تعالى ليبتلي العبد
بالبلا بعد البلا حتى يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن بالبلا
كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله تعالى يحتج على الخلق يوم القيمة باربعة انفس على اربعة
اجناس على الاغنيا بسليمن عليه السلام وعلى الفقرا بعيسى عليه السلام وعلى العبيد بيوسف عليه السلام وعلى
المرضى بايوب عليه السلام صلوات الله عليهم اجمعين وروي ان زكريا لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى
في الشجرة فعرفوا ذلك فجي بالمنشار فنشرت الشجرة بالمنشار حتى بلغ المنشار راس زكريا فان انة فاوحى الله
اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلام على الصبر فصبر
حتى قطع شطرين وقال ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد
ان يقاتل به ربه وقال لقمن لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلا فاذا احب الله
قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي
فقلت لعمي ما نمت البارحه من وجع الضرس حتى قلتها ثلثا فقال لقد اكثرت من ذكر الم ضرسك في ليلة
واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلثين سنة ما علم بها احد واوحى الله عز وجل الى عزير عليه السلام اذا
نزلت بك بلية فلا تشتك الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك وفضايحك **بيان
فضل النعمة على البلا** لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلا خير في الدنيا من النعيم فهل لنا ان نسال الله
تعالى البلا فاقول لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا
وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانبيا عليهم السلام ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا
يستعيذون من شماتة الاعدا وقال علي عليه السلام اللهم اني اسالك الصبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد
سالت الله تعالى البلا فاسئله العافية وروى ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن
مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شر فيه العافية
مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر
وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان
البلا صارت نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر منه اما في الدنيا واما في الدين والاخر بالاضافة
الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسال الله تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلا ويسال الله الثواب
في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم
اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار وقال سمنون وليس لي في سواك حظ

وسل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس اشد بلاء قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه ان كان في دينه صلبا اشتد عليه البلا وان كان دون ذلك خفف عنه حتى يمشي على الارض وما عليه خطيئة صح

اوفي الاخرة بالاضافة

فكيف

٤٨٧

فكيف ما شئت فاختبرني فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة
الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب فاما محبة
الانسان لان يكون هو في النار دون ساير الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب
في نفسه انه محب لمثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم ان ما
غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن فهو كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق
يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه فقال لها ما يمنعك عني ولو اردت ان
اقلب لك ملك سليمن ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمن فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام
العشاق لا يحكى وهو كما قال الشاعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد بما يريد فهو ايضا محال في معناه
اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام
الا بتاويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في
الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال الى المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب
فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو لمحب الدرهمين في الحال الثاني ان يصير رضاه عنده
مطلوبا من حيث انه رضي فقط ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذة في
مشاهدته مع كراهية فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى
ان صارت لذتهم في البلا مع استشعار رضا الله عنهم اكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا
فهؤلاء اذا قدر وارضاه في البلا صار البلا احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات
الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة ام هي حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب
فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من
البلا فنسال الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة انه على ما يشاء قدير **بيان الافضل من الصبر
والشكر** اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قايلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل من الصبر
وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب
بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان
الاول البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش تحقيقه وهو البيان الذي
ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقايق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي
ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والظير المشفقة لا ينبغي ان يصلح
الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات بل باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة
الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام في البيان يابى البحث
والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان
وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضايل الصبر اكثر بل فيها الفاظ صريحة
في التفضيل كقوله عليه الصلوة والسلام من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل الارض
فيجزيه الله جزاء الشكر ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول
نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف
اجزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر

فهو دليل على الفضيلة اذ ذكر ذلك فى معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجة
ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة فى الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم
الجمعة حج الفقراء وجهاد المراة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن وابدا المشبه به ينبغى ان تكون
اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا تدل على ان الشكر مثله وهو كقوله الصوم نصف الصبر فان كل
ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف
الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوى العلم وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه
وسلم اخر الانبياء دخولا الجنة سليمن بن داود لمكان ملكه واخر اصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف
لمكان غناه وفى لفظ اخر يدخل سليمن الجنة بعد الانبيا باربعين خريفا وفى الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان
الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلام وكل ما ورد فى فضايل
الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى فهذا هو المقام الذى يقنع العوام
ويكفيهم فى الوعظ اللايق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم المقام الثانى هو البيان الذى يقصد به
تعريف اهل العلم والاستبصار بحقايق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين
لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا
يمكن الموازنة بين الجملة مع الجملة بل يجب ان يفرد الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر
واقسامها وشعبها كثيرة فلنبين جملتها فى الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات
تنتظم من ثلثة امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وساير المقامات هى كذلك وهذه الثلثة اذا قرن
البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال
هى الافضل واما ارباب البصاير فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد
للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما احاد
هذه الثلثة فالاعمال قد يتساوى وقد لا يتساوى وقد يتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد الاحوال
اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهى ارفع من علوم المعاملة
بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففايدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على
العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه ليكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر فنقول فايدة
اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفايدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله فى ذاته وصفاته وافعاله
فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهى الغاية القصوى الذى تطلب لذاتها فان السعادة ينال بها
بل هى عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب فى الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها فى الاخرة فهى المعرفة
الحرة التى لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد
لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها فى الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضى الى بعض اما
بواسطة واما بوسايط كثيرة فكلما كانت الوسايط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهى افضل واما الاحوال
فنعنى بها احوال القلب فى تصفيته وتطهيره عن شوايب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفى
اتضح له حقيقة الحق فاذن فضايل الاحوال بقدر تاثيرها فى احوال القلب وتطهيره واعداده لان تحصل له
علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المراة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمراة بعضها اقرب الى الصقالة من
بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفا القلب هى افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب

المساكين

الخاص العمل ليس بافضل من العلم

اصلاح

من المقصود

من المقصود فهكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها فى تاكيد صفات القلب وجلب الاحوال اليها وكل عمل فاما
ان يجلب اليها حالة مهياة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علايقها من الدنيا واسم الاول المعصية
واسم الثانى الطاعة والمعاصى من حيث التاثير فى ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذى الطاعات فى تنوير
القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف بحسب اختلاف الاحوال وذلك انا با
لقول المطلق ربما نقول الصلوة النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل
افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغنى الذى معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم
له افضل من قيام ليالى وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها ومنعه الشبع عن
صفاء الفكر فى علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذا لم يكن حاله هذه الاحوال
فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكره يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله
الى حال غيره وهو كالمريض الذى يشكوا وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان
ينظر فى المهلك الذى استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام مائتى سنة وقيام الف ليلة
منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا مما ذكرناه فى ربع المهلكات فليرجع
اليه فاذن باعتبار هذه الاحوال تختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطا اذ لو قال لنا قايل
الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان الخبز للجايع افضل والماء للعطشان افضل فان اجتمعا فنظر الى الاغلب
فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل وان كان الجوع اغلب فالخبز افضل فان تساويا فهما متساويان وكذا
اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم
الصفرا فنقول عدم الصفرا لان السكنجبين مراد له وما يراد لغيره افضل منه لا محالة فاذا فى بذل المال عمل وهو
الانفاق ويحصل به حالة وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ويتهيا القلب بسبب خروج حب الدنيا
من القلب لمعرفة الله وحبه فالافضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال
وبالغ فى ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى وياخذ الصدقات
فكيف لا يكون الفعل والانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء يدل على ان الدواء مراد بعينه
او على انه افضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا
فهو كبرص على وجه من لا مراة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه المبالغة فى الثناء على تغسيل
الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه
فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهى لا عيب فيه ولنضرب مثالا
اقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم او القران واراد ان يثبت ذلك فى حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه
لو امره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة لى الى تكرار ودراسة لانه
يظن ان ما يحفظه فى الحال يبقى كذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل المتوفر
داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبى المسكين ان مقصود تعليم العبيد القران وانه قد استخدم
لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما بالى قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان
ابى لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفى واعلم انه لا نقصان لابى تفقد هولاء العبيد فضلا عن عدم
علمهم بالقران فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه فى العفو عنه فينسى
العلم والقران ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدرى وقد انخدع بمثل هذا الخيال طايفة وسلكوا طريق الاباحة

مانعة من المكاشفة توجب ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا وان تجلب اليه حالة صح

المريد صح

القلوب

لابى

وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وغني عن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا ايضا لو شاء
الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان
من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهولاء لما ظنوا انهم
استخدموا لاجل المساكين والفقرا لا لاجل الله ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي اموالنا سواء
انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن انه مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر
بانه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتاكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادة في الدنيا وانما
كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق
فاذن المسكين الاخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك
فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك والحجام خادم لك لا انت خادم
للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة
للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها ونهى عنها كما نهى
عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات
للقلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب تاثيرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول
الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع
الان الى الخصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان يقابل
المعرفة في احدهما بالحال او العمل في الاخر بل يقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر
الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى
نعمة العينين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر ان يرى العمى نعمة من الله وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان
هذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر
لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله الى ما هو المقصود منه بالحكمة
والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين
مختلفين فاثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا
بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه
الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجاري الصبر ثلثة
الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية واما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة
اما ان تقع ضرورية كالعينين مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما العينان
فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر
البصير عليهما من حيث العمل بامرين لا يخلوا عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير
اذا وقعت عينه على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر
في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد يشكرهما بالنظر
الى عجائب صنع الله ليتوصل به الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكان رتبة شعيب

ويظهر

وقع بصره

مثلا وقد كان ضريرا من الانبيا فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الانبيا لانه صبر على فقد البصر وموسى
عليه السلام لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك الانسان كلحم على وضم وذلك
محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضا آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها
فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ان يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا
لم يوت الا قدر الضرورة وما وراءه محتاج اليه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقرا ووجود الزيادة نعمة وشكرها
ان تصرف الى الخيرات او ان لا تستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة
فالشكر افضل لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقرا وترك صرفه
الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا
فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه
الى التنعم المباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات
لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله
وهذه الحالة يستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح وفي المباح مندوحة
عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها يصدر صبر الفقير اعلى واتم من
القوة التي عنها يصدر الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال
لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب يختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على
زيادة قوة الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر انما اريد به هذه الرتبة
على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر
ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذن الصبر افضل
من الشكر اي الصبر الذي يفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر
ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط
ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشيا تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشيا تولم
صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله بشروط ما عليهما كان الذي الم صفته وازعجها اتم
حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير
الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من
الفقير الصابر فدعى عليه الجنيد فلحقه ما اصابه من البلا من قتل اولاده وتلف ماله وزوال عقله اربع عشر
سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني
التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر ورب
غني شاكر كما سبق وافضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه
من ماله الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين
وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرفه اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداء
لحق الله تعالى في نفقة عباده فهذا افضل من الفقير الصابر فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه
الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر الم الصبر فان كان متالما بفراق المال فينجبر ذلك
بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي نراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن ينفقه

كما سبق ع

بعضهم

وهو بخيل به وانما يقتطفه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فالايلام للنفس
ليس مطلوبا لعينه بل لتاديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتادب اكمل من الكلب المحتاج
الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليها في النهاية
بل النهاية ان يصير ما كان مولما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مولما
اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان اطلق الجنيد القول
بان الذي يعلم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراده من عموم الخلق فاذا اذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه
لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت
التحقيق ففصل فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر
ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع الالم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر
لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرناها ايضا ويدخل في جملتها امور دونها
فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر
شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكثيف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله من غير استحقاق شكر
والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر
الوسائط شكر اذ قال عليه الصلوة والسلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب
اسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها
شكر كما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر احادها وهي درجات مختلفة فكيف
يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الاخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار
والاثار وقد روي عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله
فقال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة
زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم تتفرغ احدنا الى
صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن
على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة لعجوز كانت معه فقالت العجوز هو كما يقول قال الشيخ فانظر
اليهما كيف لو صبرا على بلاء الفرقة ان لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبرا لفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه
فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذن لا وقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم
تم كتاب الصبر والشكر من المنجيات ويتلوه كتاب الخوف والرجا الثالث من المنجيات بحمد الله وسعة رحمته وحسن توفيقه وصلوته على محمد وآله وصحبه

كتاب الخوف والرجا وهو كتاب الثالث من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب
اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف الائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه الذي هي مستقر اعدائه
وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض
للابتة والتهدف لسخطته ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف
الى جنته والصلوة والسلام على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته **اما بعد** فان
الرجا والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الاخرة كل عقبة كود
فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجا ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق

الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم مع كونه محفوفا بلطائف
الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما
وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد
مشتمل على شطرين **الشطر الاول** في الرجا **الشطر الثاني** في الخوف اما الشطر الاول فيشتمل على بيان
حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا وبيان دواء الرجا والطريق الذي به يجتلب الرجا **بيان حقيقة الرجا**
اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام
وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابت كصفرة الذهب والى سريع
الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم الى هذه الاقسام
فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول عن القلب على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب
وغرضنا الان حقيقة الرجا فالرجا ايضا يتم بعلم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل
وكان الرجا اسم للحال من جملة الثلثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود
في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا
وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها
حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي
انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا
حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح
رجاء فالرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون
له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع
انخرام اكثر اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجا وان لم تكن الاسباب معلومة
الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال
فلا نطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس
وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف
انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه و
الطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليه والقلب المستهتر
بالدنيا المستغرق به كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد
الا ما زرع ولا ينمو ازرع الا من بذر الايمان وقل ما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو
بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة
والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سياق المياه اليه في اوقاته ثم
طهره عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق
والافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة
لا ينصب اليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء
وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا
سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة

نحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية وانتظر
من فضل الله تثبيته عليه الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في
نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن
بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات
الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وقال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وقال فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان
اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها منقلبا فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة
وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان
يرجو قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي
التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهته المعصية وحرصه على التوبة يجري
مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجا بعد تاكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين
امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله معناه ان اولئك يستحقون
ان يرجوا رحمة الله وما اراد به تخصيص وجود الرجا لان غيرهم ايضا قد يرجون ولكن قد خصص بهم استحقاق
الرجا فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق
كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهدها بسقي ولا تطهير ولا تنقية قال يحيى بن معاذ
من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة
وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزا بغير عمل والتمني على الله مع الافراط
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ○ ان السفينة لا تجري على اليبس ○ فاذا عرفت حقيقة الرجا ومظنته فقد
علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد والقيام ببقية الاسباب
على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق
الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد
وهذا لان الرجا يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان
البذر فيه لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجا محمود لانه باعث والياس مذموم
وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سياتي بل هو باعث اخر بطريق
الرهبة كما ان الرجا باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة
على الطاعات كيف ما تقلبت الاحوال ومن اثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف
في التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان يظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص
فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجا والنزول
في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجا ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل
علمه على اثماره لهذه الاحوال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسئلك عن علامة الله

الاعمال

واما قبل التوبة

فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء
منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله
فيمن يريد بالخير ولو ارادك بالاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم
علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور **بيان فضيلة
الرجاء والترغيب فيه** اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب
يغلب بالرجا واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والاخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجا وحسن
الظن رغائب لا سيما وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل الياس وفي اخبار يعقوب
ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون
لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن
احدكم الا وهو حسن الظن بالله وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء
ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل هو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي
فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه ما رجا وامنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه
لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفين من اذنب
ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال الا ان الله تعالى عير قوما فقال وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارديكم الاية وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان لقنه الله تعالى حجته قال
يا رب رجوتك وخفت الناس فيقول الله تعالى فقد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس
ويسامح ويتجاوز عن المعسر فلقي الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى من احق بذلك مني فعفى عنه لحسن
ظنه ورجائه انه يعفى عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبرئيل عليه السلام فقال
ان ربك تعالى يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم فرجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود احبني
واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر
الائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورأى ابان بن ابي عياش بعد موته في النوم
وكان يكثر ذكر ابواب الرجا فقال اوقفني الله بين يديه فقال فما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان
احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ورأى يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال
اوقفني بين يديه فقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا
حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس بن مالك عن نبيك
صلى الله عليه وسلم عن جبرئيل انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن انك لا تعذبني
فقال تعالى صدق جبرئيل وصدق نبيي وصدق انس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق
وصدقت انت فقال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من
بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله عز وجل يوم القيمة اليوم ايسك من رحمتي كما كنت تقنط
عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا في جهنم ينادي الف سنة يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبرئيل

فقيل له كيف كان قدومك

حلا الايمان

يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي

اذهب فاتني بعبدي قال فيجي به فيوقفه على ربه فيقول الله له كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورايه فيقول الله تعالى الى اي شي تلتفت فيقول لقد رجوت الا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة دل به على ان رجاه كان سبب نجاته

بيان دواء الرجا والسبيل الذي منه يحصل حال الرجا ويغلب اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الياس فيترك العباده واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان مايلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجا تنقلب سموما في حقه مهلكة فينزل منزلة العسل الذي هو شفا لمن غلب عليه البرودة وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط بما يزيد في شلة عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجا بل المبالغة في التخويف ايضا تكاد لا يردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجا فتهلكهم وترديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثنا كيف ما كانوا مالوا الى الارجا حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا قال علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يومنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجا لتستعمل في حق الآيس او في من غلب عليه الخوف اقتدآ بكتاب الله وسنة رسوله فانهما مشتملان على الخوف والرجا جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفا في حق اصناف المرض ليستعمله العلما الذين هم ورثة الانبيا بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذي يظن ان كل شي من الادويه صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجا يغلب بفنين احدهما الاعتبار والآخر استقرا الايات والاخبار والاثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطايف نعم الله بعباده في الدنيا وعجايب حكمته التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالات الغذا وما هو محتاج اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينه له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقايق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المويد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيي له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم الا ان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تامل حق التامل قوي به اسباب الرجا ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين

بلغ المقابلة

يرى ان اية المداينة في سورة البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله فيه اطول اية ليهدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه **الفن الثاني** استقرا الايات والاخبار فما ورد في الرجا خارج عن الحصر اما الايات فقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدايه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي عليه الصلوة والسلام لم يزل يسال في امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزل الله عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجا اية في كتاب الله تعالى قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية ونحن اهل البيت نقول ارجا اية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى واما الاخبار فقد روى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداوك من النار وفي لفظ آخر ياتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداي من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ المومن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم اني اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني قال اذن لا اخزيك فيهم وروي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حيوتي خير لكم وموتي خير لكم اما حيوتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت فيها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل اتدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة فقال العلما قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبد اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السما غفرتها ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا للقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امين عليه الق هذه السيئة حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع تسع حسنات

عن ابن نمير

فتلقى عنه هذه السيئة وروى انس في حديث انه عليه الصلوة والسلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال
الاعرابي فان تاب قال محي عنه قال فان عاد قال عليه الصلوة والسلام يكتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي عنه
من صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله تعالى فان الله تعالى لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد
من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة كاملة قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات
ثم يضاعفها الله تعالى الى سبع مائة ضعف فاذا هم بخطيئة لم يكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة وورائها
حسن عفو الله تعالى وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انى لا اصوم الا الشهر لا ازيد
عليه ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الجنة قال معك يا رسول الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم انت معي ان حفظت
قلبك من اثنين من الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينك من اثنين النظر الى ما حرم الله
تعالى وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس ان الاعرابي
قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه
وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفى واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق
الاعرابي ولا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين وان الكريم ما استوفى قط ثم قال فقه الاعرابي وفيه
ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي
من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت قول الله عز وجل
الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر
والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده
الى الجنة وفي خبر اخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم خلقهم لاربح عليهم وفي حديث
ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا الا وجعل له ما يغلبه وجعل رحمته
تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن
معاذ بن جبل وانس بن مالك انه قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه
قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخلها النار من في قلبه
وزن مثقال ذرة من ايمان وفي خبر آخر لو علم الله الكافر سعة رحمة الله ما ايس احد من رحمته ولما تلى صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقال اتدرون اي يوم هذا يوم يقال لادم عليه السلام
يا ادم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين
الى النار وواحدا الى الجنة قال فابلسوا القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في
الامم اين تاويل وتاريس ومنسك وناسك وياجوج وماجوج امم لا يحصيها الا الله تعالى انما انتم في ساير الامم كالشعرة
البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم
بازمة الرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس
داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والاخير لم يكن مناقضا للاول ما راه سببا للشفاء فاقتصر
عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال
اخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد الملاحظة الى العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية

ولكن ذكر في الاول

اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ اخر لذهب بكم وجاء
بخلق آخر يذنبون ليغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب
قيل ما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة
بولدها وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول
لها رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تسعا وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلايق بها
فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين
ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال ولا يهلك على الله تعالى الا هالك
وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته وقال اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال عليه السلام اني اختبات شفاعتي
لاهل الكبائر من امتي اترونها للمصلين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين وقال بعثت بالحنيفية السمحة
السهلة وقال احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله للمؤمنين في قوله
تعالى ولا تحمل علينا اصرا الاية وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروي محمد بن الحنفية
عن علي انه قال لما نزلت قوله تعالى واصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت
عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله تعالى اكرم من ان يعاتب من عفى عنه فبكا جبريل وبكا النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقريكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه هذا ما لا
يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجا اكثر من ان تحصى واما الاثار فقد قال علي رضي الله عنه
من اذنب ذنبا فستره الله تعالى عليه في الدنيا فالله اكرم ان يكشف ستره في الاخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه
في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الاخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي
الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله تعالى
عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم يخطط ان العبد اذا كان مسرفا
على نفسه فيرفع يديه فيقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب
قال الله تعالى حتى متى تحجبون صوت عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم
اني قد غفرت له وقال ابرهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم
عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابرهيم انت تسئلني العصمة
وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر فكان الحسن يقول لو لم يذنب
المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين
ولقي مالك بن دينار ابانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجوا ان ترى من عفو الله
يوم القيمة ما تخرق له كساك هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو
ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا
فقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون
فلا تغتروا فان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة
وقعت في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين تواخيا من بني اسرائيل في الله عز وجل فكان احدهما
يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يروعه فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم

مائة رحمة ادخر عنده منها ... يومئذ

على كبيرة تغضب وقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيمة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي
اذهب انت فقد غفرت لك ثم قال للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت
دنياه واخرته وروى ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عيسى عليه السلام وخلفه عابد من
عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما
ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنوا من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي
لا يمشي الى جنب هذا العابد قال واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم منه نفسه
وتقدم الى عيسى فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله الى عيسى قل لهما يستانفا العمل فقد احبطت
ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما الاخر فقد احبطت سيئاته بما
ازرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضمه اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي عن مسروق ان بنيا من الانبيا
كان ساجدا فوطئ بعض العتاة عنقه حتى الزق الحصا بجبهته قال فرفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه مغضبا فقال
اذهب فلن يغفر الله تعالى لك فاوحى الله عز وجل اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له ويقرب منه ما روي
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل ليقطع طرفا من الذين
كفروا الى قوله ليس لك من الامر شيء فترك الدعا عليهم فهدى الله عامة اولئك الى الاسلام وفي الاثر ان
رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه
فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته في على عليين فيقول الله انه كان يسئلني في الدنيا
الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سوله وهذا يدل على ان العبادة على الرجا
افضل لان المحبة اغلب على الراجي منه على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقا لعقابه وبين
من يخدم ارتجاء لانعامه ولذلك امر الله بحسن الظن ولذلك قال عليه الصلوة والسلام سلوا الله الدرجات
العلى فانما تسئلون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء
وقال بكر بن سليم الصوفي دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك
فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال
يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجاي لك مع الذنوب يغلب رجاي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاخلاص على
الاعمال وكيف احرزها وانا بالافة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود
موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابرهيم عليه السلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله الى ابرهيم
يا ابرهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ما ذا عليك فمر ابرهيم خلف
المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر فقال له المجوسي اهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي
الاسلام فاسلم وراى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد
فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اهون مما توهمناه وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة
حسنة لا يوصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان ابا العباس
بن شريح راى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الله يقول اين العلما فجاوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم
قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا فاعاد السوال كانه لم يرض به فاراد جوابا اخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي
الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه قال فاذهبوا فقد غفرت لك ومات بعد ذلك بثلث ليال وقيل
كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس

فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسال لفقير شيئا ويقول من دفع اليه اربع دراهم دعوت له
اربع دعوات قال فدفع اليه الغلام الدراهم فقال منصور ما الذي تريد ان ادعوا لك فقال لي سيد اريد
ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يتوب الله
على سيدي فدعا ثم قال الاخرى قال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام
فقال له سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال فيما دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر
واي شيء الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم فقال فاي شيء الثالث فقال
ان يتوب الله عليك فقال تبت الى الله قال واي شيء الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر
قال هذا الواحد ليس الي فلما بات راى في المنام كان قايلا يقول له انت فعلت ما كان اليك افترى
اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين وروى عن عبد الوهاب
بن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة يحملها ثلثة من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا
الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران
قالت نعم ولكن صغروا امره فقلت وايش كان هذا فقالت مخنث قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي و
اعطيتها دراهم وحنطة وثيابا فرايت تلك الليلة كانه اتاني ات كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب
بيض فجعل يشكر لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني الله باحتقار الناس اياي
وقال ابرهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة اذ مر قوم احداث في زورق
يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادعوا الله عليهم فرفع
يده وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الاخرة فقالوا انا سالناك ان تدعوا عليهم فقال اذا فرحهم
في الاخرة تاب عليهم وكان بعض الصالحين من السلف يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم
كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة
وتدر الرزق حتى لكانك يا ربنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي تجلب بها روح الرجا الى قلوب الخائفين والايسين فاما الحمقى
المغرورين فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر النفوس
لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي المغرور لا يستقيمون الا بالضرب والعصا واظهار الخشونة في الكلام
فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدنيا والدين

الشطر الثاني

من الكتاب في الخوف وفيه بيان
حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف
والرجا وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبيا والصالحين

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا
في بيان حقيقة الرجا ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له
التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجا فانهما زمامان يمنعان
النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد
وقال ايضا اذا ظهر الحق على السراير لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا اشغل قلبه
في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات فنقول
حال الخوف ايضا ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على

ملك ثم وقع فى يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والانفلات ولكن يكون تالم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه
بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك فى نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا
بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته
عند الملك فالعلم بظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب
تضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المحجوب كالذي وقع فى مخالب
سبع فانه يخاف السبع بصفة ذات السبع وهى سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار
وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع فى مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه
مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحراق
القلب وتالمه وذلك الاحراق هو الخوف فكذا الخوف من الله تارة يكون من الله ومعرفة صفاته فانه لو هلك العالمين
لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصى وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته
بعيوب نفسه ومعرفته لجلال الله وتعاليه واستغنائه وانه لا يسئل عما يفعل يكون قوة خوفه فاخوف الناس
لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال عليه الصلوة السلام انا اخوفكم لله وانا اعرفكم به ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى
الجوارح وعلى الصفات اما على البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكا وقد تنشق به المرارة
فيفضى الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس واما فى الجوارح
فبكفها عن المعاصى وتقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من
يبكى ويمسح عينيه بل الخائف من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه
ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذى النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم يحتمى
مخافة طول السقام واما فى الصفات فهو انه يقمع الشهوات ويكدر اللذات فيصير المعاصى المحبوبة عنده
مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب
الجوارح ويحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير
مستوعب الهم لخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة
والظنة بالانفاس واللحظات ومواخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال
من وقع فى مخالب سبع ضارى لا يدرى انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلكه فيكون ظاهره وباطنه
مشغولا بما هو خائف منه لا متسع لغيره هذا حال من غلبه الخوف فاستولى عليه وهكذا كان جماعة من الصحابة
والتابعين وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذى هو تالم القلب واحتراقه وقوة الخوف
بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال
واقل درجات الخوف مما يظهر اثره فى الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات
ورعا فاذا زادت قوته كف عن ما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن ايضا تحريمه ويسمى ذلك
تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد تحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس
وهو الصدق فى التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا
يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق فصاحبه جدير بان
يسمى صديقا ويدخل فى الصدق التقوى ويدخل فى التقوى الورع ويدخل فى الورع العفة فانها عبارة

عن الامتناع

عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر فى الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب
الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوات واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى
منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظورات والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق المقرب وتجرى الرتبة
الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان
اما عربى او عجمى والعربى اما قرشى او غيره والقرشى اما هاشمى او غيره والهاشمى اما علوى او غيره والعلوى
اما حسنى او حسينى فاذا ذكرت انه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوى وصفته بما فوقه
مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه تقى وورع وعفيف فلا ينبغى ان تظن ان كثرة هذه الاسامى
تدل على معانى كثيرة متباينة فتختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعانى من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ
المعانى فهذه اشارة الى مجامع معانى الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب
السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود وكل ما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط
الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله والاصلح للبهيمة ان لا
تخلو عن سوط وكذا الصبى ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة فى الضرب محمود فكذلك الخوف له قصور وله
اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر فيه فهو الذى يجرى مجرى رقة النسا يخطر بالبال عند
سماع اية من القران فيورث البكا ويفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هايل فاذا غاب ذلك
السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب
الضعيف الذى تضرب به دابة قوية لا تولمه الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا
خوف الناس كلهم الا العارفون والعلماء ولست اعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلم والمتسمين باسمائهم
فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعنى به العلماء بالله وباياته وبافعاله وذلك مما قد عز وجوده الان ولذلك
قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به
الى ان الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات وما لم يوثر فى الجوارح فهو حديث
نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى
الياس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل
على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فهو انه
ليس يدرى عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو الذى يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض
لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الادمى وانما المحمود فى ذاته هو العلم والقدرة
وكل ما يجوز ان يوصف الله به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال فى ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة
الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدوا محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو
مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت
وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذى يقتل الصبى والسوط الذى يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها
وانما ذكر عليه الصلوة والسلام اسباب الرجا واكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضى الى القنوط
او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضى الى المراد المقصود منه فما يقصر عنه او يجاوزه فهو
مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والعبادة والفكر والذكر وساير الاسباب الموصلة الى الله

وليس بمحمود فى ذاته صح

وكل ذلك يستدعى الحياه مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح فى هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت
فمن خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته
من الخوف كان لا ينالها لو مات فى ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى
تقدير بقايه وطول عمره فى طاعة الله فسلوك سبيله فليس بفضيلة بل لسالك سبيل الله بطريق الفكر والمشاهدة
والرمى فى درجات المعارف فى كل لحظة رتبة شهيد وشهدا ولولا هذا لكان رتبة صبى يقتل ومجنون
يفرسه سبع اعلى من رتبة نبى وولى يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغى ان يظن هذا بل افضل السعادات
طول العمر فى طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التى يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة
الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها
لا بالاضافة الى درجة النبيين والصديقين فاذن الخوف ان لم يوثر فى العلم فوجوده كعدمه مثل السوط الذى
لا يزيد فى حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى
الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر
والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى عما سوى الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة
والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل او الصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب
علاجه باسباب الرجا وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما
كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل **بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف**
منه اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها فى ذاته كالنار واما ان يكون
مكروها لانه يفضى الى المكروه كما يكره المعاصى لادائها الى مكروه فى الاخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة
لادائها الى الموت ولا بد لكل خايف من ان يتمثل فى نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره فى قلبه حتى
يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة
فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف
نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب و
تبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العاده فى اتباع الشهوات المالوفة او خوف
ان يكله الله الى حسناته التى اتكل عليها وتعزز بها فى عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال
عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوايل طاعاته حيث يبدو لهم من الله
ما لا يحتسب او خوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدرى
انه يحدث فى بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت ~~بخاتمة السوء~~ او خوف الاغترار
بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته فى حالة غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء
او خوف الخاتمة السابقة التى سبقت له فى الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة
وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة
والذى يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب
هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة
لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة يظهر ما سبق به القضا فى ام الكتاب
والخايف من الخاتمة بالاضافة الى الخايف من السابقة كرجلين وقع الملك فى حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون هو

جز الرقبة ويحتمل ان يكون هو تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحالة
وصول التوقيع ونشره وانه عما ذا يظهر ويرتبط قلب الاخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذى خطر له
فى حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا الالتفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك
الالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى بتوقيعه القلم الاعلى من الالتفات الى ما يظهر فى الابد واليه
اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة
باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم
وانسابهم ولا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقا حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم
الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقا بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم
ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والاعمال
بالخواتيم وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله نفسه لصفته وجلاله
واوصافه التى تقتضى الالهية لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وان كان فى طاعة الصديقين
واما الاخر فهو فى عرضة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف على المعصية خوف الصالحين والخوف
من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته
ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصى لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا انه
مخوف فى نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له اسبابها فان تيسير اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه
قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجرى عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها
من يسرت له الطاعات ومهدت له القربات والعاصى قد قضا عليه بالمعصية شاء ام ابا وكذى المطيع
فالذى رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل فى
اسفل السافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان من اطاع الله
اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير
الفعل ضروريا والذى عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب كالقدرة فكان
الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعرى ما الذى اوجب اكرامه هذا وتخصيصه بتسليط ارادة
الطاعات عليه وما الذى اوجب اهانة هذا الاخر وابعاده بتسليط دواعى المعصية عليه وكيف يحال
ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضا الازلى من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما شاء
ويحكم ما يريد جزم عند كل عاقل وورا هذا المعنى سر القدر الذى لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف منه
فى صفاته الا بمثال لولا اذن الشرع لم يستجرا على ذكره ذو بصيرة فقد جاء فى الخبر ان الله تعالى اوحى الى
داود صلى الله عليه وسلم يا داود خفنى كما تخاف السبع الضارى فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان
لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل
ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يشا ولا يبالى
وان قتلك لم يرق قلبه ولم يتالم لقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقا على روحك بل انت عنده
اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة
اذ لا يقدح ذلك فى عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرف الله عرف
بالمشاهدة الباطنة التى هى اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق فى قوله تعالى هولا فى الجنة

واسماء ابائهم

ولا ابالی وهولاء فی النار ولا ابالی ویکفیك من موجبات الهیبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة
الطبقة الثانیة من الخایفین ان یتمثل فی انفسهم ما هو المکروه وذلك مثل سکرات الموت وشدته وسوال
منکر ونکیر وعذاب القبر او هول المطلع او هیبة الموقف بین یدی الله تعالی والحیاء من کشف الستر والسوال
عن النقیر والقطمیر والخوف من الصراط وحدته وکیفیة العبور علیه او الخوف من النار واغلالها واهوالها
او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعیم والملك المقیم وعن نقصان الدرجات والخوف من الحجاب عن الله
تعالی وکل هذه الاسباب مکروهة فی انفسها فهی لا محالة مخوفة ویختلف احوال الخایفین فیها واعلاها
رتبة هو خوف الفراق والحجاب من الله تعالی وهو خوف العارفین وما قبل ذلك خوف العابدین والصالحین
والزاهدین وکافة العالمین ومن لم یکمل معرفته ولم ینفتح بصیرته لم یشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق
واذا ذکر له ان العارف لا یخاف النار وانما یخاف الحجاب وجد ذلك منکرا فی باطنه ویتعجب منه فی نفسه
وربما انکر لذة النظر الی وجه الله الکریم لولا منع الشرع ایاه من انکاره فیکون اعترافا باللسان عن ضرورة
التقلید والا فباطنه لا یصدق به لانه لا یعرف الا لذة الفرج والبطن والعین بالنظر الی الالوان والوجوه
الحسان وبالجملة کل لذة له تشارکه البهایم فیها اما لذة العارفین فلا یدرکها غیرهم وتفصیل ذلك وشرحه
حرام مع من لیس اهلا له ومن کان اهلا له استبصر بنفسه واستغنی عن ان یشرحه غیره له فالی هذه الاقسام
یرجع خوف الخایفین **بیان فضیلة الخوف والرغبة فیه** اعلم ان افضل الخوف تارة یعرف بالتامل
والاعتبار وتارة بالایات والاخبار اما الاعتبار فسبیله ان تعلم فضیلة الشی بقدر غنایته فی الافضا
الی سعادة لقاء الله اذ لا مقصود سوی السعادة ولا سعادة للعبد الا فی لقاء الله والقرب منه فکل
ما اعان علیه فله فضیلة وفضیلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الی سعادة لقاء الله فی الاخرة الا
بتحصیل محبته والانس به فی الدنیا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفکر ولا یحصل
الانس الا بالمحبة ودوام الذکر ولا یتیسر المواظبة علی الذکر والفکر الا بانقلاع حب الدنیا من القلب ولا ینقلع
ذلك الا بترك لذات الدنیا وشهواتها ولا یمکن ترك المشتهیات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشیء
کما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضیلته بقدر ما یحرق من الشهوة وبقدر ما
یکف عن المعاصی ویحث علی الطاعات ویختلف ذلك باختلاف درجات الخوف کما سبق وکیف لا یکون
الخوف ذا فضیلة وبه یحصل العفة والورع والتقوی والمجاهدة وهی الاعمال الفاضلة المحمودة التی تقرب
بها الی الله زلفی واما بطریق الاقتباس من الایات والاخبار مما ورد فی فضیلة الخوف خارج عن الحصر وناهیك
دلالة علی فضیلته جمع الله للخایفین الهدی والرحمة والعلم والرضوان وهی مجامع مقامات اهل الجنان
قال تعالی هدی ورحمة للذین هم لربهم یرهبون وقال انما یخشی الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشیتهم
وقال رضی الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشی ربه وکل ما دل علی فضیلة العلم دل علی فضیلة الخوف لان
الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء فی خبر موسی علیه السلام واما الخایفون فان لهم الرفیق الاعلی لا یشارکون فیه
فانظر کیف افردهم بمرافقة الرفیق الاعلی وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبیاء لانهم ورثة
الانبیاء ومرافقة الرفیق الاعلی للانبیاء ومن یلحق بهم ولذلك لما خیر رسول الله صلی الله علیه وسلم فی مرض
موته بین البقاء فی الدنیا وبین القدوم علی الله تعالی کان یقول اسالك الرفیق الاعلی فاذن ان نظر الی منبع
فهو العلم وان نظر الی ثمرته فالورع والتقوی ولا یخفی ما ورد فی فضایلهما حتی ان العاقبة صارت موسومة
بالتقوی مخصوصة به کما صار الحمد مخصوصا بالله والصلوة برسول الله حتی یقال الحمد لله رب العالمین والعاقبة

للمتقین والصلوة علی رسوله محمد واله اجمعین وقد خصص الله التقوی بالاضافة الی نفسه فقال لن
ینال الله لحومها ولا دماؤها ولکن یناله التقوی منکم وانما التقوی عبارة عن کف بمقتضی الخوف کما سبق
ولذلك قال ان اکرمکم عند الله اتقیکم ولذلك وصی الله تعالی الاولین والاخرین بالتقوی فقال
ولقد وصینا الذین اوتوا الکتاب من قبلکم وایاکم ان اتقوا الله وان تکفروا وقال تعالی وخافون ان
کنتم مومنین فامر بالخوف واوجبه وشرطه فی الایمان فلذلك لا یتصور ان ینفك مومن عن خوف
وان ضعف ویکون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وایمانه وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم فی فضیلة
التقوی اذا جمع الله الاولین والاخرین لمیقات یوم معلوم ناداهم بصوت یسمع اقصاهم کما یسمع ادناهم
فیقول یا ایها الناس انی قد انصت لکم منذ خلقتکم الی یومکم هذا فانصتوا الی الیوم انما هی اعمالکم ترد
علیکم ایها الناس انی جعلت لکم نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبی ورفعتم نسبکم قلت ان اکرمکم عند الله
اتقیکم وابیتم الا فلان بن فلان وفلان اغنی من فلان فالیوم اضع نسبکم وارفع نسبی این المتقون
فینصب للقوم لواء فیتبع القوم لواءهم الی منازلهم فیدخلوا الجنة بغیر حساب وقال علیه الصلوة والسلام
راس الحکمة مخافة الله وقال علیه الصلوة والسلام لابن مسعود ان اردت ان تلقانی فاکثر الخوف من بعدی
وقال الفضیل من خاف الله تعالی دله الخوف علی کل خیر قال الشبلی ما خفت الله یوما الا رایت له بابا
من الحکمة والعبرة ما رایته قط وقال یحیی بن معاذ ما من مؤمن یعمل سیئة الا ویلحقه حسنتان خوف العقاب
ورجاء العفو کثعلب بین اسدین وفی خبر موسی صلوات الله علیه انه تعالی یقول واما الورعون فانه
لا یبقی احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما فی یدیه الا الورعین فانی استحییهم واجلهم ان اوقفهم
للحساب والورع والتقوی اسامی اشتقت من معانی شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بهذه
الاسامی ولذلك ما ورد فی فضایل الذکر لا یخفی وقد جعله الله تعالی مخصوصا بالخایفین فقال سیذکر
من یخشی وقال تعالی ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلی الله علیه وسلم قال الله تعالی وعزتی لا اجمع
علی عبد بین خوفین ولا اجمع له امنین فاذا امننی فی الدنیا اخفته یوم القیمة واذا خافنی فی الدنیا امنته
یوم القیمة وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم من خاف الله خافه کل شیء ومن خاف غیر الله خوفه الله
من کل شیء وقال علیه الصلوة والسلام اشدکم عقلا اشدکم لله خوفا واحسنکم فیما امر الله تعالی به ونهی
عنه نظرا وقال یحیی بن معاذ مسکین ابن ادم لو خاف النار کما یخاف الفقر لدخل الجنة وقال ذو النون
من خاف الله تعالی ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ذو النون ینبغی ان یکون الخوف اعظم
من الرجاء وابلغ فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وکان ابو الحسن الضریر یقول علامة السعادة خوف
الشقاوة لان الخوف زمام بین الله وبین عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالکین وقیل لیحیی بن
معاذ من امن الخلق غدا قال اشدهم خوفا الیوم وقال سهل لا تجد الخوف حتی تاکل الحلال وقیل للحسن
یا ابا سعید کیف نصنع بمجالس اقوام یخوفوننا حتی تکاد قلوبنا تطیر فقال انك والله ان تخالط قوما
یخوفونك حتی یدرکك امن خیر من ان تصحب قوما یومنونك حتی یدرکك الخوف وقال ابو سلیمن
الدرانی ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عایشة رضی الله عنها قلت یا رسول الله الذین یوتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل یسرق ویزنی قال لا بل الرجل یصوم ویتصدق ویصلی ویخاف ان لا یقبل
منه والتشدیدات الواردة فی الامن من مکر الله تعالی وعذابه لا تنحصر وکل ذلك ثناء علی الخوف لان مذمة
الشیء ثناء لضده الذی ینفیه وضد الخوف الامن کما ان ضد الرجاء الیاس فکما دل مذمة القنوط

على فضيلة الرجا فلذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضيلة الرجا
فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته
فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجا متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الاخر نعم يجوز
ان يغلب احدهما على الاخر وهما ممتنعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلته
عنه وهذا لان شرط الرجا والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب
الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب فهو الرجا وتقدير عدمه يوجع القلب
وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك يترجح
بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن وجود
المحبوب قوي الرجا وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال
تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجا
قال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القران الرجا بمعنى الخوف وذلك
لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل اقول كل ما ورد في فضل البكا من خشية الله فهو اظهار
لفضيلة الخشية فان البكا ثمرة الخشية وقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى ويبكون
ويزيدهم خشوعا وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون وقال صلى الله عليه
وسلم ما من عبد مومن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئا من حر
وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه الصلوة والسلام اذا اقشعر قلب المومن من خشية الله تحاتت عنه
خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن
الى الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على
خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله يدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم
من ذكر ذنوبه فبكى وقال عليه الصلوة والسلام ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع من خشية الله او
قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف
الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا وقال عليه الصلوة والسلام سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله
وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك
ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل
موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو
يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر ظهره وقال ابو سليمن الداراني ما تغرغرت عين
بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه اطفى باول قطرة منها بحارا من
النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمن البكاء من الخوف والرجا والطرب
من الشوق وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي احب
الي من ان اتصدق بجبل من الذهب وقال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق
بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب
وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت
ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت في نفسي قد نافقت

ماوراه

حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال صلى الله
عليه وسلم كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت
منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك فقال
يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة
فاذا كل ما ورد في فضل الرجا والبكا وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن والغرور فهو دلالة
على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق المسبب **بيان ان الافضل هو غلبة
الخوف او غلبة الرجا او اعتدالهما** اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجا قد كثرت وربما ينظر الناظر
اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجا سوال فاسد يضاهي قول القائل
الخبز افضل ام الماء وجوابه ان الخبز افضل للجايع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان
كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة
الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجا دواآن تداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان
كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب هو الياس
والقنوط من رحمة الله فالرجا افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز
ان يقال مطلقا الخوف افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع
وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة
الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجا فالرجا افضل لانه
مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة
كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي
العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجا وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا
لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجا وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي
ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاه ولذلك قيل لو وزن خوف المومن
ورجاه لاعتدلا وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته
بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك
وقال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل
الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجا
واعتدالهما مع الغلبة والاستيلا ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي
خوفه رجاه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا بدخول النار كان ذلك دليلا
على الاغترار فان قلت فمثل عمر رضي الله عنه لم ينبغي ان يساوي خوفه رجاه بل ينبغي ان يغلب رجاه كما سبق
في اول كتاب الرجا فان ثقته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر
الصحيح في ارض نقية وواظب على تعاهده وجاء بجميع شروط الزراعة غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن
خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون احوال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ والامثلة
يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجا العلم الحاصل

ان يقال ... وان كان العطش اغلب فالماء افضل

بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض وطهارتها وصحة البدن وصحة الهوا وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع
وغيرها وانما مثال مسلتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يعهدها الزراع ولم يجربوها وفي بلاد
ليس يدري ايكثر الصواعق بها ام لا فمثل هذا الزراع وان ادى كنه مجهوده وجاء بكل مقدور له فلا يغلب
رجاؤه على خوفه والبذر في مسلتنا الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفاته من
الشرك الخفي والنفاق والريا وخبايا الاخلاق فيه غامضة والافات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات
القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب
ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك
مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيمة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقايق هذه
الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكي في احوال الخائفين
من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاوه فاما ان يغلب
رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضى الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة انه هل يعرف به من اثار النفاق
شيا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا
النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقا قلبه عن ذلك فمن اين يامن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه منه
وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل
عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه
الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وفواق ناقة لا يحتمل عمل بالجوارح انما هو بمقدار خاطر يختلج في القلب عند
الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يومن ذلك فاذن اقصى غايات المومن ان يعتدل خوفه ورجاؤه واما غلبة
الرجا في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم
فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى يدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر رضى الله عنه فالخلق
الموجودون كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة
فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف
انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى
التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يوثر في الكف والحث ودون الياس
الموجب للقنوط وقال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجا
تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجا استقام في محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقي من عبد الله
بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجا والمحبة
فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت واما
عند الموت فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد
انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه
ويعين على تعجيل موته فاما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاوه ولا ينبغي ان
ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله ليكون محبا للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجا تقارنه
المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله حتى تثمر المعرفة المحبة
فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت

على الموت ح

محنة

محنته وعذابه فمهما كان الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقا
والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته ان الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب
فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفا حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن
له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن
سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الانسراح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص
من السجن ولا يخفا حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه
كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما اعد لعباد الله الصالحين مما لم تره عين
ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد للذين استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من
الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسال الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا
بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعا الا باكتساب حب الله ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من
القلب وقطع العلايق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعوا بما دعى به نبينا صلى الله
عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد والغرض
ان غلبة الرجا عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات
واقمع لمحبة الدنيا عن القلب فلذلك قال عليه الصلوة والسلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه
وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضر سليمن التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني
بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضر الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع
العلما حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا وحسن الظن والمقصود
من ذلك كله ان يحبب الله الى نفسه ولذلك اوحى الله الى داود ان حببني الى عبادي فقال بماذا فقال بان
تذكرهم الاي ونعماي فاذا غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله وانما تحصل المحبة بالمعرفة واخراج حب
الدنيا من القلب حتى يصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك راى بعض الصالحين ابا سليمن الداراني
في المنام وهو يطير فساله فقال الان افلت فلما اصبح سال عن حاله فقالوا انه مات البارحة

بيان الدوا الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم ان ما ذكرناه في دوا الصبر وشرحنا في كتاب الصبر والشكر هو كاف
في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجا لان اول مقامات الدين اليقين الذي هو
عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار
والرجا للجنة والخوف والرجا يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره ولا يصبر على عملها الا بقوة الرجا
والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة
سلى عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يودي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا الى
مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويودي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال
المعرفة ويودي كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وساير المقامات فهذا هو الترتيب
في سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه
المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام
بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذا فيما
ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الاخر

من احبك ح

ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها
ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منه فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد
فرائصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة
بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد
لانه يحسن الظن بالله ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يدري وجهه
فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته
فاما الخوف منه فهو خوف العلما وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر
المطلعون على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته واما الاول فهو خوف عموم الخلق
وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعات والمعصية وضعفه بسبب الغفلة
وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال القيامة واصناف
العذاب في الاخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة
فالسماع لا يخلو عن تاثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب منه
ويرجوا القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية
العلما حيث قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المومنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو
بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف
فيزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيجترئ على اخذها
تقليدا له كما احترز من اخذها تقليدا لابيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة
اسبابها الموكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة
على الاستمرار فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف
كما ان من عرف السبع وراى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج ليجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة
شاء ام ابى ولذلك اوحى الله الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري
الا معرفة السبع الضاري ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله عرف انه يفعل ما يشاء
ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وابعد ابليس من غير جريمة سالفة بل
صفته ما ترجمه قوله تعالى هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي ان خطر ببالك انه لا يعاقب
الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يمد المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يمد
العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان
الفعل واقعا بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى
غير نهاية او يقف لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر عليه الصلوة
والسلام اذ قال احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه واسجد لك الملائكة واسكنك جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم انت
موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا قال نعم
قال فبكم وجدت الله كتب التوريه قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم
ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال النبي

صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص
العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فامن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المومنين ويحصل
لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع
قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق اسباب مرتبة
بقدر معلوم لكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا وان اضيف الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في
مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط
عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول مثال الخوف عن الله الخوف
من السبع بل اذا كشف الغطا علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله لان المهلك بواسطة السبع هو الله
فاعلم ان سباع الاخرة مثل سباع الدنيا وان الله خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد
اهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الاول الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها
شاؤا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاؤا ام ابوا فلا يرى احد نفسه في ملتطم امواج
القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى
بقاع الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والاثار فيطالع احوال الخائفين واقوالهم وينسب عقولهم
ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبيا والاوليا والعلما
واما الامنون فهم الفراعنة والجهال الاغبيا اما رسولنا عليه الصلوة والسلام فهو سيد الاولين والاخرين
وكان اشد الناس خوفا حتى روي انه كان يصلي على طفل وفي رواية سمع يقول في دعائه اللهم قه عذاب القبر
وعذاب النار وفي رواية ثانية انه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال وما يدريك
انه كذلك لا والله اني رسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا
ينقص منهم وروي انه قال ذلك ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين فقالت ام سلمة
هنيئا لك الجنة فقال وما يدريك ذلك والله اني لرسول الله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فكان تقول ام سلمة بعد
ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكي احدا غير رسول الله ولا ابي الذي
ولا ابي الذي ولدني قال فثارت الشيعة فاخذ يذكر من فضائل علي عليه السلام ومناقبه وروي في حديث اخر
ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت ام سلمة رضي الله عنها هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله وقتلت
في سبيل الله فقال عليه الصلوة والسلام وما يدريك لعله يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر
انه دخل عليه الصلوة والسلام على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امراة تقول هنيئا له الجنة فقال عليه الصلوة والسلام
من هذه المتالية على الله تعالى فقال المريض هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا
يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المومنون كلهم وهو عليه الصلوة والسلام يقول شيبتني سورة هود واخواتها
سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلما لعل ذلك ما في سورة هود من الابعاد كقوله الا بعدا
لثمود الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم انه لو شاء الله ما اشركوا
اذ لو شاء لاتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اي جف القلم بما هو كائن
وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرتفعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا منخفضين
في الدنيا وفي سورة التكوير اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة وهو قوله تعالى اذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت
علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن

وخلق النار وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص صح لكن خ

وقال اصوا با والقران من قوله الى اخره نخاوف لمن قراه بتدبر ولولم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن احادها واشد منه
قوله تعالى فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وكقوله تعالى ليسال الصادقين
عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان وقوله افامنوا مكر الله الاية وقوله وكذلك اخذ
ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا وقوله ان منكم الا واردها الاية وقوله اعملوا ما شئتم وقوله من كان يريد حرث
الاخرة الاية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقدمنا وقدمنا الى
ما عملوا من عمل الاية وكذلك قوله والعصر ان الانسان لفي خسر السورة فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران
وانما كان خوف الانبيا مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
حتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل يبكيا خوفا من الله تعالى فاوحى اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا
ومن يامن مكرك وكانهما اذ علما ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يقول
قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى اذ اسكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما
كما ان ابرهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله فكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض
بجبرئيل في الهوى حتى قال الك حاجة فقال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله
تعالى عنه وقال وابرهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا اخبر عن موسى عليه السلام حيث
قال اننا نخاف او يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى السحرة
سحرهم اوجس موسى في نفسه خيفة اذ لم يامن مكر الله والتباس الامر عليه حتى جدد عليه الامر وقيل له لا تخف
انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه
الارض احد يعبدك فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه دع مناشدتك ربك يا رسول الله فانه واف لك بما
وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله وكان مقام النبي صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من
مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض
ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة قصرت معرفته
عن الاحاطة بكنه الامور وعظم خوفه لا محاله ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل له أانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم الاية فوض الامر الى المشية واخرج نفسه بالكلية من
البين لعلمه بانه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشية ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمالوفات
فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين
اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشية من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك
ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الالام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب
عليهم ابد الاباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم الاية
فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة
فيه ولكن ليس الا التسليم فيه واستقراء خفي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر له
اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته من الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة

التي

التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية من الدنيا
منقطعا وبظاهره وباطنه الى الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به
ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يومن تغير الحال
وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب
عز وجل ان عذاب ربهم غير مامون فاجهل الناس من امنه وهو يناديه بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطف
بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجا لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة لخواص
الله واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب
قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة لم اقطع له بالتوحيد لاني
لا ادري ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند
باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار وكان
ابو الدردا يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين
من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال قلوبهم وجلة ولما احتضر
سفين جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجا فان الله غفور اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي
ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال اني القى الله بامثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه
اوصى بعض اخوانه فقال اذا احضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايت اني مت على التوحيد فخذ جميع
ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنقلب وان مت على غير التوحيد
فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي فراجب على بصيرة لئلا يلحقني الريا بعد الوفاة قال وبم اعلم
ذلك فذكر له علامة التوحيد عند موته فلما راى علامة التوحيد فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد يخاف ان
يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي
زنارا اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم
خمس مرات وروي عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبيا
نخاف الكفر وروي في اخبار الانبيا ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه
الصوف فاوحى الله تعالى اليه عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك ان تكفر بي حتى تسالني الدنيا فاخذ التراب
فوضعه على راسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا اذا كان خوف العارفين مع رسوخ
اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفا ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل
البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال
الحسن لو اني اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو
ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كان فيه خصلة منهن
ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان واذا خاصم فجر وفي
لفظ اخر واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه الا صديق
اذ قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج
ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور مالوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا

بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا انى لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تاتى مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر رضى الله عنهما انا ندخل على هولاء الامرا فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد من ذلك ان نفرا كانوا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه وكانوا يتكلمون في شيء من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول انه ياتى على القلب ساعة يمتلى بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة وياتى عليه ساعة يمتلى بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور متقدمة منها البدع ومنها المعاصى ومنها النفاق ومتى يخلوا العبد عن شيء من جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من امن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين انى اخاف على نفسى النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فوالذي نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار

بيان معنى سوء الخاتمة

فان قلت ان اكثر هولاء يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احداهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهايلة ان تغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح في حال غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضى البعد الدايم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه عند الموت ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المومن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى تقول له النار جز يا مومن فان نورك قد اطفا لهبى فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت ايضا تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان

وقد بطلت الجوارح صح

يخرجه

يخرجه من النار ولو بعد الاف سنين فان قلت فما ذكرته يقتضى ان تسرع النار اليه عقيب موته فما له يوخر الى القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القران بل الصحيح عند ذوى الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنان وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقى بسوء الخاتمة وانما يختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سوال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملاء الاشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى اخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقى مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الى ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فيجمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التى هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحالة ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذى يفضى الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في فنين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعين مذهبا واقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعنى بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برايه ومعقوله ونظره الذى يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد فمن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادى سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطا في هذا الاعتقاد خاصة لا لتجائه فيه الى رايه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وساير اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يتثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهولاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالراي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وساير العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد

يشرعوا

اقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر
والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يومنوا بما انزل الله جميعا وبكل
ماجاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم
وعقباته كوده ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب
بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب متعارض والقلوب لما
القي اليها في مبدا النشو آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثايرة بين الخلق مسامير موكدة للعقايد الموروثة
او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا
بمخنقها اخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله تعالى وفي صفاته بالراي والمعقول مع
تفاوت الناس في قرايحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق
انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف
فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة لا يتعرضوا
لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه
بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين
علم اليقين ولتعلمن نباه بعد حين وينبغي ان ينشد في هولاء عند كشف الغطاء • احسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما ياتي به القدر • وسالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر • واعلم يقينا
ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من
انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرميه موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد
والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها
في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو امن من مكر الله مغتر
بعقله الناقص وكل خايض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور
المكاشفة الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر وانى يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر
البله من العوام او الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة
في سوء الخاتمة **اما السبب الثاني** فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف
الايمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث
حديث النفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك
في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفي ما فيه
من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله
ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتالم القلب باستشعار فراق الدنيا
ويرى ذلك من الله فيختلج في ضميره انكار ما قدر عليه من الموت وكراهية ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان
يثور في باطنه فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده
امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه
في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مويدا والسبب الذي يفضي
الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان لضعف حب الله

وعين اليقين

فن

٥٠٢

فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا
راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا
من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
فاذن من فارقته روحه في حالة خطر الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه
وبين اهله وماله وساير محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله تعالى قدوم
العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى
على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار
طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطايف الاكرام
وبدايع الانعام **واما الخاتمة الثانية** التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان
احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والاخرى ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي
سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره
الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله تعالى وان كان ميله
الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا
ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد
الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه
المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقلبه بها افرح منها بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ويعرف هذا بمثال
وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان انه يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى
الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي لم يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع
في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في التفقه
يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال
المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة
مع القلب بطول الالف او بسبب اخر من الاسباب والموت يشبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت
وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب
المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح ولذلك
تخالف ايضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة
في قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء الخاتمة وان كان اصل الايمان باقيا
بحيث يرجى له الخلاص منها كما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد
المنامات لها اسباب عند الله يعرف بعضها ولا يعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى
ما يناسبه اما بالمشابهة او بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه اما المشابهة فبان
ينظر الى جميل فيتذكر جميلا اخر واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت
بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل
الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وواسطتين مثل ان ينتقل

كثرة بيان

اصلا

في حالة اليقظة

من شيء الى شيء ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثانى ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه
وبين الثانى مناسبة وبين الثانى والاول مناسبة فكذلك الانتقالات الخواطر فى المنام لها اسباب
من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصى والشهوات فلا طريق
له الا بالمجاهدة طول العمر الا فى فطامه نفسه عنها وفى قمع الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذى يدخل
تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحاله سكرات الموت
فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل انه كان يلقن عند الموت كلمتى الشهادة
وهو يقول خمسه سته اربعه وكان مشغول النفس بالحساب الذى طال الفه له قبل الموت وقال بعض العارفين
من السلف ان العرش جوهرة يتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله فى العرش على الصورة التى
كان عليها واذا كان فى سكرات الموت كشفة له صورته العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك
يكشف له يوم القيمة فيرى احوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكر صحيح وسبب الرؤيا
الصادقة قريب من ذلك فان النايم يدرك ما سيكون فى المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء
من اجزاء النبوة فاذن يرجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى و
الاتفاقات المقتضيه لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه
تاثير فلهذا اعظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى فى المنام الا احوال
الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان كثره الصلاح والمواظبة غالبة عليه مما
يوثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب عليه مناسبة ما يظهر فى النوم
لما غلب فى اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا على الفارمدى رحمه الله يصف لى وجوب حسن ادب المريد لشيخه
وان لا يكون فى قلبه انكار لكل ما يقوله ولا فى لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخى ابو القسم الكرکانى مناما
لى وقلت رايت انك قلت لى كذا فقلت لم ذلك قال فهجرنى شهرا ولم يكلمنى وقال لولا انه كان فى باطنك
تجويز المطالبة وانكار ما اقوله لك لما جرى ذلك على لسانك فى المنام وهو كما قال اذ قل ما يرى الانسان
فى منامه خلاف ما يغلبه فى اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة من اسرار
امر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل فى علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان
يرى الاشيا كما هى عليه من غير جهل ويرجى جميع العمر فى طاعة الله تعالى من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك
محال او عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك
ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبيا والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة
لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضايعة ان لم تسلم فى النفس الاخير الذى عليه خروج
الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول انى لا عجب
ممن هلك كيف هلك ولكنى اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة
بروح المومن وقد مات على الخير والاسلام فعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا
وكان الثورى يوما يبكى فقيل له علام تبكى فقال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكى على الاسلام وبالجملة
من وقفت سفينته فى لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت على النجاة فى
حقه ابعد من الهلاك وقلب المومن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر
وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل

عن يقال صح

بعمل اهل الجنة خمسين سنه حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق من الكتاب ولا يتسع
فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هى الخواطر التى تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رايت
كانى ادخلت الجنة فرايت ثلثمائة نبى وستين نبيا فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا قالوا سوء الخاتمة
ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان الموت الفجاة مكروها اما الموت فجاة فلانه
ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلوا عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة او بنور
المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح فى حالة لم يبق فى القلب سوى حب الله تعالى وخروج حب
الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت
الا حبا لله تعالى وطلبا لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذى بايعه الله تعالى به اذ قال تعالى
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محاله ومخرج حبه
من القلب ومجرد حب العوض المطلوب فى قلبه ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب فى بعض الاحوال ولكن
لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد
الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل فى المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة
كما دلت عليه الاخبار واذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف منها فيها فاشتغل بالاستعداد لها وواظب
على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصى جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز
عن مشاهدة المعاصى ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يوثر فى قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك
واياك ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن
ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك فى كل تطريفه واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك
اذ يمكن ان تختطف فيها روحك هذا ما دمت فى يقظتك واما اذا نمت فاياك الا ان تنام الا على طهارة
الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة
اللسان بمجردها ضعيفة الاثر فاعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا
عليه وانه لا يغلب فى النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا تنبعث عن نومك الا على ما غلب على قلبك فى نومك
والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه فى يقظته ولا يستيقظ الا على
ما كان عليه فى نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا و
يقينا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وامن بهذا تصديقا
باعتقاد القلب ان لم تكن اهلا للمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك
واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك فى خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل
فالناس كلهم هلكى الا العالمون وهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على
خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن
والباقى كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغى ان يكون تناولك تناول مضطر
كاره له ولا تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك فى قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام الى البطن وبين
اخراجه فهما ضرورتان فى الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التى يشتغل بها قلبك فلا ينبغى ان يكون
تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك
من الطعام الا التقوى على عباد الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك يظهر فى ثلثة امور من

والعالمون كلهم صح

ماكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم
واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذايذ من الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان
قدرت على هذه الثلث وسقطت عنك مؤونة الشهوات اللذايذ وقدرت بعد ذلك على ترك الشبهات
وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بجميع الشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع
الحر والبرد وسترا لعورة فكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك وتضيع
زمانك ويلزمك الشغل الدايم والعنا القايم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة
وقس بهذا ما يدفع به الحر والبرد عن بدنك بكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه
لم يكن لك موقف وحد بعده بل كنت ممن لا يملا بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفتك
السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك
وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحايط سوى كونه حايلا بينك وبين
الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت برفع الحيطان وتزيين السقوف فقد تورطت
في مهواة يتعذر رقيتك منها وهذا جميع ضرورات امورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على
التزود لاخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم
يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير
والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفت فجاة في غير
وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت ما تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه لضعف خوفك
اذا لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان
تزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبيا والعلما والاوليا وعلمهم ومكانهم عند الله
لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في احوالهم لم اشتد
بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه
وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يوثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد
قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
وما الله بغافل عما تعملون

بيان احوال الانبيا والملائكة عليهم السلام في الخوف

روت عايشة رضي الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهوا وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد
في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرا صلى الله عليه وسلم اية في سورة الحاقة فصعق
وقال الله تعالى وخر موسى صعقا ورای رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبرئيل بالابطح فصعق وروي
انه عليه الصلوة والسلام كان اذا دخل في الصلوة يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال صلى الله عليه وسلم
ما جاءني جبرئيل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل
عليهما السلام يبكيان فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكا فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال
الله تعالى هكذا فكونا لا تامنا مكري هكذا وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها
فلما خلق بنو آدم عادت وعن انس انه عليه الصلوة والسلام سال جبرئيل ما لي لا ارى ميكائيل يضحك
فقال جبرئيل عليه السلام ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ويقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك احد منهم
منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم بها وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر وياكل قال فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت
يا رسول الله لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي
لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤن رزق سنتهم ويضعف اليقين
في قلوبهم قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع
العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد
بها حيوة فانية فان الحيوة بيد الله الا واني لا اكنز ذهبا ولا درهما ولا اخبا رزقا لغد وقال ابو الدردا كان
يسمع ازيز قلب ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه اذا قام في الصلوة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد
بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطا راسه فنودي يا داود
اجايع انت فتطعم ام ظمان فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة حتى هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله عليه التوبة
والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة وكان لا يبسط كفه لطعام ولا
لشراب ولا لغيره الا راها فابكته قال وكان يوتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه
على شفته حتى تفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه الصلوة والسلام انه ما رفع راسه الى السماء حتى مات
حياء من الله تعالى وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك
ارتدت الي روحي سبحانك الهي اتيت اطبا عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبوسا للقانطين من
رحمتك وقال الفضيل بلغني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال
فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن
ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق
العظام واشتعال الحشا وقبل ان يومر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقال
عبد العزيز بن عمير لما اصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين وروي
انه عليه الصلوة والسلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك فضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب اما ترحم بكائي
فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور
كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي
فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود
آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج
وقاري وشكا الي الوحدة فزوجته حوا امتي واسكنته جنتي فعصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا
داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا
على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلام كان اذا اراد ان ينوح على نفسه
مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النسا فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له
الى البرية منبر فيامر سليمن ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والاكام والجبال والبراري
والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود على نفسه فلياتي فيات الوحوش من البراري و
الاكام والسباع من الغياض وياتي الهوام من الجبال وياتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من خدورهن ويجتمع
الناس لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمن
عليه السلام قايم على راسه فياخذ في الثنا على ربه فيضجون بالبكا والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فيموت

الهوام وطايفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ فى اهوال يوم القيمة وفى النياحة على نفسه فيموت من كل
نوع طائفة فاذا راى سليمن كثرة الموتى قال يا ابتاه قد خرقت المستمعين كل ممزق وماتت طوايف من بنى اسرايل
ومن الوحوش والهوام فياخذ فى الدعا فبينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بنى اسرايل عجلت يا داود بطلب
الجزا على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادى
الا من كان له مع داود حميم او قريب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت
المراة تاتى بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع
يديه على راسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه وقال يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجى ربه
فياتى سليمن ويقعد على الباب ويستاذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقوى بهذا على ما تريد
فياكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بنى اسرايل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشى خرج داود ذات يوم
بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج فى اربعين الفا فمات منهم ثلثون الفا وما رجع الا فى عشرة الاف قال وكان
له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان تتفرق
اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر رضى الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليه السلام بيت المقدس وهو
ابن ثمانى سنين فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقى
وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان
يلعبون فقالوا يا يحيى هلم بنا نلعب فقال انى لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا
فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويسرجه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطواد الارض
وغيران الشعاب فخرج ابواه فى طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه فى الماء وقد كاد العطش
يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق باردا لشراب حتى اعلم اين مكانى منك فساله ابواه ان
يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده ابواه الى بيت
المقدس فكان اذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر ويبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم
يزل يبكى حتى اخرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بنى لو اذنت لى ان اتخذ
لك شيئا توارى به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتى لبود فالصقها على خديه فكان اذا
قام يصلى بكى فاذا استنقعت دموعه القطعتين اتت اليه امه فعصرتهما فاذا راى دموعه تسيل على ذراعى
امه قال اللهم هذه دموعى وهذه امى وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا يا بنى انما سالت ربى ان
يهبك لى لتقر عيناى بك فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرنى ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها
الا كل بكاء قال زكريا عليه السلام فابك يا بنى وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس
يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب
فى طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا
فى ميل فياتيه جبريل ويقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل
اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى فهذه احوال الانبيا عليهم السلام فدونك والتامل فيها وانهم اعرف خلق الله
بالله تعالى وبصفاته

بيان احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين فى شدة الخوف

روى ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه قال لطاير ليتنى مثلك يا طاير ولم اخلق بشرا وقال ابوذر وددت لو انى
شجرة تعضد وكذلك قال طلحة وقال عثمان وددت انى اذا مت لم ابعث وقالت عايشة رضى الله عنها وددت

انى كنت نسيا منسيا وروى ان عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القران خر مغشيا عليه
وكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال ليتنى كنت هذه التبنة يا ليتنى لم اك شيئا مذكورا يا ليتنى
كنت نسيا منسيا يا ليتنى لم تلدنى امى وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان اسودان من الدموع وقال عمر من
خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون ولما قرا عمر رضى الله
عنه اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلى
ويقرا سورة والطور فوقف يسمع فلما بلغ الى قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى حايط ومكث
زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال على كرم الله وجهه وقد سلم عن صلوة
الفجر وقد علاه كابة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد
كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون
بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا الله مادوا كما تميد الشجر فى يوم الريح العاصف وهملت اعينهم
الدموع حتى تبل ثيابهم والله كانى بالقوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله ثم قام فما راى بعد ذلك ضاحكا
حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن الحصين لوددت انى رماد تنسفنى الرياح فى يوم عاصف وقال ابو عبيدة
ابن الجراح وددت انى كبش فيذبحنى اهلى فياكلون لحمى ويحسون مرقى ولا اعاين اهوال يوم القيمة وقال
ابن مسعود لو خيرت بين ان ابعث وادخل الجنة وبين ان لا ابعث لاخترت ان لا ابعث وكان على بن الحسين
اذا توضى اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدى من اريد
ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثورى كان النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه
وقرا مضر القارى يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الاية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه ثم افاق
وقال وعزتك لا عصيتك جهدى ابدا فاعنى بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع
القران من شدة خوفه ولقد كان يقرا عنده الحرف او الاية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من
خثعم فقرا عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين
ولست من المتقين اعد على القول ايها القارى فاعاد عليه فشهق شهقة فلحق بالاخرة وقرى عند يحيى البكا
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف البصرة وقال مالك
ابن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية المتعبدة متعلقة باستار الكعبة وهى تقول يا رب كم من
شهوة ذهب لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة تعاقب بها العاصى الا النار وتبكى
فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رايت ذلك وضعت يدى على راسى صارخا اقول ثكلت
مالكا امه وروى ان الفضيل راى فى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت
الشمس ان تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسوتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس
وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح
والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدى ربنا موقفنا ومر الحسن بشاب
وهو مستغرق فى ضحكه جالس مع قوم فى مجلس فقال له الحسن يا بنى هل مررت بالصراط قال لا قال وهل تدرى
الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما راى ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد
بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمانيت فيقول تلك جلسة الآمن وانا غير امن
اذ عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة فى قلوب العباد رحمة كى لا يموتوا من خشية الله

وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان امرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق
بالعبد الابق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة وقد لقي ادم فيها مالقي
ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقي مالقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن
اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر منزلة عند الله تعالى من محمد صلى الله
عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السري اني لانظر الى انفي كل يوم مرات مخافة ان يكون قد
اسود وجهي وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تعالى ينظر الى نظر السخط واعمالي
تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترات البارحة على الله تعالى سالته الجنة
وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت حدثا
موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي وانا على بعض
ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا
اليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية الله فكان يبكي
حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم
جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروي عن ابن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال
يا ليت امي لم تلدني قالت امه يا ميسرة ان الله تعالى قد احسن اليك هداك للاسلام قال اجل ولكن الله
قد بين لنا انا واردوا النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك
عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمسماية عذراء لباسهن الصوف والمسوح فذكرن
ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسال الله تعالى الجنة
ابدا انما كان يسال العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا
للشهوة ويقال انه ما رفع راسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع راسه يوما فسقط فانفتق
في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او برق
او غلاء طعام قال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطا خرجنا مع عتبة الغلام
وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم
في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون كان جلودهم قشور
البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان الله العاصين فبينما
هم يمشون اذ مر بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا
فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسالوه عن امره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان
وقال صالح المري قرات على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار الاية فصعق ثم افاق وقال
زدني يا صالح فاني اجد غما فقرات كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا وروي ان زرارة بن اوفى
صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرا فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي
على عمر بن عبد العزيز قال عظني يا يزيد فقال اعلم يا امير المؤمنين انك لست اول خليفة تموت فبكى ثم قال
زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين ادم اب الا ميت فبكى فقال زدني يا يزيد فقال يا امير
المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الاية
وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلثة ايام لا يقدر عليه

ورای داود الطائي امراة تبكي على راس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري باي خديك بدا به
الدود اولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض بوله على طبيب ذمي فقال هذا
رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله وقال احمد بن حنبل رحمة الله عليه
سالت الله تعالى ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح علي فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن
قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم
لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكانه اشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل ابن عياض فاطلع
عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة ويحكم ليس هذا زمان حديث
انما هذا زمان البكاء والتضرع والاستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف
مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وروي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له الى اين فقال
لا ادري وكان يمشي والهاما من الخوف وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد
فاذا تكلمت فسمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستاجرة وحكي ان
قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله فقال روعة يجدها الخائفون في
قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله تعالى وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد
كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارني شيئا
من بعض عجايب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل
خوصا فقرات اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة
وخر مغشيا عليه فاستاذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقرات ذلك لمن خاف مقامي
وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا
فادرنا على ستة انفس كل يخرج من عنده ويتركه مغشيا عليه ثم اتينا السابع فاستاذنا فاذا امراة من
وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ جالس في مصلاه سلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت
عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح
بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امراته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة
وكان يزيد بن الاسود فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلثة قد افاقوا وثلثة قد لحقوا بالله تعالى
واما الشيخ فانه مكث ثلثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا ما يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلث عقل وكان يزيد
بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا
ابدا فما روي ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني
انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد
اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسالني
عن حالي ما ظنك بقوم ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم
بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حالة شديدة وقال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر
بن عبد العزيز على عمر فسلمت عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها
فرقدت فاشتكت في منامها فايقظها وقال لها ما لك فقالت يا امير المؤمنين اني رايت والله عجبا

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فدخلنا عليه فقرات هذه الآية فشهق شهقة فخر مغشيا عليه
صح

قال وما ذاك قال رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال لهيبه فقال
فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفى به الصراط فهوى الى جهنم فقال هيبه
قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفى به الصراط فهوى الى جهنم
فقال عمر هيبه قالت ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفى به الصراط فهوى
كذلك فقال عمر هيبه قالت ثم جيء بك والله يا امير المومنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خر مغشيا
عليه فقامت اليه فقالت والله فجعلت تنادي في اذنه يا امير المومنين اني رايتك والله حتى نجوت
قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجله ويحكى ان اويس القرني كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه
فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل
رضي الله عنه ان المومن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع
فيتقلى كما يتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم
نوم الخايفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام ويا ليتني كنت ذلك الرجل وانما قال
ذلك لخوفه الخلود بسوء الخاتمة وروى انه ماضحك اربعين سنة قال وكنت اذا رايته قاعدا كانه
اسير قد قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الاخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كان النار
تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يومنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره
فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معتمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس
فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد وعظت القوم بكلمة ما كنا نبالي الا نسمع غيرها قلت
وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخايفين طول الخلودين اما في الجنة واما في النار ثم غاب
عني فتفقدته في المجلس الاخر فلم اره فسالت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده قلت يا
اخي ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين
اما في الجنة واما في النار قال ثم مات رحمه الله فرايته في المنام فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال
غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبيا والاوليا والعلما ونحن
اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلب وكمال المعرفة والا فليس امننا
لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهواتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدنا عن ملاحظة احوالنا
غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين
تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا ان كان
تحريك اللسان بمجرد السوال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجايب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا
وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا واذا اردنا طلب رتبة بالعلم تفقهنا وتعبنا في حفظه
وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا
ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدايم المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي
اليه رجاونا وبه اغترارنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا
ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا واما نينا وما هذه
الا محنة هايلة وان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا
بل نساله ان يسوق الى التوبة سراير قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسوال التوبة غاية حظنا فنكون

ممن

ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل واذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا
علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من
حكاية احوال الصالحين الخايفين على ما اوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكتفي والكثير
منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني
وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقى دمعه
من كثرة البكا قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك
فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خايف
حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة
في ليله وان امن المغترون وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيا عسى
ان ينفعني فقال الظمان يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان القلب الصافي تحركه ادنى مخافة والقلب الجامد
تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان تظن انه تقدير بل هو
تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل
الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والريا وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك
ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها
قد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت
بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها
وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك
وجسمك والسلام تم كتاب الرجاء والخوف والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله وصحبه اجمعين ويتلوه كتاب الفقر والزهد وهو الرابع من المنجيات

كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم احشرنا في زمرة السالكين الحمد لله الذي يسبح له الرمال ويسجد
له الظلال وتدكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم
واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والاصال
ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال فلاح له من البهجة البها والكمال
ما استقبح دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال واستثقل كل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال
وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امراة جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوز شوها عجنت من طينة
الخزي وضربت في قالب النكال وهي متلفقة بجلبابها لتخفي قبايح اسرارها بلطايف السحر والاحتيال
وقد نصبت حبايلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تجتزي معهم بالخلف
في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبتليهم بانواع البلايا والانكال فلما
انكشف للعارفين منها قبايح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر
في الاموال واقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واثقين منها بوصال ليس لهم فصال ومشاهدة ابدية
لا يعتريها فناء ولا زوال والصلوة على سيدنا محمد وآله وصحبه خير صحب وآل **اما بعد** فان الدنيا
عدوة الله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها راس الخطايا والسيات وبغضها ام الطاعات
واس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن نذكر

الآن فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات ولا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد
منها ولكن مقاطعتها اما ان يكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك
زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر
حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب
والزهد في شطر آخر منه ونبدا بذكر الفقر **الشطر الاول من الكتاب في الفقر** وفيه بيان حقيقة الفقر
وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقرا وبيان فضل الفقر على الغنا وبيان ادب الفقير
في فقره وبيان ادبه في قبول العطا وبيان تحريم السوال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسوال
وبيان احوال السايلين **بيان حقيقة الفقر** واختلاف احوال الفقير واساميه اعلم ان الفقر عبارة
عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه لا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه
لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام
الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان في الوجود موجود ليس
وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الوجود الا واحد فليس في
الوجود الا غني واحد وكل ما عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله
تعالى والله الغني وانتم الفقرا هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر
من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا تحصرها ومن جملة حاجاته ما يتوصل
اليه بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال
الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقد ونحن
نميزها ونخص كل حال منها باسم به يتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها **الحالة الاولى** وهي العليا ان يكون
بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم
صاحبه الزاهد **الثانية** ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها
ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا **الثالثة** ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة
له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في
طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة يسمى قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه
من الرغبة الضعيفة **الرابعة** ان يكون تركه للطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه
ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة يسمى الحريص **الخامسة** ان يكون ما فقده
من المال مضطرا اليه كالجايع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف
ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقل ما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة
احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي
بيانه وورا هذه الاحوال الخمس حالة هي اعلى من الزهد وهو ان يستوي عنده وجود المال وعدمه فان وجده
لم يفرح به ولم يتاذى وان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عايشة الصديقة رضي الله عنها اذ اتاها
مائة الف درهم من العطا فاخذته وفرقته في يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان
تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها
في يده وخزاينها لم يضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون

في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا
ولتفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله
من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن وجود المال في يده لا عن بقايه في يده
فهو اذن فقير من وجه واما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقايه في يده وعن خروجه
عن يده ايضا لانه ليس يتاذى به ليحتاج الى الخروج وليس يفرح به ليحتاج الى البقا وليس فاقدا له
ليحتاج الى الدخول في يده فغناه الى العموم اميل فهو الى الغني الذي هو وصف الله تعالى اقرب وانما
قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا
ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شي واما هذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم
يستغن عن اشيا آخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله تعالى له ليبقى استغناوه الذي زين الله به قلبه
فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذه الرق فهو
محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين
من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا **فاعلم** ان الزهد
درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات
الابرار سيات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله
تعالى حجاب عن الله عز وجل اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من
حبل الوريد وليس هو في مكان حتى يكون السموات والارضون حجابا بينك وبينه فانه اقرب اليك منك
فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وبشهواتك شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا
بنفسك وبشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى
بل كل ما سوى الله عز وجل مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت
قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه
مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما
ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك النظر الى غيره
لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الآخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب
بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة ولا يجتمع ايضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول
ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد
اذ يرجى له والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان يزول
هذه الغفلة ويتبدل بالشهود فالكمال له مترقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله تعالى فالمحب والمبغض
كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر القبلة والآخر مستقبل
الكعبة فهما سيان بالاضافة الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل
محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول اليها وليس بمحمود بالاضافة الى المعتكف في الكعبة الملازم
لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان تظن ان بغض الدنيا
مقصود في عينه بل بغض الدنيا عايق عن الله تعالى ولا وصول اليه الا بدفع العايق ولذلك قال ابو سليمن
الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة فبين ان طريق سلوك

مشغولا بالدنيا صح

فالمشغول ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كلما سوى الله تعالى ع

الاخرة ورآء الزهد كما ان سلوك طريق الحج ورآء دفع الغريم العايق عن الحج فاذن قد ظهران الزهد في الدنيا
ان اريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة
الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي
عندك المآء والمال وكثرة المآء في جوارك لا يوذيك بان تكون على شاطي البحر ولا قلته يوذيك الا في قدر
الضرورة مع ان المآء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار المآء
الكثير ولا ببغض المآء الكثير بل يقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا
ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والمآء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة
احدهما وكثرة الاخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك
من الخبز ياتيك لا محاله ما دمت حيا كما ياتيك قدر حاجتك من المآء على ما سياتي بيانه في كتاب التوكل
وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمن الداراني قال مالك بن دينار لمغيره اذهب الى البيت فخذ
الركوة التي اهديتها لي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمن هذا من ضعف
قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها فبين لك كراهيه كون الركوة في بيته التفات اليها
سببه الضعف والنقصان **فان قلت** فما بال الانبيا والاوليا هربوا من المال ونفروا منه كل النفار
فاقول كما هربوا من المال ونفروا منه كل النفار بمعنى انهم ما شربوا اكثر من حاجتهم فنفروا عما راوها
ولم يجمعوا في القرب والروايا يديرونهم مع انفسهم بل تركوه في الانهار والبرادي للمحتاجين اليه لانهم
كانت قلوبهم مشغوله بحبها او ببغضها وقد حملت خزاين الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم المآء والمال
والذهب والحجر وما نقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن خاف ان لو اخذه ان يخدعه المال او يقيد
قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفا فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم
جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبيا والاوليا واما ان ينقل من قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار
نزولا الى درجة الضعفا ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين
اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه انه لو اخذها اخذها اولاده اذا راوها فهلكوا والسير
بسيرة الضعفا ضرورة الانبيا والاوليا والعلما فقد عرفت اذن ان المراتب ستة وان اعلاها رتبة
المستغني ثم الزاهد ثم القانع ثم الحريص فاما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة
ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه الخمسه اما تسمية المستغني
فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره
عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقر له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية
فاقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك الفقر عام ومن
عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو احق باسم الفقر واسم الفقر مشترك من هذين المعنيين واذا عرفت
هذا الاشتراك فهمت ان قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر وقوله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر
ان يكون كفرا لا يناقض قوله عليه الصلوة والسلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ فقر المضطر
هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي
ساله عليه الصلوة والسلام في دعايه **بيان فضيلة الفقر مطلقا** اما من الايات فيدل عليه قوله تعالى

والابارع

للفقرآء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم الاية وقوله تعالى للفقرآء الذين احصروا في سبيل الله
لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ساق الله سبحانه وتعالى الكلام في معرض
المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح للفقراء واما
الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال عليه الصلوة
والسلام نعم هذا الرجل وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام فقير يعطي جهده
وقال عليه الصلوة والسلام لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا وقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى
يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وفي
حديث آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص
والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب الحريص وما ذكرناه من اختلاف درجات
الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين
درجة من الفقير الزاهد هذه نسبة الاربعين خريفا الى خمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يستنطق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه
لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين
فاما بالتحقيق فلا اذ تعلم ان النبوة عبارة عما تختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من
الخواص احدها انه يعرف حقايق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الاخرة لا كما يعلمه
غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه صفة
بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا
وهي القدرة وان كان القدرة جميعا من فعل الله تعالى والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم
كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون
في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطلع على اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات
وصفات يعلم ثبوتها للانبيا ويعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين
والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ست واربعين بحيث يقع الرؤيا الصحيحة
جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الا بظن وتخمين
ولا يدري تحقيقا انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا وانما المعلوم بجامع الصفات التي بها
تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير وكذلك نعلم ان الفقراء لهم درجات
كما سبق فاما لو كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له
التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس في قوة غير الانبيا الوقوف
على ذلك الا بنوع من التخمين ولا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير في امثال هذه الامور فان
ضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاش لله
ان منصب النبوة يكون كذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم ايضا خير هذه الامة
فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال عليه الصلوة والسلام ان لي حرفتين اثنتين من احبهما

وحاشا منصب النبوة عن ذلك

فقد احبنى ومن ابغضهما فقد ابغضنى الفقر والجهاد وروى ان جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول تحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وفضة وتكون
معك حيث ما كنت فاطرق النبى صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له ويجمعها من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى ان عيسى عليه
السلام مر فى سياحته برجل نايم ملتف فى عباءة فايقظه وقال يا نايم قم فاذكروا الله تعالى وقال ما تريد
منى انى قد تركت الدنيا لاهلها قال فنم اذن حبيبى فنم ومر موسى عليه السلام برجل نايم على التراب وتحت
راسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا فى الدنيا ضايع فاوحى
الله اليه يا موسى اما علمت انى اذا نظرت الى عبدى بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابى رافع انه
قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلنى الى رجل من يهود خيبر
وقال قل له يقول لك محمد اسلفنى او بعنى دقيقا الى هلال رجب فقال فاتيته فقال لا والله الا برهن
فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه الصلوة والسلام اما والله انى لامين فى اهل السما
وامين فى اهل الارض ولو باعنى واسلفنى لاديت اليه اذهب بدرعى هذا اليه فارهنته فلما خرجت
نزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا الاية تعزية له
عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر ازين بالمومن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله
عليه وسلم من اصبح منكم امنا فى سربه معافا فى جسمه عنده قوت يومه كانما حيزت له الدنيا بحذافيرها
وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا عليك فقل مرحبا
بشعار الصالحين واذا رايت الدنيا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال عطاء الخراسانى مر نبى من
الانبيا بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج فيها شى ثم مر باخر
فقال باسم الشيطان والقى شبكته فخرج منها من الحيتان ما كاد يتقاعس من كثرتها فقال النبى يا رب ما هذا
وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملايكة اكشفوا لعبدى عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله
تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضيت يا رب رضيت والامر لك عزت قدرتك وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت فى الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا واطلعت فى النار فرايت اكثر اهلها الاغنيا
والنسا وفى لفظ اخر فقلت اين الاغنيا قال حبسهم الجد وفى حديث اخر فرايت اكثر اهل النار النسا
فقلت ما شانهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال عليه الصلوة والسلام تحفة المومن
فى الدنيا الفقر وفى الخبر آخر الانبيا دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه واخر اصحابى دخولا الى
الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفى خبر اخر رايته دخل الجنة زحفا وقال عيسى عليه السلام بشده يدخل
الغنى الجنة وفى خبر عن اهل البيت عليهم السلام انه قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا
احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفى الخبر اذا رايت الفقر مقبلا
فقل اهلا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام
يا رب من احباوك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون الثانى للتاكيد
ويمكن ان يكون الثانى المراد به الشديد الضر وقال عيسى عليه السلام انى لاحب المسكنة وابغض النعما
وكان احب الاسامى اليه ان يقال له يا مسكين ولما قال سادات العرب واغنياؤهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اجعل لنا يوما يجيون اليك ولا يجى ذلك اليوم يعنون بذلك الفقرا مثل بلال وصهيب وسلمان

رسول الله

فقد فقت العابدين

وابى ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابى هريرة واصحاب الصفة من الفقرا رضى الله عنهم فاجا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه انهم يتاذون برايحتهم لانه كان لباس القوم
الصوف فى شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروايح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنيا منهم الاقرع بن حابس
التميمى وعيينة بن يزيد الفزارى وعباس بن مرداس السلمى وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا يجمعهم واياهم مجلس فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون
وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعنى الفقرا تريد زينة الحيوة الدنيا يعنى الاغنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا يعنى الاغنيا وقل الحق من ربكم مع الفقرا فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر الاية ولما استاذن
ابن ام مكتوم على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف قريش شق ذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى يعنى ابن ام مكتوم
اما من استغنى فانت له تصدى يعنى هذا الشريف من قريش وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوتى
بالعبد يوم القيمة فيعتذر الله تعالى اليه كما يتعذر الرجل الى الرجل فى الدنيا فيقول عز وجل وعزتى
وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدى
الى هذه الصفوف فمن اطعمك فى او كساك فى يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد
الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فياخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه الصلوة والسلام
اكثروا معرفة الفقرا واتخذوا عندهم الايادى فان لهم دولة يوم القيمة فقالوا يا رسول الله ما دولتهم
قال اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا الى من اطعمكم كسرة او سقاكم شربة او كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به
الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامى فنظرت فاذا بلال ونظرت فى اعلاها
فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت الى اسفلها فاذا فيهم من الاغنيا والنسا قليل فقلت يا رب ما شانهن
قال اما النسا فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنيا فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابى
فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ما خلفك عنى قال اما والله يا رسول الله ما
خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت انى لا اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالى فانظروا
الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين
بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا
ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل عليه الصلوة والسلام على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال
فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال لهم الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل
ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذى طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لابره وقال عمران بن الحصين كانت
لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاه فهل لك فى عيادة فاطمة
عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابى انت وامى يا رسول الله فقام وقمت معه
حتى وقف بباب فاطمة عليها السلام والرحمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت فاطمة بابى انت
وامى يا رسول الله ادخل فقال انا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن الحصين فقالت
فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا
جسدى قد واريته فكيف براسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على راسك ثم اذنت له

بالرجل

فقال السلام عليك يا بنتاه كيف اصبحت قالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر
على طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت
طعاما منذ ثلث واني اكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكني اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب
بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة قالت فاين اسية امرة فرعون ومريم بنت
عمران قال اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء
عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك
سيدا في الدنيا سيدا في الاخرة وروى عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ابغض
الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان
والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعدا **واما الاثار** فقد قال ابو الدردا
رضي الله عنه ذو الدرهمين اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار
فجاء الى منزله كئيبا حزينا فقالت امراته احدث امر فقال اشد من ذلك ثم قال ارني درعك الخلق
فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنيا بخمسماية عام حتى ان الرجل من الاغنيا يدخل في غمارهم فيوخذ بيده
ويستخرج قال ابو هريرة ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه
ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعى بشرابه فلا يقال له ايها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري
فقال له لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقرا بكثرة تقريبه للفقرا واعراضه
عن الاغنيا وقال المومل ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلسه وقال
بعض الحكما مسكين ابن ادم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة
كما يرغب في الدنيا لفاز بهما جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر
وقال لقمن لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقرا
من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين
وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني
فاصب الدنيا عليك صبا ولقد كانت عايشة رضي الله عنها تفرق ماية الف درهم في يوم واحد
يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها المرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم
لحما تفطرين عليه وكانت صايمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اذا اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقرا واياك ومجالسة الاغنيا ولا تنزعي درعك
حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم بعشرة الف درهم فابى ان يقبلها فكرر عليه القول فقال ابرهيم
تريد ان امحو اسمي من ديوان الفقرا بعشرة الف درهم لا افعل **بيان فضيلة خصوص الفقرا
من الراضين والقانعين والمتصدقين** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للاسلام
وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقرا اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب
فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن
العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سياتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضى هو الكراهة
لفعل الله تعالى في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله

ولا يستحب صح

تخطى صح

ولو خاف الله بالباطن كما يخاف خلقه بالظاهر لسعد في الدارين جميعا صح

بلغ المقابلة

فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لكل شي مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرا الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروي
عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي
عن الله وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم
القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم
قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال عليه السلام لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال
عليه الصلوة والسلام يقول الله عز وجل يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا
ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطاي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون
ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي واما الزاهد فسنذكر فضله في
الشطر الثاني من الكتاب ان شاء الله **واما الاثار** في القناعة والرضى فكثيرة ولا يخفى ان القناعة
يضادها الطمع قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى فانه من ييأس عما في ايدي الناس وقنع
بما في يده استغنى عنهم قال ابن مسعود رضي الله عنهما ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش
يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك قال ابو الدردا ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك
انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك
ويح ابن ادم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكما ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما
يكفيك وقيل كان ابرهيم ابن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم اذ نظر الى
رجل في فناء القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به
اليه فقال له ابرهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت
طيبا قال نعم فقال ابرهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر
بن قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على
من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الاخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا
يابسا فيبله بالماء وياكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن لعن الله
اقواما اقسم الله لهم فلم يصدقوه ثم قرا وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق
مثل ما انكم تنطقون وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امراته فقالت تجلس بين هولاء والله
ما في البيت هفة ولا سفة من دقيق فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل
مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون المصري اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل
لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله
تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت
فاذا انا اعطيتك القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقد قيل في القناعة شعر
اضرع الى الله لا تضرع الى الناس ۝ واقنع بياس فان العز في الياس ۝ واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم
ان الغني من استغنى عن الناس ۝ وقيل ايضا شعر يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ۝ مقدرا اي باب منه
يغلقه ۝ مفكرا كيف تاتيه منيته ۝ اغاديا ام بها يسري فتطرقه ۝ جمعت مالا ففكر هل جمعت له ۝ يا جامع
المال اياما تفرقه ۝ المال عندك مخزون لوارثه ۝ ما المال مالك الا يوم تنفقه ۝ ارفه ببال فتى يغدو على ثقة

ان الذي قسم الارزاق يرزقه ۝ فالعرض منه مصون لا يدنسه ۝ والوجه منه جديد ليس يخلقه ۝
ان القناعة من يحلل بساحتها ۝ لم يلق في ظلها هما يورقه **بيان فضل الفقر على الغنى** اعلم ان الناس
قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطا الغنى الشاكر القائم
بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد دعا على ابن عطا لمخالفته اياه في هذا فاصابته محنة
وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة
في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرا
الاخبار والاثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما
فقير صابر وليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راضي بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات
ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل
من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول
فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب الى الله
بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطا فيما نحسبه واما الغني المتمتع
بالمال فان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقرا
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنيا بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات
في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنيا فتعلم الاغنيا ذلك وكانوا يقولونه فعادوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهد ابن عطا لما سئل عن ذلك فقال الغني افضل لانه من وصف الحق
اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير
في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشا فقد روى زيد
بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقرا رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول
الفقرا اليك قال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله
ان الاغنيا ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا فضل اموالهم
ذخيرة لهم فقال صلى الله عليه وسلم بلغ الفقرا عني ان لمن صبر واحتسب منكم ثلث خصال ليست في الاغنيا
اما خصلة واحدة فان الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السما لا يدخلها
الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقرا الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو
خمسماية عام الثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك
لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة الف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فاخبرهم بما قال عليه
الصلوة والسلام فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشا اي يزيد ثواب
الفقرا على الذكر واما قوله ان الغنى وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق تعالى غني عن
الاسباب والاعراض فانقطع فلم ينطق واجاب اخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي ان
يكون افضل من التواضع ثم قال بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد
كالخوف والرجا وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روي عنه نبينا
صلى الله عليه وسلم العظمة ازاري والكبر يا ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقا
شرك في الربوبية ومنازعة فيهما لانهما من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغني

فاخبرهم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشا
صح

والفقر

ومدح الفقر
صح
بالجهل والغفلة لان العلم والمعرفة وصف الرب
صح

والفقر وحاصل الكلام يتعلق بعمومات تقبل التاويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما
تناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك تناقض قول من ذم الغنى لانه صفة الحق
وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل
الجهل على العلم فكشف الغطا في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل لغيره
فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة لعينها ولكنها لكونها
عايقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب بعينه ولكن لان فيه فقد العايق عن الله وعدم
التشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله تعالى مثل سليمان بن داود عليهما السلام وعثمان وعبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنهما وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله
تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر
قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل عن التحقيق حب الدنيا اذ لا
يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشي مشغول به سوا كان في فراقه او في وصاله وربما يكون
في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بطلبها
والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال
في حقهما كالما استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر
الحاجة افضل من فقده اذ الجايع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار
الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السرا اشد من فتنة الضرا ومن العصمة ان لا يقدر ولذلك
قال الصحابة بلينا بفتنة الضرا فصبرنا وبلينا بفتنة السرا فلم نصبر وهذا خلقة الادميين كلهم الا
الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا النادر ولما كان خطاب الشرع مع كل واحد
لا مع النادر والضرا اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه
حتى قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال
بعض العلما تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار
والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوى الما والمال والذهب والحجر
انما يتصور الانبيا والاوليا ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وسلم
يقول للدنيا اليك عني اليك عني اذ كانت تتمثل له بزينتها وكان علي عليه السلام يقول يا
صفرا غري غيري ويا بيضا غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا
ان راي برهان ربه وذلك هو الغنا المطلق اذ قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنا عن كثرة العرض انما
الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذن الاصلح بكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه
الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة
في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة
وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت
اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا
بالله تعالى انصرف لا محالة الى الله تعالى ولا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن
اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه فقد تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الاخر

لا حاجة لي بك
صح

وقربه من احدهما بقدر بعده من الاخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما
يقرب من احدهما يبعد من الاخر بل عين القرب من احدهما هو عين البعد من الاخر فعين حب الدنيا عين هو
نقص حب الله فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا وانسه بها فاذن فضل الفقر والغنى
بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط وان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور
فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به اذا فقده فليجرب
نفسه بتفريقه واذا سرق منه شيء فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع
سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة
فيه فتحقق اذا انه كان مغرورا وان العشق كان مستكنا في الفواد استكنان النار تحت الزناد وهذا حال
كل الاغنيا الا الانبيا والاوليا واذا كان ذلك محالا او بعيدا فنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق
وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته
فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس بالمذكور فلا يكون تاثيره في اثارة الانس
في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو في طلب الدنيا
مثل من يطفي النار بالحلفا ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك قال ابو سليمان الداراني تنفس فقير دون
شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فراي شيئا يشتهيه فصبر
واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله عز وجل وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد
اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان
دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل
العقد الجوهر في جيد الحسنا وقد كانوا يكرهون سماع العلم والمعرفة من الاغنيا وقد قال الصديق رضي الله عنه
اللهم اني اسالك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كمال حاله يحذر
من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده وهذا مع ان احسن احوال الغني ان ياخذ
حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيمة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد
عذب ولهذا قد تاخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما راه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهذا قال ابو الدردا رضي الله عنه ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد ولا تخطيني فيه صلوة وذكر
واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب وكذلك قال
سفين الثوري اختار الفقرا ثلثة اشيا والاغنيا ثلثة اشيا اختار الفقرا راحة النفس وفراغ القلب
وخفة الحساب واختار الاغنيا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره بن عطا من ان الغنى
وصف الحق فهو صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما
فاما اذا كان غنيا بوجوده مفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غناء الله تعالى لان الله عز وجل غني بذاته
لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله تعالى ليس غنيا بالاعراض
والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح فان
العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله عز وجل وقد سمعت بعض
المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل ان يقطع الطريق تصير الاسماء التسع والتسعون اوصافا
له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله

واما التكبر على من يستحقه كتكبر المومن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فذلك يليق به
نعم قد يراد به التكبر الزهو والصلف والايذا وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله عز وجل انه اكبر
من كل شيء وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليها ولكن بالاستحقاق
كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المومن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم
اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله تعالى منها فلو راى نفسه بهذه
الصفة روية محققة لا شك فيها لكان صفة الكبر حاصلا له ولايقا به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له
الى معرفة فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تتفق فلجهله به وجب ان لا يعتقد
لنفسه رتبته فوق الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان وقد يختم له بالكفر فلم يكن ذلك لايقا به لقصور
علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو بعض الاشيا قد يضره صار ذلك نقصا في حقه
اذ ليس من اوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الامور التي لا يتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا جرم
هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبيا والاوليا والعلما فاذا الواستوى عنده وجود المال وعدمه فهو نوع
من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا
فضيلة فيه اصلا فهذا ابيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر بيان المقام الثاني في نسبة
حال الفقير الحريص الى حال الغني الحريص ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له
ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ننظر ان كان مطلوبه ما لا بد منه
في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل لان الفقد يشغله
بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفي هو القادر ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان
يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر
الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك السبيل فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا
في الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا في ان كل واحد
ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يانس بما وجده فيتاكد حبه في قلبه
ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص
عنه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة
اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الاخرة بقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب
شديد فينبغي ان تحب ما لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت
الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق
محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه له وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا القادر عليها بالدنيا اكثر
من انس الفاقد لها وان كان بها حريصا فاذن قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل
والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين احدهما غنى مثل غنى عايشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود
والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقرا والمساكين وجمع هممهم والثاني الفقر عن
مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده بمقدار حبه

بقدر حوبته ليستعين بقوته وحوبته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه اقل فالاصلح له ان
يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول في الغني والفقر ويبقى النظر في فقير حريص منكالب
على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه لفقد المال لو فقده
كتفجع الفقير بفقده فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما
بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه **بيان اداب الفقير في فقره** اعلم ان للفقير ادابا
في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما في ادب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه
الله تعالى به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم
يكون كارها للحجامة لتالمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منة منه فهذا
اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقرا
اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون
راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى
واثقا به في قدر ضرورته انه ياتيه لا محالة رزقه ويكون كارها للزيادة على الكفاف قال علي كرم الله وجهه
ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات به فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع فيه ربه
ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه بترك طاعته
ويكثر الشكاية ويتسخط القضا فهذا يدل على ان كل فقر ليس بمحمود بل الذي لا يتسخط ويرضى ويفرح بالفقر
لعلمه بثمرته في الثاني ولهذا قيل ما اعطي عبد شيئا في الدنيا الا قيل له خذه على ثلثة اثلاث شغل وهم
وطول حساب واما اداب الظاهر فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره
ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ~~والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر~~ ابا العيال
قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف الاية وقال سفين رحمه الله افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال
بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما في اعماله ان لا يتواضع للغني لاجل غناه بل يتكبر عليه وقال علي عليه السلام
ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله عز وجل واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل
فهذه رتبة واجل منها ان لا يخالط الاغنيا ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري
اذا خالط الفقير الاغنيا ورغب في مجالستهم فاعلم انه مراي واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال
بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنيا انحلت عروته فاذا طمع منهم انقطعت عصمته واذا سكن اليهم
ضل سعيه وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنيا وطمعا في العطايا واما ادبه في افعاله فبان
لا يفتر بسبب الفقر عن عبادته ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال
كثيرة تبذل عن ظهر غنى روي عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل
عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم
فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل
من صاحب مائة الف وينبغي ان لا يدخر مالا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلث درجات
احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية ان لا يدخر الا اربعين يوما
فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلما ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه
الرخصة في امل الحيوة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب

وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص
بالكلية فغنا الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى
خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نسائه على مثل هذه الاقسام الثلثة
فبعضهم كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم قوت اربعين يوما وبعضهم يوما وليلة
قسم عايشة وحفصة رضي الله عنهم اجمعين **بيان اداب الفقير في قبول العطا اذا جا بغير سوال**
ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ اما المال
ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب
الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابها وما يستحب تناولها واما غرض المعطي فلا يخلو
اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة والزكوة او الذكر
والريا والسمعة اما على التجرد او ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول فهو الهدية فلا باس بقبولها
فان قبولها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كان فيها منة
فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد اهدي للنبي
صلى الله عليه وسلم سمنا واقطا وكبشا فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان عليه الصلوة والسلام
يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال عليه الصلوة والسلام لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي
او ثقفي او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت صرة الى فتح الموصلي فيها خمسون درهما
فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده
على الله ثم فتح الصرة واخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن البصري يروي هذا الحديث ايضا
ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل
من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيمة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد
في قبول العطا وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهمين ونحوها
ويعرض عليه غيرهم مائتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول اتركه عندك وانظر
ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى اخذه والا فلا وامارة هذا ان
يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول فيرى المنة في نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه
منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سالت احدا قط شيئا الا السري
السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقايه عنده
فاكون عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله فقال افرقه على الفقرا
فقال ما اريد هذا ومتى اعيش الى ان اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل تنفقه في الحلاو
والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما احد ببغداذ امن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان
يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر في صفات
نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب
اسرار الزكوة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا للمعصية
في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله تعالى بالتصدق اليه فهذا حرام
اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن كذلك فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه الثالث

ان يكون غرضه الشهوة والريا والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله ان يكون معينا له على
غرضه الفاسد وكان سفين الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت
وعوتب بعضهم في رده ما كان يأتيه من صلة فقال انما ارد عليهم صلتهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون
ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج
اليه فيما لا بد منه او هو مستغنٍ عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والافات التي ذكرناها في المعطي
فالافضل له الاخذ وقال عليه الصلوة والسلام ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الاخذ اذا كان محتاجا وقال
عليه الصلوة والسلام من اتاه شيء من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه
وفي لفظ اخر فلا يرده وقال بعض العلماء من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وكان سري السقطي يوصل
الى احمد بن حنبل شيا فرده مرة فقال له سري يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له
احمد اعد علي ما قلت فاعاده عليه فقال احمد ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي
عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقال بعض العلما يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلي بطمع
او دخول في شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زايدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه
او التكفل بامور الفقرا والنفقة عليهم لما في طبعه من الرفق والسخا فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه
وامساكه ان كان طالبا لطريق الاخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله تعالى فهو في سبيل الشيطان
او داعٍ اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر
او يفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة
والثاني ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج اليه منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج منه
فيفعل كلاهما في السر وكلاهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ او اخفاوه في كتاب اسرار
الزكوة مع جملة من احكام الفقر فيطلب من موضعه وامتناع احمد من قبول عطا السري السقطي رحمهما الله فانما
كان لاستغنائه عنه اذا كان عنده قوت شهر فلم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك
آفات واخطار والورع يكون حذرا من مظان الافات اذا لم يامن مكيدة الشيطان على نفسه قال بعض
المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله تعالى فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه
وهو يقول بصوت خفي انا جايع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت وعليه
خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ
منها خمسة دراهم وقال اربعة ثمن المئزرين ودرهم انفقه ثلثا ولا حاجة لي في الباقي فرده فرايته في الليلة
الثانية وعليه مئزرين جدد فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي فاطافني معه اسبوعا كل
شوط منها في جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ
وغير ذلك ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه وناخذ من ايدي الخلق لان هذه
اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود من ذكر هذا ان الزيادة على قدر الحاجة انما ياتيك ابتلاء
وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء
قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال عليه الصلوة والسلام لا حق
لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في اخذ
قدر الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله تعالى فيه متعرض للحساب وان عصيت الله

تعالى فانت متعرض للعذاب ومن الاختبار ان يعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تعالى وكسرا لصفة
النفس فتاتيك عفوا صفوا ليمتحن بها قوة عقدك فالاولى الامتناع عنه فان النفس اذا رخص لها في نقض
العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذته وصرفته
الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون فاما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل
بحقوق الفقرا وتعهد جماعة من الصلحا فخذ ما زاد على حاجتك ان كان غير زايد على حاجة الفقرا وبادر به
الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو كان ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه
ويكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقرا جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم
في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن
الظن بالله تعالى لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله تعالى من حلال قضاه وان مات قبل القضا
قضى الله عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا
يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا واجب ان يقضى من
بيت المال ومن الزكوات وقد قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه
وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما اتاه الله وقيل لله عباد ينفقون على قدر بضاعتهم ولله عباد
ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله الثلث طوايف الاقويا والاسخيا
والاغنيا فقيل من هولاء فقيل اما الاقويا فهم اهل التوكل على الله واما الاسخيا فهم اهل حسن الظن بالله
واما الاغنيا فهم اهل الانقطاع الى الله فاذا مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فلياخذه
وينبغي ان يرى ما ياخذه من الله تعالى لا من المعطي فان المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما
سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكي ان بعض الناس دعا شقيق البلخي في خمسين
من اصحابه فوضع الرجل مايدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا
الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال لصاحب
المنزل لشقيق ماذا قصدت بهذا فقال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يا رب
جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا
اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من
حيث انه مسخر ماجور

بيان تحريم السوال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه اعلم ان قد وردت
مناهي كثيرة في السوال وتشديدات وردت فيها ما يدل على الرخصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسايل
حق وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السايل ولو بظلف محترق ولو كان السوال حراما مطلقا لما جاز
اعانة المعتدي على عدوانه والاعطا اعانة والكاشف للغطاء فيه ان السوال حرام في الاصل وانما يباح
لضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا الاصل فيه التحريم لانه
لا ينفك عن ثلثة امور محرمة **الاول** اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السوال اظهار الفقر وذكر لقصور نعمة الله
تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سال لكان سواله تشنيعا على سيده فكذا سوال العبيد
تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا بالضرورة كما لا تحل الميتة الا بالضرورة **والثاني**
ان فيه اذلال السايل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل نفسه لغير الله تعالى بل عليه ان يذل نفسه
لمولاه فان فيه عزة فاما ساير الخلق فانهم عباد الله امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا بضرورة وفي السوال

ذل للسائل بالاضافة الى المسؤل **والثالث** ان لا ينفك عن ايذاء المسؤل غالبًا لانه ربما لا يسمح نفسه
بالبذل عن طيبة قلب منه فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الاخذ وان منع ربما استحيا وتاذى
فى نفسه بالمنع اذ يرى نفسه فى صورة البخلا ففى البذل نقصان ماله وفى المنع نقصان جاهه وكلاهما
موذيان والسائل هو المسبب فى الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلث
فهمت معنى قوله عليه الصلوة والسلام مسئلة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف
سماها فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد
غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء
يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفى لفظ آخر كانت مسالته خدوشا وكدوحا فى وجهه
وهذه الالفاظ صريحة فى التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا على الاسلام فاشترط
عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا وكان عليه الصلوة والسلام يامر كثيرًا
بالتعفف عن السوال ويقول من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال من لم يسالنا فهو احب الينا
وقال عليه الصلوة والسلام استغنوا عن الناس وما قل من السوال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال
ومنى وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسال بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فقام وعشاه ثم سمعه ثانية فقال
الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوة خبزا فقال لست سائلا ولكنك
تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها بين يدى ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سواله كان حرامًا
لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر رضى الله عنه
ويقول اما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير واما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة
باخذ المال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور فى الفقه فاين يظهر فقه الفقها فى حوصلة عمر
واطلاعه على اسرار دين الله تعالى ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال حرام غير جائزة او علم
ذلك ولكن اقدم عليه غضبا فى معصية الله تعالى وحاشاه او اراد بالزجر المصلحة بغير طريقة شرعها نبى الله
صلى الله عليه وسلم وهيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقه الذى لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن السوال
وعلم ان من اعطاه قطعة فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل فى ملكه باخذه مع التلبيس
وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه اذ لا يعرف اصحابه باعيانهم فبقى مالا لا مالك له فوجب صرفه
الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح وينزل اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوى
بقوله انى علوى وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفى والصالح الذى يعطى لصلاحه وهو
فى الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطى لما اعطاه وقد ذكرنا فى مواضع ان ما اخذوه على هذا الوجه
لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على مالكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى
يغفل عنه كثير من الفقها وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضى الله عنه
فاذا عرفت ان السوال يباح لضرورة فاعلم ان الشئ اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة
او حاجة خفيفة او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سوال الجائع عند خوفه على نفسه
موتا او مرضا وسوال العارى وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجد بقية الشروط فى
المسؤل بكونه مباحًا والمسؤل منه بكونه راضيًا فى الباطن وفى السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر
على الكسب وهو بطال ليس له السوال الا اذا استغرق فى طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب

حيث قال

بالدرة صح

بالوراقة واما المستغنى فهو الذى يطلب شيئا وعنده مثله وامثاله فسواله حرام قطعًا وهذان طرفان
واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذى يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلوا
عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحته فى الشتا وهو يتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهى الى حد الضرورة وكذلك
من يسال لاجل الكرى وهو قادر على المشى بمشقة فهذا ايضا ينبغى ان يسترسل عليه بالاباحة لانها ايضا
حاجة محققة ولكن الصبر عنه اولى وهو بالسوال تارك للاولى ولا يسمى سواله مكروها مهما صدق
فى السوال وقال ليس تحت جبتى قميص والبرد يوذينى اذى اطيقه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه
يكون كفارة لسواله ان شاء الله واما الحاجة الخفيفة فمثل سواله قميصًا ليلبسه تحت ثيابه عند خروجه
ليستر به الخروق التى فى ثيابه عن اعين الناس وكمن سال لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن سال
كرا الفرس وهو واجد كرا الحمار فى الطريق ومن سال كرا المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا فان كان فيه
تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شئ من المحذورات الثلثة من الشكوى
او الذل او ايذاء المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن
فيها شئ من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السوال عن هذه المحذورات فاعلم
ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن المخلوق ولا يسال سوال محتاج ولكن يقول انا
مستغن بما املكه ولكن تطالبنى رعونة النفس بثوب فوق ثيابى وهى فضلة عن الحاجة وفضول من
النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فان يسال اباه او قريبه او صديقه الذى يعلم انه لا
ينقصه ذلك فى عينه ولا يزدريه بسبب سواله والرجل السخى الذى قد اعد ماله لمثل هذه المكارم
فيفرح بوجود مثله ويتقلد منة منه بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة
واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسوال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم
على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان فى القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا
ايذاء فانه ربما يبذل درهما خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه فى الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير
ملامة واما اذا كان يسال شخصا معينا فينبغى ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل
ان اراد واذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متاذ به وينبغى ان يسال من لا يستحى منه
لو رده او تغافل فان الحياء من السائل يوذى كما ان الرياء مع غير السائل يوذى فان قلت فاذا اخذ
مع العلم بان باعث المعطى هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتداه به فهو حلال او شبهة فاقول
ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق
بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسياط الحياء وخوف الملام وسياط
الباطن اشد نكاية فى قلوب العقلا فلا يجوز ان يقال هو فى الظاهر قد رضى به لقوله عليه الصلوة
والسلام انما احكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة فى فصل الخصومات
اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الحالات فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسان مع انه ترجمان
كثيرا لكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سوال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه احكم الحاكمين
والقلوب عنده كالالسنة عند ساير الحكام فلا تنظر فى مثل هذا آلا الى قلبك وان افتوك وافتوك
فان المفتى معلم القاضى والسلطان ليحكموا فى عالم الشهادة ومفتى القلوب هم علماء الاخرة وبفتواهم
النجاة عن سطوة سلطان الاخرة كما ان بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فاما ما ياخذ

حج فوق

مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ووجب عليه الرد على صاحبه فان كان يستحيي من ان يسترده
ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة لينقضي عن عهدته فان
لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى
وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت هذا امر باطن يعسر الاطلاع
عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيًا فاقول فلهذا ترك
السؤال المتقون راسًا فما كانوا ياخذون من احد شيئا اصلا كان بشر لا ياخذ من احد الا من السري وقال
لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال تاكد الامر
بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل لضرورة وهو ان يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له
سبيل الى الخلاص ولا يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له اكل الميتة ولحم الخنزير
عند الضرورة فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع
على قراين الاحوال فكانوا ياخذون من بعض الناس دون بعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقايه
ومنهم من كان ياخذ مما يعطى بعضه ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والسمن والاقط
فكان هذا فيما ياتيهم من غير سوال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا
لريا وسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فاما السوال فقد امتنعوا راسًا عنه الا في موضعين احدهما
الضرورة فقد سال ثلثة من الانبيا في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في
انهم ما سالوا الا من علموا انه من يرغب فيهم والثاني السوال من الاصدقا والاخوان وفي خو الاخوان
وقد كانوا ياخذون اموالهم بغير سوال ولا استيذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب
لا نطق اللسان وكان وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فكانوا يسالون الاخوان عند شكهم
في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السوال وحد اباحة السوال ان تعلم ان المسؤل
بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون السوال فلا يكون في سوالك تاثير الا في تعريف حاجتك
فاما في تحريكه بالحيا واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسايل حالة لا شك فيها في الرضا بالباطن
وحالة لا شك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال والاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية
حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حواز القلوب فانه الاثم
وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقراين الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه
وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة ترايا له ما يوافق غرضه ولا يتفطن للقراين الدالة على الكراهية
وبهذه الدقايق يطلع على سر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه
وقد اوتي والله جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا مال له ورثه من كسب ابيه او احد قرابته فيأكل من ايدي
الناس فان اعطي بغير سوال فانما يعطى بدينه ومتى لا يكون باطنه بحيث لو انكشف لاعطي بدينه فيكون
ما ياخذه حرامًا وان اعطي بسوال فاين من يطيب قلبه بالعطا اذا سئل واين من يقتصر في السوال على
حد الضرورة فاذا فتشت احوال من يأكل من يد الناس علمت ان جميع ما ياكلونه او اكثره سحت وان
الطيب هو الكسب الذي اكتسبته انت او مورثك فاذا بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس
فنسال الله ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وكرمه

بيان مقدار الغنى المحرم للسوال

اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سال الناس عن ظهر غنى فانما يسال جمرا فليستقل منه او يستكثر

صح

صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل نستدرك ذلك
بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنا الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غدا يوم وعشا ليلة
وفي حديث آخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وورد في لفظ آخر اربعون
درهما ومهما اختلف التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق
في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال
المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلثة طعام يقيم به صلبه وثوب يواري
به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر
في الاجناس والمقادير والاوقات فاما الاجناس فهي هذه الثلث ويلحق بها في معناها حتى
يلحق به الكرا للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله
وولده وكل من تحت كفالته كالدابة ايضا واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو
ثوب واحد قميص وسراويل ومنديل ومداس فاما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث
البيت ولا ينبغي ان يطلب دقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فانه مستغنى
عنه فيقتصر من العدد على واحد من النوع على اخس الاجناس منه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما
الطعام فقدره في اليوم والليلة مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان الشعير والادم على الدوام
فضلة وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه في بعض الاوقات رخصة واما المسكن فاقل ما يجري من حيث
المقدار وذلك من غير زينة فاما السوال للزينة والتوسع فهو سوال عن ظهر غنى واما بالاضافة
الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكنه فلا شك فيه فاما
سواله للمستقبل فهذا له ثلث درجات احدها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه بعد الاربعين
يومًا او خمسين يومًا والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له
عيال لسنة فسواله حرام فان ذلك غاية الغنا وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة
دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك فان كان يحتاج اليه قبل السنة
فان كان قادرا على السوال ولا يفوته فرصته فلا يحل له السوال لانه مستغنى في الحال وربما لا يعيش الى
الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير
بهذا القدر وان كان يفوته السوال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السوال لان امل البقا سنة
غير بعيد فهو بتاخير السوال خايف ان يبقى خايفا مضطرا عاجزا عما يغنيه فان كان خوف العجز عن
السوال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السوال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سواله عن كراهية فيكون
كراهيته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السوال وكل
ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله فيستفتي فيه قلبه ويعمل به
ان كان سالكا طريق الاخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت
اظهر فدرجته عند الله تعالى اعلا فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله قوت يومك لك ولعيالك
الا من ضعف اليقين والاصغا الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم
مومنين وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسوال
من الفحشاء الذي ابيح بالضرورة وحال من يسال لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنة

الى

بقدر

اشد من حال من ملك مالا موروثا وادخر لحاجة متراخية عن يومه وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى
الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصال من امهات المهلكات
والله اعلم بالصواب **بيان احوال السائلين** كان بشر رحمة الله عليه يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسال وان اعطي
لم ياخذ فهو مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهو مع المقربين في جنات الفردوس وفقير
يسال عن فاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذا قد اتفق كلهم على ذم السوال وعلى انه مع الفاقة
يحط المرتبة والدرجة وقال ابن ادهم لشقيق ابن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من
اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا فظن انه لما وصفهم بترك السوال فقد اثنى عليهم غاية
الثنا فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقرا عندكم يا ابا اسحق فقال الفقرا
عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ فاذن درجات ارباب الاحوال
في الرضا والصبر والشكر والسوال كثير فلا بد لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف
درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الترقي من حضيضها الى بقاعها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين وقد خلق
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين ثم امر بان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو
لا يقدر على الترقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وارباب الاحوال قد تغلبهم حالة
قد يقتضي ان يكون السوال من يد الهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك
لما روي ان بعضهم راى ابا الحسين النوري رحمة الله عليه يمد يده ويسال في بعض المواضع والمواطن قال
فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد رحمه الله فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال
الناس الا ليعطيهم انما يسالهم ليثيبهم في الاخرة ويوجرون من حيث لا يضره فكانه اشار به الى قوله صلى الله عليه
وسلم يد المعطي هي العليا وقال بعضهم يد المعطي هي يد الاخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر للثواب لا لما ياخذه
ثم قال قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت
في نفسي انما يوزن الشي ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم وقد استحييت ان اساله فذهبت
بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد
على المائة فزاد تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب
الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله تعالى فاخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه قال
فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا والله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم
وكيف خلصت لله تعالى اعمالهم حتى يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد
القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالهمة على الله تعالى
بكنه الهمة فمن انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكر هذا بعد
ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يوثر في حقه
خاصة لعلة في باطنه واخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن
حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق
والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه امن بذلك وصدق
به وهذا صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون
عين اليقين ومن خلى عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المومنين ويحشر يوم القيمة في زمرة

عند الفاقة

ابرهيم صح

الجاحدين

الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى العقول الضعيفة واتباع الشياطين فنسال الله تعالى ان يجعلنا
من الراسخين في العلم القائلين امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب **الشطر الثاني من الكتاب**
في الزهد وفيه **بيان** حقيقة الزهد **وبيان** فضيلة الزهد **وبيان** درجات الزهد واقسامه **وبيان** تفصيل
الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضرورات المعيشة **وبيان** علامة الزهد **بيان حقيقة**
الزهد اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل
كساير المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول
لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال
يسمى اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر في بدو العمل والعمل يجري من الحال
مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلي طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني به ما يسمى زهدا وهو عبارة
عن انسلاخ الشي الى ما هو خير منه وكل من عدل من شي الى غيره بمعاوضة وبيع وغير ذلك فانما عدل
لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة
الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه وهو خير من المرغوب عنه
وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا هو مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى
زاهدا اذ تارك التراب والحجر والحشرات وما اشبهه لا يسمى زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير
لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب اليه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب
هذه الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا
فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشرا بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف عليهم السلام بالزهد
فيه وطمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من
باع الدنيا بالاخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد في الاخرة ولكن العادة
جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد في الدنيا كما يخصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان
كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لمن يتصور الا بالعدول الى شي
هو احب منه والا بترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس
ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك
الحظوظ في الاخرة بل طمع في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي
يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا
يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته في الزهاد ودرجة من يتوب عن بعض المعاصي
في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك بعض المحظورات
والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض
كما لا يبعد ذلك في بعض المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في
المحظورات وانصرف عنها ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبة
عن الدنيا عدولا الى الاخرة او عن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب فيه ان
يكون خيرا عنده فليشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين

زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها
فاما انا ففي ماذا زهدت واما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة
الى الماخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه ومالم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان يزول
الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى اى لذاتها خير في انفسها
وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج وهو ابقى كما تكون الجوهر ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه
بالجواهر واللالى فهكذا مثال الدنيا والاخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان
الى الانقراض والاخرة كالجواهر التى لا فناء لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة في التفاوت بين الدنيا والاخرة
يقوى الرغبة في المبيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فبين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم
الذى بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الاخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك
من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد
الشيطان واما الاغترار بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان تختطفه الموت ولا يبقى معه
الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى
تعريف نفاسة الاخرة الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير يعنى الاخرة خير
فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب
فى احب منه قال رجل في دعائه اللهم ارنى الدنيا كما تراها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا
ولكن قل ارنى الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هى وكل مخلوق
فهى بالاضافة الى جلاله جل وعلا حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا
يتصور ان يرى بايع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغنى عن الحشرات اصلا
وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غنى بذاته عن كل ما سوى الله فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة
الى جلاله ويراها متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد ان يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما
العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال الذى هو خير بالذى هو
الادنى وكما ان العمل الصادر عن عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه عن اليد واخذ العوض وكذلك الزهد
يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهى الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلايقها فيخرج من القلب
حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وساير
الجوارح وظايف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ
والترك فليستبشر ببيعه الذى بايع به فان الذى بايعه بهذا البيع وفى بالعهد فمن اسلم حاضرا في غايب
وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغايب سلم اليه الغايب حين فراغه عن سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه
وقدرته ووفائه بالعهد فما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف
عليهم السلام بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده
كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه
الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض
الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم يساعد

الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره
ويخيل اليك انه وان اتاك فانت زاهد فيه فلا ينبغى ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق
من الله تعالى فانك اذا لم تجرب هذا حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عنها فكم من ظان بنفسه كراهية
المعاصى عند تعذرها فلما تيسرت اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور
النفس في المحظورات فاياك وان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ الذى تاخذه عليها ان تجربها
مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا
فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع
الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة
قال ابن ابى الليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحايك لا نفتى في مسئلة الا رد علينا يعنى ابا حنيفة قال
ابن شبرمة لا ادرى اهو ابن الحايك ام ما هو ولكنى اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها
وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا ولو علمنا في اى شئ محبته لفعلناه
حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال
ابن مسعود رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم يعنى القليل قال وما عرفت ان فينا
من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة فليس من الزهد ترك المال على
سبيل السخا والفتوة ولا على سبيل استمالة القلوب ولا سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن
لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان يترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة
فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخاء وحسن
خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهى الذ واشهى واهنى من المال
وكما ان بذل المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثنا والاشتهار
بالفتوة والسخاء او استثقالا له لما في حفظ الاموال من المشقة والعنا والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنيا
ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس ايضا بل الزهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو
قادر على التمتع بها والتنعم من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون
آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله غيره او تركها طمعا في ثواب الاخرة فترك التمتع
باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسرارى والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين
طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التجمل والتزين بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم
اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فاثر في جميع ذلك لاجل
ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة خير وابقى وما سوى ذلك هزائه فمعاملات
دنياوية لا جدوى لها في الاخرة اصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته
الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلما ووصف اهله بالعلم وهو
غاية الثناء وقال الله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال
تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد
بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا

لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فيه وصف الكفار
بذلك فمفهومه ان المؤمن الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على الدنيا واما الاخبار فما ورد منها
في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا راس كل خطيئة
ومن المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعنى بالزهد وقد قال
عليه الصلوة والسلام من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه
ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في
قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال عليه الصلوة والسلام اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا
فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا صح
اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وانطلق بها لسانه وقيل يا رسول الله اي الناس خير فقال عليه
الصلوة والسلام كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي
الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الاخرة
ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال عليه الصلوة والسلام ان اردت ان يحبك الله تعالى
فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من
افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وقيل عن بعض اهل البيت
رضوان الله عليهم انه قال الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة وان صادفا قلبا فيه الايمان والحيا
اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال الحارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا قال عليه الصلوة والسلام
وما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني
بعرش ربي بارزا فقال عليه الصلوة والسلام عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان مع فانظر كيف بدا باظهار حقيقة الايمان
بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه
بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى من يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام قيل له ما هذا الشرح قال عليه الصلوة والسلام ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح
قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال عليه الصلوة والسلام استحيوا
من الله حق الحيا قالوا انا لنستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك يناقض
الحيا من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفد وقالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء
والشكر عند الرخا والرضا بمواقع القضا وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعدا فقال عليه الصلوة والسلام
ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة
لايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء بلا اله الا الله لم يخلط معها شيئا وجبت
له الجنة فقام اليه علي كرم الله وجهه بابي انت وامي يا رسول الله ما الذي لا يخلط معها غيرها صفه لنا وفسره
فقال عليه الصلوة والسلام حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبيا ويعملون اعمال الجبابرة
فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن
والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال عليه الصلوة والسلام السخي قريب من الله قريب من الناس
قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا
والسخا ثمرة الزهد والثنا على الثمرة ثنا على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر رضي الله عنه عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها
واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم مر باصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل
وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال
الله تعالى واذا العشار عطلت فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه
انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال عليه الصلوة والسلام قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به الاية وروي مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الا تستطعم
الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري
معي جبال الارض ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا
على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا ينبغي لمحمد ولا لال محمد يا عائشة ان الله لم يرض
لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان يكلفني ما كلفهم
قال الله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا وجهدي
ولا قوة الا بالله تعالى وروي عن عمر رضي الله عنه انه قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها حين فتح الفتوحات
البس لين الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الافاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضرك فقال
عمر الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت نعم فقال ناشدتك الله هل تعلمين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية
ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة
كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق عليه ذلك حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة
فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع على الارض وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية باثنتين فاثنيت له ليلة اربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال
عليه الصلوة والسلام منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة فاثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وناشدتك
الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلوة فما يجد
ثوبا يخرج فيه الى الصلوة حتى تجف ثيابه فيخرج فيها الى الصلوة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة من بني
ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الاخر فخرج الى الصلوة
وهو مشتمل به ليس عليه غيره وقد عقد طرفيه على عنقه فصلى كذلك فما زال حتى ابكاها وبكى وانتحب حتى
ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو انه قال رضي الله عنه كان لي صاحبان
سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريقا غير طريقهما واني والله ساصبر على عيشهما الشديد لعلي
ادرك معهما عيشهما الرغيد وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء
قبلي ليبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب
اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين قيل كانت خضرة
البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا ما كان اختاره الانبياء والمرسلون وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز
في الاخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية قال
عليه الصلوة والسلام تبا للدنيا وتبا للدينار وتبا للدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فاي شيء

تدخر فقال عليه الصلوة والسلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امره
وفي حديث حذيفة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله بثلث هم لا يفارق قلبه
ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع ابدا وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون
ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشي احب اليه من كثرته وقال عيسى عليه السلام الدنيا
قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني لك بيتا نعبد الله فيه فقال عليه الصلوة
والسلام اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء فقال كيف يستقيم عبادة مع
حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع
يوما واشبع يوما اليوم الذي اجوع فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني
عليك وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبرئيل معه فصعد على الصفا
فقال له والذي بعثك بالحق نبيا ما خلق الله اكرم منك فقال ما امسى لال محمد كف سويق ولا سفة دقيق
فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيمة ان تقوم
فقال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حتى سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت
فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا
وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبرئيل ان تواضع لله تعالى
فقال النبي صلى الله عليه وسلم نبيا عبدا ثلثا وقال عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبد خيرا زهده
في الدنيا ورغبه في الاخرة وبصره بعيوب نفسه وقال عليه الصلوة والسلام ازهد في الدنيا يحبك الله
وازهد ما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يوتيه الله علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال عليه الصلوة والسلام من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن
خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصايب
والمكروهات وعن عيسى عليه السلام مثل كلام نبينا صلى الله عليه وسلم انهما قالا اربع لا يدركن الا بتعب
الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشي وجميع الاخبار الواردة في مدح بغض
الدنيا وذم حبها لا يمكن ذكرها فان الانبيا عليهم السلام ما بعثوا الا بصرف الناس عن الدنيا الى الاخرة
فاليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق فيما اوردنه كفاية واما الاثار فقد جاء في الاثر لا تزال لا اله الا الله
تدفع عن العباد سخط الله تعالى ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ اخر وما لم يوثروا صفقة دنياهم على
دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة قال
تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من الزهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم
اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد
في الدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا
ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال
ويحك تلك ضالة لا توجد فقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل
البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة وقال يوسف
ابن اسباط اني لا اشتهي من الله تعالى ثلث خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي
دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله ويروى ان بعض الخلفا ارسل الى الفقها بجوايز فقبلوها فارسل الى الفضيل

بعشرة الف درهم فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقها وانت ترد وانت على حالتك هذه فبكى الفضيل
وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم الا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت قالوا اذبحوها قبل ان لا تنتفعوا
بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم ان تذبحوا فضيلا وقال عبد الله بن
عمير كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر وياكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اين
ما ادركه المسا نام وقالت امراة ابي حازم لابي حازم هذا الوقت قد هجم الشتا علينا ولا بد لنا من الثياب
والطعام والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله
تعالى ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال ابرهيم بن ادهم
قد حجبت قلوبنا بثلثة اغطية ولم يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن
على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط
معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب محبط العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من
زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف
نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا فكانه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يحمي عبده المومن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا
علم ان النعمة في المنع المودي الى الصحة اكثر منها في الاعطاء المودي الى السقم وكان الثوري يقول
الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقا وقال سهل
لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشياء من الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركنا اقواما
وصحبنا طوايف ما كانوا يفرحون بشي من امر الدنيا اذا اقبل ولا يأسفون على شي منها اذا ادبر ولهي كانت
في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة او ستين لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم
يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من في بيته بصنعة طعام فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون
وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها
وسالوا الله ان يتقبلها واذا عملوا سيئة احزنتهم وسالوه ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك والله ما سلموا
من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى النفس والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه

اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلث درجات **الدرجة الاولى** وهي السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مايل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها
ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد
يذيب نفسه اولا في الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر
على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها
في قليل او كثير **الدرجة الثانية** الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي
يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى
لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البايع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن
بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان **الدرجة الثالثة** وهي العليا ان يزهد
طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذا عرف ان الدنيا لا شي فيكون كمن ترك خزفة
واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الاخرة

اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن
من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الا قالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى
عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شيء الدنيا

قال في الدنيا صح

لا شيء ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات
والمكاشفات مثل من منع عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب
ونال القرب من عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع

حتى ينفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك صح

الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ
وينقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك
الى اخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل
شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة
للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدر
لكان لا نسبة لها الى نعيم الابد وكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها
الى نعيم الآخرة الابد فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد
فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان
المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت
ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده واما انقسام
الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار
وساير الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت
به الاخبار وفي الخبر ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء
فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو عدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية
ان يزهد رغبة في ثواب الله تعالى ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغير ذلك وهذا
زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دايم على نعيم قايم
سرمد لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله تعالى وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام
ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله وهو الذي اصبح وهمومه
هما واحدا وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود
وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون
لانه لا يحب الله تعالى خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار وعرف الدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع
بينهما لم يحب الا الدينار فمن عرف الله تعالى وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك
اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة
النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور
متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم اهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف
الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم
الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره

عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة
الخلق واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على
مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح لك ان اكثر ما ذكر
فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها اشرح
لآحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه
حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس هذا متعة وهذا يتناول
جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والجاه والمال وان كثرت اسبابه فيرجع
الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو في ملك القلوب
والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذه التفصيل الى شرح و
تفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة منها فقال

وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه و اسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه والمال صح

تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في اية اخرى الى خمس فقال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع الى اثنين فقال تعالى وما الحيوة
الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
المأوى والهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه فاذا فهمت طريق
الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة وفي الاجمال
اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب
عن البقاء في الدنيا فيقصر امله لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدايم بارادة البقاء فان من اراد
شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة الا حب دوام ما هو موجود ويمكن ذلك في هذه الحياة فاذا رغب
عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال
تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك زهد الزاهدين
وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله تعالى فاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص
فانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رايحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن
الى الماء البارد حرصا على نصرة الدين لله او نيل مرتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على موت الشهادة
حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر الموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا
في الشهادة وانا الآن اموت موت العجايز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات رضي الله عنه
واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم
البقاء على الشهادة استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة او ثلثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان
المزهود فيه فاذا فهمت هذا علمت انما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل
واحد منهم ما راه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس
وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك

عن ادراك

من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذه اشارة الى الزهد فى شهوة واحدة ولعمرى هى اغلب الشهوات على الاكثر
وهى المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل رحمه الله الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال
الثورى الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقا
فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس رحمة الله عليه اذا خرج يطلب ذهب الزهد
عنه وما قصد بهذا حد الزهد ولكن التوكل شرطا فى الزهد وقال اويس ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون
وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم
السنة وهذا ان اريد به الراى الفاسد والمعقول الذى يطلب به الجاه فى الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى
بعض اسباب الجاه خاصة او الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه فى الاخرة وقد
طولوها حتى ينقضى عمر الانسان فى الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اولى مرغوبا عنه
عنده وقال الحسن رحمة الله عليه الزاهد الذى اذا راى احدا قال هذا افضل منى فذهب الى ان الزهد هو
التواضع وهذا اشارة الى نفى الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال
واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال اويس ولا شك فى انه اراد به ترك طلب الحلال
وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من الحلال فقد اخذ باصل
الزهد وفى الزهد اقاويل وراء ما نقلناه لم نر فى نقلها فايدة فان من طلب كشف حقايق الامور من
اقاويل الناس راها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق فى نفسه فادركه بمشاهدة من
قلبه لا بتلقف ممن سمعه وقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع
كمال المعرفة لاقتصار حاجته فهولاء كلهم اقتصروا لا القصور فى البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة
فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار
الاخبار عن الحالة الراهنة التى هى مقام العبد فى نفسه والاحوال تختلف فلا جرم ان الاقوال المخبر عنها
تختلف واما الحق فى نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الكلمات والاقاويل
الكامل فى نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمن الدارانى رحمه الله قال قد سمعنا فى الزهد كلاما
كثيرا والزهد عندنا ترك كل شىء يشغلك عن الله تعالى وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر فى طلب المعيشة
او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدا للزهد وقرا ابو سليمن قوله تعالى الا من اتى الله
بقلب سليم فقال هو القلب الذى ليس فيه غير الله تعالى وقال انما الزاهد فى الدنيا الذى هو قلبه فارغ من
هموم الدنيا للاخرة فهذا بيان اقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى احكامه
فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قال ابرهيم بن ادهم رحمه الله فالفرض هو الزهد فى الحرام والنفل هو الزهد
فى الحلال والسلامة هو الزهد فى الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام
وذلك من الزهد اذ قيل لمالك ابن انس ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يتركه فلا نهاية
للزهد فيه اذ لا نهاية لما يتمتع به النفس فى الخطرات واللحظات وساير الحالات لا سيما خفايا الرياء فان
ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا يتناهى فمن اقصى درجاته
زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذى بدا لك فقال
وما الذى تجدد فقال توسدك الحجر اى تنعمت برفع راسك عن الارض فى النوم فرمى الحجر وقال خذه مع
ما تركته لك وروى ان يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس

واستراحة حس اللمس فسالته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى يا يحيى آثرت الدنيا
على فبكا ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه وقال احمد بن حنبل الزاهد شغل اويس بلغ من العرى الى ان جلس
فى قوصرة وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حايط لانسان فاقامه صاحبه فقال ما اقمتنى انت وانما اقامنى
الذى لم يرض لى ان اتنعم بظل الحايط فاذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجات الزهد
فى كل شبهة ومحظور قال قوم الزهد هو الزهد فى الحلال لا فى الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته فى شىء
ثم راوا انه لم يبق حلال فى اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد
ترك ما سوى الله تعالى فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب ومخالطة الناس
ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال
بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقا ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت
من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة فلم تكن مشتغلا بغير الله
تعالى فان ما لا يتوصل الى الشىء الا به فهو منه فالمشتغل بالعلف للناقة وسقيها فى طريق الحج ليس معرضا
عن الحج ولكن ينبغى ان يكون تعهد بدنك فى طريق الله مثل علف ناقتك فى طريق الحج ولا غرض لك فى تنعم
ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغى
ان يكون فى صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس
والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد
بل هو شرط الزهد فان قلت لا بد ان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك ان لم يكن قصدك التلذذ
فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ثم من يقضى حاجته قد يستريح
فى ذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد
يستريح وقيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا لم يكن بقصد طلب موضع لهذه الاستراحة
فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولكن كان فى الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسيم الاسحار
خيفة من الاستراحة وانس القلب معه فيكون معه انس الى الدنيا
ونقصان فى الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان لداود الطائى رحمه الله عليه حب مكسور
فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة
الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم فى جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة يسيرة
والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين انفسهم سياسة الشرع المعتصمين
بعروة اليقين فى معرفة المضادة التى هى بين الدنيا والدين

بيان تفصيل الزهد فيما هو فى ضروريات الحنوع

اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ غالب الناس انما
يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشى والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول
لان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضرورى والمهم ايضا يتطرق اليه فضول فى مقداره وجنسه واوقاته
فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب
لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه فى كتاب الرياء
من ربع المهلكات ونحن الآن مقتصرون على بيان هذه المهمات الستة **المهم الاول المطعم** ولا بد للانسان
من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من نقيض [قصر] طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة

الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه فقد لا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله
اما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدته وخوف المرض
ومن هذا حاله فاذا اشتغل بما يتناوله لم يدخر من غدايه لعشايه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية ان يدخر
لشهر او لاربعين يوما والدرجة الثالثة يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك
فتسميته زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له
كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من الايدي كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين
سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرطا في الزهد فاما عرضه فبالاضافة الى المقدار
واقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله في اطعام
المساكين في الكفارة وما زاد على ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد
لم يكن له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاكله كلما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه
خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميزت النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج
عن آخر ابواب الزهد فضلا من اوله واما الادم فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت او يسير
من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دايما او
اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من آخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة
الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة واحدة وهو ان يكون صايما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا
ياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ينتهي الى ان يطوي ثلثة ايام واسبوعا وما زاد عليه وقد ذكر طريق تقليل
الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم
في المطاعم وتركهم الادم حتى قالت عايشة رضي الله عنها كانت تاتي علينا اربعون ليلة وما يوقد في بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا
ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل
بالمخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبيد واجلس كما يجلس
العبيد وقال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب
كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلثة ايام من خبز البر وكان عيسى
عليه السلام يقول يا بني اسرايل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن
تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبيا والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه
تواضعا لله تعالى واتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صايف فقال اعزلوا عني حسابها وقال
يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادركه المساء الدنيا سجنه
والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكره والقران حديثه والرب انيسه والجوع ادامه والحكمة كلامه
والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته
والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه انشاء الله **المهم الثاني الملبس**
واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعل واعلاه ان
يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون

ايدى الناس

له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين
فقد خرج من جميع ابواب الزهد هذا من حيث القدر اما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن
واعلاه القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر منه سنة واقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم
ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه وطلب ما
يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك
قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا
ولينظر فيه الى احوال الانبيا والصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو برده اخرجت لنا عايشة رضي الله
عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا
ولا انام بالليل على دثار ابدا ولا اركب على ماثور ابدا ولا املا جوفي من طعام ابدا فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس
ثوب شهرة الا اعرض الله عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثوبا باربعة دراهم وكانت قيمة ثوبيه عشرة وكان ازاره اربعة اذرع ونصفا واشترى رسول الله صلى الله
عليه وسلم سراويل بثلثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان
من جنس واحد وربما يلبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ وفي حديث انه كان قميص رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مايتا درهم وكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله
انزل عليك هذا من الجنة تعجبا وكان قد اهداه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه
وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج فكانه لبسه اولا تاكيدا للتحريم كما لبس
خاتما من ذهب يوما ثم نزعه وحرم لبسه على الرجال وكما قال لعايشة في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء
فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلثا ثم حرمها للتاكيد واقر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم واتوني بانبجانية ابي جهم
يعني كساء فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه
فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتما من ذهب
فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرت اليه ونظرت اليكم وكان عليه الصلوة والسلام
قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال قد اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان
يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين راه وعن سنان بن سعد قال عليه الصلوة والسلام ان من خيار
امتي فيما انباني الملا الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خشية عذابه ومونتهم على
الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة ويلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافيدتهم عند العرش
فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد وصى امته عامة باتباعه اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احبني فليستن بسنتي وقال عليه الصلوة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
من بعدي وعضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى عايشة
رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه
وعد على قميص لعمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من ادم واشترى علي كرم الله وجهه ثوبا بثلثة دراهم ولبسه

وفي الخلافة وقطع كمه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري رحمه الله وغيره
البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان الثوري يقول ان الفقير ليمر بي
وانا اصلي فلا امنعه وادعه يجوز ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز
وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق وعن سيار بن سعد قال حيكت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف انمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما احسنها ما الينها
قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا لم يبخل به قال فدفعها
اليه وامر ان يحاك له واحدة اخرى فمات عليه الصلوة والسلام وهو في الحياكة وعن جابر قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطحن بالرحاء وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى قال
يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الآخرة الابد فانزل الله تعالى عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال ابن
شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشر ثيابي ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة
ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمان الداراني الثياب ثلثة ثوب لله تعالى وهو ما يستر العورة
وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه
وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم من العشرين الى الثلثين درهما وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين
قميص ومئزر تحته وربما عطف ذيل قميصه على راسه وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من
الايمان وايضا في الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء مرضاته ووجهه كان حقا على الله
ان يتخذ له من عبقري الجنة في تخوت الياقوت واوحى الله تعالى الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا تلبسوا ملابس
اعدائي ولا تدخلوا مداخل اعدائي فتكونوا اعدائي كما هم اعدائي ونظر رافع ابن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة
وهو يعظ الناس فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله
بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر رضي الله عنه راحته على فيه وجعل يضرطبه
فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر رضي الله عنهما فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد وقال علي كرم الله
وجهه ان الله تعالى اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي به الغني ولا يزري بالفقير
فقره ولما عوتب عليه رضوان الله عليه في خشونة لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي بي المسلم
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وروى فضالة بن عبيد وهو والي مصر
اشعث اغبر حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان
نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف
النعل وكل ما دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي
كرم الله وجهه من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون
الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال عليه الصلوة والسلام ازرة المؤمن الى انصاف
ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله تعالى يوم القيمة
الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمن قال صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي او احمق وقال
الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع الى قتيبة ابن مسلم الباهلي
وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره
ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمان لما اتخذ الله ابرهيم خليلا اوحى اليه ان وار

وحسنه

بين يديه بينه البز

عورتك

عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل
احدهما لبس الآخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان رضي الله عنه ما لك لا تلبس الجيد من
الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا وروي عن عمر بن عبد العزيز انه
كان له جبة شعر وكساء يلبسهما من الليل اذا قام لورده وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس
بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية نفاقا وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود وهو
يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم
في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث به ويبكي **المهم الثالث المسكن** وللزهد
فيه ايضا ثلث درجات **اعلاها** ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة
واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف او خص او غير ذلك وادناها ان يطلب حجرة
مبنية اما بشراء او باكراء فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة لم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا
القدر عن آخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع
فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن واختلاف جنس البناء بان يكون من الجص والقصب او بالطين او
بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او
مستاجرا او مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك فكل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة
وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد الدين والغرض من المسكن دفع
الاعين والايدي واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب
الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
التدريز والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والتشييد للبنيان بالجص والآجر
وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد ورد في الاثر ياتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كوشي البرود اليمانية
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس رضي الله عنه ان يهدم علية كان قد علا بها ومر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بجنبذة معلاة فقال عليه الصلوة والسلام لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل
عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع
لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين
وقال ابن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال عليه الصلوة والسلام ما هذا فقلنا خص
لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير
لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محيرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال
كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال عليه الصلوة والسلام من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة
وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال عليه الصلوة والسلام
كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر او برد وقال عليه الصلوة والسلام للرجل الذي شكا اليه ضيق
منزله اتسع في السماء اي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت
اظن ان يكون في هذه الامة بنيان كما بان لفرعون يعني قول فرعون لهامان فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا الآية

المطر والبرد ودفع

يعني به الآجر ففرعون اول من بنى له بالجص والآجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابره وهذا هو الزخرف
وذكر عن بعض السلف انه دخل جامعًا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف
ثم رايته مبنيا من رهوص ثم رايته الآن من اللبن قال فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهوص واصحاب الرهوص
خيرا من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام
البنيان وكان منهم من اذا حج اوغزا نزع بيته اووهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش
والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السلف قامة وبسطة قال الحسن رحمه الله كنت
اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء
فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين وقد نهى سفيان عن النظر الى بنيان مشيد فقال
لولا نظر الناس اليه لما شيده فالناظر معين له عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنا وترك ولكن اعجب ممن نظر اليه
ولم يعتبر وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ويصلون على قبلتكم
ويموتون على غير دينكم **المهم الرابع اثاث البيت** وللزهد ايضا فيه درجات **اعلاها** حال عيسى عليه السلام
اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط وراى آخر يشرب من النهر بكفيه
فرمى الكوز وهكذا حكم كل اثاث فانه انما يراد لمقصود فاذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى
عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذ كان
المقصود يحصل به **واوسطها** ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في
مقاصد كالذي معه قصعة يشرب بها وياكل الثريد فيها ويحفظ الاشياء فيها وكان السلف يستحبون استعمال
الة واحدة في اشياء للتخفيف **وادناها** ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد
او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول فلينظر الى سيره رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه فقد قالت عايشة رضي الله عنها كانت ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة
من ادم وحشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من
ادم حشوها ليف وروى ان عمر دخل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نايم على سرير مرمول بشريط فجلس فراى
اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه فقال له عليه الصلوة والسلام ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب
فقال ذكرت كسرى وقيصر وهما فيما هما فيه من الملك وذكرتك وانت حبيب الله ورسوله وصفيه نايم على سرير مرمول
بشريط فقال عليه الصلوة والسلام اما ترضى يا عمر ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قلت بلى يا رسول الله قال
فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر الغفاري رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في
بيتك اثاثا ولا متاعا فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فيه فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت
ها هنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكا عليها واقتل بها الحية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي
وقصعتي آكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلوة فما كان بعد هذا
من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة
عليها السلام فراى على باب منزلها سترا وفي يدها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فسالها
فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ابو رافع فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل

ويقال ان فرعون

اصحاب ...

الصفه فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم ودخل عليها فقال بابي انت وامي قد احسنت
ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب منزل عايشة سترا فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسل به
الى آل فلان وفرشت له عايشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني فقد
اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة اوستة عشاء فبيتها فسهر ليله حتى اخرجها من آخر الليل قالت
عايشة فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه فقال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن ادركت سبعين
من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض
بجسمه وجعل ثوبه فوقه **المهم الخامس المنكح** وقد قال قايلون لا معنى للزهد في النكاح ولا في كثرته واليه ذهب
سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه على هذا القول سفيان بن
عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح
ما قاله ابو سليمان الداراني رحمه الله عليه كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم والمراة
قد تكون شاغلة عن الله وكشف الحق فيه انه قد يكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح
فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون
من الزهد تركه وان لم يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس
بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله تعالى فترك ذلك من الزهد فان علم ان المراة لا يشغل عن ذكر الله ولكن
ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود
لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو ضرورة
الوجود لا تضره اذا لم تكن هي المطلب والمقصد وهذا كمن يترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة
الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع
نسله لا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذة من غير خوف آفة اخرى فهذا ما عناه سهل التستري لا محالة
ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ثبت هذا فمن حاله كحال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه
لا يشغله كثرة النساء عن الله عز وجل ولا اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده
فيهن حذرا من لذة مجرد الوقاع بالنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة
النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة منهن او
جمال المراة فينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في النساء ان تختار المراة الدون
او اليتيمة على المراة الجميلة او الشريفة وقال الجنيد رحمه الله احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلث
والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزويج وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرا لانه اجمع لهمه
فاذا ظهر لذة النكاح كلذة الاكل فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا **المهم السادس** ما يكون وسيلة
الى هذه الخمسة وهو الجاه والمال اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها الموصل بها الا الاستعانة
في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا
محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له في قلبه محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه
وهذا له اول قريب ولكن يتمادى به الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل
في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او الخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان لم يخدم باجرة يخدم

فانه

وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه فى قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضرر فيحتاج لاجله
الى الجاه فى بلدة لا يكمل العدل فيها او ان يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر بدفع شرهم الا بمحل له فى القلوب
او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب
والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان يكون لا يسعى لطلب المحل فى القلوب اصلا
فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل فى القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف
بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التى تحوج الى زيادة فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى اوهام
كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى فى بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه
بطلب الجاه فاذن طلب المحل فى القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضرا وته اشد من
ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال الضرورى فى المعيشة اعنى القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب
حاجة يومه فينبغى ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام الى العبادة وهذا شرط
الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له
ضيعة ولم يكن له قوة يقين فى التوكل فامسك منها مقدار ما يكفى دخله لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر
من الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل فى الزهد كما شرط
اويس القرنى رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج عن حد الزهاد نعنى به ان ما وعد به الزاهدين
فى الدار الاخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول
والكثرة وامر المنفرد فى جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغى ان يرهق الرجل اهله الى الزهد
بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء ومعناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا
يلزمه كل ذلك فى عياله نعم ولا ينبغى ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة عليها السلام بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن ما يضطر
الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحظور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والاقتصار على الضرورة دواء نافع وما بينهما
درجات متشابهة فما تقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما تقرب من الضرورة وان لم يكن دواء
نافعا ولكنه قليل الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط
لنفسه ومن تساهل فانما تساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى
مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان
ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط فيدل عليه
ما روى ان ابرهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما
فاوحى الله تعالى اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال عرفت يا رب مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها
شيئا فاوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال فى الاخرة وهو
فى الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما هم عليه من المحنة فى كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال
الذل فيه وغاية سعادته به ان يسلم لورثته فياكلونه وربما يكونون اعداء له وربما يستعينون به على المعصية فيكون
هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات لدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى تقتلها
ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذى عمله بنفسه وقيل فى ذلك دود كدود القز ينسج دائما
ويهلك غما وسط ما هو ناسجه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه سلاسل يقيدها بما يشتهيه

ص

حتى يتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومواتاة الاصدقاء وساير
حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطا فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وراى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال
لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا فى هلاكه الى ان
يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة فتبقى السلاسل فى نفسه وقلبه معلقة بالدنيا التى فاتته
وخلفها فهى تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الاخرة فيكون اهون
احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه عن الاخر بالمجاذبة من الجانبين والذى
ينشر بالمنشار انما ينزل المولم ببدنه وتالمه من حيث انه يسرى اثره الى قلبه فكيف الظن بالم يتمكن اولا من صميم
القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حزن فوت التنزل
فى اعلى عليين وجوار رب العالمين والنزوع الى الدنيا اول الحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب يتسلط عليه
نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا
الجحيم فترتب العذاب بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة
اليه فنسال الله تعالى ان يقذف فى اسماعنا ما نفث فى روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب
ما احببت فانك مفارقه وفى معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما
وسط ما هو ناسجه ولما انكشف لاولياء الله تعالى ان العبد يهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه كاهلاك
دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رحمه الله رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد
منكم فيما حرم الله عليكم وفى لفظ اخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين
ولو راوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض
له المال الحلال فلا ياخذه يقول اخاف ان يفسد على قلبى فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده
والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين
هم عن اياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم وكذلك
قال رجل لعيسى عليه السلام احملنى معك فى سياحتك فقال اخرج مالك والحقنى فقال لا استطيع فقال
عيسى عليه الصلوة والسلام يعجب يدخل الغنى الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة
املاك ينادون فى الافاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم من المشرق يا باغى
الخير هلم ويا باغى الشر اقصر فيقول الاخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان بالمغرب
لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب **بيان علامات الزهد** اعلم انه قد يظن
ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة فى اللباس سهل على من احب المدح بالزهد
فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة احدهم معرفة
الناس بحاله ونظرهم اليهم ومدحهم لهم وذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد فى المال
والجاه جميعا حتى يكمل الزهد بل فى جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف
الفاخرة والثياب الرقيقة كما قال الخواص فى وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس
يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين الذى ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا
فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون عنها

وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذ طولبوا بالحقايق والجئوا الى المضايق وكل هولاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا
بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم ففلبتهم فادعوها حالا فهم مايلون
الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص رحمه الله فاذن معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد مشكل
فينبغى ان يعول فى باطنه على ثلث علامات **الاول** ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى
لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم بل ينبغى ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح
بفقده **العلامة الثانية** ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد فى المال والثانى علامة الزهد
فى الجاه **العلامة الثالثة** ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلوا القلب عن حلاوة
المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله تعالى وهما فى القلب كالماء والهوا فى القدح فالماء اذا دخل خرج الهوى
ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال
الى الانس بالله تعالى فاما الانس بالله تعالى وبالدنيا فهما جميعا لا يجتمعان وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق
الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا واذا بطن الايمان فى سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا
فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد فى دعاء آدم وابرهيم عليهما السلام اللهم انى اسالك ايمانا يباشر قلبى
وقال ابو سليمن من شغل بنفسه شغل عن غير الله من الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه
وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد وان يكون فى احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه
وعند ذلك يستوى عنده المدح والذم والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده
اصلا قال ابن ابى الحوارى قلت لابى سليمن كان داود الطاى رحمه الله كان زاهدا قال نعم قلت بلغنى
انه قد ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها فى عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير والدنانير
فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس
ولا يتم الزهد فى الدنيا الا بالزهد فى جميعها وكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى
دينه فله مدخل فى الزهد بقدر ما تركه وآخره ان يترك كل ما سوى الله تعالى حتى لا يتوسد حجرا كما فعل
عيسى عليه السلام فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجرى على الطمع
فى غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجايب نعم الله تعالى علينا علمنا ان
الله لا يتعاظمه شيء فلا يبعد فى ان نعظم السوال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة الزهد واستوى
الغنى والفقر والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الانس بالله ويتفرع من هذه العلامات علامات
اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالى من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هى لا يقول ابنى رباطا
او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاد علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف رحمه الله من علامته وجود
الراحة فى الخروج من الملك وقال ايضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف
علم من اعلام الزهد فلا ينبغى ان يلبس صوفا بثلثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل
وسفيان رحمهما الله علامة الزهد قصر الامل وقال السرى لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه
ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذى الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب
فى الاخرة وقال يحيى بن معاد علامة الزهد ثلث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد
يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء
الزهد واقعد مع الزاهدين قال اذا صرت من رياضة نفسك بالسر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلثة

الناس

ايام لم تضعف فى نفسك فاما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا امن عليك ان
تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسود وجهها وينتف شعرها ويخرق
ثوبها والعارف يشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السرى مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد
الا الزهد فى الناس فانى لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا
وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها فهذا ما اردنا ان نذكره فى حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد
لا يتم الا بالتوكل فلنشرع فى بيانه متوكلين على الله تم كتاب الفقر والزهد ويتلوه كتاب التوحيد والتوكل والحمد لله وحده

كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المدبر للملك والملكوت المفرد بالعز والجبروت الرافع
للسماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق العباد الذى صرف اعين ذوى العقول والقلوب عن ملاحظة الوسايط
والاسباب الا الى مسبب الاسباب ودفع هممهم الى الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا
الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحققا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق
وانه ما من ذرة الا الله تعالى خلقها وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن
وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل الهادى الى سواء السبيل
وعلى آله واصحابه خير جيل وقبيل **اما بعد** فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين
بل هو من معالى درجات المقربين وهو فى نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه
من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك فى التوحيد والتباعد بالكلية عنها طعن فى
السنة وقدح فى الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغيير فى وجه العقل وانغماس
فى غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فى غاية الغموض
والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة هذا الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله
تعالى بانوار الحقايق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوا من حيث استنطقوا ونحن الان
نبتدا بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد ان شاء الله تعالى **فضيلة التوكل**
اما من الايات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وقال الله تعالى وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال وعلى الله فليتوكل المومنون وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره وقال ان الله
يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه
وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال تعالى
اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو تارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية جل الله وعز
عن ذلك فانه سوال فى معرض استنطاق الحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الاية وقال
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله عزيز حكيم اى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه
والتجا الى ذمامه وحمايه وهو حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين يدعون من
دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف يتكل عليه وقال
تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق فاعبدوه وقال تعالى
ولله خزاين السموات والارض الاية وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر
فى القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار **واما الاخبار**

فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه بن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت الامم في الموسم فرايت
امتي قد ملاؤا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهياتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قيل ومع هذا سبعون
الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل ومنهم يا رسول الله فقال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون
وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه الصلوة
والسلام اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه الصلوة والسلام
سبقك بها عكاشة وقال عليه الصلوة والسلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدوا خماصًا وتروح بطانا وقال عليه الصلوة والسلام من انقطع الى الله كفاه الله عز وجل كل مؤنة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال عليه الصلوة والسلام من سره ان يكون اغنى
الناس فليكن بما عند الله تعالى اوثق منه بما في يده ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان على اهل
بيته خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي قال الله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقال عليه الصلوة والسلام لم يتوكل من استرقى واكتوى
وروي انه لما قال جبرئيل للخليل عليهما السلام وقد رمي من المنجنيق الى النار الك حاجة فقال اما اليك
فلا وفا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به فانزل الله تعالى فيه وابرهيم الذي
وفى واوحى الله الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فيكيده اهل السموات والارض
الا جعلت له مخرجًا **واما الاثار** قال سعيد بن جبير رحمه الله لدغتني عقرب فاقسمت على امي لتسترقيني
فناولت الراقي يدي التي لم يلدغ وقرا الخواص قوله تعالى فتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال
ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية ان يلجا الى احد غير الله وقيل لبعض العلما في منامه من وثق بالله فقد احرز
قوته وقيل لبعض العلما لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر
آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب
دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال
ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني
ان اكون فاومى الى الشام قال هرم كيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب وقد خالطها الشك
فما ينفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا **بيان حقيقة التوحيد
الذي هو اصل التوكل** اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل
والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل وهو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي
هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي
سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن الآن انما نحتاج منها الى ما يبتني عليه التوكل وهو التوحيد الذي
يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان
بالوجود والحكمة التي يدل عليه قولك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير فقد تم له الايمان الذي هو
اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازمًا لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول
فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفة يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر
الخضم الذي لا ساحل له فنقول التوحيد اربع مراتب وهو مقسم الى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل
ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز واللوز في قشرته العليا فان له قشرين وله لب وللب دهن وهو لب اللب

فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
صح

بالاعمال بواسطة الاحوال ولا
يتم علم المعاملة الا بها فاذا
لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق
صح

فالرتبة

فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد
المنافق **والثانية** ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام **والثالثة**
ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكنه
يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار **والرابعة** ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة
الصديقين ويسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا
لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه **فالاول**
موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان **والثاني** موحد بمعنى انه معتقد
بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح
وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان توفي عليه ولم يضعف بالمعاصي عقدته ولهذا العقد
حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله وتسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد
بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب ويسمى كلامًا والعارف بها يسمى متكلما وهو في
مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم
الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته **والثالث**
موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة الا واحدا
وقد انكشف له بالحقيقة كما هي عليه لانه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة
العوام والمتكلمين اذ لا يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل
المبتدع في تحليل هذه العقدة **والرابع** موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل
من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز
والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا لا
خير فيها بل ان اكلت فهي مرة المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفاء النار
واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى عنه
فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه
ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق
يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب انما يصيب جسم البدن وهو القشر وانما يتجرد
عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشر السفلى ظاهر النفع بالاضافة الى القشرة
العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل
القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق
اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق
نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر فكانه
المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد
عالي للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى
الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وساير الاجسام المحسوسة

وهي كثيرة وكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان
يسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلوم المعاملة نعم ذكر ما
يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع
آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه
وعظامه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد اذ يقول انه انسان واحد فهو بالاضافة
الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل
روحه وجسده والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق
وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات
ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبار آخر سواه كثير بعضه
اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق للغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة
في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان
تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك
اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي هي لا يظهر
فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا
اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان
من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فكان الخواص في
تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل
الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ما ينبني عليه التوحيد فاقول اما الرابع
فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما
القول الاول في النفاق فهو واضح والاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تاكيده بالكلام
ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه
والثالث وهو الذي ينبني التوكل عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه
القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمل امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف
لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحيوة وموت وغناء وفقر
الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك
هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على
الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا
انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان
عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي به ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك بشيئين احدهما الالتفات
الى الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات واما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر
في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء
السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال الله تعالى فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استواء

الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحرك
وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات
العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته
فاخذ يشتغل بذكر الحبر والقلم والكاغذ الذي به كتب الملك التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى
نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد
الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الموقع عن ان
يخطر بباله القلم والدواة والكاغذ فالشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر والارض وكل حيوان وجماد
مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك
الموقع هو الكاتب للتوقيع والحق ان الله تعالى هو الكاتب كما قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان
خائبا وآيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فربما يأتيك بالمهلكة الثانية وهي الالتفات الى الاختيار
الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله تعالى فهذا الانسان يعطيك
رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه
وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده
وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه فيقول له نعم ان كنت لا ترى القلم انه مسخر فكيف لا ترى كاتب
القلم وهو المسخر له وعند هذا قد زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان
عليهم للشياطين اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء
كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فترى راس
القلم يسود وجه الكاغذ ولم يمتد بصرها الى اصابع الكاتب ويده فضلا عن صاحب اليد لغلطت
وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها فكذلك
من لم يشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه
قهارا للكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق
الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها
لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق يتكلم بلا حرف ولا صوت ولا يسمعه الذين هم عن
السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما
يشارك فيه البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي
فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت
وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع
ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله
تعالى الذي لا نهاية له ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي الآية ثم انها
تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت قط امينا
على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال عليه الصلوة
والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون

ولما نهى عن افشا سر القدر ولما قال عليه الصلوة والسلام اذا ذكرا النجوم فامسكوا واذا ذكرا القدر فامسكوا
واذا ذكرا صحابى فامسكوا ولما خص حذيفة رضى الله عنه ببعض الاسرار فاذن عن حكايات مناجات
ذراة الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثانى
خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا فى المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكى فى مناجاتها قدرا
يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتنا التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم يكن هى
هى حروفا واصواتا ولكن هذه هى ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى
للكاغذ وقد راه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان مشرقا ابيض والان قد ظهر عليه السواد
فما سوده وما السبب فيه فقال الكاغذ ما انصفتنى فى هذه المطالبة فانى ما سودت وجهى بنفسى
ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهى
ظلما وعدوانا فقال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما انصفتنى فانى كنت فى المحبرة وادعا ساكنا
عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى على القلم بطبعه الفاسد واختطفنى من وطنى واجلانى عن بلادى
وفرق جمعى وبددنى كما ترانى على ساحة بيضاء فالسوال عليه لا على فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب
فى الظلم وعدوانه عليه واخراج الحبر عن وطنه فقال سل اليد والاصابع فانى كنت قصبا نابتا على شط
الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتنى اليد بسكين فنحت عنى قشرى ونزعت عنى ثيابى بعد
اقلاعى من اصلى وفصل بين انبوبى ثم برانى وقد شق الراس منى ثم غمستنى فى سواد الحبر ومرارته وهى
ذا تستخدمنى وتمشينى على قمة راسى فلقد نثرت الملح على جرحى بسوالك وعتابك فتنح عنى وسل من قهرنى
فقال له صدقت فسال اليد عن الظلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت
لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مسخر مركب ركبنى فارس يقال له القدرة والقوة فهى الذى
ترددنى وتجول بى فى نواحى الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيئا منها مكانه ولا يتحرك
بنفسه ان لم يركبها هذا الفارس القوى القاهر اما ترى ايدى الموتى تساوينى فى صورة اللحم والعظم
والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بينى وبين القلم لولا القدرة فسالها
عن شانى فانى مركب ازعجنى من ركبنى فقال صدقت ثم سال عن القدرة وعن شانها فى استعمال اليد واستخدامها
وكثرة ترديدها لها فقالت القدرة دع عنك لومى ومعاتبتى فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له
وكيف يخفى عليك امرى او كيف ظننت انى ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت لها راكبة اياه قبل التحريك
وما كنت احركه ولا استسخره بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون كانى ميتة او معدومة لانى ما كنت
اتحرك ولا احرك حتى جاءنى موكل ازعجنى فارهقنى الى ما تراه منى فكانت لى قوة على مساعدته ولم يكن
لى قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وبهجومه وصياله اذ ازعجنى من غمرة النوم
وارهقنى الى ما كان بى مندوحة عنه لو خلانى ورايى فقال صدقت ثم سال الارادة ما الذى جراك على
هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا
ومناصا فقالت الارادة لا تعجل على فلعل لنا عذرا وانت تلوم فانى ما انتهضت بنفسى ولكنى انهضت
وما انبعثت ولكنى بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب
رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فانى مسكين مسخر تحت قهر العلم والعقل
ولا ادرى باى جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكنى ادرى انى فى دعة وسكون ما لم يرد على هذا

العارفين

التأبينى

ازعجنى

الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم فقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى
لى معهما مهما جزم حكمه ولا طاقة لى على المخالفة ولعمرى ما دام هو فى التردد فى نفسه والتحير فى حكمه فانا ساكن
لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة
ليقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شانى ودعنى عن عتابك فانى كما قيل مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا افارقهم
فالراحلون هم قال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة
وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكنى اشعلت وقال القلب اما
انا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكنى بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت فى بياض لوح القلب لما اشرق سراج
العقل وما انخططت بنفسى فكم كان هذا اللوح قبلى خاليا عنى فسل القلم عنى فان الخط لا يكون الا بقلم فعندها
تتعتع السايل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبى فى هذا الطريق وكثرت منازلى فلا يزال يحيلنى من طمعت
فى معرفة هذا الامر منه على غيره ولكنى كنت اطيب نفسا بكثرة التردد لما كنت اسمع كلاما مقبولا فى
الفواد وعذرا ظاهرا فى دفع السوال فاما قولك انى خط ونقش وانما خطنى قلم فلست افهمه فانى لا اعلم قلما
الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار وانى لا اسمع
فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا
فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك
فى الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج
عنه وكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا فى استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم
ان العوالم فى طريقك هذا ثلثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغذ والحبر والقلم واليد
من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل بسهولة والثانى عالم الملكوت وهو وراءى فاذا جاوزتنى انتهيت
الى منازله وفيها المهامه الفسيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادرى كيف تسلم فيها والثالث عالم
الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلث منازل اذ فى اوله منزل القدرة والارادة
والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه
منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التى هى فى الحركة بين الارض
والماء فلا هى فى حد اضطراب الماء ولا هى فى حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشى على الارض يمشى فى عالم
الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى حد يقوى الى ركوب السفينة كان كمن يمشى فى عالم الجبروت فان انتهى
الى ان يمشى على الماء من غير سفينة مشى فى عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشى على الماء
فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافى واول عالم الملكوت
مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشى به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما ان قيل له صلى الله عليه وسلم انه كان يمشى على الماء
فقال السالك السايل قد تحيرت فى امرى واستشعر قلبى خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادرى
اطيق قطع هذه المهامه التى وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينك
وحدقه نحوى فان ظهر لك القلم الذي به اكتب فى لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق
فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرأ
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا الاية فقال السالك لقد فتحت بصرى وحدقته

ساكنة

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شىء بعدكم عدم صح

والعلم

فوالله ما ارى قصبًا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع
البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا يشبه ذاته ساير الذوات فكذلك لا يشبه يده الايدي
ولا قلمه الاقلام ولا كلامه ساير الكلام ولا خطه ساير الخطوط وهذه امور الاهية من عالم الملكوت
وليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه
من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت
لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى
هولاء ولا الى هولاء فكيف نزهت ذاته وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن الحروف والاصوات
واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم
على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب
بالتورية وان فهمت منه الصورة الباطنة التي يدرك بالبصاير لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا
فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى
ولعلك من سرادقات العز تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من العلم
ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث في التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارًا من حدة غضبه على نفسه لما
راها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد نورها يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه
العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الان هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على
النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له
راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل قلب راسا ولا راس له
فيقضي منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله عني خيرا اذ الان ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم
فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادتي لك وانا عازم
الى السفر الى حضرة القلم فسار اليه وقال ما لك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما
تبعث به الارادة الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال القلم نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة
وسمعته من جواب القلم اذ سالته فاحالك على اليد فقال لم انس ذلك فقال فجوابي مثل جوابه قال وكيف
وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال بلى قال فاسئل عن شاني الملقب بيمين
الملك فاني في قبضته هو الذي يرددني وانا مقهور مسخر ولا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي في التسخير
وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك قال القلم وما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات
بيمينه قال بلى قال فالاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده
وراى من عجايبه ما يزيد على عجايب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يحوي مجلدات كثيرة
عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فراى القلم محركا في
قبضته فظهر له عذر القلم فسال اليمين عن شانه وتحريكه القلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي رايتها
في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر السالك
الى عالم القدرة وراى فيها من العجايب ما استحقر فيها ما قبله وسالها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة
فسل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجراة لسان السوال
فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فغشيته هيبة

الحضرة

الحضرة فخر صعقا مضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت
عليك وامنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك
من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا ان اسالك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح
لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثنا
وتزيد على سيد الانبيا بل ارجع اليه فما اتيك فخذه وما نهيك عنه فانته وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه
الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان
جراة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع
الى الصديق الاكبر واقتد به فان اصحاب سيد الانبيا رضوان الله عليهم كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا عن حضرتنا انك تعرف انك محروم
عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند ذلك رجع السالك واعتذر عن اسالته ومعاتباته
وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد
بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والان فقد صح
عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم
الا مسخرون تحت قهره وقدرته مترددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك
في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون هو الاول والاخر وهما صفتان متناقضان وكيف
يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات
اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون
مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة
اول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى عاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر
بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشعل في قلبه بالبصيرة النافذة في عالم الملكوت فهذا كان توحيد
السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد
الى انه ينبني على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه فاعلم ان الجاحد فلا علاج له
الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس
الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا يدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بحواس
الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال وانا
من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك فلا كل
مريض يقوى على علاجه الاطبا هذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه
ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ما اسود
بقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بازالته وتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره
ارشد الى طريق ليسلكه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه
ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولا يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشاهدة
التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضا توحيد
اذ يعلم كل واحد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد

بلغ المقابلة

فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراءه صح

والمدبر واحد اذ لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما راه في عالم الشهادة فينغرس
اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللايق بقدر عقله وقد كلف الانبيا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم
ولذلك نزل القران بلسان العرب وعلى قدر عادتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي
هل يصح ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاعمال
والاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه
الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاده او من ابويه
او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف
الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد
يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين
الا كسحرة فرعون واصحاب السامري فان سحرة فرعون لما ان كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر
بطول مشاهدتهم وتجربتهم فراوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر
فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بل قالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات
والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير
واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري
وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه ثعبانا لا يرجع اليهم قولا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من امن بالنظر الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كلاهما
من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فهو من عند الله
فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسايط
والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء
فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشا لكان هذا مزلة
القدم وموقع الغلط ولكن علمت انه يفعل اذا شاء ويشاء شاء ام لم يشا فليست المشيئة اليه
اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة اليه فمهما وجدت
المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة
فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة
في القلب هذه ضروريات يترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود الحركة بعد بعث المشيئة
للقدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر للجميع فان قلت هذا
جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبرا مختارا فاقول لو انكشف
لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لم
يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما نذكر متطفلا وتابعا فان
هذا الكتاب لم نقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل من الانسان يطلق على ثلثة اوجه
اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالحنجرة والرية ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب
اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف
وراء ذلك في امور فاعرب لذلك عنها بثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا

ان شاء صح

المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود صح

طبيعيا

طبيعيا ويسمى تنفسه فعلا اراديا ويسمى كتبته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي
بانه مهما وقف على وجه الماء او تخطى من السطح في الهوا انخرق الماء لا محالة به فيكون الخرق بعد التخطي
ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل
البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه
ولذلك لو قصدت عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر
مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكن اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة
بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة
فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا فاما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس
كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشا وتارة لم يشا فيظن
من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تبع للعلم الذي
يحكم بان الشيء موافق لك والاشيا تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك
من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي يقطع به من غير تردد ان يقصد عينك مثلا
بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة
بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير فكر
وروية ويكون ذلك بالارادة ومن الاشيا ما يتوقف التميز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا
فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان
احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر وانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع
السيف والسنان هنالك فاذا انبعث لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا
من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها وانما
انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير
روية بل على البديهة وهذا افتقر فيه الى روية والاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة
العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان
تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه مثلا
لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما
فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل والحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه
مع قوة الاعضا ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مولمة لا تطاق فان العقل ههنا يتوقف في الحكم
ويتردد لانه يتردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان
حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة واهلك
نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي نفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه
ان يرمي نفسه لو كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون
من الرمي فوقفت اعضاوه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة
لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يصدر منه بالضرورة من حيث
لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولما فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك

الامن

حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل
خيرا محضا موافقا وحدوث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر وفعل الله تعالى اختيار
محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما
كان فنا ثالثا واتبعوا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما
عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك
في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من
الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم
ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان
قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض
من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او
بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف عليه
كافة الخلق الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه
بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيانه طويل ولكن بعض المقدورات مترتبة على بعض في الحدوث
ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة
الا بعد محل للحياة وكما لا يجوز ان يقال الحياة حصلت من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في
سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين
بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم وكذلك في جميع افعال الله تعالى
ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا
والى هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق
فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى
الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف
بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا
لفقد شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل
ذلك لحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود
الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا محدثا قد انغمس في ماء
الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الذي يرفع الحدث وهو ملاق له فقدرة الازلية
حاضرة للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث
بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه واذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع
الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء
ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث
عن اليد عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهذا جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة
تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطا بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع
الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن

حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان يفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان
القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم اخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك
فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو
وعليه الاعتماد والتوكل ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من
مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ قطرات منه وكل ذلك
ينطوي تحت قولك لا اله الا الله وما اخف مؤنتها على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظها
على القلب وما اعز حقيقتها ولبها عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع
بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد
فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول
بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد فان كان له معنيان
ويكون الاسم مجملا مترددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير
قاتل بمعنى والجلاد بمعنى اخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع
الموجد ومعنى كونه فاعلا انه المحل الذي خلق الله فيه القدرة بعد ان خلق الله فيه الارادة وبعد ان
خلق الله فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة
الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له
كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين
مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدور بين القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه
نسب الله الافعال في القران مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال
تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال
تعالى افرايتم ما تحرثون اضاف ذلك الينا ثم قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال تعالى فنفخنا فيه من
روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه قيل في التفسير معناه اذا قرا
عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه و
التعذيب هو عين القتل بل صرح فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا
فما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم وقال تعالى الرحمن علم القران وقال علمه البيان وقال سبحانه ان علينا بيانه ثم قال تعالى افرايتم ما
تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل
الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء
ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصورها الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض
السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام فانه يتنفس بوصفه فيكون
كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق
يشاهده ارباب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به

دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القران الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال اولم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس
بمتناقض بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل
الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وهذا معنى قوله تعالى اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحيوة الى ملكين
ففي الخبر ان ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحيا وقال ملك الحيوة انا احيي
الموتى فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي
سواي فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال عليه السلام
للذي ناوله التمرة خذها فلو لم تاتها لاتتك فاضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي
على الوجه الذي ياتي الانسان عليها وكذلك كما قال ذلك التايب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال
صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق
والحقيقة لاهله ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز المستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجه
واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا للحركة وظن
انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة
الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته
ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله الاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي تجوزيه عما وضعه اللغوي له ولما
جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عليه الصلوة والسلام اصدق بيت قالته العرب قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام
له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا
احق بالحقيقة الا القيوم الحي الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قايم بذاته وكل ما سواه قايم
بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل رحمه الله يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما
كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كان لم تكن فانه اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر ان الكل
جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضى وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك
قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي راينا الرمز اليه من التوحيد
الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب
الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما
سياتي الا بالثقة بالوكيل وطمانينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب
الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه يطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا
قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ريب فيه ولا ضعف ان الله عز وجل لو خلق
الخلق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى
لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار
الملكوت وعرفهم دقايق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر
ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون

والنظام عليه ان يزاد فيما دبره الله سبحانه الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها
جناح بعوضة ولا ان يرفع فيها ذرة او يخفض ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر عمن بلي به
ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عمن انعم عليه به بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض اذا
رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر لم يروا فيها تفاوتا ولا فطورا وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من
رزق واجل وسرور وترح وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق
صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في
الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة عليه ولم يفعله لكان بخلا يناقض
الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عاجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو
نقصان من الدنيا وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره
اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة
قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح البهايم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على
الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران فداء لاهل
الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق البهايم لما ظهر شرف
الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان
قطع اليد اذا تاكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر بالتفاوت الذي بين
الخلق في القسمة في الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الان بحر اخر عظيم
واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوايف من القاصرين
ولم يعلموا ان ذلك غامض ولا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون
ومنع عن افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول
بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم
منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة
التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة **الشطر الثاني من الكتاب في بيان احوال التوكل
واعماله** وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل
وبيان التوكل لترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وقد ذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل
بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخايضون في بيان حد التوكل فاختلفت
عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فايدة في النقل
والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه
واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمان اليه
نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب
على الوكيل وحده ولنضرب الوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل
للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا
اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية

فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا **اما** القوة والقدرة فليستجرى
على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يجبن ولا يستحيى فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه
الخوف او الجبن او الحياء او صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به **واما** الفصاحة
فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرا القلب عليه واشار اليه فلا كل
عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس **واما** منتهى الشفقة فليكون باعثا له على
بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر بخصمه
او لم يظفر هلك حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحدة منها او جوز ان يكون خصمه
اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل يبقى منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع
ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت
قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر
فلا جرم تتفاوت احوال المتوكل في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي
لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى
الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل
القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم
على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل
على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت
مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد وانه
ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا منتهى وراء علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة
اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول
ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة
عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد الامرين اما ضعف اليقين باحد هذه
الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه
فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين
يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او
بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة انه لا يحشره
الان ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان القلم الذي في يده لا يقلبه حية ولا يقلب السنور
اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش
او الميت معه في بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلوا
الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق
الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب
وطمانينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر وكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت ويطمئن به في خياله فان النفس
تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء امرها الى ان تبلغ بالاخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك

لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن القلب لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن
القلب الى يهوديته وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا فانهم يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها
فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع احد الاسباب واذا
اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التورية ملعون من ثقته انسان
انسان مثله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد اذله الله فاذا انكشف معنى التوكل
وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة
الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية
وهي اقوى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى احد سواها
ولا يعتمد الا اياها واذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق
الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست
خالية عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال
لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تأله
الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكلا
على امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه
الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط لا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف
والكسب وليس فانيا عن توكله اي له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة
المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل رحمه الله حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك
الاماني قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره
وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته
مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل
الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجري القدرة والحركة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كلها يحدث
جبرا فيكون عين الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها
ويعدو خلفها بل مثال هذا مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه فانه وان لم يتعلق بذيل امه
فالام تحمله وان لم يطلب منها اللبن فالام تبتدي وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال
منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسئل فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق
والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت
فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث
اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثاني والثالث فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام
الثالث في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع
وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن
انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تترائ من وراء
الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق يترائ من ورائه حمرة الدم وانقباضه يورث الصفرة

وذلك لا يدوم وكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وساير الاسباب الظاهرة
لا تدوم واما المقام الثاني يشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والثالث يشبه صفرة
مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان تزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق
بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون
صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعا والابتهال كتدبير
الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات
كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار
اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح الاشارة واما الذي يعرفه باشارته
فان يقول لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله
عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله ان يفعل
ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته
فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته
وعادته ووافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن التدبير
في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله
نقصا فيه نعم بعد ان حضر ووفا باشارته واحضر السجل ووفا بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته
فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله ولا قوته
اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته
فلم يبق الا الطمانينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال
في التوكل وعلمت وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا
مع التوكل بل هو على الانقسام وسياتي تفصيله في الاعمال فاذا فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور
والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا
بلا جدوى فاذا لم يصر مفيدا من حيث حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا للمحاجة وعرف ذلك
باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة له الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لانه
ليس خالق حوله وقوته بل هو جاعلهما مفيدين في انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق
ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما
مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوايد والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله
حقا وصدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول
ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها
على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي
ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احدهما الى الاخرى
اذ في هذه الكلمة اضافة لشيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة
الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا
وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمة ولساير الكلمات فاكثر الخلايق

وسنته

قد قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله
الا الله صادقا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق
هذا المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضافه الى مجرد الايمان
في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد
القلب ايضا حديث ولكنه حديث النفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك
الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله
وان كانت لا تنتهي الى الملك اما ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض
لسرير الملك فقال تعالى على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين
ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والماكول والمشروب
والمنكوح ويتصور ذلك للبهايم على الدوام واين لذات البهايم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين
في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهايم ولما رفع عنها درجة الملائكة
افترى ان احوال البهايم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متمتعة
بالنزوان والسفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان تكون عند ذوي الكمال مغبوطة من احوال الملائكة
في سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان
يكون حمارا او يكون في درجة جبريل ويختار درجة الحمار على درجة جبريل وليس يخفى ان شبه كل شيء
منجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة الكنس والدباغة اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهي
بالكناس والدباغ اشبه في جوهرها منه بالكاتب وكذلك من نزوع نفسه الى ميل لذات الملائكة فهو
بالبهايم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهولاء هم الذين يقال فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا
اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها ذلك للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك
والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان
هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لا حول ولا قوة الا بالله وان من ليس
قايلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله
الا نسبة شيئين الى الله تعالى فلو قال قايل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول
لا لان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا تنظر الى عظم السموات
والارض وصغر الحول والقوة وان جاز وصفها بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل
كل عامي يفهم ان الارض والسماء ليس من جهة الادميين بل هما من خلق الله واما الحول والقوة فقد
اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الراي والمعقول حتى
يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم
امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه
فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه
ليس في التوحيد الا عقبتان احدهما النظر الى السموات والارض والشمس والقمر والغيم والمطر
وساير الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال
سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع

حال التوكل الا التبري من الحول والقوة والتوكل على الله الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال
التوكل **بيان ما قاله الشيوخ في احوال المتوكلين** ليتبين ان شيئا من احواله لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد
يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت فقلت ان
اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم
هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما
خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما قاله ابو يزيد
عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب
فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه
سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن
الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز الصديق رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات
الا ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره او يقال انما فعل ذلك شفقة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا على نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره ويقينه لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سياتي
بيان ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل فان حركه السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف
تسلط الحيات اذ لا حول ولا قوة لها الا بالله تعالى وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز
بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب
وخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال
وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة
الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الف درهم وعليك
دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة الف درهم من غير ان تترك
لها وفاء لا تياس من الله ان يقضيها عنك وهذا اشارة على مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات
اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي شيئا عن التوكل فقال التعلق
بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك
والاول عام للمقامات الثلثة والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم الخليل
عليه السلام اذ قال له جبريل الك حاجة قال اما اليك فلا اذ كان سواله له سببا يفضي الى سبب وهو
حفظ جبريل له فتركه ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال
مبهوت غايب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز
وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه
بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله
وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل
ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض
يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد
يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب غالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل
اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بايرادها فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال المتوكل

[margin: التوكل]
[margin: بالله تعالى]

[margin: اعمال]

بيان احوال المتوكلين اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب
بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة او كلحم على وضم وهذا ظن الجهال فان
ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين
بل نكشف عن الحق فيه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعي العبد
باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او الحفظ النافع هو موجود عنده كالادخار
او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او ازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود
حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر
شرط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع الفن الاول في جلب المنافع فنقول فيه
الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما
لا تثق النفس به ثقة تامة فلا يطمئن الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت
المسببات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك
وانت جايع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد
الى الطعام سعي وحركة فكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون
محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك شبعا دون اكل الخبز او يخلق في الخبز
حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع
الارض وطمعت في ان يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر او تلد الزوجة من غير وقاع كما ولدت مريم عليها
السلام فكل ذلك جنون محض وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل
بل بالحال والعلم واما العلم فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام
وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما نطرا عليك في الحال ما يزيل
عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه او يبعث حية
تزعجك من علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فليفرح وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليه
اليد فانه متوكل الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متعينة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها
وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها
الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي
سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل
ذلك جائز وهو من اعالي مقامات التوكل وكذلك كان يفعله الخواص رحمه الله فان قلت فهذا سعي في الهلاك
والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه
وجاهدها وقواها على الصبر عن الطعام اسبوعا فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر
وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة
فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ينتهي الى حلة او
قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يقول الخواص
رحمه الله ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول
هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى

[margin: ان يعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو صح]
[margin: مكانك ويفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن له صح]

بصعود الماء من البير من غير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البراري كما يغلب وجود الحشيش
والماء يحتاج اليه في الوضوء كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر
على الماء وان صبر على الطعام وكذلك ربما يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فينكشف عورته ولا يوجد المقراض
والابرة في البوادي غالبا عند كل صلاة ولا يقوم مقامها في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما
في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى فانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق
الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البير من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام مصنوعا اليه ففي بين
الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا
حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد
فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد
يموت ولم ياته شيء فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى
لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب
فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت
اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد من الاسباب كلها مراغمة للحكمة
وجهل بسنة الله والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال على الله دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه
مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب
الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى الاسباب فان قلت فما
قولك في القعود في البلد بغير كسب اهو حرام ام مباح ام مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام فان صاحب السياحة في
البوادي اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق
من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق الباب على نفسه بحيث لا طريق
لاحد اليه ففعله ذلك حرام فان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج له اولى
ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان
مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه بل تطلعه الى
فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهذا افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه
فان الرزق ياتيه لا محالة وعند ذلك يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو
هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل كيف
اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل
فانهم اجمعوا ان الارزاق من الله ولا مميت الا الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى عليه السلام انظروا
الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى
الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي رحمه الله المتوكلون تجري ارزاقهم على
ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله لكن بعضهم
ياكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية
يعبدون ويشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب

السبب

في القعود

التي

التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل
الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب
بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة او اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص
على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثال الاسباب التي نسبتها الى جلب
النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين
بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم بانهم يتعاطون
هذه الاسباب ومثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤه قال
سهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به
استنباط الاسباب البعيدة بالتفكر فهي التي يحتاج الى تدبير دون الاسباب الجلية فاذن قد ظهر ان
الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج فان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به
والى مظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب
والتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنون فالتوكل فيها بالعلم والحال والعمل جميعا والمتوكلون في
ملابسة هذه الاسباب على ثلث مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي
بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته على الرضا
بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يوخذ زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن
مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا
اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك الكسب والاسباب الظاهرة معول على الله في تدبير امره من جهة
الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة
الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر له سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد
اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم حاله وتحريك دواعيهم المقام الثالث
ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا
السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته
فان ذلك كله ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وبتيسير اسبابه له بل
يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الكاتب الموقع فلا يكون
نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا
لعياله او يفرق به على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في
بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق
ذكره ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه والذراع بيده ودخل
السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت للخلافة النبوة فقال لا تشغلوني
عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من مال المسلمين فلما رضوا بذلك
راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق وقته بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق
في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار
ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب

والاعمال

بيته جل

وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بطلب الحاجة وقدره من غير استكثار وتفاخر وادخار
ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على
الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء
الزهد قال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمهم الله وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة
وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منها دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل
به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته ويقول استحيي ان اتكلم في مقامه وهو
حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف
وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان
لم يسئلوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك قد صار سوقا فهو كدخول السوق
ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب
فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش
عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون
قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف
الى الناس فالكسب له اولى لان الاستشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب
وما كان المتوكلون ياخذون ما يستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل رحمه الله قد امر ابا بكر المروزي
ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه فاعطه
فانه يقبل فلحقه فاعطاه فقبل واخذه فسال احمد عن ذلك فقال كان قد استشرف نفسه فرده فلما خرج
انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء او خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه
شيئا وقال الخواص وقد سئل عن اعجب ما راه في اسفاره قال رايت الخضر عليه السلام ورضي بصحبتي ولكني
فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصانا في توكلي فاذا المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروط نيته
كما سبق في كتاب آداب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا
فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته وكفايته
كان متوكلا او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه
بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب
بفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فترك ذلك وذلك لان العذبري كاتبه بلغني انك
استغنيت عن رزقك بعمل المغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك
في قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لاجلها وقيل ترك ذلك لما مات
عياله كما كان لسفين مالا قدره خمسين دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت
فكيف يتصور ان يكون له بضاعة لا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم
ان الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم ففسدت وهلكت فيهم كثرة
وان يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها
كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا
خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود

البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فلينظر الله
تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة
رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم
يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمن الداراني لاحمد بن ابي الحواري
لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم
ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان
لا فاعل الا الله تعالى ولا رازق سواه وبان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحيوة فهو
خير له مما يتمناه العبد لنفسه لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق
وكذا ساير مقامات الدين من الاحوال والاعمال تبنى على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم
ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة
ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب
عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان
يعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين من الله تعالى قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك
قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة
والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا يبطل
التوكل فقد حكي عن عابد انه اعتكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام بالمسجد لو اكتسبت لكان
افضل لك فلم يجبه حتى اعاد القول ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي في كل يوم رغيفين
فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين الله تعالى
وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى في
الرزق وقال امام مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلوة التي صليتها خلفك
ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان يسمع الحكايات
التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في اهلاك اموال
التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما حكي عن حذيفة المرعشي قال خدمت ابرهيم بن ادهم مدة فقيل له ما اعجب
ما رايت منه قال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى المسجد الخراب فنظر
الى ابرهيم بن ادهم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى شعر انا حامد انا شاكر انا ذاكر
انا جائع انا ضائع انا عاري * هي ستة وانا الضمين بنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري * مدحي لغيرك لهب نار خضتها
فاجر عبيدك من دخول النار * ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول
من يلقاك فخرجت فاول من لقيني رجل كان على بغلة فناولته الرقعة فاخذها وبكى وقال ما فعل صاحب هذا
الخط فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة
فقال هذا نصراني فجئت الى ابرهيم فاخبرته القصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة
دخل النصراني واكب على راس ابرهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت بالحرم مرة عشرة

ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة
فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قائلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره يكون حظك سلجمة متغيرة
فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل عجمي جاء وجلس بين يدي ووضع قمطرة فقال هذه لك
فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر مدة عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت
ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين فانت اول من لقيته فقلت
افتحها فاذا فيها كعك سميذ مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من هذا وقبضة من هذا
وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة
ايام وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم
كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الاخذ وعلينا العطا فما حاسبت بعد ذلك
بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وقال بنان الحمال كنت اجيء من مصر الى مكة ومعي زاد فجاءتني امراة فقالت يا بنان
وانت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث لم اكل فوجدت
خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة
فقالت لي انا تاجر تقول يجيء صاحبه فاخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقه فاكتفيت
بها الى قريب من مصر ويحكى ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا
يجيء النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها
بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من اهل سمرقند
فحملت الى بنان وذكرت له القصة رحمهم الله وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته
مت فوكل الله به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه شيئا غيره فلم يزل القرص معه الى ان
مات ولم ياكل وبقي القرص بعده وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابني فاقة
فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فاليت
الا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها الى صدري
فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذه الرمل فالحقوه
فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا
اهاجرت الى عمر ام الى الله تعالى اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك عن عمر وعن باب عمر فذهب
الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك
فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القران فاغناني عن عمر وال عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت
فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلب من الارض فبكى
عمر وقال صدقت وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني رحمه الله حججت في بعض
السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله
لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما للاخر تعالى حتى نسد
راس هذا البير لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا على راسه فهممت ان اصيح فقلت
في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء وكشف عن راس البير
وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي بهمهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو

سبع وتركني ومر فهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول
نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى واغنيتني بالفهم منك عن الكشف تلطفت في امري فابديت شاهدي
الى غايبي واللطف يدرك باللطف تراايت لي بالغيب حتى كانما تبشرني بالغيب انك في الكف
اراك وبي من هيبتي لك وحشة فتونسني باللطف منك وبالعطف وتحيي محبا انت في الحب حتفه
وذا عجب كون الحياة مع الحتف وامثال هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة
على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه لم يسبق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله
تعالى ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاسباب والاحوال والمشاهدات والا فلا يتم ابدا اصلا

بيان توكل المعيل اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما
قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق صدر والاخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها
ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو
زيادة في الاخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الاخرة فان هذا هو المرض الذي به يموت
فيكون راضيا به وانه كذا قدر فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر
عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك ساير
ابواب الايمان فاذن لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر رضي الله عنه
اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم او القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا
في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله
فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع وقدر على الصبر مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا
وغنيمة في الاخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على
الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب قلبه عليه ويتشوش عبادته لم يجز له التوكل ولذلك
روي ان ابا تراب النخشبي رحمه الله نظر الى صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلثة ايام فقال لا يصلح
لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر عن الطعام اكثر من ثلثة
ايام وقال ابو علي الروذباري رحمه الله اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جايع فالزموه السوق ليشتغل
بالعمل والكسب فاذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شيء وهو ان له
تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله فقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا
عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة الامصار
والبلاد او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن مع
نوع من الاذى ولا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي
وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا وذلك لضعف
ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الاخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن
وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت
تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى
الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات
غذاء الام بواسطتها ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام ليتكفل به شاءت ام ابى

اضطرارا من الله تعالى اليه بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن تمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل اخذ الكثيف فادر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذا الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب العلم وسلوك سبيل الاخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقص اسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب فالان قد قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يسقيه ويطعمه في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط الله تعالى الشفقة والحب على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تالم قلبه فرق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والان المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام فهو مشفقة خاصة فما راوه محتاجا ولو راوه محتاجا او راو يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذونه ويكفلونه فما راى الى الان في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب اذ ليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبي وقد كان المشفق عليه واحدا والمشفق الان الاف نعم كانت شفقة الام اقوى واخص ولكنها واحدة وشفقة احاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقة الاحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث قال

جرى قلم القضاء بما يكون ۰ فسيان التحرك والسكون ۰ جنون منك ان تسعى لرزق ۰ ويرزق في غشاوته الجنين

فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا الصباه واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله تعالى ملازما لمسجد او بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس وما روي الى الان عابد او عالم استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في مصر من الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وامن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلواء والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محاله وقد يقع ذلك في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله في كل اسبوع قرص شعير او حشيش نبتا وله لا محاله والغالب انه يصل اليه اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طرق الاخرة فذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل

بغير اضطراب فاثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه وان سكن الا نادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت له هذه الامور وكانت معه قوة في القلب وشجاعة اثمر ذلك ما قاله الحسن البصري رحمه الله اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد رحمه الله لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل واياك ان تجمع بين افلاسين الافلاس عن وجد المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذن عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضاء بالموت فانه ياتيك لا محاله وان فررت منه وعند ذلك على الله ان يبعث اليك رزقك على يدي من لا تحتسب وان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فيما ضمن الا الرزق الذي يدوم به حيوته وهذا المضمون مبذول لمن اشتغل بالضامن واطمان الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله تعالى من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله ذلك فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسال الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين فطالبتني ان اسال الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول

ويزعم انه منا قريب ۰ وانا لا نضيع من اتانا ۰ ويسالنا القوى جهدا وصبرا ۰ كانا لا نراه ولا يرانا ۰

فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله تعالى فان اسوء حاله ان يموت ولابد ان ياتيه الموت كما ياتي من ليس مطمئنا فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذي ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب مشاهدة صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم يكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظر الاسباب بل المسبب الاسباب كما لا تكون منتظر القلم الكاتب بل القلب الكاتب فانه الاصل وهو تابع لحركة القلب والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض في بوادي بلا زاد او يقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي لم ذكر بالعبادة والعلم اذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذايذ وبثوب خشن يليق باهل الدين فهذا ياتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره بسبب ظاهر لجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة فالعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس وياكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فاما من له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ ممن يريد من يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله تعالى واعانة المعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب

التي

ولذلك سال بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه
اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا
ثقة بالاسباب الظاهرة لهم **بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب المثال**
اعلم ان مثال الخلق مع الله تعالى مثال طائفة من السوال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون
الى الطعام فاخرج عليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة من الخبز وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين
وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا
بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا
اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون
موكلا به الى ان اتقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يوذ الغلمان وقنع برغيف
واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكت فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت
في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطاه غلماني وما اوصلوا اليه شيئا فبات
الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائل ليته اوصل الي رغيفا فاني غدا استوزره وافوض اليه ملكي
فانقسم السوال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم
الى غد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا الى الغلمان فاذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم
في الميعاد المذكور فندموا ولن ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين
لغلبة الجوع فسلموا عن العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمراى من الغلمان حتى لا يخطونا ولكن لا
ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان
وانحرفوا عن مرائي اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطونا قاسينا شدة الجوع
الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تبعتهم
الغلمان في كل زاوية واعطى كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى
ثلثة في زاوية ولم يقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد
فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح
فنال درجة القرب والوزارة فهذه امثال الخلق فالميدان هو الحيوة الدنيا وباب الميدان هو الموت والميعاد
المجهول القيمة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تاخير ذلك الى ميعاد
القيمة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين والمتعلق بالغلمان هم المقيمون في الامصار المقيمون
الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل
والاسباب يتبعهم والرزق ياتيهم الا على سبيل الندور فان مات منهم واحد جائعا راضيا فله الشهادة
والقرب من الله تعالى فقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون
فاقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للاسباب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي
ثلثة فتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة واما الان فالتارك
للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة الف والله اعلم **الفن الثاني في التعرض للاسباب بالادخار** فمن
حصل له مال بارث او سوال او سبب من الاسباب فله في ادخاره ثلثة احوال الحالة الاولى ان ياخذ قدر حاجته
في الوقت فاكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال

هو المتعدي بالاسباب والغلمان المتخرجون هي الاسباب والجالس في ظاهر الميدان براى من الغلمان صح

او لا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخر على هذه النية فهذا هو الوفاء
بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة عن حدود التوكل ان يدخره
لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا فقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلثة الفارة والنملة وابن ادم
الحالة الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الاخرة
للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج عن حدود التوكل
باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم
يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود
على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين
واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذى السابقون فاعلى درجات
اصحاب اليمين تلاصق اسافل درجات السابقين فلا معنى في التقدير في مثل هذا بل التحقيق ان
التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك
كالممتنع وجوده اما الناس فيتفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوما وليلة فما دونه
من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يومل اكثر من شهر كان
اقرب الى المقصود ممن يامل سنة ويقيده باربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة
ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى عليه السلام لنيل الموعود كان لا يتم الا
بعد اربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله في تدريج الامور كما قال عليه الصلوة والسلام خمر طينة
آدم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة للتخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاذا ما
وراء السنة لا يدخرها الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير
واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات
تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر باقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم يكن
درجته درجة من امل شهرا ولا درجة من امل ثلثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا
قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روى
في الفقير الذي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا واسامة رضي الله عنهما فغسلاه وكفناه ببرديه
فلما دفنه قال عليه الصلوة والسلام لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة
كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا يا رسول الله وما هي قال عليه الصلوة والسلام كان صواما
قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه الآخر واذا جاء الصيف
ادخر حلة الشتاء لشتائه الآخر ثم قال عليه الصلوة والسلام من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث
وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه في المنزل على الدوام في معنى ذلك وادخاره لا ينقص الدرجة واما ثوب
الشتاء فضلا لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لم ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه
الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة
والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به
فذلك اولى له لان المقصود اصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله تعالى فرب شخص يشغله وجود المال ورب
شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك

وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين صح

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات
فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله
تعالى وارشدهم الى فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله القلب
فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما
المعيل فلا يخرج من حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلبهم وادخار
اكثر من ذلك مبطل التوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخار ما يزيد على ذلك سببه ضعف
قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى
واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة
ونهى ام ايمن وغيرها ان يدخر له شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار لكسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال
انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال عليه الصلوة والسلام له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت
فلا تخبأ فالاقتداء بسيد المتوكلين وكان قصر امله بحيث كان اذا كان محدثا تيمم مع قرب الماء ويقول
ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك عن توكله اذ كان لا يثق بما يدخره
ولكنه ترك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف
قلبه فيه على عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى
عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور من
الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف
اصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر ببعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما
روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه الصلوة والسلام فتشوا
ثوبه فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال عليه الصلوة والسلام كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت
ويخلف اموالا فلا يقول ذلك في حقه فهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد
كيتان من النار كما قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل
مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس والثاني لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله
كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان
عن درجته في الاخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الاخرة واما بان الادخار مع فراغ القلب
عن المدخر ليس من ضرورة بطلان التوكل ويشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده
في ضحوة من النهار يوما فدخل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع
الي كفا من دراهم وقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت
بالطعام فوضعته فاكل معه وما رايته قط اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل
وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف فتعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ
بقية الطعام من غير اذن قال هذا اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا
صح لم يضر معه الادخار

الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المتعرض للخوف

اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في
النفس فكالنوم في الارض المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر

بلغ المقابلة

فكل

فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة ثم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع به
والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهو الذي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي
والرقية فان الكي والرقية قد تقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا
خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة يلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب
نعم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج للسفر في الشتاء تهييجا للحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل
التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان
كانت مقطوعة وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال
والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال تعالى ولنصبرن على
ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس واما الصبر على اذى
السباع والحيات والعقارب وترك دفعها ليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك
السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتبها في سبب جلب المنافع فلا نطول بالاعادة
وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل
البعير لان هذه الاسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا وكذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي
لما ان اهمل البعير وقال توكلت على الله فقال عليه الصلوة والسلام اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم
وقال تعالى في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ومن رباط الخيل ترهبون به وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اخفاء
عن عين العدو نوع تسبب واختفى عليه الصلوة والسلام في الغار اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرر
واخذ السلاح في الصلوة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن اخذ السلاح سبب
مظنون وقد بينا ان ليس المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد
حكي عن جماعة ان الاسد وضع يديه على كتفيه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا
ينبغي ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح الاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام
رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا يقف عليه ما لم ينته اليه فان قلت وهل من علامة
اعلم بها اني قد وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة على
ذلك المقام ان يسخر الكلب الذي هو معك في اهابك يسمى الغضب ولا يزال يعضك ويعض غيرك فان
سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يستشل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك
الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب الوادي وكلب
اهابك اولى بان يسخر لك من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر
فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من الشرود
فباي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع
لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل
ويموت او ينفلت وكم من اخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا تتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب

كما ضربنا المثل في الموكل بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية
الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله به في نفسه وبيته فيقول اللهم ان سلطت
على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها
او عارية او وديعة فتستردها ولا ادري انها رزقي او سبقت مشيئتك في الازل بانه رزق غيري وكيف ما
قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب
الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن
حدود التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي
ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وان لم يجده بل وجده مسروقا فلينظر الى قلبه فان وجده
راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذه الله تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه في الاخرة فقد صح مقامه
في التوكل وظهر له صدقه فان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل
لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا ياسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما ياتي
بل قد يكون على العكس من ذلك فكيف يصح له التوكل نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه
ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى قلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى
الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في ذنبه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المقامات
فكذبته في جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعواها ولا يتدلى بحبل
غرورها فانها خداعة امارة بالسوء ومدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يوخذ فاقول
ان المتوكل لا يخلو بيته عن متاع قصعة ياكل منها وكوز يشرب فيه واناء يتوضا منه وجراب يحفظ فيه
زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال فيمسكه
ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله فليس من شرط التوكل اخراج الكوز
الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في الماكول وفي كل مال زايد على قدر الضرورة
لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة
بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في كل اسبوع والخروج عن سنة الله تعالى ليس شرطا في التوكل
ولذلك كان الخواص ياخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله تعالى
جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا
يتاسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف
لا يتاذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظ ليستعين به على دينه اذ
كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما اعطاه
فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولو لم يكن
ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلى بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل عوضه ويكون
ثوابه في النصب والتعب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص ما تغير ظنه لانه في جميع الاحوال
واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله تعالى علم ان الخيرة كانت لي في وجودها الى الآن والخيرة لي الآن
في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب
من حيث انها اسباب بل من حيث ان يسرها مسبب الاسباب منا عليه وتلطفا به وهو كالمريض بين يدي

صدقه

ولا يربيه

الطبيب

الوالد

الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت
على احتماله لما قربه الي وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك فرح ايضا وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت
لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد الشفيق الحاذق بعلم
الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف احواله وافعاله وعرف سنته في اصلاح
عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت
غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرق متاعه او بقائه فانه لا يدري
ايهما خير له لا في الدنيا ولا في الاخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى
لواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا **بيان اداب المتوكلين اذا سرق متاعهم** للمتوكل آداب
في متاع بيته اذا خرج عنه **الاول** ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران
الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول
لولا الكلاب ما شددته ايضا **الثاني** ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب
معصيتهم او يكون امساكه هو سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال
له خذها فلا حاجة لي اليها ثم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق
ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد
زهد في الدنيا فما عليه من اخذها **الثالث** ان ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا
بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه في حل وهو في سبيل الله تعالى
وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه غني او فقير
احدهما ان يكون ماله ما نعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى به عن السرقة بعده وقد زال عصيانه
باكل الحرام لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما آخر ويكون ماله فداء لمال مسلم ومهما نوى حراسة مال
غيره بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح المسلمين وامتثل قوله صلى الله
عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم بمنعه عن الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق
ان هذه النية لا يضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيهما ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه يحقق بالزهد
نيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يوخذ حصل له الاجر ايضا كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش
وقتل في سبيل الله تعالى وان كان لم يولد له لانه ليس اليه من امر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحيوة والرزق
والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السارق **الرابع** انه اذا وجد المال
قد سرق فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت في ذلك لما سلبه الله تعالى
ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله تعالى فلا يبالغ في طلبه في اساءة ظنه بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل
الله تعالى فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد
ان كان قد جعله في سبيل الله وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير
محبوب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله
تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا وكذا فلبس نعله وقام
ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ

رايت فى النوم بعض اخوانى بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفرلي وادخلنى الجنة وعرض على منازلي
فيها فرايتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفرلك وانت حزين فتنفس صعداء
ثم قال نعم انى لا ازال حزينا الى يوم القيمة قلت ولم ذلك قال انى لما رايت منازلى فى الجنة رفعت لى مقامات
فى عليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها فلما هممت بالدخول اليها نادى مناد من فوقها ان اصرفوه
عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضى السبيل فقلت وما امضى السبيل فقيل لى قد كنت تقول للشئ
انه فى سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضيناه لك وحكى عن بعض العباد بمكة انه كان نائما
فى الحرم فانتبه بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه به فقال له كم كان فيه فذكره وحمله
الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه انهم قد اخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو واصحابه
معه وردوا الذهب فابى عليهم وقال خذوها حلالا فما كنت لاعود فى مال اخرجته فى سبيل الله تعالى فلم يقبله
فالحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصرها صررا ويبعث بها الى الفقرا الى آخرها فهكذا كانت اخلاق السلف
وكذلك من اخذ رغيفا مثلا ليعطى فقيرا آخر وكذلك يفعل فى الدراهم وساير الصدقات الخامس وهو اقل
الدرجات ان لا يدعوا على السارق الذى ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل على كراهته وتاسفه على
ما فات وبطل زهده وان بالغ فى الدعا ايضا بطل اجره فيما اصيب به وفى الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر فقد
حكى ان الربيع بن خثيم سرق فرسا له وكان ثمنه عشرين الف درهم وكان قائما يصلى فلم يقطع صلوته ولم ينزعج
لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما انى قد كنت رايته وهو يحله قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو
احب الى من ذلك يعنى الصلوة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فانى جعلتها صدقة عليه وقيل
لبعضهم فى شئ كان قد سرق منه الا تدعوا على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل افرايت
ان ردت عليك قال لا اخذها ولا انظر اليها لانى كنت قد احللتها له وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال
ما ظلمنى احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم سب الحجاج عند
بعض السلف فى ظلمه فقال لا تغرق فى شتمه فان الله ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ
ماله ودمه وفى الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون مقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم
عليه مطالبته بما زاد عليه فيقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعقاب
الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصانا فى دنياه لا فى دينه فقد شكا
بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن لك غم انه قد صار فى المسلمين من يستحل
هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من على بن الفضيل دنانير وهو يطوف فراه ابوه وهو
حزين يبكى فقال اعلى الدنانير تبكى فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسئل يوم القيمة ولا يكون له حجة وقيل
لبعضهم ادع الله على من ظلمك فقال انى مشغول بالغم والحزن عليه عن الدعاء عليه الفن الرابع السعى فى
ازالة الضرر كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء
المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وساير اسباب
الطب اعنى معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهى الاسباب الظاهرة فى الطب والى ما هو
موهوم كالكى والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط
التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكى ويليها الرقية والطيرة آخر
درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب واما المظنون وهى الدرجة المتوسطة

فقال عنه كره لرده الى البيت بعد اخراجه فيعطيه فقيرا ثم

على السارق

الذى

كا

كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطبا ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا
بخلاف المقطوع بل قد يكون تركه افضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص وهى على درجة
بين الدرجتين ويدل على ان التداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره به
اما قوله صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعنى الموت وقال
عليه الصلوة والسلام تداووا عباد الله فان الله تعالى خلق الداء والدواء وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله تعالى فقال عليه الصلوة والسلام هى من قدر الله تعالى وفى الخبر المشهور
ما مررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفى الحديث انه امر بها وقال عليه الصلوة والسلام
احتجموا لسبع عشر من الشهر ولتسع عشر واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب
الموت فانه قال قاتل باذن الله وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب
وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب
الماء على النار لاطفائها ورفع ضررها عند وقوعها فى البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة التوكل وفى خبر
مقطوع من احتجم يوم الثلثا لسبع عشر من الشهر كان له دواء من داء سنة وما امره صلى الله عليه وسلم فقد امر
غير واحد من الصحابة بالتداوى والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اى فصده وكوى سعد بن زرارة وقال لعلى
كرم الله وجهه وكان رمد العين لا تاكل من هذا يعنى الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعنى سلقا طبخ له
بدقيق شعير وقال لصهيب وقد رآه ياكل التمر وهو وجع العين فقال تاكل تمرا وانت رمد فقال انما اكل
من الجانب الاخر فتبسم واما فعله صلى الله عليه وسلم فقد روى فى حديث من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة
ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة قبل السناء المكى وتداوى عليه الصلوة والسلام من العقرب غير مرة
وروى انه كان اذا نزل الوحى عليه صدع راسه فكان يغلفه بالحناء وفى خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها
حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما روى فى تداويه وامره بذلك خارج عن الحصر وقد صنف فى ذلك كتاب
وسمى طب النبى صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء فى الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه
بنو اسرائيل فعرفوا علته وقالوا لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافينى الله عز وجل من غير دواء
فطالت علته فقالوا ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرا فقال لا اتداوى فدامت علته
فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم فداووه
فبرا فاوجس فى نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتى بتوكلك على من اودع العقاقير
منافع الاشياء غيرى وروى ان نبيا شكى علة يجدها فاوحى الله اليه كل البيض وشكى نبى آخر الضعف فاوحى
الله تعالى اليه ان كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وشكوا قوم الى نبيهم قبح اولادهم
فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك فى الشهر الثالث
والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبالى السفرجل والنفسا الرطب فبهذا يتبين
ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة
بحكم الله تعالى كساير الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكنجبين دواء الصفراء
والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا فى امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلى واضح
يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق فى حقه
بالاول الثانى الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط اخر فى الباطن واسباب فى المزاج ربما يتعذر

التوكل

الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال واما زوال العطش فلا يستدعي
سوى الماء شروطا كثيرة فقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف
الاسباب ابدا ينحصر في هذين الفنين والا فالمسبب يتلوا السبب لا محالة مهما تم شروط السبب وكل ذلك
بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب
الاسباب دون النظر الى الطبيب والدواء وقد روي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب ممن الداء والشفاء فقال
عز وجل مني قال فما تصنع الاطباء قال تعالى ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى ياتي شفائي او قبضي
فاذن معنى التوكل مع التداوي داسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي يضاف الاسباب الظاهرة النفع
فاقول ليس كذلك اذا الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب الادواء المسهل وسقي المبردات
للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكبيرة عنه وقل ما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما
ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب الموهومة كالرقي فيه الا انها يتميز عنها بامر وهو انه
احراق النار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق
بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيد
ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقي وكل واحد منهما
بعيد عن التوكل وروى ان عمران بن حصين رضي الله عنه اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه
الامير حتى اكتوى فقال يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان
يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان
يجد من امر الملائكة وقال المطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله تعالى بها قد ردها الله علي بعد
ان كان اخبره بفقدها فاذن الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير
ثم هو موهوم فيدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها

بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم ان الذين
تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو
كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد رآني الطبيب ونظر الي فقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء
رضي الله عنه في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعوا لك طبيبا قال الطبيب
امرضني وقيل لابي ذر رضي الله عنه وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال فاني عنهما مشغول فقيل لو سالت الله
ان يعافيك فقال اساله فيما هو اهم علي منهما وكان اصاب ربيع بن خيثم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت
ثم ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطبا فهلك المداوي والمداوى ولم يغن الدواء شيئا
وقال احمد بن حنبل احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان
به علل فلا يخبر به الطبيب ايضا اذا ساله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضر في جسمه
والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله فلينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذن منهم من ترك التداوي وراه
فقهم كثيرة ولا ينضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي
فنقول لترك التداوي اسباب **الاول** ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء
لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان

التوكل بالعلم والحال كما
سبق في فنون الاعمال
الدافعة للضرر والجاذبة
للنفع فاما ترك التداوي
صح

لا ينافض

بعود

بكون

يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة رضي الله
عنها في امر الميراث انما هما اخواك واختاك وما كان لها الا اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت
انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانقضاء اجله والا فلا يظن به
انه انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتداوي وامر به **السبب الثاني** ان يكون المريض مشغولا
بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل
كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه
اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك
ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل ويقرب من هذا اشتغال
سهل حيث قيل له ما القوت قال هو الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام قال القوام هو العلم قيل سالناك
عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا
دخل عليك علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها **السبب الثالث**
ان يكون العلة مزمنة والدواء الذي يومر به بالاضافة الى علته موهومة النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه
المتوكل واليه يشير قول الربيع ابن خيثم اذ قال ذكرت عادا وثمودا وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى
اي ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته
للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية
من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد
والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية وعند
من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي
تعمقا في الاسباب كالكي والرقي فيتركه توكلا **السبب الرابع** ان يقصد العبد بترك التداوي استبقاء
المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى وليجرب نفسه في القدرة على الصبر وقد ورد في
ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل
فالامثل ويبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صليب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف
عنه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب
الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب
عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال عليه الصلوة والسلام تحبون ان تكونوا كالحمر الصائلة
لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما
وامرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان
فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة والمرض ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق تعالى
اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلواتهم قاعدا مثلا مع الصبر على قضاء
الله تعالى افضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح
ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي

بانها

وقد قال عليه الصلوة والسلام افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض
والمصايب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وكان سهل رحمه الله يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرايض افضل من التداوي
لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد
يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام في الصلوة والنهوض الى الطاعة تعجب
من ذلك ويقول وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال سهل صلوة من قعود مع الرضا
بالحال افضل من التداوي للقوة والصلوة قايما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء
فانما هو سعة من الله لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء ولو كان
هو الماء البارد يسال منه لم اخذت ومن لم ياخذ ذلك فلا سوال عليه وكان مذهبه مذهب البصريين تضعيف النفس
بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل افضل من امثال الجبال من
الاعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة
وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خايف منها عاجز عن تكفيرها
فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض وقد قال عليه الصلوة والسلام
لا تزال الحمى والمليلة على العبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة وفي الخبر حمى يوم كفارة
سنة فقيل لانها تهدم قوة سنة وقد قيل للانسان ثلثماية وستون مفصلا فيدخل الحمى في جميعها ويجد من كل
واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر عليه الصلوة والسلام كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن
ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسال ذلك طايفة من الانصار
فكانت الحمى لا تزايلهم وقال عليه الصلوة والسلام من اذهب الله كريمتيه لم يرض الله له ثوابا دون الجنة قال
فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه الصلوة والسلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب
والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم
البلاء فقال يا رب ارحمه فقال تعالى كيف ارحمه مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته السبب السادس
ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله
زوال المرض فيعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك الفايت وتاخير
الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعوا الى المعاصي
واقلها ان تدعوا الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة
الطاعات فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله من التنبيه بالامراض والمصايب ولذلك قيل لا يخلوا المومن
من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي
فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغ ان يشتغل بعلاجه من يخاف
ذلك على نفسه فالعافية بترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية
قال ان كنت لم تعص الله فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من عصى الله
وقال علي عليه السلام لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المومنين
هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون
قيل العوافي وان الانسان ليطغى ان راه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون

دعوى

انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه مكث اربعماية سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق
فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغله عن الفضول فضلا عن الربوبية وقد قال عليه الصلوة
والسلام اكثروا من ذكر هادم اللذات وقيل الحمى بريد الموت فهي مذكرة به ودافع للتسويف قال الله تعالى
او لا يرون انهم يفتنون في عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض ويختبرون
بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم
تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في مال او نفس وقالوا لا يخلوا
المومن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر رضي الله عنه تزوج امراة
فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل
وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع
وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال النبي عليه الصلوة والسلام اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل
من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ كل مومن من النار وفي حديث انس وعايشة
قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء غيرهم يوم القيمة فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ
آخر الذي يذكر ذنوبه فيحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوايد المرض راى جماعة
ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد
فعله صلوات الله عليه **بيان الرد على ان ترك التداوي افضل بكل حال** فان قال قايل انما فعله صلى الله
عليه وسلم ليسن لغيره ذلك والا فهذا حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال
له فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم فان قيل ذلك ايضا شرط فليكن من
شرطه ان تلدغه العقرب والحية فلا ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب يلدغ الظاهر فاي
فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء البارد ولدغ الجوع
بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها
مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر وعن الصحابة
رضي الله عنهم في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا
ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت
الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل على الله ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله
تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ففزعوا الى عمر رضي الله عنه
فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رايه انفر من قدر الله تعالى قال نعم نفر
من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا وقال ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احدهما
مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا
نعم قال ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليساله عن رايه فكان غايبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن بن عوف فساله
عمر عن ذلك فقال عبد الرحمن عندي فيه شيء سمعته يا امير المومنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر
فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع
في ارض وانتم بها فلا تخرجوا عنها فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رايه ورجع بالناس من
الجابية فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان هذا من شروط التوكل

فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذي فيه الوبآء وسبب الوبآء في الطب الهوآء واظهر طرف التداوي الفرار من المضر والهوآء هو المضر فلم لا يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار عن المضر غير منهي عنه اذ الحجامة والفصد فرار من المضر وترك التوكل في امثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله ان الهوآء لا يضر من حيث انه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشآء اثر فيها بطول الاستنشاق له ولا يظهر الوبا على الظاهر الا بعد طول التاثير في الباطن والخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر آخر وهو انه لو رخص للاصحآء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم المآء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرة ذلك بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحآء منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمومنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدموا بعد على البلد فانهم لم يؤثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون فافتقروا الى المتعهدين وقدم عليه قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا اشبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده اكثر ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا اكثر وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك فان قلت فان كان في ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات واحتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحاله يمنعه التداوي وكل ذلك كمال بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان يكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كمال وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه واستوى عنده الحجر والذهب فهذا اكمل من الهرب عن الذهب دون الحجر وكان عنده صلى الله عليه وسلم استوا حالة المدر والذهب وكان لا يمسكه الا لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوف على نفسه من امساكه فانه كان اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الدنيا فابى ان يقبلها فكذلك كان يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدوآء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما يحتاج اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث روية الدوآء نافعا دون

اوكان التداوي يشغله عن حاله تضعف عن الجمع فالهذه المعاني رجحت الصوارف عن ترك التداوي

خالق الدوآء وهذا قد نهي عنه ومن حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك ولا احد من المؤمنين يرى الدوآء نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله الله سببا للنفع كما لا يرى المآء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على طاعة الله او المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان بعض التداوي قد يكون افضل من بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان كل واحد من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

بيان صفة المتوكل في اظهار المرض وكتمانه

اعلم ان كتمان المرض واخفآء الفقر وانواع البلآء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لانه الرضا بحكم الله تعالى والصبر على بلائه معاملة بين العبد وبين الله تعالى فكتمانه اسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الاظهار ثلثة **الاول** ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن بن عيسى المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في **الثاني** ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقد قال الحسن اذا احمد الله تعالى المريض وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى **الثالث** ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لامير المؤمنين علي كرم الله وجهه في مرضه كيف انت قال بشر قال فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك فظنوا ان ذلك شكاية منه فقال اتجلد على الله تعالى فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرامة وتادب فيه بتاديب النبي صلى الله عليه وسلم اياه حيث مرض فسمعه صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول اللهم صبرني على البلآء فقال عليه الصلوة والسلام لقد سالت الله تعالى البلآء فاساله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقر الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية من الله تعالى بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن نحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن يترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدوآء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث فلم يصبر وقيل في معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يارب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب عليه السلام الا انينه في مرضه فكان انينه حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظروا الى ما يقول لعواده فان حمد الله واثنى عليه بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم الفضيل ووهيب بن الورد وبشر بن الحارث رحمة الله عليهم وكان فضيل يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال ايضا لا اكره العلة الا لاجل العواد تم كتاب التوحيد والتوكل والحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو السادس من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين ونعم المعين الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات
الى متاع الدنيا وخضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها
باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها
بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته وكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه
العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته
فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غريقا في بحر معرفته وحريقا بنار محبته والصلوة على محمد خاتم الانبيا
بكمال نبوته وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق وازمته وسلم كثيرا **اما بعد** فان المحبة لله
تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها
وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا هو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر
والزهد وغيرها وساير المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد
عز الايمان بها حتى انكر بعض العلما امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال
الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجات وساير لوازم الحب وتوابعه ولا بد
من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب **بيان** شواهد الشرع في المحبة **ثم** بيان حقيقتها واسبابها
ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله **ثم** بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى **ثم** بيان سبب الزيادة
لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا **ثم** بيان اسباب المقوية لحب الله تعالى **ثم** بيان السبب في تفاوت الناس
في الحب **ثم** بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى **ثم** بيان معنى الشوق **ثم** بيان معنى محبة الله تعالى
للعبد **ثم** القول في علامات محبة الله تعالى **ثم** بيان معنى الانس بالله **ثم** بيان معنى الانبساط في الانس **ثم**
القول في معنى الرضا وبيان فضيلته **ثم** بيان حقيقته **ثم** بيان الدعا وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار
من المعاصي **ثم** بيان حكايات المحبين وكلمات متفرقة **بيان شواهد الشرع في حب الله تعالى** اعلم ان الامة
مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع
الحب وثمرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على ثبوت الحب لله تعالى قوله تعالى يحبهم
ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب والتفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله
ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث
آخر لا يؤمن العبد حتى يكون الله ورسوله احب اليه من ماله واهله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد
قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية فان ذلك جرى في معرض
التهديد والانكار وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني بحب الله
وروي ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقر فقال اني احب الله فقال
استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش
قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه
باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابرهيم عليه السلام قال
لملك الموت اذ جاءه ليقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله تعالى اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه

فقال

فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله تعالى بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء
انزعج قلبه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك
وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه من
جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن
وقال ابو سليمن الداراني ان من خلق الله تعالى خلقا ما تشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه
بالدنيا وروي ان عيسى عليه السلام مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم
ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلثة اخر فاذا هم اشد نحولا وتغيرا
فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثة
اخر فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كانهم على وجوههم المراة من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا حب الله تعالى
فقال انتم المقربون انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نائم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال
من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيمة بانبيائها فيقال يا امة عيسى ويا
امة موسى ويا امة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم
تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه فاذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال
اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهو بجسده في الدنيا وبروحه في الآخرة
وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه
يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك
محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة
بلا حب وقال الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا جذبتني اليك وسربلتني بمعرفتك وامكنتني
من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضى وحبا تسقيني من
حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف
اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك زمزمة وبالضراعة اليك همهمة
لاني احبك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار
ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناها فلنشتغل به **بيان حقيقة المحبة**
واسبابها وتحقيق معنى محبة الله تعالى اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة
في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما ينبغي
ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور
ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انفسها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك
ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة
فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة فلا
يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه

العبد لله تعالى

ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملتذ فان تاكد ذلك الميل
وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة
الحب لا بد من معرفته **الاصل الثاني** ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام
المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع
بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات
الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة
ولذة الذوق في المطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت
محبوبة اذ كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا
وجعلت قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم ان لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى
النسا محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلوة قرة عين
وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس دون الشم والذوق والسمع
مظنته القلوب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس يشارك فيها البهايم الانسان فان كان
الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس الخمس ولا يتمثل في الخيال
فلا يحب فاذا قد بطل خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور
او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصيرة الظاهرة
والقلب اشد ادراكا من العين وكمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من كمال الصور الظاهرة للابصار فتكون
لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان يدركها الحواس الخمس اتم وابلغ
فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سيأتي
تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهايم فلا يجاوز ادراك الحواس اصلا
الاصل الثالث ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور
ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفا حتى يظنوا انه لا يتصور ان يحب الانسان
غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اقسام
المحبة واسبابها وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان له في طبعه
ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملائمة
من نفسه ودوام وجوده واي شيء اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان
دوام وجوده ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت
بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب
الموت والعدم المحض الا لمقاساة الم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان احب العدم
لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالعدم والهلاك ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام
الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر
المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه ممقوت
في اصل الذات فوجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع
بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه

وجمال صح

ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود
موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا ساير الاسباب فالانسان يحب
هذه الاشيا لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا يناله
منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه
لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قايم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير
بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله لاثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه
بقاءه من وجه وليس هو بقاءه بالتحقيق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى محبة لكمال نفسه فانه
يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجية كالجناح المكمل
للانسان فكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته
ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا اول الاسباب **السبب الثاني** الاحسان فان الانسان
عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشار الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع
دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة
بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امده بالمال والمعونة وساير
الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيا الوجود الا ان الفرق
ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهو عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين
الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي قد يكون سببا في دوام صحة الاعضا ففرق بين
حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب
لا لذاته بل لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب لكن العلم محبوب لذاته والاستاذ
محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام
محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فالكل
راجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو
فعل من افعاله ولو زال لزال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص لنقص الحب ولو زاد لزاد ويتطرق اليه الزيادة و
النقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصه **السبب الثالث** ان يحب الشيء لذاته لا لحظ يناله منه وراء
ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن
فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة
محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان
قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان
يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة
او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجاري
والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة
النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر
فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال لا يخلو ادراكه عن لذة ولا ينكر احد كون الجمال

محبوبا بالطبع فاذا ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له كماله وجماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

السبب الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشوبا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا متقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فاي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصور ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في ان يحضر كماله الممكن اللائق به واذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع فيه كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وابي حنيفة ومالك وغيرهم رضي الله عنهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه وهو لم يشاهده قط ولا رأى صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ونشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق ويفضله على غيره او يحب عليا ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والسخاء والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق

مثلا

مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير تتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السير الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السير الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ويرجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر الا ان يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل وبغض ابليس الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهما القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض الاقطار العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار وتنائي الدار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن عدم البصيرة الباطنة لا يلتذ بها ولا يدركها فلا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة

السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال وحظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد وصفنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجائب اسباب الحب فاذا رجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ويدفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن كان بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة في الحقيقة الا الله

بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده

وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله تعالى فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وان حب الرسول محمود

فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات صح

لانه عين حب الله تعالى وكذا حب العلما والاتقيا لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب
ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي
البصاير الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين
انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في
في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما
تخيله ضعفاء القلوب والعقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب
احد غير الله تعالى **واما السبب الاول** وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه
وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة
لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال
من الله وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب
الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم
صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء فهو ناقص
بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحي
الذي هو قايم بذاته وكل ما سواه قايم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة
يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان
لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها
ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان
نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة
الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى
الشجرة والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود
النور تابع لوجود الشمس ووجود الظل تابع للشخص بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ
تخيلوا ان النور اثر الشمس وفايض منها وموجود بها وهو خطا محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا
اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام
الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله ولكن الغرض من الامثلة التفهيم
فلا يطلب فيها الحقايق فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في
اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلي من هذا
الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر على نظره في شهواته
ومحسوساته وهو عالم الشهادة التي يشارك البهايم في التنعم بها والاتساع فيها دون عالم الملكوت الذي
لا يطا ارضها الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر
انحطاطه الى حضيض عالم البهايم **واما السبب الثاني** وهو حبه من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكماله وكلامه وامده
بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعدائه وقام بدفع شر الاعداء عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه
في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله تعالى فانه
لو عرفه حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط واما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعدها اذ لا

يحيط بها حصر حاصر كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب
الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وان المحسن هو الله تعالى
ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك لتتصرف كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان
منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعية الباعثة له على صرف المال اليك
فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه
اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبة من ماله
ومهما سلط الله تعالى عليه الدواعي وقدر في نفسه ان اصلاح دينه ودنياه في ان يسلم اليك ماله كان
مقهورا مضطرا الى التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن اليك هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه
الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل واما يده فواسطة يصل فيها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر
فيه اضطرارا مثل مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا
من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر وانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه واما
الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل
وهو المنة والاستسخار والثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة
والمحبة وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت
فلست مقصودا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثنا والشكر والثواب بسبب قبضك
المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من المال
عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك عنده لما ترك عن ماله لاجلك اصلا البته واذن هو غير مستحق
للشكر والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه ولا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى
خازن الامير وانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة و
الامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله
ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك
والثاني انه معتاض عما بذل حظا هو اوفى عنده واحب مما بذله فكما لا يعد البايع محسنا لانه بذل بعوض هو احب
عنده مما بذله وكما لا يعد البايع محسنا لانه بذل لعوض هو احب عنده مما بذله وكذلك الواهب اعتاض الثواب
او الحمد او الثنا او عوضا آخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اعواض تستحقر
الاموال والاعيان بالاضافة اليها والاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع
الى الباذل وذلك محال عن غير الله تعالى فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض
يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال
من غير الله تعالى وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المتفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان
فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق
لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته **واما السبب
الثالث** وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه فهذا ايضا موجود في الطباع واذا بلغك خبر عالم
عابد رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغ خبر ملك آخر ظالم
فاسق متكبر متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول

منها صح

التوكل

وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك ايس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك
عن الترحل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي
حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث انه يتعلق منه بسبب وان الله تعالى هو المحسن
الى كافة المخلوقات المتفضل على جميع اصناف الخلق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب
التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي مظان حاجاتهم وان لم يكن في مظان
الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوايد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم
ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال
الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة
ومثال الضرورة من النعم الخارجة عن بدل الانسان الماء والغذا ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال
المزايا والزوايد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذايذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم
بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف
الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذا هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات
قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة
ايضا لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى **واما السبب الرابع** فهو حب كل جميل
لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع فان الجمال ينقسم الى جمال

بعين الراس

الصور الظاهرة المدركة بالعين والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه
الصبيان والبهايم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب بالقلب ومثال هذا في المشاهد
حب الانبيا والعلما وذوي المكارم السنية والاخلاق الرضية وان ذلك متصور مع تشويش صورة الوجه
وساير الاعضا وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك الحس آثاره الصادرة منه الدالة
عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه
او الشافعي رحمه الله فلا يحبهم الا بحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا بحسن افعالهم بل دل
حسن افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى
حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البنا انكشف من هذه الافعال صفاتهم
الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة فكلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة
كان العلم اشرف واجل وكذا المقدور وكلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا
واجل المعلومات هو الله فلا جرم احسن العلوم واشرفها معرفة الله وكذا ما يقاربها فشرفه على قدر تعلقه به فاذا
جمال الصديقين الذين يحبهم القلوب طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها علمهم بالله عز وجل وملائكته ورسله
وشرايع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث
تنزههم من الرذايل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا
يحب الانبيا والخلفا والعلما والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله
تعالى اما العلم فاين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية
حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فقد خاطب الخلق كلهم فقال تعالى وما اوتيتم من العلم

الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلقه نملة او بعوضة لم يطلعوا
على عشر عشيره ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلايق كلهم فبتعليمه علموه كما قال
الله عز وجل خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا
للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم
اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو
عن علم ما يتقاضيه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلايق اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلق
واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل
بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلايق كلها خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات
الخلق متناهية واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل جمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه
محبوب فادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية بشجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان
وقدرتهما واستيلائهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد السماع فضلا
عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى
قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبائث
النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض
صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الناس وفي بعض الامور وهو لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا
ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج
الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات
وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة
منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق
اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد
قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه
وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع
الولايات التي تحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه
فيستحيل ان يحب عبد من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى
لذلك ولا حول لاحد ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه
والارض وما عليها في قبضته وناصيته جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه
وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقهم ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر
الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب
قادر لقدرته فلا يستحق الحب لكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب والنقايص والتقدس
عن الرذايل والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصورة الباطنة والانبياء
والصديقون وان كانوا متنزهين من العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق
الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقايص بل كونه عاجزا مخلوقا
مسخرا مضطرا عين العيب والنقص والكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في المقدور

ان يتم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك
محال فى حق غيره فهو المتفرد بالكمال المتنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس فى حقه
عن النقايص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفات فلا نطول به فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا
محبوبا فلا يتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزيهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا كما ان
للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل وانما
يتفاوتون فى درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذى لا ند له الفرد الذى لا ضد
له الصمد الذى لا منازع له الغنى الذى لا حاجة له القادر الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه
ولا معقب لقضائه العالم الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والارض القاهر الذى لا يخرج
عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت عن سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلى الذى لا اول
لوجوده الابدى الذى لا اخر لبقائه الضرورى الوجود الذى لا يدور امكان العدم حول حضرته القيوم
الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار الارض والسموات خالق الجماد والحيوانات والنبات المتفرد
بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذى
يتحير فى معرفة جلاله العقل ويخرس فى وصفه الالسنة الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز
عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبيا عليه الصلوة والسلام انت
كما اثنيت على نفسك لا احصى ثناء عليك وقال سيد الصديقين رضى الله عنه سبحان من لم يجعل للخلق
طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته العجز عن درك الادراك ادراك فليت شعرى من ينكر امكان حب الله
تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن
او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الجمال والجلال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من ادركه
فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له من الله الحسنى الذين
هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الحائرين فى ظلمات العمى يتيهون وفى مسارح المحسوسات وشهوات
البهايم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة غافلون والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون والحب
بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود
ان اود الاوداء الى من عبدنى لغير نوال ولكن ليعطى الربوبية حقها وفى الزبور من اظلم ممن عبدنى لجنة
او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على طايفة من العباد قد نحلوا وقالوا
نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له
وتعظيما لجلاله فقال انتم اوليا الله تعالى حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم انى لاستحيى ان اعبده
للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفى الخبر لا يكونن
احدكم كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل **واما السبب الخامس** للحب فهو المناسبة
والمشاكلة اذ شبه الشئ منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبى يالف الصبى والكبير
يالف الكبير ويالف الطير نوعه وينفر عن خلاف نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس التاجر
بالتاجر اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر يشهد له التجربة ويشهد له الاخبار والاثار كما استقصيناه فى باب
الاخوة فى الله فى كتاب اداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب التحاب والمناسبة قد تكون
فى معنى ظاهر كمناسبة الصبى للصبى فى معنى الصبى فقد يكون بسبب خفى لا يطلع عليه كما يرى من الاتحاد الذى

الحائرين

بلغ المقابلة

يتفق

٥٥٦

يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع فى مال او غيره كما اشار اليه عليه الصلوة والسلام حيث قال
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر
هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة فى الصور والاشكال
بل الى معانى باطنة يجوز ان يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى
يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذى يذكر هو قرب العبد من الله تعالى فى الصفات
التى امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله تعالى وذلك فى اكتساب
محامد الصفات التى هى من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة
على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة وكل ذلك تقرب
الى الله تعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة
التى اختص بها الادمى فهى التى يومى اليها قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى اذ بين انه
امر ربانى خارج عن حد عقول الخلق ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة فى الارض اذ لم يستحق
ادم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ادم على صورته
حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب
العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لبعض الانبياء مرضت فلم تعدنى
فقال موسى وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته لعدتنى وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة
على النوافل بعد احكام الفرايض كما قال الله تعالى ولا يزال العبد يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذى يسمع بى وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه
فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد
وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى فى عيسى عليه السلام وقالوا هو الاله وقال اخرون
منهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال اخرون اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل
واستحالة الحلول والاتحاد واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسين النورى رحمه الله
عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد فى قول القايل **شعر** ما زلت انزل من ودادك منزلا تتحير الالباب دون نزوله
فلم يزل يعدو فى وجده حتى اجمة قصب قد قطعت روسها حتى يقطع قدمه وتورمت ومات فيه وهذا هو
اعظم اسباب الحب واقواها واعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هى المعلومة من اسباب الحب وجملتها
متظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفى اعلى الدرجات لا فى ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوى
البصاير حب الله تعالى تحقيقا لا مجازا فقط كما كان المقبول الممكن عند العميان حب غير الله ثم كل من يحب
من الخلق لسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه فى السبب والشركة نقصان فى الحب
وغض عن كماله ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا
الله تعالى وانه موصوف بهذه الاوصاف التى هى نهاية الجمال والجلال والكمال ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور
ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون فى حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق الشركة الى
صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا **بيان ان اجل اللذات**
واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا
من حرم هذه اللذة اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرايز ولكل قوة

انى جاعل فى الارض خليفة صح

لعدتنى صح

وغريزة لذة ولذاتها فى نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرايز ما ركبت فى الانسان هزلا بل خلقت
كل قوة وغريزة لامر من الامور هى مقتضها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفى والانتقام فلاجرم لذتها
فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذا الذي به القوام
فلاجرم لذتها فى نيل الغذا الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم فى الابصار والاستماع
فلايخلوا غريزة من هذه الغرايز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك فى القلب غريزة تسمى النور الالهى
لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد يسمى العقل وقد يسمى البصيرة الباطنة وقد
يسمى نور الايمان واليقين ولامعنى للاشتغال بالاسامى فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن
ان الاختلاف واقع فى المعانى لان الضعيف يطلب المعانى من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق
لساير اجزاء البدن لصفة بها يدرك المعانى التى ليست متخيلة ولا محسوسة كادراك خلق العالم وافتقاره
الى خالق قديم قدير مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل
ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة
التى بها فارق الانسان البهايم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغى ان يذم وهذه الغريزة
خلقت لتعلم بها حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهى لذتها كما ان مقتضى طبع ساير الغرايز
هى لذتها وليس يخفى ان فى العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو فى شئ حقير خسيس
يفرح به والذي ينسب الى الجهل فلو فى شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدى بالعلم
والتمدح به فى الاشيا الحقير فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه
بذكر ما يعلمه وما يستشعره من كمال ذاته فان العلم من اخص صفات الربوبية وهى منتهى الكمال ولذلك يرتاح
الطبع اذا اثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثنا كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ
به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر
كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف
العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبرها وجد لذلك لذة وان جهله تقاضاه
طبعه ان يتفحص عنه وان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره فى رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب من
علمه بباطن فلاح او حائك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه فى امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ
فان كان خبيرا بباطن احوال الملك والسلطان الذي هو المتولى على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه
بباطن امور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا
استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان فى المعلومات ما هو الاجل والاكمل
والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعرى هل فى الوجود شئ اجل واعلى
واشرف واكمل واعظم من خالق الاشيا كلها ومكملها ومكمّلها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور
ان يكون حضرة فى الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربوبية التى لا يحيط بمبادى جلالها
وعجايب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك فى ذلك فلا ينبغى ان تشك فى ان الاطلاع على اسرار الربوبية
والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها
واشهاها واحرى ما يستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح و
الاستبشار وبهذا يتبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره فى مملكته

وكل ذلك لفرط لذة العلم صح

من علمه باسرار الرئيس صح

من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغى ان يعلم ان لذة المعرفة اقوى من ساير اللذات اعنى لذة الشهوة والغضب
ولذة ساير حواس الخمسة فان اللذات مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع ولذة السماع ولذة المعرفة ولذة
الرياسة وهى مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة
وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل الفايق البالغ الجمال بالاضافة الى ما دونه فى الجمال وانما يعرف اقوى اللذات
بان تكون موثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روايح
طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم به ان الصورة الجميلة عنده الذ من الروايح الطيبة وكذلك اذا
حضر الطعام ووقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب فترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة فى الشطرنج
اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق فى الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم
الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة
للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعانى الباطنة اغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة
ولو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل الدرجات
الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار الهريسة والحلاوة وان كان على الهمة
كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر على ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره للرياسة
يدل على انها عنده الذ من الهريسة والمطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبى
او الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يوثر لذة المطعومات على لذة الرياسة والكرامة اغلب
اللذات على من جاوز نقصان الصبى والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر
الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التى هى اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان نقول
فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وهذا الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا وانه لا محالة يوثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس
فى بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يراسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته
وكونه مشوبة بالكدورات التى لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعة بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت
الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها الاية فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى
ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى العليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات و
المكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم لكثرتها دائما وانما عرضها من حيث التقدير السموات
والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف من مطالعتها فى جنة عرضها السموات
والارض يرتع فى رياضها ويقطف من ثمارها وهو امن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة
ثم هى ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محله الروح الذي هو امر
ربانى سماوى وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوايقها ويخليها عن حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا
تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم الاية فلا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول فى المعركة
وان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفى الخبر ان الشهيد يتمنى فى الاخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى
لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع اقطار
ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وتخصه
فهو من مطالعة جمال الملكوت فى جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم

وكمان لذة الرياسة صح

يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم صح

على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم
درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى عند
ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا يكون لبهيمة ولا صبي ولا معتوه فان لذة المحسوسات
والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يوثرون الرياسة فاما كون معرفة الله وصفاته وافعاله
وملكوت سمواته واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها فلا يمكن
اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على
لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة الشم للبنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها
تدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلمت حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند
هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطرب معرفة الامور الالهية
فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها
فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة كشرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره
في معرفة الله سبحانه وتعالى وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول
الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك
الا بالذوق والحكاية فيه قليل الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء وانه لا لذة
فوقها ولهذا قال ابو سليمن الداراني ان لله عبادًا ليس يشغلهم عن الله تعالى خوف النار ورجاء الجنة فكيف
تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف له يا ابا محفوظ اي شيء هاجك للعبادة والانقطاع
عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال فاي شيء القبر
قال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع ذلك وان
كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب
الرب عز وجل فقد الهاه ذلك عما سواه وراى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم بعد موته فقال له ما فعل
ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله عز وجل ياكلان ويشربان قلت وانت
قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن موفق انه قال رايت في النوم كاني
ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت
رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس
فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله عز وجل لا يطرف فقلت لرضوان من هذا
فقال معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله تعالى النظر اليه
الى يوم القيمة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمن من كان اليوم مشغولا
بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه فقال الثوري لرابعة
ما حقيقة ايمانك قال ما عبدته خوفا لناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه
وقالت في معنى المحبة نظما **شعر** احبك حبين حب الهوى ٭ وحبا لانك اهل لذاكا ٭ فاما الذي هو حب
الهوى ٭ فشغلي بذكرك عمن سواكا ٭ واما الذي انت اهل له ٭ فكشفك للحجب حتى اراكا ٭ فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ٭ ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله تعالى لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة
وبحبها لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية

هي

هي التي عبر عنها صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك
قال بعضهم اني لاقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان الندا يكون من وراء حجاب وهل رايت
جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقلهم
فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي
لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس
بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري
من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وما له صورة ولا شكل واي معنى
لوعد الله به عباده وذكره انه اعظم النعم بل من عرف الله تعالى عرف ان اللذات المقترنة بالشهوات المختلفة
كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال كانت لقلبي اهواء مفرقة ٭ فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي ٭
فصار يحسدني من كنت احسده ٭ فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي ٭ تركت للناس دنياهم ودينهم ٭ شغلا
بذكرك يا ديني ودنيائي ٭ ولذلك قال بعضهم ٭ وهجره اعظم من ناره ٭ ووصله اطيب من جنته ٭ وما ارادوا بهذا
الا ايثار لذة القلب في معرفة الله على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما
القلب فلذته في لقاء الله تعالى فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته
وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده
لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة
النساء فيترك لها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا
واغلبها واقواها كما قال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الآية ثم بعد هذا يظهر غريزة اخرى
يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو
الاخير الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب الزينة والنساء في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين
وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء
وطلب الرياسة وكذلك الروسا يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة من اشخاص
الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله سبحانه وتعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة
وغيرها ومن راى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليه ولكن اذا فتح العين وابصر
ادرك تفرقة بينهما ولا يرجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة
للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان الصورة المرئية صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا
وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى بعد تمام الضوء فانه لا يفارق احدى
الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال وهي
غاية الكشف ويسمى ذلك رؤية لانها غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا الادراك الكامل المكشوف
في الجبهة او الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية فاذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل
في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احدهما اولى والثانية استكمال لها وبين الثانية والاولى من التفاوت

وتفاخر بينكم

في مزيد الكشف والايضاح مابين المتخيل والمرائي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء
ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان
تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرائي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول
الرؤية ومالم يرتفع كان الادراك الحاصل مجردا التخييل وكذا مقتضى سنة الله تعالى ان النفس مادامت
محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وماغلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة
واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار
والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى لن تراني وقال تعالى لا تدركه
الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى الله عز وجل ليلة المعراج فاذا ارتفع
الحجاب بالموت بقيت النفس متلوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها
ما تراكم عليه الخبث والصدى فصار كالمراة التي فسد بطول تراكم الخبث وجوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل
وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله منه ومنها مالم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن
قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا تقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض
على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المؤمنين كما ورد به الخبر سبعة الاف
سنة ولم تتخل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال الله تعالى وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة
للصدر عنها فاذا اكمل الله تعالى تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ من جملة ما ورد فيه الشرع

بالورود على النار وغير مستيقنة صح

من العرض والحساب وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله تعالى عليه احدا من خلقه فانه
واقع بعد القيمة ووقت القيمة مجهول فعند ذلك يستعد بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق
وجهه غبرة ولا قترة لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى
ما علمه كانكشاف تجلي المرايا بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية
حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى
عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب
مشاهدة ولا يكون بين المشاهد في الاخرة والعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح
كما ضربنا في المثال في استكمال الخيال بالرؤية واذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون
في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها الا في
زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى

معرفة حقيقية تامة من غير تخيل ولا تصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الاخرة كذلك بل فوق المعرفة الحاصلة في الدنيا صح

يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف
ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي النور الذي ينقلب في الاخرة
مشاهدة كما ينقلب النواة شجرة والبذر زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر كيف
يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله عز وجل في الدنيا فكيف يراه في الاخرة ولما كانت المعرفة على درجات
متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف
النبات بالاضافة الى اختلاف البذور اذ يختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان تظن ان غير ابي بكر

ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيرة ان كانت معرفته في الدنيا
عشر عشيرة ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر
لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم واكتسابه وانكشاف مشكلات ملكوت السموات
والارض وساير الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والمشروب جميعا وكذلك يكون في الاخرة قوم
يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم
هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية على لذة المطعوم
والمنكوح والمشروب وساير الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار
ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله تعالى في الدنيا
فلا يراه في الاخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الاخرة اذ ليس يستانف

في الاخرة صح

لاحد مالم يصحبه في الدنيا فلا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على
ما عاش عليه فما يصحبه من المعرفة هي الذي يتنعم بها بعينها فقط الا انها ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء
فتتضاعف اللذة به كما يتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك
هو منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل واحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره
بل ربما يتاذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله عز وجل بقدر معرفته فاصل السعادات
هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت لذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة
وان كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر

في الجنة صح

فيها ساير اللذات فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة مصدره الخلو عن المعرفة فمن خلى عن المعرفة فكيف
يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات ولو عرضت عليهم الجنة في الدنيا
بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة

وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلايق الدنيا وكيف يدرك لذتها صح

للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روايح الاطعمة المشتهية الى ذوقها ولا للذة اللمس
باليد الى لذة الوقاع واظهار عظيم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق
في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة
والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث
كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه على
قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حايل كادراكه مع التجرد والرابع اندفاع
العوايق المشوشة والالام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ
الخايف المذعور او المريض المتألم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه
معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه
وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرت على الفجاة حالة انهتك
به الستر واشرق به الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط
حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف يتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاول اليه نسبة يعتد بها وكذلك فافهم
نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال للبدن والاشتغال به والعقارب والزنابير الشهوات
المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال القصور النفس

فى الدنيا ونقصانها عن التشوق الى الملاء الاعلى والتفاتها الى اسفل السافلين وهو مثل قصور الصبى
عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور فالعارف وان قويت فى الدنيا معرفته فلا تخلو
عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوايق فى بعض الاحوال ولا
تدوم فلاجرم تلوح من جمال المعرفة ما يدهش العقل ويعظم لذته بحيث يكاد القلب ينفطر لعظمته ولكن
يكون ذلك كالبرق الخاطف وقل ما يدوم بل يعترض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه
وهذه ضرورة قايمة فى هذه الحيوة الفانية فلاتزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحيوة الطيبة
بعد الموت وانما العيش عيش الاخرة وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه
الرتبة فانه يحب لقاء الله فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال فى المعرفة فان
المعرفة كالبحر وبحر المعرفة لا ساحل له والاحاطة بكنه جلال الله تعالى محال وكلما كثرت المعرفة بالله تعالى
وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته وقويت كثر النعيم فى الاخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع
وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا فى الدنيا ولا يزدرع الا فى صعيد القلب ولا حصاد الا فى الاخرة
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى لان المعرفة انما
تكثر وتكمل وتتسع فى العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علايق الدنيا
والتجرد للطلب ويستدعى ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه لانه راى نفسه واقفا فى المعرفة
بالغا الى منتهى ما يتيسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة يحصل له بطول العمر وراى نفسه
مقصرا عما يحتمله قوته لو عمر فبهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما ساير الخلق فنظرهم
مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان
وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة
فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى لذة
الرؤية ومعنى كونها الذ من ساير اللذات عند ذوى العقل والكمال وان لم يكن كذلك عند ذوى النقصان
كما لم يكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان وان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين فى الاخرة
فاعلم ان الناس قد اختلفوا فيه وارباب البصائر لا يلتفتون الى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل
البقل ولا يسال عن المبقلة ومن يشتهى رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته هل تخلق فى عينيه
او فى جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كانت الرؤية بالعين او بغيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه
ولا حكم لها والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان نحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا
فى حكم الجواز فاما الواقع فى الاخرة من الجايزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة
من شواهد الشرع ان ذلك يخلق فى العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وساير الالفاظ الواردة فى الشرع
يجرى على ظاهرها اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة والله اعلم

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم ان اسعد الخلق حالا فى الاخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الاخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك
سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد
من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب
وكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى فى الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مؤمن
لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهى الى الاستهتار الذى يسمى عشقا فذلك

ومزاحم

ينفك

ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علايق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب
فان القلب مثل الاناء الذى لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه
وكمال الحب فى ان يحب الله تعالى بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل
بغير الله ينقص منه حب الله تعالى وبقدر ما يبقى من الماء فى الاناء ينقص الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد
والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم الاية وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
بل هو معنى قولك لا اله الا الله اى لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد
والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد لما يحبه ولذلك قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه
وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد فى الارض الهوى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله
مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله تعالى فلا يبقى فيه شركة لغير الله فيكون الله محبوب
قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن كان هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص
من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه
فخلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الاباد فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى فى القلوب
قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات
حتى ان المتفرج بطيب اصوات الاطيار وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان
حب الله بسببه فبقدر ما انس بالدنيا فينقص انسه بالله ولا يؤتى احد من الدنيا شيا الا وينقص بقدره
من الاخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب
قلب امرأته الا ويضيق قلب ضرتها فالدنيا والاخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك
لذوى القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد
وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد
والخوف والرجاء هى مقدمات ليكتسب بها احد ركنى المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله تعالى واوله
الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما
ثم ينجر ذلك الى الزهد فى الدنيا وفى المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن
غير الله تعالى فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله تعالى وحبه فيه وكل ذلك مقدمات تطهير القلب
وهو احد ركنى المحبة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان كما ذكرناه فى اول كتاب
الطهارة **السبب الثانى** لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك
بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلايقها فيجرى مجرى وضع البذر فى الارض بعد تطهيرها من
الحشيش وهو الشطر الثانى ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهى الكلمة الطيبة التى ضرب الله
لها مثلا حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء واليه الاشارة
بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فهى المعرفة والعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة
قبل المعرفة نعم للعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحامل وكالخادم وانما العمل الصالح كله فى تطهير القلب
اولا من الدنيا ثم فى ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل يراد للعمل فالعلم هو
الاول وهو الاخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه
جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان

معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة بتبع المحبة
بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب
الا بالفكر الصافي والذكر الدايم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سمواته
وساير مخلوقاته فالواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقويآء ثم ويكون اول معرفتهم بالله عز وجل
ثم به يعرفون غيره والى الضعفآء فيكون اول معرفتهم الافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول والاشارة
الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو ومن
ذلك نظر بعضهم حيث قيل لهم بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني
الاشارة بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر وهذا الطريق هو الاسهل
على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القران عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار
والنظر في ايات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل
المعرفة والتوصل بها الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد به على ساير الخلق فهو غامض
والكلام فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره
غير خارج عن الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ
النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى
السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجايب وايات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى
جلاله وعظمته فذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز
الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبه لجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها
ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في عجايبها فاقل المخلوقات
هي الارض اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص
فالشمس على ما ترى من صغر جسمها هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة
اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة
وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش
كذلك فهذا انظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض
بالاضافة الى البحار فقد قال صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداقه هذا عرف بالمشاهدة
والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن المآء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظروا الى الادمي
المخلوق الذي هو مخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى ساير الحيوانات والى صغره بالاضافة الى
الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض
على صغر قدره وتامله بعقل حاضر وفكر صاف وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم
الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير ساير الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة
جناحين وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحيه واخرج يده ورجليه وشق سمعه وبصره ودبره

في باطنه من اعضاء الغذآء والاته ما دبره في ساير الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة
والماسكة والهاضمة ما ركب في الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى
الى غذآئه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل
وهو محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى
غرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم ~~مع الانسان حتى يضع خرطومه~~ مع دقته
مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في ساير اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان
يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب في استعداد آلته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة
منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه
فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقته الاجفان لصغرها وكان
الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على
الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على
الاخر واطرافها حادة فتجمع الغبار الذي يلحق الحدقة وترميه الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب
السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين ولتشبكها عند هيجان الغبار فتنظر من
ورآء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوضة فخلق لها حدقتين مصقولتين
من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج فهي تطلب
ضوء النهار فاذا رات المسكين الليل والسراج بالليل ظنت انه في بيت مظلم وان السراج كوة في البيت المظلم
الى الموضع المضيء فلا تزال تطلب الضوء وترمي نفسها الى الكوة واذا جاوزتها ورات الظلام ظنت انها
لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليها مرة اخرى الى ان تحترق ولعلك تظن ان ذلك لنقصانها
وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الادمي في الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش
في التهافت على النار اذ يلوح للادمي انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم
الناقع القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان
جهل الادمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والادمي يبقى في النار
ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انكم تتهافتون على النار
تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجايب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من العجايب
ما لو اجتمع الانس والجن والاولون والآخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا على امور جلية
من ظواهر صورتها فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب
تخصها لا يشاركها غيرها فانظر الى النحل وعجايبها وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضيآء وجعل الاخر
شفآء ثم لو تاملت عجايب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار
وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم تسخير الله لها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل
منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم
بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر
الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا

ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس بقصر افهام المهندسين عن دركها وهو ان اوسع الاشكال
واحواها المستدير وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك
المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فان
الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء
من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل
فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنا عيشه
فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك
عجايب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون
ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به علم العلماء والانبياء ولا نسبة لما احاط به علم الخلايق كلهم
الى ما استاثر الله تعالى به بالاضافة اليه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى
فانظر فبالنظر في هذا وامثاله يزداد علم المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة
فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدايم والفكر
اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك القدر اليسير ملكا عظيما لا اخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المومنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكنهم متفاوتون
لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشيا انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى
الا الصفات والاسما التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا معاني يتعالى عنه رب الارباب
وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل امنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا
البحث وهولاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقايق هم المقربون
وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم
واذا كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون
في حب الشافعي العوام والفقها لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن
العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فيكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فمن راى
تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان راى تصنيفا اخر احسن منه
واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر
فيحبه فاذا سمع من غرايب شعره ما عظم به حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا ساير الصناعات
والفضايل قد يسمع ان فلانا يصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة
ويكون حبه له بحسب ذلك والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجايب تضاعف حبه
لا محالة لان عجايب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والصانع والمصنف والعالم
بجملته صنع الله وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير اذا نظر فانه يطالع صنع الله تعالى فيها حتى
يرى في البعوض مثلا من عجايب صنعه ما ينبهر عقله ويتحير لبه فيزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال
صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد اطلاعا على عاجيب صنع الله تعالى اطلاعا استدل به على عظمة الصانع
وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة اعني عجايب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل
المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من

يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ يتغير بتغير الاحسان اليه فلا يكون
حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرجاء والنعماء واما من يحبه لذاته ولانه مستحق الحب لكماله وجماله ومجده وعظمته
فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت
في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الاخرة ولذلك قال الله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى
وكان هذا يقتضي ان يكون معرفته اول المعارف واسبقها واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من
ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا اذا
راينا انسانا يكتب او يخيط كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحيوته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى
عندنا من ساير صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه كل ذلك
لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله وعرضه واختلاف لون بشرته و
غير ذلك من صفاته اما حيوته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر
بحيوته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشي من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حيوته وقدرته
وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع
ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وساير صفاته يشهد له بالضرورة وكل ما نشاهده وندركه بالحواس
الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ومن نبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر
وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واصنافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا
وسكناتنا واظهر الاشيا في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد
من هذه المدركات لها مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة
بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها
وان كانت حيوة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما احسسناه من حركة يده
وكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شي داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله
اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد
ومحرك لها يشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وايتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا
وتشكل اطرافنا وساير اجزائنا الظاهرة والباطنة وانا نعلم انها لم تاتلف بانفسها كما نعلم ان يد الكاتب لا تتحرك
بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شي مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغايب الا وهو شاهد ومعرف
عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فاذا ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه
في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والاخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر
بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة الظهور فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت
فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيا الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف
ظهوره وكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في غاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق
والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفايه فسبحان من احتجب
باشراق نوره واختفى عن البصاير والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء
تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون البعض

لادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نورا لشمس المشرق
على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس
دائمة الاشراق لاغروب لها لكنا نظن ان لاهيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرها
فانا لانشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن
لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت
بضوء واتصلت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا
بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر
المحسوسات اذ به يدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام
امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فاذن الله عز وجل اظهر الامور وبه ظهرت الاشيا كلها ولو كان له عدم
او غيبة او تغير لانهدمت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك به التفرقة بين الحالين
ولو كان بعض الاشيا موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن
دلالته عامة في الاشيا على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلاجرم اورث شدة
الظهور خفا فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال
امره لايرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله وافعاله اثر من اثار قدرته فهي
تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله
فلا ينظر في شي من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سما وارض وحيوان وشجر
بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر الى شعر انسان او خطه
او تصنيفه وراى فيه الشاعر والمصنف وراى اثاره من حيث انها اثاره لامن حيث انه حبر وعفص
وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من حيث انها
فعل الله تعالى وعرفها من حيث انه فعل الله واحبها من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا
بالله ولا محبا الا له وكان هو الموحد الحق الذي لايرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من
حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول
من قال كنا بنا ففنينا عنا وبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي البصائر اشكلت لضعف الافهام
عن دركها وقصور قدرة العلما بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او لاشتغالهم
بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله
وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبى عند فقد العقل
ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته فقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها
فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاة حيوانا غريبا او نباتا عجيبا او فعلا
من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه
واعضاءه وسائر الحيوانات المالوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو
فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة الكمه عن عينيه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات
والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على
خالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار

المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش الذي يضرب به المثل
اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر
فليتحقق ولذلك قال الشاعر **شعر** لقد ظهرت فلا تخفى على احد ٭ الا على اكمه لا يعرف القمرا ٭ لكن بطنت
بما اظهرت محتجبا ٭ فكيف يعرف من بالعزة استترا **بيان معنى الشوق الى الله** اعلم ان من انكر حقيقة المحبة
لله تعالى فلابد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى المحبوب ونحن نثبت وجوب الشوق
الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والاثار
اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب وكل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته لامحالة
فاما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف الى امر والموجود لايطلب ولكن بيانه
ان الشوق لايتصور الا الى شي ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لايدرك اصلا فلا يشتاق اليه
فمن لم ير شخصا ولم يسمع صوته ووصفه لم يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك
بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما وما للنظر اليه لايتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما
يتعلق بما ادرك من وجه وما يدرك من وجه وهو من وجهين ولا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول
مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله
ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوف
نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال
رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا
ولا سائر اعضائه فيشتاق الى رؤيته ولو لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيالها الصادر عن الرؤية ولكنه يعلم
ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط و
الوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين وان ما اتضح للعارفين
من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكانه من ورا ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل
يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيال في هذا العالم لايفتر عن التمثيل والمحاكات لجميع المعلومات
وهي مكدرات للمعارف منغصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا وانما كمال الوضوح بالمشاهدة
وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الاخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه تعالى منتهى محبوب العارفين
فهذا هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية
لانهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لانهاية لها غامضة والعارف يعلم
وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عنه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى
ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة
غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان
يسكن في الدنيا وقد كان ابرهيم ابن ادهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يارب ان اعطيت احدا من المحبين
لك ما يسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضرني القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين
يديه فقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن
المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال
قل اللهم ارضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فاذن هذا الشوق يسكن في الاخرة

واما الشوق الثانى فيشبه ان لا يكون له نهاية لا فى الدنيا ولا فى الاخرة اذ نهايته ان يكشف للعبد فى الاخرة
من جلال الله وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال وذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما
بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط تشوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه
شوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه الم ولا يبعد
ان يكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابدا الاباد ويكون لذة
ما يتجدد من لطايف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف
فيما لم يحصل فيه كشف فى الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف
ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد به
اتمام النور فى غير ما استنار فى الاخرة استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق ليكون هذا المراد بتمامه
وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود
اصلها فى الدنيا ثم تزداد فى الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم فى هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف
لنا بعد فيه ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصاير
كاشفة لحقايق الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والاثار اكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء
النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم انى اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر
الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك وقال ابو الدردا لكعب اخبرنى عن اخص اية يعنى فى التورية فقال
يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقاى وانا الى لقائهم اشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبنى
وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فقال ابو الدردا اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفى اخبار
داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضى انى حبيب لمن احبنى وجليس لمن جالسنى ومونس لمن
انس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن اطاعنى ما احبنى عبد اعلم ذلك يقينا
من قلبه الا قبلته لنفسى واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقى من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى
فارفضوا يا اهل الدنيا ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى فانسوا بى اونسكم واسارع
الى محبتكم وانى خلقت طينة احبابى من طينة ابرهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفيى انى خلقت قلوب المشتاقين
من نورى ونعمتها بجلالى وروى عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى يحبونى
واحبهم ويشتاقون الى واشتاق اليهم ويذكرونى واذكرهم وينظرون الى وانظر اليهم فان حذوت طريقهم
احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق
غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت
الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى
وتملقونى بانعامى فبين صارخ وباك ومتاوه وشاك وبين قايم وقاعد وبين راكع وساجد بعينى ما
يتحملون من اجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى
كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهى
عليهم افترى من اقبلت بوجهى عليه يعلم احد ما اعطيه وفى اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود
الى كم تذكر الجنة ولا تسالنى الشوق الى قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفيتهم

والشوق

من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون الى وانى لاحمل قلوبهم بيدى فاضعها على
سماى ثم ادعوا بنجبا ملائكتى فاذا اجتمعوا سجدوا لى فاقول لم اجمعكم لتسجدوا لى ولكن دعوتكم لاعرض عليكم
قلوب المشتاقين الى واباهى بكم اهل الشوق الى فان قلوبهم لتضئ فى سماى لملائكتى كما تضئ الشمس لاهل الارض
يا داود انى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى فاتخذتهم لنفسى محدثين وجعلت
ابدانهم موضع نظرى الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى يزدادون فى كل يوم شوقا
قال داود يا رب ارنى اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شاب وفيهم
كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم منى السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالونى حاجة
فانكم احبابى واصفيائى واوليائى افرح بفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند
عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله تعالى فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود انى رسول الله
اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال
داود انى رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالونى حاجة الا تنادونى اسمع اصواتكم وكلامكم
فانكم احبابى واصفيائى واوليائى افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم فى كل ساعة نظرة الوالدة
الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو
عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الاخر سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك
فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الاخر سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك
افنجترى على الدعا وقد علمت انه لا حاجة لنا فى شئ من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك
المنة علينا وقال الاخر سبحانك نحن مقصرون فى طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر
من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك افيجترى على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى
جلالك وطلبتنا الدنو من نورك فقال الاخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك
وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر
لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هى النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترى
العبد على سيده اذ امرتنا بالدعا بجودك فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات بين اطباق السموات وقال
الاخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الاخر نسالك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت
به علينا وقال الاخر لا حاجة لنا فى شئ من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الاخر
اسالك من بينهم ان تعمى عينى عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبى عن الاشتغال بالاخرة وقال الاخر اسالك
~~تمام نعمك مما وهبت لنا وتفضلت به علينا~~ وقال الاخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب اوليائك
فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم سمعت كلامكم واجبتكم
الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فانى كاشف الحجاب فيما بينى وبينكم حتى
تنظروا الى نورى وجلالى فقال داود يا رب بم نالوا منك هذا قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها
والخلوات بى ومناجاتهم لى وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها
وفرغ قلبه لى واختارنى على جميع خلقى فعند ذلك اعطف عليهم فافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بينى وبينه
حتى ينظر الى نظر الناظر بعينه الى الشئ واريه كرامتى فى كل ساعة واقربه من نور وجهى ان مرض مرضته كما تمرض
الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش ارويته واذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به عميت نفسه عن الدنيا واهلها

وفرغتنا للاشتغال بك واغفر لنا تقصيرنا فى شكرك صح

ولمراجعها اليه لا يفتر عن الاشتغال فى فيستعجلنى القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من
بين خلقى لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاوه
وانخلع قلبه اذا سمع بذكرى اباهى به ملائكتى واهل سمواتى يزداد خوفا وعبادة وعزتى وجلالى يا داود
لاقعدنه فى الفردوس ولاشفين صدره من النظر الى حتى يرضى وفوق الرضا وفى اخبار داود ايضا
قل لعبادي المتوجهين الى بمحبتى ما ضركم اذا احتجبت على خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى
تنظروا الى بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت دينى لكم وما ضركم مسخطة
الخلق اذا التمستم رضاي وفى اخبار داود ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبنى فاخرج حب الدنيا
من قلبك وان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب يا داود خالص اهل محبتى مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة
ودينك فقلدنيه حقا على ولا تقلد دينك الرجال اما ما استبان لك مما يوافق محبتى فتمسك به واما
ما اشكل عليك فقلدنيه حقا على ان الى سياستك وتقويمك وان اكون قايدك ودليلك اعطيك من
غير ان تسالنى واعينك على الشدايد فانى قد حلفت على نفسى انى لا اثيب عبدا الا عبدا قد عرفت من
طلبته وارادته القاء نفسه بين يدي وانه لا غنى به عنى فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك
واسكنت الانس والحلاوة فى قلبك فانى حلفت على نفسى انه لا يطمئن عبد الى نفسه ينظر الى افعالها
الا وكلته اليها اضف الاشياء الى لا يضاد علمك عملك فيكون متعنتا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد
لمعرفتى حدا فليس لها غاية ومتى طلبت منى الزيادة اعطيتك ولا تجد لزيادتى منى حدا ثم اعلم بنى اسرائيل
انه ليس بينى وبين احد من خلقى نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندى ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على بشر صفنى بين عينيك وانظر الى ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك التى فى راسك الى
الذين حجبت قلوبهم عنى فامرجوها وسخت بانقطاع ثوابى عنها فانى حلفت بعزتى وجلالى لا امنح ثوابى لرجل
دخل فى طاعتى للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين ولو علم اهل محبتى منزلة المريدين
عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لئن تخرج مريدا من كربة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي
جهبذا ومن كتبته جهبذا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامى وخذ من
نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتى ولا تؤيس عبادي من رحمتى اقطع شهوتك لى فانما
ابحت الشهوات لضعفة خلقى ما بال الاقويا ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى وانما
عقوبة الاقوياء عندي فى موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عنى فانى لم ارض الدنيا لحبيبى
ونزهته عنها يا داود لا تجعل بينى وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتى اولئك قطاع الطريق على
عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة فى الافطار فان محبتى للصوم
ادمانه يا داود تحبب الى بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بينى وبينك مرفوعة
انما اواريك مواراة لتقوى على ثوابى اذا مننت به عليك وانى احبسه عنك وانت متمسك بطاعتى واوحى الله
عز وجل الى داود يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم
لماتوا شوقا الى وتقطعت اوصالهم من محبتى يا داود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى فى المقبلين
على يا داود احوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عنى وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عنى واجل ما يكون عبدي
اذا رجع الى فهذه الاخبار ونظايرها مما لا تحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق معناها
فينكشف بما سبق **بيان محبة الله للعبد ومعناها** اعلم ان شواهد القران متظاهرة على ان الله تعالى

فان كنت تحبني

اذا رايك مداراة

يحب

٥٦٥

محبته

يحب عبده فلا بد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبة الله تعالى فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه
وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب فالتايب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله
يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر
الكفر الماضى بعد الاسلام فقد اشترط الله عز وجل للمحبة غفران الذنب فقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطى الدنيا من
يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان الا من يحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله
ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى لا يزال
العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث وقال زيد بن اسلم
ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ
المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليس بمجاز اذ المحبة فى وضع اللسان عبارة
عن ميل النفس الى الشىء الموافق والعشق عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس
والجمال موافق ايضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما
فلا يختص بالبصر فاما حب الله تعالى للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامى كلها اذا
اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليه وعلى غيره بمعنى واحدا اصلا حتى ان اسم الوجود الذى هو
اعم الاشياء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى وجوده مستفاد
من وجود الله فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء فى اطلاق الاسم اشتراك
الفرس والشجر فى اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق لاحدهما
لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الاخر وليس كذلك اسم الوجود لله تعالى
ولخلقه وهذا التباعد فى ساير الاسامى اظهر كالعلم والقدرة والارادة وغيرها وكل ذلك لا يشبه
الخلق فيه الخالق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامى اولا للخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق
فكان استعمالها فى حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة فى وضع اللسان عبارة
عن ميل النفس الى موافق ملايم وهذا انما يتصور فى نفس ناقصة فاتها ما يوافقها وتستفيد بنيله
كمالا فتتلذذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن فى حق الالهية فهو حاضر
وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا لا يتصور تجدده ولا زواله ولا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غير
بل نظره الى ذاته وافعاله فقط وليس فى الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهنى لما
قرأ قوله تعالى يحبهم ويحبونه قال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس فى الوجود
غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث
هو متعلق بذاته فهو اذن لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ فى حبه لعباده فهو مأول فيرجع معناه
الى كشف الحجاب عن قلوبهم حتى يروه بقلوبهم والى تمكينه اياهم من القرب منه والى ارادته ذلك بهم فى
الازل فحبه لمن احبه ازلى مهما اضيف الى الارادة الازلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق
القرب واذا اضيف الى فعل الله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث بحدوث السبب المقتضى له

فان الخلق

فعله

كما قال ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه فيميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته او ليستشيره في رأيه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا لانتفاع به ولا استخدام له ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه له مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا واذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب من الله تعالى فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى هو البعد عن صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال من نعوت الجمال والكمال على ما كان عليه في ازل الآزال ولا ينكشف هذا الا بمثال وهو القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير وكذلك ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب وكلما صار الجهل صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله عز وجل وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناهي ولا ينتهي الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له اصلا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه واما محبة العبد لله تعالى فهو لميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت فمحبة الله تعالى للعبد امر ملتبس فمتى يعرف العبد انه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه وان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله تعالى للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره وقيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حمارا فتركبه قال انا اعز على الله من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رأيته يحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه

فاثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه وقال اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله عز وجل واما الفعل الدال بانه محبوب لله تعالى فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله تعالى للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها ايضا علامات حب الله تعالى للعبد

القول في علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح والاعضاء وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم ان لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت غير فار منه وان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة وقد قال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله تعالى احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله تعالى ان تكون في العبد من بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله تعالى فجعل القتل في سبيله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وروي عن اسحق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا تقول يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط فقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله تعالى آخر قسمه كما بر اول قسمه فقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله تعالى افضل من طلب الفرار منه وان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله تعالى فاقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق

كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس
متفاوتون فى الحب ويدل على التفاوت ما روى ان اباحذيفة بن عتبه بن ربيعه بن عبد شمس لما زوج
اخته فاطمه من سالم مولاه عاتبه قريش فى ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقايل قريش بمولى فقالوا والله لقد
انكحتها اياها وانى لاعلم انه خير منها وكان قوله اشد عليهم من فعله قالوا وكيف وهى اختك وهو مولاك
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم
فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله
تعالى عند القدوم عليه على قدر حبه له وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها واما السبب الثانى
الكراهة ان يكون العبد فى ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله
فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذى وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر عليه قدومه
ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوايق
فالكراهية بهذا السبب لا ينافى كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب فى العمل واستغراق الهم فى الاستعداد ومنها
ان يكون مؤثرا ما احبه الله عزوجل على ما يحبه فى ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الشهوات ويعرض عن دعة
الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب
المحب مزيد القرب فى قلب حبيبه وقد وصف الله تعالى المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ولا
يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن بقى مستمرا على متابعة
الهوى فمحبوبه ما يهواه بل ترك المحب هوى نفسه لهوى محبته كما قيل ٭ اريد وصاله ويريد هجرى ٭ فاترك
ما اريد لما يريد ٭ بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روى ان زليخا لما امنت وتزوج
بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخللت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى بالكلية وكان يدعوها الى
فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت الى النهار فقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل
ان اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله تعالى امرنى بذلك
واخبرنى انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله تعالى امرك بذلك وجعلنى طريقا اليه
فطاعة لامر الله تعالى فعند ذلك سكنت اليه فاذا من احب الله تعالى لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك
٭ تعصى الاله وانت تظهر حبه ٭ هذا لعمرى فى الفعال بديع ٭ لو كان حبك صادقا لاطعته ٭ ان المحب لمن يحب مطيع
فيه ٭ وقيل فى هذا المعنى ٭ واترك ما اهوى لما قد هويته ٭ وارضى بما ترضى وان سخطت نفسى ٭ وقال سهل علامة
المحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهى وهو كما قال
لان محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال الله تعالى يحبهم ويحبونه واذا احبه الله عزوجل تولاه ونصره
على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهوته ولذلك قال الله تعالى
والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل تضاد اصلها فكم من انسان
يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه
ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى ان نعيمان
كان يؤتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل قليل فيحده فى معصية يرتكبها الى ان اتى به يوما فحده فلعنه
رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله
فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم يخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان

الجد

محبوبه

فى ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احبه الله الحب البالغ وترك المعاصى وعلى
الجملة فى دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت
وان قلت نعم وليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس فى الجنة نعيم اعلى من
نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا فى جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك ومنها
ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة من ذكره وذكر
ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب القران الذى هو كلامه وحب رسوله صلى الله عليه
وسلم وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل
ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة فى الحب فان من احب رسول المحبوب لانه
رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه احب جميع
خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القران والرسول وعباد الله الصالحين فقد ذكرنا تحقيق هذا فى كتاب
اداب الاخوة والصحبة ولذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة واحبونى لله وقال سفين من احب من يحب الله تعالى
فانما احب الله تعالى ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وحكى عن بعض المريدين قال كنت قد
وجدت حلاوة المناجاة فى بدو الارادة فادمنت قراءة القران ليلا ونهارا ثم لحقتنى فترة فانقطعت
عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول لى فى المنام ان كنت تزعم انك تحبنى فلم جفوت كتابى اما تدبرت ما فيه من
لطيف عتابى قال فانتبهت وقد اشتد فى قلبى محبة القران فعاودت الى تلاوتى وقال ابن مسعود لا ينبغى
ان يسال احدكم عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله تعالى فان لم يكن يحب القران
فليس يحب الله تعالى قال سهل علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبى صلى الله
عليه وسلم وعلامة حب النبى صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة
بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا تاخذ منها الا زادا وبلغة الى الاخرة ومنها ان يكون انسه بالخلوة و
مناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت به بانقطاع العوايق
فاقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده
واطيب من مناجاة الله تعالى فكيف يصح محبته وقيل لابرهيم ابن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال
من الانس بالله وفى اخبار داود لا تستانس الى احد من خلقى فاقطعك عنى فانى انما اقطع عنى رجلين رجلا
استبطا ثوابى ورجلا نسينى ورضى بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه فى الدنيا حيران ومهما
انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته وفى قصة برخ وهو العبد
الاسود الذى استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو لى الا ان فيه
عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبنى لم يسكن الى شئ وروى ان عابدا
عبد الله تعالى فى غيضة دهرا فنظر الى طائر وقد عشش فى شجرة ياوى اليها ويصفر عندها فقال لو حولت
مسجدى الى تلك الشجرة فكنت انس بصوته قال ففعل فاوحى الله تعالى الى النبى صلى الله عليه وسلم قل لفلان العابد
استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشئ من عملك ابدا فعلامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب
وكمال التنعم بالخلوة وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس
ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذى يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة

مجالسه

ببعضهم حتى كان فى صلاته ووقع الحريق فى داره فلم يشعر به وقطع رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو
فى الصلوة ولم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجات قرة عين تدفع جميع الهموم بل
يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان
فانه يكلم الناس بلسانه وانسه فى الباطن بذكر حبيبه والمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتاده فى قول الله
تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال سكنت اليه واستانست به
وقال الصديق من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال
مطرف بن ابى بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتى
اذا اجنه الليل نام عنى اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبنى وقال موسى يا رب اين
انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا
من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق
والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يتاسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم تاسفه على فوت كل
ساعة خلت من ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستغفار والتوبة
وقال بعض العارفين ان لله تعالى عبادا احبوه فاطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على فايت فلم يتشاغلوا
بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم فهو واصل اليهم وما فاتهم
فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته ولحظة ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالاستعتاب فيقول
يا رب باى ذنب قطعت برك عنى وابعدتنى عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبمتابعة الشيطان فيستخرج
ذلك منه صفا ذكر ورقة قلب تكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه
ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يتاسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضاء وعلم ان
المحبوب لم يقدر الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها ان يتنعم بالطاعة
ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة
قال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب على العبادة بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وقال
بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلما والله ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم
الوسايل وكل هذا موجود مثاله فى المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعى فى هوى معشوقه ويستلذ
خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشيا اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه
العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه
احب اليه من الكسل ترك الكسل فى خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال فى خدمته وفى حبه وقيل
لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شئ ما كان سبب حالك هذه فى المحبة فقال سمعت
يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبى كله وانت معرض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب
ان كنت تحبنى فايش تنفق على فقال يا سيدى املكك ما املك ثم انفق عليك روحى فقلت هذا حب
خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله
رحيما بهم شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم ولا تاخذه فى الله لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله تعالى اولياءه اذ قال
الذين يكلفون بحبى كما يكلف الصبى بالشئ ويأوون الى ذكرى كما ياوى النسر الى وكره ويغضبون لمحارمى

كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالى قل الناس ام كثر فانظر الى هذا المثال فان الصبى اذا كلف بالشئ لم يفارقه
اصلا وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكا والصياح حتى يرد عليه فان نام اخذه معه فى ثيابه فاذا انتبه عاد
وتمسك به ومهما فارقه بكا ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه اياه احبه واما النمر فانه
لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه من شدة غضبه فهذه علامات المحبة
فمن تمت فيه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه وصفا فى الاخرة شرابه وعذب شربه ومن امتزج بحبه حب
غير الله ينعم فى الاخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى فى الابرار ان الابرار
لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون
ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون وانما طاب شراب الابرار بشوب الشراب الصرف الذى هو
للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار
لفى عليين ثم قال يشهده المقربون وكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما كان
الابرار يجدون المزيد فى حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم كذلك يكون حالهم فى الاخرة
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وقال الله تعالى جزاء وفاقا اى وافق
الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر
ما سبق من الشوب فى حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه فى الدنيا ورجاه لنعيم الجنة
والحور والقصور مكن من الجنة يتبوا منها حيث يشا فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان فهناك تنتهى
لذته فى الاخرة لانه انما يعطى كل انسان فى الجنة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه ومن كان مقصده رب
الارباب ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق ينزل فى مقعد صدق عند
مليك مقتدر والابرار يرتعون فى البستان ويتنعمون فى الجنان مع الحور والولدان والمقربون
ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها قوم بقضاء
شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة اقوام آخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل
الجنة البله وعليون لذوى الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال
وما ادريك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة ومنها ان يكون
فى حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك
العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف فى مقام المحبة
ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه
خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذى شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه فى قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد
فى حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب فى القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكى لخوف
البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب
لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد فى كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون ولذلك قال انه ليغان على قلبى

في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة وانما كان استغفاره من القدم الاول وانه كان بعدا بالاضافة
الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روى
انه قال تعالى في بعض كتبه المنزلة ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه
لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب شهوات الدنيا عقوبة العموم فاما الخصوص فيحجبهم عن المزيد بمجرد
الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز
منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابرهيم ابن ادهم قائلا يقول
في سياحته على جبل كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا قال
فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطوت عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا
لي قال فكنت عبدا فاسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث يدخل
عليه فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته
والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب
لها اسباب خفية سماوية وليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله المكر به واستدراجه اخفى عنه
ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء او يغتر بحسن الظن او تغلبه الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك
من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما ان من اوصاف الله تعالى
ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهو اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح فيورث السلو
كاوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقا والحرمان ثم خوف الاستبدال به
بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب
مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملالة سلو وضيق صدر لوظايف الاوراد
اسباب هذه المعاني ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت
نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب
فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال
بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق
الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى
فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة
حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف
يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لها طاقة البشر وانما الخوف يعد
لها ويخفف وقعها على القلب فقد روي في بعض الاخبار ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال ان
يسال الله عز وجل ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار قلبه وولِه عقله وبقي شاخصا
سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها
فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد
سالوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما
سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال
سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة من الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو

جزء من عشرة آلاف الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كساير العارفين
وقد قيل في وصف حال العارف • قريب الوجد ذو مرمى بعيد • على الاحرار منهم والعبيد • غريب الوصف ذو علم
غريب • كان فؤاده زبر الحديد • لقد عزت معانيه فغابت • عن الابصار الا للشهيد • يرى الاعياد في الاوقات تجري
له في كل يوم الف عيد • وللاحباب افراح بعيد • ولا تجد السرور له بعيد • وكان الجنيد ينشد ابياتا يشير بها
الى اسرار احوال العارفين والى ان ذلك لا يجوز اظهاره وهي سرت باناس في الغيوب قلوبهم • فحلوا بقرب
بقرب الماجد المتفضل • عراصا بقرب الله في ظل قدسه • تجول بها ارواحهم وتنقل • موارهم فيها على العز
والنهى • ومصدرهم عنها لما هو اكمل • تروح بعز مفرد من صفاته • وما كنه اعلى لديهم واعدل • ساكتم من علمي
به ما يصونه • وابذل منه ما ارى الحق يبذل • واعطي عباد الله منه حقوقهم • وامنع منه ما ارى المنع افضل •
على ان للرحمن سرا يصونه • الى اهله في السر والصون اجمل • وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز
ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس
فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما
لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم و
لوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما
ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى
والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة منه على سره وان الحب
سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء
ويعظم العقوبة عليه في الاخرى (العقبى) ويتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش
فيه ويضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع في ذلك من غير تحمل واكتساب فهو معذور لانه مقهور
وربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطيق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه والقادر على الكتمان
يقول وقالوا قريب قلت ما انا صانع • بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري • فما لي منه غير ذكر بخاطر •
يهيج نار الحب والشوق في صدري • والعاجز عنه يقول يخفي فيبدي الدمع اسراره • ويظهر الوجد عليه
النفس • ويقول من قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره في جفنه كيف يكتم • وقد قال بعض العارفين اكثر
الناس من الله تعالى بعدا اكثرهم اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره
عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان
يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه
فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا
يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه من الدعوى
والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله بل ينبغي ان يظهر حبه من غير
قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد الحبيب فقط فاما
ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم
شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن
راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق
اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك

التصنع ح

من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه صح

المحب اطلاع ح

معروف الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم
ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدايم وشوقهم
اللازم الذين به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف
من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من كل حب لله تعالى
قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلثين سنة باعمال القلوب واعمال الجوارح على
بذل المجهود واستفراغ الطاعة حتى ظننت لي ان لي عند الله شيئا فذكر شيئا من مكاشفات ايات السموات
في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله تعالى من شيء فقلت ما انتم
قالوا المحبون لله عز وجل نعبده هاهنا منذ ثلثماية الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره
قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في نار جهنم فاذا من عرف نفسه
واستحيى منه حق الحيا خرس لسانه عن التظاهر بالدعوي نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجا
وترددآته كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته دوآء ولا عرفنا له سببا فوصف لنا
طبيب حاذق فاخذنا قارورة مايه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر مليا فقال اراه بول عاشق قال الجنيد
فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته به فتبسم ثم قال قاتله الله
ما ابصره قلت يا استاذ يتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي
على عظمي ولا سل جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية
فهذه مجامع علامات الحب لله وثمراته ومنها الانس والرضا كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم
الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذايل الاخلاق نعم قد يحب الله عز وجل
لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك
قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم بدوام احسانه وكثرة نعمه
فلم يتمالكوا ان احبوه الا انه يقل محبتهم ويكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر
والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك والملكوت فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان
احبوه اذا استحق به عندهم بذلك المحبة لانه اهل لها ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه
وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله تعالى وهو الذي
فقدت منه هذه العلامات اذ تلتبس بها نفاق وريآء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر
من نفسه خلافه كالعلماء السوء والقراء السوء اولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان
قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا وكيف تقول هذا فقال في اذن القايل سرا لا يخلوا اما
ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقال
ابو تراب النخشبي في علامات المحبة ابياتا وهي • لا تخدعن فللحبيب دلايل • ولديه من تحف الحبيب وسايل •
منها تنعمه بمر بلائه • وسروره في كل ما هو فاعل • فالمنع منه عطية مبذولة • والفقر اكرام وبر عاجل • ومن الدلايل
ان ترى من عزمه • طوع الحبيب وان الح العاذل • ومن الدلايل ان يرى متبسما • والقلب فيه من الحبيب بلابل •
ومن الدلايل ان يرى متفهما • لكلام من يحظى لديه السايل • ومن الدلايل ان يرى متقشفا • متحفظا من كل ما هو
قايل وقال يحيى بن معاذ الرازي • ومن الدلايل ان يرى متشمرا • في خرقتين على شطوط الساحل • ومن الدلايل
ان تراه راضيا • بمليكه في كل حكم نازل • ومن الدلايل ان تراه مسلما • كل الامور الى المليك العادل • ومن الدلايل

ومن الدلايل حزنه ونحيبه
جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلايل ان تراه مسافرا
نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلايل زهده فيما يرى
من دار ذل والنعيم الزايل صح

ومن الدلايل

ومن الدلايل ان تراه باكيا • ان قد راه على قبيح الفاعل • ومن الدلايل ضحكه بين الورى • والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الانس بالله تعالى

قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من اثار المحبة الا ان هذه
اثار مختلفة تختلف على المحب بحسب اختلاف نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء
حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع الى كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب و
انزعج له وهاج اليه فسمي هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غايب واذا غلب عليه الفرح
بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر غير
ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشار القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات
العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه
خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها
فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه
وما يتطرق اليه من خوف الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق
فقال لا انما الشوق الى غايب فاذا كان الغايب حاضرا فالى من تشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح
بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته
الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابرهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله
وذلك ان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة يكون من اثقل الاشياء
على القلب كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام الناس الا اخذه الغشيان
لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء
يا من انسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلام كن بي مستانسا ومن سواي مستوحشا
وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قال بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت
براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت من نفسك
اليها الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجد في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة
من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة
قلت متى يصفوا الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلايق كيف ارادوا
بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان قلت فما علامة الانس واعلم ان علامة الخاصة
ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر وان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع
في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغايب في حضور ومخالط بالبدن متفرد بالقلب
المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم عن قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا
روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان
ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وعلامته
وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه
وجهل بان جمال المدركات بالبصاير اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب ومنهم احمد
بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسين النوري والجماعة حديث الشوق والحب والعشق
حتى انكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع

من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر وان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق
الدين قشر مجرد وورآءها اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان الجوز خشب كله واستحال
عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل نظمه الانس بالله لا يحويه بطال
وليس يدركه بالحول محتاله والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف
التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله وقد يكون منكرا لصورته
لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل فيمن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل
والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام
ان يساله ان يستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا
فاوحى الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين
ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام
فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود
في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك قال اسمي برخ قال
فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما
الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد
غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك
ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله تعالى العشب
في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني
فهم موسى به فاوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات وعن الحسن قال احترق اخصاص بالبصرة
فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي
بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق فقال اني اقسمت على ربي الا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله تعالى لابرهم قال ووقع حريق
بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على
ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفى قال فعزم عليها فطفيت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله
رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو حفص وقال
وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجري
لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء
هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق
بهم واليه اشار القائل بقوله • قوم تخالجهم زهو بسيدهم • والعبد يزهى على مقدار مولاه • تاهوا برؤيته عما سواه
به • يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا • ولا تستبعد رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما
ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصاير والابصار
حتى ينظرون اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار فاول القصص قصة آدم وابليس اما
تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل
انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله
نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان
فقال تعالى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما من استغنى فانت له تصدى
وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض
عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى قال ولا تقعد بعد الذكرى مع القوم
الظالمين فاصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض
فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في
التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون انه طغى فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وقوله واخاف
ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب
لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام الحشمة والهيبة
فعوقب في السجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ
بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هي القيمة ونهي نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به فقيل له واصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال و
المقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد فقد قال الله تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تعالى ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان عيسى
عليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحياء
فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه به وقال بعض
العلماء قد عددت من اول قوله تعالى ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى
عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطية بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والاربع فغفر
لهم وعفى عنهم ولم يحتمل لعزير مسئلة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك بلعم بن باعورا
من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلا يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكان معصيته في الجوارح فعفى عنه
وقد روي ان الله تعالى اوحى الى سليمن يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف
وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عصفة من عصفاتي لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن
بعده فلما دخل آصف على سليمان اخبره بما اوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ومد
يده الى السماء وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا وكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني
وان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف انا انا وانت انت استقبل التوبة الي فقد تبت
عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى
الى عبد تداركه بعد ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من
الامم فهذه سنة الله في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به مشيئته الازلية وهذه القصص
اوردت في القرآن ليعرف بها سنة الله تعالى في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء الا وهو هدى ونور وتعرف
من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

القيمة

وتارة يتعرف اليهم فى افعاله المخوفة والمرجوة فيتلى عليهم سنته فى انبيائه واعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك
بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدوا القرآن هذه الاقسام الثلثة وهى الارشاد
الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت
سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث
القرآن وقال من قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس فى ان يكون واحدا فى
ثلثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو
نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون فى درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه
قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار
القرآن ولا يتناهى امثال هذه الاسرار ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود
ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال فى احاد كلماته
فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منها بانه كلام جبار قاهر مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة
البشر واكثر اسرار القرآن معبات فى طى القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف فيه لك
من العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما اوردنا ذكره من معنى الانس والانبساط
الذى هو ثمرته وتفاوت عباد الله فيه **القول فى معنى الرضى بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد
فى فضيلته** اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهى من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين
وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التأويل وفقهه فى الدين فقد انكر المنكرون
تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شئ لانه فعل الله تعالى فينبغى ان يرضى بالكفر
والمعاصى وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضى بالفجور والفسق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم
لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات
احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضى
وليس منه كترك الدعا والسكوت على المعاصى **بيان فضيلة الرضا** اما الآيات فقوله تعالى رضى الله عنهم
ورضوا عنه وقال هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله تعالى عن عبده وهو ثواب
رضا العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله تعالى
الرضى فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله
اكبر فكما ان مشاهدة المذكور فى الصلوة اكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب
سكان الجنة وفى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا
بعد النظر نهاية التفضيل واما رضاء العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى
آخر يقرب مما ذكرناه فى حب الله للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه
ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه وانما سالوه الرضى لانه
سبب دوام النظر فكانهم راوه غاية الغايات واقصى الامانى لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسوال
لم يسئلوا الا دوامه وعلموا ان الرضى هو سبب دوام رفع الحجاب وقد قال الله تعالى ولدينا مزيد قال
بعض المفسرين فيه يأتى اهل الجنة فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله تعالى

لبس

لبس عندهم فى الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين والثانية السلام
عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى
انى عنكم راض فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك
قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اى من النعيم الذى هم فيه فهذا فضل رضى الله تعالى وهو ثمرة رضى العبد
واما الاخبار فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال
ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة
وفى خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا ان يكونوا انبياء وفى الخبر طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان
رزقه كفافا ورضى به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله منه باليسير
من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وقال ايضا
اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطائفة من امتى اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها
ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط
فيقولون ما رأينا صراطا فيقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فيقول لهم الملائكة من امة من
انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون لهم نشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم فى الدنيا
فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون
كنا اذا خلونا نستحيى ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم الله لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال
صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفى اخبار موسى عليه السلام
انه قال له قومه سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا
فقال يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال
من احب ان يعلم ما له عند الله تعالى فلينظر ما لله تعالى عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث انزله العبد
من نفسه وفى اخبار داود عليه السلام ما لاوليائى والهم بالدنيا ان الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتى
من قلوبهم يا داود ان محبتى من اوليائى ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروى ان موسى عليه السلام قال
يا رب دلنى على عمل فيه رضاك فاوحى الله تعالى اليه ان رضاى فى كرهك وانت لا تصبر على ما تكره
قال يا رب دلنى عليه قال فان رضاى فى رضاك بقضائى وفى مناجاة موسى عليه السلام اى رب
اى خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمنى قال فاى خلقك انت عليه ساخط قال من
يستخيرنى فى الامر فاذا قضيته له سخط قضائى وقد روى ما هو اشد منه وذلك ان الله تعالى قال
انا الله الذى لا اله الا انا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليتخذ ربا سواى ومثله
فى الشدة قوله تعالى فيما حكى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم قدرت المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع
فمن رضى فله الرضا منى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى وفى الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت
الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه
وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفى الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكى الى الله تعالى الجوع والفقر
والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكوا هكذا كان بدؤك عندى فى ام
الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك منى وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق
الدنيا فتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق

من فقههم

حتى يلقانى

فقد رکت عندی فی ام

ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج في صدرك هذا مرة اخرى لامحونك من
ديوان النبوة وروى ان ادم عليه السلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون فيجعل
احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد على راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك قال وهو مطرق الى
الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا
فقال يا بني اني رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار
الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقا فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وقال انس بن مالك
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله الا
فعلته ولا قال لي في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمني مخاصم من اهله
يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد
فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد واما الاثار
فقد قال ابن عباس اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن
عبد العزيز رحمه الله عليه ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله وقال
ميمون بن مهران من لم يرض بالقضا فليس لحمقه دوا وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على
تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر
ولكن الشان في الرضا عن الله تعالى وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت
ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل
محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وروى
في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسال
عنها الى ان وجدها واستضافها ثلاثا لينظر الى عملها وكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل
مفطرة فقال لها اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل بها يقول
تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخا وان كنت في مرض
لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع العابد يديه على راسه وقال
اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السما
قضا احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدردا ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر
وقال عمر ما ابالي على اي حال اصبحت او امسيت من شدة او رخا وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا
فقالت اما تستحيي من الله عز وجل ان تسئله الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن
سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله عز وجل فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة
وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضي عن الله تعالى وقال احمد بن ابي الحواري قال
ابو سليمن الداراني ان الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما يرضى العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك
قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال وان محبة الله تعالى من عبيده ان يرضوا عنه
وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله تعالى
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بجلاله وحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن
في الشك والسخط **بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى** اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى

وانواع

وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله
تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين **احدهما**
ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المولم ولا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل
المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به
على الجراحة بل الذي يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه فلا يحس بالمها لشغل قلبه بل الذي
يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة فانه يتالم به فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو
لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق
المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه
لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب
والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب
العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة
المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية
وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما
يجري عليه فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت
ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك
فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع **واما الوجه الثاني** فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به
بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه
يدرك المه الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي ~~والفصد والحجامة~~
~~فانه يدرك المه الا انه راض به ورا~~ بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة
السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابته بلية من الله تعالى
وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا اذا
كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد
حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في
المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة
الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فهو جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة
مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة
التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلا
هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي
لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل يبقى بعد الموت حيا عند الله فرحا برزق الله مستفيدا بالموت مزيد
تنبه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال
المحبين واقوالهم فقد قال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقد قال الجنيد سالت سري
السقطي هل يجد المحب الم البلا قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بسبعين ضربة على ضربة
وقال بعضهم احببت كل شيء بحبه حتى لو احب النار لاحببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت

والقبح جميلا

برجل قد ضرب الف سوط فی شرقیة بغداد ولم یتکلم ثم حمل الی الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لانی
عاشق فقلت لم سکت قال لان معشوقی کان بحذای ینظر الی قلت ولو نظرت الی المعشوق الاکبر
قال فزعق زعقة خر میتا وقال یحیی بن معاذ الرازی اذا نظر اهل الجنة الی الله تعالی ذهبت عیونهم
فی قلوبهم من لذة النظر الی الله تعالی ثمانمایة سنة لا یرجع الیهم فما ظنك بقلوب وقفت بین جماله
وجلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان فی بدایتی فاذا انا برجل اعجمی
اعمی مجذوم مجنون قد صرع والنمل تاکل لحمه فرفعت راسه فوضعت فی حجری وانا اردد الکلام فلما
افاق قال من هذا الفضولی الذی یدخل بینی وبین ربی فوحقه لو قطعنی اربا اربا ما ازددت له
الا حبا قال بشر فما رایت بعد ذلك نقمة بین عبد وبین رب فانکرتها وقال ابو عمرو محمد بن اشعث
ان اهل مصر مکثوا اربعة اشهر لم یکن لهم غذاء الا النظر الی وجه یوسف علیه السلام کانوا اذا جاعوا
نظروا الی وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل فی القران ما هو ابلغ من ذلك هو قطع النسوة
ایدیهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتی ما احسسن بذلك وقال سعید بن احمد رایت بالبصرة
فی خان عطاء بن مسلم شابا وفی یده مدیة وهو ینادی باعلی صوته والناس حوله وهو یقول شعر
یوم الفراق من القیامة اطول ۰ والموت من الم التفرق اجمل ۰ قالوا الرحیل فقلت لست براحل لکن مهجتی
التی تترحل ۰ ثم بقر بطنه بالمدیة وخر میتا فسالت عنه وعن امره فقیل انه کان یهوی فتی لبعض الملوك
حجب عنه یوما واحدا ویروی ان یونس قال لجبرئیل علیهما السلام دلنی علی اعبد اهل الارض فدله
علی رجل قد قطع الجذام یدیه ورجلیه وذهب ببصره فسمعه وهو یقول الهی متعتنی بهما ما شئت انت
وسلبتنی ما شئت انت وابقیت لی فیك الامل یا بر یا وصول وروی عن عبد الله بن عمر انه اشتکی له
ابن فاشتد وجده علیه حتی قال بعض القوم لقد خشینا علی هذا الشیخ ان حدث بهذا الغلام حدث
فمات الغلام فخرج ابن عمر فی جنازته وما رجل اشد سرورا منه فقیل له فی ذلك فقال ابن عمر انما کان
حزنی رحمة له فلما وقع امر الله رضینا به وقال مسروق کان رجل بالبادیة له کلب وحمار ودیك فالدیك
یوقظهم للصلوة والحمار ینقلون علیه الماء ویحمل لهم خباهم والکلب یحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الدیك
فحزنوا له وکان الرجل صالحا فقال عسی ان یکون خیرا ثم اصیب الکلب بعد ذلك فقال عسی ان یکون خیرا
ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا له فقال الرجل عسی ان یکون خیرا ثم اصبحوا ذات یوم فنظروا
فاذا قد سبی من حولهم وبقوا هم وقال اخذوا ولئك لما کان عندهم من اصوات الکلاب والحمیر والدیك وکانت
الخیرة لهم فی هلاك هذه الحیوانات کما قدره الله تعالی فمن عرف خفی لطف الله رضی بفعله ویروی
ان عیسی علیه السلام مر برجل اعمی ابرص مقعد مضروب الجنبین بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو
یقول الحمد لله الذی عافانی مما ابتلی به کثیرا من خلقه فقال له عیسی علیه السلام یا هذا ای شیء من البلاء اراه
مصروفا عنك فقال یا روح الله انا خیر ممن لم یجعل الله فی قلبه ما جعل فی قلبی من معرفته فقال له صدقت
هات یدك فناوله یده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هیئة قد اذهب الله عنه ما کان به فصحب
عیسی علیه السلام وتعبد معه وقطع عروة ابن الزبیر رجله الی رکبته من اکلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذی
اخذ منی واحدة وترك ثلاثا وقال لئن کنت اخذت لقد ابقیت ولئن کنت ابتلیت لقد عافیت ثم لم
یدع ورده تلك اللیلة وکان ابن مسعود یقول الفقر والغنی مطیتان ما ابالی ایهما رکبت ان کان الفقر
فان فیه الصبر وان کان الغنی فان فیه البذل وقال ابو سلیمن الدارانی قد نلت مع کل مقام حالا

اذ الاحظت جلاله مع

الا الرضا فما لی منه الا مشام الریح وعلی ذلك لو ادخل الخلایق کلهم الجنة وادخلنی النار کنت بذلك راضیا
وقیل لعارف آخر نلت غایة الرضا عنه فقال اما الغایة فلا ولکن مقام الرضی قد نلته لو جعلنی جسرا علی
جهنم یعبر الخلایق الی الجنة ثم ملا بی جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خلیقته لاحببت ذلك من حکمه و
رضیت به من قسمه وهذا کلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتی منعه الاحساس بالم النار وان بقی
احساس فیغمره ما یحصل من لذته فی استشعار حصول رضی محبوبه بالقائه اباه فی النار واستیلاء هذه المحبة
غیر محال فی نفسه وان کان بعیدا من احوالنا الضعیفة ولکن لا ینبغی ان یستنکر الضعیف المحروم احوال
الاقویاء فیظن ان ما هو عاجز عنه یعجز عنه الاولیاء وقال الروذباری قلت لابی عبد الله بن الجلاء الدمشقی
قول فلان وددت ان جسدی قرض بالمقاریض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال یا هذا ان کان
هذا من طریق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف وان کان من طریق التعظیم والاجلال فلا اعرف قال ثم
غشی علیه وقد کان عمران بن حصین استسقی بطنه فبقی ملقی علی ظهره ثلثین سنة لا یقوم ولا یقعد قد نقب
له فی سریر من جرید کان علیه موضع لقضاء حاجته فدخل علیه مطرف واخوه العلاء فجعل یبکی لما یری من حاله
فقال لم تبکی قال لانی اراك علی هذه الصفة العظیمة قال لا تبك فان احبه الی الله احبه الی ثم قال
احدثك شیئا لعل الله ان ینفعك به واکتم علی حتی اموت ان الملائکة یزورنی فانس بها وتسلم علی
فاسمع تسلیمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء لیس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسیمة فمن یشاهد هذا
فی بلائه کیف لا یکون راضیا به قال ودخلنا علی سوید بن منعبة نعوده فرایناثوبا ملقی فما ظننا ان تحته
شیئا حتی کشف فقالت له امراته اهلی فداك ما نطعمك ما نسقیك فقال طالت الضجعة ودبرت
الحراقیف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسیغ شرابا منذ کذا فذکر ایاما وما یسرنی انی نقصت من
هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابی وقاص الی مکة وکان قد کف بصره جاءه الناس یهرعون الیه کل
واحد یساله ان یدعو له فیدعو لهذا ولهذا وکان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السایب فاتیته
وانا غلام فتعرفت الیه فعرفنی وقال انت قاری اهل مکة قلت نعم فذکر قصة قال فی اخرها فقلت له یا عم انت
تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله علیك بصرك فتبسم وقال یا بنی قضاء الله عندی احسن من بصری
وضاع لبعض الصوفیة ولد صغیر ثلثة ایام لم یعرف له خبر فقیل له لو سالت الله تعالی ان یرده علیك
فقال اعتراضی علیه فیما قضی اشد علی من ذهاب ولدی وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظیما
انا ابکی علیه منذ ستین سنة وکان قد اجتهد فی العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقیل له وما هو
قال قلت مرة لشیء کان لیته لم یکن وقال بعض السلف لو قرض جسمی بالمقاریض لکان احب الی
من ان اقول لشیء قضاه الله لیته لم یقضه وقیل لعبد الواحد بن زید ههنا رجل قد تعبد خمسین
سنة فقصده فقال له حبیبی اخبرنی عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضیت
عنه قال لا قال فانما مزیدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا انی استحیی منك لاخبرتك بان
معاملتك خمسین سنة مدخولة ومعناه انك لم تفتح لك باب القلب فترقی الی درجات القرب
باعمال القلوب وانما انت تعد فی طبقة اصحاب الیمین لان مزیدك منه فی اعمال الجوارح التی هی مزید اهل
العموم ودخل جماعة من الناس علی الشبلی فی مارستان قد حبس فیه وقد جمع بین یدیه حجارة فقال من
انتم فقالوا محبوك فاقبل علیهم یرمیهم بالحجارة فتهاربوا فقال لهم یا کلم ادعیتم محبتی ان صدقتم فاصبروا علی
بلائی وللشبلی شعر ان المحبة للرحمن سکرنی ۰ وهل رایت محبا غیر سکرانی ۰ وقال بعض عباد

شعبة

اهل الشام كلكم يلقى الله تعالى ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان
بها شلل ظل يواريها يعنى بذلك ان الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة اهل الآخرة
وهم يستنكفون منها واحترق السوق فقيل للسرى احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله
ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتى دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة و
استغفارا من قوله الحمد لله فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا
بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا فى حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا فى حق الله
عز وجل وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا
بالحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثانى الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد
يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب فيكون الذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو
فى هلاك روحه كما قيل وما لجرح اذا ارضاكم الم وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولى الحب بحيث
يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغى ان ينكره من فقده من نفسه
لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجايبه فللمحبين عجايب اعظم مما
وصفناه وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقى قال كنت فى مجلس بالرقة عند صديق لى وكان معنا فتى يتعشق
جارية مغنية وكانت معنا فى المجلس وضربت بالقضيب وغنت علامة ذل الهوى على العاشقين البكى ٭ ولا
سيما عاشق اذا لم يجد مشتكا ٭ فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتى افتاذنين ان اموت فقالت
مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت وقال الجنيد
رايت رجلا متعلقا بكم صبى وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة والتفت اليه الصبى فقال الى متى ذا النفاق
الذى تظهر فقد علم الله انى صادق فيما اورده حتى لو قلت لى مت لمت قال ان كنت صادقا فمت قال
فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب كان فى جيرتنا رجل وله جارية يحبها غاية الحب
واعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية اه وسقطت الملعقة من
يده وجعل الرجل يحرك ما فى القدر بيده حتى تساقطت اصابعه قالت الجارية له ما هذا فقال هذا موضع
قولك آه وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادى قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس
وهو يقول ٭ من مات عشقا فليمت هكذا ٭ لا خير فى عشق بلا موت ٭ ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا
وامثاله قد يصدق به فى حق المخلوقين فالتصديق به فى حق الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق
من البصيرة الظاهرة وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال بل كل جمال فى العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذى
فقد بصره ينكر جمال الصور والذى فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذى فقد القلب
لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات التى لا مظنة لها سوى القلب

بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصى ومقت اهلها وحسم اسبابها والسعى فى ازالتها
بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يناقضه ايضا وقد غلط فى ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان
المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع
فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء تدل على هذا على ما نقلناه
فى كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان صلى الله عليه وسلم فى اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله عز وجل على
بعض عباده بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصى وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى

به عباده وذمهم على الرضا به فقال تعالى رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع
الخوالف وطبع الله على قلوبهم وفى الخبر المشهور من شهد منكرا فرضى به فكانه قد فعله وفى الحديث الدال على الشر
كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذاك قال يبلغه
فيرضى به وفى الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضى بقتله آخر بالمغرب كان شريكه فى قتله وقد امر الله تعالى بالغبطة
والمنافسة فى الخيرات وتوقى الشر فقال الله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبى صلى الله عليه وسلم
لا حسد الا فى اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو يبثها فى الناس ويعلمها ورجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى
الحق وفى لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتانى الله تعالى مثل
ما اوتى هذا لفعلت واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن
والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين من دون المؤمنين وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وفى الخبر ان الله
تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام ايضا
المرء مع من احب وقال من احب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اوثق عرى الايمان
الحب فى الله والبغض فى الله وشواهد هذا قد اكثرنا منها فى باب الحب والبغض فى الله من كتاب آداب الصحبة
وفى كتاب الامر بالمعروف فلا نعيدها فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى
وان كانت المعاصى بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح فى التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها
ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى فكيف السبيل الى الجمع بين الرضا والكراهة فى شىء واحد وهو متناقض
على هذا الوجه وكيف الجمع بين الرضا والكراهة فى شىء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء
القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس ذلك على قوم حتى راوا السكوت على المنكرات مقاما من
مقامات الدين ومقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة متضادان
اذا تواردا على شىء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من المتضاد ان يكره شىء واحد من وجه ويرضى به
من وجه اذ قد يموت عدوك الذى هو ايضا عدو عدوك وساع فى اهلاكك واهلاك عدوك فتكره موته
من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله
تعالى من حيث فعله واختياره وارادته فترضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله
فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله تعالى وبغيضا عنده حيث سلط
عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك الا بمثال فلنفرض محبوبا
من الخلق قال بين يدى محبيه انى اريد ان اميز بين من يحبنى ويبغضنى وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا
ناطقا وهو ان اقصد فلانا بما اوذيه واضربه ضربا يضطره ذلك الى الشتم حتى اذا شتمنى ابغضته واتخذته
عدوا لى فكل من احبه فاعلم انه عدوى وكل من ابغضه فاعلم انه صديقى ومحبى ثم فعل ذلك وحصل مراده من
الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق فى محبته
وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك فى ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض
والعداوة وانا محب له وراض به وانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من
جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب
للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذى دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك

نقصانا فى تدبيرك وتعويقا فى مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص
وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان يقتضى ان يحتمل منك
الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك
ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب انه شتمك فانا راض به ومحب له لانه مرادك فانا على موافقتك
ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا واما بغضه لك فانى ارضاه
من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعى البغض ولكنى ابغضه
من حيث انه وصف ذلك المبغوض وكسبه وفعله وامقته لذلك فهو ممقوت عندى لمقته اياك ومقته
لك ايضا مكروه عندى من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضى فهذا كله ليس بمتناقض
وانما المتناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضى ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها
لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه وهذا لا يناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره
من وجه ويرضى به من وجه ونظاير ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله تعالى دواعى الشهوة والمعصية عليه
حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهى ضرب المحبوب للشخص الذى ضربناه
مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره
تشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى بكل
عبد من عبيده اعنى تسليط دواعى المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيته بابعاده ومقته فواجب على
كل عبد محب لله تعالى ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته ويعادى من ابعده الله عن حضرته وان
اضطره بقهره وقدرته الى مخالفته ومعاداته فانه بعيد مطرود وملعون عن الحضرة وان كان بعيدا
بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغى ان يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين
موافقة للمحبوب باظهار الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما ورد به الاخبار من البغض لله والحب
فى الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة فى مقتهم مع الرضا بقضاء الله من حيث انه قضاء الله
تعالى وهذا كله تستمد من سر القدر الذى لا رخصة فى افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان فى
المشية والاراده ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا انهما
جميعا منه من غير افتراق فى الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى
السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم
المكاشفة وغرضنا الان بيان الامكان فيما تعبد به جميع الخلق فى الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى
ومقت المعاصى مع انها من قضاء الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف ايضا
ان الدعا بالمغفرة والعصمة من المعاصى ولساير الاسباب المعينة على الدين غير متناقض للرضا بقضاء الله
تعالى فان الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر والخشوع للقلب ورقة التضرع
ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس
مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى فى العطش فشرب الماء طلب لازالة العطش ومباشرة لاسبابه والله مسبب
الاسباب وكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله
تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه فى كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق
للتوكل ومتصل به نعم اظهار البلاء فى معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واظهاره البلاء

المبغض

على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى
ان لا يقول هذا يوم حار اى فى معرض الشكاية وذلك فى الصيف فاما فى الشتاء فهو شكر والشكوى مناقض
الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها مناقض للرضا لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله
تعالى وقول القايل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح فى الرضا
بل ينبغى ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضى الله عنه لا ابالى اصبحت غنيا او فقيرا
فانى لا ادرى ايهما خير لى

بيان ان الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ومذمتها لا يقدح فى الرضا

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهى
عن الخروج عن بلد ظهرت فيه المعاصى لان كل واحد فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة فى النهى
عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه جميع الاصحاء وبقى المطعونون
مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاخبار بالفرار من الزحف
ولو كان ذلك الفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلد فى الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك فى كتاب التوكل
واذا عرفت المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ليس فرارا عن قضاء الله تعالى بل من القضاء
الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التى تدعوا الى المعاصى والاسباب التى تدعوا اليها لاجل
التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد
واظهار ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا شرا من بغداد
قيل وكيف قال هو بلد يزدرى فيه نعمة الله تعالى ويستصغر فيها معصية ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت
بغداد فقال ما رايت بها الا شرطيا غضبانا او تاجرا لهفانا او قاريا حيرانا فلا ينبغى ان يظن ان ذلك من
الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان محمد
بن الياس يخرج الى مكه وكان مقامه ببغداد ذ ريثما استعد القافلة عشرة ايام فكان يتصدق فيها بعشره
دنانير لكل يوم دينار كفارة لمقامه وذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضى الله
عنهما لمولى له اين تسكن فقال العراق قال فما تصنع به بلغنى انه ما من احد سكن العراق الا قيض له قرين
من البلاء ذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير
بعشرة اجزاء فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بعشرة اجزاء على العكس منه وقال بعض اصحاب
الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفى متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال
اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال ياتينا احدهم فى زى الرهبان فاذا سالناه اين تسكن قال فى عش
الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد فى الحش وكان يقول لا تقتدوا بى فى المقام
بها وكان احمد بن حنبل يقول من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هولاء الصبيان بنا
كان الخروج من هذا البلد آثر فى نفسى قيل وابن تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن اهل
بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلى ببلدة يكثر فيها المعاصى ويقل فيها الخير فلا
عذر له فى المقام بها بل ينبغى ان يهاجر عنها الى غيرها قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغى ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغى ان يكون منزعج القلب
منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر
على الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس فى شئ

البلاد

من نقص اسباب الدين البتة رضا مطلق الامر حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في انفسها فلا وجه
للرضا بها بحال وقد اختلف العلما في الافضل من اهل مقامات ثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقا الله
تعالى ورجل يحب البقا لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى لي ورفعت هذه المسئلة
الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفين
الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاه قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال
له يوسف ولم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقا فقال سفين لم قال لعلي اصادف
يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الى احبه الى الله
تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبه **بيان جملة من حكايات المحبين واحوالهم
واقوالهم ومكاشفاتهم** قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب
وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين
بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين بدلا واخذت عن كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل
له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب من يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه
فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر انه عليه السلام قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا
ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح
ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا
ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل له فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله
تعالى فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الما سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحكي عن
يحيى بن معاذ الرازي انه راى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشا الى طلوع الفجر مستوفزا على
صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف
قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الما والمشي في الهوا
فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك
من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال حتى عد نيفا
وعشرين مقاما من كرامات الاوليا ثم التفت فراني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي فقال منذ متى انت هاهنا
قلت من منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشي فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل
فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي وطوف
بي السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي رايت حتى اهبه لك
فقلت يا سيدي ما رايت شيئا استحسنه فاسالك اياه قال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن
بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا تساله المعرفة
به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح وقال ويلك اسكت غرت عليه مني حتى لا احب ان
يعرفه سواه ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول
بعبادته فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت
ابا يزيد هاج وجد المريد وقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رايت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب
فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله تعالى لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله

سبعين

سبعين مرة قال فبهت الفتى من قولي وانكره فقال وكيف ذلك قال فقلت له ويلك انما ترى الله تعالى
عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت له فقال
احملني اليه فذكر قصة قال في اخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان ياوي الى غيضة فيها
سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق
فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن كان
صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه
كان في مقام الضعفا المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع
على سهل اخوانه فقالوا لو سالت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال لله تعالى عباد في هذه البلدة لو دعوا على
الظالمين لم يبق على وجه الارض ظالم الامات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون
ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى اشيا لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها
وهذه امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشي منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان
القدرة واسعة والفضل عظيم وعجايب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله
على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول لو اعطاك مناجاة موسى وروحانية
عيسى وخلة ابرهيم فاطلب ما ورا ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة وان سكنت الى ذلك
حجبك به فهذا بلا في حق مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت
باربعين حورا رايتهن يتساعين في الهوا عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت
اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي
انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن فقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة
لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المومن لافلاسه عن
مثلها ولو لم يكن يومن كل احد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه
احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة
الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول
فهو من اوايل سلوكهم واقل مقاماتهم وذلك اعز موجود في الاتقيا من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورات
الالتفات الى الخلق يفيض عليه نورا ليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق
يجري مجرى انكار امكان انكشاف الصورة في الحديدة اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المراة
فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلمة وقد استولى عليه الصدا والخبث وهي لا تحكي صورة من الصور
فانكر امكان انكشاف المري عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات
الاوليا اذ لا مستند له الا القصور عنه وقصور من راه وبئس المستند ذلك في انكاره قدرة الله تعالى بل انما
يشم روايح المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شي بلغت هذه المنزلة قال كنت
اكاتم الله تعالى حالي معناه اساله ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه راى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله
تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني فقال يسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل
سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر فسالت الله تعالى مرة
ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان اهم الاشيا الي قال فما غلب على همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا

اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي
كنف سترك وحط على سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب
فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فمازلت اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن
حتى كان اهل الذمة يسخرون منه ويستحقرونه في الطريق بحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان
يولعون به وكانت راحته ووجود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا كان حال اولياء الله تعالى
ففي امثال هولاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون يطلبون تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق
بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال الله سبحانه وتعالى اوليائي تحت
قبابي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره
وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بنفسها المستبشرة بعلمها وعملها
واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل احدهم واهتضم لم يحس
بالذل كما لا يحس العبد بالذل فيما يرفع عليه مولاه واذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا لعدم التفاته الى الذل
بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى
صار التواضع بالطبع صفة ذاتية له فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي هذه الروايح فان
فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن
لا يقدر ان يكون من اولياء الله تعالى فليكن محبا لاولياء الله مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد
لهذا ما روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرايل اين ينبت الزرع قالوا في التراب قال بحق اقول لكم
لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس
الى منتهى الضعة والخسة حتى يروى عن استاد الجنيد وهو ابن الكرخي ان رجلا دعاه ثلث مرات الى طعامه
ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فساله عن ذلك فقال قد رضت
نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين
مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت على قلبي
فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ولبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا
قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف
بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله عز وجل من النظر الى الخلق ثم من النظر
الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له عنه فليس بين القلب وبين الله
تعالى حجاب وبعد وتخلل حايل وانما بعد القلوب شغلها بغيرها او بنفسها واعظم الحجب شغل القلب ولذلك
حكى ان زاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد
انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق
به واحبه فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثماية سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب
بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكر لي حتى اعمل قال اذهب الساعة
الى المزين واحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس فاتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوة جوزا
واجمع الصبيان حولك فقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها عند الشهود وعند
من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك

قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره
فقال ابتدا بهذا قبل كل شيء قال لا اطيقه قال قد قلت لك انك لا تقبل هذا فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو
دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي عن هذا المرض دواء سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق
الدواء فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا واقل
درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية من الشرع واضحة
وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان
حتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرة الشيء وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال ايضا ثلث من كن
فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر
للاخرى اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلث خصال
اذا غضب لا يخرجه غضبه من الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث
اخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر
وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها عليه الصلوة والسلام لاولي الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين
والايمان ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله انه يجحد ما لا يكون
الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة من وراء الايمان وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ
للخلة من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر على شيئا من خلقي وان احرق بالنار لم يجد لحرق النار
وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد المًا فمن لم يبلغ الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء
الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته
في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ان الله تعالى
اعطاك مثل ايمان كل من امن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من امن به من ولد ادم وفي حديث اخر ان لله
تعالى ثلثماية خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل في خلق منها فقال
كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله تعالى السخا وقال صلى الله عليه وسلم رايت ميزانا دلي من السماء فوضعت
في كفة فوضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجيء بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا
كله فقد كان استغراقه بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت اتخذ من الناس خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه ختمت الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها
قال سفين المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال
بعضهم كراهة البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة واما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم
المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله تعالى
المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر
حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت
هلك وقال الشبلي رحمة الله عليه ٭ يا ايها السيد الكريم ٭ حبك بين الحشا مقيم ٭ يا رافع النوم عن جفوني ٭ انت بما
حل بي عليم ٭ ولغيره ٭ عجبت لمن تقول ذكرت ربي ٭ وهل انسى فاذكر ما نسيت ٭ اموت اذا ذكرتك ثم احيا ٭ ولولا
حسن ظني ما حييت ٭ فاحيى بالمنى واموت شوقا ٭ فكم احيى عليك وكم اموت ٭ شربت الحب كاسا بعد كاس ٭ فما نفد
الشراب ولا رويت ٭ فليت خياله نصب لعيني ٭ فان قصرت في نظري عميت ٭ وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا

فقالت خادمة لها حببنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام
انى اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملأته من حبى وتولته بحفظى وقيل تكلم سمنون
يوما فى المحبة فاذا بطاير نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابرهيم
ابن ادهم الهى انك تعلم ان الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة فى جنب ما اكرمتنى به من محبتك وانستنى من
ذكرك وفرغتنى للتفكر فى عظمتك وقال سرى السقطى من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش
والاحمق يغدو ويروح فى لاش وقيل لرابعة كيف حبك للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت والله انى لاحبه
حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلنى عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال
فقال الرضاء عن الله عز وجل والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة وانما يحب مولاه وقال
وقال الشبلى الحب دهش فى لذة وحيرة فى تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شىء
راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلوب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات
واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته
بعد الفهم بالمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها
التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان فى الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان
المؤمن اذا عرف ربه تعالى احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا
بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وبقى بجسده فى الدنيا وبروحه فى الاخرة وقال عبد الله بن محمد
سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهى باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو
وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك
قالت لا ولكن لحبى اياه وحسن ظنى به افتراه يعذبنى وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت
اوصالهم من محبتى يا داود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى فى المقبلين على يا داود احوج ما يكون
العبد الى اذا استغنى عنى وارحم ما اكون بعبدى اذا ادبر عنى واجل ما يكون عندى اذا رجع الى وقال
ابو خالد الصفار لقى نبى من الانبيا عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبيا
نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجا ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلى اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام يا داود ذكرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى
الى ادم عليه السلام يا ادم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضى فعله ومن اشتاق اليه جد فى
مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يرانى ولا اراه وقال الجنيد بكا يونس عليه
السلام حتى عمى وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد فقال وعزتك وجلالك لو كان بينى وبينك بحر
من نار لخضته اليك شوقا منى اليك وعن على بن ابى طالب عليه السلام قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالى والعقل اصل دينى والحب اساسى والشوق مركبى وذكر الله تعالى
انيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والفقر فخرى والزهد
حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلوة وقال
ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية ولذلك اشتاقوا الى
الله عز وجل وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى

الدنيا وقال بعض المشايخ رايت فى جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر
ويقول الشوق والهوى صيرانى كما ترى ويقال الشوق نار الله تعالى اشعلها فى قلوب اوليائه حتى يحرق
بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس
والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله اعلم وهذا آخر كتاب المحبة وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كتاب النية والاخلاص والصدق وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته
اقرار الصالحين ونشهد ان لا اله الا هو رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس
والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنيا عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه سيد المرسلين
وعلى جميع النبيين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان
وانوار القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون
كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية
عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق
هباء وقد قال تعالى فى كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وليت شعرى كيف يصحح النية من لا يعرف حقيقة الاخلاص وكيف يطالب المخلص نفسه بالصدق
اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله ان يتعلم النية ~~اوكيف يخلص من صحيح النية~~
~~ان لم يعرف حقيقة النية~~ لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين
هما وسيلتا العبد الى النجوة والخلاص ونحن نذكر معانى النية والصدق والاخلاص فى ثلثة ابواب
الباب الاول فى حقيقة النية ومعناها الباب الثانى فى الاخلاص وحقايقه الباب الثالث فى الصدق
وحقيقته

الباب الاول فى النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من
العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة
هى النية قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله
عليه وسلم اكثر شهداء امتى اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان
يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم
ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة فى صحف مختمة فتلقى بين يدى الله تعالى فيقول القوا
هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهى ثم ينادى الملائكة اكتبوا له كذا واكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا
انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل اتاه الله تعالى
علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو اتانى الله تعالى ما اتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء
ورجل اتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو اتانى الله تعالى مثل ما اتاه
لعملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية فى محاسن عمله ومساويه وكذلك فى حديث انس

بلغ المقابلة

النية او كيف يخلص من صحيح النية ان لم يعرف حقيقة صح

ابن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا
ولا وطينا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة
قالوا وكيف يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وفى حديث ابن مسعود من هاجر
يبتغى شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا وكان يسمى مهاجر ام قيس ولذلك جاء فى الخبر ان رجلا
قتل فى سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا لياخذ حماره وسلبه فقتل على ذلك فاضيف
الى نيته وفى حديث عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم من غزى وهو لا ينوى الا عقالا فله ما نوى
وقال ابى استعنت رجلا يغزوا معى فقال لا حتى تجعلنى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله
عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروي فى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان
من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم
ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت
به وقد ورد فى اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الاخرة نيته جعل الله
غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفى حديث ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم
ذكر جيشا يخسف بهم بالبيدا فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم
وقال عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال صلى الله عليه
وسلم اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا وفلان يقاتل حمية
وفلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا قتل فلان فى سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله
وحده وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفى حديث الاحنف
عن ابى بكرة اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال
المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفى حديث ابى هريرة من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه
فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوى قضاه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم
القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة واما الاثار
فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى
وصدق النية فيما عند الله وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد
على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل
صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطاى من كان اكبر همته التقوى فلو
تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال
الثورى كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلما اطلبوا النية للعمل قبل العمل وما دمت
تنوي الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلما ويقول من يدلنى على عمل لا ازال فيه عاملا لله
تعالى فانى لا احب ان تاتى على ساعة من ليل ونهار الا وانا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت
حاجتك فاعمل الخير ما استطعت واذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال
بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا
توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال

قال ابو هريرة الناس يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم يبكى ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا
وقال الحسن انما خلد اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب فى التورية يقول
الله ما اريد به وجهى فقليله كثير وما اريد به غير وجهى فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول
قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر الى عمله فاذا عمل فلم يدعه حتى ينظر فى ورعه فان تورع
فلا يدعه حتى ينظر فيما نوى وان صلحت النية فبالحرى ان يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات
فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية فى نفسها خير وان تعذر العمل بعايق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران
علم وعمل العلم يتقدمها لانه اصلها وشرطها والعمل يتبعها لانه ثمرتها وفرعها وذلك لان كل عمل اعنى كل حركة
وسكون اختيارى فانه لا يتم الا بثلثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد وان
يعلم ولم يعمل ما لم يرد فلا بد من الارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما فى الحال
واما فى المال فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلايم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى
جلب الملايم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافى عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشئ
المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا وان من لا يبصر الغذا ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا
يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله تعالى الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهى الحواس الظاهرة و
الباطنة وليس ذلك من غرضنا بل لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه
ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذا ويعلم انه موافق له ولا يمكنه التناول لعدم
الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة اعنى به نزوعا فى نفسه
اليه وتوجها فى قلبه نحوه ثم لا يكفيه ذلك فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت
له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية
الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى فى نفسه كون الشئ موافقا له
فاذا جزمت المعرفة بان الشئ موافق فلا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث اخر صارف عنه انبعثت
الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضا فالقدرة خادمة للارادة
والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهى الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة
والميل الى ما هو موافق للغرض اما فى الحال وفى المال فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض
الباعث هو المقصد المنوى والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضا
هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا فى فعل واحد واذا كان
بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليئا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع
وقد يكون احدهما كافيا لولا الاخر لكن الغرض الاخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة
اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان
سبع فكما راه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه راى السبع وعرفه ضاريا فانبعثت نفسه
الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له فى
القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه

كشف

والمعرفة

خلص عن مشاركة غيره ومما زجته واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يسئله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام وحميته ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة البواعث الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن يقوى بمجموعهما على انهاض القدرة ومثاله من المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد به احدهما ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء فلما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوة وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الان بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله

صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر وفعل السر افضل وهذا صحيح وليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله تعالى بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان يكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى اخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان يكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير من العمل المجرد دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم من نية وعمل كانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعاته خير من عمله الذي هو من جملة طاعاته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الاثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال

الخبز خير من الفالوذج فانما يعني به انه خير منها بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة بمقتضى الاثار فيهما وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وسلامتها في الاخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس به الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عن شهواتها حتى تصير مائلة الى الخير مريدة له نافرة عن الشر مبغضة له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الاخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادته بالعمل يجري مجرى الغذاء والقوة لتلك الصفة حتى يترسخ الصفة ويقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة لها تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا ولو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي يراد بها الاخرة والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا لا للاخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتاثر كل واحد منهما بالاخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تالم بها القلب وترى القلب اذا تالم بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تاثرت الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع فكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء الات موصلة الى المقصود ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان يكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان يكون النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تالمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشراب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان يفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة

التواضع في القلب وان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه
ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا
اصلا لان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه تأكيد الرقة
وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول القلب باغراض الدنيا لم ينتشر من وضع جبهته على الارض اثر الى قلبه ليتأكد
التواضع فكان وجودها كعدمها وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال
العبادة بغير نية باطل وهذا معناه هذا اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده
كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها بل اكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء
التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه
وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا
وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل
القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق
عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هاهنا هي عمل القلب
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه لان قلوبهم في صدق ارادة
الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمات الله عز وجل كقلوب الخارجين في الجهاد
وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة من القلب وذلك غير مطلوب الا لتأكيد هذه
الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك
اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت
اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه و
استقصاؤه فهي ثلثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن
موضوعاتها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره
او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بمال حرام وقصد الخير فهذا كله جهل والنية لا تخرجها عن كونها ظلما ومعصية
بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله
اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع وكيف يمكن ان يكون الشر خيرا
هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه
واستمالة قلوب الناس وساير حظوظ النفس توسل به الشيطان الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل
ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو
كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم ولذلك افضل
ما اطيع الله تعالى به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعرف العلم النافع
من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل
ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد
بالاسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد قال سبحانه وتعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه ويقرب

من هذا الباب تقرب السلاطين ببناء المساجد بالمال الحرام وتقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار
المعروفين بالفسق والفجور المقصورة هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام
الدنيا واخذ اموال السلاطين والمساكين واليتامى وان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى وانتهض
كل واحد في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب
مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع
الهوى ويتسلسل ذلك ووباله جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع
المعصية في اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم ويبقى آثار شره في العالم منتشرة الف
سنة والفي سنة وطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات
وقد قصدت بذلك نشر علم الدين وان استعمله في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين
به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة
حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا ويقول
انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله تعالى وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والخيل فان
اعداد الخيل والرباط والقوة والغزاة من اقرب القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد
اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري لم حرم
هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة حاله فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي
ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد يعاون به اعداء الله
تعالى وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده
بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون احوال من يتردد اليهم واذا
راوا منهم تقصيرا في فعل النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا راوا منه فجورا او استحلال حرام هجروه ونفوه عن
مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا من تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب
الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكى عن
بعض اصحاب احمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال ترددت اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار
لا يكلمه فلم ازل اساله حتى قال لي بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد اخذت قدر
سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلبة
العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشياطين وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب
الالسن الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر منها والترغيب
في الآخرة والدعاء اليها بل هي من العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم
على الاقران فاذا قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلثة بالطاعات والمباحات
دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد
فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف
وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل
صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله لا غير فان نوى الرياء صارت معصية

واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون
له بكل نية ثواب اذ كل واحده منها حسنة ثم يضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود
في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيره حتى يصير من فضايل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين
اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زاير الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعد به رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله عز وجل وحق على المزور اكرام زايره وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد
الصلوة فيكون في جملة انتظاره في الصلوة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر
والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة
ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال في المسجد وخامسها التجرد لذكر الله تعالى او لاستماع ذكره او للتذكر
به كما روي في الخبر من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة
علم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلوا عمن يسيء صلوته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده
الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي تعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله فانها
غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء
من الله تعالى وحياء من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسين بن علي رضي الله عنهما
من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله تعالى احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة منزلة او علما
مستظرفا او حكمة تدله على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات
وقس به ساير الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا ويحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد بقدر
جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكوا الاعمال وتتضاعف الحسنة القسم الثالث المباحات
وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات
فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهايم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات
والخطوات واللحظات فكل ذلك يسال عنها يوم القيمة انه لم فعله وما الذي قصد به فهذا في مباح محض
لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب وفي حديث معاذ بن جبل انه
صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسال يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه
وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر قال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك
ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت
فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من تطيب مثلا
يوم الجمعة وفي ساير الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا ويقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال
ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرايحة او ليتودد به الى قلوب
النساء الاجنبيات اذ كان مستبيحا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبه يكون
انتن من الجيفة في القيمة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسال عنه ومن
نوقش في الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص له من نعيم الآخرة
بقدره وناهيك خسرانا بان تستعجل ما يفنى وتخسر زياده نعيم لا تفنى واما النيات الحسنة فان ينوي
اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد الذي هو بيت الله فلا يرى ان

من المرابطين

والتذكر

كلمة

يدخلها

زاير الله الا طيب الرايحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروايحه وان يقصد
به دفع الروايح الكريهة عن نفسه التي تؤذيه وتؤذي مخالطيه وان يقصد به حسم باب الغيبة على المغتابين
اذا اغتابوه بالروايح الكريهة فيعصون الله عز وجل بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها
فهو شريك في تلك المعصية كما قيل اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا الا تفارقهم فالراحلون هم وقال الله
تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر
وان يقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي
رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان غرضه تجارة الآخرة
وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه ~~واذا لم يغلب على قلبه~~ الا نعيم الدنيا لم يحضره هذا النيات وان
ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات
كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس على هذا الواحد على غيرها ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون
لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الى الخلا وكل ذلك ممكن ان يقصد به وجه الله تعالى لان كل
ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوى على العبادة
ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله تعالى بعده فتكثر به امة محمد صلى الله
عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه
هم الآخرة ولذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فيطيب
قلبه بانه سيحمل سيئاته او ينقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عند الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل
اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه
اعمال ما عملتها قط فيقال هي اعمال الذين اغتابوك واذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي يوم القيمة بحسنات
امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة ويأتي قد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من
حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى القوا عليه من سيئاتهم
ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة اياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها
ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال
بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من جدار جار لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي
هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فراه مقلوب الثوب فعرفه
فمد اليد ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فساله عن ذلك فقال اني لبسته لله عز وجل ولا اريد ان اسويه لغير الله وقد
قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت
اخذت لبنة من حايطي واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من
اولي العزم والحزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك
وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتامل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا
وما الذي يفوتك من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك
وما يخطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له
من نية صحيحة فلا ينبغي ان تغفل فلعله ان يكون لداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا تغرنك ظواهر الامور ومشهورات
الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حايط

بالطين فكان اجيرا للقوم فقدموا له رغيفه اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام
حتى فرغ فعجبوا منه لما علموه من سخايه وزهده وظنوا ان الخير فى طلب المساعدة فى الطعام فقال لا عمل القوم بالاجرة
وقدموا الى الرغيفين لا تقوى بهما على عملهم فلو اكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا
ينظر الى البواطن بنور الله تعالى فان ضعفه نقص من عمل فرض وان ترك الدعوة الى الطعام نقص من فضل
ولا حكم للفضايل مع الفرايض وقال بعضهم دخلت على سفين وهو ياكل فما كلمنى حتى لعق اصابعه ثم
قال لولا انى اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفين من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة فى ان ياكل
معه فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحدا الوزرين النفاق وبالثانى تعريض
اخيه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغى ان يتفقد العبد نيته فى ساير الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنيته وان لم تحضره
النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات
فيقول فى نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله تعالى او اتجر لله او اكل لله ويظن ان ذلك
نية وهيهات فذاك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل من
جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او
آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهى الطعام
واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبى فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب
صرف القلب الى الشىء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا
يقدر عليه وانما ينبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس والملايم لها وما لم يعتقد
الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده فى كل حين
واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن له
فى كل وقت والدواعى والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال
وبالاعمال واذا غلب شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على
نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هى اجابة الداعى ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوى
الولد فاذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن
ان ينوى بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب
النية هذه النية مثلا ان يقوى ايمانه اولا بالشرع ويقوى ايمانه بعظيم ثواب من يسعى فى تكثير امة محمد صلى الله عليه
وسلم وتدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره واذا فعل ذلك ربما انبعث
من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت
القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فيما
يقدره فى نفسه ويردده فى قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان وبهذا امتنع جماعة من السلف عن جملة من
الطاعات اذا لم تحضرهم النية فيها فكان احدهم يقول ليس تحضرنى نية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية
حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى وقال ليس تحضرنى نية ونادى بعضهم امراته وكان يسرح
شعره ان هاتى المدرى فقالت اجى بالمراة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له فى ذلك فقال كان فى المدرى نية
ولم يحضرنى فى المراة فتوقفت حتى هيا الله تعالى ومات حماد بن ابى سليمن وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل

عن العمل به

للثورى

للثورى الا تشهد جنازته فقال لو كان لى نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله
تعالى نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدى فقيل
له فى ذلك فقال افتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت لى نية فعلت وحكى ان داود بن المحبر لما صنف
كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده فقال مالك قال فيه اسانيد ضعاف
فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت به فقال
احمد فرده على حتى انظر فيه بالعين التى نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا
فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا فى طلب نية العبادة
رجل منذ شهر فما صحت لى بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره
انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشا قال ليس من نيتى وهذا لان النية تتبع النظر واذا تغير النظر
تغيرت النية وكانوا يرون الا يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة
رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليست هو قول القايل بقلبه نويت بل هى انبعاث
القلب وذلك يجرى مجرى الفتوح من الله تعالى وقد يتيسر فى بعض الاوقات وقد يتعذر نعم من كان
الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه فى اكثر الاحوال احضار النية للخيرات وان قلبه بالجملة مايل الى اصل
الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له فى
الفرايض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه من عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه
فيها فربما ينبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله
تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا يتيسر للراغب فى الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز على
بسيط الارض من يفهمها فضلا من يتعاطاها ونيات الناس فى الطاعات اقسام فمنهم من يكون عمله اجابة
لباعث الخوف وانه يتقى النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة وهذا وان كان
نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله تعالى وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة
لانه ميل الى الموعود فى الآخرة وان كان من جنس المالوفات فى الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن
وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله
وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوى الالباب لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه
حبا لجماله وجلاله وساير الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهو لا ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح
والمطعوم فى الجنة وانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه فقط و
ثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور
العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد
فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين
والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان
واعراضها عن جمال وجه الله تعالى الكريم يضاهى استعظام الخنفسا لصاحبته والفه لها واعراضه عن النظر
الى جمال وجوه النسا فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهى عمى الخنفسا عن ادراك جمال النسا فانها
لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكاء لاستخف عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم وقيل راى احمد بن خضرويه ربه فى المنام فقال كل الناس

الوجوه

يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى ورأى ابو يزيد ربه فى المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك
نفسك وتعال ورؤى الشبلى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبنى على الدعاوى بالبراهين الا
على قول واحد قلت يوما واحدا اى خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اى خسارة اعظم من خسران لقائى والغرض ان
هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحد منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة
هذه الحقايق تورث اعمالا وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرة له نية فى مباح
ولم تحضر فى فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة فى حقه نقيصة لان
الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار فى الظلم وربما تحضره نية فى الانتصار
دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية فى الشرب والاكل والنوم ليريح نفسه ويتقوى
على العبادة فى المستقبل وليس تنبعث نيته فى الحال للصوم والصلوة والاكل والنوم هو الافضل له
بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث
لعاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلوة وقال ابو الدرداء انى لاستجم نفسى باللهو فيكون ذلك عونا لى على
الحق وقال على رضى الله عنه روحوا هذه القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقايق يدركها سماسرة
العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب ربما يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعد منه ذلك
القاصر فى الطب وانما يبتغى به ان يعيد اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق فى اللعب بالشطرنج
قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه
والخبير بالقتال قد يرى من نفسه الهزيمة ويولى الخصم دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فكذلك
سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة مع القلب والبصير الموفق يقف فيهما على لطايف
من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغى للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض
على استاذه بل ينبغى ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهم من احوالهما يسلم لهما الى ان ينكشف له
اسرارهما بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما **الباب الثانى** فى الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته وبيان

فضيلة الاخلاص قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين
الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا واخلصوا دينهم لله وقال فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله تعالى ويحب ان يحمد عليه وقال النبى صلى الله عليه
وسلم ثلث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى الحديث وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابى
ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما نصر الله هذه
الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى الاخلاص سر من اسرارى استودعته قلب من احببته من عبادى وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لا تهتموا
لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزئك منه القليل وقال
صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله تعالى اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال
صلى الله عليه وسلم يسأل يوم القيمة ثلثة رجل اتاه الله العلم فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت
فيقول يا رب كنت اقوم اناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت ويقول الملائكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول الله قد انعمت عليك فماذا صنعت
فيقول يا رب كنت اتصدق اناء الليل والنهار فيقول الله عز وجل كذبت ويقول الملائكة كذبت بل اردت

ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل فى سبيل الله فيقول الله ماذا صنعت فيقول يا رب
امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت ويقول له الملائكة كذبت بل اردت ان يقال
فلان شجاع الا وقد قيل ذلك فقال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فقال يا ابا هريرة
اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة فدخل راوى هذا الحديث على معوية وروى له ذلك فبكى
حتى كادت تخرج نفسه تزهق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية وفى الاسرائيليات
ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان هاهنا قوما يعبدون شجرة دون الله عز وجل
فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال اين
تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وما ذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك
وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتى قال فانى لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه
الى الارض فقعد على صدره فقال له ابليس اطلقنى حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى
قد اسقط عنك ذلك ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء فى
الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها قال العابد لا بد لى من قطعها فنابذه القتال فغلبه العابد
وقعد على صدره فعجز ابليس فقال هل لك فى امر يفصل بينى وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقنى
حتى اقول لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شئ لك وانما انت كل على الناس يعولونك ولعلك
تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسى جيرانك وتستغنى عن الناس فقال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك على
ان اجعل عند راسك فى كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت
على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها غيرها ولا يضرهم قطعها
شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال ثم قال صدق الشيخ لست بنبى فيلزمنى
قطع هذه الشجرة ولا امرنى الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء
بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك
الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب فاخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس فى
صورة الشيخ فقال له الى اين فقال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل
لك اليها قال فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو
كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره فقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا
لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتنى فخل منى فاخبرنى كيف غلبتك اولا وغلبتنى الان فقال لانك غضبت اولا
لله تعالى وكانت نيتك الاخرة فسخرنى الله لك وهذه الكرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية
تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد عن حبائل الشيطان الا بالاخلاص ولذلك
كان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصى تتخلصى وقال يعقوب المكفوف المخلص
من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمن طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى
وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابى موسى الاشعرى من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس
وكتب بعض الاوليا الى اخ له اخلص النية فى اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختيانى تخليص
النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفى صفى له ومن خلط خلط عليه ورؤى
بعضهم فى المنام وقيل له كيف وجدت اعمالك قال كل شئ عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق

وحتى هرة لنا ماتت فرايتها فى كفة الحسنات وكان فى قلنسوتى خيط من حرير فرايته فى كفة السيئات وكان
قد نفق حمار لى قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور فى الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل
انه وجه حيث بعثت به لما قيل لك ما قلت فى لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت فى سبيل الله لوجدته فى حسناتك
وفى رواية اخرى وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبنى نظرهم الى فوجدت ذلك لا على ولا لى
فقال سفين لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص
تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج فى زى النساء ويحضر كل موضع فيه
عرس او ماتم تجتمع فيه النسا فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا
الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة دونه فدعا الله تعالى
بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المراة وصاحوا
ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابى عبد الله التسترى وهو يخضب
ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشئ فقال ابو عبيد لا فمر الرجل كالسحاب
يمسح الارض حتى غاب عن عينى فقلت لابى عبيد ما قال لك فقال سالنى ان احج معه فقلت لا قال
قلت فهلا فعلت قال ليس لى فى الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه
لاجله ان اتعرض لمقت الله تعالى لانى ادخل فى عمل الله عز وجل شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندى من
سبعين حجة ويروى عن بعضهم انه قال غزوت فى البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها
فى غزوتى فاذا دخلت فى مدينة كذى بعتها فربحت فيها فرايت تلك الليلة فى النوم كان شخصين نزلا من
السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملا عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا
وفلان فى سبيل الله ثم نظر الى وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله فى امرى اخرجت اتجر ولا معى تجارة
اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال لى يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت فقلت لا
يكتبونى تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقلت اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى فى طريقه مخلاة ليربح
فيها حتى يحكم الله تعالى ما يراه وقال سرى السقطى لان تصلى ركعتين فى خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين
حديثا او سبعماية بتعليق وقال بعضهم فى اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل
زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلثا ومنعه ثلثا اعطاه صحبة الصالحين
ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال
السوسى مراد الله تعالى من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله تعالى عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا
فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزى الامر كله يرجع الى اصلين
فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تفعل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت فى الدارين

بيان حقيقة الاخلاص اعلم ان كل شئ يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ويسمى
الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وانما خلوص
اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن
ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات فالاخلاص فى التوحيد يضاده التشريك فى الالهية والشرك
منه خفى وجلى وكذى الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحلهما القلب وانما يكون ذلك
فى القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد

ابي عبيد البسري

سمى

٥٨٦

سمى الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوى فمن تصدق وغرضه محض الريا فهو مخلص ومن كان غرضه
محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى
الله تعالى عن جميع شوائبه كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه
مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به فى كتاب الريا من ربع المهلكات واقل
اموره ما ورد فى الخبر من ان المرائي يدعى يوم القيمة باربعة اسامى يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر
وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الريا واما من غيره من
حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا
ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له فى بلده او
ليهرب من عدو له فى منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس
الحرب ليتعلم اسبابه ويقدر بذلك على تهيئة العساكر وجرها او يصلى بالليل وله غرض فى دفع النعاس عن
نفسه به ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او
ليكون عقاره وامواله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت
ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلما والصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال
به رفقا فى الدنيا او يكتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكرا او
توضا ليتنظف ويتبرد او يغتسل لتطيب رائحته او يروى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف فى المسجد
ليخفف عليه كرا المسكن او يصوم ليخفف عن نفسه التردد فى طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله
الاكل عنها او يتصدق على السايل ليقطع ابرامه فى السؤال عن نفسه او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد
اذا مرض ليشيع جنازة اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار
فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل عليه
اخف بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى
وتطرق الشرك اليه وقد قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا
تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان
مرتبط فى حظوظه منغمس فى شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة
من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له فى عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجى وذلك لعزة الاخلاص
وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث له الا طلب القرب من الله تعالى وهذه
الحظوظ ان كانت هى الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبها فيها وانما نظرنا فيها اذا كان القصد الاصلى
هو التقرب وانضافت هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان يكون فى رتبة الموافقة او فى رتبة المشاركة
او فى رتبة المعاونة كما سبق فى باب النية وبالجملة واما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الدينى او اقوى
منه او اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها
وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستهتر به
مستغرق الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل تكون رغبته
فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهى الطعام لانه طعام بل لانه يقوى على عبادة الله
تعالى ويتمنى ان لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة

والصدق

ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في العمل كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله عز وجل وحب الاخرة اكتسب حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسب جميع حركاته تلك الصفة فلا يسلم له عباداته وصومه وصلوته الا نادرا فاذن فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الافة فيه كما حكي عن بعضهم قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر وسبقت الى الصف الاول فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وسبب استراحة قلبي من ذلك حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقل ما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم في الاخرة كلها سيات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله وبدا لهم سيات ما عملوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين منهم على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن شرع رسول الله وترى الواعظ يمن على الله بنصحه للخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يزعم انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك الى غيرك لا لانصراف وجوه الناس منك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب فاغتمامك لفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه للامر فضل واجزل ثوابا واعود عليه في الاخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي ابي بكر رضي الله عنهما للامامة كان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان ذلك كان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الا من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك على نفسه وذلك قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور وان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا ادهاه الامر تغير فرجع ولم يف بالوعد ولا يعرفه الا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها بمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى بقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشيطان وهو لا يشعر **بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص** قال السري الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج في اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية الفعل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفي عن جميع الافات

فهذا تعرض لافة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله عز وجل وقيل لسهل اي شي اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس افة اجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القائل لا يتحرك الانسان الا للحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية فما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله عز وجل فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروها ولم يلتفتوا اليها فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمن الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهو اشارة الى افة الرياء فقط وكذلك قول بعضهم الاخلاص في العمل ان لا يكون بحيث يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا القول اجمع للمقاصد وقال المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق من معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد نفي الرياء فقط وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عز وجل عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة فلا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا **بيان درجات الشوائب والافات المكدرة للاخلاص** اعلم ان الافات المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلاء وبعضها خفية مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فاقول الشيطان يدخل الافة على المصلي مهما كان مخلصا في صلوته اذا نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلوتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلوته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الافة واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلوته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول

وقد يتخدع به من لا يتخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل الاخلاص وانه ان كان يرى الخشوع وحسن
العبادة خيرا لا يرتضي لغيره تركه فلم يرتضي لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه
من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدي به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى
غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فهو محض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب
بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب
العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطن فيعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء
ويعلم ان الاخلاص في ان تكون صلوته في الخلوة مثل صلوته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة
خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلوته على الوجه الذي يرتضيها في الملا ويصلي
في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلوته في الخلوة لتحسن صلوته في الملا فلا يكون
فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق عين الرياء بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهائم لصلوته ومشاهدة
الخلق واحدة فكان نفس هذا ليس تسمح باساءة الصلوة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة
المرائين ويظن ان ذلك يدرك بان تستوي صلوته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق
كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلاء والملاء جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الخلاء والملاء جميعا وهذا
من المكايد الخفية من الشيطان الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلوته فيعجز
الشيطن عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطن تفكر في عظمة الله وجلاله
ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله تعالى الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه ويخشع جوارحه
ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلال الله لكانت هذه
الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص به حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان يكون
هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون
حضور البهيمة سببا فما دام تفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة غيره من بهيمة فهو بعد خارج عن
صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة
السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطن الا من دق نظره وسعد بعصمة
الله وتوفيقه وهدايته والا فالشيطن ملازم للمتشمرين لعبادة الله ولا يغفل عنهم لحظة واحدة حتى يحملهم على
الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن
في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق اليها ولاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطن
الى فعل ذلك فيقول هذه سنة لا ينبغي ان يتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوات الخفية
او مشوبة بها شوبا يخرج من حد الاخلاص بسببها وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف
في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يانس الطبع به فالشيطن يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف
وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله
الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الاخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات
النفس ومبطل حقيقة الاخلاص ولعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب
ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطن
وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولذلك قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به

على وتيرة

العالم

٥٨٨

العالم البصير بدقايق آفات الاعمال حتى يتخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر
السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زيف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد
البصير خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة
الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فليقنع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد
لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل والله اعلم **بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به**
اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف
في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به
الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما
النظر في المشوب فظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس يخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا
فيه والعلم عند الله تعالى ان ينظر الى قوة الباعث وان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما
وتساقطا فصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اقوى واغلب فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتضي
للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان
قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله
تعالى ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله تعالى لا يظلم مثقال
ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان قصد التقرب غالبا على الرياء حبط منه القدر الذي يساويه
وبقيت زيادة وان كان مغلوبا اسقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال
تاثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته بالعمل على وفقه
وداعية الخير من المنجيات وانما قوته بالعمل على وفقه فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان واذا
عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوي تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوي تلك
الصفة ايضا واحدهما مهلك والآخر منجي فان كان تقويته لهذا بقدر تقويته للآخر فقد تقاوما وكان كالمستضر
بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان
كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن
اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب
او تسويده وفي تقريبه من الله تعالى وابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا
عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم
اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبها فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا
بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ
من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو
خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيها مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان
الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان
الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد
ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج
القوي هو اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب

بتأكد

وقدرته الحارة بتلك

من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل
على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وساير الحظوظ فقد روى طاوس
وعدة من التابعين ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد و
يوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ انه صلى الله عليه وسلم قال ادنى الرياء شرك وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة ان الله تعالى يقول انا
اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعته لشريكي وروى ابو موسى ان اعرابيا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه
من في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه
يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه
وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد به
الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان
لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها واما اللفظ
الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي
ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في خطر وانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده فربما يكون
عليه وبالا ولذلك قال الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الآية اي لا يرجى اللقاء
مع الشركة التي هي احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص
في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو
طايفتين من الكفار احدهما اغنياء والاخرى فقراء فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله تعالى وللغنيمة
انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل الياس
على المسلمين لان امثال هذه الشوايب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تاثير
هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث
الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الامن
الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط ولذلك ينبغي ان يكون ابدا
بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا
كان الخائفون من ذوي البصاير وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفين لا اعتد بما ظهر من
عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين سنة فما دخلت في شيء
من اعمال الله تعالى الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله تعالى ليته لا لي ولا علي
ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود
ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان
يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه
عند كل حركة يطالب نفسه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوايج واستضر الشيخ بذلك فساله عن امره
فاخبره بمطالبة نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله ويتركهما فقال ابو سعيد لا تفعل

ودعت نصيبي

فمطلق التساوي

ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما
قلت لك اخلص العمل فقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك **الباب الثالث**
في الصدق وفضيلته وحقيقته **فضيلة الصدق** قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى
يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب
حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الانبياء
في معرض المدح والثناء فقال تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا وقال تعالى واذكر في
الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق
والشكر وقال بشر بن الحرث من عامل الله تعالى بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي
رايت منصور الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم امل
فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله تعالى ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال
ابو سليمن اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رايت
صادقا فقال ان كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى
مبنيا على ثلثة اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق
على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال
هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين واوحى الله تعالى الى داود يا داود من صدقني
في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في الدجلة فقال
ان كان صادقا فالله ينجيه كما انجى موسى عليه السلم وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما اغرق فرعون
فقال بعضهم اجمع العلماء والفقهاء على ثلث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض
الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه
وجدت في حاشية التورية اثنين وعشرين كلمة كان صلحاء بني اسرائيل يجمعون فيقرؤنها ويتدارسونها
لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العقل ولا رفيق
اسوأ من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الذكر ولا حسنة
اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل
من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حيوة اطيب من الصحة
ولا معيشة اهنأ من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ
من الصمت ولا غايب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق اتاك الله تعالى
مراة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجايب الدنيا والاخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك
وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين خلق الله تعالى وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل
فقال قد بقينا مدبرين حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل فدواعي الهوى تخف علينا وخلاف
الهوى علينا ثقيل وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل
زدنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكمال فقال قول الحق
والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم

ومراتبه

عند ربهم وهذا امر على خطر **بيان حقيقة الصدق ومعناه** اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة
معاني صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق
في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه
مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة
الى ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه
عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد
ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهره فمن حفظ لسانه عن الاخبار
عن الاشيا على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض
منه وحذر عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه
في نفسه الا ان يكون ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان
والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء وفي الاحتراز عن اطلاعهم على اسرار
الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يامره به الحق ويقتضيه الدين
فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة
على الحق والدعا اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض
ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر
الى الاعدا فيقصدوا وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من
اصلح بين اثنين فقال خيرا او نما خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلثة مواضع من اصلح
بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى
فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجرد للخير ارادته كان صادقا
وصديقا كيف ما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة
وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دايرة وضع الاصبع عليها في الدايرة وقولي ليس ههنا
فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال
الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني ان
يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد
وكقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله تعالى لم يكن كلامه صدقا
ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا
للدنيا او عبدا للشهوات لم يكن صادقا في قوله وكلما تقيد العبد له فهو عبد له كما قال عيسى يا عبيد الدنيا
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدراهم وعبد الحلة وعبد الخميصة فسمى كل من
تقيد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله تعالى من عتق اولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا
تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا حلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد ظاهره و
باطنه بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم هو قد يتجاوز هذا المقام الى المقام هو اسنى منه يسمى
الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته

فى ارادة

في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا عن نفسه
وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه
متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق
في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن
عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا
ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول الصدق الثاني في النية والارادة فيرجع ذلك الى
الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ
النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما رويناه في فضيلة الاخلاص من حديث الثلثة
حيث يسال العالم ماذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال
فلان عالم بانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوجه
في القصد ولذلك قال الله عز وجل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فقد قالوا انك لرسول الله
وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا
القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فيكذب في دلالته بقرينة
الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب فيما تلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية
وهو الاخلاص فكل صادق ولا بد ان يكون مخلصا الصدق الثالث صدق العزم على العمل فيقول في
نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره وان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان
قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها
في نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة
وكان الصدق ها هنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته
كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ها هنا عبارة عن التمام
ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها
ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر لان اقدم
فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة
تامة لا يتامر مع وجود ابي بكر فاكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزايم تختلف فقد
يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي وراءيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل
لا ينقص عزمه بل في الصادقين والمومنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حيوته احب اليه
من حيوة ابي بكر الصدق الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد
والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقايق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة
وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق
ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني مشهدا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال له يا ابا
عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني لاجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين

فان الانسان قد يقدم العزم

رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته ما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد
شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر الآية وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مومن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك
الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيمة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري
قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه
بشوك الطلح اتاه سهم غاير فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مومن خلط عملا صالحا واخر سيئا لقي
العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل اسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله تعالى
فقاتل حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملاء من الناس قعودا فقالا ان
رزقنا الله لنصدقن فرزقهما الله فبخلا به فنزلت ومنهم من عاهد الله الى قوله فلما اتيهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
فجعل العزم عهدا وجعل الخلف كذبا والوفاء صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس
قد تسخوا بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك
استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم ان
يسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الآن لاني لا امن ان تثقل عليها ذلك فيتغير عزمها اشار بذلك الى
شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق
قلت الوفاء بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى السماء الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد
حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لم يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن
الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب
واقف على هياة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن ينظر اليه
يراه قائما بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوته فهذه اعمال تعرب بلسان
الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة
السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله فان لم يكن ملتفتا الى الخلق
ولا مرائيا ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره
ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسببه اعني بسبب
ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي رياء
ويفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال زيد بن الحرث اذا استوت
سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت
علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشد اذا السر والاعلان في المومن استوى ٭ فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
وان خالف الاعلان سرا فما له ٭ على سعيه فضل سوى الكد والعناء ٭ كما خالص الدينار في السوق نافق ٭ ومغشوشه
المردود لا يقتضي المنى ٭ وقال عطية بن عبد الغفار اذا وافقت سريرة المومن علانيته باهى الله تعالى به الملائكة

ليزا اتيتنا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين

وقال بعضهم انما هو شيء نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله الى قوله فلما اتيهم من فضله

يقول هذا عبدي حقا وقال معوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل نايم بسام بالنهار وقال عبد الواحد
بن زيد كان الحسن اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان من اترك الناس له ولم ار احدا
قط اشبه سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة
وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر
والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها
الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وساير
هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي ينطلق عليها الاسم لظهورها ثم لها غايات وحقايق فالصادق
المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشيء وتمت حقيقته يسمى صاحبه صادقا كما يقال فلان صدق
القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الآية الى قوله اولئك هم الصادقون وقال الله تعالى ولكن البر من امن بالله
واليوم الاخر الى قوله والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن
الايمان فقرا هذه الآية فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان
فقرا هذه الآية فلنضرب للخوف مثالا فما من عبد يومن بالله الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم
ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف
يصفر لونه وترتعد فرايصه وتتنغص عليه عيشته ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به
اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار
كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه
الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف
واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لجبريل احب ان اراك في صورتك فقال لا تطيق ذلك فقال بلى ارني قال فواعده بالبقيع في
ليلة مقمرة فاتاه فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فاذا هو قد سد الافق يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه
وسلم مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من
خلق الله هكذا قال كيف ولو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد خرقتا تخوم الارضين السفلى
وانه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوضع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة
والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وساير الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم
وقال جابر قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي الى السماء وجبريل بالملاء الاعلى كالحلس البالي
من خشية الله تعالى قال يعني بالحلس الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذا الصحابة كانوا خائفين وما بلغوا
خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قال ابن عمر ما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كلهم
حمقى في دين الله عز وجل وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض
الحمق اهون من بعض وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في
جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حقير فالصدق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات
الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض وان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا

وقال سعد بن معاذ ثلثة انا فيهن قوى وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسى
فيها حتى افرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسى بغير ما هى قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت
النبى صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا فى
النبى صلى الله عليه وسلم فهذا صدق فى هذه الامور وكم من جملة الصحابة قد ادوا الصلوة وشيعوا الجنائز ولم
يبلغوا هذا المبلغ فهذه هى درجات الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة عن المشايخ فى حقيقة الصدق
فى الاغلب لا يتعرض الا لاحاد هذه المعانى نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلثة صدق التوحيد
وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المومنين قال الله تعالى والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم
اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه فى الصدق السادس ولكن ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو
ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره
كما لم يختر عليك غيرك قال الله تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى اذا احببت
عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان
وجدته جزوعا يشكونى الى خلقى خذلته ولم ابال فاذا من علامات الصدق كتمان المصايب والطاعات جميعا
وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم بالصواب هذا آخر كتاب الصدق والاخلاص والحمد لله رب العالمين

كتاب المحاسبة والمراقبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله القايم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة
بما اجترحت المطلع على ضماير القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذى لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل
والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم
وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها للمراقبة
والمحاسبة فى الدنيا لشقيت فى صعيد القيمة وهلكت وبعد المجاهدة والمراقبة والمحاسبة لولا فضل الله
بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد واشتملت واستغرقت رحمته
الخلايق فى الدنيا والاخرة وغمرت فبنفحات رحمته وفضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن
توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت
وبتاييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطن واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت
وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلوة
على محمد سيد الانبيا وعلى آله سادة الاصفيا وعلى اصحابه قادة الاتقيا وسلم كثيرا اما بعد فقد
قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان
مثقال حبة [...] ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم الله جميعا
فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا
ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت

بلغ المقابلة

وهم لا يظلمون وقال الله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه
فعرف ارباب البصاير من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون فى الحساب ويطالبون
بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق
المراقبة ومطالبة النفس فى الانفاس والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه
قبل ان يحاسب خف فى القيمة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه
دامت حسراته وطالت فى عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزى والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك
علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة
ثم بالمعاتبة فكانت لهم فى المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل
الاعمال فيها فاصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعها عند الخسران معاتبة
ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات **المقام الاول من المرابطة المشارطة** اعلم ان مطلب المتعاملين
فى التجارة المشتركين فى البضايع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال
حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر فى طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه هو تزكية النفس اذ بها فلاحها
قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس
فى هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذى يتجر فى ماله وكما
ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا
ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشترط
عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة
فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخاين اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد
الفراغ ينبغى ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة
المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب مع النفس فى هذا اهم كثيرا من تدقيقه فى ارباح الدنيا مع
انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير فى خير لا يدوم
بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذى لا يدوم اذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى
الشر والخير الذى لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل اشد الغم عندى
فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فحتم على كل ذى حزم آمن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه
والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخطراتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها
يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمها ابد الاباد فانقضاء هذه الانفاس ضايعة او مصروفة الى ما يجلب
الهلاك خسران عظيم هايل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى ان يفرغ قلبه
ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول
للنفس ما لى بضاعة الا العمر ومهما فنى فقد فنى راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم
الجديد قد امهلنى الله تعالى فيه وانسا فى اجلى وانعم به على ولو توفانى لكنت اتمنى ان يرجعنى الى الدنيا
يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبى انك توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعى هذا اليوم فان كل

وخطواتها

نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه
ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورًا من حسناته التي
عملها في تلك الساعة فينا له من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة عند الملك
الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ثم يفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة
يفوح نتنها ويتغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فينا له من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة
لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل
او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها وينا له من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك
الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره
فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزاينك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك
ولا تركني الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما لا يدركه غيرك ويبقى عليك حسرتها
لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة لا يطاق وان كان دون الم النار وقد قال بعضهم هب
ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقد قال الله تعالى يوم
يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم يستانف لها وصية في اعضائه السبعة
وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في هذه
التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك
الابواب لمن عصى الله بهذه الاعضا فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى وجه
من ليس بمحرم او الى عورة مسلم او وجه من ليس بمحرم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول
مستغنى عنه وان الله تعالى يسال عبده عن فضول النظر كما يساله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا
لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهي التي خلقت له من النظر الى عجايب صنع الله تعالى بعين
الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ
والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليها الامر في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن اما اللسان فلانه
منطلق بالطبع ولا مؤنة عليها في الحركة وجنايتها عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة
الخلق والطعن واللعن والدعا على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان
فهو بصدد ذلك كله مع انه خلقت للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله
واصلاح ذات البين وساير خيراته فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول نهاره الا في الذكر فنطق
المومن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما البطن فيكلفها ترك الشره
وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعها من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط
عليها انها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهواتها ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها هذه وهكذا
يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا يخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستانف
وصيتها في وظايف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على
الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها
كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه على الوفاء بجميعها استغنى
عن المشارطة فيها فان اطاعت في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم من

ويتغشاها

منهم

فى ذلك

منهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله تعالى عليه فيها حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا
من ولاية او تجارة او تدريس اذ قل ما يخلو عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله تعالى فيها فعليه ان
يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يعظ العبد
المتمرد الآبق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب
يؤثر فيها قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة
مع النفس وهي المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة تكون قبله للتحذير وقال الله
تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه هذا للمستقبل وكل نظر في كمية ومقدار لمعرفة زيادة
ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة
وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وذكر ذلك
تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ساله
ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال بعض
الحكما اذا اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعجل بمقتضى الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة
في القلب اكثر من مكث لذة الشهوة وقال لقمن ان المومن اذا ابصر العاقبة امن الندامة وقد روى شداد بن
اوس انه صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله دان نفسه اي حاسب او يوم الدين يوم الحساب وقوله انا لمدينون اي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهياوا للعرض الاكبر وكتب الى
ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال عمر لكعب كيف تجدها في كتاب الله
عز وجل فقال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة فقال الا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا امير المومنين
انها الى جنبها في التورية ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال
دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها

المرابطة الثانية المراقبة فانه اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها
عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة
ثم درجاتها اما الفضيلة فقد سال جبرئيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال الله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى الم يعلم
بان الله يرى وقال الله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم بشهاداتهم قايمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فساله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك
ترى الله تعالى وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره وقال ابو عثمان المغربي
افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطا افضل
الطاعات مراقبة الحق على الدوام اعني دوام الاوقات وقال الحريري امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم
نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قايما وقال ابو عثمن قال لي ابو حفص اذا جلست للناس
فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك
وحكى انه كان لبعض مشايخ هذه الطبقة تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو

شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره
في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال اذبحه حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطيره
مذبوحا فرجع الشاب والطير حي في يده فقال ما لك لم تذبحه وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا
يراني الله فيه احد اذ الله تعالى مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته وقالوا حق لك ان تكرم وحكي ان
زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك استحيين من مراقبة
جماد ولا استحي من مراقبة الملك الجبار وحكي ان بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحي
فقال فممن استحي وما يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر
قال بعلمك بان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من
يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها جوار
خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي
ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا
نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم
القلب بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى
ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظواهر وانا رقيب على الباطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل
مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا ينقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني
عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشيء افضل ولا اشرف
من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي
ربه قال معناه ذلك لمن راقب ربه تعالى وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد
الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية
وانتظار الموت بالتاهب له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقد قيل اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما تخفي عليه يغيب الم تر ان اليوم اسرع ذاهب
وان غدا للناظرين قريب وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله تعالى
خاليا ظننت انه يراك لقد اجترات على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت وقال سفين الثوري
عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه خافية وعليك بالرجا ممن يملك الوفا وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة
وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس من لا يراقب الله
تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر
عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذا الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك قد اكلها الذئب
قال فاين الله قال فبكى ابن عمر ثم غدا الى المالك فاشتراه من مولاه واعتقه فقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجوا
ان تعتقك في الاخرة **بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها** اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب
وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ونعني
بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي
مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة
فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قايم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب

في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها
اذا خلت عن الشكوك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم
بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب فصرفت همه اليه والموقنون
بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين **الدرجة
الاولى** مراقبة المقربين من الصديقين وهو مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة
ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا نطول
النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا
عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت في حفظها على
سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستوفى بالمعبود صارت
الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا وكفاه
الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا
يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن
عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى
ان خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب
بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر ويمشي فربما يخطي الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي
نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق قال ما اعرفه
الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين
جئت يا عتبة قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا وروي
عن يحيى بن زكريا انه مر بامراة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا قال ما ظننتها الا جدارا وحكي
عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس من بعيد فتقدمت اليه واردت ان اكلمه فقال ذكر الله
تعالى اشهى الي قلت انت وحدك قال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هولاء فقال من غفر الله له فقلت
اين الطريق فاشار نحو السما وقام ومشى وقال اكثر الخلق شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى
لا يتكلم الا به ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل
الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شي فقال له ممن
اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر
لا يتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال
لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد رايت في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت
اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جايع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شي فدخلت
المسجد فاذا انا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب
فقلت نشدتكما بالله تعالى الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل
وما بقي من القليل الا قليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تفرغ الى لقائنا فطاطا راسه في
المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت
عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصايب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلثة ايام

لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان فى اليوم الثالث قلت فى سرى احلفهما
ان يعظانى لعلى انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه فقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من تذكرك الله رؤيته
ويقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المقربين
الذين غلب قلبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك **الدرجة الثانية** مراقبة الورعين
من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم يدهشهم
ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة
الاعمال لا تخلوا عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه
ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به فى القيمة فانهم يرون الله تعالى فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون
الى انتظار القيمة ويعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدة فانك فى خلواتك قد يتعاطى اعمالا فيحضرك
صبى او امراة فتعلم انه مطلع عليك فتستحى منه فتحسن جلوسك وتراعى احوالك لا عن اجلال وتعظيم
بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا يدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك
ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا
يختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى عز وجل ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع
حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر فى العمل
اما قبل العمل فلينظر ان الذى ظهر له وتحرك لفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة او هو فى هوى النفس
ومتابعة الشيطن فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله فامضاه وان كان
لغير الله استحيى من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيه وهمها به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها
وسعيها فى فضيحتها فانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله تعالى بعصمته وهذا التوقف فى بداية الامور
الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان فى الخبر انه ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وان صغرت
ثلثة دواوين الديوان الاول لم والثانى كيف والثالث لمن فمعنى لم اى لم فعلت هذا كان عليك ان
تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم له بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه سئل عن
الديوان الثانى كيف فعلت هذا فان لله فى كل شئ شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم
فيقال له كيف فعلت ابعلم محقق ام بجهل وظن وان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص
فيقال لمن عملت الوجه الله خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمراياة خلق مثلك
فخذ اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفينا نصيبك من الدنيا ام عملت بسهو وغفلة فقد سقط
اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيرى فقد استوجبت مقتى وعقابى اذ كنت عبدا لى تاكل
رزقى وتترفه بنعمتى ثم تعمل لغيرى اما سمعتنى قد قلت ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان
الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك اما سمعتنى قد
قلت الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل
ان يطالب واعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يبدى ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا
ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتة
الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وقال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت
فان كان لله امضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان له مضى وان كان عليه تاخر وقال فى

المراقبة

علم

حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن على ان المؤمن وقاف متانى
يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول فى هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين
والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى يعرف نفسه وربه وعدوه وهو
الشيطان ولم يعرف ما يوافق همه هواه ولم يميز بين ما يحب الله ويرضاه فى نيته وهمته وفكرته وسكونه
وحركته فلا يسلم فى هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا فلا تظنن ان الجاهل يعذر بما يقدر فيه على التعلم هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم
ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات النفوس ومكايد الشيطان
ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل فى تعب والشيطن منه
فى فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على
كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعى حتى ينكشف له
بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان
الخطرة الاولى فى الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد
يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغى ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان
جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم
ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى وان عجز عن الاجتهاد والفكر فيه فيستضئ بنور علماء
الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود
لا تسال عنى عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتى اولئك قطاع الطريق على عبادى فالقلوب المظلمة
بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضئ انوار القلوب حضرة
الربوبية وكيف يستضئ بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق ضدها وذلك هو شهوات الدنيا
فليكن همة المريد اولا فى احكام العلم او فى طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد
من هو عديم الرغبة فيها فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات
والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات
فليس له بصر ناقد فى الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا
فما قدر العقل الضعيف الذى يتصف الادمى به حتى يحتاج الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة
آفات الاعمال قد اندرست فى هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط
بين الخلق فى الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه فى الدين واخرجوا هذا العلم
الذى هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا للفقه الدنيا الذى ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب
لتتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفى الخبر انتم اليوم فى زمان خيركم
فيه المسارع وسياتى عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة فى القتال مع اهل العراق
واهل الشام لما اشكل عليهم الامر كسعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه
كان متبعا لهواه معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض فى شبهة بغير علم فقد خالف
قول الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث

سعد

واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه
كان دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه
ولا تجعله متشابها علي فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلثة امر استبان رشده فاتبعه
وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم فاعظم نعمة الله تعالى على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان
عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به
العلم وقال تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى وقال تعالى ثم ان علينا
بيانه وقال تعالى وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف
عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة ورب بعيد اقرب من قريب
وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحيا
سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك
ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك وان لم تاته اتاك وان كنت جازعا
على ما اضعت من يدك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان وانما الامور اشباه وانما
المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك
منها فلا تتبع نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لاخرتك وهمك
فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذا كله قوله رضي الله عنه ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة فاذا النظر الاول
للمراقب نظره في الهم والحركة اهي لله تعالى ام للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فقد استكمل
ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة
آثر الاخرة على الدنيا واقل ما ينكشف له في حركاته ان يكون مباحا ولكنه لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه
وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه **النظر الثاني** المراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية
العمل ليقضي حق الله تعالى ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له
في جميع احواله وانه لا يخلوا في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله
فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله
صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك
الملوك مطلع عليه قال ابرهيم بن ادهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول اهكذا تجالس الملوك
فلم اجلس بعد ذلك كذلك فان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الاداب التي ذكرناها
في موضعها وكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لادابها وفاء بالمراقبة واذا لا يخلوا
العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب
وحراستها عن الافات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر
وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلوا العبد في جملة
احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها او نعمة لا بد من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد
في كل حال من فرض الله تعالى عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع
الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد

واظهر

من ذلك

من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد
العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلثة واذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل
فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح
تنال بمزايا الفضائل فبذلك ياخذ العبد من دنياه لاخرته كما قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا
فكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة وان الساعات ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف
ما انقضت في مشقة او رفاهية وساعة مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا
يدري ما قضى الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تاته الساعة الثانية
لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا
يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته وكانه في آخر انفاسه فلعله آخر
انفاسه وهو لا يدري فاذا امكن ان يكون آخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت
وهو على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم لا يكون
المؤمن ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وما روي عنه ايضا في معناه على العاقل
ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى
وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على بقية الساعات ثم هذه الساعة التي
هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر وان
الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر وتفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح
والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط
قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله لاسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الالات المسخرة للشهوة
فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون اليه بعين المقت والكراهة
ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون انفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهوته
وهذا مقام الزاهدين وقسم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدة
ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه هذا وهو اعلى المقامات وهو من مقامات العارفين
وعلامة المحبين اذ المحب اذا راى صنعة حبيبه او كتابه او تصنيفه نسي الصنعة فاشتغل قلبه بالصانع وكل
ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منها الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت وذلك
عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتاسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم
من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبخ والطباخ ولا يعلمون ان
الفاعل للطبخ والطباخ ولقدرته وعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيئا من خلق الله تعالى بغير اذن الله تعالى
فقد ذم الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة
الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول **المرابطة**
الثالثة في محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال
ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفي الخبر انه عليه الصلوة
والسلام جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال امستوص انت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته وان كان

ولعله

رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى واتوب اليه في اليوم ماية مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عايشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال لا ما احد اعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة حيث شغله الطير عن صلوته فتدبر شغله فجعل حايطه صدقة لله ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا قال اردت ان اجرب قلبي هل ينكره وقال الحسن المومن قوام على نفسه يحاسبها لله تعالى وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا هذا الامر عن غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المومن يفجاه الشي يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشي فيرجع الى نفسه فيقول لها ما اردت بهذا والله لا اعود لهذا ابدا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله تعالى وقال انس سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرجت معه حتى دخل حايطا فسمعته يقول بيني وبينه جدار وهو في الحايط عمر بن الخطاب امير المومنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى فلا اقسم بالنفس اللوامة قال لا تلقى المومن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت بشربتي ماذا اردت باكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله تعالى وكان لها قايدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة اكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار اكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفس اي شي تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل صالحا قلت فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرا حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرا اخذ بعنان عمله فنظر ما ذا يراد به رحم الله امرا نظر في مكياله رحم الله امرا نظر في ميزانه فما زال يقول رحم الله امرا رحم الله امرا حتى ابكاني وحكى صاحب الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه وكان عامة صلاته بالليل الدعا وكان يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا احنف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فكذلك ينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها فكذلك يفعل التجار في الدنيا مع الشركا في آخر كل سنة او شهر او يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة في فواته ولو حصل لهم لكان لا يبقى

كما

الا اياما قلايل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الاباد ما هذه المساهلة الا من الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منه ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران لتتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل وكذلك راس مال العبد في دينه الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرايض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاقبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شي منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره غدا في صعيد القيمة وهكذا يفتش عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه انه لم سكن واذا عرف من مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادا الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على النفس فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفا ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضا الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا نفسه فحسب يوما عمره فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسماية يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى الملك باحد وعشرين الف ذنب وخمسماية ذنب كيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس واللحظات وعلى معصيتها بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ والملكان يحفظان عليه ذلك احصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى لا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليها مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها واذا اكل لقمة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم فينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعها عن شهواتها هكذا كانت عادة سالكي طريق الاخرة وقد روي عن منصور ابن ابرهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فوضع يده في النار حتى نشت وروي انه كان في بني اسرايل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بالنزول اليها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله تعالى بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وقد عصمه الله فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعالى تعود معي الى الصومعة لا يكون ذلك والله ابدا فتركها

معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك
وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى عن الجنيد انه قال سمعت ابن الكريبي يقول اصابتني ليلة جنابة احتجت
الى ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تاخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتاخير حتى اصبح واسخن
الماء او ادخل الحمام ولا اعين على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله تعالى في طول عمري فيجب له علي حق فلا
اجد في المسارعة واجد في الوقوف والتاخير آليت الا اغتسل الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا انزعها
ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهما فتكشفت جارية
فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه فنعيت وقال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة
الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول عمره فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش
ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة وقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال لا تسألين عما لا يعنيك
لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا
انه نايم فقال وقت نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك
فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم عني شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت
وقت نوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تتكلمين
بما لا تعلمين اما ان لله علي عهدا لا انقضه ابدا لا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حايل او
لعقل زايل سوءة لك اما تستحين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر
بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى ان تميم الداري نام ليلة لم يقم فيها للتهجد فقام سنة لم ينم
فيها عقوبة لها وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضا كان ويقول
لنفسه ذوقي ونار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ بصر بالنبي صلى الله
عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت
اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله تعالى بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم
فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال له صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى
زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل
الجنة مآبهم وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على وجه الارض
نفس ابغض منها الي فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطاي حين مات وهو في بيته
على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب
من كنت تعمل له وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا طويلا ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا
ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم يسال حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت ولو كان فيك خير
لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد
قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر عدوهم فصيح بالناس فقاموا الى المصاف
في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت
لي اهلك وعيالك فاطعتك فرجعت الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت اهلك ومالك فاطعتك فرجعت
والله لاعرضنك اليوم على الله اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم
فكان في اوايلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا وكان في حومة حتى انكشفوا مرات وهو ثابت القدم

يقاتل

يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة
وقد ذكرنا حديث ابي طلحة وانه لما اشغل قلبه في الصلوة بطاير في حايطه فتصدق بالحايط كفارة له وكان عمر
يضرب قدميه بالليل بالدرة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره
على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع راسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه
المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك يا نفس على ما صنعت يوم كذا وكذا وانكر
وهيب بن الورد شيا على نفسه فنتف شعرات كن على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما
اريد بك الخير وراى محمد بن بشر داود الطاي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلت بملح فقال
ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كان عقوبة اولي الحزم
لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير
في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو
لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا
عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الاخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له و
نفسك هي التي تنغص عليك عيش الاخرة فهي بالمعاتبة اولى من غيرها **المرابطة الخامسة** المجاهدة وهو
انه اذا حاسب نفسه فراها وقد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت فان راها
تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضايل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا
من الوظايف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه
حين فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض له كانت قيمتها مايتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته
صلوة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة
ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله
كل ذلك مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت فان كانت نفسي لا تطاوعني على الاجتهاد
والمرابطة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان يسمعها ما ورد في فضل المجتهدين في الاخبار ومن
انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به وكان
بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت عليه اسبوعا
الا ان هذا علاج قد تعذر اذ فقد في عصرنا من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة
الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي
ثوابهم ونعيمهم ابد الاباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلايل
لشهوات كثيرة مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الاباد نعوذ بالله منه ونحن نورد من اوصاف
المجتهدين العاملين وفضايلهم ما يحرك رغبة هذا المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال صلى الله عليه وسلم
رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا اليه
فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو راوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا وشوقا وقال الحسن ادركت اقواما

وصحبت طوايف منهم ماكانوا يفرحون بشئ من الدنيا اقبل ولا يتاسفون على شئ منها ادبر ولهي كانت اهون
على اعينهم من هذا التراب الذي تطاوه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ماطوى لاحدهم ثوب ولا امر
اهله بصنعة طعام قط ولاجعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب الله وسنة نبيه اذا جنهم
الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم يجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا
الحسنة فرحوا بها ودابوا في شكرها وسالوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوا الله ان
يغفرها لهم والله مازالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ويحكى ان قوما دخلوا
على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى
فقال اسقام وامراض فقال سالتك بالله الا صدقتني فقال يا امير المومنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها
مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون
الى الجنة والنار فاظمات لذلك نهاري واسهرت له ليلي وقليل حقير كلما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال
ابو نعيم كان داود الطاي يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب
الفتيت قراءة خمسين آية ودخل عليه رجل يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي اني لفي
هذا البيت منذ عشرين سنه مانظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام
وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك
فقال ان الله تعالى خلق العينين لينظر العبد بهما الى عظمة الله وجلاله وكل من نظر بغير اعتبار كتب عليه
خطيئة وقالت امراة مسروق ماكان يوجد مسروق الا وساقاه منتفخان من طول الصلوة فقالت والله
اني كنت لا اجلس خلفه الا وابكي رحمة له وقال ابو الدردا لولا ثلث ما احببنا العيش يوما واحدا
الظماء لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب التمر
وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر لونه وكان علقمة بن
قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط
فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يامرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع
من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه
فكان يصلي جالسا الفي ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا منك
عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني
قد حبب اليه الصلوة وكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في
قبري وقال الجنيد ما رايت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنه ما راى مضطجعا الا في علة وقال
الحرث بن سعد مر قوم براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند
ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم
فبكى القوم عن آخرهم وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند
على عمود ولا الى حائط ولا يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك
هذا فقال علم صدقي في باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى متفكرا وعن بعضهم قال دخلت
على فتح الموصلي فرايته وقد مد كفيه يبكي حتى رايت الدموع تتحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا
دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت

دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا
يكون قد صحت لي الدموع قال فرايته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي قلت
فما صنع في دموعك قال قربني ربي تعالى وقال لي يا فتح الموصلي بكيت الدموع على ماذا قلت يا رب
على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال لي يا فتح ما اردت
بهذه الكلمة وعزتي لقد صعد حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيه وقيل ان قوما ارادوا
سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا
يا راهب انا قد اخطانا الطريق فكيف هو فاوما براسه الى السماء ليعلم الناس ما اراد فقالوا يا راهب
انا سايلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث
فتعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام يحشر الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا اوصنا
فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه في صومعته
وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني وناديته
الثانية فلم يجبني وناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله
في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لنعمته
وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره ذكر
النار ومسئلة الجبار فذلك هو الراهب فاما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس
لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله
الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب فالعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه
واقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال اني اذا لفارغ وكان اويس القرني
يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واذا كان الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي
الليل كله في سجدة وقيل لمن تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت
بنفسك فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا واتنعم كثيرا وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا
على وجهه وقال سفين الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال
عمر بن اخت بشر بن الحرث سمعت خالي بشر بن الحرث يقول لامي جوفي وخواصري تضرب علي فقالت له
امي يا اخي تاذن لي حتى اصلح لك قليل حسا بكف دقيق عندي تتحساه يرم جوفك وتسكن جوارحك فقال
لها ويحك اخاف يقول لي من اين لك هذا الدقيق فلا ادري ايش اقول فبكت امي وبكى معها وبكيت معهم
قال عمر ورات امي ما به بشر من شدة الجوع وجعل يتنفس ضعيفا فقالت له امي يا اخي ليت امي لم تلدني فقد
والله تقطع كبدي مما ارى بك فسمعته يقول لها وانا فليت امي لم تلدني واذ ولدتني فلم يدر ثديها علي
قال عمر وكانت امي تبكي عليه الليل والنهار وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى
فراشه اي لا ينام طول الليل فكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى
كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول
له يا ابه مالي ارى الناس ينامون واراك لا تنام فيقول يا ابنتاه ان اباك يخاف النار ولما رات ام الربيع
ما يلقى الربيع من البكا والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا والدتي قالت من هو حتى نطلب الى
اهله لعله يعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك فقال يا والدتي هي نفسي قال الربيع

اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر فقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلوة
حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشا ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم
جلس فغلبته عيناه فقال اللهم انى اعوذ بك من عين نوامه ومن بطن لا تشبع فقلت حسبى هذا منه ثم رجعت
ونظر رجل الى اويس فقال يا باعبد الله مالى اراك كانك مريض فقال وما لاويس ان لا يكون مريضا يطعم المريض
واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نايم قيل وكان ورده سبعون فى كل يوم وليلة خمسماية ركعة وعن ابى بكر
المطوعى قال كان وردى فى سنتين كل يوم وليلة اقرا فيه قل هو الله احد احد وثلثين الف مرة شك فيه الراوى
وكان المنصور بن المعتمر اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العين
ان حركته جادت عيناه باربع ولقد قالت له امه ما الذى تصنع بنفسك تبكى الليل كله لا تسكن لعلك قتلت
قتيلا فيقول يا اماه انا اعلم بما صنعت نفسى وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار
تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابرهيم بن ادهم فوجدته قد صلى العشا فقعدت ارقبه
فلف نفسه بعباة ثم رمى بنفسه ولم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب
الى الصلوة ولم يحدث وضوءا فحاك ذاك فى صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ولم تجدد
الوضوء فقال كنت الليل كله جايلا فى رياض الجنة احيانا وفى اودية النار احيانا فهل فى ذلك نوم وقال ثابت
البنانى ادركت رجالا كان احدهم يصلى حتى يعجز فما ياتى فراشه الا حبوا وقيل مكث ابو بكر بن عياش اربعين
سنة لا يضع جنبه على فراشه فنزل فى احدى عينيه الما فمكث عشرين سنة لا يعلم به اهله وقيل لعامر بن عبد الله
كيف صبرك على سهر الليل وظما الهواجر فقال هل هو الا انى صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى
النهار وليس فى ذلك خطير امر وكان يقول ما رايت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها
وكان اذا جن الليل قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم
فما ينام حتى يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف ادلج فعند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت
عامر بن قيس اربعة اشهر فما رايته نام بليل ولا نهار وروى عن رجل من اصحاب على بن ابى طالب رضى الله عنه
انه قال صليت خلف على الفجر فلما انفتل عن يمينه وعليه كابة حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد
رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله
سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم فكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر يوم
الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله وكان ابو مسلم الخولانى
علق سوطا فى مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لازحفن لك زحفا حتى يكون
الكلال منك لا منى فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب بها ساقه ويقول انت اولى بالضرب من
دابتى وكان يقول ايظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يستاثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما
حتى يعلموا انهم قد خلفوا رجالا وراءهم وكان صفوان بن سليم قد تورمت ساقاه من طول القيام وبلغ من
الاجتهاد ما لو قيل له القيمة غدا ما وجد مستزيدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطوح ليضربه البرد
واذا كان فى الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام وانه مات وهو ساجد وكان يقول
اللهم انى احب لقاءك فاحب لقاءى وقال القسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدات بعايشة رضى الله
عنها فغدوت يوما لاسلم عليها فاذا هى تصلى صلوة الضحى وهى تقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم
وتبكى وتدعوا وتردد الاية فقمت حتى مللت وهى كما هى فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق فقلت افرغ من حاجتى

او اربعين الف مرة صح

بن عبد القيس

فمكث

فكان كانه حوله صح

٦٠١

ثم ارجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الاية وتدعوا وتبكى وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا
عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشا
وقال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه
سيماء الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين
وقيل للحسن ما بال المجتهدين من احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر
بن عبد القيس يقول الهى خلقتنى ولم تؤامرنى وتميتنى ولا تعلمنى وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى
الدم وجعلته يرانى ولا اراه ثم قلت لى استمسك الهى كيف استمسك ان لم تمسكنى الهى فى الدنيا الهموم والاحزان
وفى الاخرة العقاب والحساب فاين الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلث
صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه فيتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع راسه
بين ركبتيه متفكرا فاذا مضى ثلث آخر صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه متفكرا واذا كان السحر صاح صيحة
قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض المصريين فقال لا تنظر الى صياحه وانظر الى ما كان فيه بين الصيحتين
حتى صاح وعن القسم بن راشد الشيبانى قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان
يقوم ويصلى ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل تنامون فلا تقومون
فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا قارى ومن ههنا متوضى فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته
عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض الحكما ان لله تعالى عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم
فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معدنا لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة و
توابيت للعظمة وخزاين للقدرة فهم بين الخلايق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلوذ بمحجوب
الغيوب ثم ترجع ومعها طرايف من لطيف الفوايد ما لا يمكن واصفا ان يصفه فهم فى باطن امورهم كالديباج
حسنا وهم فى الظاهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله
يؤتيه من يشاء الاية وقال بعض الصالحين بينما اسير فى بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هنالك
فاذا انا بصوت قد علا واذا تلك الجبال تجيبه لها دوى عال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر
ملتف واذا انا برجل قايم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه
قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر منها مغشيا عليه فقلت وا اسفا
هذا لشقاى ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ
بك من اعمال البطالين واعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخايفين واليك فزعت
اعمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه فقال ما لى وللدنيا وما للدنيا ولى عليك يا دنيا
بابناء جنسك والاف نعيمك الى محبيك فاذهبى واياهم واخدعى ثم قال اين القرون الماضيه واهل الدهور
السالفه فى التراب يبلون وعلى مر الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك
فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه
وبقيت اثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لهى عنى ساعة وقرا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب
ثم افاق وهو يقول من انا ما خطرى هب لى اساءتى بفضلك وجللنى بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك اذا
وقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجو لنفسك وتثق به الا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه

بكرم وجهك

ودع كلام من اوثقته ذنوبه انى لفى هذا الموضع منذ ما شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على
ليخرجنى مما انا فيه غيرك فاليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لسانى وملت الى حديثك شعبة من قلبى فانا
اعوذ بالله من شرك ثم ارجوا ان يبعدنى من سخطه ويتفضل على برحمته قال فقلت هذا ولى الله اخاف ان اشغله
فاعاقب فى موضعى هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما انا اسير فى مسير لى اذ ملت الى شجرة
لاستريح تحتها فاذا انا بشيخ قد اشرف على فقال لى يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته
فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى فى الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن
بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له فى الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر
اليك واملا قلبى من المحبة لك واجرنى من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع
عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعنى اجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املى ثم مضى
وتركنى وقد انشد فى مثله **شعر** نحيل الجسم مكتئب الفواد • تراه بهمه او بطن واد • ينوح على معاص فادحات
يكدر ثقلها صفو الرقاد • فان هاجت مخاوفه وزادت • فدعوته اغثنى يا عمادى • فانت بما الاقيه عليم •
كثير الصفح عن زلل العباد • وقيل ايضا • الذ من التلذذ بالمعانى • اذا اقبلن فى حلل حسان • منيب فر من اهل ومال
يسيح الى مكان من مكان • ليخمل ذكره ويعيش فردا • ويظفر فى العبادة بالامانى • تلذذه التلاوة اين ولى
وذكرها بالفواد وباللسان • وعند الموت ياتيه بشير • يبشر بالنجاة من الهوان • فيدرك ما اراد وما تمنى •
من الراحات فى غرف الجنان • وكان كرز بن وبرة يختم القران فى كل يوم ثلث مرات ويجاهد نفسه فى العبادة
غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة فقيل وكم مقدار يوم
القيمة فقيل خمسون الف سنة فقال وكيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يامن ذلك اليوم يعنى
لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف
سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا اخر لها فهكذا كانت سيرة
السلف الصالحين فى مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة
على العبادة فطالع احوال هولاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم
فهو انجع فى القلب وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع
احوال هولاء فان لم تكن ابل فمعز وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى غمارهم وهم العقلا والحكما
وذووا البصائر فى الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترض لها ان تنخرط فى سلك
الحمقا وتقنع بالتشبه بالاغنيا وتوثر مخالفة العقلا فان حدثتك نفسك بان هولاء رجال اقويا
لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لنفسك الا تستنكفين يا نفس ان تكونى
اقل من امراة فاخس برجل يقصر عن امراة فى امر دينها ودنياها ولنذكر الآن نبذة من احوال المجتهدات
فقد روى عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها
ثم قالت الهى غارت النجوم ونامت العيون واغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى
بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر طلع الفجر قالت الهى هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد
اسفر فليت شعرى اقبلت منى ليلتى هذه فاهنى او رددتها على فاعزى وعزتك لهذا دابى ودابك
ما ابقيتنى وعزتك لو انتهرتنى من بابك ما برحته لما وقع فى نفسى من جودك وكرمك ويروى عن عجردة
انها كانت تحيى الليل وكانت مكفوفة البصر فاذا كان فى السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدين

دجى الليالى يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهى اسالك لا بغيرك ان تجعلنى فى اول
زمرة السابقين وان ترفع عنى لديك فى عليين فى درجة المقربين وان يلحقنى بعبادك الصالحين
فانت ارحم الرحما واعظم العظما واكرم الكرما يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعوا
وتبكى الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اجلس واشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياح
والبكا فقلت لصاحب لى لو اتيناها اذا خلت وامرناها بالرفق لنفسها قال انت وذاك قال فاتيناها
فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكا فكان لك اقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت
والله لوددت انى ابكى حتى تنفد دموعى ثم ابكى دما حتى لا يبقى قطرة من دم فى جارحة من جوارحى وانى
لى بالبكا فلم تزل تردده وانى لى بالبكا حتى غشى عليها وقال محمد بن معاذ بن جبل حدثتنى امراة من
المتعبدات قالت رايت فى منامى كانى ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان
اهل الجنة قيام فقال لى قائل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التى زخرفت الجنان لقدومها قلت ومن هذه
المراة قال امة سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة فقلت اختى والله فبينا انا كذلك اذا قبل بها على نجيبة
تطير بها فى الهوا فلما رايتها ناديت يا اختى اما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فالحقنى بك
قالت فتبسمت الى وقالت لم يان لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين الزم الحزن قلبك وقدمى محبة الله
على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبيد الله بن الحسين كانت لى جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت
فى بعض الليالى نائمة الى جنبى فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هى ساجدة وهى تقول
بحبك لى الا غفرت لى ذنوبى فقلت لها لا تقولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك فقالت لا يا مولاى
بحبه لى اخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى ايقظ عينى وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشى
قدمت الينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت فى بعض ديارنا فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا
فقلت يوما لخادمى اشرف على هذه المراة وانظر ما تصنع قال فاشرفت عليها فما اراها تصنع شيئا
غير انها لا ترد طرفها عن السما وهى مستقبلة القبلة وهى تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى
حال فكل احوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على
معاصيك فلتة بعد فلتة اترتها تظن انك لا ترى سوء فعلها وانت عليم خبير وانت على كل شئ قدير
وقال ذو النون المصرى خرجت ليلة من وادى كنعان فلما علوت الوادى اذا سواد مقبل على وهو يقول
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكى فلما قرب منى السواد اذا هى امراة عليها جبة صوف وبيدها
ركوة فقالت لى من انت غير فازعة منى فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال
فبكيت لقولها فقالت لى ما الذى ابكاك فقلت وقع الدواء على الداء الذى قد قرح فاسرع فى نجاحه
قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكى قالت لا قلت ولم ذاك قالت
لان البكاء راحة للقلب فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن على استاذنا على عفيرة فلازمنا الباب
فلما علمت ذلك قامت لتفتح لنا فسمعتها وهى تقول اللهم انى اعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك ثم فتحت
الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعى لنا فقالت جعل الله قراكم فى بيتى المغفرة ثم قالت لنا
مكث عطاء السلمى اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق فى بطنه
فيا ليت عفيرة اذا رفعت راسها الى السماء لم تعص ويا ليتها اذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت
يوما الى السوق ومعى جارية حبشية فاجلستها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت لها

فجبتها

لا ترجعي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب
عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم
ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة فقالت
ساء ما صنعت كنت اخدمك واطيع ربي فيكون لي اجران واما الان فقد ذهب عني احدهما وقال
ابو العلا السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت فكانت تكثر القراءة في المصحف فكل
ما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكا فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه
المراة حتى نعذلها عن كثرة البكا قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت قالت اصبحنا اضيافا
منتجعين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكا قد ذهبت عيناك منه فقالت ان
يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول
من هذا ثم اعرضت عنا قال فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية
اذا جاء النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي واذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي
اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمن الداراني بت ليلة عند رابعة العدوية فقامت الى محراب
لها وقمت انا في ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام
هذه الليلة قالت جزاؤه ان تصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك
واعظم رجائي لجزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الاملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين
الهي ان كان قد دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسايل عللي فان عفوت
فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها فبقي لها
حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد
مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان تشفع عند مماتي بغفرانه الهي كيف ايئس من
حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك
قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لولا ما قارفت من الذنوب
ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة
وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها
ثم اذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فوادي وكلم كبدي والله
لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين
لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان
تنظر الى اهل عصرك وانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير
محصورة وفيما ذكرناه كفاية عن التطويل للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب
حلية الاوليا فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم فبالوقوف عليه يستبين لك بعدك
وبعد اهل عصرك عن اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما تيسر الخير
في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والان فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم
فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى بحبل غرورها
وتنخدع بتزويرها فقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على موضعهم ولم ياخذوا حذرهم

من غرة جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لما سترتني فمتعني بما له هديتني وادم

جلهم

لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقيهم وتركبي في سفينة تنجوا بها من الغرق فهل يختلج في نفسك
ان المصيبة اذا عمت طابت او تتركين موافقتهم وتستجهلينهم وتاخذين حذرك مما دهاك فاذا
كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب
الابد وانت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المعصية اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن
الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاقبة نفسك او حملها على الاجتهاد
فاستعصت الا تترك معاقبتها وتوبيخها وتقريعها بسوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد
خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر
الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر
بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي
اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعو الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية
فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك فقد
اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي
مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها و
حماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها وتشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها
يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين
ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احدهما على القرب وما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين
باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا و
يراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو ات قريب وان البعيد ما ليس بات اما تعلمين ان الموت ياتي
بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة وانه لا ياتي في شيء دون شيء ولا في شتاء دون صيف
ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في سن الصبا دون الشباب
ولا في الشباب دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون الموت فيه فجاءة فان لم يكن الموت فجاءة
فيكون المرض فجاءة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين
قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه
وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك
فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك لو واجهك
عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهين كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين
لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان
الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين
لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين
على كرم الله تعالى في مهمات دنياك واذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله
تعالى واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا تنقضي الا بالدينار والدرهم ما لك تنزعين

وتحصيلها

الروح فی طلبها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله حتى يعثرك على كنز او يسلط عبدا من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك افتحسبين ان الله كريم فی الاخرة لا فی الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة وانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة فی الارض الا على الله رزقها وقال فی امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الاخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان المنافقون فی الدرك الاسفل من النار ويحك يا نفس كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركين سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه فی قوله ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك فی الذ اطعمتك بانه يضرك فی مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه او كان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى فی كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو اخبرك طفل بان فی ثوبك عقربا لرميت ثوبك فی الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء او صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحس بالمه الا يوما او اقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهايم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهل فبماذا امنت استعجاله للاجل وهبي انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين ان من يالف الدابة فی حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه فی الغربة فاقام بها سنين متعطلا بطالا بعد نفسه بالتفقه فی السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هبي ان الجهد فی آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين به فان اوحي اليك بالامهال فما المانع لك بالمبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته اوما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت عنه غدا اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة الذي يقدر العبد على قلعها فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة

سعى منك ولا طلب

بطعم

ورسوخا

٦٠٧

ورسوخا ويزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه فی الشباب فلا يقدر عليه فی المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذئب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة واي حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات فما احمقك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة فی ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الاباد ولا مطمع فی ذلك الا فی الجنة فان كنت ناظرة لنفسك فالنظر لها فی مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك فی عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول العمر واخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل فی قضاء حق الشهوة يصبر ثلثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته فی الحال خوفا من الم المخالفة ثلثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة يوم وثلثة الف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار فی دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة فكيف يطيق الم عذاب الله تعالى ما اراك تتوانين عن نفسك عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه فی لقمة من الخبز وحبة من المال وكلمة واحدة تسمعها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ويحك يا نفس لا ينبغي ان يغرك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ويحك لا ينبغي ان يغرنك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فيما امرك هلا تضيعي وقاتك والانفاس معدودة واذا مضى نفسك فقد مضى منك بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحيوة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين الحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا او اقصر مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين ان ذلك دون هذا كلا ان يكون هذا كذلك وان يكون بينهما مناسبة فی الشدة والبرودة افتظنين ان العبد ينجوا منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وساير الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى فی ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا فی ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى فی دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديد وحجر حتى تدفعين بها برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فكذلك طاعتك ومجاهدتك ايضا فهو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما بعثكم ولا خلقكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وكما بداكم تعودون وسنة الله فلن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس وما اراك الا الفت الدنيا فانست بها

ايتها النفس صح

اشد عبادتك

له القوة والكسوة صح

فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتوكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله
وثوابه واهوال القيمة واحوالها افما انت موقنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل
دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى
مفارقته اهو معدود من العقلاء او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار لملك الملوك وما لك فيها الا اجتياز
مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت
فانك مجزي به ويحك يا نفس اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من
ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى
الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما ترينهم كيف
يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء
ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل
عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صاير اليها قطعا اما تستحيين يا نفس مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسبي
انك لست ذا بصيرة تهتدي الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتدا فقيسي عقل
الانبياء والحكما والعلماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت
تعتقدين في نفسك العقل والذكاء يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك
كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمه او ما
تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجدوا
لك واطاعوك فما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك
وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما ورد على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد
او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة لو بقي هذا ان كنت
ملكا مطاعا من ملوك الارض سلم اليك المشرق والمغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك
الاسباب كيف وقد ابى ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن امر محلتك
وان كنت لا ترغبين في الآخرة ولا تتركين الدنيا لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة
شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا عن سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك
كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك ولا تخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون
عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا سبقك بها هؤلاء الاخساء فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك
اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني
في صف النعال من غمار الحمقى الجاهلين اياما قلايل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك
يا نفس فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم
عنك بعد الموت ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية
عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين
يا نفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع
الاكبر بين يديك اما علمت يا نفس ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان

بانفس صح

ومن ذا يرضى ربك بعد الموت ويحك يا نفس صح

المغلظة

المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا
يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه
لو قدروا عليها وانت تضيعين في الغفلة اياما ويحك اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين
الله تعالى في السر بالعظايم افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين عليك
ويحك اتامرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذايل بل تدعين الى الله تعالى وانت منه فارة وتذكرين
بالله وانت له ناسية اما تعلمين ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا يطهر غيرها فلم تطمعين في
تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس
لا يصيبهم بلاء الا بشومك ويحك يا نفس وقد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك
ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منها راسا براس لربحت وكيف تعجبين بعملك مع
كثرة خطاياك فقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله ماتي الف سنة واخرج آدم من الجنة
بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغدرك ويحك يا نفس ما اوقحك ويحك يا
نفس ما اجهلك وما اجراك على المعاصي ويحك يا نفس كم تعهدين فتغدرين ويحك يا نفس اتشتغلين
مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا
مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا ويحك يا نفس ما لك بهم عبرة اما لك
اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من الخالدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ما انت الا في هدم
عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على ظهر الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك اما تخافين
اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل الله اليك منحدرة سود الالوان وكلح الوجوه تبشر بالعذاب
فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكا العجب كل العجب منك يا نفس انك تدعين
البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك كل يوم تفرحين بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال
يزيد وعمر ينقص ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك
فكم من مستقبل يوما لا يستكمله ومومل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك
وترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عنها وعن جهالتك فاحذري يا مسكين يوما آلى الله تعالى فيه على
نفسه الا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يساله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري يا
نفس باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدي للسوال جوابا وللجواب صوابا واعملي ببقية
عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقام وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملي قبل
ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي يا نفس
بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر
يضحك وياكل ويشرب ويلهو وقد حق له في كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا
اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن
شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي يا نفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان
بدل ولا للجسد خلف ومن كان مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة
واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة
واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل

منهم

لكان الربح فيه بك

تعقدين فتنقضين ويحكم صح

فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم يزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم
تزل فاعلمي ان الله تعالى قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك
على النار فقد خلق الله تعالى الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق
فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل
لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظر الآن هل ياخذك حزن على
هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينيك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر
الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واقتدي بابيك آدم عليه السلام واستغيثي بارحم
الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمي الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك
فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك
العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع
واخشعي في تضرعك على قدر عظم جرمك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف
ويجيب دعوة المضطر الذليل وقد اصبحت اليه مضطرة والى رحمته محتاجة وضاقت بك السبل وانسدت
عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم و
المسؤول جواد والمستغاث به رؤف رحيم والرحمة واسعة والكرم فايض والعفو شامل وقولي يا رحمن يا رحيم
يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجري الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا يستحي هذا مقام المتضرع
المسكين والبايس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني اثار رحمتك واذقني
برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم الراحمين اقتدا بابيك ادم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه
لما اهبط الله تعالى ادم الى الارض من الجنة مكث ولا يرقى له دمعة فاطلع الله عليه في اليوم السابع وهو محزون
كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي
واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة
وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء
بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم الم اصطفك لنفسي واحللتك
داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك
ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملات الارض رجالا كلهم مثلك
يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام ثلثمائة عام الى ان غفر الله له وكان عبد الله
البجلي كثير البكا يقول في بكائه طول ليله الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك
خطيئة عرضت لي شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تزل وصاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت النار
لك مقيلا وماوى واعبيداه ان كانت المقامع لراسك تهيا واعبيداه قد قضيت حاجة الطالبين وحاجتك لعلها
لا تقضى وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه عز وجل وهو يقول يا رب وعزتك
ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا
بنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانتني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي
وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني فواسوأتاه من الوقوف
بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت

سني عظمت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي كم اتوب وكم اعود اما آن لي ان استحي من ربي فهذه طرق
القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه
والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله عنه راضيا تم الكتاب بمنه وفضله

كتاب التفكر والاعتبار وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين في الحالات الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته
نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمراقي اقدام الاوهام ومرامي سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين
في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف
ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية منك فكرا لانك لو تفكرت
في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وان طلبت وراء التفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله تعالى واياديه
كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين
خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا
وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة
حد طاقة البشر ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على عقابها اضطرارا
وقهرا والصلوة على محمد اذ كان سيد ولد آدم وان لم يعد سيادته فخرا صلوة تبقى لنا في عرصات القيمة
عدة وذخرا وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوايف المسلمين صدرا وسلم
كثيرا اما بعد فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله على التدبر
والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم
ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد علموا فضيلته ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره
ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا كيف يتفكرون وفيما ذا يتفكرون وما الذي يطلبون
به اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا
وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقته وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شاء الله
تعالى فضيلة التفكر قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين
فقال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس ان قوما تفكروا
في الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر
في خلق الله تعالى قال وكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها
بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله تعالى طرفة عين
قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون اخلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد آدم هم قال ما يدرون
اخلق آدم ام لا وعن عطا قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عايشة فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا
عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال لقول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا باعجب
شيء رايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجيبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده
جلدي ثم قال ذريني اتعبد لربي عز وجل فقام الى القربة فتوضا منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد
حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه الايمن حتى اتى بلال يوذنه لصلوة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد

فالى متى اتوب والى متى
الخلق عرفوا
ولماذا يتفكرون صح

غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال ما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه
الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر
فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال تقراهن وتعقلهن وعن محمد بن واسع رحمه الله ان رجلا من اهل البصرة
ركب الى ام ابي ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية البيت يتفكر وعن
الحسن قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة او قال من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مراة تريك حسناتك وسياتك
وقيل لابرهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وقال سفين بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول **شعر**
اذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شيء له عبرة * وقال طاوس قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام يا روح الله
هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن من لم
يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى
ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم من التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا وما حظها من العبادة يا رسول الله
قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجايبه وعن امراة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها
قالت لو تطلعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب الغيوب من خير الاخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش
ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمن يطيل الجلوس وحده وكان يمر به مولاه فيقول يا لقمن انك تديم الجلوس
وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمن ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل
على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم ولا علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز
الفكرة في نعم الله تعالى افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي وقد راه ساكتا متفكرا اين
بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله تعالى وعن ابن عباس قال ركعتان مقتصدتان
في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك فقال
تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب اجلي وقال ابو سليمن عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر
وقال ابو سليمن الفكر في الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الاخرة يورث الحكمة
ويحيي القلب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر
في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل
كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم
وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت
بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض
وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف
فظن انه لص فلما نظر الى داود رجع فوضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك
وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب
بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه
طوبى لمن رزقه وقال الشافعي استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة وقال ايضا صحة النظر
في الامور نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم
والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في اليقين وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل

العبادة

ان تقدم

ان تقدم وقال ايضا الفضايل اربع احدها الحكمة وقوامها الفكرة والثاني العفة وقوامها في الشهوة و
الثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة
وما شرع احد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها **بيان حقيقة الفكر وثمرته** اعلم ان معنى الفكر هو
احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة واثر الحيوة الدنيا واراد
ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار
فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بقلبه الى ايثار الاخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى
تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الاخرة ابقى فيحصل
له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الاخرة اولى
بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل الى المعرفة الثالثة
يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التامل والتدبر والتفكر فعبارات مترادفات على
معنى واحد ليس تحتها معاني مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل
المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة والصارم
يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة
من غير اشعار بهذه الزوايد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة
ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما
النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن لم يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر
فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفايدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن
القلب وفايدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التفكر والتذكر و
المعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة
فاذا حصلت الى معرفة اخرى حصل منه نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى
غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او بالعوايق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي
الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف التي منها
يستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا
يربح فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج
المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة يكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان
للانبيا صلوات الله عليهم وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد يحضره هذه
المعارف ويحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصوله ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير
والايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير
عنه مع انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار والاخرة ابقى من الدنيا
فيحصل له معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما
الى معرفة ثالثة واما ثمرة الفكرة فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرتها الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل
العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم
والعلم تابع للفكرة فالفكر هو اذا المبدا والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر

وانه خير من الذكر والتذكر لان فى الفكر ذكرا وزيادة وذكرا لقلب خير من عمل الجوارح بل شرف العلم لما فيه من الذكر فاذا التفكر افضل من جملة الاعمال وكذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقيل هو الذى ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذى يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا ~~ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه~~ رسخت هذه المعرفة يقينا فى قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح فى اطراح الدنيا والاقبال على الآخرة فههنا خمس درجات **اولها** التذكر وهو احضار المعرفتين فى القلب **وثانيها** التفكر وهو طلب المعرفة المقصود منها **والثالثة** حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها **والرابعة** تغير حال القلب عما كان عليه بسبب حصول نور المعرفة **والخامسة** ~~حصول المعرفة~~ خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما تضرب الحجر على الحديد فتخرج نارا يستضئ بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن تبصر وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فتجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تاليفا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصر فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التى يتصور ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجارى الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد فى ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التى هى مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم وتلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط المجامع فيها ليحصل الوقوف على مجارى الفكر

بيان مجارى الفكر

اعلم ان الفكر قد يجرى فى امر يتعلق بالدين وقد يجرى فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعنى بالدين المعاملة التى بين العبد وبين الرب عز وجل فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج من هذين القسمين وما يتعلق بالعبد وصفاته اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر فى غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا فى ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا فى افعاله وملكه وملكوته وجميع ما فى السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر فى هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهى حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر فى معشوقه فاما ان يتفكر فى جماله وحسن صورته فى ذاته ليتنعم بالفكر فيه ومشاهدته واما ان يتفكر فى افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا ومقويا للذته ومحبته وان تفكر فى نفسه فيكون فكره فى صفاته التى تسقطه عن عين محبوبه حتى يتنزه

اعمال م

كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا صح

بلغ المقابلة

عنها او فى الصفات التى تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر فى شئ خارج من هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفى قلبه حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله عز وجل ينبغى ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا فى هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدا بالقسم الاول وهو تفكره فى صفات نفسه وافعال نفسه ليتميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذى يتعلق بعلم المعاملة الذى هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصى والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التى محلها القلب وذكرنا تفصيلها فى ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصى تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف من صف القتال وعقوق الوالدين والسكنى فى المسكن الحرام ويجب فى كل واحد من المكاره التفكر فى ثلثة امور الاول التفكر فى انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شئ لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثانى التفكر فى انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به فى الحال فيتركه ام هو متعرض له فى الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجارى الفكر فى هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما فى جميعها او فى اكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم فى اربعة انواع الطاعات والمعاصى والصفات المنجيات والصفات المهلكات فلنذكر فى كل نوع مثالا ليقيس به المريد سايرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه

النوع الاول المعاصى ينبغى ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو فى الحال ملابس لمعصية فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها فى نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر فى اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعنى الى غير ذلك من المكاره فيتصور اولا فى نفسه انها مكروهة عند الله ويتفكر فى شواهد القرآن والسنة فيقف على شدة العذاب فيها ثم يتفكر فى احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله او يضع حجرا فى فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر فى حيلة الاحتراز ويتفكر فى سمعه انه كيف يصغى به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف ينبغى ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهى عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر فى بطنه انه انما يعصى الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال وان ذلك مكروه عند الله عز وجل ومقوى للشهوة التى هى سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام او الشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه وما كسبه ويتفكر فى طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر فى وجوه الحيلة فى الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضايعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلوة عبد وفى ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر فهكذا يتفكر فى اعضائه ففى هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها

واما النوع الثانى وهو الطاعات فينظر اولا فى الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها

عن النقصان والتقصير وكيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال
التي يتعلق بذلك العضو بما يحبه الله عز وجل فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض
عبرة ولتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة
القران والسنة فلم لا افعل وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر
الى فلان الفاسق بعين الازدرا فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعل ذلك وكذلك يقول في سمعه اني قادر على
استماع كلام الله او استماع حكمة وعلم او استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله
وقد انعم الله عز وجل علي به واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان
ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم وبالوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال
عن احوال الفقرا وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة فكل كلمة طيبة فانها صدقة
وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه
رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الآن فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش
عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله
عز وجل بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات
ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا ساير الطاعات
واما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها بما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء
الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والريا والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد
في قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه نفسه فيها والاستشهاد بالعلامات
عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتكذب واذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجربها
بحمل حزمة حطب او نحوها في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله
من غيره ثم يجرب في كظم الغيظ وكذلك في ساير الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة
ام لا ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات واذا دلت العلامة على وجودها فليتفكر في الاسباب التي تقبح
تلك الصفات عنده وليتبين ان منشاها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل
فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي فكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله
تعالى وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته
واقدرني وارادني ارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر
فليقرر عليها ما في الكبر من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف
بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا عند الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير
حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك فان اصله الحماقة فيتفكر في ازالته بان يتعاطى افعال
المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهايم ولو كان في شهوة
الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله تعالى وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف بها
البهايم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهايم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه
في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن اراد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له
من تحصيل ما في هذه الكتب **واما النوع الرابع** وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء

والشكر

والشكر على النعماء والخوف والرجا والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله تعالى
وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه
وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم وليلة في قلبه وما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله
تعالى واذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا العلوم وان العلوم لا يثمرها الا الافكار
فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها
في قلبه ثم ينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى
ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله واياديه عليه وفي ارساله
جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر وليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر
في جلال الله عز وجل وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في بدايع حكمه وعجايب صنعه كما نرمز الى طرف
يسير منه في القسم الثاني من الفكر فاذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر
في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في
اهوال النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلايق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب
والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه هل يصرف الى الشمال
فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين وينزل دار القرار ثم ليحضر بعد اهوال القيمة في قلبه صورة جهنم
ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح
صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القران
من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجا فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها
ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة والتنزه
عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر
اما تذكره مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القران بالفكر فيه فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه
شفاء للعالمين ففيه ما يورث الخوف والرجا والصبر والشكر والمحبة والشوق وساير الاحوال وفيه ما يزجر
عن ساير الصفات المذمومة فينبغي ان يقراها العبد ويردد الاية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد
اخرى ولو مائة مرة فقراءة اية بتدبر وتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وتفكر وتفهم وليتوقف في التامل
فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب
بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة
من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تاملها العالم حق تاملها لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الايات والاخبار
يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه
وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين
وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت
بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي
محبوبة عند الله او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الهم في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق
المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل ساير العبادات

فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله عز وجل
وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه ان ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق
الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى
كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق واما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب
والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي
فلقيه الحسين بن منصور وقال له فيم انت فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال افنيت عمرك في
عمران باطنك فاين الفنا في التوحيد والفنا في الواحد الحق هو غاية مطلب الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين
واما التنزه عن الصفات المهلكات تجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات
المنجيات وساير الطاعات تجري مجرى تهية المراة جهازها وتنظيفها ووجهها ومشطها شعرها لتصلح
بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرية الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب
فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا
من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا
كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر
في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك ودينك صباحا ومساء فلا تغفل
عن نفسك وعن صفاتك المبعدة عن الله تعالى واحوالك المقربة اليه تعالى بل مريد فينبغي ان يكون له جريدة
يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض
نفسه عليها كل يوم ويكفيه من النظر في المهلكات عشر فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب
والريا والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ويكفيه من المنجيات عشر
الندم عن الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد
في الدنيا والاخلاص في العمل وحسن الخلق مع الخلق وحب الله عز وجل والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة
محمودة وعشرة مذمومة فمهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله
تعالى على كفايته اياها وتنزيهه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر
على محو اقل الرذايل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب
نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي
وهكذا يحتاج اليه المريد المشمر واما اكثر الناس المعدودين اليوم من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم
المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط
في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان
اكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم تطهر الجوارح عن الاثام
فلا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون
نفقدم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم في معزل عنها **مثاله** العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن
اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة
عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب
والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على من رده

هو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق
فانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح
بالقبول وفرح بالثناء واستنكار من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا
على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ
والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله عز وجل فان كان فرحه بحسن الالفاظ
والثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو
يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهرت على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له والمعترف
لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلوا في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا
للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته
الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه فكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة
في سر القلب الذي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة
العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام ان لم يدرك الخواص فمن احس من نفسه
بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان
المسجد يحوي جمعا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى اذا وقعت
وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذا قالوا لا تفعل فان هذا
الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغني عني فقد كان معمورا قبلي
فكذلك يكون بعدي ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام فالدين مستغن عني وما انا مستغن عن اصلاح قلبي
واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجون وقيدوا بالقيود
وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلم والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون
والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان
لا يفتر عن عمله الى يوم القيمة بل ينهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر
العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك
بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال
صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين المرء
المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد به جاهه
في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه واستنباط طريق الخلاص منه وهذه وظيفة
العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو راءنا السلف الصالحون
لقالوا قطعا ان هولاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب
منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون
فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرايض منها فلم يحصل الناس من ثمرة العلم
الا انه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه
منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسال الله تعالى

فليس

الشهوات

ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار
العلما والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال
الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف
بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق
الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد
اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة فلا طريق له في كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات
المذمومة عقارب وحيات وهي موذيات ومشوشات وفي القبر يزيد المها لدغها على لدغ العقارب والحيات
فهذا القدر كان في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى القسم
الثاني الفكر في جلال الله عز وجل وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني
اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه
فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل ساير الخلق احوال ابصارهم بالاضافة
الى جلال الله كحال بصر الخفافيش الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا ينظر في بقية
نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليه
ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره بدوام النظر ونظره المختطف اليها يورث العمش ويضعف البصر
وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذا ان لا يتعرض
لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فان اكثر العقول لا يحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلما
هو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو
متصل بالعالم ولا هو منفصل عن العالم قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته
بل ضعفت طايفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعالى عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو
وان يكون جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض
الحمقى من العوام هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضا
وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا جنسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه
نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته
ان يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك
جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني فيكون مقصوص
الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري
وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان لجهول ظلوم كفار ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض
انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى
وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل
الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله وعجايب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه
وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته واثار صفاته
فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا لا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ويستدل به
على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وساير الكواكب لان نور الارض من اثار نور الشمس والنظر في الاثر

ادب

التي نطيق النظر الى الارض صح

يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من اثار قدرة
الله تعالى عز وجل ونور من انوار ذاته بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشيا كلها نور من
انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشيا بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس
المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طشت ما حتى يرى الشمس فيه
ويمكن النظر اليها فيكون الما واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال
واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا نور الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال
فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله بيان كيفية التفكر
في خلق الله تعالى اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض
وصفة وموصوف ففيها عجايب وغرايب يظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصا ذلك غير
ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل ان تنفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك
كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها
وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون وقال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا
ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركنا بحس البصر والى ما لا يدركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر
فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال التفكر في هذه الاشيا ويغمض فلنعدل
الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وهي السموات السبع والارض وما بينهما والسموات
مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها
ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها
وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وسحبها وعواصفها فهذه الاجناس المشاهدة من السموات والارض
وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية
لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال
الفكر فلا يتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ولا نبات ولا حيوان وفلك وكوكب الا ومحركها هو الله
عز وجل وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهد لله عز وجل بالوحدانية ودال
على جلاله وكبريائه وهي الايات الدالة عليه وقد ورد القران بالحث على التفكر في هذه الايات كما قال
تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات الآية فلنذكر كيفية الفكر في بعض
الايات فمن اياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجايب الدالة على
عظمة الله ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها
كيف تطمع في معرفة غيرها وقد امرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز وقال وفي انفسكم افلا تبصرون
وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة وقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم
بشر تنتشرون وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين الى قدر معلوم وقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى

لكلمات ربي

مما يضيق

ويشبهها

ومن آياته من دله الى آخره صح

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين فتكرر ذكر النطفة فى كتاب العزيز
ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر فى معناه فانظر الآن الى النطفة وهى قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة
ليضربها الهوا افسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترايب وكيف جمع بين
الذكر والانثى والقى الالف والمحبة فى قلوبهم فكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف
استخرج النطفة عن الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعها فى الارحام
ثم كيف ~~جعلها مضغة~~ ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بدم الحيض وغذاه حتى نمى وربى وكيف
جعل النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهى متشابهة
متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم وكيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق
الاعضاء الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وساير المنافذ ثم مد اليد والرجل
وقسم روسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة
والكبد والطحال والرية والرحم والامعاء والمثانة كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص بعمل
مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام آخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة
وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين
عن الابصار فلو ذهبنا نصف ما فى آحاد هذه الاعضاء من العجايب والايات لانقضى فيه الاعمار
فانظر الآن الى العظام وهى اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن
وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف و
مصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد فى
حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى يتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد
منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد طرفى
العظم والصقها بالطرف الاخر كالرباط له ثم خلق فى احد طرفى العظم زوايد خارجة منه وفى الاخر نقرا
غايصة فيه وموافقة لشكل الزوايد ليدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد ان يحرك جزوا
من بدنه لم يمتنع عليه ذلك ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها
وركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوت بها كرة
الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحى الاعلى واثنان للحى الاسفل والبقية هى الاسنان
فبعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة
مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات
لتنطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة
الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلثة اجزاء مختلفة ويتصل به من اسفله عظم
العصعص وهو ايضا مولف من ثلثة اجزا ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين
وعظام العانة وعظام العجز ثم ركب عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين ولا نطول بذكر عدده
ومجموع عدد العظام فى بدن الانسان مايتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغار التى حشى بها
خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام
ان يعرف عددها وان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض منها ان تنظر الى مدبرها

وخالقها

وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص
لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج
الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج فى جبرها واهل البصاير ينظرون فيها ليستدلون بها
على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله الات لتحريك العظام وهى
العضلات فخلق فى بدن انسان خمسمائة عضلة وتسعة وعشرين عضلة والعضلة هى مركبة من لحم وعصب
ورباط واغشية وهى مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرون
عضلة منها هى لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل امر العين وهكذا لكل عضو
عضلات بعدد مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشراين ~~و~~منابتها وانشعاباتها اعجب من
هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال فى آحاد هذه الاجزاء ثم فى آحاد الاعضاء ثم فى جملة البدن وكل ذلك
نظر الى عجايب اجسام البدن وعجايب المعانى والصفات التى لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الآن الى ظاهر
الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته لترى فيها من الصنعة ما تقتضى منه العجب وكل ذلك صنع الله تعالى
فى قطرة ماء قذرة فترى من هذا اصنعه فى قطرة ماء كيف صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته
فى اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت
مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هى احكم خلقا واتقن
صنعا واجمع للعجايب من بدن الانسان بل لا نسبة بجميع ما فى الارض الى عجايب السموات ولذلك قال الله
تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها فارجع الآن الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيها
وتامل لو اجتمعت الانس والجن على ان يخلقوا فيها سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا
فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون عليها بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية
خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنها فالعجب منك انك لو نظرت الى صورة مصورة على حايط
تانق النقاش فى تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليه كانه انسان يعظم تعجبك
من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم فى قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة
انما تمت بالصبغ والقلم والحايط واليد والقدرة والعلم والارادة وشىء من ذلك ليس من فعل النقاش
ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحايط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك
منه وتستعظمه فانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها فى الاصلاب والترايب ثم اخرج
منها ذلك وشكلها واحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاها المتشابهة الى
اجزاء مختلفة فاحكم العظام فى ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها و
اعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها
الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذائها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب
طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئاتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذا
عنها ثم اظهر فى مقدار عدسة منها صورة السماء مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها وشق
اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن ليجمع الصوت فترده
الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول
طريقه فيتنبه عن النوم صاحبها اذا قصدتها الدابة فى حالة النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه فاحسن شكله

وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته وليستنشق
بمنفذ المنخرين روح الهوا غداء لقلبه وترويحا لحراره باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا
ومعربا عما فى القلب وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد روسها
وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الروس متناسقة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين
وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فيسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها
لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات ليقطع الصوت فى مخارج مختلفة تختلف
بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال فى الضيق والسعة والخشونة
والملاسه وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلف بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان
بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت فى الظلمة ثم زين
الراس بالشعور والاصداغ وزين الوجه باللحية وزين الحاجبين بدقة الشعر واستقواس الشكل وزين
العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد بفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذا والكبد
لاحالة الغذا الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمه بجذب السوداء عنها
والمرارة تخدمها بجذب الصفراء منها والكلية تخدمها بجذب المائية والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء
عنه ثم تخرجه عن طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد فى ايصال الدم الى ساير اطراف البدن ثم خلق اليدين
وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلث انامل ووضع الاربع
فى جانب والابهام فى جانب ليدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق
الفكر وجها آخر فى وضع الاصابع سوى ما وضع عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع فى الطول
وترتيبها فى صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب تصلح للقبض والاعطا فان بسطها كان له طبقا يضع
عليها ما يريد وان جمعها كانت آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها
كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على روسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط به الاشيا
الدقيقة التى لا تتناولها الانامل وليحك به بدنه عند الحاجة فالظفر الذى هو اخس الاعضا لو عدمه الانسان
وظهرت به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه فى حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك
حتى يمتد اليه ولو فى النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا
بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله فى النطفة وهى فى جوف الرحم فى ظلمات ثلث ولو كشف الغطا وامتد البصر اليه
لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيا فشيا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رايت مصورا فاعلا لا تمس
اليد الصورة ولا آلاتها وهو يتصرف فيها فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام
رحمته وانه لما ضاق الرحم عن الجنين لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب
المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذا كيف هداه الى التقام الثدى ثم لما كان بدنه
سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له فى خلق اللبن اللطيف وما استخرجه من بين الفرث والدم لبنا سايغا
خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما الحلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبى ثم فتح فى حلمة
الثدى ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل
ثم كيف هداه الى الامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع به ثم انظر الى عطفه
ورافته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه فى الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغنى عن السن واذا

كبر

كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان
عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن
قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت الذى كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة
على قلبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتميز والعقل والهداية
تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما شكورا او كفورا مطيعا او عاصيا
مومنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف
والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجايب الحضرة الربوبية والعجب كل العجب لمن يرى خطا حسنا او نقشا
على حايط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر فى النقاش والخطاط وانه كيف خطه وكيف نقشه
وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اجمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجايب
فى نفسه وفى غيره ثم يغفل عن صانعها ومصورها فلا يدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من
عجايب بدنك التى لا يمكن استقصاؤها وهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت
غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك ولا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل فتشبع فتنام وتشتهى فتجامع
وتغضب فتقاتل ويشاركك فى معرفة ذلك البهايم والسباع كلهم وانما خاصية الانسان التى حجبت عنها
البهايم معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض وعجايب الافاق والانفس اذ بها يدخل
العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين
وليس هذه الرتبة للبهايم ولا لانسان رضى من الدنيا بشهوات البهايم وانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة
للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها فكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل
سبيلا واذا عرفت طريق الفكر فى نفسك ففكر فى الارض التى هى مقرك ثم فى انهارها وبحارها وجبالها
ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء اما الارض فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها
سبلا وجعلها ذلولا لتمشوا فى مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها تمنعها من ان
تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الادميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم فقال
تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال هو الذى جعل لكم الارض فراشا
وقد اكثر فى كتابه ذكر الارض ليتفكر فى عجايبها فظهرها مقر للاحيا وبطنها مرقد للاموات ولذلك قال تعالى
الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر الى الارض وهى ميتة واذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت
وانبتت عجايب النبات وخرج منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات
الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار تجرى على وجهها واخرج من
الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل منه كل شىء حيا فاخرج به فنون الاشجار
والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان
والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها على بعض فى الاكل يسقى جميعا بماء واحد ويخرج من ماء واحد
فان قلت ان اختلافها لاختلاف بزورها واصولها فمتى كان فى النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى
كان فى حبة واحدة سبع سنابل فى كل سنبلة ماية حبة ثم انظر الى الاراضى والبوادى وفتش ظاهرها وباطنها
فتراها ترابا متشابها ان هذا الاختلاف فيها لاختلاف بزورها واصولها التى كانت فى النواة نخلة مطوقة بعناقيد كرر

الرطب وغير متشابه فاذا نزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانها مختلفة ونباتها
متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الاخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها
وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعه وكيف اودع الله العقاقير المنافع الغريبة فهذا
النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة
قمع الصفرا من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفرا وهذا يقمع البلغم والسودا وهذا يستحيل اليهما
وهذا يستحيل دمًا وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من
الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد يحتاج الفلاح في
تربيتها الى عمل مخصوص فالنخيل يوبر والكرم يقطع والزرع ينقى منه الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر
في الارض وبعضها بغرس الاغصان وبعضها يركب كالشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات ومنافعها
واحوالها وعجايبها انقضت الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه
عجايب النبات ومن اياته الجواهر المودوعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات
مختلفة وانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها
بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل
وكيف هدى الله تعالى الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي منها ثم انظر
الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام
ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الارض سبخة بجوهرها
بحيث يجتمع فيه الماء الصافي من المطر فيصير ملحا صالحا محرقا لا يمكن تناول وزن مثقال منه ليكون ذلك
تطييبا لطعامك واذا اكلت فتهنا عيشك وما من جماد ولا حيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس
وما خلق شيء منها ضايعًا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق وكما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه
ولطفه ولذلك قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن اياته
اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي
على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الديدان وانقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق
والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والبهايم الاهلية فيها من العجايب ما لا يشك معها في عظمة
خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان يستقصى ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجايب البقة
والنملة او النحل والعنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاها وفي الفها لزوجها
وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم يقدر على ذلك فترى العنكبوت
يبني بيتها على طرف نهر فتطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنها ان تصل
بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي هو خيط على جانب يلتصق به فيعدو الى الجانب الاخر فيحكم
الطرف الاخر من الخيط ثم يحكم لذلك ثانيا وثالثا ونفعل ذلك بحيث يكون بعد ما بينهما متناسبا هندسيا
حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدا اشتغلت باللحمة فتضع اللحمة على السدا ليضيف بعضها
الى بعض وتراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة وتجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب وتقعد
في زاوية مترصدة لوقوع الصيد في الشبكة واذا وقع فيها بادرت الى اخذه واكله فان عجزت عن الصيد
لذلك طلبت لنفسها زاوية من حايط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسها منه بخيط اخر وبقي متنكسًا

الحشرات

فاذا

في الهوا تنتظر ذبابة تطير فاذا طار ذباب رمى نفسها اليه فاخذته ولفت خيطها على رجله واحكمته ثم اكلته
وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب ما لا يحصى افترى انها تعلمت هذه الصنعة من نفسها او
تكونت بنفسها او كونها آدمي لا هادي له ولا معلم ايشك ذو بصيرة بانها مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم
قوته عاجز عن امر نفسه وكيف بهذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايب
صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم والبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله
وكمال قدرته وحكمته ما يتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن ساير الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له
فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة
المشاهدة نعم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودًا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب
الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها و
فوايدها من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها الله لباسًا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم و
اقامتهم وآنية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها
زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبراري والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها
فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر
وتامل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير ولقد استخرج باقل القليل
مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف
بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما
غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسال الله تعالى ان يكرمنا بهدايته بمنه ورافته وسعة رحمته
ومن اياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطعة من البحر الاخضر الاعظم المحيط على جميع الارض
حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية
الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا
الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجايب الارض وما فيها فتامل الان
عجايب البحر فان عجايب ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجايب ما نشاهده على وجه الارض كما ان سعته
اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما يرى ظهورها في البحر فيظن انها جزيرة
فينزل الركبان عليها وربما تحس بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم انها حيوان وما من صنف من اصناف
حيوان البر من فرس وطير وبقر وانسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها نظير
في البر وقد ذكرت اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجايبه ثم انظر كيف خلق الله
اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات
على هيئة اشجار تنبت من البحر ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس التي يقذفها البحر وتستخرج
منه ثم انظر الى عجايب السفن كيف امسكها الله عز وجل على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال
وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها
ومواقيتها ولا تستقصى على الجملة عجايب صنع الله تعالى في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر
من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شيء واحد لطيف
التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حيوة كل ما على وجه الارض

البحر

من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزاين الارض فى تحصيلها واذا شربها
منع من اخراجها لبذل جميع خزاين الارض فى اخراجها فالعجب من الادمى ان يستعظم الدينار والدرهم ونفايس
الجواهر ويغفل عن نعمة الله تعالى عليه فى شربة ماء اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ منها ولو منع من ذلك
بذل جميع الدنيا فيها فتامل فى عجايب المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك
شواهد متظاهرة وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها معربة عن كمال حكمته فيها
منادية لارباب القلوب بنغماتها قايلة لكل ذى لب اما ترانى وما ترى صورتى وتركيبى وصفاتى ومنافعى
واختلاف حالاتى وكثرة فوايدى اتظن انى تكونت بنفسى او خلقنى احد من جنسى او ما تستحى تنظر فى كلمة
مرقومة من ثلثة احرف فتقطع بانه صنعة ادمى عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة
على صفحات وجهى بالقلم الالهى الذى لا يدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك
قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهمنى فى ظلمة الاحشا
مغموسا فى دم الحيض فى الوقت الذى يظهر التخطيط والتصوير على وجهى فينقش النقاش حدقتى واجفانى
وجبهتى وخدى وشفتى فترى النقوش تظهر شيا فشيا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا
خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر من ذلك للاب ولا للام ولا للنطفة ولا للرحم افما هذا النقاش
باعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا
الجنس من النقش والتصوير الذى يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميل اجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن
غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم منها ان الذى صورها
ونقشها وقدرها لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور كما ان نقشه وصنعته لا يساويه نقش وصنعة
فبين الفعلين من المباينة والتباعد ما بين الفاعلين وان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه
اعجب من كل عجب فان الذى اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان
تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصاير احبابه فشاهدوه فى جميع
ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب اعدائه واحتجب عنهم بعزته وعلائه فله الخلق والامر والامتنان والفضل
واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ومن اياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب
الارض لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد
والطيور محلقة فى جوه ومستقة سباحة فيه كما يسبح حيوانات البحر فى الماء ويضطرب جوانبه وامواجه
عند هبوب الرياح كما يضطرب امواج البحر فان حرك الله الهوا وجعله ريحا هابة فان شاء جعلها بشرا
بين يدى رحمته كما قال سبحانه وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهوا الى الحيوانات والنبات
فتستعد للنما وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس
مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهوا ثم شدته وقوته مهما انقبض عن الماء كالزق
المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوى ليغمسه فى الماء فيعجز عنه والحديد الصليب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه
فانظر كيف تنقبض الهوا من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله عز وجل السفن على وجه الماء
وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص فى الماء لان الهوا ينقبض عن الغوص فى الماء ولا ينفصل عن السطح
الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهواء اللطيف كالذى يقع فى
بير فيتعلق بذيل رجل قوى فيمتنع عن الهوى فى البير فالسفينة بمقرها تتشبث باذيال الهوا القوى حتى يمتنع

باجنحتها صح

من الهوى

من الهوى والغوص فى الماء فسبحان من علق المركب الثقيل من هواء لطيف من غير علاقة تشاهد ولا عقدة
تشد ثم انظر الى عجايب الجو وما يظهر فيها من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب
والصواعق فهى عجايب ما بين السماء والارض وقد اشار القران الى جملته فى قوله تعالى وتقدس وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو السحاب الذى بينهما واشار الى تفصيله فى مواضع
شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق وتعرض للرعد والمطر
واذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك فى
هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهايم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينك وادركت ظاهرها
فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وفى غرايب اسرارها وهذا ايضا
باب يطول الفكر فيه ولا مطمع فى اقصائه فتامل السحاب الكثيف كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة
فيه وكيف يخلقه الله عز وجل اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له فى جو
السماء الى ان ياذن الله تعالى فى ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى اراده الله تعالى
وعلى الشكل الذى شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا يدرك
قطرة منها قطرة ولا يتصل واحدة باخرى بل ينزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه
ولا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون
على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة واحدة او قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس
عنه فلا يعلم عددها الا الذى اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان منها
من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط الهى لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق الدود
الالهى الفلانى الذى هو فى ناحية الجبل الفلانى يصل اليه عند عطشه فى الوقت الفلانى هذا
مع ما فى انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفى الثلوج وتناثره كالقطن المنفوش المندوف من العجايب
التى لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد فيه شرك ولا مدخل بل ليس
للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته
ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله
ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع ومن الذى خلقه ومن الذى خلق الماء
الذى طبعه الثقل وما الذى رقى الماء المصبوب فى اسفل الاشجار الى اعلى الاغصان وهى ثقيلة بطبعها
فكيف هوت الى اسفل ثم ارتفعت الى فوق فى داخل تجاويف الاشجار شيا شيا بحيث لا يرى ولا يشاهد
حتى ينتشر فى جميع اطراف الاوراق فيغذى كل جزء من كل ورقة ويجرى اليه فى تجاويف عروق شعرية
صغار ترى منه العرق الذى هو اصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورق عروق
صغار فكان الكبير نهر ينشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواقى اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية
دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى ينبسط فى جميع عرض الورق فيصل الماء فى اجوافها الى ساير اجزاء الورق
ليغذيها وينميها ويبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى ساير اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه
الى اسفل فكيف يتحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب وان كان
ينتهى بالاخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه فى اول الامر فنهاية الجاهل
بداية العاقل ومن اياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله فمن ادرك الكل وفاته عجايب

استقصائه

او شبر من الارض صح

وجميع الحشرات والدواب صح

سبحانه سبحانه ولا للكفار صح

ويربيها نخ

السموات الملكوت

الملك فقد فانه الكل تحقيقا والارض والبحار والهوا وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السماء كقطرة في بحر او اصغر وانظر كيف عظم الله امر السماء والنجوم في كتابه فما من سورة الا ويشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القرآن به كقوله والسماء ذات البروج والسماء والطارق وما ادرىك ما الطارق النجم الثاقب والسماء ذات الحبك والسماء وما بنيها وقوله تعالى والشمس وضحيها فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجايب النطفة القذرة عجز عنها الاولون والاخرون وما اقسم الله تعالى بها فما ظنك بما اقسم الله تعالى به واحال الارزاق اليه فقال تعالى وفي السماء رزقكم واثنى في كتابه على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الآية ثم مسح بها سبلته اي يجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظا عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا أانتم اشد خلقا ام السماء بنيها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها فانظر الى الملكوت لترى عجايب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها وان البهايم يشاركونك في هذا النظر وان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابرهيم بقوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجل ايها العاقل فكرك في الملكوت فعسى تفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال راى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك ثم الهوا المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجايب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز الفيح والمسافة الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا تتفكر وفي ماذا تطلع فارفع الآن راسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها من غير تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله عز وجل طي السجل للكتاب فتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها صورة الحمل والثور والاسد والانسان وما من صورة في الارض الا ولها تمثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت واطبق الظلام على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه

عليه واضافها

الليل

الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتا والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهوا وظهر الشتا واذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجايب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق التفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء بالموضع وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيها حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما من كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها الا انه لا يقدر آدمي ان يدور بجوانبها وقد اتفق النظار على ان الشمس مثل الارض مائة وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها اصغرها مثل الارض ثماني مرات واكثرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا يعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغيرا ولذلك اشار تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسويها وفي الاخبار ان بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام واذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا من ان تدرك سرعتها لكن لا تشك في انه في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركتها اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم قال من حين قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينك نحوها فترى جميعها فهذه السماء لعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى باريها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترى ومن غير علاقة تتدلى بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فيعظم تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه والى هوائه والى عجايب امتعته وغرايب حيواناته وبدايع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت ايضا هو جزء من الارض والارض اخس اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه وليس لهذه الغفلة سبب الا انه بيت ربك وهو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد نسيت ربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك وحشمتك وغاية شهوتك ان تملا بطنك ولا تقدر ان تاكل عشر ما تاكله بهيمة فيكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقون بلسانهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات فيك وان صدقوا في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من اغنياء النصارى واليهود من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع

غفلتك

الذخاير والنفايس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم يتحدث لو قدرت على النطق الا من تحسنها
وغذائها وكيفية ادخارها واما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة
لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه
وحيطانه وساير بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملايكته الذين هم سكان
سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملايكة السموات الا ما تعرفه
النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجايب قصرك وبدايع صنعة
الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجايبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض
عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له لو استقصيناه اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا
بمعرفته منه وكلما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل بالاضافة
الى ما عرفه الانبياء صلوات الله عليهم وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وما عرفه الانبياء كلهم قليل بالاضافة الى ما عرفه الملايكة المقربون كاسرافيل وجبرئيل وغيرهما ثم جميع علوم
الملايكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله تعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا
وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان
معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله عز وجل وليس فيها فكر في ذات الله ولكن يستفاد من الفكر
في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت
معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه
وشعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسن ذلك توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب
من ابيات شعره تزيده محلا من قلبك وتستدعي التعظيم له من نفسك فهكذا تامل في خلق الله تعالى وتصنيفه
وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منه بقدر
ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب
في فعل الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله
فقط فكلما نظرنا فيه فان الطبيعي ايضا ينظر فيه ويكون ذلك سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه
فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله تعالى يضل بها من يشاء ويهدي
من يشاء ومن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته
واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب
فقد شقي وتردى فنعوذ بالله من الضلال ونسئل ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله انه على ما يشاء
قدير تم كتاب الفكر من جملة كتب الاحياء ويتلوه الكتاب الموسوم بذكر الموت وبه يتم الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

كتاب ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابره وكسر به ظهور الاكاسره
وقصر به آمال القياصره الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافره فنقلوا
من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام
والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن
المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا
وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستاثر باستحقاق البقاء

واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر
سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام
بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخرة والصلوة على محمد ذي المعجزات
الظاهره والايات الباهره وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا **اما بعد** فجدير بمن الموت مصرعه والتراب
مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيمة موعده والجنة
او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع
الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار ولا تربص الا له وحقيق بان يعد
نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس باءت وقد قال صلى الله
عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولم يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب
ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت
ومقدماته ولواحقه احوال القيمة والجنة والنار وما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافكار
والاستبصار ليكون ذلك مستحثا له على الاستعداد فقد قرب الرحيل وما بقي من العمر الا قليل والخلق
غافلون واقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين **الشطر
الاول** في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب **الباب الاول** في فضل ذكر الموت
والترغيب فيه **الباب الثاني** في طول الامل وقصره **الباب الثالث** في سكرات الموت وشدته وما
يستحب من الاحوال عند الموت **الباب الرابع** في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين
الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين **الباب السادس** في اقاويل العارفين
على الجنايز والمقابر وحكم زيارة القبور **الباب السابع** في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى
نفخة الصور **الباب الثامن** فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام **الباب الاول** في ذكر الموت
والترغيب فيه اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر
الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه اولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي
تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس اما منهمك
او تايب مبتدي او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره ليتاسف على دنياه و
يشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التايب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه
الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد
وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه
فان هذا ليس يكره الموت وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقاء
الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دايم
الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك بالدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما
لانه موعد لقائه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطي مجي الموت ويحب
مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة
قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي
من الصحة والموت احب الي من العيش فسهل علي الموت حتى القاك فاذا التايب معذور في كراهة الموت

وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من يفوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه
موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشيآء اليه احبه الى مولاه فهذا قد انتهى به فرط الحب والوله الى مقام
التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا
ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على
الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة **بيان فضل ذكر الموت** كيف ما كان قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات اي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون
على الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم لو ان البهايم تعلم ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عايشة رضي الله
عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهدآء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب
هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة
عن الموت تدعوا الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المومن الموت وانما قال
هذا لان الدنيا سجن المومن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه
فالموت اطلاقه والاطلاق تحفة وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم
حقا المومن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده وتحقق فيه اخلاق المومنين ولم يتدنس من المعاصي
الا باللمم والصغاير فالموت يطهره ويكفره بعد اجتنابه الكباير واقامته الفرايض وقال عطآء الخراساني
مر صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما
مكدر اللذات قال الموت وقال انس قال صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب
ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثنآء عليه فقال
كيف كان ذكر صاحبكم للموت فقالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال
ابن عمر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكرم الناس واكيس
الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف
الدنيا وكرامة الآخرة **الاثار** قال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فيها فرحا وقال
الربيع ابن خيثم ما غايب ينتظره المومن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي
سلا وكتب بعض الحكما الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى
فيه الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز
يجمع كل ليلة عنده الفقها فيتذاكرون عنده الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كان بين يديهم
جنازة وقال التيمي شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله وقال كعب
من عرف الموت هانت عليه مصايب الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان
قايلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال
اشعث كنا ندخل على الحسن وكلامه فانما هو ذكر النار وذكر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة
شكت الى عايشة قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر
عايشة وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت

والقيمة بكى حتى تنخلع اوصاله واذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا
الفيته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلمآء عظني فقال لست اول خليفة
تموت قال زدني قال ليس من آبآيك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جآء نوبتك فبكا عمر لذلك وكان
الربيع بن خيثم حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات ليستديم به ذكر الموت وكان يقول
لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل
النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اذكر الموت فان كنت واسع العيش
ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمان الداراني قلت لام هرون اتحبين
الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت ادميا لما اشتهيت لقآءه فكيف احب لقآءه وقد عصيته **بيان
الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب** اعلم ان الموت خطبه هايل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه
لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره منهم ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا
ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه
كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه
فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وانفع طريق فيه ان يكثر ذكر
اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم و
احوالهم ويتامل كيف محى التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا
نسآءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما
تذكر رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش
والبقا ونسيانه الموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك
واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد الآن وقد
تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب
اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشرين سنة في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر
وهو غافل عما يراد به حتى جآءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه الندا
اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال
ابو الدردا اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال
عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم كل يوم تجهزون غاديا او رايحا الى الله تعالى تضعونه في صدع من الارض
قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول
المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه
فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان
قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من
مفارقته ونظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه حسنها فبكى فقال لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا
ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكا بكاء شديدا حتى ارتفع صوته **الباب الثاني
في طول الامل** وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته **فضيلة قصر الامل** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح

وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروي علي رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى
فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يورث الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض
واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا
الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا
وانكم تستكونون في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية
الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله عز وجل قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون
وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامة بن زيد من زيد بن
ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري
الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان
حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا
اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده
ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق
الماء فيتمسح بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه
صلى الله عليه وسلم اخذ ثلثة اعواد فغرز عودا بين يديه والاخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال
هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذلك الامل يتعاطاه
ابن ادم والى جنبه تسع وتسعون منية ان اخطاه المنايا وقع في الهرم وقال ابن مسعود هذا المرء وهذه
الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو مايل وهذه الحتوف حوله شوارع اليه
فايتها امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم وهو ينظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا  وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا
فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم فقال هذا الانسان للخط الذي في وسطه وهذا الاجل محيط به
وهذه الاعراض للخطوط التي حوله تنهشه ان اخطاه هذا وذلك الامل للخط الخارج وقال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الحرص والامل وفي رواية ويشب منه اثنتان الحرص على
المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم نجى اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه
الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير به الارض فقال عيسى
اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام اللهم اردد
عليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك قال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ
كبير فالقيت المسحاة من اليد واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي
وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال اقصروا من الامل
وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني
اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حيوة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل تمنع خير العمل
واما الاثار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله تعالى من على عباده
بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا العيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل

يصد

من تشكون الى ان تكونون في يوم حساب

الانسان ويختلجه الاجل دون الامل وقال صلى الله عليه وسلم مثل م

نعمان

نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطريق وقال الثوري بلغني ان الانسان
خلق احمق لولا ذلك لم يهنه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال
سلمان الفارسي ثلاث اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه
وضاحك ملء فيه ولا يدري اساخط رب العالمين عليه ام راض وثلث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد
وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي لا ادري الى الجنة يؤمر بي او الى النار وقال
بعضهم رايت زرارة ابن ابي اوفى بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر
الامل وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العبا وسال المفضل
بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل
فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال
الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه
ينتظر متى يضرب عنقه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت امرا عظيما وكيف
اومل ذلك وارى الفجايع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار ودخل شقيق البلخي الى استاذ له يقال
له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات دفعها
الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك بذلك انك تبقى الى الليل
لا كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب ودخل المنار وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل سفر
زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الاخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله تعالى من
ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامل فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما
بسط امله من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا
وكم رايتم ورايتنا من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من
امن اهوال يوم القيمة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى وكيف يفرح اعوذ بالله
ان آمركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر
والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت
به الارض انشقت أما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صايرون الى احدهما لا محالة وكتب
رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والاخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام
وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى
في جسمه دبيب فبادر قبل ان ينادي بالرحيل وقال الحسن كان آدم صلوات الله عليه قبل ان اخطا امله خلف
ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال عبد الله بن
سميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول الصحة اما رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول الامل والمهلة
اما رايت ماخوذا من غير علة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون
ام بطول العافية تمرحون ام من الموت تامنون ام على ملك الموت تجترون ان ملك الموت اذا جاءك
لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على
التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت قال ابو زكريا
التيمي بينما سليمن بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقراه فاتي بوهب بن منبه واذا فيه

عيلتي

ابن آدم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزياده من عملك ولقصرت
من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك ففارقك
الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عايد ولا في حسناتك زايد فاعمل ليوم القيمة
قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن
يوسف سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فاني محذرك من متحولك من دار
مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير و
يقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذنا الله
واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم يبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار بفصل قضاء الخلق
وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار واسعرت النار ووضعت الموازين وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك
وناج وكم من معذب ومرحوم فياليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات وسلى عن
الشهوات وقصر عن الامل وايقظ النايمين وحذر الغافلين اعاذنا الله واياك على هذا الخطر العظيم
واوقع الدنيا والاخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام وخطب عمر بن
عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انكم لن تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا
يجمعكم الله للحكم فيه والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته
التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق
وشقاوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاف الهالكين وسيخلفه بعدكم الباقون الا ترون انكم تشيعون
في كل يوم غاديا ورايحا الى الله تعالى وقد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع غير موسد ولا
ممهد قد قطع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم
عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن من الله تعالى عز وجل امر فيها بطاعته ونهى فيها
عن معصيته فاستغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات
وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت ثلاثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شيء عن شيء وقال
الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلثين سنه انتظر الموت ان ينزل بي
لو اتاني ما امرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لاحد علي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك
قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطاي فانتبذ فقعد
ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف
عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك شوم واعلم ان اهل الدنيا
جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما عليه اهل القبور يندمون عليه
اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون واقام معروف الكرخي للصلوة قال
محمد بن ابي توبة قال معروف لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها فقال معروف
وانت تحدث نفسك ان تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز
في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفنا وكتب على اهلها منها الظعن فكم من عامر موثق
عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما يحضركم من النقلة

وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو
بها قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه
ومعناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انما تسر قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق انه كان يقول
في خطبته اين الوضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المداين وحصنوها بالحيطان
اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا
الوحا ثم النجا النجا بيان السبب في طول الامل وعلاجه اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل
والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقل على قلبه مفارقتها
وامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان
مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقا في الدنيا فلا يزال
يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقا وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب
وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه
فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين
يديك والى ان تكبر ثم تتوب فاذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه
الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكنه
او تفرغ عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويوخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق
باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال آخر وهكذا على التدريج يوخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل
بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فيطول عند ذلك حسرته قال اهل النار صياحهم وبكاهم
من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو
معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخايض في الدنيا والحافظ لها
فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من طرحها كما قيل شعر فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب
واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبب من احببت
فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس
يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر
والى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري
ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن
الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شاب وشيب وكهولة ومن صيف
وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور
وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين
يديه ولا يقدر نزوله ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنايز ولا يقدر انه يشيع جنازته لان هذا قد تكرر
عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه يقع مرة فاذا
وقع لم يقع بعده فهو الاول وهو الاخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان يحمل جنازته ويدفن
في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت
ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة

البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الدا العضال الذي اعيا
الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الاخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما
حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير واذا
راي حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطى ملك الارض من المشرق
الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها ويترسخ في القلب حبها
مع الايمان بالاخرة فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اري الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في
القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من كان
مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان في كل
ساعة في اطرافه واعضائه وليتدبر انها كيف ياكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود
يبدا بحدقته اليمنى ولا او اليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص
لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسوال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال
القيمة وقرع النداء يوم العرض الاكبر وامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في الدنيا متفاوتون منهم من يؤمل البقا
ويشتهي ذلك ابدا قال تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يامل البقا الى الهرم وهو اقصى العمر الذي
شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشيخ شاب في طلب
حب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يؤمل سنة فلا يشتغل بتدبير
ما وراءه ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتا وفي الشتا للصيف واذا جمع
ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يامل مدة الصيف او الشتا فلا يدخر في الصيف ثياب الشتا وفي
الشتا ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما للغد فلا قال عيسى عليه السلم
لا تهتموا لرزق غد فان يكن غد من اجالكم فسياتي فيه ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا لاجال
غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا
واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقا ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتيمم مع القدرة على الما قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه
واقع به وهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه
انه لما ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها باخرى
وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قايل ما هذا قال انتظر ملك
الموت من اي جهة ياتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر
كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجات عند الله تعالى فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان
يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله وانه يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة
فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب عينيه لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت
الذي يرد عليه في الوقت وان عاش الى المسا شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه
حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد

ومايكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر لحسن الاستعداد ولذة المناجات فالموت له
سعادة والحيوة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير جاد بك وانت غافل عن نفسك ولعلك
قد قاربت المنزل وقطعت المفازة والمسافة ولا يكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت
فيه

بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التاخير

اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد
وينتظر قدوم الاخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر وسنة وانما يستعد للمنتظر قدومه
غدا والاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجي الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما ورا المدة
ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل
ابدا فانه يرى ابدا لنفسه متسعا في تلك السنة ويوخر العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم
الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غايب
ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا
قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك
قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمها
ثم يعرف قدرها عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله
غالية وسلعة الله هي الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت
بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم اذا احس من اصحابه غفلة او قسوة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة
لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت
المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي
من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب يشق
من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت
انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل
يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله وقال السدي في قوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم
اكثر ذكرا للموت وله احسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مسا الا
ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك في قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت وقال سحيم مولى ابن بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي
فخفف في صلوته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله
قال فقمت عنه وقام الى صلوته ومر داود الطاي فساله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج نفسي
وقال عمر التودة في كل شيء خير الا في اعمال الاخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه
ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه
ولا يراني وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة وانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم الاعمال
التي تتقربون بها الى الله عز وجل رحم الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرا هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس

انس

النفخ

آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري
قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت
راس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان
يقول لامراته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفا على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم
وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم ترحلوا
فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر الامل وان غائبا يحدوه الجديدان
الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة فان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى ربه وناصح
نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها
ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت
ان ينزل بكم فيالها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تردية ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم
ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا تحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده
الخير دائما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات
وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال بطول الامل
وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلايل وانتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب
ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف
مرتحل والعارية مؤداة وقال ابو عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا
وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم
من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوا بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن وانه من راى محمدا صلى الله عليه وسلم
فقد راه غاديا ورايحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا
على ما تعرجون انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله تعالى عبدا جعل العيش عيشا واحدا واكل كسرة ولبس
خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله
وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضل الرقاشي وانا اسايله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك
وان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب هاهنا وهاهنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان العمر محفوظ
عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم **الباب الثالث في سكرات
الموت وشدته** وما يستحب من الاحوال عند الموت اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا
هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره
ويفارقه شهوته وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكرته ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده
كما قال بعض الحكما كرب بيد من سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمن لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك
استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل
عليه جندي فيضربه خمس ضربات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل يوم بصدد ان يدخل عليه ملك
الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت
لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال
باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس

بالالام فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جراح او حريق سرى الاثر الى الروح
فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمولم يتفرق على اللحم والدم وساير الاجزا فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان
كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيرها فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مولم
نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزؤ من اجزاء الروح المنتشرة في اعماق البدن الا وقد حل
به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابه الشوكة
وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في ساير اجزاء البدن ولا يبقى جزؤ من العضو المحترق ظاهرا
وباطنا الا ويصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في ساير اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع
الذي يمسه الحديد فقط وكان كذلك الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع
اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزؤ من الاجزاء ومفصل
من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من القرن الى القدم فلا تسئل عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت
اشد من ضرب السيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح
فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه
وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل
موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما
اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويوده لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة
ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبه خوارا وغرغرة من حلقه وصدره
وقد تغير لونه وازبد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله
والالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي الجفون وينقلص اللسان الى اصله وترتفع
الانثيان الى اعالي موضعهما ومن المراة الثديان الى اعالي موضعهما ويخضر انامله فلا تسال عن بدن يجذب
منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم
لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فيموت اولا قدماه ثم ساقاه
ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا
واهلها ويغلق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل توبة
العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يتوبون قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت
فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشيا قبل
وقوعها انما تعرف بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبيا والاوليا من الموت حتى قال عيسى
يا معشر الحواريين ادعوا الله عز وجل ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت من الموت مخافة
اوقفني خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرا من بني اسرايل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض ادعوا الله
ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسئلونه فدعوا الله عز وجل فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد
خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني قد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت
من قلبي وقالت عايشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شدة موت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وروي انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب
والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت
وغصته والمه فقال هو قدر ثلثماية ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون
الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل عليه السلام على مريض
فقال اني اعلم ما يلقى فما منه عرق الا ويالم للموت على حدته وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول
ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش وقال الاوزاعي
بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والآخرة
على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل
الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن اسلم قال عن ابيه اذا بقي على المؤمن من درجاته
شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف
لم يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليبلغ ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسئل كثيرا من
المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجد قال كان السموات مطبقة على الارض
وكان نفسي تخرج من نقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاة راحة للمؤمن واسف على الفاجر وروى
عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض
لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت فلا يقع الموت بشيء الا مات ويروى لو ان قطرة من الم الموت
وضعت على جبال الارض كلها لذابت وروى ان ابرهيم لما مات قال الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليل
فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروي ان موسى عليه السلام لما
صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين
يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ويمسح بها
وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول
لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المؤمنين
الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبها رجل شديد الجذب فاخذ
ما اخذ وابقى ما ابقى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت
وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك فارقني وافارقك الى يوم القيمة فهذه سكرات الموت
على اولياء الله واحبائه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي
فان دواهي الموت ثلثة الاولى شدة النزع كما ذكرنا الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت
ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى صورته التي عليها يقبض روح العبد المذنب اعظم الرجال
قوة لم يطق رؤيته وروي عن الخليل عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التي
تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت واذا هو برجل
اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومن مناخره لهيب النار ودخان فغشي على ابرهيم
ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة
وجهك لكفاه ذلك وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود كان رجلا غيورا وكان اذا خرج

غلق

غلق الابواب فغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخلك لئن
جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود فراه فقال من انت قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب
فقال فانت والله اذًا ملك الموت فازمل داود ومات داود عليه السلام مكانه وروي ان عيسى عليه السلام
مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله تعالى فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا
جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على
حياله ثم خرجت نفسي اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كانت فرقة وياليت ما كان من ذلك الانس كان
وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ولا يلقاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة
التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها في منامه ليلة لتنغص عليه عيشه بقية عمره
فكيف برؤيته في مثل تلك الحال واما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روي عن ابن عباس
ان ابرهيم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه واذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في
جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك
بها مني ومنك قال فمن انت من الملائكة قال انا ملك الموت فقال هل تستطيع ان تريني الصورة التي
تقبض فيها روح المؤمن قال نعم قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه
وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها
مشاهدة الملكين الحافظين قال وهب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله
فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان
فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح
قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك الذي يرى شخص بصر المحتضر اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا
الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة وانهم في حال السكرات
وقد تخاذلت قواهم فاستسلمت للخروج ارواحهم ولن يخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى
البشريين اما ابشر يا عبد الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة وعن هذا كان خوف ارباب الالباب وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم ابن مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة
او النار وقد قال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك بذاك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله
لقاءه وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من اخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام
ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار ودخل مروان على
ابي هريرة وقال اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على
الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي بجنة او بنار وروي في حديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فائتني بروحه
لاريحه حسبي من عمله قد بلوته بالسراء والضراء فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة
معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة
صفين لخروج روحه معهم الريحان واذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده
ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به وكان

معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا في لقآء الله تعالى ومن كانت راحته في لقآء الله تعالى فيوم الموت
يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل
عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال
محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار او يعفو الله عني وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدا
ولا يبعث لا للثواب ولا للعقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت
فقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجا وهو لايق بهذا الموضع
ولكنا لا نطول بذكره واعادته **بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت** اعلم ان المستحب عند الموت
من صورة المحتضر ان يكون هو الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن
بالله تعالى اما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ارقبوا الميت عند ثلث اذا رشح جبينه وذرفت
عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت
شفتاه فهو من عذاب الله تعالى قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمتي الشهادة فهو من علامة الخير قال
ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا امواتكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم
ما قبلها من الخطايا وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة
وقال عبيد الله وهو شهيد وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله وانه ما من عبد يختم له بها عند
موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم
لا اله الا الله وقال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر
في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص
وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسانه فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقاله
التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل
وليس في قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم
في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا عليها وعلى لذاتها وكانت الكلمة على طرف
اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشية فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان
يتفضل الله بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت فقد ذكرناه في كتاب الرجا وقد وردت
الاخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله فقال اغرقتني
ذنوبي واشرفت على الهلكة ولكني ارجو رحمة الله تعالى فكبر واثلة وكبر اهل البيت وقال الله اكبر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله سبحانه وتعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل
صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى الذي يرجو وآمنه من الذي
يخاف وقال ثابت البناني كان شاب فيه حدة وكان اهله تعظه كثيرا وتقول يا بني ان لك يوما فاذكر يومك
فلما نزل به امر الله اكبت عليه امه فجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول ان لك يوما
قال يا امه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فمات فرحمه الله
بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به زهو فاحتضر فقالت له امه توصي بشيء قال نعم خاتمي لا
تسلبينه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله عز وجل يرحمني فلما دفن رأى في النوم فقال اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني

ذلك
واشغب
وكانت امه

وان الله

وان الله تعالى غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال اين يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي
ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمن قال لي ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر
حدثني بالرخص لعلي القى الله تعالى وانا حسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته
لكي يحسن ظنه بربه **بيان الحسرة عند لقآء ملك الموت** بحكايات تعرب بلسان الحال عنها قال اشعث
بن اسلم سال ابرهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه
فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوبآء بارض والتقى الزحفان
كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت لي الارض فتركت مثل
الطست بين يدي اتناول منها حيث اشآء قال وهو الذي بشره بانه خليل الله تعالى وقال سليمن بن
داود لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا فقال ما انا بذلك باعلم منك
انما هي صحف او كتب تلقى الي فيها اسمآء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى
ارض فدعا بثياب فلبسها فلم يعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فاتي بها
فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجآء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملاه كبرا ثم سار وسار معه الجنود
وهو ينظر الى الناس كبرا فجآءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال
ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الا الان فقهره
على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى اليه راسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك
واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي فاقضي لي حاجتي واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك
وثقلك ابدا فقبض روحه فخر كانه جيفة ثم لقي عبدا مومنا في تلك الحال فسلم عليه فرد السلام فقال ان لي
حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره وقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته علي فوالله
الذي لا اله الا هو ما كان في الارض غايب احب الي ان القاه منك قال ملك الموت اقبض ثم حاجتك
التي خرجت لها قال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب الي من لقآء الله عز وجل قال فاختر على اي حال شئت
ان اقبض روحك قال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضا واصلي فاقبض روحي
وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف
على الموت قال لبنيه اروني اصناف مالي فاتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيرها فلما نظر اليه بكى تحسرا
عليه فراه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج من منزلك حتى
افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك
قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى
قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى
رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي سنين قد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه
حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع
الباب بشدة عظيمة قرعا افزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان وقالوا ما شانك فقال ادعوا لي مولاكم
قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا قلتم له وفعلتم به فقرع الباب قرعة اشد
من الاولى فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي اليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل
والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تاخذ به احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع

خشية

فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بما له حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم سببتني وقد كنت تدخل على السلطان بي وترد المتقون عن بابهم وكنت تنكح المنعمات بي وتجلس مجالس الملوك وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت انا وابن ادم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض نفس امراة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة ولا متعهد بها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت روحه الآن هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان الله سبحان اللطيف بما يشاء وقال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال له اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال وان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن ما من يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول لهم والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالسا في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من انت ومن ادخلك داري فقال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا فالذي لا يمنعني الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف صولة المتسلطين ولا يمنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فاسقط في يدي الجبار وارعد حتى سقط مكبا على وجهه ثم رفع اليه راسه مستخذيا متذللا له فقال له انت اذا ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال والى اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين اهله فمن صارخ وباك وقال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمن بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه ثم يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل لسليمن من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصني عنه وتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند ففعل الريح ذلك ثم قال سليمن لملك الموت بعد ان اتاه ثانيا رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبضه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده

اعلم ان في رسول الله اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وبصيرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله تعالى منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وصفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته بل ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض الارواح فجذوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه

وظهر انينه وترادف حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدوره وهل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ماكان به مامورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وصاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر عنها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الله والى المتقين اقرب ام الى الظالمين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من العمل من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين وانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانتقال الى جنة الماوى قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا عائشة حين دنى الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله اواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي الله بكم واحذركم الله اني لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنى الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة الماوى والكاس الاوفى فاقرؤا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وبركاته وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبرئيل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها امته فقال الان قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبعة ابار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم اصبحتم تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيأتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وعلم انه يريد نفسه فقال صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر قالت عائشة فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت دخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت اخذه لك فاومى براسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه لك فاومى براسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده فيقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروي سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا طافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم

واشفاقهم ثم دخل الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه بمثله فمد يده وقال هــا فتناولوه
فقال ما يقولون فقالوا يقولون نخشى ان يموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج متوكيا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه
حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغني
انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم ونعيت اليكم نفوسكم
هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا واني لاحق بربي واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي
المهاجرين فيما بينهم قال الله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخرها وان الامور تجري باذن الله
فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله
خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا وانهم
الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يوثروكم
على انفسهم وبهم خصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا
تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي عرض ما بين بصرى الشام
وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه
لا يظما ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده
على غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا
الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا الى قريش بالناس خيرا يا ايها الناس
ان الذنوب تغير النعيم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروي ابن مسعود انه قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه
سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنى الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري ما منقلبنا
فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ
والعيش المهنا فقال يا رسول الله من يلي غسلك قال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك
قال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر قال فكيف الصلوة عليك منا قال فبكى وبكينا ثم قال
مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير
قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي على الرب عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن الله للملائكة
في الصلوة علي فاول من يدخل من خلق الله عز وجل ويصلي علي جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت
مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها عليهم السلام ثم انتم فادخلوا علي افواجا افواجا فصلوا علي افواجا زمرة
زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتحلية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى
ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر من اهل بيتي الادنى والادنى ثم زمر النساء ثم زمر
الصبيان مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي وقال عبد الله بن زمعه جاء
بلال في اول ربيع الاول فاذن بالصلوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت
فلم ار بحضرت الناس الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان
رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله والمسلمون ذلك
قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اسيف

اذا قام

اذا قام في مقامك غلبه البكا فقال انكن صويحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر
بعد الصلوة التي صلى عمر وكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ما ذا صنعت بي والله لولا
اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول عبد الله بن زمعه اني لم ار احدا اولى بذلك
منك قالت عائشه وما قلت ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة
والهلكة الا من سلم الله وخشيت ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم
وهو حي ابدا الا ان يشاء الله ويحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا الامر امر الله والقضاء قضاء
الله عصمه الله من كل ما تخوفت من امر الدنيا والدين وقالت عائشة فلما كان اليوم الذي قبض فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا منه في اول النهار خفة تفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوايجهم مستبشرين
واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسا فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجا والفرح قبل ذلك
اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا ملك الموت يستاذن علي فخرج من في البيت غيري
وراسه في حجري فجلس وتنحيت ناحية في البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه في حجري
وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبرئيل عليه السلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل
يا عايشه هذا ملك الموت جاني فقال ان الله عز وجل ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا بالاذن
فان لم تاذن لي رجعت وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف
حتى ياتيني جبرئيل عليه السلام فهذه ساعة جبرئيل قالت عايشة فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب
ولا راي فوجمنا اي سكتنا من الوجع والحزن وكانما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيئا وما يتكلم احد من اهل البيت
اعظاما لذلك الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت وجاء جبرئيل عليه السلام في ساعته فسلم فعرفنا حسه وخرج
اهل البيت فدخل فقال ان الله تعالى يقرا عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك
ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة في امتك
فقال اجدني وجعا قال ابشر وان الله اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبرئيل ان ملك الموت
استاذن علي واخبره الخبر قال جبرئيل ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك لا والله
ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق
قال فلا تبرح اذا حتى يجيء واذن للنسا فقال ادني يا فاطمه فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها
تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما تطيق
الكلام وكان الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت
ثم قال اني دعوت الله تعالى ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي فاضحكني وادنت ابنيها منه
فشمهما قالت فجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تامر يا محمد فقال الحقني بربي الان
فقال بلى من يومك اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على احد
الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قال وخرج جبرئيل وقال السلام عليك يا رسول الله هذا
اخر ما انزل فيه الى الارض طوي الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة
الا حضورك ثم لزوم موقفي ولا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث
الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اضع راسه بين يدي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبينه يترشح رشحا ما رايته

من انسان قط فجعلت ارسل ذلك العرق وما وجدت رايحة شئ قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق
بابى وامى انت يا رسول الله ونفسى واهلى ما يلقى جبينك من الرشح فقال يا عايشه ان نفس المومن يخرج
بالرشح ونفس الكافر يخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا ونعينا وبعثنا الى اهلنا وكان اول رجل
جانا ولم يشهد اخى بعثه الى ابى فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيئني احد وانما صدهم عنه لانه ولاه
جبرئيل وميكائيل وجعل اذا اغمى عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال
الصلوة الصلوة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعًا الصلوة الصلوة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول
الصلوة الصلوة قالت عايشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين
قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب
على رضى الله عنه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل بعلى وفيه
قتل ابى على فما لقيت من يوم الاثنين قالت عايشه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حيث ارتفعت
الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوب فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد
البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقى آخرون ومعهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب
فيمن كذب بموته وعلى فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يمت وليرجعنه الله تعالى وليقطعن ايديا وارجلا من المنافقين يتمنون لرسول الله الموت انما واعده ربه تعالى
كما واعد موسى وهو آتيكم وفى رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله فانه لم يمت والله لا
اسمع احدا يذكر ان رسول الله قد مات الا علوته بسيفى هذا واما على فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان
فجعل لا يكلم احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين فى مثل حال ابى بكر والعباس فان الله تعالى
عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعوا الا بقول ابى بكر حتى جاء العباس وقال والذى لا اله الا
هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال الله وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ولما بلغ ابا بكر الخبر وهو فى بنى الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابى انت وامى ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد
والله توفى رسول الله ثم خرج الى الناس فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد رب محمد فانه حى لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت الآية فكان الناس لم يسمعوا هذه
الآية الا يومئذ وفى رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على النبى
وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه فكشف عن
وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكى ويقول بابى انت وامى ونفسى واهلى طبت حيا وميتا
انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا وهو النبوة فعظمت مصيبتها عن الصفة وجلت عن البكا
وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سوآء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك
بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكا لانفدنا عليك ماء الشوون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار
محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك وسلم عند ربك ولنكن من بالك فلولا
ما خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر انه لما
دخل ابو بكر البيت وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم واثنى عليه ضج اهل البيت ضجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر
شيئا ازدادوا فما سكن ضجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة

الموت الا ان فى الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا
له وانكروه فقطعوا البكا فلما انقطع البكا فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد
آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال وتكونوا من المخلصين ان فى الله عزاء من كل
مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوه وبامره فاعملوا فقال ابو بكر هذا الخضر والياس حضرا النبى صلى الله عليه وسلم
واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابى بكر رضى الله عنه فقال قام ابو بكر فى الناس خطيبا حيث قضى الناس
عبراتهم بخطبة جلها الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا
الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ونبيه وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول
كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك
وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك اللهم واجعل صلوتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب
زلفته وعظم برهانه واكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود
يوم القيمة واخلفه فينا فى الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابرهيم انك حميد مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وان الله تعالى قد تقدم اليكم فى امره فلا تدعوه
جزعا وان الله عز وجل اختار لنبيه عليه الصلوة والسلام ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه
وسنته اعنى سنة نبيه عليه الصلوة والسلام فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه
ولا تستنظروه فيلحق بكم فيفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذى بلغنى عنك
انك تقول ما مات نبى الله الا ترى ان نبى الله عليه الصلوة والسلام قال يوم كذا وكذا وقال تعالى فى كتابه
انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكانى لم اسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان
الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث وان الله حى لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله
نحتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى ابى بكر وقالت عايشة لما اشتغلوا بغسله والله لا ندرى كيف
نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله فى ثيابه قالت فارسل الله عز وجل
عليهم النوم حتى ما بقى منهم رجل الا واضع لحيته فى صدره نايما ثم قال قايل لا يدرى من هو اغسلوا النبى صلى الله
عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل النبى صلى الله عليه وسلم فى قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن
وقال على رضى الله عنه اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ثيابه فاقررناه فغسلناه فى قميصه
كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان يقلب لنا عنه عضو لم نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا لحفيفا
فى البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون فهكذا كانت وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال ابو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت
ثيابه التى كان يلبس يقظان يغطى بها على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها فى اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا
بنى فى حيوته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففى وفاته عبرة تامة وللمسلمين اسوة حسنة **وفاة ابى بكر** رضى الله عنه
لما احتضر ابو بكر جاءت عايشة فتمثلت بهذا البيت لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى ؛ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا
ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت وقالت عايشة عند موته رضي الله عنهما
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للارامل فقال ابو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا
عليه رضي الله عنه وقالوا الا ندعوا لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي طبيبي فقال اني فعال لما اريد ودخل
عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله تعالى فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن
منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على
وجهك ولما ثقل ابو بكر واراد الناس ان يستخلف استخلف عمر رضي الله عنهما فقال الناس استخلفت علينا
فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر رضي الله عنه
فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله تعالى حقا في النهار لا يقبله بالليل وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار
وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا
وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم
الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخفف ثم ان الله تعالى ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم
وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القايل انا دون هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله تعالى ذكر اهل النار بسوء
اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القايل انا افضل هؤلاء وان الله تعالى ذكر اية الرحمة والعذاب ليكون
المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكونن
غايب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكونن غايب ابغض اليك من الموت
ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله زودنا
فانا نراك لما بك فقال ابو بكر رضي الله عنه من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق المبين قالوا
وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار تغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا
القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك خلقت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا
للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم
وجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل
ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك
ان اشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شي الا باذنك فاجعل حركاتي كلها في
تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين
اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما اهلا وساكنا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك
اردت بقوم الهدى وشرحت به صدورهم واردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان
وزينه في قلبي واجعلني من الراشدين اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت
حيوة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى وثقته ورجاؤه غيرك فانك انت ثقتي ورجائي ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال ابو بكر هذا كله في كتاب الله تعالى **وفاة عمر** رضي الله عنه قال عمرو بن ميمون
كنت قايما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فان راى
خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل ونحو ذلك في الركعة
الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لولوه فطار العلج

بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا ولا شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاث عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية
سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن
بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي المسجد لا يدرون ما الامر غير انهم
فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا
قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت امرت
به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج
بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي ان شئت قتلناهم قال كذبت
بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فحمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم
مصيبة قبل يومئذ قال فقايل منهم يقول اخاف عليه وقايل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج
من جرحه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه
وجاء شاب وقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله تعالى قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم نلت شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي
ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال له يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك
واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوها فقال
ان وفى به مال آل عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف به اموالهم فسل في قريش ولا
تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المومنين عايشة رضي الله عنها وقل عمر يقرا عليك السلام
ولا تقل امير المومنين فاني لست اليوم امير المومنين وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فسلم
واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرا عليك عمر بن الخطاب السلام ويستاذن ان يدفن مع
صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه به اليوم على نفسي فلما اقبل انه قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء
قال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المومنين اذنت قال الحمد لله ما كان
شي اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني
فردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المومنين حفصة والنساء يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه وبكت
عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من الداخل فقيل اوص يا امير المومنين واستخلف
قال ما ارى احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا
وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شي كهيئة التعزية له
فان اصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة
من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا
الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفوا عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء
الاسلام وجباة المال وغيظ العدو ولا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضا منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم
اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا
نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال جبرئيل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر وعن ابن عباس

قال وضع عمر على سريره واكتنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي
فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله تعالى بمثل عمله
منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلك الله مع صاحبيك وذلك لاني كنت كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجوا ولاظن
ان يجعلك الله معهما **وفاة عثمان** رضي الله عنه الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت
اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا باخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة
في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمن حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فادلى
دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان
شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رحمه الله وقال عبد الله بن سلام لمن حضر
تشحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال وهو يتشحط في الدم قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد
صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا الى يوم القيمة ما اجتمعوا ابدا
وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ايتوني
بصاحبيكم اللذين الباكم علي قال فجي بهما كانهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان وقال انشدكم بالله
والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بير رومة
فقال من يشتري بير رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم
اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان
المسجد كان قد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في
المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم
قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله والاسلام
هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت
حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن يا ثبير وانما عليك الا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم
نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد وروي عن شيخ من ضبة ان عثمان حين ضرب والدماء
تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا الله سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعيذ بك عليهم و
استعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني **وفاة علي** رضي الله عنه قال الاصبغ الحنظلي
لما كانت الليلة التي اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يوذنه بالصلوة وهو مضطجع
متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيكا ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه
فخرجت ام كلثوم ابنة علي فجعلت تقول ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي امير المومنين صلوة الغداة وقتل ابي
صلاة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد
بن علي انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين
رضي الله عنهما فقال له يا اخي لاي شي تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن ابي طالب وهما
اباك وعن محمد بن الحسن قال لما نزل القوم بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى
عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وتشمرت حتى لم يبق منها

الاصابة كصبابة الاناء الا خسي من عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه
ليرغب المومن في لقاء الله تعالى واني لا ارى الموت الا سعادة والحيوة مع الظالمين شقاوة

ثواب

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفا والامراء والصالحين

لما حضرت معوية ابن ابي سفين الوفاة قال اقعدوني
فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معوية بعد الهرم والانحطاط الا كان هذا
وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم
اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق باحد سواك وروي شيخ من قريش انه دخل

وارحم العبرة ص

مع جماعة عليه في مرضه فراوا في جلدة وجهه غضونا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما
جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا ان نقضت ذلك
منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا واستلامت الينا فاف للدنيا
من دار ثم اف لها من دار وروي ان آخر خطبة خطبها معوية انه قال ايها الناس اني من زرع قد استحصد
واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول
غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان ولينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمدوا الى منديل في الخزانة فيه ثوب
من ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني
واجعل الثوب كله على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله تعالى في الوالدين فاذا ادرجتموني
في جريدتي ووضعتموني على حفرتي فخلوا معوية وارحم الراحمين وقال محمد بن عبيد لما نزل بمعوية الموت قال
يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم آل من هذا الامر شيئا ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة
نظر الى غسال بجانب من دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا اكل
من كسب يدي يوما بيوم ولم آل من امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم
الموت ان يتمنوا ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك
يا امير المومنين قال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم الآية وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امراة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي
مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان من ذلك اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده
فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدا فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر
انايم هو فلما دخل صاح فوثبت اليه فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الوفاة اعهد الينا يا امير المومنين فقال احذركم
مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر اليه قال ارى الرجل
قد سقي السم ولا امن عليه الموت فرفع عمر بصره اليه وقال ولا تامن الموت على من لا يسقى السم قال الطبيب
هل احسست بذلك يا عمر قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا امير المومنين فاني اخاف ان
تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفاي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني
فتناولته اللهم خر لعمر في لقاءك فلم يلبث الا اياما حتى مات وقيل لما حضره الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا امير المومنين
ابشر فقد احيا الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكا ثم قال اليس اوقف فاسئل عن امر هذا الخلق فوالله لو
عدلت فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت
عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت

ونهتني نعصبت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاخذ النظر فقيل له في ذلك فقال اني لا ارى
حضرة ماهم بانسي ولا جن ثم قبض وحكي عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند موته بيده فكان ينظر اليها
ويقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول
ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان
المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل لا باس عليك يا امير المومنين فقال ليس الا هذا قد ذهبت الدنيا
والاخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر الى صناديق له لبنيه من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا
وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي وكان عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه
الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال قالها قيل نعم قال عسى **بيان اقاويل جماعة من خصوص**
الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف ولما حضر معاذا الوفاه قال اللهم اني كنت
اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار
ولكن لظماء الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلما بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه
احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم ان قلبي يحبك ولما حضر
سلمان الفارسي الوفاه بكى فقيل له وما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر الى جميع ماله فاذا قيمته بضعة عشر درهما
ولما حضر بلالا الوفاه قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله
بن المبارك عينه عند الوفاه وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر ابرهيم النخعي الوفاه بكى فقيل
ما يبكيك فقال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او بالنار وحضر ابن المنكدر الوفاه فبكى فقيل له ما يبكيك
فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضرت
عامر بن عبد قيس الوفاه فبكى فقيل ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا جزعا على الدنيا ولكني ابكي على ما يفوتني
من ظماء الهواجر وعلى قيام الليل بالشتا ولما حضر فضيلا الوفاه غشي عليه ثم فتح عينيه فقال وا بعد سفراه وقلة
زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاه قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقيل له ما يبكيك قال
ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هوذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سالت الله تعالى ان يحييني حيوة الاغنيا
ويميتني موت الفقرا ثم قال له لقنى ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان وقال عطاء بن يسار تبدا ابليس لرجل عند
الموت فقال له نجوت وقال ما امنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال اية في كتاب الله
تعالى قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير
ان يتقى آخره وان امرا هذا اخره لينبغي ان يزهد في اوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في نزعه وكان
يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القران فختم القران فقلت له في هذه الحالة يا ابا القسم فقال ومن اولى بذلك
مني وهو ذا تطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول حنين قلوب العارفين الى
الذكر ° وتذكارهم وقت المناجاة للسر ° اديرت كوس للمنايا عليهم ° فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر °
همومهم جوالة بمعسكر ° به اهل ود الله كالانجم الزهر ° فاجسامهم في الارض قتلى بحبه ° وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري °
فما عرسوا الا بقرب حبيبهم ° ولا عرجوا من مس بوس ولا ضر ° وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت
فقال لم يكن يعجب ان يطير روحه اشتياقا وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة
وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى يقولون الله وانا محترق في الله وقال بعضهم كنت عند ممشاد

الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا
اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات
وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت
باب الدار التفت اليه وقالت قد مت فوقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب
اجل ابي علي الروذباري وكان راسه في حجري ففتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان
قد زينت وهذا قايل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول وحقك ما نظرت
الى سواكا ° بعين مودة حتى اراكا ° اراك معذبي لفتور لحظ ° وبالخد المورد من حياكا ° وقيل للجنيد قل لا اله الا
الله فقال انسيته فاذكره وسال جعفر بن نصر بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه عند موته
فقال علي درهم مظلمة وتصدقت على صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضني للصلوة ففعلت
فنسيت التخليل للحية وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال
ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من اداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث وكان يشق عليه حين
احتضر كانك تحب الحيوة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن ممشاد الا توصي بابنك وعيالك
فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره ولما احتضر ابو سليمن الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك
تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر وانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير والكبير
واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك
فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت على سري السقطي اعوده في مرضه الذي مات فيه
فقلت كيف تجدك فانشا يقول ° كيف اشكو الى طبيبي ما بي ° والذي بي اصابني من طبيبي ° فاخذت المروحة
لاروحه قال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول القلب محترق والدمع مستبق ° والكرب
مجتمع والصبر مفترق ° كيف القرار على من لا قرار له ° مما جناه الهوى والشوق والقلق ° يا رب ان يك شي فيه
لي فرج ° فامنن علي به ما دام بي رمق ° وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله
الا الله فانشا يقول ان بيتا انت ساكنه ° غير محتاج الى السرج ° وجهك المامول حجتنا ° يوم ياتي الناس بالحجج °
لا اباح الله لي فرجا ° يوم ادعوا منك بالفرج ° وحكي ان ابا العباس بن عطا دخل على الجنيد في وقت نزعه
فسلم فلم يجبه ثم اجابه بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل
للكتاني لما حضرته الوفاه ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلي ما اخبرتكم به وقفت على باب قلبي اربعين سنة
فكل ما مر به غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت ممن حضر الحكم بن عبد الله حين جاءه الحق فقلت
اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال
ان ملك الموت عليه السلام يقول لي اني بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفات
شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا محمد ما هذا وان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا
اجزع واني والله لا اعلم اني صدقت الله في شي من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته
انه لا يعلم انه صدق الله تعالى في شي من عمله وعن المغازلي انه قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة الصفة
وهو عليل وهو يقول يمكنك ان تعمل ما تريد فارفق بي ودخل بعض المشايخ على ممشاد في وقت وفاته فقال له
فعل الله تعالى بك وصنع من باب الدعا فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي
وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ولما حضرت النوري الوفاة قيل له قل لا اله الا الله

اختنقت خفقك

ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم

الوضاح

فقال ابليس الى ثم اتى ودخل المزني على الشافعي رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله
فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكاس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردًا ولا
ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشا يقول • ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي • جعلت
رجائي نحو عفوك سلما • تعاظمني ذنبي فلما قرنته • بعفوك ربي كان عفوك اعظما • فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما • ولولاك لم يسلم من ابليس عابد • وكيف وقد اغوى صفيك آدما • ولما حضرت احمد بن
خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الى الساعة
لا ادري ايفتح لي بالسعادة ام بالشقاوة فاني لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف
احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجا وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد بمقتضى حاله والكل
صحيح بالاضافة الى احوالهم **الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنايز والمقابر وحكم زيارة القبور**
اعلم ان الجنازة عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانهم لا يزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون
انهم ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنايز يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب
لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنايز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسابهم وانقرض على القرب
زمانهم فلا ينظرن عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولعله
في غد وبعد غد فيروى عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال امضوا انا على الاثر وكان مكحول الدمشقي
اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رايحون فان الموت موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له
وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة حدثت نفسي بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صاير اليه ولما مات
اخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما ذا صرت ولا اعلم ما
دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنايز ولا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد
الجنايز فلا نرى احدا الا متقنعًا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة
الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة
التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر احد منهم الا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حملت عليه
ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الاخر
والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة من هذه
الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنايز بكاهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت
نظر ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم كان خيرا لكم انه نجى من اهوال
ثلثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال ابو عمرو بن العلا جلست
الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنايز وانشا يقول
تروعنا الجنايز مقبلات • ونلهو حين تذهب مدبرات • كروعة ثلة لمغار ذئب • فلما غاب عادت راتعات •
فمن آداب حضور الجنايز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامه على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه
وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها
الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا يدرى حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه
وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال
رحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا

فمنا

فمنا عن مذنب وعن ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم
تجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين وحملتها
الى المصلى فما صلى عليها احد فحملتها الى الصحرا للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد
الكبار فراوه كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان
فخرج اهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلوة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل
الى موضع فلان ترى فيه جنازة وليس معها الا امراة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى
الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا
يشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة كان كل يوم يفيق عن سكره
وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح بالجماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثانية
انه كان ابدا لا يخلو بيته عن يتيم ويتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد
التفقد لهم والثالث انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا
جهنم تملاها بهذا الخبيث ويعني به نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من امره وعن صلة بن اشيم
وقد دفن اخ له فقال على قبره • فان تنج منها تنج من ذي عظيمة • والا فاني لا اخالك ناجيا **بيان حال
القبر واقاويلهم على القبور** قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر
والبلا وترك فضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور
وقيل لعلي ما شانك جاورت المقبرة قال اني اجدهم خير جيران اني اجدهم جيران صدق يكفون
الالسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال
عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس عند قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى
وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امي آمنة بنت وهب استاذنت ربي
في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان
بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي
وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة
فان نجى منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة
فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت
ان اتقرب الى الله بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة
وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري
يوم اوضع في قبري وكان ابو الدردا يقعد على القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني
معادي وان قمت لا يغتابوني وكان جعفر بن محمد يات القبور ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم
لا تجيبون ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكاني بي اكون مثلهم ثم يستقبل الصلوة الى طلوع الفجر
وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة تفكرا في القبر وساكنه انك لو رايت
الميت بعد ثلثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام
ويجري فيه الصديد ويخترقه الديدان مع تغير الريح وبلا الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء
الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر

بوحدته والمستانس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل لحيته ثم يقول استبشر بالله باعماله الصالحة واغبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك مسيرا ورحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك فاشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول يا اهل القبور متم فيا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في القبر غدا عطاء في القبر فلا يزال دابه حتى يصبح وقال سفين من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران وكان الربيع بن خثيم اذا وجد من قلبه قساوة دخل قبرا حفره في داره فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يرددها على نفسه ثم يرد على نفسه ويقول يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب يتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فيقول يا ابن آدم الا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور لو قد امن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها اذا بصوت قايل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسين نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها فقالت وكانوا رجاء ثم امسوا رزية • لقد عظمت تلك الرزايا وجلت • وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا صوتا من الجانب الاخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التيمي توفيت امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه اهل البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ماذا اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال • اخاف وراء القبر ان لم تعافني • اشد من القبر التهابا واضيقا • اذا جاءني يوم القيمة قايد • عنيف وسواق يسوق الفرزدقا • لقد خاب من اولاد آدم من مشى • الى النار مغلول القلادة ازرقا • وانشدوا في اهل القبور • قف بالقبور وناد في ساحاتها • من منكم المغموم في ظلماتها • ومن المكرم منكم في قعرها • قد ذاق برد الامن من روعاتها • اما السكون لذي العيون فواحد • لا يستبين الفضل من درجاتها • لو جاوبوك لاخبروك بالسن • تصف الحقايق بعدهم حالاتها • اما المطيع فنازل في روضة • يفضي الى ما شاء من راحاتها • والمجرم الطاغي بها متقلب • في حفرة ياوي الى حياتها • وعقارب تسعى اليه فروحه • في شدة التعذيب من لدغاتها • ومر داود الطاي على امراة تبكي على قبر وهي تقول • عدمت الحيوة ولا نلتها • اذا انت في القبر قد الحدوكا • وكيف اذوق لذيذ الكرى • وانت بيمناك قد وسدوكا • ثم قالت ليت شعري باي خديك بدا الدود • فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشات اقول اتيت القبور فناديتها • اين المعظم والمحتقر • واين المذل بسلطانه • واين المزكي اذا ما افتخر • قال فنوديت من بينهم اسمع صوتا ولا ارى شخصا • تفانوا جميعا فما مخبر • وماتوا جميعا ومات الخبر • تروح وتغدو بنات الثرى

ونحوا محاسن تلك الصور فيا سايلي عن اناس مضوا اما لك فيما ترى معتبر قال فرجعت وانا ابكي ابيات وجدت مكتوبة على القبور وجد على قبر مكتوبا • تناجيك اجداث وهن سكوت • وسكانها تحت التراب خفوت • ايا جامع الدنيا لغير بلاغة • لمن تجمع الدنيا فانت تموت • وعلى قبر آخر ايا غانما اما ذراك فواسع • وقبرك معمور الجوانب محكم • وما ينفع المقبور عمران قبره • اذا كان فيه جسمه يتهدم • وقال ابن السماك مررت بالمقابر واذا على قبر مكتوب • يمر اقاربي جنبات قبري • كان اقاربي لم يعرفوني • ذوو الميراث يقتسمون مالي • وما يالون ان جحدوا ديوني • وقد اخذوا سهامهم وعاشوا • فيا لله اسرع ما نسوني • ووجد على قبر آخر • ان الحبيب من الاحباب مختلس • لا يمنع الموت بواب ولا حرس • فكيف تفرح بالدنيا ولذتها • يا من يعد عليه اللفظ والنفس • اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا • وانت دهرك في اللذات منغمس • لا يرحم الموت ذا جهل لغرته • ولا الذي كان منه العلم تقتبس • كم اخرس الموت في قبر وقفت به • عن الجواب لسانا ما به خرس • قد كان قصرك معمورا له شرف • وقبرك اليوم في الاجداث مندرس • ووجد على آخر • وقفت على الاحبة حين صفت • قبورهم كافراس الرهان • فلما ان بكيت وفاض دمعي • رات عيناي بينهم مكاني • ووجد على قبر طبيب مكتوب • قد قلت لما قال لي قايل • قد صار لقمان الى رمسه • واين ما يوصف من طبه • وحذقه في الماء مع جسه • هيهات لا يدفع عن غيره • من كان لا يدفع عن نفسه • وعلى آخر • يا ايها الناس كان لي امل • قصر بي عن بلوغه الاجل • فليتق الله ربه رجل • امكنه في حيوته العمل • ما انا وحدي نقلت حيث ترى • كل الى مثله سينتقل • فهذه الابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقايق الامور وانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحيوة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار وان لم تاخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رايت اخا لي في الله فيما يرى النايم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لئن اقدر على ان اقول الحمد لله احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قام وصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها

بيان اقاويلهم عند موت الولد

حق على كل من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه الولد الى البلد الذي هو مقصده ومستقره فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم وتاخر وهكذا الموت وان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يتعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال مثل ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امراة كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال او اثنان وليخلص الوالد الدعاء للولد عند الموت

فانه ارجى دعاء واقرب الى الاستجابة ووقف محمد بن سليمن على قبر ولده عند الموت فقال اللهم انى اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائى وامن خوفى ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم انى قد غفرت له ما وجب لى عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ووقف اعرابى على قبر ابنه فقال اللهم انى قد وهبت له ما قصر فيه من برى فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابو عمر بن ذر بعد ما وضع فى لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتنى به ما متعتنى ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم قد كنت الزمته طاعتك وطاعتى اللهم وما وعدتنى عليه من الاجر فى مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لى عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال ما رايت مثل هذه النضادة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله انى لفى حزن ما شركنى فيه احد قال وكيف قالت ان زوجى ذبح شاة فى يوم الاضحيه وكان لى صبيان مليحان يلعبان فقال اكبرهما للاخر تريد ان اريك كيف ذبح ابى الشاة قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا متشحطا فى دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجا الى جبل فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردنى الدهر كما ترى فامثال هذه المصائب ينبغى ان يذكر عند موت الاولاد ليتسلى به عند شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله فى كل حال فهو الاكثر

بيان زيارة القبور والدعا للميت

وما يتعلق به زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار من زيارة قبور الصالحين محبوب لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم اذن فيها فقد روى على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فى زيارتها تذكرة للاخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه فى الف مقنع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وفيه قال اذن لى فى الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل وقال ابن ابى مليكة اقبلت عائشة يوما من المقابر فقلت يا ام المومنين من اين اقبلت قالت من قبر اخى عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا ينبغى ان يتمسك بهذا فيوذن للنساء فى الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على روس المقابر فلا يفى خير زيارتهن بشرها ولا يخلون فى الطريق عن تكشف وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس بخروج المراة فى ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعا وترك الحديث على راس القبر وقال ابو ذر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الاخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين فى ظل الله وقال ابن ابى مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا امواتكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وسلم وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة فى الايام فتصلى وتبكى عنده وقال النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال عليه السلام من زار قبرى فقد وجبت له شفاعتى وقال من زار قبرى فى المدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى عليه السلام

حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب فى زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى وقال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبى صلى الله عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى وينصرف وعن ابى امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمن بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم قلت يا رسول الله هولاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدرى رايت عاصما فى منامى بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله فى روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزنى فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما تلتقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل لو اخرت ذلك الى الاثنين فقال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى المقابر والى الجنائز فيشهد الصلوة على الجنائز قال فاذا امسى وقف على باب المقابر وقال انس الله وحشتكم رحم الله غربتكم وتجاوز عن مسيئكم وقبل الله حسنتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلى ولم ات المقابر فادعوا كما كنت ادعوا فبينما انا نايم اذا انا بخلق كثير قد جاونى فقلت من اين انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هى قال الدعوات التى كنت تدعوا بهن قلت فانى اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجرانى رايت رابعة العابدة فى منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يا بشار بن غالب هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل من حرير قلت وكيف ذاك قالت هكذا دعاء المومنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك على اطباق النور وخمر بمناديل من الحرير ثم اتى به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت فى قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحيا للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لى فرايته فى المنام فقلت له ما كان من حالك وضعت فى قبرك قال اتانى آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لى لرايت انه سيضربنى به وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الازدى شهدت ابا امامة الباهلى وهو فى النزع وقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بى كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة فيستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمك الله ولكن لا تسمعون

فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول
انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله تعالى حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف
اسم امه قال فلينسبه الى حوا ولا باس بقراءة القرآن على القبر وروي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع
احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر
فقال له احمد يا هذا ان القراءة على القبور بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل قال ثقة قال هل كتبت منه شيئا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسماعيل عن
عبد الرحمن بن العلا بن الجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها
وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها
وقال محمد بن احمد المروروذي سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين
وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة
فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت واذا صاحب
القبر يشتكي يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان
ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرأهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم
نور امثال الجبال والمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل
الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف
تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال
كان عجوز في عبد القيس متعبدة وكانت اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت
الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا
رسوم البلى واني لآتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة
والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما اشد
مرارتها للانفس واشد تلافها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حين
دخل عليه فقير فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلاث وقد ادخلت
قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم
ونتا البطن فعلا على الصدر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما رايته الآن ويستحب ايضا الثنا
على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه
ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تذكروا موتاكم الا بخير وانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثمون وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال
انس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه شرا فقال صلى الله عليه وسلم وجبت ومروا
باخرى فاثنوا عليه خيرا فقال صلى الله عليه وسلم وجبت فساله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت
له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثنا يعلم الله تعالى منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته
اشهدكم اني قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت

وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة
قد اخطاوا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر وان لا عاقبة للخير والشر وان موت
الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا راي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر فظن قوم
انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال
آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد
لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق
به الآيات والاخبار وان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة
واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات
للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب ومعنى
القلب ههنا الروح فالروح تعلم الاشيا بنفسها من غير آلة وكذلك قد يتالم بنفسه من انواع الحزن والغم
والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف الروح بنفسها
فيبقى معها دون مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان يعاد الروح
الى الجسد ولا يبعد ان يعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد ان يؤخر الى يوم القيمة ويوم البعث والله اعلم
بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيها فيه
ولسدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فيكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض
الاعضا وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح
هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والآلام والغموم ولذات الافراح
ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولم تبطل منها الافراح والغموم ولم
تبطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات وذلك
لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى
الزمانة خروج اليد عن ان تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان
نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احدهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله
وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وساير معارفه وسلب منه خيله ودوابه وعقاره وساير
املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء
فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد
في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان
له في الدنيا شيء يانس به ويستريح اليه ~~وانما معنى الموت سلب الانسان~~ ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه
بعد الموت ويعظم شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى شيء شيء من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص
كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي
بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوايق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد
وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحيوة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحيوة
كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره
وينفعه من حسناته وسياته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه

شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع احواله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرًا
يوثر ان يخوض غمرة فى النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا وينكشف له كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق ما كان
يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة وان من طلب الزاد للبلغة فاذا
بلغ المقصد فرح بمفارقته لبقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم ياخذ من الدنيا الا بقدر
الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل له ما كان يوده واستغنى عنه وهذه
انواع من العذاب والالام عظيمة يهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر
من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك
فى داره وملكه وحرمه اعتمادًا على ان الملك يتساهل فى امره وعلى ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من
قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دون فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة
خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يشفع اليه فى
العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحيا
والتحسر والتندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به عند
موته نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع
وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولو البصاير بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة
العين شهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت
من لا يعرف الحيوة ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يوذن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيه ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علما الدين ان يكشف
عن سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة
عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الايات فما ورد فى الشهدا قال الله تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم ولما قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله
اتناديهم وهم اموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام
منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص فى بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والاية نص فى بقاء
ارواح الشهداء ولا يخلوا الموت عن سعادة او شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر
النار او روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح فى ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة
الميت وسعادته فتعجل عند الموت من غير تاخير وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن اهل
الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة وليس يخفى ما فى
مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال وعن ابى قيس قال كنا مع علقمة فى جنازة فقال اما هذا فقد
قامت قيامته وقال على حرام على كل نفس ان يخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة ام من اهل النار وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات غريبا مات شهيدًا ووقى فتاني القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة
وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مؤمنا فى اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب الله وقال يعلى

قريش

اذ قال المؤمن يموت فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم

بن

بن الوليد كنت امشي يوما مع ابى الدردا فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت وان لم تمت قال يقل
ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق المؤمن من السجن وانما احب قلة المال والولد
لانه فتنة وسبب الانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاء وكل ما سوى الله وذكره والانس به فلا بد
من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمر وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه اوروحه مثل رجل كان فى
سجن فاخرج منه فهو يتفسح فى الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن
له انس الا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات توذيه وكان فى الموت
خلاصه من جميع الموذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عايق ولا دافع وما اجدر ذلك بان
يكون منتهى التنعم واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا
قاطعين التفاتهم عن علايق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله تعالى راضين بالقتل فى طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا
فقد باعها طوعا بالاخرة والبايع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الاخرة فقد اشتريها وتشوق اليها فما
اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق فى
بعض الاحوال ولكن قد لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت وكان سببا لادراك الموت على مثل
هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون
فكان هذا اجمع عبارة عن جميع معانى لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده قال الله
تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد
لما انقطع نفسه من غير تاخير وهو امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة
السمع فجميع احاديث الشهدا يدل عليه وكل حديث منها يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد
روي عن عايشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك وكان قد استشهد
ابوه يوم احد قال بلى بشرك الله بالجنة فقال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن على عبدي ما شئت
اعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل مرة
اخرى فيك قال انه سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد فى الجنة رجل يبكي وقيل له ما يبكي وانت
فى الجنة قال ابكي انى لم اقتل فى سبيل الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل فى الله قتلات واعلم
ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله تعالى ما يكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن الضيق ويكون
مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف ظريف الفضاء وفيه انواع الاشجار و
الازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا
له فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا
كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى
ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ايضا ان مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن امه اذا خرج من بطنها
بكى لمخرجه حتى راى الضوء لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب
ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات
فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه
وقال ابو عمر وصاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا فيه جمجمة بادية فامر رجلا فواراها
ثم قال ان هذه الاجسام ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيمة

عند انقطاعه عن الدنيا

يا جابر

وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر
اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المومنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمن بن بشير
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمر في جوها فالله الله
في اخوانكم من اهل القبور وان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا
موتاكم بسيات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدردا اللهم اني اعوذ بك
ان اعمل عملا اخزا به عند عبد الله بن رواحه وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن
ارواح المومنين اين هي فقال في صور طيور بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد
الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال
صالح المري بلغني ان الارواح تلاقى عند الموت فيقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك و
في اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا
ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن
سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغايب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره
وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نفس المومن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة
من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسلونه ماذا
فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا انا لله
ذهب به الى امه الهاوية **بيان كلام القبر للميت** وكلام الموتى اما بلسان الحال او بلسان المقال ولسان الحال
افصح من تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين
يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة بيت الظلمة بيت الوحدة بيت الدود ما غرك
اذ كنت تمر بي فذاذا وان كان مصلحا اجاب عنه مجيب للقبر فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسمه نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ الذي يقدم رجلا
ويوخر اخرى كذلك فسره الراوي قال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها
انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد وان كنت في حيوتك مطيعا لله كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا
فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا
ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المخلف في الدنيا بعد اخوانه
وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة
فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك
في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا يتهاداه احبته الى المنزل
الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج
والجهاد والصدقة قال وتجي ملائكة العذاب من قبل رجليه فيقول الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال
بي القيام لله تعالى عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظماه الله تعالى في دار الدنيا
فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد
لله تعالى لا سبيل لكم عليه قال فياتونه من قبل يديه فيقول الصدقة كفوا عن صاحبكم فكم من صدقة خرجت من
هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وميتا قال

حاصل

السفر ح

جسد

ثم انطقه الله وقالت ايها العبد المغتر في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انس لك اليوم عندنا وقال كعب الاحبار اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته اعماله صح

وتاتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويوتى بقنديل
من الجنة فيستضي بنوره الى يوم يبعثه الله عز وجل من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شي الا قبره ثم يكلمه قبره
ويقول ويحك ابن آدم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي وظلمتي وهولي فماذا اعددت لي **بيان عذاب
القبر وسوال منكر ونكير** قال البرا بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار
فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلثا ثم قال
ان المومن اذا كان في قبل من الاخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره
فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وفتحت ابواب السماء فليس فيها باب الا يحب ان
يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة
فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهره انتهارا شديدا
وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان قد صدقت وذلك معنى قوله تعالى يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت الاية ثم ياتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة
من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت بشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت
ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فرش
الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة
حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر وانه اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة
غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء
والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس فيها باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد
بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر فاني
وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقال لا دريت ثم ياتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب
فيقول ابشر بسخط من الله وعذاب اليم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا
في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة
من حديد لو اجتمع عليه الثقلان ان يقلوها لم يستطيعوا ولو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصيره ترابا
ثم يعود فيه الروح فيضربه بها ضربة بين عينيه يسمعها من على الارض غير الثقلين ثم ينادي مناد ان افرشوا له
لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت
يموت الا مثلت له اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه
كما تسل الشعرة من العجين ويقال لها ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضية ومرضيا عنك الى روح الله
وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين وان
الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنتزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي
ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فان لها نشيشا ويطوى عليها

المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه قرا قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون
الاية قال اي شيء تريد في اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الانهار
قال لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت قال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعين ذراعا ويضيء كالقمر ليلة
البدر هل تدرون فيماذا انزلت فان له معيشة ضنكا قال الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط
عليه تسعة وتسعون حية هل تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية سبعة روس يخدشونه ويلحسونه وينفخون
في جسمه الى يوم يبعثون فلا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب
بقدر اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وساير الصفات فان لها اصولا معدودة
ثم ينبعث منها فروع معدودة ثم ينقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها
تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقارب وما بينهما يوذي
ايذاء الحية وارباب القلوب والبصاير يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا ان
مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها
عند ارباب البصاير واضحة فمن لم ينكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان
التصديق والتسليم فان قلت فنحن نرى الكافر في قبره مدة ونشاهده ولا نرى شيا من ذلك فما وجه التصديق
على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاوضح
والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة
الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يومنون بنزول
جبرئيل وما كانوا يشاهدونه ويومنون بانه عليه الصلوة والسلام يشاهده فان كنت لا تومن بهذا فتصحيح اصل
الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك وان امنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا تشاهده الامة فكيف
لا يجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر
ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وبدرك بحاسة اخرى المقام الثاني ان يتذكر امر النايم وانه قد
يرى في نومه حية تلدغه وهو يتالم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك
يدركه من نفسه ويتاذى به كما يتاذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله حية والحية
موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب من الم اللدغ فلا فرق بين
حية تتخيل او تشاهد المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تولم بل الذي يلقاك منها وهو السم القاتل
ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فاذا حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان
العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي اليه
في العادة وانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة
اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم يحصل صورة السبب والسبب يراد
لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب موذيات ومولمات في النفس عند الموت فتكون الامها
كالام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة موذية يضاهي انقلاب العشق موذيا عند موت
المعشوق وانه كان لذيذا فطرات حالة صار اللذيذ بنفسه مولما حتى تنزل بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى
معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت وانه قد سلط العشق في الدنيا

التنين

على نفسه في الدنيا فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك في حين
اخذ لا يرجوا رجوعه اليه فماذا يكون حاله اليس يعظم شقاوته ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال
قط ولا جاه فكنت لا اذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيا وتركها كلها دفعة واحدة ما بال
من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد فما حال من لا يفرح بالدنيا فتوخذ منه الدنيا وتسلم الى اعدايه ثم ينضاف
الى هذا العذاب تحسره على ما فات من نعيم الاخرة والحجاب عن الله وان حب غير الله يحجب عن لقاء الله والتنعم
به فيتوالى عليه الم الفراق لجميع محبوباته والحسرة على ما فاته من نعيم الاخرة ابد الاباد وذل الرد والحجاب عن الله
وذلك هو الذي يعذب به اذ لا يتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يانس بالدنيا ولم يحب الا الله ولم يزل مشتاقا الى لقاء الله تعالى فقد تخلص
من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوايق والصوارف وتوفر عليه النعيم
مع الامن من الزوال ابد الاباد ولمثل هذا فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير
بين ان يوخذ منه وبين ان يلدغه عقرب لاثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ
العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه
فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه وياخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه
وبصره واعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك اليه واذا لم يحب سوى ذلك وقد اخذ منه جميعه فهو اعظم عليه
من العقارب والحيات وكما لو اخذ ذلك منه وهو حي لعظم عقابه وكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذي
هو المدرك للالام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحيوة يتسلى باسباب يشغل بها حواسه
عن مجالسيه ومحادثيه ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذا انسدت
عليه طرق التسلي وحصل الياس فاذا كل قميص ومنديل له وغيره مما كان قد احبه بحيث كان يشق عليه
لو اخذ منه فانه يبقى متاسفا عليه ومعذبا به واذا كان متخففا من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله عليه الصلوة والسلم
نجا المخففون وان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من سرق له دينار اخف من حال من سرق له عشرة دنانير
وكذلك صاحب الدرهم اخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم
اخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك بعد الموت الا وهو حسرة عليك بعد
الموت وان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل وان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت
فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحيوة الدنيا
على الاخرة وفرحوا بها واطمانوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وساير انواع عذابه
راي ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف الله فيما يريد قال يا بني
زدني قال يا ابه لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا قال فما لبس قميصا ثلاثين سنة فان قلت
فما الصحيح من هذه المقامات الثلث فاعلم ان في الناس من لم يثبت الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول
واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار وان كل ذلك
في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجايب تدبيره
فينكر من افعال الله عز وجل ما لم يانس به ويالفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلث في التعذيب ممكنة
والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد يجمع عليه هذه الانواع نعوذ
بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا

والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل في التدبير في دفع العذاب
كيف ما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع
يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او سيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في دفع
اصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم
ونعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له واما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان

بيان سوال منكر ونكير

وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر قال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا مات المرء اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول
في النبي فان كان مومنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقولان ان كنا
لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني
ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام نومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه
ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان انا كنا لنعلم انك
تقول ذلك ثم يقال للارض التامي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله
من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك
اذا مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك
وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر
منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما
فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن يا رسول الله قال نعم قال
فاذا اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت وانما يتغير البدن والاعضا فيكون الميت عاقلا
مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء او جزو من
اجزائها الجسمانية بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشيا ولو
تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزو المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل
بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزو لا يحله الموت ولا يطرا عليه العدم قال محمد بن المنكدر بلغني
ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في راسه مثل غارب الجمل يضربه به الى يوم
القيمة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه وقال ابو هريرة اذا وضع المومن في قبره جاءت اعماله الصالحة
فاحتوشته فان اتاه العذاب من قبل راسه جاءت قراءة القرآن وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد
كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاءت من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصوم
ناحية فيقول اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه وقال سفيان تحاجش اعماله الصالحة كما يحاجش الرجل
عن اخيه واهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب
اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه
ثم قال يضغط المومن في هذا ضغطة ترد منها حمايله وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر
ضغطة ولو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر ان للقبر ضغطة
فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا منك شيئا ساءنا فمم ذلك قال ذكرت

ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان الله عز وجل قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة
سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى والمكاشفة في المنام

اعلم ان
انوار البصاير المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا
احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعدا واشقيا ولكن حال زيد وعمرو بعينه لا ينكشف بذلك اصلا فانا
ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله
القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله
تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات
فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين اخرى
خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الآن ان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشتغاله الدنياوية
فصار لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما
كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبيا عليهم السلام فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجايبه والموتى
في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا منهم ولذلك راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد
بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر لما استشهد اذ اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما
ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاوليا الذين يقرب درجتهم منهم وانما الممكن في امثالنا
مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهو من انوار النبوة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزو من ستة واربعين جزوا من النبوة
وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب وكذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح
الصادق ومن كثر كذبه لم يصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه وكان ما يراه اضغاث احلام
ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن
ايضا فهو الاصل فطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب
ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق وقل ما يخلو الانسان عن منامات دلت عليه امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب
في النوم من عجايب صنع الله وبدايع فطرة الادمي وهو من اصح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون
عنه لغفلتهم عن سر عجايب القلب وعجايب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقايق علوم المكاشفة فلا يمكن
ذكره بعلاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان القلب مثاله
مثال مراة تتراءى فيها الصور وحقايق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتدا خلق العالم الى آخره مسطور
ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن
فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا تشاهده بهذه العين ولا تظنن ان ذلك
اللوح من خشب او حديد او عظم وان ذلك الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه
لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت
تطلب له مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه
في دماغ الحافظ للقرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حيث يقراه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزوا جزوا
لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح المحفوظ منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه

واللوح فى المثال كمرات ظهرت فيها الصور فلو وضعت فى مقابلة المرآة مراة اخرى لكانت صور تلك المرآة
تترائ فى هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مراة يقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها
موجودة فيه واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذى هو
من عالم الملكوت فان هبت ريح حركة هذا الحجاب ورفعته تلالا فى مراة القلب شئ من عالم الملكوت كالبرق
الخاطف وقد يثبت فيدوم وقد لا يثبت ولا يدوم وهو الاغلب ومادام مستيقظا فهو مشغول بما يورده الحواس
عليه من عالم الشهادة وهو حجاب عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب ما يشغله واذا
تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا فى جوهرة ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع فى قلبه شئ مما كان
فى اللوح كما يقع الصورة من مرآة فى مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع ساير الحواس عن جميع العمل
وليس مانعا للخيال من عمله ومن تحركه فيما يقع فى القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ويكون المتخيلات
اثبت فى الحفظ من غيرها فيبقى الخيال فى الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا
الخيال حكاية اي معنى من المعانى فيرجع الى المعانى المناسبة التى بين المتخيل وبين المعانى وامثلة ذلك
ظاهرة عند من نظر فى علم التعبير ويكفيك مثال واحد هو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان بيدي خاتما
اختم به افواه الناس وفروج النساء وقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح فى رمضان فقال صدقت فانظر
ان روح الختم هو المنع فلاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو
كونه مانعا للناس من الاكل والشرب والجماع ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخالية
التى تتضمن روح المعنى ولا يبقى فى الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي
لا يحصر عجايبه وكيف لا وهو اخو الموت وهو عجب من العجايب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف اثر فى
كشف الغطا عن عالم الغيب حتى صار النايم يعرف ما سيكون فى المستقبل فماذا ترى فى الموت الذى يخرق
الحجاب ويكشف الغطا بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفة بالانكال
والمخازى والفضايح نعوذ بالله من ذلك واما ملفوفة بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للاشقيا
وقد انكشف الغطا لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر
هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون والبهم الاشارة
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلما واحكم الحكما ينكشف عنه عقيب الموت من العجايب
والايات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر فى خطر تلك الحالة
وان الحجاب عماذا يرتفع وما الذى ينكشف له عند الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دايمة لكان ذلك
كافيا فى استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظايم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا
واسبابنا وذوينا واهلينا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن من اين
ينفث روح القدس فى روعه فيقول له ما قال لسيد المرسلين احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت
فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر
سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال
لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن
قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب ~~الذى سلكه وبقدر ما سلكت سبيله~~
~~فقد اتبعه~~ وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من

اعرض

اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعا الى الله واليوم الاخر وما صرف عن الدنيا والحظوظ العاجلة
فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد
اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته
والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا وان الجحيم هي الماوى فلو خرجت من
مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى
الا فى الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا للعاجل الدنيا ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد
ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد
امتدعنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الان من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به
اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات **بيان منامات تكشف عن احوال الموتى**
والاعمال النافعة فى الاخرة فمن ذلك رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم من راني
فى المنام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى المنام معرضا عني فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صايم
قال فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صايم ابدا وقال العباس كنت ذا ود العمر فاشتهيت ان اراه
فى المنام فما رايته الا عند راس الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه ويقول هذا اوان فراغي حتى كاد عرشي
ان يهدم لولا اني لقيته رؤفا رحيما وقال الحسن بن علي قال لي علي رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنح لي ليلة فى منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي
منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى المنام فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفين بن عيينة حدثنا عن محمد
بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسال شيئا قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي ان العباس
بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني
امره فسالت الله تعالى حولا ان يريني اياه فى المنام قال فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت
الى النار فى العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين فى كل الليالي والايام قلت وكيف ذلك
قال ولد فى تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة امنة اياه ففرحت به واعتقت
وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب فى كل ليلة اثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت
حاجا فصحبني رجل لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك
فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت فى بعض المنازل فبينا انا نايم اذ
اتاني آت فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه فقمت مذعورا وكشفت الثوب عن وجهه واذا هو
ميت اسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينا انا فى ذلك الغم اذ غلبتني عيناي فنمت فاذا على راس ابي اربعة
سودان معهم اعمدة الحديد اذ اقبل رجل حسن الوجه فى ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني
فقال لي قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي وامي انت فقال انا محمد قال فقمت وكشفت الثوب
عن وجه ابي فاذا هو ابيض فما تركت الصلوة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضى الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس
اذ اتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي رضى الله عنه

وهو يقول قضى لي ورب الكعبه وما كان باسرع بان خرج معوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبه
واستيقظ ابن عباس من نومه فزعًا فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره اصحابه
فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني
الحسين وهذا دمه ودماء اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربعه وعشرين يومًا بقتله في اليوم الذي
راه ورأى الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول في لسانك ابدا هذا اوردني الموارد فما فعل الله بك
قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة **بيان مناماة المشايخ** رضي الله عنهم اجمعين قال بعض المشايخ
رايت متمم الدورقي في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال دير بي في الجنان فقيل لي يا متمم هل استحسنت
فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك اليه ولما اوصلتك الي ورئي يوسف بن
الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن اسمعيل
قال رايت عبد الله البزاز في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به
الا ذنبا واحدًا واني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال
نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله عز وجل ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقرا فبينما نحن كذلك اذا انشقت السماء ونزل ملكان احدهما
بيده طشت وبيد الاخر ابريق فوضع الطست بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم امر حتى غسلوا
ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للاخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روى
عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فاني احبك واحب هولاء الفقرا فقال صلى الله عليه
وسلم صب على يده فانه منهم وقال الجنيد رايت في النوم اني اتكلم على الناس فوقف على ملك فقال اقرب
ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي في مكان خفي في ميزان وفي فولى الملك وهو يقول
كلام موفق والله ورؤي مجمع في النوم فقيل له كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا
والاخرة وقال رجل من اهل الشام للعلا بن زياد رايتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم
قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا يفتنني وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال
صالح بن بشير رايت عطاء السلمي في النوم وقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله
لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعمت عليهم من النبيين
الاية وسئل زرارة بن اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضى وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور
رايت الاوزاعي في النوم فقلت يا عم دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى فقال ما رايت هناك درجة ارفع
من درجة العلماء ثم درجة المحزونين وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رايت
اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي
وقال علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حورا فقلت زوجيني نفسك
قال خطبني الى سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن افاتها وقال ابرهيم بن اسحق الحربي
رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي ربي فقلت بما انفقت في طريق مكه قالت اما النفقات
التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفين الثوري رئي في المنام فقيل ما فعل الله
بك قال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى النايم جارية
ما رايت احسن منها وكان يتلالا وجهها نورا فقلت لها من ماذا اضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي

بكيت

بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت بها وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رايت الجنيد
في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا
على ركعتين نصليهما في السحر بالليل ورويت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي بهذه الكلمات
الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا
الله القى بها ربي عز وجل ورئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي تعالى فقال يا بشر
اما استحييت مني كنت تخافني ذلك الخوف ورئي ابو سليمن في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني
وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رايت في النوم شابا لم ار احسن منه
فقلت من انت فقال التقوى قلت فاين تسكن قال عند كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش
ما يكون فقلت من انت قال السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك
الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس قد وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع
منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه انما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رايت ابليس
في المنام عريانا يمشي فقلت الا تستحي من الناس فقال بالله ما هولاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت العب
بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هولاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا
الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق رايت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا
على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر
من خيره وقال بن عيينة قال رايت سفين الثوري في المنام كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول
لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصني فقال اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة
بن عقبة قال رايت سفين الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال **شعر** نظرت الى ربي كفاحا فقال لي
هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد ۞ وقد كنت قواما اذا اظلم الدجى ۞ بعبرة مشتاق وقلب عميد ۞ فدونك فاختر
اي قصر اردته ۞ وزرني فاني منك غير بعيد ۞ ورأى الشبلي بعد موته بثلثة ايام فقيل له ما فعل الله بك قال
ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته ورئي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله
بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين ورئي الثوري في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال رحمني فقيل
ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ورئي بعضهم فسئل عن حاله
فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا ورئي مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان
يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند روية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ورئي في الليلة التي مات فيه
الحسن البصري كان ابواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه
راض ورئي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال **شعر** فلا تكتب بخطك غير شيء ۞ يسرك في القيمة ان تراه ۞
ورأى الجنيد ابليس في المنام عريانا قال الا تستحي من الناس فقال وهولاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية
قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم
يتفكرون فلما راوني فقالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورئي النصراباذي بمكه بعد وفاته في المنام فقيل له ما
فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم ابعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال
فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ورأى عتبة الغلام حوراء في الجنة على صورة حسنة فقال يا عتبة انا
لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيئا يحول بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلثا لا ارجع اليها

حتى الفاك وقيل راى السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فراى بعضهم الميت في المنام
فقال ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال قل لايوب لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق
وكان بعضهم يقول رايت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا
فقلت اي ليلة هذه قالوا الليلة مات فيها داود الطائي فقد زخرفت الجنة بقدوم روحه وقال ابو سعيد
الشحام رايت سهلا الصعلوكي في المنام فقلت ايها الشيخ فقال دع الشيخ قلت تلك الاحوال التي شاهدتها
قال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسايل كان يسالها عنها العجز وقال ابو بكر الرشيدي رايت
محمدا الطوسي المعلم في النوم فقال لي قل لابي سعيد الصفار المؤدب **شعر** وكنا على ان لا نحول عن الهوى
فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا • قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره
هذه الجمعة وقال ابن راشد رايت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس قدمت قال بلى قلت فماذا
صنع بك ربك عز وجل قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفين الثوري قال بخ بخ ذاك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين الاية وقال الربيع ابن سليمن رايت الشافعي في المنام بعد وفاته فقلت يا ابا عبد الله
ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب وراى رجل من اصحاب الحسن البصري
ليلة مات الحسن كان مناديا ينادي ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية واصطفى الحسن ابن ابي الحسن على اهل زمانه
فقال ابو يعقوب القاري الدقيقي رايت في منامي رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قيل
اويس القرني فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله
فاقبل علي فقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاك منه في خلال ذلك
ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن ابي مريم رايت ورقا بن بشر الحضرمي فقلت ما فعل الله بك قال نجوت بعد
كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله تعالى وقال يزيد بن نعامة هلكت
جارية في الطاعون الجارف فرآها ابوها في المنام فقال لها اخبريني عن الاخرة فقالت يا ابت قدمنا على
امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في فسحة عملي احب
الي من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رايت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال
دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت الى بيتي فاذا خط عتبة في حائط البيت
مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم
والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين امين يا رب العالمين وقال موسى ابن حماد رايت سفين الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة
ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بما نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى
كما يرى الكوكب وراى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم
يتفقد النقصان فهو في النقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رضي الله عنه دهمني في هذه
الايام امر امضني والهاني ولم يطلع عليه غير الله تعالى فلما كان البارحة اتاني آت في المنام فقال يا محمد بن ادريس
قل اللهم اني لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني
ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما
ترحل النهار اعطاني الله طلبتي فسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه
جملة من المكاشفات تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله تعالى زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى

باورقام

والمتى

من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار اما في الجنة او في النار تم الشطر الاول بحمد الله ومنه **الشطر الثاني**

من كتاب ذكر الموت في احوال الميت

من وقت نفخة الصور الى آخر استقرار في الجنة او النار وتفصيل ما
بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه **بيان** نفخة الصور **وصفة** ارض المحشر واهله **وصفة** عرق اهل المحشر
وصفة طول يوم القيمة ودواهيها واساميها **وصفة** المسائلة عن الذنوب **وصفة** الميزان **وصفة** الخصماء ورد
المظالم **وصفة** الصراط **وصفة** الشفاعة **وصفة** الحوض **وصفة** جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها **وصفة**
الجنة ونعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم
وصفة طعامهم وشرابهم **وصفة** الحور العين والولدان **وصفة** النظر الى الله تعالى **وباب** في سعة رحمة الله تعالى وبه
نختم الكتاب ان شاء الله تعالى

صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت
وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسوالهما ثم لعذاب القبر وخطره
ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض
على الجبار والسوال عن القليل والكثير ونصب الموازين لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار
النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد او الاشقاء فهذه احوال واهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها
على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل
الايمان باليوم الاخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم
لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم عن جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن
اليوم الاخر نطقت بها السنتهم ثم غفلت عنها قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه
صدقت ثم مد اليه يده ليتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بفعله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني وما ينبغي
له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بداني واما فتور البواطن
عن قوة التصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في عالم هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان
توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الادمي المصور العاقل المتكلم المتصرف
لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
مبين وقال ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ففي خلق الادمي مع كثرة عجائبه
واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر ذلك من حكمة الله تعالى
وقدرته من يشاهد ذلك في قدرته وصنعته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشاة
الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها فان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك تلك الاخطار والمخاوف
واكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا
فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخة الصور فانها صيحة واحدة فينفرج بها القبور عن رؤس الموتى
فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك في
تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي
طال فيها بلاهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار
لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات الاية وقال فاذا نقر في الناقور
الآيتين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الى وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول

بعلمه

تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى وانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والارض اي يموتون الا
من شاء الله وهم بعض الملائكة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن
وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يومر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه
على القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر
متى يومر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان من شدة الفزع
الا من شاء الله وهو جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك الموت ان يقبض روح جبرئيل
ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ
اربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعث الي بعث صاحب الصور فاهوى
به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يومر بالنفخ الا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلايق وذلهم وانكسارهم
واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت
فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض
في ذلك اليوم هم اذل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطئون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من
البراري والجبال منكسة روسها مختلطة بالخلايق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست
بها ولكن حيرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن الهرب من الخلق والتوحش منهم الفزع وذلك قوله
تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض
على الله تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك
وحال قلبك هنالك **صفة ارض المحشر واهله** ثم انظر كيف يساقون بعد الموت والنشور وهم حفاة
عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان
وراها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان
من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة
هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان يكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار
خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس
فيها معلم لاحد قال الراوي العفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ولا معلم اي لا
بناء يستر ولا تفاوة يرد البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا يساويها الا في الاسم قال
تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها
واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة
والسموات تذهب بشمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول هذا اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلايق
في هذا الصعيد وتناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض بخمود سراجها
فبينا انت كذلك اذ دارت السماء من فوق روسهم وانشقت مع غلظها وشدتها مسيرة خمسماية عام والملائكة
قيام على حافاتها وارجائها فيا هول انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها و
شدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة يخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء
كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال

وعزرائيل

الخلق

البعث

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان وقالت
سودة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله واسوءتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس
عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويومن مع ذلك من النظر
والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم ولا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى
وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان
يمشيهم على وجوههم وفي طبع الادمي انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها
كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك
فاياك ان تنكر شيئا من عجايب يوم القيمة لمخالفتها لما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجايب
الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف
عريانا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضا بالسعادة او بالشقاوة
واعظم بهذه الحالة فانها عظيمة **صفة العرق** ثم تفكر في ازدحام الخلايق واجتماعهم حتى ازدحم على
الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطاير
فاشرقت عليه الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من روس
الخلايق قاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا
المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح بحر الشمس وقد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم
تزاحمت الخلايق ودفع بعضهم بعضا بشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحيا
من الافتضاح والاختزا عند العرض على جبار السموات واجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب
بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر
منازلهم عند الله فبعضهم يبلغ العرق ركبته وبعضهم يبلغ الى حقويه وبعضهم يبلغ الى شحمة اذنيه وبعضهم
كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب
احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة
حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وفي حديث
اخر قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه
ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من
يبلغ فاه واشار بيده الى فيه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذى فتامل يا مسكين في عرق
اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي ويقول رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار
وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك العرق فاعلم ان
كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله في حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضا حاجة المسلم وتحمل مشقة
في امر بمعروف ونهي عن منكر فيستخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن ادم
من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر زمانا من عرق الكرب
والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم شدته طويل مدته **صفة طول يوم القيمة** يوم تقف فيه الخلايق شاخصة ابصارهم

دراعا

يوقف

متفطرة قلوبهم لا يتكلمون ولا ينظر في امرهم يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة
ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتاده يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام
بل قال عبد الله بن عمر تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل
في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على اقدامهم مقدار خمسين
الف سنة لم ياكلوا فيه اكلة ولم يشربوا فيه شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم
جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين انية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة
لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني
نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد لشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا بعده يغضب مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يوذن له فيه لا يملكون
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف
عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته
للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اهون عليه من الصلوة المكتوبة
يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المومنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك
والاستعداد بيديك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل
عمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة ويكون ربحك كثير
وتعبك يسير **صفة يوم القيمة ودواهيها واساميها** فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه
المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت
والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد
حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت والجبال
قد نسفت والارض قد مدت يوم ترى الارض قد زلزلت فيه الارض زلزالها واخرجت اثقالها يوم
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة يوم وقعت فيه كل
واقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال فترى الارض بارزة يوم ترج فيه الارض رجا
وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش
يوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه
الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسئل فيه عن الاجترام بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود الآية يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد بما قدمت و
اخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق اراك
قد شبت فقال شيبتني سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارى

العاجز حظك من قراءتك ان تمجمج القران وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا
بان تنشق مرارتك فيما اشاب شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القران
فالقيمة احد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها واكثر من اساميها لتقف بكثرة اساميها على
كثرة معانيها فليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم
من اسامي يوم القيمة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها ونحن الان نجمع لك اساميها
فهي يوم القيمة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة
ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم
الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الازفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم
الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب
ويوم الماب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقا ويوم البقا ويوم القضا ويوم
الجزا ويوم البلا ويوم البكا ويوم البعث ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم
الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم النشور ويوم المصير ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم
ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم
الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم الماوى ويوم الميقات
ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار
ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم الوعد ويوم التغابن ويوم عبوس
ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن
نفس شيئا ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا
ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزي
والد عن ولده ويوم يفر المرء من اخيه ويوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون ويوم لا مرد له من الله
ويوم هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الاستار يوم تخشع
فيه الابصار وسكنت الاصوات وقل الالتفات وبرزت الخفيات وظهرت الخطيات ويوم يساق
العباد ومعهم الاشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت
الجحيم واغلي الحميم وزفرت النار وياس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطق
جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت
عن الخلايق فقارفت الفجور فماذا ينفعك وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر
الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت
يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم
محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب يوم القيمة فيقول اقتربت الساعة
وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا
ان نتخذ دراسة هذا القران عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه
ولا نستعد للفرار من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة **صفة المسائلة**

الاهوال

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السوال شفاها من غير ترجمان فتسال عن القليل
والكثير والنقير والقطمير فبينا انت فى كرب القيمة وعرقها وشدة عظايمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء
السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصى المجرمين الى موقف العرض
على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا ما بين شفرى عينيه مسيرة ماية عام فما
ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هولاء الملائكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض وتراهم
على عظيم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على العباد وعند نزولهم
لا يبقى نبى ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم الماخوذين فهذا حال المقربين
فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك
لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سوالهم اجلالا لخالقهم فنادوا باصواتهم منزهين لمليكهم
عما توهمه اهل الارض فقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد فعند ذلك يقوم الملائكة صفا محدقين
بالخلايق من الجوانب على جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق
الله تعالى قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين وقوله
فو ربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبياء وهو قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم يذهل فيه عقول الانبيا وينمحى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا
اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة
الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم فى ذلك اليوم صادقون اذ طارت فيه العقول وانمحقت
العلوم الى ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون
ما اتانا من نذير ويوتى بعيسى فيقول الله عز وجل له ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله
فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السوال سنين فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الانبيا بمثل هذا السوال
ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرايص
ويضطرب الجوارح وتبهت العقول وتتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبايح اعمالهم على الجبار
ولا يكشف استارهم على ملاء الخلايق وقبل الابتداء بالسوال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها
وايقن كل عبد باقبال الجبار لمسايلة العباد فظن كل انه المراد دون من سواه وانه المقصود بالاخذ والسوال
دون ما عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل ائتنى بالنار فجاء بها فقال لها يا جهنم اجيبى
لخالقك ومليكك فيصادفها جبريل على تغيظها وغضبها فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت وزفرت الى الخلايق
وشهقت وسمع الخلايق تغيظها وزفيرها وانتهض خزانها متوثبين على الخلايق غضبا على من عصى الله عز وجل
وخالفه فاخطر ببالك واحضر فى قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلات فزعا ورعبا فتساقطوا على ركبهم
وتولوا مدبرين وترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى الظالمون
بالويل والثبور وينادى الصديقون نفسى نفسى فبينما هم كذلك اذ زفرت النيران زفرتها الثانية فتضاعف
خوفهم وتخاذلت قواهم فظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلايق لوجوههم وشخصوا ابصارهم
ينظرون من طرف خفى خاشع وانقصمت عند ذلك قلوب الظالمين وبلغت لدى الحناجر كاظمين وذهلت القلوب
من السعدا والاشقيا اجمعين وبعد ذلك يقبل الله عز وجل على الرسل فيقول ماذا اجبتم فاذا راوا ما قد
اقيم من السياسة على الانبيا اشتد الفزع على العصاة ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته

غ ان يكون فيهم ص

وانمحت

على ملا الخلايق يوم

ويبقى

ويبقى كل واحد منتظرا لامره ثم يوخذ واحدا واحدا ويساله الله شفاها عن قليل عمله وكثيره سره وعلانيته
وعن جميع جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون فى
روية الشمس فى الظهيرة ليست دونها سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى روية القمر ليلة
البدر ليس دونه سحابة قالوا لا قال فو الذى نفسى بيده لا تضارون فى روية ربكم فيلقى العبد فيقول له
الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس فترتفع فيقول العبد نعم فيقول
فظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول انى انساك كما نسيتنى فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة
بعضديك وانت واقف بين يدى الله عز وجل يسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب
ففيما ذا ابليته الم امهل لك فى العمر ففيما ذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبته وفيما ذا انفقته
الم اكرمك بالعلم فما ذا عملت فيما علمت فكيف ترى حالك وخجلتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك
واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك
ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم ثم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرنى من الظلم
قال فيقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز على نفسى الا شاهدا منى فيقول الله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول للاعضاء بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملاء الخلايق بشهادة
الاعضا الا ان الله تعالى وعد المومن ان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنوا احدكم من ربه
حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول انى
سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مومن
عورته ستر الله عورته يوم القيمة فهذا انما يرجو عبد مومن يستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه
تقصيرهم فلم يحرك لسانه بذكر مساوى الناس ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون ولو سمعوه فهو جدير بان
يجازى بمثله فى القيمة وهب انه قد ستره عن غيرك اليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك
الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يوخذ بناصيتك فتقاد وفوادك مضطرب ولبك طاير وفرايصك مرتعدة
وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة
تتخطى الرقاب وتخترق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلايق اليك ابصارهم فتوهم
نفسك فى ايدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله
تعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن منى حتى دنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفواد منكسر
واعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت
عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها وكم لك من خجل وغبن وكم لك من حصر وعجز فليت شعرى باى قدم تقف
بين يديه وباى لسان تجيب وباى قلب تعقل ما تقول ثم تفكر فى عظيم حيائك اذ اذكرك ذنوبك شفاها
اذ يقول يا عبدى اما استحييت منى فبادرتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فاظهرت لهم الجميل اكنت اهون
عليك من ساير عبادى استخففت بنظرى اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى الم انعم عليك فما ذا غرك
بى اظننت انى لا اراك وانك لا تلقانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويساله رب العالمين
ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدى الله عز وجل ليس بينه

شهيدا

وبينه حجاب فيقول الم انعم عليك الم اوتك مالاً فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولاً فيقول بلى ثم
ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد
فبكلمة طيبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلوا احدكم بالقمر ليلة البدر
ثم يقول له يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم
الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد سائر
الاعضاء وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن اربع خصال
عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن جسمه فيما افناه وابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه
فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان يقال لك سترتها لك في الدنيا وانا اغفرها
لك في الآخرة وعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والآخرون واما ان يقال لك خذوا
هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وعند ذلك لو بكت
عليك السموات والارضون لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله
تعالى وعلى ما بعت به آخرتك من دنيا فانية لم تبق معك **صفة الميزان** ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان
ونطاير الكتب الى الشمايل والايمان فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فتخرج من النار
عنق اسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فيبتلعهم النار وينادي عليهم بشقاوة
لا سعادة بعدها ابدا وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي عليهم مناد ليقم الحامدون لله عز وجل على كل حال فيقومون
ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله وينادي
عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ابدا ويبقى قسم آخر وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد
يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن يأبى الله تعالى الا ان يعرفهم حقيقة ذلك
ليبين لهم فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات
وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اعلى اليمين تقع او في الشمال ثم الى لسان الميزان ايميل الى جانب
الحسنات ام الى جانب السيئات وهذه حالة هائلة يطيش منها عقول الخلائق روي الحسن ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يوما راسه في حجر عائشة فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد النبي صلى
الله عليه وسلم فانتبه وقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال نعم
والذي نفسي بيده الا في ثلثة مواطن فلا يذكر احد في هذه المواطن الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال
حتى ينظر ابن آدم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف ينظر ا بيمينه ياخذ ام شماله وعند الصراط وعن انس
قال يؤتى بابن آدم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت
يسمع الخلائق سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع
الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الحسنات يقبل الزبانية وبايديهم
مقامع من حديد عليهم ثياب النار فياخذون نصيب النار الى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم
القيمة انه يوم ينادي الله آدم فيقول قم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعماية
وتسع وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عند الصحابة قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس يوم القيمة
الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة **صفة الخصماء ورد المظالم** قد عرفت هول الميزان

وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه
فامه هاوية وما ادريك ماهيه نار حامية واعلم انه لا ينجوا من خطر الحساب والميزان الا من حاسب نفسه
في الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب من كل معصية قبل الموت توبة
نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرايض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض
له بلسانه ويده ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب
وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بتلبيبه
وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول كنت
في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت
قادرا على رد الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم واحكموا
في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته
في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت
عنق الرجا الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله عز وجل
به على لسان رسوله فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين
مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك
اموالهم وما اشد حسرتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت
مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد جوابا او تظهر عذرا فعند ذلك يوخذ حسناتك التي انفقت
فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون
من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع وقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة
وصيام وزكوة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا واخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا
من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح
في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الدنيا ومكايد الشيطان فان
عملت حسنة واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت
مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين
ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات فكيف
ترجوا الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا لذلك وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى شاتين ينتطحان قال يا ابا ذر اتدري فيم ينتطحان قلت لا قال لكن ربك يعلم وسيقضي بينهما
يوم القيمة وقال ابو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر
الخلائق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى ان يوخذ للجماء من القرناء
ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين يوم ترى صحيفتك خالية
من حسناتك طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقول نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة
بسيئات طال فيها الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فيقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها

عنق

بين يدي الله تعالى

ابن عباس

قط فيقول هذه سيات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المعاملة والمحاورة والمخاطبة
والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وساير اصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات
وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجي يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات فيرى
انهن سينجينه فما يزال عبد يجي فيقول يا رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى
ما يبقى له من حسناته شئ وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم
فاحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت
وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا
مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تردوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد
فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطره ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم وقال
انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل العباد عراة غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال
ليس معهم شئ ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد
من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل النار
ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما ناتي الله عراة غرلا بهما فقال
بالحسنات والسيات فاتقوا الله عباد الله مظالم العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم
واساءة الخلق فى معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه
مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر بعض
الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليها الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله
فينال به لطف الله تعالى الذي ادخره لاحبائه ولعباده المومنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما روى انس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رايناه يضحك حتى بدت
ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال
فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم تبق من
حسناتي شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق شئ من حسناته قال يا رب يحمل عني من اوزاري
قالت وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم
من اوزارهم قال فقال الله عز وجل للطالب ارفع راسك فانظر فى الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى
مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد
هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وما هو قال عفوك عن اخيك قال
يا رب اني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال
بالتخلق باخلاق الله تعالى وهو اصلاح ذات البين وساير الاخلاق فتفكر الآن فى نفسك ان خلت صحيفتك
عن المظالم او تلطف لك حتى عفى عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل
القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقا وبنعيم لا يدور بحواشيه الفنا
وعند ذلك طاب قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم

٦٤٥

بين الخلايق تارفعا راسك

تبختر كخالياً عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألا من جبينك وخلق الاولين والاخرين
ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك
وينادون على روس الاشهاد هذا فلان بن فلان قد سعد سعادة لا شقاوة بعدها فترى ان هذا المنصب
ليس باعظم من المكانة التي تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك
فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة
فى معاملتك مع الله تعالى فلم تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله وخرجت من صحيفتك
جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيم فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك
عباداتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك
لعنتنا ولعنة الخلايق اجمعين وعند ذلك تتناول اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها وقدمت
عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملاء الخلق
وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع
اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضايحه
ومخازيه ولعنه بقبايح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته اخفيته
خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة فى قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز من
الافتضاح عند طايفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك
الملا العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بايدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك
واهوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط **صفة الصراط** ثم تفكر بعد هذه الاهوال
فى قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفى قوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسولون والناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود
على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على
صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا واثقل الظهر بالاوزار وعصى تعثر فى اول قدم
من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفوادك اذا رايت الصراط ثم وقع بصرك على سواد
جهنم من تحته فزع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط فكيف بك مع ضعف حالك
واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك من المشي على بساط الارض فضلا
عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك واحسست حدته واضطررت الى ان ترفع
القدم الثاني والخلايق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب
وانت تنظر اليهم كيف يتنكسون فتسفل الى جهة النار روسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى
ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك
ملتفت يمينا وشمالا والخلق يتهافتون والرسل يقولون رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت
اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلايق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك
فناديت وقلت يا ويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي فيا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك يختطفك النيران
والعياذ بالله وينادي المنادي اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الى الصياح والانين والتنفس والاستغاثة

الى الخلق

نجز کر

فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير موقن به فما اطول مقامك مع الكفار في دركات
جهنم فان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد لها متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك
ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا اهوال الصراط
وارتياع قلبك من خطرك في الجواز عليه وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجوز بامته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل
ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها
الا الله تعالى يختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجوا وقال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف يختطف الناس
يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح
ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبوا حبوا ومنهم من يزحف
زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيوخذون بذنوب وخطايا فيحترقون
فيكونون فحما ثم يوذنون في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الخلايق
الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم ينتظرون فصل القضا
وذكر الحديث الى سجود المومنين قال ثم يقول ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر
اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى
نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجل يعطى نوره على ابهام قدميه
فيضي مرة ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه ومشى واذا طفى اظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر
نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض
الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبوا
على وجهه ويديه ورجليه يجر منه يد وتعلق اخرى وتعلق رجل وتجر اخرى وتصيب جوانبه النار فلا يزال
كذلك حتى تخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله ما لم يعط احدا اذ نجاني منها
بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المومنين والمومنات وان جبرئيل عليه السلام
لآخذ بحجزي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه
فطول فيه فكرك فان اسلم الناس من اهوال يوم القيمة من طال فيها فكره في الدنيا وان الله لا يجمع على عبد خوفين
فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الاخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النسا تدمع عينك ويرق
قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء لان من خاف
شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك من معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وابعد
من رقة النسا خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبقت الى الاستعاذة السنتهم وقالوا نستعيذ بالله نعوذ بالله
سلم سلم وهم مع ذلك يصرون على المعاصي التي هو سبب هلاكهم فالشيطن يضحك من استعاذتهم كما يضحك على
من يقصده سبع ضار في صحرا ووراه حصن فاذا راى انياب السبع وصولته من بعيد قال بلسانه اعوذ
بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى
يغني ذلك عنه من السبع وكذلك اهوال الاخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه

ويحبوا اخرى

كالريح ومنهم من يمشي ح

ان لا يكون لك مقصود سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هويه فهو بعيد عن الصدق في توحيده
وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته
ومتشوقا الى مراعات قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم
فتنجوا بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة **صفة الشفاعة** اعلم انه اذا حقت دخول النار على طوايف المؤمنين
فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبيا والصديقين بل شفاعة العلما والصالحين وكل من له جاه
عند الله بحسن معاملته فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب
لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبا ولايته في عباده فلعل
الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله
فيها ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبا رضاه في طاعته فلعل رضا الله فيها ولو الكلمة الطيبة او اللقمة
او النية الحسنة او ما يجري مجراه وشواهد الشفا في القران والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم رب انهن
اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم
فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكا فقال الله تعالى يا جبرئيل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك
فاتاه فساله فاخبره بما قال والله اعلم به فقال يا جبرئيل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا
نسوك قال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت
لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة
فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه
وسلم اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر انا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد
تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبا دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانبيا منابر من ذهب فيجلسون عليها
ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي
واقول يا رب امتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما
ازال اشفع حتى اعطى صكوكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت
للنار لغضب ربك من امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيمة لاكثر مما على وجه
الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه
فنهش منه نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيمة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الناس الاولين
والاخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا
يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم عليكم بادم عليه السلام فياتون
آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله تعالى بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم ان ربي غضب اليوم لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
نوح عليه السلام قال فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله

الا ترون من يشفع لكم الى ربكم فيقول الناس ح

تعالى عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى ابرهيم خليل الرحمن فياتون ابرهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
واني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى عليه السلام فياتون
موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك
الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي لغضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني
قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى عليه السلام فياتونه فيقولون يا عيسى
انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الا ترى ما نحن فيه
فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد
انت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا
لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي امتي يا رب
فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة
وحمير او كما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكواكب
هذا ربي وقوله لالهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد
امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من
امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة
ولاهل البيت وللرجل وللرجلين على قدر عمله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل
الجنة يشرف يوم القيمة فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك
على اهل النار
من انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة فسقيتك قال عرفت قال فاشفع لي بها
عند ربك فيسال الله عز وجل ذكره ويقول اني اشرفت على اهل النار فنادى رجل من اهلها فقال هل تعرفني
فقلت لا فقال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله
فيومر به فيخرج من النار وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني اقوم بين يدي ربي عز وجل فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الخلق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ
ابرهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم
اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك
وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله

ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع ومشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من
يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجوا
ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته انه من شرب منه لم يظما ابدا قال انس
اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا له يا رسول الله لم ضحكت فقال آية انزلت
علي آنفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر
قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيمة
آنيته عدد الكواكب وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه
النجوم
قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل فقال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده
فاذا طينه مسك اذفر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين صنعا والمدينة
او مثل ما بين المدينة وعمان وروي ابن عمر لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك
يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السما
من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب من هم
يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد وقال
عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني
الله عز وجل لا جرم لا ادهن راسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال
قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد النجوم وكواكبها في الليلة
المظلمة المصحية من شرب منها لم يظما آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة
ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا
وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد
من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله تعالى بالانبات ودفع الصواعق الى اوان
الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت
له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمني وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ
بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم

واهوالها وانكالها ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت فيه
من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك
فانك اخبرت بان النار مورد الجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
الآية فانت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد واهوال جهنم فعساك
تستعد للنجاة بالتشمر لاعمالها وتامل في حالة الخلايق وقد قاسوا من دواهي القيمة ما قاسوا فبيناهم في كروبها
واهوالها واقفين ينظرون حقيقة انبائها وتشفع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب

واطلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن
المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية
قايلا ابن فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الامل المضيع عمره فى سوء العمل فيبادرونه
بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظايم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون
له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجا مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها
الاسير ويوقد فيها السعير اماننيهم فيها الهلاك وشرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم
والويل يجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصى واسودت وجوههم
من ظلمة المعاصى ينادون من اكنافها ويصيحون من نواحيها فى اطرافها يا مالك قد حق بنا الوعيد يا مالك
قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فيقول الزبانية هيهات
لات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه
عايدين فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف
بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم وشمايلهم فهم غرقى فى النار
طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم ما بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب
المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلى
بهم النيران كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر
به ما فى بطونهم والجلود ويهشم بالمقامع هامهم فينفجر الصديد من افواههم وينقطع من العطش اكبادهم
ويسيل على الخدود احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلايق
العصب وهى تنش فى لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون وكيف بك لو نظرت اليهم
فقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحمم واعميت ابصارهم واخرست السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت
عظامهم وجدعت اذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمعت بين نواصيهم الى اقدامهم
وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد باحداقهم فلهب النار سار فى بواطنهم وحيات
الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذه بعض جملة احوالهم وانظر الان فى تفصيل احوالهم
وتذكر اولا فى اودية جهنم وشعابها فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى جهنم سبعين الف واد
فى كل واد سبعون الف شعب فى كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهى الكافر
والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله
من جب الحزن او وادى الحزن قيل يا رسول الله وما وادى الحزن او جب الحزن قال واد فى جهنم يتعوذ منه
جهنم فى كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وشعاب اوديتها وهى
بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق
بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الان الى عمق الهاوية وانه
لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا وكما لا ينتهى ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا ينتهى
هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا
وجبة فقال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل فى جهنم منذ سبعين

والهاوية

مناص ولام

ولهم مقامع من حديد

عاما الآن حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
وكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خايض فيها الى حد محدود
وكذلك تفاوت النار لهم متفاوتة وان الله لا يظلم مثقال حبة فلا يترادف انواع العذاب على كل من فى النار
كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت عليها الدنيا
بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا
يوم القيمة من ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به
من شدد عليه ومهما شككت فى شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك
اخطات فى القياس فان نار الدنيا لا يناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب الدنيا عذاب هذه
النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طايعين هربا مما هم فيه وعن
هذا عبر فى بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل
الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال اوقدت تلك النار الف سنة حتى
احمرت ثم اوقدت عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت
النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضى بعضا فاذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ما
تجدونه فى الصيف من حرها واشد ما تجدونه فى الشتاء من زمهريرها وقال انس بن مالك يوتى بانعم الناس
فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويوتى باشد الناس
ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان فى المسجد
مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقال بعض العلماء فى قوله تعالى تلفح وجوههم النار
وهم فيها كالحون انها لفحتهم لفحة فما ابقت لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا الى نتن
الصديد الذى يسيل من ابدانهم حتى يغرقوا فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القى فى الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا
استغاثوا من العطش ومنهم من يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر
الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالؤن
منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال ايضا انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم
طلعها كانه رؤس الشياطين ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين
آنية وقال ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا افسدت على اهل الدنيا معايشهم وكيف
من يكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله فيه واحذروا
وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى انتم فيها
حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى انتم فيها خبثتها عليكم وقال ابو الدردا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون
بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون
انهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد

ذرة

ابيضت ثم اوقدت عليها الف سنة حتى

فاشدها

الدنيا

فانهم لاكلون منها فمالؤن منها البطون

فاذا دنت من وجوههم شوى وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع ما فى بطونهم فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما
دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا
ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان ما بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف
عام فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يئسوا من كل
خير وعند ذلك اخذوا فى الزفير والحسرة والويل وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادنى منه شوى
وجهه ووقعت فيه فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما
فقطع امعاءهم يقول الله عز وجل وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم و
عطشهم فانظر الان الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاظة منظرها
وقد سلطت على اهلها واغريت بهم فهى لا يفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا ولم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه
ثم ياخذ بلهزمته يعنى شدقه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم
الله من فضله الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة
فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا
وهذه العقارب والحيات انما يسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقى
ذلك وقى هذه الحيات فلم يمثل له ثم تفكر بعد هذا كله فى اعظم اجسام اهل النار وان الله تعالى يزيد فى اشخاصهم
طولا وعرضا حتى يتزايد عقابهم بسببها فيجدون تلفيح النار ولدغ العقارب والحيات فى جميع اجزائها دفعة
واحدة على التوالى قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر فى النار مثل احد وغلظ
جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة
وقد غطت وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليجر لسانه فى سجين يوم القيمة يتوطاه الناس ومع
عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فيجدد جلودهم ولحومهم وقال الحسن فى قوله تعالى كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا
ثم تفكر الان فى بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم فى اول القائهم النار
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك
وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى ينقطع الدموع ثم يبكون الدم
حتى يبين فى وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم فى البكاء والشهيق
والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار
خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى اربع فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعى الله وحده
كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
فيجيبهم الله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل

فيحموں

فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا
نعمل فيجيبهم الله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم
يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله
تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب وقال مالك بن انس
قال زيد بن اسلم فى قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا
مائة سنة ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة كانه كبش
املح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود لا موت وعن الحسن قال
يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتنى كنت ذلك الرجل ورأى الحسن جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له لم
تبكى قال اخشى ان يطرحنى فى النار ولا يبالى فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها
واحزانها ومحنها لا نهاية له فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت النعيم نعيم
الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا ذلك بثمن بخس ودراهم معدودة اذ لم يبيعوها
الا بشهوات حقيرة اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون فى انفسهم واحسرتا
كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت
عنا ايامه وبقينا الان فى جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم
وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها على انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم
لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيمة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا
دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها
لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون والاخرون بمثلها فيقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل
ان تريناما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم
اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطونى من
قلوبكم هبتم الناس ولا تهابونى واجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم اذيقكم العذاب
الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ولا يؤثر الجنة
على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح
وقال داود الهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف على حر نارك ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت
عذابك فانظر يا مسكين فى هذه الاهوال واعلم ان النار خلقها الله عز وجل باهوالها وخلق لها اهلا لا
يزيدون ولا ينقصون وان هذا الامر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر
وهم فى غفلة ولعمرى الاشارة به الى يوم القيمة ولكن ما قضى الامر يوم القيمة بل فى ازل الازال ولكنه ظهر
يوم القيمة ما سبق به القضا فالعجب منك تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى ان القضا
بماذا سبق فى حقك وان قلت فليت شعرى ماذا موردى والى ماذا مآبى ومرجعى وما الذى سبق القضاء
فى حقى فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاؤك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك وان كلا
ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر وانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا
الا ويحيط بك العوايق فتدفعه عنك ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضى عليك بالشقا
فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار وقد قال الله عز وجل ان الابرار

لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك في الدارين

القول في صفة الجنة واصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها وهمومها وشرورها يقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها وان من بعد من احدهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجا بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وزمام الرجا الى الصراط المستقيم فبه تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللولو الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيتها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرايف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللولو والمرجان شكلات غنجات عطرات امنات من الهرم والبوس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت بين روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللولو المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الله الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون فهم عن ريب المنون آمنون فهم فيها متنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار ارضها فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويوتون باكواب واي اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفا جوهره يبدو الشراب من ورائه لرقته وحمرته لم يصنعه ادمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقه ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يومن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجايع بمن نزل بفنائها ولا ينظر الاحوال بعين التغير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله في خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وساير اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يوثر عليها ما التصرم والتنغيص من ضرورتها كيف واهلها ملوك امنون وفي انواع السرور متمتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من اللذة ما لا ينظرون معه الى ساير نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذا النعيم يترددون وهم من زوالها آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف **صفة الجنة** فاقرا القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرا سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت

ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها فتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة ثمانية ابواب فمن كان من اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر النار فعظم امرها وذكر ما لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احديهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير اشعارهم بعدها ولا تشعث رؤسهم كانما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقيل لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبته يقولون له ابشر اعد الله لك من الكرامة كذا قال ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا قالت انت رايته فيقول انا رايته وهو اثري فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللولو فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى اقدره لالم ان يذهب بصره ثم يطاطا راسه فينظر فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكوا فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول امرت ان لا افتح لاحد قبلك ثم تامل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا وكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك وضاق به ذرعك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطايف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراؤون اهل الغرف فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في الافق من المشرق الى المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا

التسنيم

يحضرون

ذكرا

تعالى سلام عليكم

من اصناف الجوهر كله يري ظاهرها باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك
وساخبركم عن ذلك من لقى اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشا السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام
حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى
العشاء الاخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون
دارا من ياقوتة حمرا في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون
فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من
الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن في كل غداة يعني من القوة ما ياتي على ذلك اجمع صفة
حايط الجنة وارضها واشجارها وانهارها تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها بها وتامل
في حسرة من حرم عنها لقناعته بالدنيا عوضا عنها قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حايط
الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة
فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله الخمر
فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الاخرة فليتركها في الدنيا انهار الجنة تتفجر من تحت تلال
او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله تعالى
به في الاخرة افضل من حلية الدنيا جميعا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها ماية عام لا يقطعها فاقروا ان شئتم وظل ممدود قال ابو امامة كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسايلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله
في القران شجرة موذية وما كنت ادري ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما هي قال هي السدر فان لها شوكا وقال الله تعالى وسدر مخضود يخضد الله تعالى شوكه فيجعل مكان
كل شوكة ثمرة ثم تتفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام وما منها لون يشبه الاخر وقال جرير
بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نايم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق
بهذا النطع فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فانه من تواضع
لله عز وجل في الدنيا رفعه الله يوم القيمة هل تدرون ما الظلمات يوم القيمة قلت لا ادري قال ظلم الناس
بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا ما وجدته قلت يا ابا عبد الله
فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر صفة لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم
وارائكهم وخيامهم قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والايات في تفصيل
ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم
ولا يبؤس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال
رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اخلق تخلق ام نسج تنسج فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضحك بعض القوم فقال صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سال عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين فقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم
على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها انيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة

وقال عليه السلام

تدري

لم تجده

ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض
قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية انه على كل زوجة سبعون حلة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم في قول الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها تضيء
ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ طولها في السماء ستون
ميلا في كل زاوية منها للمومن اهل لا يراهم الاخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة
فرسخ في فرسخ لها اربعة الف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قول الله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السما والارض صفة طعام اهل الجنة
طعام اهل الجنة مذكور في القران من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف
كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها
وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قايما
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فذكر اسولة الى ان قال فمن اول الناس اجازة على الصراط
فقال فقراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم
على اثرها فقال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا
فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القسم الست
تزعم ان اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بهذا خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة ماية رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي
ياكل ويشرب يكون له الحاجة فقال صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك واذا البطن
قد ظهر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر
بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي فقال ابو بكر
انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها من ياكلها وانت ممن ياكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر وفي قوله تعالى
يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الاخرى
وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء
في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا
ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها صفة الحور العين والولدان قد تكررت في القران
اوصافهم وورد في الاخبار زيادة شرح فيه ولو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملات
ما بينهما رايحة ولنصيفها على راسها خير من الدنيا بما فيها يعني الخمار وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قول الله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من المراة وان ادنى لؤلؤة
عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء
وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيذخ عليها خيام اللؤلؤ
والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر وفيه الحور العين فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبرئيل ما هذا
الندا قال هولاء المقصورات في الخيام استاذن ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن السلام عليك
يا رسول الله نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى وازواج مطهرة يعني من الحيض والغايط والبول

ذلك

والبزاق والنخامة والنجاسة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون اي شغلهم افتضاض الابكار
وقال رجل يا رسول الله ايباضع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم وكل خادم على عمل ليس عليه
صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء واربعة الف بكر وثمانية
الف ثيب ايعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها بيع
ولا شرى الا الصور من الرجال والنسا فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع للحور العين يرفعن باصوات
لم تسمع الخلايق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد نحن الناعمات فلا نبوس نحن الراضيات فلا نسخط طوبى
لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة قال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الجواري الحسان خبينا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين
يغنيانه باحسن صوت يسمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه بيان جمل متفرقة
من اوصاف اهل الجنة وردت الاخبار بها وروى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
الا هل من مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد
وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا
نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت اتيت الفرس من ياقوتة حمرا فتطير بك
في الجنة حيث شئت وقال له رجل ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل قال يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها
ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان
ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي اتذكر في يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلاث وثلثين على خلق آدم طولهم ستون
ذراعا في عرض سبعة اذرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان
وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعا فان عليهم التيجان فان
ادنى لؤلؤة منها ليضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها
كخلف البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت قالت لزيد بن حارثة واذا
في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله عز وجل آدم بيده وكتب التورية
بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها
تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها قال ان رمانها مثل الدلا وان انهارها لماء غير آسن وانهار من
لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم تصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا
يتصدع منها الروس وان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون ابنا ثلاث
وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء جرد مرد كحل قد امنوا العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها
لتجري على رضاض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى

وان ريحها

وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم فيها لخيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت
يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها
فيرى مخ ساقها من ورا تلك السبعين حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا
يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشا ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل يكون الغدو على الرواح
والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب
والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم سبعين الف صحيفة من
ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحيفة لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان له في الجنة لياقوتة
فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة
منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وان ارفعهم الذي ينظر الى ربه جل جلاله وتقدس عن
نعت النقصان كماله ولا يكون ابدا الاباد زواله بالغدوة والعشي قال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة
الا وفي يده ثلثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها
العيناء اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الاخرة وقال
ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس في طلب الاخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز
في طلب ما يبقى صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه
الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في
كتاب المحبة وشهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي كنا
جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا فسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة
ان لكم عند الله تعالى موعدا ويريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا
الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله جل جلاله فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه
وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعم عنده ينسى
وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى وقد اوجزنا الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق
والرضى فلا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة شيء سوى لقاء المولى فاما ساير نعيم الجنة فانه تشارك فيه البهيمة
المسرحة في المرعى نختم الكتاب بباب فيه سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك فقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجوا به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل
ونرجوا ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والاخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد
الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زل به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي ساير كتبنا ونستغفره
من اقوالنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره فيما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى

مع التقصير فيه ونستغفرك من كل علم وعمل قصدنا به وجهك الكريم ثم خالطه غيره ونستغفرك من كل وعد وعدناه
من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفرك من كل نعمة انعم بها علينا واستعملناها في معصيته ونستغفرك من
كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفرك من كل خطرة دعتنا الى
تصنع وتكلف فتزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجوا بعد
الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع في كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرمه بالرحمة والمغفرة
والتجاوز عن سيئاته ظاهرا وباطنا فالكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فايض ونحن
خلق من خلق الله تعالى لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه وقد قال صلى الله عليه وسلم لله تعالى مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر
تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله تعالى كتابا
من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثل اهل الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيمة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد
الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم عليه
السلام يوم القيمة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة الاف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يقول يوم القيمة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول ولم فيقولون رجونا عفوك
ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة
اخرجوا من النار من ذكرني يوما واحدا وخافني في مقام واحد وقال صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار
في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى
عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله تعالى ما قالوا فيامر باخراج
من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فلما راى الكفار ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم لله
ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة
فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيمة فذاك الذي يحاسب
حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى
ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي
لاغثته وقال سعيد بن بلال يؤمر يوم القيمة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت
ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بردهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ
الاخر فيؤمر بردهما ويسالهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد جربت من وبال المعصية ما لم اكن
لاتعرض لسخطك ثانية وقال الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها بعد ما اخرجتني
منها فيامر بهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيمة
يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي
ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها قال الاعرابي والله
ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت
على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وساحدثكموه اليوم فقد احيط بنفسي سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص رجلا من امتي على
رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا
شيئا اظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا
حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة
والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شئ وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يصف فيه القيمة والصراط ان الله تعالى يقول للملائكة من وجدتم في
قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون منها خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا مما امرتنا
به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فاخرجوه فيخرجون منها خلقا كثيرا فيقولون ربنا
لم نذر فيها احدا مما امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه الى مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون
من النار خلقا كثيرا فيقولون ربنا لم نذر فيها احدا فكان ابو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني بهذا
الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
قال فيقول الله جل جلاله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم الراحمين
فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر
الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر فيكون ما يلي الشمس
اصفر وما يلي الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم
يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول
ادخلوا الجنة فما رايتم فيها فهو لكم فيقولون ربنا واي شئ افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم
بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم يمر بي النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه
احد والنبي معه الرهط ورايت سوادا كثيرا فرجوت ان يكونوا امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل انظر
فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء امتك ومع
هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر
ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله وهؤلاء هم ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال
ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك
بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لا يخرج الينا
الا للصلوة المكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله
احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة
من امتي سبعين الفا واني سالت ربي في هذه الثلاثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني
مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب اتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب

اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا صح

لا حساب عليهم صح

وقال ابوذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات
لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنا قال وان سرق وان زنا وان شرب الخمر
وقال ابو الدردا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق
يا رسول الله قال وان زنى وان سرق على رغم انف ابي الدردا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة
دفع الى كل رجل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي برده انه حدث
عمر بن عبد العزيز عن ابيه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه
النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له وروي انه وقف صبي في بعض المغازي فصيح عليه فيمن تريد في يوم صايف
شديد الحر فبصرت به امرأة في خباء القوم فاقبلت تشتد اليه واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته
الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحا وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما
هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال اعجبتم
من رحمة هذه بابنها قالوا نعم قال وان الله ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور
واعظم البشارة يومئذ فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجا يبشرنا بسعة رحمة الله وشمول
فضله وجوده وكرمه نرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله انه الكريم الجواد الرحيم
تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه والصلوة والسلام على خير خلقه محمد واله وصحبه اجمعين ورحم الله
من نظر هذا الكتاب ودعا لكاتبه ولوالديه ولجميع المومنين والمومنات بالرحمة والمغفرة والتجاوز عن
السيئات والتوفيق للخيرات والعصمة عن الموبقات فهو قاضي الحاجات ومجيب الدعوات وكافي المهمات

وقع الفراغ من كتابة هذا الكتاب الجليل في يوم الثلثا حادي عشر ربيع الثاني تجاه الحضرة النبوية والقبة
المصطفوية على الحال بها افضل الصلوة وازكى التحية على يد اضعف عباد الله واحوجهم الى رحمة الله العظيم
الباري علاء الدين بن محمد اللاري نزيل طيبة المشرفة رحم الله من نظر فيه ودعا لكاتبه بحسن الخاتمة
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

بلغ المقابلة